إبطال التأويلات لأخبار الصفات

تصنيف

القاضي الإمام الأوحد

أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء

نور الله وجهه آمين

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

تحقيق ودراسة

أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي

غراس

للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

إبطال التأويلات
لأخبار الصفات

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

غراس
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

الكويت -الشويخ - شارع الصحافة - مقابل مطابع
الرأي العام التجارية،
هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - ٢٤٨٤٤٧٤٣ فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥
الكويت الخالدية: ص.ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي:
٧٢٤٥١ بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت
فرع القاهرة: الأزهر - شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر
هاتف: - ٠٠٢٠١٢٢٦٣٠٤٠٧٥

com . gheras . Website: www
com . E-Mail: info@gheras

إبطال التأويلات لأخبار الصفات

تصنيف

القاضي الإمام الأوحد

أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء

نوّر الله وجهه آمين

المتوفى سنة ٤٥٨هـ

تحقيق ودراسة

أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي

غراس

للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدَعون من ضلَّ إلى الهدى، وينهونه عن الردى، يُحيون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنَّة رسول الله ﷺ أهل الجهالة والردى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس، ينفون عن دين الله عزوجل تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عنان الفتنة، يقولون على الله، وفي الله - تعالى الله عما يقول الظالمون عُلواً كبيراً - وفي كتابه بغير علم، فنعوذ بالله من كل فتنة[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه، ومن سار على هديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

وبعد: فإن كتاب «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» للقاضي أبي يعلى الفرَّاء كان يعد إلى زمن قريب من الكتب المفقودة[٢].

وهو كتاب فريد في بابه: إذ تضمن الرد على تأويلات الأشاعرة والمعتزلة لأحاديث الصفات، وبيان مذهب السلف فيها، وهو إثباتها والإيمان بها، ونفي التكييف عنها والتمثيل لها، فهذا هو التوحيد الذي بيّنه الله تعالى في كتابه، وكان عليه رسوله ﷺ وصحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان.

---

(١) من رسالة الإمام أحمد بن حنبل إلى مسدد بن سرهد- انظرها في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ٣٤٢- ٣٤٥).

(٢) ذكره الشيخ محمد أبو فارس في كتابه «القاضي أبي يعلى الفراء وكتابة الأحكام السلطانية».

وليس التوحيد هو ما يدعيه أولئك المبتدعة، من وجوب تأويل الصفات وتفسيرها بما يليق بالله تعالى!!

وأن إثبات حقائقها ومعانيها يقتضي تشبيه الله بخلقه! زعموا!!

وسموا أهل السنة والجماعه الذين وصفوا الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ سموهم مجسمة حشوية!

ولا يضر أهل السنة تسمية أهل البدع لهم بما ينفر الناس عنهم فلهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد سماه المشركون بالساحر والكاهن والمجنون والشاعر.

ورحم الله تعالى من قال:

فإن كان تجسيماً ثبوت استوائه ... على عرشه إني إذا لمجسمُ
وإنْ كان تشبيهاً ثبوت صفاته ... فمن ذلك التشبيه لا أتكتمُ
وإن كان تنزيهاً جُحود استوائهِ ... وأوصافه أو كونه لا يتكلمُ
فعن ذلك التنزيه نزَّهت ربَّنا ... بتوفيقه والله أعلم وأعظمُ

فنحن ننزه ربنا عن ذلك الشرك الذي وقعوا فيه، وهو شرك التعطيل لصفات ربنا تبارك وتعالى، بل والتشبيه أيضاً!! فمن عطل صفات الخالق فقد شبهه بالجمادات والمعدومات والممتنعات! فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار! فإن التشبيه بالمعدوم والممتنع، أفظع من التشبيه بالموجود.

وما من معطل، عطل صفة لله تعالى إلا ووقع في شرٍ مما يزعم أنه فرَّ منه، كحال الذين تأولوا نصوص العلو والفوقية والاستواء، فراراً من التحيز والحصر- بزعمهم- ثم قالوا: هو في كل مكان بذاته؟! فنزهوه عن استواءه الذي أثبته لنفسه ومباينته لخلقه، وجعلوه في أجواف البيوت

والناس والآبار والأواني والأماكن التي يُرغب عن ذكرها لقذارتها!!

ثم إنَّ التأويل يتضمن القدح في علم الله تعالى، وبيانه لعباده الحق والهدى، لأنهم يزعمون أن الحق هو التأويل الذي يذهبون إليه، وهو يخالف ظواهر النصوص، فإما أن يكون الله تعالى عالماً أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين، أو لا يعلم ذلك!! فإن لم يعلم ذلك كان ذلك قدحاً في علمه!

وإن كان عالماً أن الحق فيها، فلا يخلو أن يكون قادراً على التعبير بعباراتهم التي هي تنزيه الله- بزعمهم- عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، فتركها إلى غيرها من العبارات التي توهم التشبيه! أو لا يكون قادراً على تلك العبارات التي زعموا أن فيها التنزيه!! وكلا الأمرين يعلم بطلانه بالضرورة! ويتعالى عنهما ربنا علواً كبيراً.

ثم إذا تأوَّل أحدٌ ظاهر آية أو خبر، ثم جاء غيره وتأول الآية أو الخبر على غير تأويله، وزعم أنه الصواب، ثم جاء ثالث وهكذا، فكيف يمكن للمسلم أن يعرف الحق، وهل يُحسم هذا الشر إلا بسدِّ بابه؟

ثم لو تكلم الواحد مِنَّا بكلام، هل يرضى أن يقال له: إنك لا تريد ظاهر ما تقول، وإنما تريد كذا وكذا، لأمرٍ لَمَّ يذكره في ظاهر كلامه؟!

فكيف بعد ذلك يكون مذهب المؤوله النفاة المعطلة للصفات أصحاب التحريف هو الصواب، ومذهب أهل الإثبات والأتباع لنصوص الكتاب والسنة والإمرار لها على ظاهرها، هو الباطل!!

سبحانك هذا بهتان عظيم!

وبعد: فإن هذا الكتاب يعالج هذه القضية العقدية، والذي حاول فيه مؤلفه

أن يرد على كل تأويلات المؤولة لأحاديث الصفات، وقد وُفق إلى حدٍ كبير في ردوده.

والكتاب لا يخلو من هفوات وأخطاء، كما هو شأن جميع الكتب، فقد أبى الله أن يتم إلا كتابه، كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وسيأتي المزيد من البيان لمنهج المصنف في كتابه هذا في الكلام على عقيدته.

والآن إلى ذكر ترجمة المصنف.

* * *

ترجمة المؤلف

هو الإمام العلّامة شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي، ابنُ الفرَّاء، صاحب التَّعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب.

مولده: ولد لتسعٍ وعشرين أو ثمان وعشرين ليلة خلت من المحرم، سنة ثمانين وثلاث مئة.

عائلته: نشأ في بيت علم، فقد كان والده أبو عبد الله قد درس على أبي بكر الرازي مذهب أبي حنيفة، قال عنه الذهبي: وكان أبوه من أعيان الحنفية ومن شهود الحضرة، وتوفي في سنة تسعين وثلاث مئة، وكان سن أبي يعلى في ذلك الوقت عشر سنين إلا أيام.

طلبه للعلم: بعد وفاة أبيه، كان وصيه رجل يعرف بـ «الحربي» يسكن بدار القز، فنقله من باب الطاق إلى شارع دار القز، وفيه مسجد يصلي فيه شيخ صالح يعرف بابن مفرحة المقرئ، يُقرئ القرآن، ويُلقِّن من يقرأ عليه العبادات من مختصر الخرقي، فلقنه ما جرت عادته بتلقينه من العبادات، فاستزاده فقال له ذلك الشيخ: هذا القدر الذي أحسنته، فإن أردت زيادة فعليك بالشيخ أبي عبد الله بن حامد (وهو الحسن بن حامد البغدادي الوراق الحنبلي) فإنه شيخ هذه الطائفة، فمضى إليه وصحبه إلى أن توفي ابن حامد في سنة ثلاث وأربع مئة، وتفقه عليه وبرع في ذلك، وتصدر بأمره للإفادة سنة اثنتين وأربع مئة.

ورزقه الله حفظ القرآن، والقراءة بالعشر، والعلم بالحلال والحرام،

والأحكام والفرائض، وعلم الأصول والفروع، إلى جانب ما كان يتمتع به من شرف الأخلاق، والفضل والفهم، والزهد والقناعة.

شيوخه:

أول سماعه للحديث كان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وسمع من أبي الحسين السكري عن أحمد بن عبد الجبار الصوفي عن يحيى بن معين وغيره.

وسمع أيضاً من جماعة عن البغوي. وقد حدث عن البغوي عن أحمد بن حنبل.

وسمع من أبي القاسم موسى بن عيسى السراج عن البغوي وغيره.

ومن أبي الحسن علي بن معروف عن البغوي، وابن صاعد، وابن أبي داود، وغيرهم.

ومن أبي القاسم بن حبابة عن البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة وغيره.

ومن أبي الحسن علي بن معروف عن البغوي، وابن صاعد، وابن أبي داود، وغيرهم.

ومن أبي القاسم بن حبابة عن البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة وغيره.

ومن أبي الطيب بن المنار عن البغوي، وابن صاعد وغيرهما.

ومن أبي طاهر المخلص عن البغوي وابن صاعد وغيرهم.

ومن أبي القاسم عيسى بن علي الوزير عن البغوي وغيره.

ومن أبي القاسم بن سويد عن ابن مجاهد وابن الأنباري وغيرهما.

ومن أبي القاسم الصيدلاني عن ابن صاعد وغيره.

ومن أم الفتح بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل.

ومن جده لأمه أبي القاسم بن حنيفا.

ومن أبي عبد الله عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم السويس وغيره. ومن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن مالك البيع بانتقاء ابن أبي الفوارس.

ومن القاضي أبي محمد الأكفاني.

ومن أبي نصر بن الشاه.

ومن أبي عبد الله النيسابوري.

ومن أبي الحسن الحمامي، ومن أبي الفتح بن أبي الفوارس.

وسمع بمكة ودمشق وحلب في آخرين.

وابتدأ بالتصنيف والتدريس بعد وفاة شيخه ابن حامد.

وحج سنة أربع عشرة وأربعمائة. وعاد إلى تدريسه وتصنيفه في الفروع والأصول والآداب، وانقطاعه عن الدنيا وما يؤول إلى الذهاب.

● **تلاميذه:**

فأما عدد أصحابه، الذين سمعوا منه الحديث: فالعدد الكثير، والجم الغفير منهم: أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي)، وعبد العزيز العاصمي النخشبي، وعمر بن أبي الحسن الدهستاني الخياط، وهبة الله ابن عبد الوارث الشيرازي، وإسحاق بن عبد الوهاب بن منده الحافظ المقرئ، ومكي بن بجير الهمداني، وعمر الغرموي، وأحمد بن الحسن ابن خيرون، وأبناء خاله: أبو طاهر، وأبو غالب، وأبو الحسين بن الطيوري، وأبو يعلي البرداني، وأبو الغنائم بن النرسي الكوفي، وأبو بكر القطان المقدسي، وأبو منصور الخياط، وأبو منصور الرميسيني، وأبو منصور بن الأنبياري، ومحمد بن عمارة العكبري، ومحمد بن أحمد بن مردين، وأبو العباس المخلطي، وأحمد بن العلثي، وأبو بكر، وأبو

الحسين ابنا ابن يوسف، وابنا عمهما أبو محمد، وأبو الحسن بن رضوان، وابنا عمه: أبو نصر، وأبو الحسين، وأبو جعفر الأصفهاني، وأبو الكرم المبارك بن فاخر النحوي، وأخوه أبو عبد الله بن الدباس، وأبو طاهر، وأبو القاسم ابنا البلدي، وأبو نصر ياسر، وأبو العز العكبريان في آخرين.

فأما الذين تفقهوا عليه وسمعوا الحديث: فأبو الحسين البغدادي، والشريف أبو جعفر، وأبو الغنائم بن الغُباري، وأبو الغنائم بن زبيبا، وأبو علي بن البناء، وأبو الوفا بن القواس، والقاضي أبو علي البرديني، والقاضي أبو الفتح بن جلبة، وعلي بن عمرو الحراني، وأبو ياسر بن الحصري، وأبو عبد الله الأنماطي، والحسين بن البرداني، وأبو الحسن النهري أبو الفتح، وأبو البركات بن شبلي، وأبو محمد شافع، وأبو الوفاء بن عقيل، وطلحة العاقولي، ومحفوظ الكلوذاني وأبو الحسن بن ظفر العكبري، وأبو الفرج المقدسي، وأبو الحسن بن زفر العكبري، وأبو عبد الله البرداني، وأبو الحسن بن ركاب، وأبو عبد الله الباجسرائي، وأبو يعلى بن الكَيَّال، وجعفر الدريحاني، والأخ أبو القاسم، وغيرهم ممن يشق إحصاء أسمائهم.

جلوسه للإملاء:

كانت له حلقة كبيرة بجامع «المنصور» ببغداد وصفها ابنه في طبقاته فقال: ولقد حضر الناس مجلسه، وهو يملي حديث رسول الله ﷺ بعد صلاة الجمعة بجامع المنصور على كرسي عبد الله بن إمامنا أحمد رضي الله عنه، وكان المبلغون عنه في حلقته، والمستملون ثلاثة. أحدهم: خالي أبو محمد جابر، والثاني: أبو منصور بن الأنباري، والثالث: أبو علي البرداني.

وأخبرني جماعة من الفقهاء ممن حضر الإملاء: أنهم سجدوا في حلقة

الإملاء على ظهور الناس، لكثرة الزحام في صلاة الجمعة، في حلقة الإملاء.

وما رأى الناس في زمانهم مجلساً للحديث اجتمع فيه ذلك الجم الغفير، والعدد الكثير.

وسمعت من يذكر: أنه حزر العدد بالألوف. وذلك مع نباهة من حضر من الأعيان، وأمائل هذا الزمان، من النقباء، وقاضي القضاة والشهود والفقهاء. وكان يوماً مشهوداً، والناس إذ ذاك يسمعون، والكتبة يكتبون.

وحضرت أنا أكثر أماليه بجامع «المنصور».

أخلاقه وزهده وروعه:

وصفه ابنه في الطبقات فقال: ومعلوم ما خصه الله به- مع موهبة العلم والديانة- من التعفف والصيانة، والمروءة الظاهرة، والمحاسن الكثيرة الوافرة، مع هجرانه لأبواب السلاطين، وامتناعه على ممر السنين: أن يقبل لأحدٍ منهم صلة وعطية، ولم تزل ديانته ديانته ومروءته لما هذا سبيل أبِيَّة.

وكان يقسم ليله كله أقساماً: فقسم للمنام، وقسم للقيام، وقسم لتصنيف الحلال والحرام.

ولقد نزل به ما نزل بغيره من النكبات التي استكان لها كثير من ذوي المروءات، وخرج بها عن مألوفات العادات، فلم يحفظ عليه أنه خرج عن جميل عاداته، ولا طرح المألوف من مروءاته.

ومن شاهد ما كان عليه من السكينة والوقار، وما كسا الله وجهه من الأنوار، مع السكون والسمت والصالح، والعقل الغزير الراجح، شهد له بالدين والفضل ضرورة، واستدل بذلك على محاسنه الخفية المستورة(١).

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٣).

قال: وكان ينهانا دائماً عن مخالطة أبناء الدنيا والاجتماع بهم، ويأمرنا بالاشتغال بالعلم، ومخالطة الصالحين(١).

وقال النهري: لما قدم الوزير ابن دراست عبرت أبصره، ففاتني درس ذلك اليوم، فلما حضرت قلت: يا سيدنا تتفضل وتعيد لي الدرس؟ فقال (أي أبو يعلى): أين كنت في أمسنا؟ فقلت: مضيت أبصرت ابن دراست. فأنكر عليَّ ذلك إنكاراً شديداً، وقال: ويحك، تمضي وتنظر إلى الظلمة؟! وعنفني على ذلك(٢).

ومضى مرة لتهنئة الإمام القائم بالله بعد معافاته من مرض كان به، فأمر له بجائزة سنية، يقول الراوي: فوالله ما مسَّها ولا قبلها، فروجع في ذلك فأبى(٣).

ووقع نهب في الجانب الغربي من بغداد، فظلَّ يقتات على الخبز اليابس يبله بالماء، ويقول: هذه الأطعمة نُهوب وغصوب، ولا أطعم من ذلك شيئاً. فبقي يتقوت من ذلك الخبز اليابس إلى أن لحقه مرض من ذلك الخبز المبلول(٤).

ووصفه الذهبي في السير (١٨/ ٩٠) بقوله: وكان ذا عبادة وتهجُّد، وملازمة للتصنيف، مع الجلالة والمهابة.

توليه القضاء:

لما توفي القاضي ابن ماكولا، احتاج القائم بأمر الله إلى قاض عالم

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢).

وزاهد، فراسل رئيس الرؤساء بالشيخ أبي منصور بن يوسف وبغيره إلى الإمام أبي يعلى، وخوطب ليلي القضاء بدار الخلافة والحريم أجمع، فامتنع من ذلك، فكرر عليه السؤال، فلما لم يجد بدّاً من ذلك اشترط عليهم شرائط:

١- أن لا يحضر أيام المواكب الشريفة.

٢- أن لا يخرج في الاستقبالات.

٣- أن لا يقصد دار السلطان.

٤- أن يقصد في كل شهر نهر المعلى يوماً وباب الأزج يوماً، ويستخلف من ينوب عنه في الحريم.

فأجيب إلى ذلك، ثم أضيف إلى ولايته بالحريم: قضاء حرَّان وحُلوان، وظل عل ذلك إلى أن توفي.

وما تقدم ذكره يدل على كراهية القاضي أبي يعلى لمخالطة السلطان والتردد على أبوابه، وهذا ديدن السلف رحمهم الله تعالى جميعاً، فإنهم كانوا يتجنبون مجالس الولاة إلا عند الحاجة كالنصح وغيره، بل ربما جرحوا بعض الرواة بتردده على السلطان أو قبوله القضاء، كما يتبين لمن يقرأ كتب الجرح والتعديل .

مؤلفاته:

أكثر القاضي أبي يعلى من التصنيف، فقد صنف في الأصول والفروع، في السهل والمستصعب، مع قرب عبارته وسهولتها، والإجادة والإفادة، كما قال الذهبي: صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب...اهـ.

ولكن لم يكتب لهذا المؤلفات الكثيرة البقاء، فلم يصل إلينا منها إلا أقل القليل، وسنذكرها حسب موضوعاتها:

أولًا: مؤلفاته في العقيدة:

١- مسائل الإيمان(١).

٢- الرد على الأشعرية.

٣- الرد على الكرَّامية.

٤- الرد على الباطنية.

٥- ارد على السالمية والمجسمة(٢).

٦- الرد على الجهمية.

٧- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، وهو كتابنا هذا، وسيأتي الكلام عليه.

٨- مختصر إبطال التأويلات.

٩- عيون المسائل(٣).

١٠- الكلام في الاستواء.

١١- أخبار الصفات(٤).

١٢- القطع على خلود الكفار في النار.

١٣- أربع مقدمات في أصول الديانات.

١٤- إثبات إمامة الخلفاء الأربعة.

---

(١) موجود في المكتبة الظاهرية الجزء الأول منه، وهي نسخة ناقصة من آخرها (عندي صورة عنها) مجموع ٤٢ (ق٦٣- ٩٥). (انظر المنتخب من مخطوطات الحديث، وضع العلامة الألباني ص٢١٩). وقد طبع بتحقيق أخينا الشيخ د. سعود الخلف سنة ١٤١٠هـ-دار العاصمة.

(٢) ذكره ابنه محمد في طبقاته (٢/ ٢١٢) وقال: وهذا الكتاب عدة أوراق.

(٣) ذكره ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٩/ ٣٩) فقال: ثم إن القاضي أبا يعلى في كتابه المعروف «بعيون المسائل» الذي صنفه في الخلاف مع المعتزلة والأشعرية... وذكره محمد أبو فارس ضمن مؤلفاته الفقهية (ص١٥٨).

(٤) ذكره ابنه في طبقاته (٢/ ٢١٠)، وفي هدية العارفين (٢/ ٧٢): له كتاب الصفات. والظاهر أنه هو.

١٥- المعتمد[١].

١٦- مختصر المعتمد في أصول الدين[٢].

١٧- تبرئة معاوية.

١٨- إيضاح البيان في مسألة القرآن[٣].

ثانياً: مؤلفاته في القرآن وعلومه:

١- أحكام القرآن.

٢- نقل القرآن.

وتجد كثيراً من تفسير أبي يعلى للآيات، في كتاب زاد المسير لابن الجوزي[٤].

ثالثاً: مؤلفاته في أصول الفقه:

١- العدة في أصول الفقه[٥].

٢- مختصر العدة.

٣- الكفاية في أصول الفقه[٦].

٤- مختصر الكفاية.

٥- مقدمة المجرد في الأصول.

---

(١) وهو في أصول الدين كما يتبين من بعض النقول عنه في «درء تعارض العقل» (٢/ ٣١٠) (٨/ ١٥، ٣٤٩- ٣٥١) (٩/ ٣٦، ٦٤، ١٧٢).

(٢) يوجد مخطوطاً بالظاهرية برقم (٤٥) توحيد، ويقع في (١١٥) ورقة من القطع الصغير.

(٣) انظر «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٧٤).

(٤) انظر نبذ من تفسيره في كتاب «القاضي أبو يعلى وكتابه الأحكام السلطانية» لمحمد عبد القادر أبو فارس (ص١١٠-١٢٩).

(٥) طبع في ثلاثة أجزاء بتحقيق أحمد علي المباركي.

(٦) يوجد المجلد الرابع من هذا الكتاب في دار الكتب المصرية برقم (٣٦٥) أصول فقه، وعنها صورة بمعهد المخطوطات برقم (٩٠) أصول الفقه.

رابعاً: مؤلفاته في الفقه:

١- مختصر في الصيام.

٢- إيجاب الصيام ليلة الإغمام.

٣- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

٤- شروط أهل الذمة.

٥- الأحكام السلطانية(٢).

٦- تكذيب الخيابرة فيما يدعونه من إسقاط الجزية.

٧- إبطال الحيل.

٨- المجرد في المذهب.

٩- شرح مختصر الخرقي(٣).

١٠- كتاب الروايتين والوجهين(٤).

١١- قطعة من الجامع الكبير، فيها الطهارة وبعض الصلاة والنكاح والصداق والخلع والوليمة والطلاق.

---

(١) توجد منه نسخة ناقصة من أولها في المكتبة الظاهرية مجموع ٤٢، (ق٩٧- ١٢٥). انظر المنتخب من مخطوطات الحديث للألباني (ص٢١٨).

(٢) طبع سنة ١٣٥٦ هـ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ ثم في سنة ١٣٨٦هـ بمطبعة البابي الحلبي بمصر (انظر كتاب محمد أبو فارس ص ٣٣٧).

(٣) موجود في الظاهرية (فقه حنبلي ٥٤، ج٣ (٢٠٨ق)) وفي الأزهر (فقه حنبلي ٦٣، ج٤ (١٢٩ق))، انظر تاريخ التراث لسزكين (١/ ٣/ ٢٣٦) وكتاب الشيخ محمد أبو فارس (ص٢١٣- ٢٢٠).

(٤) وهو كتاب جمع فيه الروايات المختلفة عن الإمام أحمد في مسائل الفقه وأصول الفقه والعقيدة، وقد حقق جزء الفقه وهو الجزء الأكبر من الكتاب الشيخ عبد الكريم اللاحم في ثلاثة مجلدات ط مكتبة المعارف- الرياض، ثم حقق «أصول الفقه» منه وطبع في المكتبة نفسها.

١٢- الجامع الصغير.

١٣- شرح المذهب.

١٤- الخلاف الكبير، ويسمى «التعليق الكبير»[(١)].

ومما يدل على أهمية هذه المصنفات اعتناء العلماء بها، وتدارسها، وكثرة النقول عنها، تجد ذلك جلياً في كتب مذهب الإمام أحمد ك «الأنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» للشيخ علاء الدين المرداوي، و«مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى» للشيخ مصطفى السيوطي، و«المغني» لابن قدامة، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وغيرها.

خامساً: مؤلفاته في الحديث:

١- الأمالي[(٢)].

٢- الفوائد الصحاح العوالي والأفراد والحكايات[(٣)].

سادساً: أجوبته ورسائله:

١- الرسالة إلى إمام الوقت.

---

(١) وهو كتاب ضخم يقع في أحد عشر مجلداً، يبحث في المسائل الخلافية بين الأئمة، ويدل على أهمية هذا الكتاب حرص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، فقد جاء في رسالة أرسلها إلى أهله في الشام وهو في مصر: «وترسلون أيضاً من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخط القاضي أبي الحسين إن أمكن الجميع وهو أحد عشر مجلداً، وإلا فمن أوله مجلداً أو مجلدين أو ثلاثة»، العقود الدرية (ص٢٨٥).
ويوجد من هذا الكتاب المجلد الرابع في دار الكتب المصرية رقم (١٤٠) فقه حنبلي وصورة عنها بمعهد المخطوطات رقم (١٨) اختلاف الفقهاء (القاضي أبي يعلى لمحمد أبي فارس ص١٩٩-٢٠٦).

(٢) توجد ستة مجالس منها في المكتبة الظاهرية، انظر المنتخب من مخطوطات الحديث (ص٢١٨)، المجلس الثاني منه صوره بجامعة الكويت (٧١٠م.ك مجموع ٤).

(٣) يوجد في المكتبة الظاهرية الجزء الخامس منها، مجموع ١١٦ (ق٣٥- ٥١)، انظر المنتخب من مخطوطات الحديث (ص٢١٨)، ومنها صورة بمكتبة جامعة الكويت (٣٤٠١ م. ك مجموع ٣).

٢- جوابات مسائل وردت من الحرم.
٣- جوابات مسائل وردت من تنيس.
٤- جوابات مسائل وردت مَيَّافارقين.
٥- جوابات مسائل وردت من أصفهان.

سابعاً: مؤلفاته في الآداب والأخلاق والفضائل وغيرها[١]:

١- المقتبس.
٢- مختصر المقتبس.
٣- الانتصار لشيخنا أبي بكر.
٤- الكلام في حروف المعجم.
٥- فضائل أحمد.
٦- مقدمة في الأدب.
٧- كتاب الطب.
٨- كتاب اللباس.
٩- التوكل.
١٠- ذم الغناء.
١١- الاختلاف في الذبيح.
١٢- تفضيل الفقر على الغنى.
١٣- فضل ليلة الجمعة على ليلة القدر.
١٤- الفرق بين الآل والأهل.

(١) وذكرت تحته ما لا يعلم موضوعه، إذ وصل إلينا اسمه فقط.

١٥- الخصال والأقسام[١].

١٦- الرد على ابن اللبان[٢].

عقيدته:

ألف القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ كتباً كثيرة في المعتقد، كما سبق أن أشرنا إليه في مصنفاته في العقيدة، ولكن غالبية هذه الكتب في حيز المفقود، لم يصل إلينا منها سوى شيء يسير، وهي: كتابنا هذا «إبطال التأويلات»، وكتابه «الإيمان» و«مختصر المعتمد في أصول الدين» والجزء العقدي الذي في كتابه «الروايتين والوجهين»[٣]. وهي كافية في معرفة اعتقاد القاضي أبي يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ، خصوصاً إذا ما أضفنا إليها كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه النفيس «درء تعارض العقل والنقل» عن القاضي وعقيدته، في مواضع كثيرة من كتابه.

وقد بيَّنَ ابنه في طبقاته (٢/ ٢٠٧- ٢١٢) معتقد أبيه، ننقله مختصراً حتى لا نطيل على القارئ، فقد قال: فلنذكر الآن البيان عن اعتقاد الوالد السعيد ومن قبله من السلف الحميد في أخبار الصفات.

فاعلم- زادنا الله وإياك علماً ينفعنا الله به، وجعلنا ممن آثر الآيات

---

(١) ذكره محمد أبو فارس ضمن مصنفاته الفقهية (ص١٥٨).

وفيه يقول بعضهم:

قد نظرنا مصنفات الأنام ... وسبرنا شريعة الإسلام
ما رأينا مصنفاً جمع العلم ... مع الاختصار والإفهام
مثل ما صنف الإمام أبو ... يعلى كتاب الخصال والأقسام

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن البكري التيمي الأصبهاني المعروف بابن اللبان، فقيه شافعي، صحب ابن الباقلاني ودرس عليه أصول الدين، توفي سنة ٤٤٦هـ (العبر (٣/ ٢١١)، تبيين كذب المفتري (ص ٢٦١- ٢٦٢).

(٣) ولم يتيسر لي الحصول على الكتابين الأخيرين منهما.

الصريحة، والأحاديث الصحيحة على آراء المتكلمين، وأهواء المتكلفين:

أن الذي درج عليه صالحوا السلف، وانتهجه بعدهم خيار الخلف هو: التمسك بكتاب الله عز وجل، واتباع نبيه ﷺ، ثم ما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم، ثم عن التابعين والخالفين لهم من علماء المسلمين.

والإيمان والتصديق بما وصف الله تعالى به نفسه، أو وصفه به رسوله، مع ترك البحث والتنقير، والتسليم لذلك، من غير تعطيل، ولا تشبيه ولا تفسير ولا تأويل. وهي الفرقة الناجية، والجماعة العادلة، والطائفة المنصورة إلى يوم القيامة فهم أصحاب الحديث والأثر- والوالد السعيد تابعهم- هم خلفاء الرسول، وورثة علمه وسفرته بينه وبين أمته.

بهم يلحق التالي، وإليهم يرجع الغالين وهم الذين نبزهم أهل البدع والضلال، وقائلو الزور والمحال: أنهم مشبهةٌ جهال، ونسبوهم إلى الحشو والطغام، وأساءوا فيهم الكلام.

فاعتقد الوالد السعيد وسلفه- قدس الله أرواحهم، وجعل ذكرنا لهم بركة تعود علينا- في جميع ما وصف الله تعالى به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ أن جميع ذلك صفات الله عز وجل تُمَرُّ كما جاءت، من غير زيادة ولا نقصان، وأقروا بالعجز عن إدراك معرفة حقيقة هذا الشأن.

اعتقد الوالد السعيد ومن قبله ممن سبقه من الأئمة: أن إثبات صفات الباري سبحانه: إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد، لها حقيقة في علمه، لم يُطلع الباري سبحانه على كُنْه معرفتها أحداً من إنس ولا جان.

واعتقدوا: أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذي حذوه ومثاله، وكما جاء.

وقد أجمع أهل القبلة: أن إثبات الباري سبحانه: إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وكيفية، هكذا اعتقد الوالد السعيد وكمن قبله ممن سلفه من الأئمة: أن إثبات الصفات للباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وكيفية، وأنها صفات لا تشبه صفات البرية، ولا تدرك حقيقة علمها بالفكر والروية.

والأصل الذي اعتمدوه في هذا الباب: اتباع قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١٠- ١١١].

فاعتقدوا: أن الباري ﷻ فرد الذات، متعدد الصفات. لا شبيه له في ذاته، ولا في صفاته، ولا نظير ولا ثاني. وسمعوا قوله عز وجل ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فآمنوا بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، تسليماً للقدرة، وتصديقاً للرسل، وإيماناً بالغيب.

واعتقدوا: أن صفات الباري سبحانه معلومة من حيث أعلم هو، غيب من حيث انفرد واستأثر، كما أن الباريء سبحانه معلوم من حيث هو، مجهول ما هو.

واعتقدوا: أن الباري سبحانه استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها عن العالمين، وفارق بها سائر الموصوفين، فهم بها مؤمنون، وبحقائقها موقنون، وبمعرفة كيفيتها جاهلون، لا يجوز عندهم ردها، كرد الجهمية، ولا حملها على التشبيه، كما حملته المشبهة، الذين أثبتوا الكيفية، ولا تأولوها على اللغات والمجازات، كما تأولتها الأشعرية.

فالحنبلية لا يقولون في أخبار الصفات بتعطيل المعطلين، ولا بتشبيه المشبهين، ولا تأويل المتأولين. مذهبهم: حقٌّ بين باطلين، وهدى بين ضلالتين: إثبات الأسماء والصفات، مع نفي التشبيه والأدوات، إذْ لا مثل للخالق سبحانه مشبه، ولا نظير له فيجنس منه. فنقول كما سمعنا، ونشهد بما علمنا، من غير تشبيه ولا تجنيس، على أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي رد أخبار الصفات، وتكذيب النقلة: إبطال شرائع الدين، من قبل أن الناقلين إلينا علم الصلاة والزكاة والحج وسائر أحكام الشريعة: هم ناقلوا هذه الأخبار، والعدل مقبول القول فيما قاله. ولو تطرق إليهم- والعياذ بالله - التخرص بشيء منها، لأدى ذلك إلى إبطال جميع ما نقوله، وقد حفظ الله سبحانه الشرع عن مثل هذا اهـ.

وقد بيَّن القاضي أبو يعلى نفسه معتقده في الصفات، فقال في كتابه «أخبار الصفات»- كما نقله عنه ابنه في الطبقات (٢/ ٢١٠)-:

وقد قال الوالد السعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أخبار الصفات:

المذهب في ذلك: قبول هذه الأحاديث على ما جاءت به، من غير عدول عنه إلى تأويل يخالف ظاهرها، مع الاعتقاد بأن الله سبحانه بخلاف كل شيء سواه، وكل ما يقع في الخواطر من حد أو تشبيه، أو تكييف: فالله تعالى عن ذلك. والله ليس كمثله شيء، ولا يوصف بصفات المخلوقين، الدالة على حَدَثهم، ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال، ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، وأنه لم يزل، ولا يزال وأنه الذي لا يتصور في الأهام، وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين (ليس كمثله

شيء. وهو السميع البصير).

وأما كتابه- قدس الله روحه- في إبطال التأويلات لأخبار الصفات: فمبني على هذه المقدمات، وأن إطلاق ما ورد به السمع من الصفات: لا يقتضي تشبيه الباري سبحانه بالمخلوقات. اهـ

قلت: وأما قوله «إن الباري سبحانه استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها...» أما المعاني فمعلومة وليس من مذهب أهل السنة تفويضها، وسيأتي الرد عليه.

وأما قوله: ولا يجوز عليه ما يجوز عليهم من التغير من حال إلى حال، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، فكلام لم يأت ذكره في الكتاب والسنة المنقولة عن النبي ﷺ، إنما هو من إحداث أهل الكلام، الذين أكثروا من نفي صفات لم تذكر لا في الكتاب ولا في السنة، مثل قولهم: إنه ليس فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، وليس داخل العالم ولا خارجه، وليس عرض، ولا بذي لو ولا رائحة ولا طعم ولا مجسَّه، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة، ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، إلى آخر ما نقله أبو الحسن الأشعري عن المعتزلة؟!

أما إذا أثبتوا أثبتوا إجمالًا.

قال شارح الطحاوية بعد ذكره نحو ما سبق: وفي هذه الجملة حقٌّ وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة، وهذا النفي المجرَّد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك-! لأدَّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون

مادحاً إذا أجملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب.

والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية، هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده، وأما أهل الحق والسنة والإيمان، فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده.

والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضاً جمليًا، أو يبينوا حاله تفصيلًا، ويُحكم عليه بالكتاب والسنة اهـ[1].

فالحاصل أن هؤلاء النفاة سكوا طريقاً غير شرعي، فوقعوا فيما وقعوا فيه، وأكثر نفيهم المذكور ليس متلقي عن الكتاب والسنة بل هو من وضع أهل الكلام.

وقد ظن بعض أهل السنة، صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، فشاركوهم فيها، وذكروها في كتبهم، مع تعظيمهم لمذهب السلف.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا فهو يقول:

فإن قيل: قلتَ إن أكثر ائمة النفاة من الجهمية والمعتزلة كانوا قليلي المعرفة بما جاء عن الرسول، وأقوال السلف في تفسير القرآن وأصول الدين، وما بلّغوه عن الرسول، ففي النفاة كثيرٌ ممن له معرفة بذلك.

قيل: هؤلاء أنواع: نوع ليس لهم خبرة بالعقليات، بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم والدليل، ويعتقدونها براهين قطعية، وليس لهم قوة على

---

(١) شرح ابن أبي العز علي الطحاوية (ص١٠٩-١١٠)، وانظر «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ص١٠٥) وما قبلها.

الاستقلال بها، بل هم في الحقيقة مقلِّدون فيها، وقد اعتقد أقوال أولئك، فجميع ما يسمعونه من القرآن والحديث وأقوال السلف لا يحملونه على ما يخالف ذلك، بل إما أن يظنّوه موافقاً لهم، وإما أن يعرضوا عنه مفوِّضين لمعناه.

وهذه حال مثل أبي حاتم البُستي، وأبي سَعْد السمَّان المعتزلي، ومثل أبي ذر الهروي، وأبي بكر البيهقي، والقاضي عياض، وأبي الفرج بن الجوزي، وأبي الحسن علي بن المفضَّل المقدسي، وأمثالهم.

والثاني: من يسلك في العقليات مسلك الاجتهاد ويغلط فيها، كما غلط غيره، فيشارك الجهمية في بعض أصولها الفاسدة، مع أنه لا يكون له من الخبرة بكلام السلف والأئمة في هذا الباب ما كان لأئمة السنة، وإن كان يعرف متون الصحيحين وغيرهما.

وهذه حال أبي محمد بن حزم، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي، وأمثالهم.

ومن هذا النوع بشر المريسي ومحمد بن شجاع الثلجي، وأمثالهما.

ونوع ثالث سمعوا الأحاديث والآثار، وعظَّموا مذهب السلف، شاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية، ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار، ما لأئمة السنة والحديث، لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها، ولا من جهة الفهم لمعانيها. وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينهما من التعارض.

وهذا حال أبي بكر بن فُوْرَك، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأمثالهم.

ولهذا كان هؤلاء تارة يختارون طريقة أهل التأويل، كما فعله ابن فورك وأمثاله في الكلام على مشكل الآثار.

وتارة يفوِّضون معانيها، ويقولون: تجري على ظواهرها، كما فعله القاضي أبو يعلي وأمثاله في ذلك.

وتارة يختلف اجتهادهم، فيرجّحون هذا تارة وهذا تارة، كحال ابن عقيل وأمثاله.

وهؤلاء قد يُدخلون في الأحاديث المشكلة ما هو كذبٌ موضوع، ولا يعرفون أنه موضوع، وما له لفظ يدفع الإشكال، مثل أن يكون رؤيا منام، فيظنونه كان في اليقظة ليلة المعراج.

ومن الناس من له خبرة بالعقليات المأخوذة عن الجهمية وغيرهم، وقد شاركهم في بعض أصولها، ورأى ما في قولهم من مخالفة الأمور المشهورة عند أهل السنة، كمسألة القرآن والرؤية، فإنه قد اشتهر عند العامة والخاصة أن مذهب السلف وأهل السنة والحديث: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، فأراد هؤلاء أن يجمعوا بين نصر ما اشتهر عند أهل السنة والحديث، وبين موافقة الجهمية في تلك الأصول العقلية، التي ظنها صحيحة؟! ولم يكن لهم من الخبرة المفصَّلة بالقرآن ومعانيه، والحديث وأقوال الصحابة، ما لأئمة السنة الحديث، فذهب مذهباً مركّبًا من هذا وهذا، وكلا الطائفتين ينسبه إلى التناقض.

وهذه طريقة الأشعري وأئمة اتباعه، كالقاضي أبي بكر، وأبي إسحاق الإسفراييني وأمثالهما. ولهذا تجد أفضل هؤلاء، كالأشعري، يذكر مذهب أهل السنة والحديث على وجه الإجمال، ويحكيه بحسب ما يظنه لازماً، ويقول: إنه يقول بكل ما قالوه، وإذا ذكر مقالات أهل الكلام، من المعتزلة وغيرهم، حكاها حكاية خبير بها، عالم بتفصيلها.

وهؤلاء كلامهم نافع في معرفة تناقض المعتزلة وغيرهم، ومعرفة فساد أقوالهم. وأما في معرفة ما جاء به الرسول، وما كان عليه الصحابة والتابعون، فمعرفتهم بذلك قاصرة، وإلا فمن كان عالماً بالآثار، وما جاء عن الرسول، وعن الصحابة والتابعين، من غير حسن ظنٍّ بما يناقض ذلك، لم يدخل مع هؤلاء: إما لأنه علم من حيث الجملة أن أهل البدع المخالفين لذلك مخالفون للرسول قطعاً، وقد علم أنه من خالف الرسول فهو ضال، كأكثر أهل الحديث، أو علم مع ذلك فساد أقوال أولئك وتناقضها، كما علم أئمة السنة من ذلك مالا يعلمه غيرهم، كمالك، وعبد العزيز الماجشون، وحماد بن زيد، وحمَّاد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع بن الجرَّاح، وعبد الله بن إدريس، وعبد الرحمن بن مهدي، ومعاذ بن معاذ، ويزيد بن هارون الواسطي، ويحيى بن سعيد القطان، وسعيد بن عامر، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبد الرحمن القاسم بن سلَّام ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجَّاج النيسابوري، والدارِمِيَّيْن: أبي محمد عبد الله ابن عبد الرحمن، وعثمان بن سعيد، وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين، وأبي داود السجستاني، وأبي بكر الأثرم، وحرب الكرماني، ومن لا يحصى عدده إلا الله من أئمة الإسلام، وورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل.

فهؤلاء كلهم متفقون على نقيض قول النفاة، كما تواترت الآثار عنهم، وعن غيرهم من أئمة السلف بذلك، من غير خلاف بينهم في ذلك اهـ(١).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٢- ٣٧).

فالحاصل من كلام شيخ الإسلام:

أنه مما يؤخذ على القاضي أنه يظن في بعض الأحيان صحة بعض الأصول العقلية لنفاة الصفات، ويقول في بعض نصوص الصفات: إنها تُجري على ظاهرها، وتُحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله أي يفوض علم معناها إلى الله، فيتناقض حيث يثبت لها تأويلا يخالف ظاهرها، ويقول- مع هذا- أنها تحمل على ظاهرها. وتفويض علم المعنى ليس هو طريقة السلف، وإنما طريقتهم تفويض الكيفية فقط. وهذا ما أنكره ابن عقيل على القاضي في كتابه هذا[(١)].

خلاصة القول:

أن الرجل شيخ من شيوخ الحنابلة، المتبعين لإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وهو (أي القاضي) من أهل الإثبات للصفات، والتسليم للنصوص من غير تعطيل ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تأويل، بل كتابه هذا مؤلف للرد على نفاة الصفات والمأولين لها، المحرفين لمعانيها، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن تابعهم.

أما القليل الذي وافق فيه المتكلمين- من نفي أو إثبات أو تفويض- مما يخالف كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو نهج أصحابة ومن تابعهم بإحسان، فنحن لا نقرُّه عليه، بل نرُّده ولا نقبله، والاعتبار من كلامه وكلام غيره بما يوافق الدليل، والله تعالى أعلم.

وفاته:

توفي ليلة الاثنين بين العشائين، تاسعة عشر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم يوم الاثنين بجامع المنصور.

---

(١) انظر المصدر السابق (١/ ١٦ وما قبلها).

قال ابنه في الطبقات (٢/ ٢١٦): وقيل أنه لم يُر في جنازة- بعد جنازة أبي الحسن القزويني الزاهد- الجمع الذي حضر جنازته، فلما أصحر المشيعون لجنازته إلى حفرته بمقبرة إمامنا أحمد لحقهم الحر الشديد، فأفطر جماعة لم يسمحوا بالرجوع، وكان قد حضره عالم كثير جداً يفوت الإحصاء.

ما رؤي له من المرائي:

يقول ابنه أبو الحسين في طبقاته (٢/ ٢٢٠): وسمعت محمد بن مواهب يقول: سمعت أبا الحسن بن جداً يقول: كنت نائماً في داري ليلة مات القاضي أبو يعلى، فهتف لي هاتف وقال:

ما العيش بعدك مستطاب هيهات أن يغشى لمثلك باب

فانتبهت، فلما أسفر الفجر، سمعت منادياً ينادي: من أراد الصلاة على القاضي الإمام أبي يعلى، فعلمت أن الهاتف وبيت الشعر لأجله.

فرحم الله القاضي أبي يعلى رحمة واسعة، وغفر له ذنبه، آمين.

مصادر ترجمته:

١- تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٦).

٢- طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣- ٢٣٠).

٣- الأنساب (٩/ ٢٤٦).

٤- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٥٢٠- ٥٢١).

٥- المنتظم له أيضاً (٨/ ٢٤٣- ٢٤٤).

٦- الكامل لابن الأثير (١٠/ ٥٢).

٧- اللباب له أيضاً (٢/ ٤١٣- ٤١٤).

٨- العبر للذهبي (٣/ ٢٤٣- ٢٤٤).

٩- سير أعلام النبلاء له أيضاً (١٨/ ٨٩- ٩١).

١٠- الوافي بالوفيات (٣/ ٧-٨).

١١- البداية والنهاية (١٢/ ٩٤- ٩٥).

١٢- شذرات الذهب (٣/ ٣٠٦- ٣٠٧).

١٣- كشف الظنون (١/ ٣) (٢/ ١٧٣٢).

١٤- هدية العارفين (١/ ٣) (٢/ ١٧٣٢).

١٥- القاضي أبو يعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية- تأليف الشيخ محمد عبد القادر أبو فارس- ط الثانية ١٤٠٣هـ- مؤسسة الرسالة.

١٦- مقدمة أبو يعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية - تأليف الشيخ محمد عبد القادر أبو فارس - ط الثانية ١٤٠٣هـ - مؤسسة الرسالة.

❋ ❋ ❋

التعريف بكتاب «إبطال التأويلات»

اسم الكتاب: اسمه كما هو مثبت على الورقة الأولى «إبطال التأويلات لأخبار الصفات»، وكذا سماه ابنه في طبقاته. وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء التعارض» (٥/ ٢٣٧) (٦/ ٢٠٧) باسم: «إبطال التأويل» وذكره في (١/ ١٦) باسم «ذم التأويل»، وذكره الذهبي في السير (١٨/ ٩) باسم: «إبطال تأويل الصفات» ولعل ذلك وقع منهما على جهة الاختصار.

نسبة الكتاب للمؤلف:

أولاً: الكتاب منسوب للمؤلف في الورقة الأولى من الكتاب، فقد كتب ناسخه:

الحمد لله وحده، وجد على ظهر أول ورقة من نسخة كتاب إبطال التأويلات التي نسخنا منها هذه النسخة، بخط القاضي أبي الحسين بن القاضي أبي يعلى مؤلف الكتاب ما لفظه: قرأ عليَّ صاحبه الفقيه إسماعيل بن الحسن

وكتب ناسخه أيضاً: ووجد أيضاً هذا الكتاب مؤلفه القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، القاضي أبو يعلى الفراء البغدادي شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف ولد سنة ٣٨٠، أخذ عنه أبو الوفاء علي ابن عقيل توفي في رمضان سنة ٤٥٨هـ.

وكتب أيضاً: دخل في ملك الفقير إلى الله تعالى محمد بن أمين الحسني الشنقيطي سنة ١٣٣٧هـ.

ثانياً: ذكر العلماء له في ضمن مصنفات أبي يعلى، كما تقدم.

نسخة الكتاب: نسخة جيدة بقلم نسخي، وهي من مخطوطات مكتبة عباس العزاوي- العراق، وجاء وصفها في مجلة «المورد» المجلد السابع عشر- العدد الثاني (١٤٠٨هـ) (ص١٨٢): «نسخة جيدة كتبها بقلم النسخ

سنة ١٣٣٧هـ- ١٩١٨م صالح بن دخيل الله بن جار الله على نسخة كتبت سنة ٦٥٧هـ- ١٢٥٨م وعليها قراءة منقولة لأبي الثناء محمد بن سليمان العرباني ومحمد بن علي التميمي على المؤلف، في أولها فهرس لمواضيع الكتاب ومقابلة على الأصل المنقولة عنه وتملك مؤرخ سنة ١٣٣٧هـ- ١٩١٨م باسم محمد بن أمين الحسيني الشنقيطي- القياس : ٣٩٤ص - ٢٢ × ١٦سم- ١٧س».

وقد أهداها لي أحد الأخوة في الله تعالى وكانت ناقصة الآخر، ثم لما سافرت إلى المدينة النبوية في عام ١٤٠٩هـ والتقيت بشيخنا ووالدنا الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله، أخبرته بأمر الكتاب وإني أعمل في تحقيقه، فقال: إن الكتاب عنده كامل وأذن لي بتصويره، فجزاه الله عنا خيراً.

مادة الكتاب: الكتاب ألفه القاضي رحمه الله لبيان وشرح أحاديث الصفات، التي يظن بعض المبتدعة أن إثبات هذه الأحاديث ينافي التنزيه، ويوقع في التشبيه. وللرد خصوصاً على ابن فورك في كتابه «مشكل الحديث وبيانه».

وقد ذكر المصنف الدافع له على تأليف هذا الكتاب وخطته فيه فقال:

أما بعد، فإنني وقفت على حاجتكم إلى شرح كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات، وصح سنده من غير مطعن فيه، ما يوهم ظواهرها التشبيه، وأذكر الإسناد في بعضها، واعتمد على المتن فيما اشتهر منها طلباً للاختصار.

وسئلتم أن أتأمل مصنف محمد بن الحسن بن فورك الذي سماه «تأويل الأخبار» جمع فيه هذه الأخبار وتأولها، فتأملنا ذلك وبينًا ما ذهب فيه عن الصواب في تأويله، وأوهم خلاف الحق في تخريجه، ولولا ما أخذ الله على

العلماء من الميثاق على ترك كتمان العلم، لقد كان التشاغل بغير ذلك أولى. اهـ

إلا أنه يعاب على المصنف إيراده للأحاديث الواهية بل الموضوعة في كتابه هذا - مع أنه ذكرها بالإسناد -، والإطناب في شرحها وبيان غريبها.

وقد أشار إلى هذا - أي وجود بعض الأحاديث الموضوعة- شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٣٧- ٢٣٩) فقال: وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في «إبطال التأويل» ردّاً لكتاب ابن فُورك، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها، ففيها عدة أحاديث موضوعه كحديث الرؤية عياناً ليلة المعراج ونحوه، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة، كحديث قعود الرسول ﷺ على العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه، ويتلقونه بالقبول.

ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي[١] وغيره من أصحاب أحمد في تصنيف القاضي أبي يعلى لهذا الكتاب بكلام غليظ، وشنّع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء، كما ذكر هو ذلك في آخر الكتاب.

وما نقله عنه أبو بكر بن العربي في العواصم كذبٌ عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر، وهو من الكذب عليه[٢]، مع أن هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه

---

(١) هو أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي، المتوفى سنة ٤٤٨هـ، أشهر التميميين من أصحاب أحمد (طبقات الحنابلة) (٢ ٢٥٠ - ٢٥١) الذيل لابن رجب (١/ ٧٧- ٨٥).

(٢) يقول أبو بكر بن العربي في كتابه العواصم (٢/ ٢٨٣): وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء، رئيس الحنابلة ببغداد كان يقول، إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته، يقول: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة!! وانظر (٢/ ٣٠٦).

ما هو كذب عليه، ففي كلامه ما هو مردود نقلًا وتوجيها[١]، وفي كلامه من التناقض من جنس ما يوجد في كلام الأشعري، والقاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي المعالي، وأمثالهم ممن يوافق النفاة على نفيهم، ويشارك أهل الإثبات على وجه، يقول الجمهور: إنه جمع بين النقيضين.

ويقال إن أبا جعفر السمناني[٢]، شيخ أبي الوليد الباجي قاضي الموصل، كان يقول عليه ما لم يقله، ويقال عن السمناني إنه كان مُسَمِّحا في حكمه وقوله. اهـ

وقال الحافظ الذهبي في السير (١٨/ ٩١): ولم تكن له يدٌ طُولى في معرفة الحديث، فربما احتجَّ بالواهي. اهـ.

وكان قد تعرض لفتنة بعد تأليف لهذا الكتاب، يقول الذهبي في السير (١٨/ ٩٠): وجمع كتاب «إبطال تأويل الصفات» فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع، فخرج إلى العلماء من القادر بالله المعتقد الذي جمعه، وحمُل إلى القادر كتاب «إبطال التأويل» فأعجبه، وجرت أمورٌ وفتن- نسأل الله العافية- ثم أصلح بين الفريقين الوزير: علي بن المسلمة، وقال في الملأ: القرآن كلام الله، وأخبار الصفات تُمَرُّ كما جاءت. اهـ

***

(١) قلت: ومَن من الأئمة من لا يوجد في كلامه ما هو مردود نقلا وتوجيهاً؟!

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناني، أبو جعفر قاضي حنفي ولد سنة ٣٦١هـ، ولي القضاء بالموصل إلى أن توفي بها سنة ٤٤٤هـ، وكان مقدم الأشعرية في وقته، وشنع عليه ابن حزم، له تصانيف في الفقه (انظر تبيين كذب المفتري (ص٢٥٩)).

عملي في الكتاب

١- تحقيق نص الكتاب، وإضافة القواعد الإملائية الحديثة، من وضع الفواصل والنقط وعلامات الاستفهام، وابتداء أوائل الفقرات والجمل من أول السطر وترقيمها، كما وضعت بعض العناوين زيادة في توضيح الكتاب وجعلتها بين معقوفين [ ].

وقد أبقيتُ أكثر أسماء الرواة على كِتْبتها الإملائية القديمة، ليتم ربط القارئ المسلم بماضيه، فلا يصاب بانفصام عنه، كسفيان وسليمان وإسحاق والحارث، فإنها كانت تكتب سفين وسليمن وإسحاق والحرث.

٢- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم.

٣- خرجت الأحاديث النبوية والآثار من مظانها، مع الحكم عليها صحة وضعفاً حسب قواعد أهل الحديث، وذكر المتابعات والشواهد للحديث إذا كان ضعيفاً، والتزمت الصلاة والسلام على نبينا ﷺ كلما ذكر، فإن المصنف يكتب الصلاة دون السلام اختصاراً، وأحياناً يذكره ولا يكتب شيئاً.

٤- ترجمت للمؤلف فذكرت حياته وشيوخه ومؤلفاته وعقيدته ووفاته رحمه الله.

٥- ترجمت أغلب الأعلام الذين مَرّوا في الكتاب باختصار.

٦- تعقبت المصنف في أكثر المسائل التي رأيت أنه خالف فيها الصواب- ولا أقول كلها منعاً للتطويل- وذكرت القول الصواب، مدعماً بالأدلة و بأقوال أئمة السلف في المسألة.

٧- شرحت بعض الكلمات الغريبة التي مرت في النص.

٨- سوف أضع في نهاية الكتاب - إن شاء الله - ثلاثة فهارس لتيسير الاستفادة من الكتاب:

١- فهرست للأحاديث النبوية.

٢- فهرست للآثار.

٣- فهرست للأعلام.

وختاماً أقول: إنني لا أدعي العصمة من الخطأ في عملي هذا، ولا أقول إنني قد وفيت الكتاب حقه كله، وإنما هو جهد حسب الطاقة، مع ضيق الوقت، وكثرة الشواغل والصوارف، والله الموفق وحده للصواب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام أجمعين والحمد لله رب العالمين.

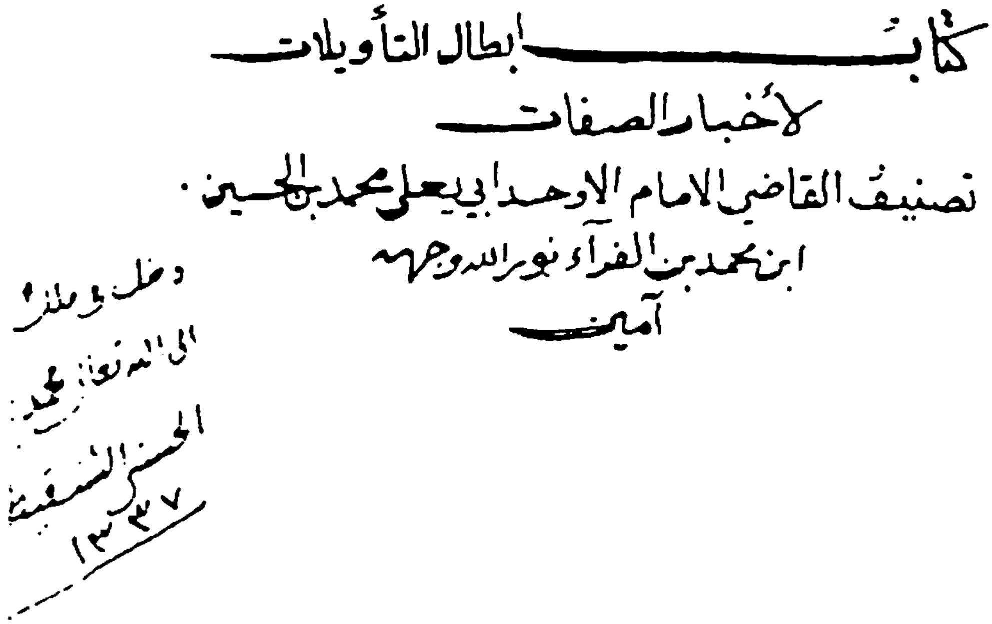
وكتبه

أبو عبد الله محمد بن حمد الحمود النجّدي

في ضحى الجمعة لثلاث بقين من

ذي الحجة سنة سبع وأربع مئة وألف للهجرة النبوية[١].

(١) وقد تم الانتهاء من تحقيق الكتاب - بعد تأخره - هذه السنة ١٤٣٤هـ، وطبع الكتاب كاملا بدار غراس العامرة بالكويت، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



كتاب ابطال التأويلات

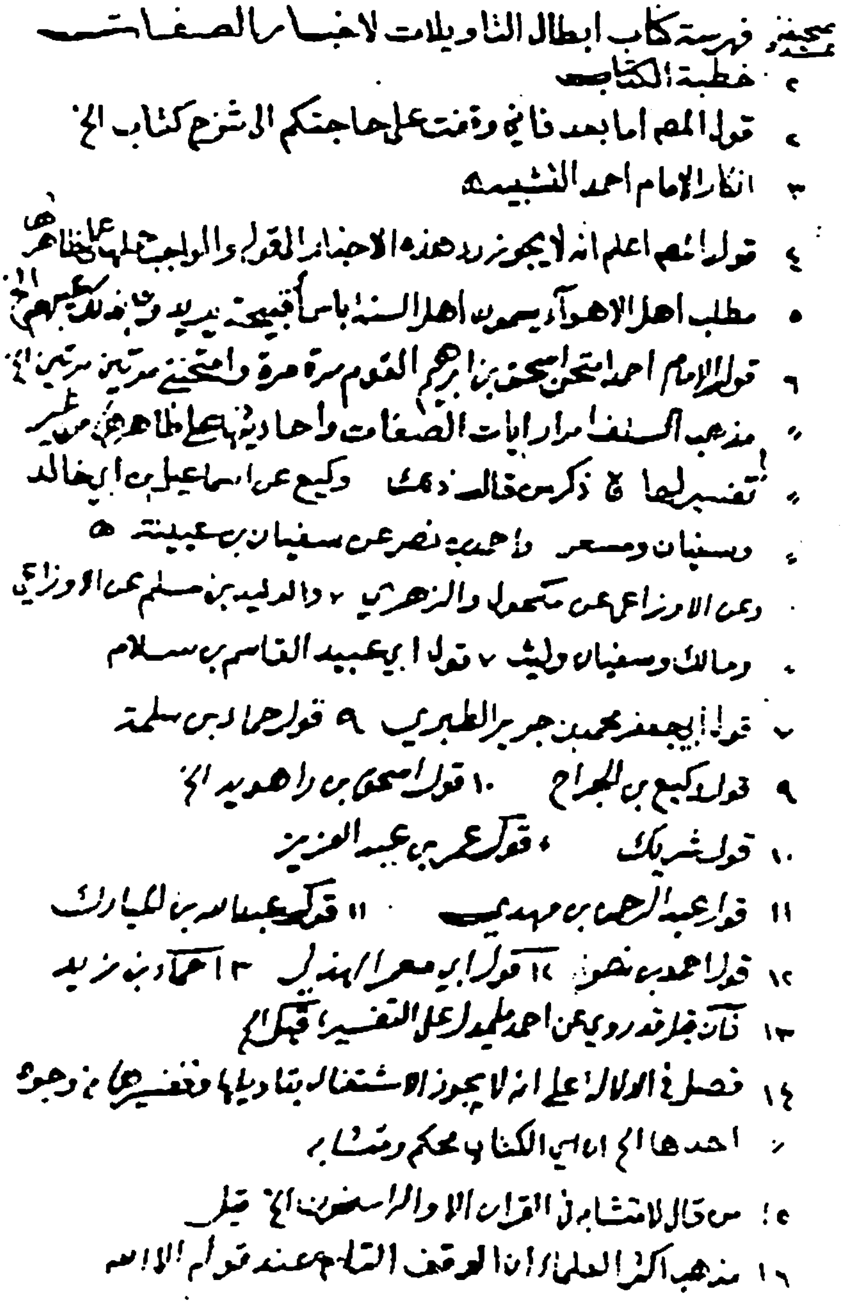
لأخبار الصفات

تصنيف القاضي الامام الاوحد ابي يعلى محمد بن الحسين

ابن محمد بن الفراء نور الله وجهه

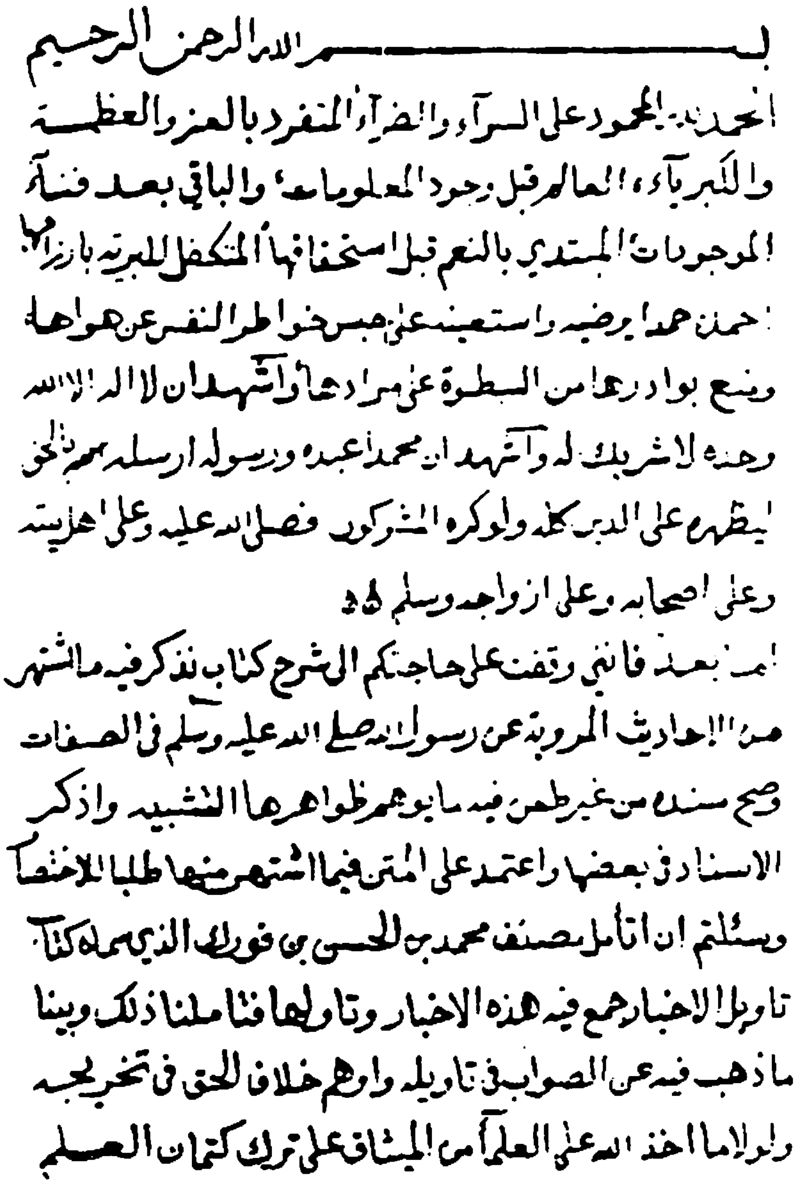
آمين

صورة عنوان الكتاب

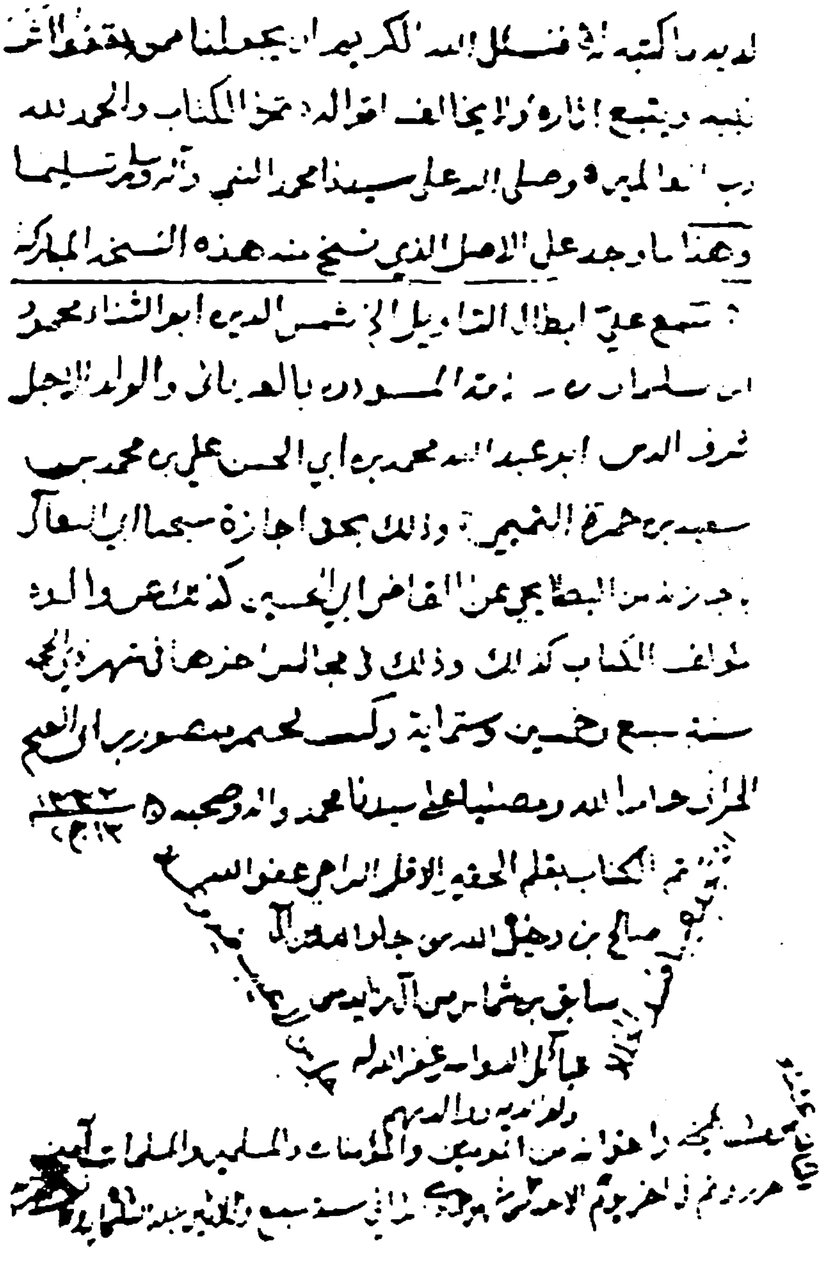


صحيفة فهرسة كتاب ابطال التاويلات لاخبار الصفات
٢ خطبة الكتاب
٢ قول المصنف اما بعد فانه وقفت على حاجتكم الى شرح كتاب الخ
٣ انكار الامام احمد التشبيه
٤ قول المصنف اعلم انه لا يجوز رد هذه الاخبار ... والواجب حملها على ظاهرها
٥ مطلب اهل الاهواء يسمون اهل السنة باسماء قبيحة يريدون بذلك عيبهم الخ
٦ قول الامام احمد امتحن اسحق بن ابراهيم القوم مرة مرة وامتحني مرتين الخ
٦ مذهب السلف امرار ايات الصفات واحاديثها على ظاهرها من غير
٦ تفسير لها ٦ ذكر من قال ذلك وكيع عن اسماعيل بن ابي خالد
٦ وسفيان ومسعر ٧ احمد بن نصر عن سفيان بن عيينة
٧ وعن الاوزاعي عن مكحول والزهري ٧ والوليد بن مسلم عن الاوزاعي
٧ ومالك وسفيان وليث ٧ قول ابي عبيد القاسم بن سلام
٨ قول ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ٩ قول حماد بن سلمة
٩ قول وكيع بن الجراح ١٠ قول اسحق بن راهويه الخ
١٠ قول شريك ١٠ قول عمر بن عبد العزيز
١١ قول عبد الرحمن بن مهدي ١١ قول عبد الله بن المبارك
١٢ قول احمد بن نصر ١٢ قول ابي معمر الهذلي ١٣ حماد بن زيد
١٣ فان قيل قد روي عن احمد ما يدل على التفسير قيل الخ
١٤ فصل في الدلالة على انه لا يجوز الاشتغال بتاويلها وتفسيرها من وجوه
١٤ احدها الخ ان في الكتاب محكم ومتشابه
١٥ من قال لا متشابه في القرآن الا والراسخون الخ قيل
١٦ مذهب اكثر العلماء ان الوقف التام عند قوله الا الله

صورة الورقة الأولى من المخطوط وفيها بداية الفهرست


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله المحمود على السراء والضراء المتفرد بالعز والعظمة
والكبرياء العالم قبل وجود المعلومات والباقي بعد فناء
الموجودات المبتدي بالنعم قبل استحقاقها المتكفل للبرية بأرزاقها
حمدا يرضيه واستعينه على حبس خواطر النفس عن هواها
ومنع بوادرها من السطوة على مرادها وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فصلى الله عليه وعلى أهل بيته
وعلى أصحابه وعلى أزواجه وسلم
أما بعد فإني وقفت على حاجتكم إلى شرح كتاب نذكر فيه ما اشتهر
من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات
وصح سنده من غير طعن فيه مما يوهم ظواهرها التشبيه وأذكر
الإسناد في بعضها وأعتمد على المتن فيما اشتهر منها طلبا للاختصار
وسألتم أن أتأمل مصنف محمد بن الحسن بن فورك الذي سماه كتاب
تأويل الأخبار جمع فيه هذه الأخبار وتأولها فتأملنا ذلك وبينا
ما ذهب فيه عن الصواب في تأويله وأوهم خلاف الحق في تخريجه
ولولا ما أخذ الله على العلماء من الميثاق على ترك كتمان العلم

صورة الورقة الأولى من الكتاب


لديه ما كتبه في فضل الله الكريم أن يجعلنا ممن يحفظ أمر
نبيه ويتبع آثاره ولا يخالف أقواله من هذا الكتاب والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما
وعلى ما وجد على الأصل الذي نسخ منه هذه النسخة المباركة
سمع علي إبطال التأويل الشيخ شمس الدين أبو الثناء محمود
ابن سلمان [illegible] المسود [illegible] والولد الأجل
شرف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن
سعيد بن حمزة النميري وذلك بحق إجازة منهما [illegible]
[illegible]
[illegible] الكتاب كذلك وذلك في مجالس آخرها في شهر ذي الحجة
سنة سبع وخمسين وستمائة وكتب محمد بن منصور [illegible]
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه [illegible]
تم الكتاب بقلم الحقير الفقير الراجي عفو الله
صالح بن [illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات آمين
[illegible] سنة سبع [illegible]

صورة الورقة الأخيرة من الكتاب

إبطال التأويلات لأخبار الصفات

تصنيف

القاضي الإمام الأوحد

أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء

نوّر الله وجهه آمين

المتوفى سنة ٤٥٨هـ

تحقيق ودراسة

أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على السَّراء والضرَّاء، المتفرد بالعزِّ والعظمة والكبرياء، العالم قبل وجود المعلومات، والباقي بعد فناء الموجودات، المبتدئ بالنِّعم قبل استحقاقها، المتكفل للبرية بأرزاقها، أحمده حمداً يرضيه، وأستعينه على حبس خواطر النفس عن هواها، ومنع بواردها من السطوة على مرادها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فصلى الله عليه وعلى أصحابه وعلى أزواجه وسلم(١).

أما بعد: فإنني وقفت على حاجتكم إلى شرح كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ في الصفات، وصح سنده من غير طعن فيه ما يوهم ظواهرها التشبيه، وأذكر الإسناد في بعضها واعتمد على المتن فيما اشتهر منها طلباً للاختصار. وسئلتم أن أتأمل مصنف محمد بن الحسن ابن فورك(٢) الذي سماه كتاب «تأويل الأخبار» جمع فيه هذه الأخبار

---

(١) كتب في هامش الأصل: «كلمة (وسلم) ساقطة من الأصل وسيستمر... إسقاطها إلى آخر الكتاب، وربما ترك الصلاة على النبي ﷺ لأنه كان لا يري بذلك بأساً».
قلت: وقد التزمت أن أصلي على النبي ﷺ كلما ذكر اسمه ﷺ صلاة كاملة.

(٢) هو محمد بن الحسن بن فُورَك أبو بكر الأصبهاني، شيخ المتكلمين قال الذهبي: كان أشعرياً، رأسا في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري.
قال ابن خلكان: أبو بكر الأصولي والأديب النحوي الواعظ، درس بالعراق مدة ثم توجه إلى الري، فسعت به المبتدعة- يعني الكرامية- فراسله أهل نيسابور فورد عليهم وبنوا له مدرسة وداراً، وظهرت بركته على المتفقهه، وبلغت مصنفاته قريباً من مئة مصنف، ودُعي إلى مدينة «غَزْنَة» وجرت له بها مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام ثم عاد إلى نيسابور فَسمَّ في الطريق فمات بقرب بُست، ونقل إلى نيسابور. =

وتأولها، فتأملنا ذلك وبينّا ما ذهب فيه عن الصواب في تأويله، وأوهم خلاف الحق في تخريجه، ولولا ما أخذ الله على العلماء من الميثاق على ترك كتمان العلم، لقد كان التشاغل بغير ذلك أولى.

١- للحديث الذي رواه أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا[١] بإسناده فيما وقع إلى في جوابات مسائل: عن أبي هريرة أن قوماً سألوا النبي ﷺ عن شيءٍ من أمر الرب تبارك وتعالى فلعنهم[٢].

= ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محموداً (وهو ابن سبكتكين) سأله عن رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله، وأما اليوم فلا، فأمر بقتله بالسُّمّ.

وقال ابن حزم: كان يقول: إن روح رسول الله قد بطلت وتلاشت، وما هي في الجنة!

ونقل السبكي في طبقاته (٣/ ٥٥) عن الذهبي قوله: إنه مع دينه صاحب فلته وبدعة.

انظر: تبين كذب المفتري (ص٢٣٢- ٢٣٣)، وفيان الأعيان (٤/ ٢٧٢- ٢٧٣) السير (١٧/ ٢١٤- ٢١٦)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٥٢-٥٦).

وكتابه المذكور مطبوع باسم «مشكل الحديث وبيانه».

(١) هو عبد العزيز بن جعفر بن أحمد أبو بكر المعروف بغلام الخلال، قال أبو الحسين بن أبي يعلى (ابن المصنف) في طبقاته: وكان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم، متسع الرواية، مشهوراً بالديانة، موصوفاً بالأمانة، مذكوراً بالعبادة.

له المصنفات في العلوم المختلفات: الشافي، المقنع، تفسير القرآن، الخلاف مع الشافعي، كتاب القولينن زاد المسافر، التنبيه وغير ذلك.

وقال: وذكر الوالد السعيد في الانتصار لعبد العزيز فقال: كان ذا دين، وأخا ورع، علامة بارعاً في علم مذهب أحمد بن حنبل.

قال: وتوفي في شوال لعشر بقين منه، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وتوفي في يوم الجمعة.

تاريخ بغداد (١٠/ ٤٥٩- ٤٦٠)، طبقات الحنابلة (٢/ ١١٩- ١٢٧)، السير (١٦/ ١٤٣- ١٤٥).

(٢) لم أقف عليه.

٢- **وبإسناده عن أبي هريرة قال:** قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهرة[١] وذلك عند كلامهم في ربهم. وفي ترك التشاغل بذلك كتمان للعلم لا ينافي ...[٢] بين نافي لجميع الصفات وهم القدرية وبين مُثبتٍ لبعضها ونافٍ لبعضها، ونهى النبي ﷺ عن الكلام في ذلك محمولٌ على من تكلم بما يُنافي ما ورد به القرآن، وجاءت به الأخبار، كالنصارى الذين وصفوه سبحانه بالجوهر، والمجسمة الذين وصفوه بالجسم، والمُشَبِّهة الذين شبهوا صفاته بصفات خلقه.

٣- **وقد أنكر أحمد التشبيه، فقال في رواية حنبل:** المشبهة تقول: بصرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وقَدَمٌ كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبَّه الله بخلقه.

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لم يروه عن الأوزاعي إلا إسماعيل بن يحيى التيمي.
قلت: ولم أر من ذكر إسماعيل ولا الذي روى عنه وهو إسحاق بن زبريق اهـ.
قلت: وهو ذهول من الهيثمي رحمه الله، فإن إسماعيل قد ذكره ابن عدي في الكامل (١/ ٢٩٧) وقال: تحدث عن الثقات بالبواطيل.
ثم ساق له سبعة وعشرين حديثاً وقال: وعامة ما يرويه من الحديث بواطيل عن الثقات وعن الضعفاء. اهـ
وقال الذهبي في الميزان (١/ ٢٥٣): مجمع على تركه اهـ.
وأما الراوي عنه فقد جاء في هامش المجمع: وأما الراوي عنه إسحاق فهو ابن زبريق وهو إسحاق بن إبراهيم بن العلاء روى عنه البخاري في كتاب الأدب المفرد واختلف في الاحتجاج به. اهـ
وأما الراوي عنه فقد جاء في هامش المجمع: وأما الراوي عنه إسحاق فهو ابن زبريق وهو إسحاق بن إبراهيم بن العلاء روى عنه البخاري في كتاب الأدب المفرد واختلف في الاحتجاج به. اهـ
وقال الحافظ في التقريب: صدوق يهم كثيراً، وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب. وعزاه الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢٣٧) إلى الحاكم في تاريخه.
(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين، لكن السياق يدل على وقوع أكثر من ذلك.

٤- **وقال في رواية يوسف بن موسى** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٢].

ولا يجوز أن يحمل حديث أبي هريرة على ذم مُثبتي الصفات، لأنَّ الله سبحانه قد وصَفَ نفسه في كتابه في غير موضع، ووصفه رسوله بالأحاديث الصحاح، وأثبت ذلك سلف هذه الأمة، على ما نبيِّنه، فلم يبق إلا أن يُحمل على ما ذكرنا ممن تكلم فيه بما لم يرد به الشرع.

واعلم أنه لا يجوز ردُّ هذه الأخبار، على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية. والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفاتٌ لله تعالى، لا تُشبه سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من أئمة أصحاب الحديث، أنهم قالوا في هذه الأخبار: أمرُّوها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين.

٥- **فقال أحمد في رسالة عبدوس بن مالك العطار**[1]: يجب الإيمان بالقدر،

---

(١) هو عبدوس بن مالك أبو محمد العطار، ذكره ابن المصنف أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤١) فقال: ذكره أبو بكر الخلال فقال: كانت له عند أبي عبد الله منزلة في هدايا وغير ذلك، وله به أنس شديد، وكان يقدمه، وله أخبار يطول شرحها، وقد روى عن أبي عبد الله مسائل لم يروها غيره، ولم تقع إلينا كلها، مات ولم تتخرج عنه ووقع إلينا منها شيء، أخرجه أبو عبد الله في جماع أبواب السنة، مالو رحل رجلٌ إلى الصين في طلبها لكان قليلًا، أخرجه أبو عبد الله ودفعه إليه.

وقد ساق أبو الحسين بعد ذلك ما ذكره عبدوس عن الإمام أحمد مطولًا بسنده فقال: قرأت على المبارك قلت له أخبرك عبد العزيز الأزجي أخبرنا علي بن بشران أخبرنا عثمان =

والأحاديث فيه، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نَبَتْ عن الأسماع واستوحش منها المستمع.

٦- وقال في رواية حنبل(١): ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعات شنعت.

٧- وقال في رواية المروذي(٢): أحاديث الصفات تمر كما جاءت.

٨- وقال في رواية أبي طالب(٣) **«قلب العبد بين أصبعين»، «وخلق آدم بيده»،**

= المعروف بابن السماك حدثنا الحسن بن عبد الوهاب حدثنا سليمان بن محمد المنقري حدثني عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد يقول: أصول السنة عندنا...، وفي سنده من لم أجد له ترجمة.

(١) هو الإمام حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، ولد قبل المئتين، قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً، حدث عنه الخلال وابن صاعد وعثمان بن السماك، توفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين.
قال الذهبي: له مسائل كثيرة عن أحمد، ويتفرد ويُغرب.
(الجرح والتعديل (٣/ ٣٢٠)، تاريخ بغداد (٨/ ٢٨٦- ٢٨٧) طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣- ١٤٥)، السير (١٣/ ٥١- ٥٣)).

(٢) هو الإمام القدوة الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المرُّوذي، نزيل بغداد وصاحب الإمام أحمد، قال أبو بكر بن صدقة: ما علمت أحداً أذبَّ عن دين الله من المروذي.
قال الخطيب: هو المقدَّم من أصحاب أحمد لورعه وفضله، وكان أحمد يأنس به، قال الخلال: سمعت المروذي يقول: كان أبو عبد الله يبعث بي في الحاجة فيقول: قل: ما قلت، فهو على لساني، فأنا قلته.
توفي في جمادي الأولى سنة خمس وسبعين ومئتين.
(تاريخ بغداد (٤/ ٤٢٣- ٤٢٥)، طبقات الحنابلة (١/ ٥٦- ٦٣)، السير (١٣/ ١٧٣- ١٧٧).

(٣) هو أحمد بن حميد أبو طالب المشكاني، صاحب الإمام أحمد، قال ابن أبي يعلى: روى عن أحمد مسائل كثيرة، وكان أحمد يكرمه ويعظمه، روى عنه أبو محمد فوزان وزكريا بن يحيى وغيرهما، وذكره الخلال فقال: صحب أحمد قديماً إلى أن مات، وكان أحمد يكرمه ويقدمه، وكان رجلاً صالحاً فقيراً صبوراً على الفقر، فعلمه أبو عبد الله مذهب القنوع والاحتراف، وما قديماً بالقرب من موت أبي عبد الله، ولم تقع مسائله [إلا] إلى الأحداث. وقال الخطيب: روى عن أحمد مسائل تفرد بها. (طبقات الحنابلة ١/ ٣٩- ٤٠، تاريخ بغداد ٤/ ١٢٢).

وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به.

٩- **وقال في رواية حنبل في الأحاديث التي تروي** «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا» والله يُرى «وأنه يضع قدمه» وما أشبه بذلك نُؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى! ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أنَّ ما قاله الرسول ﷺ حقٌّ إذا كانت بأسانيد صحاح.

١٠- **وقال في رواية حنبل**: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول. وقال: المشبهة تقول بصرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وقدم كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبَّه الله بخلقه.

فقد نصَّ أحمد على القول بظاهر الأخبار من غير تشبيهٍ ولا تأويل.

١١- **وذكر عبد الرحمن بن منده في كتاب الإسلام**(١) فقال أنا يوسف بن محمد السلمي بأصبهان أنا علي بن محمد بن إبراهيم الدمشقي نا عبد الله بن محمد بن جعفر النهاوندي نا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله نا أحمد بن جعفر بن يعقوب الفارسي قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: وقد رأيت لأهل

---

(١) هو الشيخ الإمام عبد الرحمن بن الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، كان مسعد بن محمد الزنجاني يقول: حفظ الله الإسلام برجلين أحدهما بأصبهان والآخر بهراة عبد الرحمن بن مندة وعبد الله الأنصاري. وقال ابن السمعاني: كان كبير الشأن جليل القدر كثير السماع واسع الرواية. قال ابن رجب: له تصانيف كثيرة منها: كتاب «حرمة الدين»، وكتاب «الرد على الجهمية» بين فيه بطلان ما روى عن الإمام أحمد في تفسير حديث «خلق الله آدم على صورته» بكلام حسن، وله كتاب «صيام يوم الشك». ولم يذكر عنه كتاب الإسلام.

(طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٢، الذيل لابن رجب ١/ ٢٧- ٣١، السير ١٨/ ٣٤٩- ٣٥٤).

أما شيخه يوسف بن محمد السلمي فلم أعرفه.

الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنعة قبيحة، يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم، والوقيعة فيهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال، أما الجهمية فإنهم يُسَمُّون أهل السنة المشبهة، وكَذَبَ الجهمية أعداء الله، بل هم أولى بالتشبيه، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أَنْ هدانا الله، لقد جاءت رسلُ ربنا بالحق.

١٢- قال: وأنا سفيان بن محمد بن الحسين نا عمر بن أحمد بن عثمان نا أحمد ابن محمد بن إسماعيل الأدمي نا الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله أحمد ابن حنبل يقول: امتحن إسحق بن إبراهيم القوم مرة مرة، وامتحنني مرتين مرتين فقال لي: ما تقول في القرآن؟ قلت: كلام الله غير مخلوق، فأقامني فأجلسني في ناحية، ثم سألني ثم ردَّني ثانية فسألني، فقلت: القرآن كلام الله غير مخلوق، فأخذني في التشبيه فقلت: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقال لي: وما السميع البصير؟ فقلت: هكذا قال: السميع البصير[(١)].

١٣- وذكر الدارقطني في أخبار الصفات بإسناده: عن يحيى بن معين قال شهدت زكريا بن عدي سأل وكيعاً فقال: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين ونحو هذا، فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعراً يُحدثون هذه الأحاديث

---

(١) شيخ ابن منده: سفيان بن محمد، لم أجد له ترجمة، وعمر بن أحمد هو ابن شاهين الحافظ، والأدمي ذكره الخطيب في تاريخه (٤/ ٣٨٩) وقال: وحدثني الخلال أن يوسف القواس ذكره في جملة شيوخه، ونقل عن الدارقطني قوله حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي الشيخ الصالح.

ولا يفسرون شيئاً[(١)].

١٤- وبإسناده عن أحمد بن نصر قال: سألت سفيان بن عيينة عن حديث عبد الله عن النبي ﷺ «**إنَّ الله يضع السماوات على إصبع**»، وحديث «**إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن**»، وحديث «**إن الله يعجب ويضحك**» فقال سفيان: هي كما جاءت، نُقرُّ بها، ونحدث بلا كيف[(٢)].

١٥- وذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة بإسناده عن الأوزاعي قال سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمرها على ما جاءت[(٣)].

---

(١) كتاب الصفات للدارقطني (٥٨) حدثنا محمد بن مخلد حدثنا العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا بن عدي... لكن قال: سليمان بدل مسعر. وسنده صحيح، ابن مخلد هو ابن حفص الحافظ الثقة، مترجم في تاريخ بغداد (٣/ ٣١٠-٣١١)، السير (١٥/ ٢٥٦).
والتفسير المنفي هنا هو تفسير الكيفية لا المعنى، كما سيأتي في الفقرة (١٧).

(٢) كتاب الصفات للدارقطني (٦٣) حدثنا محمد بن مخلف حدثنا أبو العباس إسحاق بن يعقوب قال سمعت أحمد بن الدورقي يقول حدثني أحمد بن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت سفيان بن عيينه وأنا في منزله بعد العتمة، فجعلت ألحُّ عليه في المسألة، فقال: دعني أتنفس، فقلت له: يا أبا محمد، إني أريد أن أسألك عن شيء؟ فقال: لا تسأل، فقلت: لابد من أن أسألك، وإذا لم أسألك، فمن أسأل؟ فقال: هات سل، فقلت: كيف حديث عبيدة عن عبد الله عن النبي ﷺ «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يحمل السماوات على إصبع... وذكر الأثر**».
وإسناده صحيح، أحمد بن نصر هو ابن الهيثم الخزاعي ثقة، وإسحاق بن يعقوب هو العطار الأحول وثقة الدارقطني وله ترجمة في تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٦- ٣٧٧).
الأثر ذكر الذهبي في العلو (١١٥) فقال: قال أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني أحمد بن نصر... فذكره.

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه البيهقي في الأسماء (ص٥٦٩) أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنا أبو محمد بن حيان ثنا الحسن بن محمد الداركي ثنا أبو زرعة ثنا أبو مصفى ثنا بقية ثنا الأوزاعي به، بلفظ: امضوا الأحاديث على ما جاءت. وفي سنده أبو المصفى مجهول، كما في التقريب.
ويشهد لمعناه آثار كثيرة في الباب.

١٦- وقال الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكاً وسفيان وليثاً عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا[١]: أمروها بلا كيف[٢].

١٧- وذكر أبو محمد الحسن بن محمد الخلال[٣]. فيما خرَّجه من أخبار الصفات قال ذكر علي بن عمر الحافظ يعني الدارقطني ورأيته في كتاب الصفات قال نا محمد بن مخلد قال نا العباس بن محمد الدوري قال سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر [الباب][٤] الذي يروي في الرؤية والكرسي وموضع القدمين، وضحك ربنا، وأين كان ربنا ويضع الرب قدمه فيها، وأشباه هذا، فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حقٌ لا شك فيه، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه، وكيف ضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحداً يفسرها[٥].

---

(١) في الأصل: فقال وهو خطأ.

(٢) رواه الدارقطني: (٦٧) حدثنا محمد بن مخلد ثنا أحمد بن سعد أبو إبراهيم الزهري (وقع في المطبوعة الزبيري وهو خطأ) حدثنا الهيثم بن خارجه حدثنا الوليد من مسلم به.
وإسناده حسن، أحمد بن سعد الزهري ترجمة الخطيب (٤/ ١٨١) قال: وكان مذكوراً بالعلم والفضل موصوفاً بالصلاح والزهد، ونقل عن يحيى بن صاعد توثيقه، وقد تابعه عمر بن مدرك عند الآجري في الشريعة (ص٣١٤) ومحمد بن بشر بن مطر عند البيهقي في الأسماء (ص ٥٦٩).

(٣) هو الإمام الحافظ محدث العراق، أبو محمد الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن بن علي، البغدادي الخلّال، أخو الحسين.
قال الخطيب كتبنا عنه، وكان ثقةً له معرفة وتنبه، وخرّج «المسند» على الصحيحين وجمع أبواباً وتراجم كثيرة، ومات في جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة.
(تاريخ بغداد ٧/ ٤٢٥، السير ١٧/ ٥٩٣- ٥٩٥).

(٤) زيادة من الدارقطني.

(٥) «الصفات» للدارقطني (٥٧) وفيه زيادات يسيرة على ما ذكره المصنف، وإسناده صحيح.

١٨- وقال زكريا بن عدي لوكيع: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين، ونحو هذا، فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعراً يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون[1].

١٩- وذكر أبو جعفر محمد بن جرير بن الطبري[2] في كتاب «التبصير في معالم الدين» بعد أوراق من أوله القول فيما أدرك عمله من صفحات الصانع خبراً لا إستدلالاً، وذكر كلاماً إلى أن قال: وذلك نحو إخبار الله تعالى ذكره أنه سميع بصير، وأن له يدين بقوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأن له يميناً بقوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وأن له وجهاً بقوله ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] وأن له قدماً بقول النبي ﷺ «**حتى يَضَع الربُّ فيها قَدَمَه، يعني جهنم**» وأنه يضحك

---

(١) تقدم برقم (١١).

(٢) الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة من أهل آمُل طبرستان.
قال الذهبي: كان ثقة صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علّامة في التاريخ وأيام الناس عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك. ومن كتبه التي أتمها: «التفسير» و«التاريخ» «وتاريخ الرجال»، و«لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام»، و«القراءات والتنزيل والعدد»، و«اختلاف علماء الأمصار»، و«الخفيف في أحكام شرائع الإسلام»، و«التبصير» وهو رسالة إلى أهل طبرستان، وغيرها كثير، مات سنة عشر وثلاث مئة ودفن ببغداد رحمه الله تعالى.
(تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢- ١٦٩، السير ١٤/ ٢٦٧).
أما عن رسالة «التبصير» فهناك نسخة بمكتبة الأسكوريال ١٥١٤/ ٦ (من ق٨١- ١٠٤) باسم «تبصير أولي النهى ومعالم الهدى» لعلها هي، انظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين (١/ ٢ص ١٦٨).

إلى عبده المؤمن بقول النبي ﷺ للذي قتل في سبيل الله «إنه لقي الله وهو يضحك إليه» وأنه يهبط كل ليلة وينزل إلى السماء الدنيا بخبر رسول الله بذلك. وأنه ليس بأعور بقول النبي ﷺ للذي قتل في سبيل الله «إنه لقي الله وهو يضحك إليه» وأنه يهبط كل ليلة وينزل إلى السماء الدنيا بخبر رسول الله بذلك. وأنه ليس بأعور بقول النبي ﷺ: إذ ذكر الدجال فقال: «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر» بقول النبي ﷺ ذلك. وأن له إصبعاً بقول النبي ﷺ: «**ما من قلبٍ إلا وهو بين إصبعين من أَصابعِ الرحمن**» بأن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله تعالى نفسه أو وصفه بها رسوله، مما لا يُدرك حقيقة علمه بالفكر والرويَّة، لا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهائها إليه.

ثم ذكر بعد ذلك بأوراق(١): فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق، كيف كُتب، وكيف تلي، وفي أي موضع قُرئ، في السماء وُجد أم في الأرض حُفِظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوباً أو في ألواح صبيان الكتاتيب مرسوماً، في حجر نُقش أو في ورق خُط أو باللسان لفظ، فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآناً في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا، أو نكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه وقاله بلسانه، فهو بالله كافر،

(١) من هناك إلى آخر كلامه موجود في كتابه «صريح السنة» (ص١٨-١٩) ورواه عنه اللالكائي (٢/ ١٨٣- ١٨٤، ٣٥٩- ٣٦٠).

حلالُ الدم وبريءٌ من الله، والله منه بريء.

ثم قال بعد ذلك: فمن ردَّ علينا أو حكى عنَّا أو تقوّل علينا وادَّعى أنَّا قلنا غير ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، ولا قبل الله له صرفاً ولا عدلاً، وهتك ستره وفضحه على رؤوس الأشهاد، *يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار*.

فهذا كلام ابن جرير وهو ممن يشار إليه، ويعول عليه.

٢٠- وذكر إبراهيم بن عبد الله ابن الجنيد الختلي(١) في كتاب العظمة بإسناده عن أبي عمر والبصري واسمه سهل بن هرون قال: كان أول من خَرَّج هذه الأحاديث أحاديث الرؤية وجمعها من البصريين: حماد بن سلمة، فقال له بعض إخوانه: يا أبا سلمة، لقد سبقت إخوانك بجمع هذه الأحاديث في الوصف، قال سمعت حماد بن سلمة يقول: إنه والله ما دعتني نفسي إلى إخراج ذلك، إلا أني رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، يقولها ثلاثاً وهو ينفض كفه، فأحببت إحياءه وبثّه في العامة، لئلا يَطمع في خرجه(٢) أهل الأهواء.

٢١- وبإسناده عن وكيع بن الجراح قال وذكر الأحاديث التي فيها الإثبات في الصفة والرؤية، ثم قال لنا: بخراسان جهمية، إذا أنكروا هذه الأحاديث

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبو إسحاق المعروف بالختلي، صاحب كتب الزهد والرقائق، بغدادي سكن سرمن رأى وحدث بها.
قال الخطيب: وكان ثقة.
(تاريخ الخطيب ٦/ ١٢٠).

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب: خروجه.

علكيم فقولوا: هكذا سمعنا مشيختنا يقولون.

٢٢- وأخرج إليَّ أبو القسم عبد الكريم[(١)] مقالة السلف في «أخبار الصفات».

فروى بإسناده قال: ذكر أحمد بن علي الأبار أن عبد الله بن طاهر قال لإسحق بن راهويه: *ما هذه الأحاديث التي تُحدِّث بها: أنَّ الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، والله يصعد ويتحرك؟* قال فقال له إسحاق: تقول إن الله يقدر على أن ينزل ويصعد ولا يتحرك؟ قال: نعم، قال: فلم تنكر[(٢)]؟!

---

(١) هو الإمام الزاهد القدوة أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر. قال القاضي ابن خلكان: كان أبو القاسم علامةً في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة، صنَّف «التفسير الكبير» وهو من أجود التفاسير، وصنَّف «الرسالة» في رجال الطريقة، وحجّ مع الإمام أبي محمد الجويني والحافظ أبي بكر البيهقي، وسمعوا ببغداد والحجاز. قال الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة كان حسن الوعظ مليح الإشارة، يعرف الأصول على مذهب الأشعري! والفروع على مذهب الشافعي. توفي سنة خمس وستين وأربع مئة.
(تاريخ بغداد ١١/ ٨٣، وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥- ٢٠٨، السير ١٨/ ٢٢٧- ٢٣٣).

(٢) أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٢) أخبرنا أحمد بن محمد قال أخبرنا عمر بن أحمد ثنا أحمد بن خلف قال: ذكر أحمد بن علي الآبار أن عبد الله بن طاهر. فذكره. . . وأخرج القصة أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٤٤) قال: وسمعت الحاكم أبا عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم- يعني ابن راهوية- فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب! أتزعم أن الله ينزل كل ليلةٍ؟ قال نعم، قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق، فقال له إسحاق: قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن =

حلالُ الدم وبريءٌ من الله، والله منه بريء.

ثم قال بعد ذلك: فمن ردَّ علينا أو حكى عنَّا أو تقوّل علينا وادَّعى أنَّا قلنا غير ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، ولا قبل الله له صرفاً ولا عدلاً، وهتك ستره وفضحه على رؤوس الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

فهذا كلام ابن جرير وهو ممن يُشار إليه، ويُعول عليه.

٢٠- وذكر إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي(١) في كتاب العظمة بإسناده عن أبي عمر والبصري واسمه سهل بن هرون قال: كان أول من خَرَّج هذه الأحاديث أحاديث الرؤية وجمعها من البصريين: حماد بن سلمة، فقال له بعض إخوانه: يا أبا سلمة، لقد سبقت إخوانك بجمع هذه الأحاديث في الوصف، قال سمعت حماد بن سلمة يقول: إنه والله ما دعتني نفسي إلى إخراج ذلك، إلا أني رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، يقولها ثلاثاً وهو ينفض كفه، فأحببت إحياءه وبثُّه في العامة، لئلا يَطمع في خرجه(٢) أهل الأهواء.

٢١- وبإسناده عن وكيع بن الجراح قال وذكر الأحاديث التي فيها الإثبات في الصفة والرؤية، ثم قال لنا: بخراسان جهمية، إذا أنكروا هذه الأحاديث

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبو إسحاق المعروف بالختلي، صاحب كتب الزهد والرقائق، بغدادي سكن سرمن رأى وحدث بها.
قال الخطيب: وكان ثقة.
(تاريخ الخطيب ٦/ ١٢٠).

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب: خروجه.

علكيم فقولوا: هكذا سمعنا مشيختنا يقولون.

٢٢- **وأخرج إليَّ أبو القسم عبد الكريم**[(١)] **مقالة السلف في «أخبار الصفات».**

فروى بإسناده قال: ذكر أحمد بن علي الأبار أن عبد الله بن طاهر قال لإسحق بن راهويه: ما هذه الأحاديث التي تُحدِّث بها: أنَّ الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، والله يصعد ويتحرك؟ قال فقال له إسحاق: تقول إن الله يقدر على أن ينزل ويصعد ولا يتحرك؟ قال: نعم، قال: فلم تنكر[(٢)]؟!

(١) هو الإمام الزاهد القدوة أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر. قال القاضي ابن خلكان: كان أبو القاسم علامةً في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة، صنَّف «التفسير الكبير» وهو من أجود التفاسير، وصنف «الرسالة» في رجال الطريقة، وحجّ مع الإمام أبي محمد الجويني والحافظ أبي بكر البيهقي، وسمعوا ببغداد والحجاز. قال الخطيب: كتبنا عنه وكان ثقة كان حسن الوعظ مليح الإشارة، يعرف الأصول على مذهب الأشعري! والفروع على مذهب الشافعي. توفي سنة خمس وستين وأربع مئة.
(تاريخ بغداد ١١/ ٨٣، وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥- ٢٠٨، السير ١٨/ ٢٢٧- ٢٣٣).

(٢) أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٢) أخبرنا أحمد بن محمد قال أخبرنا عمر بن أحمد ثنا أحمد بن خلف قال: ذكر أحمد بن علي الآبار أن عبد الله بن طاهر. فذكره. . . وأخرج القصة أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٤٤) قال: وسمعت الحاكم أبا عبد الله رحمه الله يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم- يعني ابن راهوية- فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب! أتزعم أن الله ينزل كل ليلةٍ؟ قال نعم، قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق، فقال له إسحاق: قال الله عز وجل ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن =

٢٣- وبإسناده عن جعفر بن أبي عثمان الطيالسي قال قال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهمي كيف ينزل؟ فقل له: كيف صعد؟[(١)].

٢٤- وبإسناده عن أبي محمد البلخي قال: قال: الفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي: أنا كافر بربٍ ينزل؟ فقل له: أنا مؤمن برب يفعل ما يشاء[(٢)].

٢٥- وبإسناده عن عباد بن العوام قال: قدِّم علينا شريك بواسط فقلنا له: إن عندنا قومٌ يُنكرون هذه الأحاديث: الصفات، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا فقال شريك: إنما جاءنا بهذه الأحاديث، من جاءنا بالسُنَن عن رسول الله ﷺ الصلاة والصيام والزكاة والحج، وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث.

٢٦- وبإسناده عن مطرف بن عبد الله يقول سمعت مالك بن أنس يقول إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً[(٣)] الأخذ بها إتباعاً لكتاب

= يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟

وإسنادها صحيح، الرباطي من رجال الصحيحين، وإبراهيم بن أبي طالب هو أبو إسحاق النيسابوري من أئمة المحدثين (السير ١٣/ ٥٤٧- ٥٥٢)، والعنبري ثقة، السير (١٥/ ٥٣٣). وأخرج القصة مختصرة السرّاج عن إسحاق بن راهويه كما في «اجتماع الجيوش» لابن القيم (ص٨٨- ٩٨).

وأخرجها البيهقي في الأسماء (٤٥١- ٤٥٣).

(١) عزاه ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص٨٩) إلى الإبانة» لابن بطة.

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٥٢) قال: وأخبرنا أحمد قال أخبرنا عمر قال ثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن علي الآبار قال قال ثنا أبو محمدح البلخي فذكره.

وذكر البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٢٤).

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٥٠٨) والآجري في الشريعة (ص٣٠٦) عن أبي معمر القطيعي نا عباد به، وسنده صحيح. وأخرجه عبد الله في السنة (١/ ٥٠٩) والدارقطني في =

الله، واستكمالًا لطاعة الله، وقوة على دين الله سبحانه، ليس لأحد مِنَ الخلق تفسيرها، ولا النَّظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مُهتدي، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا(١).

٢٧- وبإسناده عن عبد الرحمن بن عمر قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي وذكر عنده الجهمية يَنْفُون أحاديث الصفات اليد والرجل ويقولون: الله أعظم من أن يوصف بشيء. قال عبد الرحمن بن مهدي: قد هلك قومٌ من هذا الوجه يعني من وجه التعظيم، قالوا: الله أعظم من أنْ يُنزِّل كتاباً، أو يُرسل رسولاً، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] ثم قال: فهل هلكت المجوس إلا من جهة التعظيم، قالوا: الله أعظم من أن نعبده، ولكن نعبد من هو أقرب إلينًا، فعبدوا الشمس وسجدوا لها، فأنزل الله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ

= «الصفات» (٦٥) والبيهقي في الأسماء (ص٤٥١) عن محمد بن إسحاق الصاغاني حدثنا أسلم بن قادم حدثنا موسى بن داود قال: قال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله فقلنا له: إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «إن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن أهل الجنة يرون ربهم»فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمّن أخذوه؟! وفيه: أسلم بن قادم (ووقع عند الدارقطني: مسلم) لم أجد له ترجمة.

(١) صحيح، أخرجه الآجري في الشريعة (ص٣٠٧) حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي حدثنا الحسن بن علي الحلواني سمعت مطرف بن عبد الله سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون في الدين- يقول: قال عمر بن العزيز فذكره. وإسناده صحيح، مطرف هو ابن أخت مالك، ثقة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٦٨٦) إلى ابن أبي حاتم.

أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] هذا الكلام أو نحوه[١].

٢٨- وبإسناده عن إسحق بن أحمد الفارسي سمعت أبا زرعة يقول: هذه الأحاديث متواترة عن رسول الله، أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.

٢٩- وبإسناده عن حماد بن سلمة قال من رأيتموه ينكر هذه الأحاديث فاتهموه على الدين.

٣٠- وبإسناده عن عبد الله بن المبارك أنه ساله رجل عن هذه الأحاديث الصفات فقال: تمر كما جاءت بلا كيف.

٣١- وبإسناده عن أسود بن سالم قال في أحاديث الصفات: أحلف عليها بالطلاق والمشي أنها حق[٢].

٣٢- وبإسناده عن زكريا بن عدي أنه سأل وكيعاً يا أبا سفين هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات والرؤية ونحو ذلك فقال وكيع: أدركنا أسمعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعر يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئاً منها[٣].

٣٣- **وقال وكيع**: سلِّم هذه الأحاديث التي في الصفات كما جاءت ولا تقول

---

(١) لم أجد من خرّجه.

(٢) صحيح، أخرجه الآجري في الشريعة (ص٢٥٤) حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال حدثنا عبد الوهاب الوراق قال قلت للأسود بن سالم: هذه الآثار التي تروي معاني النظر إلى الله عز وجل ونحوها من الأخبار؟ فقال نحلف عليها بالطلاق والمشي. قال عبد الوهاب: معناه: نصدق بها.
رجاله ثقات، الواسطي ثقة مترجم في تاريخ بغداد (١٠/ ١٠٥)، والوراق هو ابن عبد الحكم ثقة (التهذيب)، والأسود ثقة (تاريخ بغداد ٧/ ٣٥).

(٣) تقدم برقم (١١).

كيف كذا ولا مثل كذا! مثل حديث ابن مسعود «إن الله يجعل السماوات على إصبع والجبال على إصبع» و«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن» ونحو هذه الأحاديث نمرها كما جاءت بلا كيف(١).

٣٤- وبإسناده: قيل لابن عيينة هذه الأحاديث التي تُروى في الصفات فقال: حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه، نمرها كما جاءت بلا كيف(٢).

٣٥- وقال أحمد بن نصر: سألت سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة فجعلت أُلحُ عليه في المسئلة وهو يأبى، فقلت لابد أن أسألك، إذا لم أسألك فمن أسأل؟ فقال: هات، فقلت: كيف حديث عبد الله عن النبي ﷺ **«إن الله يحمل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع»** وحديث **«إن قلب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن»** وحديث **«إن الله يعجب ويغضب ويضحك»** وأشباه ذلك فقال سفيان: هي كما جاءت نؤمن بها ونُحدِّث بها كما جاءت بلا كيف ولا توقف(٣).

٣٦- **وبإسناده عن أبي معمر الهذلي**(٤): من زعم أن الله تعالى لا يتكلم ولا يبصر ولا يسمع ولا يعجب ولا يضحك ولا يغضب، وذكر أحاديث الصفات فهو كافر بالله، ومن رأيتموه على بئر واقف فألقوه فيها.

---

(١) أخرجه الإمام عبد الله في السنة (١/ ٤٩٥) حدثني أحمد بن إبراهيم سمعت وكيعاً يقول... وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الإمام عبد الله في السنة (١/ ٤٢٤) والآجري في «الشريعة» (ص٢٥٤) والدارقطني الصفات (٥٩) كلهم عن محمد بن سليمان قال: قيل لابن عيينه... وذكره الذهبي في العلو.

(٣) تقدم برقم (١٢).

(٤) رواه عبد الله في السنة (١/ ٥٣٥) قال سمعت أبا معمر فذكره.

وأبو معمر هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهذلي القطيعي الهروي، من الثقات الإثبات ومن رجال الصحيحين.

٣٧- **وبإسناده عن يزيد بن هارون**: من كذَّب بأحاديث الصفات فهو بريء من الله، والله منه بريء.

٣٨- **وبإسناده قال: قال حماد بن زيد**: مَثَلُ الجهمية مثل رجل قيل له: في دارك نخلة؟ قال: نعم، قيل: فلها خوص؟ قال: لا، قيل: فلها سعف؟ قال: لا قيل: فلها كرب؟ قال: لا، قيل: فلها جذع؟ قال: لا، قيل: فلها أصل؟ قال: لا، قيل: فلا نخلة في دارك.

هؤلاء الجهمية قيل لهم: لكم رب يتكلم؟ قالوا: لا، قيل: فله يد؟ قالوا: لا قيل: فله قدم؟ قالوا: لا، قيل: له إصبع؟ قالوا: لا، قيل: فيرضى ويغضب؟ قالوا: لا، قيل: فلا رب لكم[1].

وإذا تتبع كلام أصحاب الحديث في هذا، وجد فيه ما يطول شرحه.

فإن قيل: فقد رُوي عن أحمد وغيره ما يدل على التفسير.

فقال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار[2]: ومن السُنَّة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ولم يؤمن بها، لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله، فقد كُفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان والتسليم.

٣٩- **قالوا فقول أحمد**: ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأُحْكِم له، معناه: قد كفاه ذلك أهل العلم، وأحكموا له علمه، فدلَّ على التفسير.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تقدمت ترجمته برقم (٥).

وكلام أحمد موجود فيما رواه ابن المصنف عنه في طبقاته (١/ ٢٤١) في الصفحة المذكورة.

٤٠- وروي عن ابن عباس والحسن وغيرهما في قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾. (ن: ٤٢) المراد به الشِّدة، وهذا تأويل منهم[1].

---

(١) روى هذا الأثر عن ابن عباس من عدة طرق، بعضها ثابت ولا يدل على نفي الصفة كما سيأتي وهاك تفصيلها:

١- أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والحاكم (٢/ ٤٩٩- ٥٠٠) والبيهقي في الأسماء (ص٣٤٥) كلهم عن عبد الله بن المبارك أنا أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تبارك وتعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصبر عناق إنه شر باق قد سنَّ قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة.

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٢٨)، وهو كما قال.

٢- وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والبيهقي في الأسماء (ص ٣٤٦) عن المغيرة عن إبراهيم بن ابن عباس «يوم يكشف عن ساق» قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق.

وفيه مغيرة بن مقسم الضبي، ثقة متقن إلا أنه يدلس ولا سيما عن إبراهيم، ولذا ضعف حديثه عنه أحمد كما في التهذيب (١٠/ ٢٧٠).

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى الفريابي وسعيد من منصور وابن منده.

٣- وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والبيهقي في الأسماء (٣٤٦) قال حدثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله «يوم يكشف عن ساق» يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه. وسنده تالف.

٤- وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) والبيهقي في الأسماء (ص٣٤٦) عن علي عن ابن عباس قوله «يوم يكشف عن ساق» هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة».

وعلي هو ابن أبي طلحة حمل أحمد والبخاري روايته على السماع من ابن عباس.

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى ابن أبي حاتم.

٥- وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) عن ابن جريج عن مجاهد قول «يوم يكشف عن ساق» قال: شدّة الأمر وجده، قال: ابن عباس هي أشدّ ساعة في يوم القيامة. =

٤١- وروي عن الأوزاعي أنه سُئل عن قوله «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا» فقال: يفعل الله ما يشاء.

فقد تأول ذلك على أنه فعل من أفعال الله، يظهر منه بقدرته.

قيل أما قول أحمد قد كفى ذلك معناه: قد كفي طلب التأويل والبحث عنه، وقوله وأحكم له معناه: أحكمت له الكفاية في ترك البحث وطلب التأويل، ويبين صحة هذا ما قاله بعد ذلك فعليه: الإيمان والتسليم، والإيمان والتسليم لا يكون مع التأويل.

وأما ما رُوي عن ابن عباس في تأويل الساق فقد خالفه ابن مسعود(١)

= وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن منده.

٦- وأخرج ابن جرير (٢٩/ ٢٤) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله «يوم يكشف عن ساق قال: شدة الأمر، قال ابن عباس: هي أول ساعة تكون في يوم القيامة، وفي لفظ: هي أشد ساعة... وإسناده صحيح.

٧- وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤) حدثت عن الحسين سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد سمعت الضحاك يقول في قوله (يوم يكشف عن ساق).

وكان ابن عباس يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: شمّرت الحرب عن ساق، يعني الله: إقبال الآخرة وذهاب الدنيا. وفيه جهالة شيخ الطبري.

٨- وأخرجه البيهقي في الأسماء (ص٣٤٦) عن سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ (يوم يكشف عن ساق) يريد القيامة والساعة لشدتها. وسنده حسن.

(١) حديث ابن مسعود أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٤- ٢٥) قال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزهراء عن عبد الله قال: يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمرَّ المسلمون، قال فيقول: من تعبدون فيقولون: نعبد الله لا نشرك به شئاً فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً، فيقول: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحانه، إذا اعترف إلينا عرفناه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن إلا خرَّ لله ساجداً ويبقى المنافقون ظهورهم طبق واحد كأنما فيها السفافيد فيقولون ربنا، فيقول: قد كنتم تُدعون إلى السجود وأنتم سالمون.

فيه أبو الزهراء، أورده ابن أبي حاتم في كتابه (٩/ ٣٧٥) فقال: أبو الزهراء خادم أنس بن =

وحمل الساق على أنه صفة، ويمكن أن يحمل قول ابن عباس على أن حَدَّ الساق في اللغة: الشِّدَّة، فحكى قول أهل اللغة في ذلك، لا أنه قصد حَدَّه في الشرع[١].

وأما قول الأوزاعي يفعل الله ما يشاء، فلا يجوز أن يحمل هذا من قوله على أنه قصد بذلك أنَّ النزول من صفات الفعل، لأنه لم يصرح به، وعلى أنَّا قد حكينا عن جماعة من السلف خلاف ذلك[٢].

❋ ❋ ❋

= مالك، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلًا.

وأخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٥) من وجه آخر وفيه: «فيكشف عما شاء الله أن يكشف قال فيخرون سجداً...» وفيه شريك النخعي، وقد ساء حفظه، وشيخ ابن جرير يحيى بن طلحة اليربوعي، لين الحديث، لكنه يتقوي بما أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٥) عن الأعمش عن المنهال عن قيس بن سكن عن عبد الله مطولاً. وإسناده صحيح.

قلت: والحديث أصله في الصحيحين فقد أخرجه البخاري (٨/ ٦٦٣- ٦٦٤) (١٣/ ٤٢١) ومسلم (١/ ١٦٨) عن أبي سعيد الخوري قال سمعت النبي ﷺ يقول: «... **يكشف ربنا عن ساقه فيسجدُ له كلُ مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء ومعة فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً...**» واللفظ للبخاري.

وأخرجه مسلم (٤/ ٢٢٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا «... قال فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق».

(١) وعلى كل حال، فلا يُقدم قول الصحابي على قول الرسول ﷺ، وتحمل مخالفة الصحابي للحديث المرفوع على عدم العلم به، لما عهد عنهم من التمسك بسنن المصطفى ﷺ.

(٢) بل هو من صفات الفعل على الصحيح كما أشار إليه الأوزاعي، ويجب علينا الإيمان به والتسليم له.

فصل في الدلالة على أنه
لا يجوز الاشتغال بتأويلها وتفسيرها

من وجوه أحدها: أن أي الكتاب قسمان: أحدهما محكم تأويله تنزيله يفهم المراد منه بظاهره. وقسم هو متشابه لا يعلم تأويله إلا الله، ولا يوقف على معناه بلغة العرب، بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ فالواو ها هنا للاستئناف وليست عاطفة.

كذلك أخبار الرسول ﷺ جاريةٌ هذا المجرى، ومُنزَّلة على هذا التنزيل، منها البيِّن المستقل في بيانه بنفسه، ومنها ما لا يوقف على معناه بلغة العرب.

فإن قيل: من أصحابنا من قال: لا متشابه في القرآن إلا والراسخون في العلم يعلمون تأويله، والواو ها هنا للعطف على قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقد ذكر هذا ابن قتيبة[1] في كتابه المسمى بـ «المشكل»[2] فسقط هذا الدليل.

قيل: هذا قول يخالف إجماع الصحابة.

---

(١) هو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري، قال الخطيب: وكان ثقة ديناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة منها: «غريب القرآن»، و«غريب الحديث»، و«مشكل القرآن»، و«مشكل الحديث»، و«أدب الكتاب»، و«عيون الأخبار»، وغير ذلك. مات سنة سبعين ومائتين.
(تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠، السير ١٣/ ٢٩٦- ٣٠٢).

(٢) مشكل القرآن (ص٩٨- ٩٩) حيث قال: ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى، ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده، ويدل به على معنى أراده .
فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره، للزمنا للطاعن مقالٌ، وتعلق علينا بعلّة، وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله ﷺ، لم يكن يعرف المتشابه! وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علّم عليّاً التفسير، ودعا لابن عباس وما قاله حق، وسيأتي مزيد من البيان برقم (١٢).

٤٢- قال أبو بكر بن الأنباري[(١)] **في كتاب «الردُّ على أهل الإلحاد»**: قد ذهب إلى هذا الذي أنكره يعني ابن قتيبة جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أُبي وابن مسعود وابن عباس، ففي قراءة عبد الله ﴿إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون﴾ وفي قراءة أبي ﴿ويقول الراسخون في العلم﴾ وعن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ويقول الراسخون في العلم﴾[(٢)]. قال: وكان الفراء وأبو عبيد يقولان: الراسخون مُستَأنَفُون، والله هو المتفرد بعلم التأويل[(٣)].

قال: وسمعت أبا العباس[(٤)] يقول الوقف على قوله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا

(١) هو الإمام الحافظ اللُّغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري المقرئ النحوي.
قال الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقاً ديناً من أهل السنة.
وقال الذهبي: له كتاب «الوقف والابتداء»، وكتاب «المشكل»، و«غريب الحديث النبوي»، وكتاب «رسالة المشكل» يردُّ على ابن قتيبة وأبي حاتم، وغيرها.
(تاريخ بغداد ٣/ ١٨١- ١٨٦، السير ١٥/ ٢٧٤).

(٢) حكى هذه القراءات الفراء في معاني القرآن (١/ ١٩١) وابن جرير في تفسير (٣/ ١٢٢-١٢٣).

(٣) في معاني القرآن للفراء (١/ ١٩١): «وما يعلم تأويله إلا الله» ثم استأنف «والراسخون» فرفعها بـ «يقولون»، لا باتباعهم إعراب الله.

(٤) هو الإمام العلامة المحدِّث، إمام النحو، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي، صاحب الفصيح والتصانيف، المعروف بـ «ثعلب».
روى عنه ابن الأنباري ونفطويه والأخفش الصغير وغيرهم.
قال المبرِّد: اعلم الكوفيين ثعلب، فذكر له الفرَّاء فقال: لا يَعْشُرُه. وقال الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ. له كتاب «اختلاف النحويين». وكتاب «القراءات» وكتاب «معاني القرآن» وأشياء.
مات في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومئتين.
(تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٤- ٢١٢، السير ١٤/ ٥).

﴿ٱللَّهُ﴾ والابتداء ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾(١).

---

(١) اختلف القُرّاء في الوقف في هذه الآية ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧].
فقيل: على لفظ الجلالة، كما نقله ابن جرير عن عائشة وابن عباس وعروة ابن الزبير ومالك وغيرهم اختاره الفراء (١/ ١٩١) وابن جرير (٣/ ١٢٣).
وقيل: الوقف على قوله «الراسخون في العلم» واختاره ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي، وحكاه القرطبي (٤/ ١٧) عن الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد وغيرهم، وحكاه أيضاً عن شيخه أحمد بن عمر القرطبي فقال: قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر: وهو الصحيح، فإن تسميتهم «راسخين» يقتضي أنهم يعلمون أكثر من «المحكم» الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع؟!
لكن المتشابه يتنوع، فمنه ما لا يُعلم البتة، كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بغيبة، وهذا لا يتعاطى علمه أحد، لا ابن عباس ولا غيره، فمن قال من العلماء الحذّاق بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه، فإنما أراد هذا النوع.
وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومَنَاحٍ في كلام العربي فيُتاؤل، ويعلم تأويله المستقيم، ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق من تأويل غير مستقيم، كقوله في عيسى ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ إلى غير ذلك، فلا يسمى أحدٌ راسخاً إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيرًا بحسب ما قُدرٌ له. اهـ
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقول أحمد فيما كتبه في «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله» وقوله عن الجهمية أنها تأولت ثلاث آيات من المتشابه، ثم تكلم على معناها، دليل على أن المتشابه عنده تعرف العلماء معناه، وأن المذموم تأويله على غير تأويله، فأما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس بمذموم. وهذا يقضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده، وهو «التفسير» في لغة السلف.
ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف: إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها، بل يتلون لفظاً لا يعرفون معناه؟!
وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة، منهم من ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي اهـ (مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٩١).
=

....

= وقد تكلم على هذه المسألة بكلام مفيد فليراجع (١٧/ ٣٩١- ٤٤٩).
وللحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ كلام مختصر حسن في هذه المسألة، فقال بعد أن ذكر الاختلاف في الوقف في الآية السابقة:
ومن العلماء من فصَّل هذا المقام قال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان: أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة، لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، ويكون قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خبره.
وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء، كقوله ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ [يوسف: ٣٦]، أي بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حال منهم، وساغ هذا، وأن يكون من المعطوف دون المعوف عليه كقوله ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ - إلى قوله ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ [الحشر: ٨-١٠]، وقوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]، أي: وجاء الملائكة صفوفاً صفوفاً.
وقوله إخباراً عنهم إنهم يقولون ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي المتشابه ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [أي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهم يصدق، الآخر ويشهد له، لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد، كقوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، ولهذا قال تعالى ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ﴾ أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة اهـ. (التفسير (١/ ٣٤٧).
وهناك معنى ثالث للتأويل، ذكره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: وأما التأويل بالمعنى الثالث وهو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة، بل ولا التابعين، بل ولا الأئمة الأربعة، ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفاً في القرون الثلاثة، بل ولا علمت أحد منهم خصَّ لفظ التأويل بهذا. =

٤٣- ويبين صحة هذا ما رواه ابن المظفر الحافظ[١] في أول كتاب السنن بإسناده: عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أُنزلَ القرآنُ على أربعةِ أحرفٍ جلالٌ وحرامٌ لا يُعذر أحدٌ بالجهالة به، وتفسير تُفسره العرب، وتفسيرٌ تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، من ادعى علمه سوى الله فهو كاذب**»[٢].

= ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعاً في عرف كثير من المتأخرين، فظنوا أن التأويل في الآية هذا معناه، صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه، وفرقوا دينهم بعد ذلك، وصاروا شيعاً، والمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الأية لا يدل ظاهرة على معنى فاسد، وإنما الخطأ في فهم السامع، نعم قد يقال: إن مجرد هذا الخطاب لا يبين كمال المطلوب، ولكن فَرقٌ بين عدم دلالته على المطلوب، وبين دلالته على نقيض المطلوب، فهذا الثاني هو المنفي، بل وليس في القرآن ما يدل على الباطل ألبته، كما قد بسط في موضعه.

ولكن كثير من الناس يزعم أن لظاهر الآية معنى، إما معنى يعتقده، وإما معنى باطلاً فيحتاج إلى تأويله، ويكون ما قاله باطلاً لا تدل الآية على معتقده، ولا على المعنى الباطل، وهذا كثير جداً، وهؤلاء هم الذين يجعلون القرآن كثيراً ما يحتاج إلى التأويل المحدث، وهو صرف اللفظ عن مدلوله إلى خلاف مدلوله. اهـ (مجموع الفتاوي ١٧/ ٤٠١).

(١) هو الشيخ الحافظ المجوِّد، محدث العراق أبو الحسين محمد بن المظفَّر بن موسى بن عيسى بن محمد البغدادي، سمع من حامد بن شعيب البلخي وأبي بكر الباغندي، وأبي القاسم البغوي، والهيثم ابن خلف الدوري وابن جرير الطبري وغيرهم.

حدث عنه: أبو حفص ابن شاهين والدارقطني والبرقاني وأبو نعيم وأبو محمد الخلال وغيرهم.

قال الخطيب: كان ابن المظفّر فهماً حافظاً صادقاً مكثراً.

وقال الدارقطني: ثقة مأمون، فقيل له: إنه يمل إلى التشيع، قال: قليلًا بقدر لا يضر إن شاء الله. مات سنة تسع وسبعين وثلاث مئة يوم الجمعة.

(تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٢- ٢٦٤)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤٣)، السير (١٦/ ٤١٨- ٤٢١).

(٢) ضعيف جداً، رواه ابن جرير (١/ ٢٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح مولى أم هاني عن ابن عباس مرفوعاً بهز

وإسناده ضعيف جداً، أبو صالح هو بإذام ضعيف يرسل، والكلبي متهم بالكذب.

ولأنَّ الله قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧] ومعناه صدَّقنا به، لأن الإيمان هو التصديق، ولم يقل: والراسخون في العلم يقولون عَلِمنا به، فلم يقتض العطف المشاركة في العلم كقول القائل: ما يعلم ما في هذا البيت إلا زيد وعمر[١] يقول آمنا به معناه أنه مصدقٌ له، ولا يقتضي مشاركته في العلم، ولأنه إذا كانت الواو عاطفة في المشاركة في العلم احتاج الكلام إلى إضمار واوٍ أخرى، فتقديره: والراسخون في العلم ويقولون آمنا به، والإضمار ترك حقيقة.

٤٤- وقد ذكر أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي[٢] هذا السؤال في كتاب «الغنية عن الكلام» فقال: اعلم أنَّ المتشابه من القرآن قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحد غيره.

قال: ومذهب أكثر العلماء أنَّ الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وما بعده استئناف كلام آخر، وحكى في ذلك قول ابن مسعود وأبيّ وابن عباس وعائشة وقال: وإنما روي عن مجاهد وحده أنه

(١) كذا في الأصل.
(٢) هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم ابن خطاب البُستي الخطابي، صاحب التصانيف، سمع من أبي سعيد ابن الأعرابي ومن أبي العباس الأصم وغيرهما، حدث عن الحاكم وأبو حامد الأسفراييني وخلق كثير.
قال أبو طاهر السِّلفي: وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف مُنصفٌ على مصنفاته، وأطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وإمامته. من مصنفاته «معالم السنن» شرح فيه سنن أبي داود، و«غريب الحديث» وكتاب «العزلة» و«شرح أسماء الله الحسنى» وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله» وغيرها. توفي ببُسْت في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة.
(وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤- ٢١٦)، السير (١٧/ ٢٣- ٢٨)، وانظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين (١/ ٤٢٧- ٤٢٩).

نسق الراسخين على ما قبله، وزعم أنهم يعلمونه.

وأجاب بجوابٍ آخر فقال: لا يجوز أن ينفي الله عز وجل شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه فيكون له في ذلك شريك، ألا ترى إلى قوله ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقوله ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] فكان هذه كله مما استأثر الله سبحانه به لا يشركه فيه غيره، كذلك ها هنا.

قال: فإن قيل: كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علماً بحقيقته، ونصفه بشيء لا درك له في عقولنا؟ قيل: قد أمرنا أن نؤمن بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالجنة ونعيمها، وبالنار وأليم عذابها، ومعلوم أنَّا لا نحيط علماً بكل شيء منها على التفصيل، وإنما كُلِّفنا الإيمان بها جُملة.

ألا ترى أنَّا لا نعرف أسماء عدة من الأنبياء، وكثير من الملائكة، ولا نحيط بصفاتهم، ثم لم يَقْدَح ذلك فيما أمرنا أن نؤمن به.

وقد قال النبي ﷺ في صفة الجنة: «**يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر**»[1] إلى هاهنا كلام أبي سليمان.

٤٥- وقد أجاب قوم آخرون عن هذا السؤال بأجوبة أخر: بأنه لو كانت الواو عاطفة والراسخون يعلمون تأويله، لم يكن فيه متشابه، وكان جميعه مُحكماً، وقد أخبر تعالى أن فيه محكماً وفيه متشابهاً، والمتشابه ما احتاج إلى بيان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣١٨)، (٨/ ٥١٥- ٥١٦)، (١٣/ ٤٦٥).
ومسلم (١/ ١٧٦)، (٤/ ٢١٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٧٥) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

ولأنه لو كانت الواو عطفاً على اسم الله، لكان تقدير الكلام: الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، ولا يجوز إضافة هذا القول إلى الله.

ولأنه لو كانت عاطفةً على اسم الله، لحصل قوله ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ مبتدأ ولا يصح الابتداء به، لأنه غير مفيد لتعلقه بما قبله، وإذا كانت الواو للإستئناف حصل المبتدأ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ فيكون كلاماً مفيداً، لأنه غير متعلق بما قبله.

ولأن الله تعالى مدح من وَكَلَ علم ذلك إلى عالمه، بقوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، ولو شركوه في علمه، لكان من عندهم[1]. ولأن الله تعالى مدح الذين يؤمنون بالغيب بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأيضاً فلفظ التأويل يكون للمحكم كما يكون للمتشابه، كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك، وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه، وأيُّ فضيلة في المتشابة حتى ينفرد الله بعلم معناه، والمحكم أفضل منه، وقد بيَّن معناه لعباده، فأي فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه.
وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطاباً، ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة، ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يُطلع عباده عليها، وإنما النزاع في كلام أنزله، وأخبر أنه هدى وبيان وشفاء، وأمر بتدبره، ثم يقال إن منه مالًا يَعرف معناه إلا الله، ولم يبيِّن الله ولا رسوله ذلك القدر الذي لا يعرف أحد معناه.
ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها، يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه اهـ. (الفتاوى الكبرى ١٧/ ٣٩٧- ٣٩٨).
وما قاله الشيخ حق، فإن كثيراً من نفاة الصفات والمبتدعة جعلوا صفات الله سبحانه من المتشابه الذي لا يعلم معناه؟ واستأثر الله بعلمه؟! فعندهم أن صفات الله مثل ﴿الٓر﴾ وغيرها لا يعلم معناها، وهذا باطل لا شك فيه.
لأن الصحابة كانوا يعرفون تلك المعاني، ويؤمنون بها، ولا يعارضونها بتأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، وإنما كانوا لا يخوضون في كيفياتها، وهذا هو معنى قول السلف عن آيات الصفات وأحاديثها: أمرُّوها كما جاءت.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ولو كانوا يشركونه سبحانه في علم جميع الأشياء، لم يكن هناك غيبُ يؤمنون به، لأن ذلك معلومٌ عندهم، وغير ممتنع صحة الإيمان بما لا نعلم حقيقته، كإيمانه بالملائكة والكتب والرسل.

فإن قيل: فإذا لم نعلم تأويله لم يفد الخطاب فائدة، كما إذا خاطب العربي بالزنجية. قيل: فيه فائدة وهو اختبار العباد، ليؤمن به المؤمن فيسعد، ويكفر به الكافر فيشقى، لأن سبيل المؤمن إذا قرأ من هذا شيئاً أن يصدق ربه، ولا يعترض فيه بسؤال وإنكار، فيعظم ثوابه.

٤٦- وقد جاء هذا مفسراً عن عبد الله قال: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] (١).

ولئن جاز أن يقال: إن هذا لا يفيد، جاز أن يقال إنَّ أمرنا بالإيمان بملائكته ورسله ونعيم الجنة لا يفيد، لأنا لا نعلمه.

فإن قيل: فما وجدنا أحداً من المفسرين وقف على تفسير شيء من القرآن

---

(١) رواه سعيد بن منصور كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤١) حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمار بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنَّا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بيناً لمن رآه، والذي لا إله غيره، ما آمن أحدٌ قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قوله ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].
ورواه من هذا الوجه الحاكم (٢/ ٢٦٠) وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم وابن مردوية.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٥) عن الحارث بن قيس عن ابن مسعود، وعزاه لسفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه وابن مردوية!
كذا قال! وقد تقدم أن الحاكم وابن أبي حاتم وابن مردوية إنما أخرجوه من طريق عبد الرحمن بن يزيد.

بل مَضَوا في تفسيره كله، حتى فسروا الحروف المقطعة في أوائل السور، مثل آلم وحم وص وق.

قيل: هذا وهمٌ على السلف، لأن الأجلَّاء من أصحاب رسول الله والمتقدمين في العلم كانوا يُسألون عن الآية من القرآن فلا يجيبون عنها، ويقولون: ما نعرف تأويلها، منهم: أبو بكر وعمر وابن عباس.

٤٧- أما أبو بكر ذُكر الأب عنده، فقيل له هو الرعي، واختلفوا فيه، فقال: لا تختلفوا، أيُّ سماء تظلني، وأيُّ أرض تقلني، إذا قلتُ في كتاب الله بما لا أعلم[1].

---

(١) صحيح، أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»- كما في «مقدمة في أصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٠٨)- قال حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حشوب عن إبراهيم التيمي به، ثم قال: منقطع.
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٧٣) وأعله بذلك.
وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٤٢١) إلى أبي عبيد، ولم أجده في نسختي وهي تنقص ورقه (١٨٩).
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٢٧) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٦٤- ٦٥) عن أبي معمر عن أبي بكر به.
قال ابن عبد البر: وذكر مثل هذا عن أبي بكر رضي الله عنه ميمون بن مهران وعامر الشعبي وابن أبي مليكة.
قلت: وإسناده منقطع أيضاً، أبو معمر هو عبد الله بن سخبرة الأزدي الكوفي، ثقة لكن حديثه عن أبي بكر مرسل، كما في التهذيب.
أما رواية ابن أبي مليكة: فقد رواها عبد بن حميد- كما في إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٥٣- ٥٤)- قال حدثنا أبو أسامة عن نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة عن أبي بكر به.
ورجاله ثقات، لكن ابن أبي مليكة حديثه عن عمر وعثمان مرسل، قاله أبو زرعة (جامع التحصيل (ص٢٦٠) فسماعه من أبي بكر بعيد.
وهذه الطرق الثلاثة وإن كانت مرسلة، فهي يعضد بعضها بعضاً، لاسيماً وقد جاءت من أوجه مختلفة، وإلى هذا ذهب ابن الصلاح والحافظ ابن حجر رحمهما الله تعالى في المراسيل.
(انظر «النكت على كتاب ابن الصلاح» لحافظ ابن حجر (٢/ ٥٦٦ - ٥٦٧).

٤٨- وقال حميد عن أنس: تلى عمر على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع على نفسه فقال: لعمرك يا ابن الخطاب، إنَّ هذا لهو التكلف(١).

٤٩- وعن ابن أبي مليكة قال: دخلت على ابن عباس أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان، فقال له عبد الله يا أبا العباس ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤] أي يوم هذا؟ فقال ابن عباس: من أنت؟ فانتسب له، فلما عرفه قال: مرحباً بك، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٦] أي يوم هذا؟ قال: أنا سألتك يا ابن العباس لتخبرني؟ قال: أيام سمَّاها الله عز وجل هو أعلم بها كيف تكون، أكره أن أقول في كتاب الله عز وجل بما لا أعلم(٢).

---

(١) صحيح، أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٨) من طريقين عن حميد عن أنس به. حميد هو ابن أبي حميد وذكره الحافظ ابن كثير في تفسير (٤/ ٤٧٣) وقال: إسناد صحيح.
وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٤٢١) لسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب والخطيب والحاكم وصححه.
ولم يتفرد به حميد فقد تابعه موسى بن أنس بن مالك حدثه أنه سمع عمر... فذكره، وزاد: واتبعوا ما يتبين لكم في هذا الكتاب. وفي رواية عمرو: ما يتبين فعليكم به ومالا فدعوه. وإسناده صحيح. وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٤) عن أبي صالح عن ابن شهاب به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
قال ابن كثير: وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من يقرأ هذه الأية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله ﴿فأنبتنا فيها حبا...﴾.

(٢) صحيح، أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٤٥) حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية عن أيوب ابن أبي مليكة أن رجلًا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم. وسنده صحيح، رجاله ثقات.
ثم ذكر متابعة لابن علية فقال حدثنا ابن بشار ثنا عبد الوهاب ثنا أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس بنحوه.
وسنده صحيح أيضاً، عبد الوهاب هو ابن عبد المجيد الثقفي.

والذي فسره بعض المفسرين مما توقف ابن عباس، فإنه لم يذكر مراد الله فيها بل قال: يظهر لي فيها كذا، ويسنح كذا والله هو العالم بالتأويل.

فإن قيل: فقد قال ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

قيل: كما قال ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ولم تدمر السماوات والأرض، وقال ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] ولم تؤت مثل فرج الرجل ولحيته.

فإن قيل: إذا لم يدخل الراسخون مع الله في العلم، لم يكن لهم فضل على من لم يرسخ في العلم، لأن كلَّ المسلمين يقولون آمنا به.

قيل: فضل الراسخين على غيرهم، أنهم يعرفون الأحكام المحكمات مالا يعرفهم غيرهم، وقد قيل: إن فضيلتهم تحصل بإيمانهم بالغيب على من لم يؤمن به، وقد قال تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] وهذا يدل على أن هناك من لم يؤمن به، فكانت فضيلتهم بالإيمان به.

فإن قيل: فنسلم لكم أنَّ في القرآن مالا يعلم تأويله غير الله، لكن فائدته التلاوة التي هي طاعة، وهي مندوبٌ إليها يُثَاب على فعلها، فأما الأخبار فمتى لم يعرف معناها بلغة العرب، عَريت عن فائدة، لأنها لا تفيد عملاً، ولا تُثبت علماً، ولا ثواب في فعلها.

قيل: لا تعرى عن فائدة لما بَيَّنا فيما قبل، وهو اختبار العباد ليؤمن به المؤمن فيسعد، ويكفر به الكافر فيشقى، لأن سبيل المؤمن أن يُصَدِّقَ بما جاء به الرسول.

٥٠- ودليل آخر، ما روى أبو هريرة وعبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**يَحْملُ هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عُدُوله، يَنْفون عنه تحريف الغالين، وانتحال**

المُبْطلين، وتأويل الجاهلين»(١). فوجه الدلالة أنَّه منع التأويل في ذلك.

---

(١) ضعيف، روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب وأبي أمامة الباهلي وعبد الله بن مسعود وإبراهيم بن عبد الرحمن العذري.
١- أما حديث أبي هريرة فله طريقان:
الأول: أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٥) عن سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا مسلمة بن علي حدثني عبد الرحمن بن يزيد السلمي عن علي بن مسلم البكري عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وسنده واهي، أبو صالح الأشعري قال الحافظ: مقبول، وعبد الرحمن بن يزيد هو ابن تميم السلمي قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو داود: متروك، ومسلمة بن علي الخشني متروك.
الثاني: أخرجه ابن عدي (١/ ١٥٢) عن مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً به.
ثم قال ابن عدي: ولم أر هذا الحديث لمروان الفزاري بهذا الإسناد إلا من هذا الطريق.
قلت: مروان هو ابن معاوية ثقة حافظ، والراوي عنه داود بن سليمان الغساني المديني لم أجد له ترجمة وكذا من قبله.
٢- حديث عبد الله بن عمرو:
أما عبد الله بن عمرو فلم أجد له رواية لهذا الحديث، وإنما وجدته من حديث عبد الله بن عمر، والظاهر أن في الأصل خطأ.
وحديث عبد الله بن عمر، رواه البزار (١/ ٨٦- زوائد) وابن عدي (١/ ١٥٢) عن خالد بن عمرو القرشي ثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سالم عن ابن عمر مرفوعاً به.
قال البزار: خالد بن عمرو منكر الحديث، قد حدّث بأحاديث لم يتابع عليها وهذا منها.
قلت: وهو القرشي الأموي السعيدي. قال أحمد: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال صالح جزرة: يضع الحديث (الميزان ١/ ٦٣٥).
وممن روي عنه هذا الحديث:
٣- علي بن أبي طالب:
رواه عنه ابن عدي (١/ ١٥٢) أنبأنا محمد بن محمد الأشعث الكوفي حدثني موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ثنا أبي عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب مرفوعاً به. وإسناده منكر. =

....

= قال ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٠٣) عن محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي حدثني موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ثنا أخرج لنا نسخته قريبا من ألف حديث عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده إلى أن ينتهي إلى علي والنبي ﷺ، فيها مقاطيع وعامتها مسندة مناكير كلها أو عامتها، فذكرنا روايته هذه لأبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسن وكان شيخاً من أهل البيت بمصر: كان موسى هذا جاري بالمدينة أربعين سنة، ما ذكر قط أن عنده شيئاً من الرواية لا عن أبيه ولا عن غيره اهـ. باختصار .

٤- أبو أمامة الباهلي:

رواه العقيلي (١/ ٩) وابن عدي (١/ ١٥٣) عن بقية عن رزيق أبو عبد الله الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن بن أبي أمامة مرفوعاً به.

وفيه رزيق الألهاني قال فيه ابن حبان في المجروحين (١/ ٣٠١) ينفرد بالأشياء التي لا تشبه حديث الإثبات، لا يجوز الاحتجاج به إلا عند الوفاق. وقال الحافظ: صدوق له أوهام وفيه بقية بن الوليد وقد عنعن.

تنبيه: وقع في الكامل المطبوع تصحيف شنيع لاسم رزيق أبو عبد الله، فقد ورد فيه هكذا: زرير بن عبد الله وكذا في الضعفاء للعقيلي فقد تصحف إلى: زريق، وسقط اسم بقية من الإسناد في الكامل، والكتابان فيهما من التصحيف ما لا يحصى.

٥- عبد الله بن مسعود:

أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٨) عن أبي صالح حدثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً بلفظ «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله»، وفيه كاتب الليث أبو صالح صدوق كثير الغلط.

٦- إبراهيم بن عبد الرحمن العذري:

رواه عنه ابن أبي حاتم في الجرح (٢/ ١٧) وابن عدي (١/ ١٥٣) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٩) عن معان بن رفاعة عنه.

ورواه ابن عدي (١/ ١٥٣) عن الوليد ثنا إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ثنا الثقة من أشياخنا قال: قال رسول الله ﷺ. قال ابن حجر في الإصابة (١/ ١١٧): إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، تابعي أرسل حديثاً فذكره ابن منده وغره في الصحابة.

ثم قال: وقد أورد ابن عدي هذا الحديث من طرق كثيرة كلها ضعيفة، وفي بعض =

فإن قيل: إنما منع تأويل الجاهلين، ولسنا جُهَّالاً بالتأويل.

قيل: بل الجهالة حَاصِلةٌ بالتأويل، بدليل ما تقدم من قوله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾.

دليل آخر على إبطال التأويل: أنَّ الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة، بل قد روى عنهم ما دل على إبطاله.

٥١- فروى أبو بكر الخلال بإسناده: عن أم سلمة أنها قالت في قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] قالت: كيفٌ غيرُ معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر(١).

= المواضع رواه الثقات عن الوليد عن معاذ عن إبراهيم قال حدثنا الثقة من أصحابنا أن رسول الله ﷺ فذكره. اهـ.

وقال أبو نعيم- كما في كنز العمال (١٠/ ١٧٦): وروى عن أسامة بن زيد وأبي هريرة وكلها مضطربة غير مستقيمة.

(١) ضعيف، رواه اللالكائي (٣/ ٣٩٧) وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٢٣) وابن قدامة المقدسي في العلو (٨٢) والذهبي في العلو (ص٦٥) كلهم عن محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو عمير الحنفي «ووقع عند الصابوني: أبو المغيرة) حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة به. قال الذهبي: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح، لأن أبا كنانة ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه.

وقال ابن تيمية: وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة ﷺ موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه (الفتاوى ٥/ ٣٦٥).

قلت: وفي إسناده أم الحسن البصري واسمها: خيرة، مولاة أم سلمة، قال الحافظ: مقبولة، ومحمد بن الأشرس الوراق ذكره الذهبي في الميزان (٣/ ٤٨٥) وقال: السلمي النيسابوري، متهم في الحديث) وتركه أبو عبد الله بن الأخرم الحافظ وغيره، وقال الحافظ في اللسان (٥/ ٨٤): وضعفه الدار قطني.

فقد صرحت بالقول بالاستواء غير معقول، وهذا يمنع تأويله على العلو!! وعلى الاستيلاء.

٥٢- وروى سعيد الجُريري عن سيف السدوسي عن عبد الله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة جيئ بنبيكم ﷺ فأقعد بين يدي الله عز وجل على كرسيه، قال فقلت: يا أبا مسعود، إذا كان على كرسيه، أليس هو معه؟ قال: ويلكم هذا أقرُّ حديثٍ في الدنيا لعيني.

وفي لفظ آخر قالوا للجريري: إذا كان على الكرسي هو معه؟ قال: نعم ويلكم هو معه، هو معه[1].

فقد صرح بالأخذ بالحديث على ظاهره، وأنكر على من يرد.

٥٣- وكذلك حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «وضع إبهامه على قريب من طرف أنملة خُنْصره، فَسَاخَ الجبل» قال حميد لثابت: تقول هذا: فدفع ثابتٌ يده فضرب بها صدر حميد، وقال يقوله رسول الله ﷺ ويقوله أنسٌ وأنا أكتمه. وفي لفظ آخر قال: فضرب صدره ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد؟ يُحدثني به أنس بن مالك

---

(١) ضعيف، أخرجه الخلال في «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» (ق٢٢) في ذكر المقام المحمود من ثلاث طرق عن يحيى بن كثير العنبري حدثنا سلم بن جعفر البكراوي حدثنا سعيد الجريري حدثنا سيف السدوسي عن عبد الله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة... فذكره موقوفاً قلت: سيف السدوسي لم أجد له ترجمة، والجريري كان قد اختلط.

وسيأتي ذكر الروايات في هذا الأمر. برقم (٩٠).

عن النبي ﷺ تقول أنت ما تريد[١].

٥٤- وروي أن قتادة بن النعمان دخل على أبي سعيد يَعُوده فوجده مُستلقياً رافعاً رجله اليمنى على اليسرى، فقرص النعمان رجل أبي سعيد قرصة شديدة، فقال أبو سعيد: سبحان الله، يا ابن أخي أوجعتني! قال: ذاك أردت! إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله لما قضى خلقه استلقى ثم رفع إحدى رجليه على الأخرى، ثم قال: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا**» فقال أبو سعيد: لا جَرَم والله لا أفعله[٢].

فإن قيل: أليس قد أنكر بعضهم على أبي مسعود وعلى الجريري وعلى ثابت، فقد حصل خلاف بينهم.

قيل: لما أمسكوا عن الجريري وعن[٣] أبي مسعود ، دل على أنهم أجابوا إلى ذلك .

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٢٥) وابنه عبد الله في السنة (١/ ٢٦٩- ٢٧٠) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٠-٢١١) وأبو محمد الخلال- كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٤)- والترمذي (٥/ ٢٦٥- ٢٦٦) وابن جرير في تفسيره (٩/ ٣٧) وابن خزيمة في التوحيد (ص١١٣- ١١٤) والحاكم (٢/ ٣٢٠) من طريق عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.
وقال الخلال: وهذا إسناد صحيح لا علة فيه.
قال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
وقال ابن كثير (٢/ ٢٤٤) أن الطبراني وابن مردويه روياه من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعاً بنحوه. وقال: وأسنده ابن مردويه من طريق ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً ولا يصح.
وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٥٤٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي في الكامل وأبي الشيخ والبيهقي في كتاب الرؤية.
(٢) سيأتي تخريجه، وهو حديث منكر.
(٣) في الأصل: على، وهو خطأ.

٥٥- **دليل آخر على إبطال التأويل:** أنَّ أبا الحسن الأشعري وأصحابه مثل أبي بكر بن الباقلاني، وأبي بكر بن فورك وأبي علي بن شاذان[١] قد أثبتوا صفاتاً لم يعقلوا معناها، ولم يحملوها على مقتضى اللغة كالوجه واليدين والعين، ولم يحملوا الوجه على جملة الذات، واليدين على النعمتين، ولا العين على المرئي[٢] بل أثبتوها صفات ذات، لورود الشرع بها، وقد صرَّحوا بهذا في كتبهم، ورأيت بعضهم يأبى ذلك ويتأول هذه الصفات، وهذا القائل يتشاغل بالكلام معه في هذه الصفات، فإذا ثبت الكلام فيها بنينا الأخبار على ذلك.

---

(١) هو القاضي المتكلم الأصولي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي، ابن الباقلاني الأشعري، صاحب التصانيف.
قال الذهبي: وكان ثقة إماماً بارعاً، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرَّامية، وانتصر الطريقة أبي الحسن الأشعري! وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه. من كتبه: «إعجاز القرآن» ط، «التمهيد في الرد على الملحدة والرافضة والخوارج والمعتزلة» ط وغيرها. مات في ذي القعدة سنة ثلاثٍ وأربع مئة. (تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩- ٣٨٣)، ترتيب المدارك (٤/ ٥٨٥- ٦٠٢) السير «١٧/ ١٩٠- ١٩٣».
أما ابن شاذان.
فهو الإمام الفاضل الصدوق، مسند العراق، أبو علي الحسن بن أبي بكر أحمد بن شاذان، البغدادي البزار، الأصولي.
سمع من: أبي عمرو بن السماك أبي بكر أحمد بن سليمان العباداني والنجاد، وميمون بن إسحاق وغيرهم.
حدث عنه: الخطيب والبيهقي وأبو إسحاق الشيرازي وغيرهم كثير.
قال الخطيب: كتبنا عنه وكان صح السماع صدوقاً، يفهم الكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري!
توفي سَلْخ عام خمسة وعشرين وأربع مئة، ودفن في أول يوم من سنة ست وعشرين. (تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٩-٢٨٠)، تبيين كذب المفتري ٢٤٥- ٢٤٦، السير ١٧/ ٤١٥- ٤١٨).
(٢) كذا تقرأ.

٥٦- دليل آخر على إبطال التأويل، وذلك أن من حمل اللفظ على ظاهره حمله على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفاته.

فإن قيل: خبر الواحد إنما يقبل فيما طريقه العمل، وأما فيما طريقه الاعتقاد والقطع فلا!

قيل: هذه وإن كانت أخبار آحاد، فإنَّ الأمة قد تلقتها بالقبول، منهم من حملها على ظاهرها وهم أصحاب الحديث، ومنهم من تأولها، وتأويلها قبول لها.

فإن قيل: فهل تُكفِّرون من ردّها أو تأولها؟

٥٧- **قيل**: قد قال أحمد في رواية أبي طالب: «من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم» فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه[(١)].

٥٨- وقال في رواية المروذي وقد سأله عن عبد الله التيمي فقال: صدوق، ولكن حكي عنه أنه ذكر حديث الضحك، فقال: مثل الزرع وهذا كلام الجهمية.

٥٩- وقال في رواية الأثرم[(٢)] وقد سُئل أحمد: حَدَّث مُحدِّث وأنا عنده

---

(١) ذكره ابن المصنف في طبقاته (١/ ٣٠٩) في ترجمة محمد بن علي الجرجاني أبو جعفر الوراق ويعرف بحمدان: سألت أبا ثور عن قول النبي ﷺ **«إن الله خلق آدم على صورته»** فقال: على صورة آدم، وكان هذا بعد ضرب أحمد بن حنبل والمحنة، فقلت لأبي طالب: قل لأبي عبد الله، فقال أبو طالب: قال لي أحمد بن حنبل: صح الأمر على أبي ثور، من قال: إن الله خلق آدم... الخ.

وحمدان له ترجمة في تاريخ بغداد (٣/ ٦١- ٦٢)، السير (١٣/ ٤٩- ٥٠).

(٢) هو الإمام الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن محمد بن هانيء الإسكافي الأثرم الطائي وقيل الكلبي، أحد الأعلام، ومصنف السنن، وتلميذ الإمام أحمد. =

بحديث «**يضع الرحمن قدمه فيها**» وعنده غلام، فأقبل على الغلام فقال: إنَّ لهذا تفسيراً، فقال أبو عبد الله: انظر إليه كما تقول الجهمية سواء(١).

فقد أطلق القول بأنه جهمي، وقد كفرَّهم ببعض أقوالهم ولم يكفرهم ببعض.

٦٠- فقال في رواية المروذي وقد سأله عن القدري فلم يكفره إذا أقرَّ بالعلم.

٦١- وقال في رواية حنبل: من قال بالقدر، وعظم المعاصي، فهو أقرب مثل الحسن.

* * *

= سمع من: أحمد بن حنبل وهوذة بن خليفة وأبي نعيم وعفان والقعنبي وأبي الوليد الطيالسي وغيرهم حدث عنه: النسائي وموسى بن هارون ويحي بن صاعد وغيرهم.
قال أبو بكر الخلال: كان الأثرم جليل القدر حافظاً. وله مصنف في علل الحديث.
قال الذهبي: لم أظفر بوفاة الأثرم، ومات بمدينة إسكاف في حدود الستين ومئتين قبلها أو بعدها.
(طبقات الحنابلة ١/ ٦٦- ٧٤، السير ١٢/ ٦٢٣- ٦٢٨، التهذيب ١/ ٧٨- ٧٩).

(١) ذكره الذهبي في العلو (ص١٣١) والمختصر (ص١٩٠-١٩١).

ذكرُ الأخبَار

٦٢- من ذلك ما حدثناه أبو القسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الخياط قال نا علي بن إبراهيم بن موسى الموصلي السكوني قال نا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله[١] بن يحيى المقري قال نا عبد الله ابن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال نا يحيى بن سعيد قال نا ابن عجلان قال حدثني سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ضَرَب أحدُكم فليجتنب الوجه، ولا يَقل: قَبَّحَ اللهُ وجهك، ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته»**[٢].

٦٣- وحدثناه أبو القسم قال نا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن موسى الموصلي السّكوني قال نا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان المقري قال نا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال نا أبو معمر قا نا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: **«لا تُقبّحوا الوجه، فإنَّ الله خَلَق**

---

(١) في الأصل: عبد الله، والتصويب من تاريخ بغداد.

(٢) صحيح لطرقه، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٥١- ٤٣٤) والبخاري في الأدب (١٧٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٩- ٢٣٠) وابن خزيمة في التوحيد (ص٣٦- ٣٧) والآجري في الشريعة (ص٣١٤- ٣١٥) والدارقطني في الصفات (٤٤، ٤٦) وابن منده في التوحيد (٨٤) والبيهقي في الأسماء (ص٢٩١) من طرق عن ابن عجلان به.
قال ابن منده: هذا إسناد مشهور متصل، وابن عجلان أخرج عنه مسلم والنسائي والجماعة إلا البخاري اهـ. قلت: وهو حسن الحديث.
وشيخ المصنف صدوق (تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٨) والسكوني ثقة (تاريخ بغداد ١١/ ٣٤١) والمقري ثقة (تاريخ بغداد ١٣/ ٥٩).
قال الحافظ في الفتح (٥/ ١٨٣) بعد أن ذكر هذا الحديث: وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك.

آدم على صورته»(١)(٢).

وذكره الدارقطني في جملة أخبار الصفات.

٦٤- وحدثنا أبو محمد الحسن بن محمد فيما خرجه من أخبار الصفات: عن ابن شاهين قال حدثنا زيد بن محمد الكوفي قال حدثنا أحمد بن منصور المدني قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبي قال حدثني أبو سهل سعد ابن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا ضَرَبَ أحدُكم مملوكه فليتقّ وجهه، فإن الله إنما خَلقَ آدم على صُورة نفسه»**(٣).

---

(١) في الأصل: على صورة، التصويب من المصادر الأخرى.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٨-٢٢٩) وعبد الله في «السنة» (١/ ٤٩٨) وابن خزيمة (٣٨) والدارقطني في الصفات (٤٥، ٤٨) والآجري في الشريعة (ص٣١٥) والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣٠) والحاكم (٢/ ٣١٩) مختصراً والبيهقي في الأسماء (ص٢٩١) عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به، وجاء عند بعض مخرجيه «على صورة الرحمن».

قال ابن خزيمة: في الخبر عللاً ثلاثاً، إحداهن: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر.

والثانية: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس، لم يعلم أنه سمعه من عطاء. اهـ

قلت: ولم يزد الحافظ في الفتح (٥/ ١٨٣) على قوله: رجاله ثقات!

ورواية سفيان الثوري التي خالف فيها الأعمش، رواها ابن خزيمة أيضاً (ص٣٨) حدثناه أبو موسى محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء قال قال رسول الله ﷺ.

(٣) سنده ضعيف جداً، عبد الله بن سعيد المقبري متروك، وأخوه أبو سهل سعد بن سعيد لين الحديث. ولم أجد من خرجه.

٦٥- وروى أبو حفص بن شاهين في سننه بإسناده: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إذا قاتل أحدُكم أخاه فليتجنب الوجه، فإنّ الله خَلَقَ وجه آدم على صورته**»[(١)].

٦٦- وروى عبد الرحمن بن منده في كتاب الإسلام بإسناده: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إذا قاتَل أحدُكم فليتق الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة وجهه من الطين**»[(٢)].

اعلم أن هذا حديث صحيح.

٦٧- قال أحمد في رواية ابن منصور[(٣)] «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٤٦٣- ٥١٩) ومسلم (٤/ ٢٠١٧) وابن خزيمة في التوحيد (ص٣٧) والبيهقي في الأسماء (ص٢٩٠) عن المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة مرفوعاً به. وأخرجه أحمد (٢/ ٣٤٧- ٤٦٢) ومسلم (٤/ ٢٠١٧) عن همام عن قتادة به، وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠١٧) عن شعبة عن قتادة مختصراً.
تنبيه: وقع خطأ في اسم أبي أيوب المراغي عند ابن خزيمة فقال: عبد الملك بن مالك المراغي، والصواب أن اسمه يحيى بن مالك، وقيل حبيب بن مالك، كما في التهذيب (١٢/ ١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٧- ٢٢٨) حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء حدثني عمي محمد بن سواء عن سعيد بن أبي عروبه عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعاً به دون قوله: من الطين.
وإسناده حسن، لكن قوله «على صورة وجهه» لم ترد إلا في هذا الحديث، وهي من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وهي مخالفة لرواية المثنى بن سعيد وهمام بن منبه، انظر تعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عليه في «السنة» لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٨).

(٣) هو إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج أبو يعقوب، التميمي المروزي، روى عن ابن عيينة وابن نمير وعبد الرزاق وخلق كثير، وتتلمذ لأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وله عنهم مسائل.
وروى عنه الجماعة سوى أبي داود. =

على صورته» وإذا ثبت صحته فغير ممتنع الأخذ بظاهره من غير تفسير ولا تأويل.

وقد نص عليه أحمد في رواية يعقوب بن بختان[١] «خلق آدم على صورته» لا نفسره كما جاء الحديث.

فقد صرح بالقول بالأخذ بظاهره، والكلام فيه في فصلين: أحدهما جواز إطلاق تسمية الصورة عليه سبحانه، وقد ذكره ابن قتيبة في مختلف الحديث فقال: الذي عندي - والله أعلم - أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، إنما وقع الإلف لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع. هذا كلام ابن قتيبة[٢].

***

= قال مسلم: ثقة مأمون أحد الأئمة من أصحاب الحديث، وقال النسائي: ثقة ثبت، وقال ابن أبي يعلى: وكان إسحاق عالماً فقيهاً، وهو الذي دون عن إمامنا المسائل في الفقه. مات يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومئتين بنيسابور. (طبقات الحنابلة (١/ ١١٣- ١١٥)، التهذيب (١/ ٢٤٩- ٢٥٠)).

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان أبو يوسف.
سمع مسلم بن إبراهيم وأحمد بن حنبل، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وجعفر الصندلي وأحمد بن محمد بن أبي شيبة.
قال ابن أبي يعلى: ذكره أبو محمد الخلال فقال: كان جار أبي عبد الله وصديقه، وروى عن أبي عبد الله مسائل صالحة كبيرة، لم يروها غيره في الورع، ومسائل صالحة في السلطان.
وقال الخطيب: كان أحد الصالحين الثقات.
(تاريخ بغداد (١٤/ ٢٨٠)، طبقات الحنابلة (١/ ٤١٥- ٤١٦).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص١٥٠)، وتتمة كلامه: ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدّ.

الفصل الثاني

(في خلق آدم عليه السلام على صورته)

الفصل الثاني

في إطلاق القول بأنه خَلَقَ آدمَ على صورته وأن الهاء راجعة على الرحمن

٦٨- وقد روى أبو[١] عبد الله بن منده[٢] بإسناده: عن إسحاق بن راهويه قال قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن آدم خلق على صورة الرحمن**» وإنما علينا أن ننطق به.

والوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور، كما أطلقنا تسمية ذاتٍ ونفس لا كالذوات والنفوس.

يبين صحة هذا أن الصورة ليست في حقيقة اللغة عبارة عن التخاطيط، وإنما هي عبارة عن حقيقة الشيء، ولهذا يقول: عرفني صورة هذا الأمر[٣].

ويطلق القول في صورة آدم على صورته سبحانه، لا على طريق التشبيه في

---

(١) في الأصل: عبد الله وهو خطأ.

(٢) هو الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام أبو عبد الله بن المحدث إسحاق بن الحافظ محمد بن يحيى بن منده. سمع من أبيه وعم أبيه عبد الرحمن بن يحيى بن منده وجم كبير، وحدث عنه أبو الشيخ والحاكم وابو نعيم وغيرهم كثير. قال الذهبي: ولم أعلم أحداً كان أوسع رحلةً منه، ولا أكثر حديثاً منه، مع الحفظ والثقة. من كتابه «الإيمان»، «والتوحيد»، «والصفات»، و«معرفة الصحابة» (أخبار أصبهان (٢/ ٣٠٦) السير (١٧/ ٢٨- ٤٣).
وقول إسحاق بن راهوية رواه عنه حرب الكرماني في كتاب «السنة» كما في الفتح (٥/ ١٨٣).

(٣) قال ابن الأثير في «غريب الحديث» (٣/ ٥٨- ٥٩): الصورة تردُ في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: الفعل كذا وكذا: أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا: أي صفته.

الجسم والنوع والشكل والطول، لأن ذلك مستحيل في صفاته.

وإنما أطلقنا حَمْل إحدى الصورتين على الأخرى تسميةً لورود الشرع بذلك على طريق التعظيم لآدم، كما قال تعالى في أزواج النبي ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦] ولسن بأمهات في الحقيقة لكن على وجه التعظيم، ولأن فيه معنى ينفرد به من بين سائر ذريته، وهو أنه لما وجد حيًّا كان كاملًا لم ينتقل من حال صغرٍ إلى كبر، ومن حال ضعفٍ إلى قوة، ومن حال جهلٍ إلى علم، كذلك الله تعالى في حال وجوده كاملًا لم ينتقل من نقصٍ إلى كمالٍ ولا يجوز أن يقال أن هذا المعنى موجود في خلق حوَّاء وفي الملائكة، لأنه وإن كان خلقهم على ذلك فآدم أكمل منهم، لأنه الله أسجدهم له، ولأنه قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] ولأن حوَّاء ناقصة بالأنوثية.

وليس في حمل إحدى الصورتين على الأخرى ما يوجب المساواة كما قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] ومعلوم أن آدم أفضل لأنه لم يخلق من نطفة، ولا اشتمل عليه رحم، وعيسى وجد فيه ذلك.

وكما قال تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. وقال ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] وقال(١) ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ولفظه أحسن وأرحم على وزن أفعل، ولفظة أفعل تقتضي الاشتراك في الشيء، وقد شرك بينه وبين خلقه في هذا الصفات، كذلك لا يمتنع الاشتراك في الصورة.

(١) في الأصل: «بل هو أشد منهم» وزيادة بل في الآية خطأ.

٦٩- وقد روي عن ابن عباس ما دل أن الهاء راجعة على الرحمن، ذكره إسحق بن بشر القرشي[١] في كتاب «المبتدأ» بإسناده عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن مسائل منها: أخبرني عن أكرم رجلٍ على الله، فانفذ بها معاوية إلى ابن عباس فقال: أكرم رجل على الله آدم، خَلَقه بيده، ونَحَله صورته، ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته، وأسكنه جنته. فقد نص على أنه نحله صورته.

فإن: قيل فصفوه بالجسم لا كالأجسام!

قيل: لا نصفه بذلك، لأن الشرع لم يرد بذلك، وهذا كما وصفته أنت بأن له نفساً وحياةً، ولا نصفه بأنه جسم، وكذلك نصفه بأنه ذاتٌ وشيء، ولا نصفه بأنه جسد.

فإن قيل: الهاء عائدة على المضروب، لأن الخبر ورد على سبب.

٧٠- وذلك أن النبي ﷺ مرَّ برجل يضرب ابنه، أو عبده في وجهه لطماً، ويقول: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فقال النبي ﷺ: **«إذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه، فإنَّ الله خلق آدم على صورته»**[٢] ....

(١) هو إسحاق بن بشر البخاري أبو حذيفة صاحب كتاب «المبتدأ» قال الذهبي في الميزان: تركوه، وكذبه علي بن المديني، وقال ابن حبان: لا يحل حديثه إلا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: كذاب متروك ثم قال: لكن خلط ابن حبان ترجمته بترجمة الكاهلي، ولم يذكر الكاهلي، وكذا خبط ابن الجوزي فقال في هذا: الكاهلي مولى بني هاشم، ولم يصب في قوله الكاهلي. وانظر الكامل لابن عدي (١/ ٣٣١) وقد فرق بينهما أيضاً.

(٢) لم أقف على سبب الحديث وهو قوله: أن النبي ﷺ مرَّ برجل...، وقال ابن قتيبة في «مختلف الحديث» (ص١٤٩): وزاد قوم في الحديث أنه عليه السلام مر برجل يضرب وجه رجل آخر. وقد مرّ آنفاً قوله ﷺ «ولا يقل قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك» انظره برقم ٦٢.

يعني المضروب[١].

(١) اختار هذا القول ابن خزيمة فقد قال في التوحيد (ص٣٧- ٣٨): توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله «على صورته» يريد صورة الرحمن، عزَّ ربنا وجلَّ عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله «خلق آدم على صورته» الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبَّح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول: ووجه من أشبه وجهك، لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحاً وجه آدم صلوات الله وسلامه عليه، الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم.
فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال اهـ. واختاره أيضاً ابن منده كما في التوحيد (١/ ٢٢٣- ٢٢٤).
وقال الحافظ في الفتح في آخر العتق (٥/ ١٨٣) في قوله «فإن الله خلق آدم على صورته»: واختلف في الضمير على من يعود؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك، لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها.
وقال القرطبي: أعاد بعضهم الضمير على الله، متمسكاً بما رود في بعض طرقه «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن» قال: وكأن من رواه أورده بالمعنى، متمسكاً بما توهمه فغلط في ذلك.
وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيادة ثم قال: وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري ﷻ.
قلت: (أي الحافظ): الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في «السنة» والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات، وأخرجها ابن أبي عاصم من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل الأول، قال «من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن». فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من امراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن ﷻ.
وزعم بعضهم أن الضمير يعود على آدم أي على صفته، أي خلقه موصوفاً بالعلم الذي فضل به الحيوان، وهذا محتمل.
وقد قال المازري: غلط ابن قتيبة فأجري هذا الحديث على ظاهره وقال: صورة لا كالصور انتهى.
وقال حرب الكرماني في كتاب «السنة» سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح «إن الله =

قيل: هذا غلط لوجهين: أحدهما أن هذا يُسقط فائدة التخصيص بآدم، لأن آدم وغيره من الأنبياء والبشر مخلوقون على صورة المضروب، بمعنى أن له وجها وما أسقط فائدة التخصيص سقط في نفسه.

والثاني: أن في اللفظ «خلق آدم على صورة الرحمن»(١).

فإن قيل: إنما خص آدم بالذكر، لأنه هو الذي ابتديت خلقه وجهه على الحد الذي يُحتذى عليها من بعده، كأنه على وجه المبالغة في الردع له عن ذلك.

قيل: لو كان القصد المبالغة لقال: فإن الله خلق محمداً على صورته لأنه أفضل من آدم، فلما خص آدم بالذكر، دلَّ على أنه لمعنى فيه.

= خلق آدم على صورة الرحمن»، وقال إسحاق الكوسج سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح اهـ من الفتح.

وقال في الاستئذان (١١/ ٣):

واختلف إلى ماذا يعود الضمير؟ فقيل: إلى آدم أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات، دفعاً لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، أو ابتدأ خلقه كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حاله إلى حاله.

وقيل: للرد على الدهرية إنه لم يكن إنسان إلا من نطفة، ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك، فبين أنه خُلق من أول الأمر على هذه الصورة.

وقيل: للرد على الطبائعيين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره.

وقيل: للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق فعل نفسه. وقيل: إن لهذا الحديث سبباً حذف من هذه الرواية، وأن أوله قصة الذي ضرب عبده فنهاه النبي ﷺ من ذلك، وقال له: إن الله خلق آدم على صورته.

وقيل: الضمير لله، وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه «على صورة الرحمن» والمراد بالصورة الصفة، والمعنى: إن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء. اهـ. وانظر قول ابن حبان، في صحيحه (٨/ ١٢).

قلت: وأصح ما قيل فيه هو كلام ابن خزيمة ومن تابعه، وعلى كل حال فنحن ننزه ربنا عن مشابهة مخلوقاته، وليس في كلام الله تعالى ولا كلام رسوله ﷺ تشبيه ولا تمثيل.

(١) تقدم أن هذا اللفظ لا يصح، انظره برقم (٦٣) من هذا الفصل.

وجواب آخر: وهو أنه قد رُوي في لفظ آخر «على صورة الرحمن وعلى صورة نفسه» وهذا يمنع حمله على المضروب، فوجب أن يقضي بالمقيد عليه.

فإن قيل: الهاء ترجع على آدم، ويكون رجوعها عليه لوجوه: أحدها أن يعرفنا أنه خلق في الجنة على الصورة التي كان عليها في الدنيا، لم يغير الله خلقته، ويكون فائدة ذلك تعريفنا الفرق بينه وبين سائر من أخرجه من الجنة معه، من الحيّة والطاووس، فإنه عاقب الحيَّة وشوَّه خلقها، وسلبها قوائمها، وجعل أكلها التراب، وشوه رجلي الطاووس[1]، ولم يشوه خلقة آدم. بل أبقى له حُسن الصورة، فعرفنا بذلك أنه كان في الجنة على الصورة التي هو عليها.

قيل: هذا لا يصح لوجوه:

أحدها: أنه روي ما دل على تغير خلقه عن الصفة التي كانت عليها.

---

(١) نقله البيهقي في الأسماء (ص٢٩٠) عن أبي منصور (وهو الماتريدي).

فائدة: أخرج ابن جرير في تفسيره (١/ ١٨٧- ١٨٩) عدة آثار تفيد أن إبليس لما طرد أراد أن يدخل الجنة فمنعته الخزنة، فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم فأدخلته في فمها، فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون، فكلمهما من فيها، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها.

قلت: وفي أسانيد هذه الآثار انقطاع وجهالة وضعف، وهي أشبه بالإسرائيليات المتلقاة عن أهل الكتاب.

ثم قال ابن جرير: وأولى ذلك بالحق عندنا، ما كان لكتاب الله موافقاً، وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما وُورِيَ عنهما من سوآتهما، وأنه قال لهما ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ وأنه قاسمهما إني لكما من الناصحين، مدلياً لهما بغرور.

ففي أخباره جل ثناؤه عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما: إني لكما لمن الناصحين، الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه، إما ظاهراً لأعينهما، وإما مستجنا في غيره، وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلاناً في كذا وكذا، إذا سبب له سبباً وصل به إليه، دون أن يحلف له اهـ.

٧١- حدثناه أبو القسم عبد العزيز قال نا أبو الفتح القوّاس ولنا منه إجازة قال قرئ على أبي إسحق إبراهيم بن حماد نا أبو يحيى الناقد قال نا أبو صالح بن عبد الله الربذي قال: نا معاوية بن عمار نا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: إن آدم لما هبط إلى الهند ورأسه يكاد ينال السماء، وأن الأرض شكت إلى ربها ثقل آدم، قال: فوضع الجبار جلَّ اسمه يده عليه، فانحط سبعين باعاً، وهبط معه الفحل والأترج والموز. قال أبو يحيى الناقد: يقولون: الفحل الذكر من النخل(١).

وهذا يدل على تغير خلقته عما كانت عليه.

وجواب آخر: وهو أن هذا يسقط فائدة التخصيص، لأن حوَّاء لم يُغير خلقها لما أخرجها من الجنة، فوجب أن يكون لهذا التخصيص فائدة.

جواب آخر: وهو أنه قد روي «خلق آدم على صورة الرحمن»، وهذا يمنع رجوع الهاء على آدم.

فإن قيل: فالهاء عائدة على آدم، ويكون المراد به أن النبي ﷺ أفادنا بذلك إبطال قول أهل الدهر: إنه لم يكن إنسان، إلا من نطفة ولا نطفة إلا من إنسان فيما مضى ويأتي، وليس ذلك أول ولا آخر، وإن الناس إنما ينقلون من نشوء إلى نشوء على ترتيب معتاد، فعرفنا تكذيبهم، وأن آدم خلق على صورته التي شوهد عليها، من غير أن كان عن نطفة قبله وعن تناسل، أو تنقل من صغرٍ إلى كبر، كالمعهود من أحوال أولاده.

قيل: هذا غلط لأنه يسقط فائدة التخصيص بآدم، لأن الملائكة خلقوا من

---

(١) أخرجه ابن منده في «التوحيد» (١/ ٨٥) عن معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر به. وفيه عنعنة أبي الزبير.

غير نطفة ولا تناسل، وكذلك عيسى خُلق من غير نطفة قبله وغير تناسل، وقد قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩] ولأنا قد استفدنا إبطال قول الدهرية من غير هذا الموضوع، وهو قوله خلقته من طين.

وجواب آخر: وهو أنه قد روي «خلق آدم على صورة الرحمن» وهذا يمنع رجوع الهاء على آدم.

فإن قيل: الهاء عائدة على آدم، ويكون فائدته إعلامنا أنه لم يكن حادثاً عن توليد عنصرٍ أو تأثير طبعٍ، أو فلكٍ أو ليلٍ أو نهارٍ، إبطالاً لقول الطبائعيين، أن بعض ما كان عليه آدم من هيئاته وصورته لم يخلقه الله عز وجل، بل كان فعل الطبع أو تأثير فلك، فبيّن بذلك أن الله تعالى هو الخالق لآدم، على ما كان فيه من الصُّور والتركيب، وإبطالاً لقول القدرية، أن من صفات آدم ما لم يخلقه الله، وإنما خلقها آدم لنفسه؟!

قيل: هذا غلط لما بينّا وهو أنه يسقط فائدة التخصيص بآدم، لأن بقية البشر هذا المعنى موجود فيهم، وأن الله تعالى هو الخالق، وأنه لا صنع للطبيعة فيها والفلك فيه، ولأنه قد روي في لفظ آخرٍ «خلق آدم على صورة الرحمن».

فإن قيل: إنما خص آدم بذلك تنبيهاً على أن من شاركه من المخلوقات في معناه، قيل: هذا غلط، لما بينّا من أن خلق عيسى في معنى خلق آدم بقوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ [آل عمران: ٥٩] فلا معنى لتخصيصه بذلك، ولأن، قوله «خلق آدم على صورة الرحمن» يمنع من ذلك.

فإن قيل: الهاء عائدة على آدم، ويكون فائدته إشارة إلى ما تقدم أن الله خلق السعيد سعيداً والشقي شقياً، فلما خلق آدم وقد علم أنه يعصي

ويخالف، وكتب ذلك عليه قبل أن خلقه[١] عرفنا ما سبق من قضائه، وأنه هكذا خلقه على ما علم منه.

قيل: هذا غلط لما بيَّنا أنه يسقط فائدة التخصيص بآدم، لأن ولد آدم مخلوق على ما سبق قضائه من الشقاء والسعادة، ولأنه قد روي في لفظ آخر «خلق آدم على صورة الرحمن».

فإن قيل: عود الهاء على آدم أولى، لأنه أقرب المذكور.

قيل: الهاء قد تعود تارة إلى الأقرب، وتارة إلى الأبعد، قال تعالى ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] فالهاء في قوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائدة على اسم الله تعالى، وإن كان أبعد في اللفظ، وذكر الرسول أقرب ولأنه لو قال قائل: ولد لفلان، ولد على صورته، عقل من ذلك صورة الأب، وإن كان هو الأبعد في الخطاب، ولم يرجع ذلك إلى صفة الولد وإن كان هو الأقرب.

٧٢- وقد صرح أحمد بإبطال القول أن الهاء عائدة على آدم، فقال في رواية أبي طالب: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم، فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه[٢]؟

٧٣- وقد ذكره عبد الرحمن بن منده في كتاب «الإسلام» فقال قال أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن فراسٍ[٣] في كتابه عن حمدان بن علي قال سمعت

---

(١) كذا في الأصل: خلقه، ولعل الصواب: يخلقه.

(٢) تقدم برقم (٥٧).

(٣) هو الإمام الكبير شيخ الشافعية، وفقيه بغداد، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، صاحب العباس بن سريج وأكبر تلامذته.

صنف كتابا في السنة، وقرأة بجامع مصر، وحضره آلاف فجرت فتنة، فطلبه كافور فاختفى، =

أحمد بن حنبل يقول وسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله، الحديث الذي رُوي عن النبي ﷺ: «أن الله خلق آدم على صورته» على صورة آدم قال فقال أحمد بن حنبل: فأين الذي يُروي عن النبي ﷺ «أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل»، ثم قال أحمد: وأي صورة كانت لآدم قبل أن يُخلق؟

٧٤- قال وأنا علي بن يحيى بن جعفر الإمام قال أنا الطبراني قال سمعت عبد الله ابن أحمد بن حنبل يقول: قال رجلٌ لأبي: إنَّ فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» فقال: على صورة الرجل، قال أبي: كذب هذا، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا[١].

٧٥- قال: وروى إسماعيل بن أحمد[٢] أبو سعد[٣] في كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنا بالبصرة عند شيخ فحدثنا بحديث النبي ﷺ: «إن الله عز وجل خلق آدم على صورته» فقال الشيخ: تفسيره خلقه على صورة الطين، فحدثت بذلك أبي رحمه الله فقال: هذا جهمي، أو قال هذا كلام الجهمية.

٧٦- وقد ذكر أبو محمد بن حيان الأصبهاني في مجموع له في التفسير في

= ثم أدخل على كافور، فقال: أما أرسلت إليك أن لا تشهر هذا الكتاب فلا تظهره، وكان فيه ذكر الاستواء، فأنكرته المعتزلة. (تاريخ بغداد (٦/ ١١)، السير (١٥/ ٤٢٩- ٤٣٠».

(١) إسناده صحيح، علي بن يحيى بن جعفر هو أبو الحسن ابن عبدُكويه الأصبهاني، قال الذهبي: الشيخ الإمام المحدّث الرحّال الثقة.
مولده سنة بضع وثلاثين وثلاث مئة، وتوفي المحرم سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة.
(العبر ٣/ ١٥٠)، السير (١٧/ ٤٧٨- ٤٧٩).

(٢) وقع في الأصل: ابن أسعد، والصواب ما أثبتناه إن شاء الله.

(٣) كتب في الأصل في الهامش حرف: «ن» و«طالب» إلى جانب أبي مالك.

سورة «حم عسق» بخط أبي مالك المكي[١] فقال صاحب الكتابة[٢] عن حمدان بن الهيثم المديني سمعت أبا مسعود[٣] يقول قال أحمد بن حنبل

---

(١) هو العلامة شيخ الشافعية أبو سعد إسماعيل بن الإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني الشافعي، صاحب التصانيف.
قال حمزة السَّهمي: كان أبو سعد إمام زمانه، مُقدماً في الفقه وأصول العربية والكتاب والشروط والكلام، صنّف في الفقه كتاباً كبيراً، وتخرج به جماعة، مع الورع الثخين، والمجاهدة والنصح للإسلام، والسخاء وحسن الخلق، وبالغ السهمي في تعظيمه، قاله الذهبي (تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٩- ٣١٠)، السير (١٧/ ٨٧- ٨٨).

(٢) أي أبي الشيخ الأصفهاني.
قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/ ٦٠٢-٦٠٣): حمدان بن الهيثم عن أبي مسعود أحمد بن الفرات وعنه أبو الشيخ ووثقه، لكنه أتى بشيء منكر عن أحمد بن حنبل في معنى قوله عليه السلام: «**إن الله خلق آدم على صورته» زعم أنه قال: صوّر الله صورة آدم قبل خلقه ثم خلقه...**»
قال يحيى بن منده في مناقب أحمد قال المظفر بن أحمد الخياط في كتاب «السنة»: وحمدان بن الهيثم يزعم أن أحمد قال: صور الله صورة آدم قبل خلقه، وأبو الشيخ يوثقه في كتاب الطبقات.
ويدل على بطلان روايته ما رواه حمدان بن علي الوراق- الذي هو أشهر من حمدان بن الهيثم وأقدم- أنه سمع أحمد بن حنبل... (ثم ذكر الرواية التي تقدمت برقم (٧٣)، ورواية الطبراني المتقدمة برقم (٧٣).
ثم قال الذهبي: وقيل: إن أبا عمر بن عبد الوهاب أبا الشيخ لمكان حكاية حمدان، وقال: إن أردت أن أسلم عليك فأخرج من كتابك حكاية حمدان بن الهيثم اهـ.
وانظر «لسان الميزان» (٢/ ٣٥٦- ٣٥٧).

(٣) هو أحمد بن الفرات بن خالد الرازي أبو مسعود الضبي الأصبهاني، سمع يزيد بن هارون وأبا اليمان وعبد الرزاق وأحمد وغيرهم.
وروى عنه أبو داود وابن أبي عاصم وجعفر الفريابي ومحمد وعبد الرحمن ابنا يحيى بن منده وغيرهم.
جاء عن أحمد أنه قال: ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله ﷺ من أبي مسعود، وقال علي بن المديني: كان من الراسخين في العلم.
وقال الحافظ في التقريب: ثقة حافظ تكلم فيه بلا مستند.
طبقات الحنابلة (١/ ٥٣- ٥٥)، التهذيب (١/ ٦٦- ٦٧).

معنى حديث النبي ﷺ «**إن الله خلق آدم على صورته**» قال: صوَّر آدم قبل خلقه ثم خلقه، على تلك الصورة، فإما أن يكون الله خلق آدم على صورته فلا، وقد قال الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولا نقول: إن الله يشبهه شيء من خلقه، ولا يخفى على الناس أن الله خلق آدم على صورة آدم ولا يجوز أن يقال: لله كيف؟ لأن الله لا يوصف بصفة الإنسان، وقد قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] فذاك ربنا عز وجل ليس كمثله أحد من خلقه.

٧٧- قال أبو طالب المكي: هذا توهم عن أحمد، إنما هذا قول أبي ثور، فذُكِر ذلك لأحمد فأنكر عليه، وقال: ويله وأي صورة كانت لآدم حتى خلقه عليها، يقول: إن الله خلق على مثال، ويله فكيف يصنع بالحديث الآخر «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن».

فهذا هو المحفوظ من قول أحمد، وإنما التبس القولان فنسب ذلك إلى أحمد لأن أبا ثور كان سُئل عن قوله «خلق آدم على صورته» فقال: الهاء عائدة على آدم.

فإن قيل: الزيادة المذكورة في حديث ابن عمر «خلق آدم على صورة الرحمن» غير صحيحة، وقد قال أحمد في رواية المروذي: الأعمش يقول عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن» وأما الثوري فيوقفه يعني حديث ابن عمر، وقد رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «**على صورته**»(١) فيقول

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٤) والآجري في الشريعة (ص٣١٤) والبيهقي في الأسماء (ص٢٩٠) عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته**».
وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

كما جاء. فقد بيّن أحمد أن بعضهم وقفه، وبعضهم وصله.

قيل: هذه الزيادة صحيحة ثابتة، حدثنا بها أبو القسم عبد العزيز من الطريق الذي ذكرنا، وذكرها أبو الحسن الدارقطني فيما خرَّجه من أخبار الصفات، وذكرها أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد(١) في «السنة» وذكرها أبو عبد الله بن بطة(٢) في كتاب «الإبانة» ولا يجوز أن يتطابق هؤلاء

(١) هو الإمام المحدث الحافظ الفقيه المفتي، شيخ العراق، أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن البغدادي، الحنبلي النَّجاد.
سمع أبا داود السجستاني وأحمد بن ملاعب وابن أبي الدنيا والترمذي وغيرهم. حدث عنه: أبو بكر القطيعي وابن شاهين والدارقطني وابن منده والخطابي والحاكم وأبو بكر بن مردويه وغيرهم.
قال الخطيب: كان النجاد صدوقاً عارفاً، صنف «السنن». (وصفه الذهبي بأنه كبير).
وقال الدارقطني: حدث النجاد من كتاب غيره بما لم يكن في أصوله.
قال الخطيب: كان قد أضر، فلعل بعضهم قرأ عليه ذلك.
توفي وقد كُفَّ بصره لعشر بقين من ذي الحجة، سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة.
تاريخ بغداد (٤/ ١٨٩- ١٩٢)، طبقات الحنابلة (٢/ ٧-١٢)، السير (١٥/ ٥٠٢- ٥٠٥).

(٢) هو الإمام القدوة المحدث شيخ العراق، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة.
روى عنه: أبي القاسم البغوي وابن صاعد وأبي ذر بن الباغندي والقاضي المحاملي، حدث عنه: أبو الفتح بن أبي الفوارس وأبو نعيم الأصبهاني وعبيد الله الأزهري وعبد العزيز الأزجي وغيرهم.
قال الخطيب: حدثني أبو حامد الدّلوي قال: لما رجع ابن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، لم ير في سوق ولا رؤي مفطراً إلا في عيد، وكان أمّارا بالمعروف، لم يبلغه خبر منكر إلا غيّره.
قال الذهبي: لابن بطة مع فضله أوهامٌ وغلط.
توفي سنة سبع وثمانين وثلاث مئة.
تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١- ٣٧٥)، طبقات الحنابلة (٢/ ١١٤- ١٥٣)، السير (١٦/ ٥٢٩- ٥٣٣).

الحفاظ على نقل زيادة باطلة أو ضعيفة، والذي حكاه أحمد عن الثوري أنه وقفها، لا يدل على ضعفها لأنه لا يجوز أن لا تقع له هذه الزيادة، وتقع لغيره، ومثل هذا لا ترد به الأخبار.

٧٨- وعلى أن أبا القسم عبد الرحمن بن منده روى عن حمدان بن علي قال سمعت أحمد يقول وسأله رجل عن الحديث الذي رُوي عن النبي ﷺ «**إن الله خلق آدم على صورته**» على صورة آدم، فقال أحمد: فأين الذي يُروى عن النبي ﷺ «**إن الله خلق آدم على صورة الرحمن**»، وهذا من أحمد دليل على صحته.

فإن قيل: لا يجوز أن تكون هذه الزيادة صحيحة، لأنه لا يجوز هذا في اللغة لأن ما تقدم ذكره بالاسم الظاهر، فإنه إذا أعيد ذكره كني عنه بالهاء من غير إعادة اسمه الظاهر، كقولك: زيد ضرب عبده، ولا يقال: زيد ضرب عبد زيد، والمراد بزيد الثاني[1] الأول، وإذا لم يكن سائغاً من جهة اللغة، لم يكن للاستعمال له وجه.

قيل: هذا غلط، لأنه قد يصح ذلك في العربية، وقد ورد بذلك القرآن وأشعار العرب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] ولم يقل إلينا أو إليه، وكان يجب على ما قالوه أن يقول (إلينا) لئلا يعيد الاسم الأول، لأن النون هي اسم الرحمن، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الفرقان: ١٧] ولم يقل (إلينا) أو إليه، وكان يجب على ما قالوه أن يقول إلينا لئلا يعيد الاسم الأول، لأن النون هي اسم الرحمن، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[2] وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ

(١) في الأصل: المراد بزيد بالثاني، ولا يستقيم.
(٢) في الأصل: نحشرهم وهو خطأ.

﴿ٱللَّهِ﴾ [الفرقان: ١٧] ولم يقل: وما يعبدون من دوننا، وقال تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [النحل: ٧٤] ولم يقل أنه يعلم، وقال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ٢٥] ولم يقل الحمد لله، وقال الشاعر وهو عدي بن زيد(١):

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ نغَّص الموتُ ذا الغني والفقر

فأعاد ذكر الموت بلفظه، ولم يكنِّ عنه بالهاء، ولم يقل لا أرى الموت يسبقه شيء، وقال المتلمس(٢):

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لِنَابيه الشجاع لصمما

فأعاد ذكر الشجاع بلفظه.

فإن قيل: فالهاء ترجع على الله على وجهه، وهو قوله على «صورة الرحمن» بمعنى على صفاته، فيكون معنى الصورة معنى الصفة، كما يقال عرّفني صورة هذا الأمر، أي صفته، وذلك أن الله تعالى حي، عالم، قادر، سميع، بصير متكلم مريد، خلق آدم على صفته، مما هي صفات الله تعالى حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً متكلماً مختاراً مريداً، فميَّزه من الجماد ومن البهائم، وميزه من الملائكة بأن قدَّمه عليهم وأسجدهم له.

ويبين صحة هذا قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] فعطف الصورة على خلق البُنية(٣).

---

(١) عدي بن زيد بن حمار بن زيد يكنى أبا عمير، نصراني عبادي، سكن الحيرة فلان لسانه وسهل منطقه، وكان كاتباً لكسرى (معجم الشعراء (ص٢٤٩- ٢٥٠) للمرزباني).

(٢) هو جرير بن عبد المسيح الضبعي، من ربيعة بن نزار. (المؤتلف والمختلف للحسن بن بشر الآمدي ص ٧١).

(٣) ذكره الحافظ في الفتح (١١/ ٣).

قيل: حمله على هذا يُسقط فائدة التخصيص بآدم، لأن جميع ولد آدم بهذه الصفات، لهم حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام وإرادة، وكذلك الملائكة لهم هذه الصفات.

فأما قوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ فيحتمل أن يكون معناه خلقناكم فصورناكم، كما قال تعالى في السورة التي يذكر فيها المؤمن ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. وقال تعالى في السورة التي يذكر فيها التغابن ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣] يبين صحة هذا أن هذه الصفات ليست غير ذاته.

فإن قيل: قوله «على صورة الرحمن» معناه: على مصور الرحمن، كما يقال هذه الدار صورةُ فلانٌ البنَّاء، معناه: مصوره، فسمى الصورة باسم صورته.

قيل: هذا غلط، لأنه يُسقط فائدة التخصيص بآدم، لأن جميع الخلق على مصور الرحمن.

فإن قيل: معنى قوله «على صورة الرحمن» أن أسجد له ملائكته، كما أسجدهم لنفسه قيل: لا يصح هذا من وجوه: أحدها أن في رواية ابن شاهين «فإن الله خلق وجه آدم على صورته».

الثاني: أن الصورة عبارة عما اختصت الذات، ولهذا قال تعالى ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ والسجود له يرجع إلى المرتبة والرفعة فلا يوصف بالصورة، ولهذا يقال: رأيت الأمير في مرتبةٍ حسنة، إذا رآه وقد سجد له جنده، ويقول: رأيته في صورة حسنة، يريد بذلك معنى يرجع إلى ذاته في اللون والقد ونحوه.

الثالث: أن سجود الملائكة له يقتضي اختصاصه بمزية، وذلك لا يوجب المشاركة

في تسمية الصورة، كما لم يوجب ذلك في حق عيسى مع اختصاصه بإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وهذا يدل على أن هذه تسميةٌ شرعيةٌ، لا يعقل معناها.

وقد قال أحمد في رواية المروذي: أما الأعمش فيقول عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر عن النبي ﷺ **«إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»** فنقول كما جاء الحديث.

٧٩- وقد ذكر أبو إسحاق بن شاقلا[١] في جملة ما جرى له في مناظرته لأبي سليمان الدمشقي على قول النبي ﷺ **«خلق آدم على صورته»** وأن الهاء غير راجعة على آدم، فقال أبو سليمان قد جاء في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ **«أن الله خلق آدم على صورة آدم»**، فقال أبو إسحاق: هذا كذب على رسول الله، فقال الدمشقي: بلى قد جاء في الحديث «طوله ستون ذراعاً» فعلمت أنه آدم، فقال له أبو إسحاق: قد روى هذا وليس هو الذي ادعيت على رسول الله ﷺ لأنك قلت عن النبي ﷺ **«إن الله خلق آدم على صورة آدم»** ثم قال أبو إسحق: إن كانت هذه الزيادة محفوظة كان قوله **«خلق آدم على صورته»** تمَّ الكلام، ثم قال **«طوله**

---

(١) هو شيخ الحنابلة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البغدادي البزاز، كان رأساً في الأصول والفروع.
سمع من: دعلج السجزي وأبي بكر الشافعي وتفقه بأبي بكر غلام الخلال، وتخرج به أئمة.
مات سنة تسع وستين وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (٦/ ١٧)، طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٨- ١٣٩)، السير (١٦/ ٢٩٢)).
والحكاية ذكرها ابن المصنف في «طبقات الحنابلة» فقال: قرأت بخط الوالد السعيد قال: نقلت من خط أبي بكر بن شاقلا قال: أخبرنا أبو إسحاق بن شاقلا- قراءة عليه- قال: قلت لأبي سليمان الدمشقي... فذكر مناظرة طويلة، منها ما ذكره المصنف هنا، وهي موجودة في الطبقات بأبسط من هذا السياق.

ستون ذراعاً»[1] إخباراً عن آدم، بدلالة ما روى جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطا عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ **«لا تقبحوا الوجوه، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن»**. قال أبو إسحق هذا الحديث يذكر إسحق بن راهوية أنه صحيح مرفوع. وأما أحمد فذكر أن الثوري وقفه على ابن عمر، وكلاهما حجة، لأنه إن كان مرفوعاً فقد سقط العذر، وإن كان من قول ابن عمر فهو أولى.

٨٠- ورأيت في أخبار أبي الحسن بن بشار الشيخ الزاهد[2] رواية أبي حفص عمر بن أحمد بن إبراهيم البرمكي[3] عن أبيه قال: كنت أسمع الشيخ إذا دعا يقول في دعائه: اللهم صلِّ على أبينا آدم، الذي خلقته بيدك، وأنحلته صورتك، وأسجدت له ملائكتك، وزوجته حواء أمتك، فسبق عليه قضاؤك وقدرك فأكل من الشجرة وأهبطته إلى أرضك.

وهذا من أبي الحسن استنباط من لفظ الخبر وناهيك بأبي الحسن من زاهد وعالم.

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥) والبخاري (٦/ ٣٦٢) (١١/ ٣) ومسلم (٤/ ٢١٨٣- ٢١٨٤) كلهم عن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: **«خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفرٌ من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذُرِّيَّتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، قال: فزادوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن»**.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) هو عمر بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو حفص البرمكي سمع من أحمد بن عثمان الأدمي وإسماعيل بن علي الحطبي ونحوهما.

قال الخطيب: حدثنا عنه ابنه علي، وكان ثقة صالحاً ديناً، سألت إبراهيم بن عمر البرمكي عن وفاة أبيه فقال: في جمادي الأولى من سنة تسع وثمانين وثلاث مئة.

(تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٨- ٢٦٩).

[حديث آخر في الصورة]

٨١- أخبرناه أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن جعفر البغدادي الزاهد قال نا أحمد بن جعفر بن حمدان قال نا أبو العباس البراثي[1] قال نا عثمان بن أبي شيبة قال نا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ **«لا تُقبِّحوا الوجه فإنَّ ابن آدم خُلق على صورة الرحمن»**[2].

٨٢- وأنا الحسين ابن أحمد قال نا أحمد بن جعفر قال نا أبو علي بشر بن موسى ابن صالح الأسدي قال نا أبو زكريا يحيى بن إسحاق قال نا ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **«إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإنَّ وجه بن آدم على صورة الرحمن»**[3].

---

(١) وقع في الأصل: البراتي، والتصويب من اللباب وتاريخ بغداد.

(٢) تقدم الكلام عليه برقم (٦٣) في الفصل السابق.

وشيخ المصنف هو المعروف بابن البغدادي، قال الخيطب: سمع أبا عبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم البغوي وطبقته وحدث بشيء يسير، كتب عنه صاحبنا أبو يعلى محمد بن الحسن بن العباس الكرخي، وكان صدوقاً دينًا عابداً زاهداً ورعاً. (تاريخ بغداد (٨/ ١٥).

وأبي العباس البراثي هو أحمد بن محمد بن خالد بن يزيد، سمع علي بن الجعد وعبد الله ابن عون الخزاز وكامل بن طلحة وغيرهم، روى عنه محمد بن مخلد وإسماعيل بن علي الخطبي ومحمد بن عمر بن الجعابي وغيرهم.

قال الدارقطني: ثقة مأمون.

مات سنة اثنتين وثلاث مئة.

(تاريخ بغداد (٥/ ٣)).

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم (١/ ٢٣٠) عن ابن لهيعة عن أبي يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة مرفوعاً به ولفظه «من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن».

ورجاله ثقات، سوى ابن لهيعة فإنه ساء حفظه بعد احتراق كتبه.

٨٣- ورواه أبو بكر الخلال والدارقطني بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن**»(١).

٨٤- ورواه ابن بطة بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن صورة الإنسان على وجه الرحمن**».

٨٥- وذكر إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي في كتاب العظمة بإسناده: عن ابن عباس قال: غضب موسى على قومه في بعض ما كانوا يسألونه، فلما نزل الحجر قال: اشربوا يا حمير، فأوحى الله إليه: تعمد إلى عبيدٍ من عبيدي، خلقتهم على مثل صورتي، فتقول: اشربوا يا حمير، قال: فما برح حتى أصابته عقوبة(٢).

اعلم أنه يجب أن يحمل قوله فإن ابن آدم، وإن وجه ابن آدم خلق على صورة الرحمن، المراد به: آدم، فحذف المضاف وهو آدم وأقام المضاف إليه وهو ابن آدم مقامه، وقد جاء القرآن بهذا، قال تعالى في سورة الكهف ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الكهف: ٣٧]

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٤٩) عن ابن لهيعة عن الأعرف عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظه السابق وأوله «إذا ضرب أحدكم ليجتنب...».

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» (٣٤٩) قال حدثنا سعيد بن سليمان عن أبي حفص الأبار عن الأعمش عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن موسى عليه السلام كان في نفر من بني إسرائيل فقال: اشربوا يا حمير! فأوحى الله إليه: تقول لخلق من خلقي خلقتهم: اشربوا يا حميرا! وذكره ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص١٥٠).
وفيه حكيم بن جبير الأسدي الكوفي، ضعيف رمي بالتشييع.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٧٦) إلى ابن أبي شيبة عن مجاهد.

وتقديره: خلق أباك آدم من تراب، ثم أنشأك من نطقة. وكذلك قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥] وتقديره: خلق أباكم آدم من تراب، ثم أنشأكم من نطفة، هكذا ذكره أبو بكر من أصحابنا في تفسيره[١].

وقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣][٢]. وتقديره: أخذ ربك من ظهر آدم الذرية، وأضاف ذلك إلى بنيه، يدل عليه ما رواه أبو بكر في كتاب التفسير بإسناده: عن عمر بن الخطاب أنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خَلَق آدم ثم مَسَح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء إلى الجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت**

---

(١) هو الحافظ المجود العلامة محدث أصبهان، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني، صاحب «التفسير الكبير» (في سبع مجلدات)، و«التاريخ» و«الأمالي» الثلاث مئة مجلس وغير ذلك.
روى عن أبي سهل بن زياد القطان، وميمون بن إسحاق وعبد الله بن إسحاق الخراساني وإسماعيل بن علي الخطبي وأبي أحمد العسال والطبراني وخلق.
حدث عنه: أبو بكر محمد بن إبراهيم المستملي العطار وعبد الوهاب وعبد الرحمن ابنا الحافظ ابن منده.
قال الذهبي: كان من فرسان الحديث فهما يقظا متقناً، كثير الحديث جداً، ومن نظر في تواليفه، عرف محله من الحفظ، ومن تصانيفه «المسخرج على صحيح البخاري».
(تاريخ أصبهاني (١/ ١٦٨)، طبقات المفسرين للداوودي (١/٩٣- ٩٤)، السير (١٧/ ٣٠٨- ٣١١).

(٢) في الأصل: «ذرياتهم» على الجمع، وهي قراءة البصريان وابن عامر. (النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٧٧)).

هؤلاء إلى النار، وبعملِ أهل النارِ يعملون»[1] وذكر الخبر .

(١) صحيح لشواهده، أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٨- ٨٩٩) وأحمد في مسنده (١/ ٤٤-٤٥) والبخاري في التاريخ (٨/ ٩٧)، وأبو داود (٥/ ٧٩)، والترمذي (٥/ ٢٦٦)، وابن جرير في تفسيره (٩/ ٧٧) وابن حبان في صحيحة (٨/ ١٤)، والآجري في الشريعة (ص١٧٠) والحاكم (١/ ٢٧) (٢/ ٥٤٤) والبيهقي في الأسماء (ص٣٢٥) كلهم عن مالك بن أنس عن زيد ابن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية... فذكره، وله بقية حذفها المصنف اختصاراً.
قال الترمذي: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلًا مجهولًا. اهـ
وقال الذهبي متعقباً تصحيح الحاكم: فيه ارسال، وكذا قال البيهقي.
قلت: وأما الترمذي فيشير إلى ما أخرجه أبو داود (٥/ ٨٠) وابن جرير في تفسيره (٩/ ٧٧- ٧٨) عن بقية عن عمرو بن جعثم القرشي حدثني زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد ابن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر به.
ونعيم هو الأزدي لم يوثقه إلا ابن حبان كعادته في توثيق المجهولين.
قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٣): الظاهر أن الإمام مالكاً إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث، ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات، ويقطع كثيراً من الموصلات، والله أعلم.
لكن للحديث شواهد كثيرة عن عدة من الصحابة والتابعين، منها:
١- حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه :
أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٠) (٧/ ٤١٧) وأحمد (٤/ ١٨٦) وابن حبان (١٨٠٦- موارد) والحاكم (١/ ٣١- ٣٢) عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة وكان من أصحاب النبي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: خلق الله آدم ثم خلق الخلق من ظهره ثم قال: هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي، قال فقيل: يا رسول الله! فعلى ماذا نعمل؟ قال: «على موافقة القدر».
قال الحاكم: حديث صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة، وعبد الرحمن بن قتادة من بني سلمة من الصحابة، ووافقه الذهبي.
قلت: بل سنده حسن فقط، لأجل معاوية بن صالح وهو الحضرمي صدوق له أوهام كما =

....

= في التقريب، وقول الحاكم: قد اتفقا على الاحتجاج برواته ير دقيق! فإن معاوية بن صالح لم يخرج له البخاري في الصحيح، وإنما خرج له في «جزء القراءة»، وراشد بن سعد وهو المقرئي ثقة، روى له البخاري في «الأدب المفرد» وليس من رجال مسلم!
وعبد الرحمن بن قتادة السلمي ذكره ابن أبي حاتم في كتابه (٥/ ٢٧٦) وذكر حديثه هذا مصرحاً بسماعه من النبي ﷺ وقال: روى عن هشام بن حكيم، روى عنه راشد بن سعد.
قلت: إنما روى عن أبيه عن هشام بن حكيم هذا الحديث، أخرجه البزار (٣/ ٢٠- زوائد) وابن جرير في تفسيره (٩/ ٩١- ٨٢) والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٦) عن الزبيدي محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم قال أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ايبتدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فذكر نحو الحديث السابق.
قلت: قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٤١) بعد ذكره لهذه الرواية: وقال معاوية مرة: عبد الرحمن بن قتادة سمعت النبي ﷺ وهو خطأ.
وقال ابن السكن- كما في الإصابة (٢/ ٤١٨-: الحديث مضطرب!
فردّه الحافظ بقوله: ويكفي في إثبات صحبته الرواية التي شهد له التابعي بأنه من الصحابة فلا يضرب بعد ذلك إن كان سمع حديث من النبي ﷺ أو بينهما واسطة.
٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما:
أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢) وابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٧٥) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٩) والنسائي في التفسير من «الكبرى»- كما في التحفة (٤/ ٤٤٠)- والحاكم (١/ ٢٧- ٢٨) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٦- ٣٢٧) عن الحسين بن محمد المروذي عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم عليه السلام «بنعمان»- يعني بعرفة- فلما أخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلًا فقال: (ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة) إلى قوله (بما فعل المبطلون).
قال النسائي: كلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ.
وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر، ووافقه الذهبي.
قلت: قد وثقة أحمد وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: صدوق يخطئ. =

فقد فسَّر النبي ﷺ أن الأخذ كان من ظهر آدم، وإنْ كانت الإضافة إلى بنيه. فإن قيل: فلم أضاف الفعل إلى بنيه والفعل كان واقعاً فيه.

قيل: لأن الفعل كان واقعاً عليه وعلى بنيه، لأنه استخرج كل ذرية، تخلق إلى يوم القيامة من ظهره ومن ظهر ذريته فيجوز أن تكون الإضافة حصلت إليهم، لأنهم الأكثر.

= قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٢) عقب ذكر كلام الحاكم:
هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه، وكذا رواه إسماعيل ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه، وكذا رواه عطاء ابن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت، والله أعلم اهـ.
قلت: وروايته موقوفاً لا يضر إن شاء الله، فالحديث له شواهد كثيرة مرفوعة، ثم هو مما لا يقال بالرأي.
وهذا ما اختاره العلامتان أحمد شاكر رحمه الله في عمدة التفسير (٥/ ٢٤٣) والمسند (٢٤٥٥) والألباني حفظه الله في الصحيحة (١٦٢٣).
٣- حديث أنس رضي الله عنه:
أخرجه أحمد (٣/ ١٢٧- ١٢٩) والبخاري (٦/ ٣٦٣) (١١/ ٤١٦) ومسلم (٤/ ٢١٦٠- ٢١٦١) وغيرهم عن شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك - (أحسبه قال)- ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك**».
ورواه البخاري (١١/ ٤٠٠) ومسلم (٤/ ٢١٦١) عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بنحوه دون ذكر: صلب آدم.
٤، ٥، ٦- حديث عبد الله بن سلام وأبي الدرداء وحديث رجل من أصحاب النبي ﷺ وسيأتي تخريجها والكلام عليها في الكلام على صفة «القبض».
فالحديث يصح بهذه الطرق التي ذكرناها، وله طرق أخرى انظرها في: تفسير ابن جرير (٩/ ٧٥- ٨١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٣٢٦- ٣٢٨) وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٦١- ٢٦٤) و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٩٨- ٦٠٧) و«الصحيحة» للألباني (٤٨، ٤٩، ١٦٢٣).

ومثل هذا قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ يعني آدم وحواء ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ يعني لما ولد لهما ولد سمَّوه عبد الحارث الذي هو إبليس[(١)] فقال سبحانه ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] يعني إضافتهم الولد إلى عبد الحارث، وحصلت الكناية عنهم بلفظ الجمع، لأنها لو رجعت إليهما لكانت بلفظ التثنية، فيقول: فتعالى عما يشركان.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] والمراد بذلك آدم[(٢)].

وقد ذكر ابن قتيبة هذا في مختلف الحديث أن معنى قول ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ المراد به خلقنا آدم.

فإن قيل: إذا حملتم الكلام على آدم، كان ذلك تأويلاً للخبر، وقد منعتم من التأويل.

قيل: ليس هذا بتأويل، وإنما هو بيان أن هناك محذوف مقدَّر يشهد لظاهر القرآن ونحن لا نمنع من ذلك، وهذه طريقة صحيحة، ويكون لآدم مزية بالذكر على ذريته.

---

(١) روى في ذلك حديث مرفوع ضعيف، أخرجه أحمد (٥/ ١١) والترمذي (٥/ ٢٦٧) وابن جرير في تفسيره (٩/ ٩٩) والحاكم (٢/ ٥٤٥) عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «**لما حملت حوّاء طاف بها إبليس- وكان لا يعيش لها ولد- فقال: سمِّيه عبد الحارث، فسمَّته عبد الحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**».

وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٦٢٣) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردوية.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه، عمر بن إبراهيم شيخ بصري اهـ.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي!

كذا قالا! وفيه عمر بن إبراهيم وهو العبدي أبو حفص، قال أحمد: وهو يروي عن قتادة أحاديث مناكير يخالف، وقال ابن عدي: يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب (التهذيب ٧/ ٤٢٦).

(٢) واختاره ابن جرير (٨/ ٩٥) بدليل قوله تعالى بعدها ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم....﴾.

[حديث آخر في الصورة]

٨٦- رواه أبو بكر الخلال[(١)] بإسناده في سننه فقال: أنا العباس بن محمد الدوري قال نا أبو داود المباركي قال نا حماد بن دليل عن سفيان بن سعيد عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عبد الرحمن بن سابط. قال حماد بن دليل حدثني الحسن بن حي عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ قال: «**لما كانت ليلة أسري بي رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال قلت: لا أدري، فوضع يده حتى وجدت فذكر كلمة ذهبت عني. ثم قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ وذكر الخبر**»[(٢)].

اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصولٍ: أحدها: في إثبات ليلة الإسراء وصحتها.

---

(١) هو الشيخ الثقة الرئيس أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الطائي الدمشقي الداراني القطان، ويعرف بابن الخلال، حدث عن خيثمة الإطرابلسي وأبي ميمون بن راشد، وأبي الحسن بن حذلم وإسحاق بن إبراهيم الأذرعي وجماعة. روى عنه: علي بن محمد الحنائي وأخوه إبراهيم، وأبو علي الأهوازي وأبو سعد السّمان والقاضي أبو يعلى بن الفراء وغيرهم. قال الكتاني: توفي شيخنا أبو بكر القطان في سنة ست عشرة وأربع مئة.
قال: وكان ثقة نبيلاً.
السير (١٧/ ٣٩٩)، الوافي بالوفيات (٣/ ٢٣٠).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الخطيب في تاريخه (٨/ ١٥١- ١٥٢).
وفيه عبد الرحمن بن سابط وهو الجمحي المكي، ثقة كثير الإرسال، وفي سماعه من أبي ثعلبة الخشني نظر، فقد قيل إنه لم يسمع منه. التهذيب (٦/ ١٨٠)، وانظر الإصابة (٣/ ١٤٨- ١٤٩).
والحديث له طرق أخرى يصح بها، وسأل الترمذي البخاري عنه فقال: هذا حديث حسن صحيح، (راجع التعليق على الوصية الكبرى بتحقيقنا (٢٢)).

الثاني: في إثبات رؤيته لله تعالى في تلك الليلة.

الثالث: في وضع الكف بين كتفيه.

الرابع: في إطلاق تسمية الصورة عليه.

الخامس: قوله لا أدري لمَّا سأله فيم يختصم الملأ الأعلى.

أما الأول، فهو أن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ومن بيت المقدس إلى السموات صحيح، وأنه كان يقظة، وقد نص أحمد على هذا في رواية المروذي، وحكي له عن موسى بن عقبة أنه قال: إن أحاديث الإسراء منام، فقال: هذا كلام الجهمية، وجمع أحاديث الإسراء فأعطانيها وقال: منام الأنبياء وحَيٌ.

٨٧- **وقال يعقوب بن بختان سألت أبا عبد الله عن المعراج فقال:** رؤيا الأنبياء وحي. فقد أثبت ليلة الإسراء، وأنكر قول من قال إنها منام، وقوله: رؤيا الأنبياء وحي، معناه: أنها لو كانت مناماً لكانت وحياً، لأنهم[1] أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام[2].

والدلالة على صحته وإثباتها وجوه أحدها: قوله تعالى﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وهذا يدل على ثبوت الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويدل على ثبوته إلى السماء قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [النجم: ٧]. فإن قيل: المراد به جبريل قيل: بل المراد به النبي ﷺ لأنه تقدم ذكر النبي ﷺ لأنه تقدم ذكر النبي ﷺ وذكر جبريل بقوله ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا

---

(١) كتبت في الأصل: لأهم وفوقها: ن أي: لأن.

(٢) يشير إلى الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ عندما سألته عائشة ﵂: «**يا رسول الله! تنام قبل أن توتر؟ قال: تنام عيني ولا ينام قلبي**». أخرجه أحمد (٦/ ٣٦، ٧٣، ١٠٤) والبخاري (٣/ ٣٣) (٤/ ٢٥١) (٦/ ٥٧٩) ومسلم (١/ ٥٠٩). وفي الباب عن أنس وأبي هريرة وأبي بكرة.

يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٢-٤] هذا كله كناية عن النبي ﷺ وقوله بعده ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥-٦] المراد به جبريل وقوله ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ يعني النبي ﷺ استوى على الشريعة، ثم قال بعد ذلك ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ٧] فعادت الكناية إلى أقرب المذكور وهو النبي ﷺ(١).

ومنها دليل آخر قوله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣] يعني مرة أخرى ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٤-١٥] والمراد به نبينا فأخبر أن رؤيته كانت عند سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة.

---

(١) قال ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٢٦): وقوله ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾، يقول: فاستوى هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى، وذلك لما أسري برسول الله ﷺ، استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله ﴿وَهُوَ﴾ على ما في قوله ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ من ذكر محمد ﷺ اهـ.
قال هذا بعد أن ذكر القول الأول في تفسيرها، وهو أن معنى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ أي جبريل عليه السلام ذو خلقةٍ سليمة من الآفات والعاهات، سَويَّة صحيحة. اهـ
وضعَّف ابن كثير قول ابن جرير الثاني فقال في تفسيره (٤/ ٢٤٧): وقد قال ابن جرير ههنا قولا لم أره لغيره، ولا حكاه هو عن أحد، وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوي ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى، أي استويا جميعاً بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء، كذا قال، ولم يوافقه أحد على ذلك ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية فقال: وهو كقوله ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ فعطف الآباء على المكنى في «كُنا» من غير إظهار «نحن» فكذلك قوله ﴿فاستوى وهو﴾ قال: وذكر الفراء عن بعض العرب أنشده:

ألم تر أن النبع يصلب عوده ... ولا يستوي والخروع المتقصف

ثم قال ابن كثير: وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، ولكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمئة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزله أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الإسراء. اهـ
واختار هذا التفسير ابن القيم كما في «التفسير القيم» (ص٤٥٣).
وما نقله ابن جرير هو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩٥)، واختاره أيضاً البغوي في تفسيره المطبوع بهامش الخازن (٦/ ٢٥٦). =

فإن قيل: المراد به رؤية جبريل لربه، قيل: لا يصح لوجهين: أحدهما أنه قد تقدم ذكرهما وأقرب المذكور النبي ﷺ، لأنه قال تعالى ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم:١٠-١١] والمراد به النبي ﷺ لأن الوحي كان إليه، ثم قال بعده ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]. والثاني قوله ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [النجم: ١٢] والمماراة إنما كانت بين قريش وبين النبي ﷺ ولم تكن بينها وبين جبريل.

فإن قيل: يحتمل أن يكون جبريل عند السدرة والنبي ﷺ في الأرض خرقت له الحجب. قيل: لو كان كذلك لنقل ذلك لأنه من أعظم المعجزات.

٨٨- **الدليل الثاني**: أن في حديث أبي هريرة فيما خرجه أبو عبد الله بن بطة

قال: لما رجع النبي ليلة أسري به بلغ ذا طوى، فشدَّد بنو عبد المطلب يلتمسونه، قال: فصرخ به العباس فأجابه قال: لبيك، قال: أين كنت ابن أخي الليلة؟ قال: أتيت بيت المقدس، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل إنَّ قومي لا يصدقوني، قال: يصدقك أبو بكر الصديق(١) وهذا صريح في نقل جسمه من موضعه(٢).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره (١٥/ ١٣- ١٤): والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حتى أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات.

ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان ذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلًا على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقة فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة ألف سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟! =

٨٩- **الثالث**: ما روى أبو بكر الخلال وغيره: عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين أُريها ليلة أُسري به[١].

فقد أثبت ابن عباس الإسراء والرؤية.

الرابع: أنه جعل ذلك حسرةً على الكافرين فقال ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] يعني أهل مكة، وذلك أنه كان قد جعل المطعم بن عدي حوضاً يسقي عليه فأمر بهدمه، وقال: والله لا أسقي عليه، حسداً لرسول الله ﷺ إذ حدَّث بما رآه من كرامة الله، وهذا لا يكون بالمنام، لأنهم يقولون يجوز أن يكون هذا من أحلام المنامات.

الخامس: أن أول فروض الخمس فرضت في تلك الليلة، وذلك أنه كان يصلي بمكة صلاتين أول النهار ركعتين، وآخره ركعتين إلى ليلة الإسراء، ففرض عليه خمسون صلاة، وفرض عليه غسل الجنابة سبع مرار، والغسل من البول سبع مرار، فما زال به موسى وربه حتى انتهت إلى خمس، وغسل الجنابة والبول مرة واحدة[٢]،

= وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائز لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره.

ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولةً على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام اهـ باختصار.

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٠٢- ٢٠٣) (٨/ ٣٩٨) (١١/ ٥٠٤) والترمذي (٥/ ٣٠٢) عن سفيان حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وتمامه: إلى بيت المقدس، قال: (والشجرة الملعونة في القرآن) قال: هي شجرة الزقوم.

(٢) موقوف ضعيف، أخرجه أبو داود (١/ ١٧١) وعنه البيهقي (١/ ١٧٩) عن قتيبة بن سعيد حدثنا أيوب بن جابر عن عبد الله بن عُصم عن عبد الله بن عمر قال: «كانت الصلاة خمسين، =

فنسخ الثاني الأول، ولا يجوز أن ينسخ منام ليقظة.

السادس: لو كان مناماً لم ينكره المشركون، ولا كان معجزاً، ولا طلبوا منه دليلًا على قوله، بما قد عرفوه من الطريق والمسجد وصفته، لأن الذي يرى في المنام، لا يطالب بجميع ما يكون في ذلك البلد الذي رأى نفسه فيه، ولا يُنكر عليه رؤيته لأن كل أحدٍ يرى أعظم من هذا، فلما أنكروا عليه، عُلم أنه إنما قال لهم ذلك في اليقظة، وهذا جوابٌ جيد.

٩٠- وقد روى أبو حفص بن شاهين في كتاب السنة بإسناده: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما كان ليلة أُسري بي أصبحتُ بمكة فضقتُ بأمري، وعرفت أن الناس تنكرُني، قال: فقعد رسول الله ﷺ معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: نعم إني أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا، قال: نعم قال فلم يره أن يحدثه**[1] **مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه، فقال: أتحدث قومك ما حدثتني إن دعوتهم إليك؟ قال: نعم، قال: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا قال فجاؤا حتى جلسوا إليهما فقال حدِّث قومك بما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ إنه أسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فمن بين**

= والغسل من الجنابة سبع مرار، وغسل البول من الثوب سبع مرار، فلم يزل رسول الله ﷺ يسأل حتى جُعلت الصلاة خمساً، والغسل من الجنابة مرة، وغسل البول من الثوب مرة».
وفيه أيوب بن جابر أبو سليمان اليمامي ضعيف.

(١) كذا وفي المسند وغيره: فلم يره أنه يكذبه.

مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، فقالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، قال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعتُ لهم فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه، حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، فنعتُهُ وأنا أنظر إليه، فقال القوم: أما النعت فوالله قد أصاب»[1].

٩١- **السابع**: ما رواه ابن شاهين بإسناده: عن أنسٍ: «أن النبي ﷺ أُتي بالبُراق ليلة أُسري به، مُسرجاً ملجماً ليركبه، فاستصعب عليه، فقال جبريل: ما يحملك على هذا؟ فوالله ما ركبك أحدٌ قط أكرم على الله من محمد؟! قال: «فأرفض عرقاً»[2].

ولو كان هذا مناماً لقال أنس: رأي النبي في المنام كأنه أُتي بالبُراق، ولم

---

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٦١- ٤٦٢) وأحمد في مسنده (١/ ٣٠٩) والنسائي في الكبرى - كما في التحفة ٤/ ٣٨٩- والبزار (١/ ٥٦- زوائد) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٦٧- ١٦٨) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٦٣- ٣٦٤) من طرق عن عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس مرفوعاً به.
قال الهيثمي في المجمع (١/ ٦٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد الصحيح.
قلت: وإسناده صحيح، رجاله ثقات، زرارة أثبت أبو حاتم سماعه من ابن عباس.
وحسَّن الحافظ إسناده في الفتح (٧/ ١٩٩) فقصر.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٢٢٢) إلى ابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل والضياء في «المختارة» وابن عساكر، وصححه.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٣/ ١٦٤) والترمذي (٥/ ٣٠١) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٦٢- ٣٦٣) عن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس به.
قلت: وإسناده صحيح على شرط مسلم.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٢١٠) إلى عبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

يذكر ذلك مطلقاً.

الثامن: أنه لو كان مناماً فهو في حكم اليقظة، لأن رؤيا الأنبياء وحي، على ما قال أحمد، والوجه فيه رؤيا إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه، فكان ذلك أمراً من الله بقوله (افعل ما تؤمر).

٩٢- وروى ابن منده بإسناده: عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت رؤيا الأنبياء وحي[١].

٩٣- وبإسناده: عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ ما رأى في نومه وفي يقظته فهو حق[٢].

* * *

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٠٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وليس فيه كلمة «كانت».

(٢) لم أقف عليه.

الفصل الثاني

(في رؤية الله تعالى)

الفصل الثاني

في إثبات رؤيته لله سبحانه في تلك الليلة

٩١- وقد اختلفت الرواية عن أحمد في ذلك: فروى أبو بكر المروذي قال: قلت لأبي عبد الله: إن قوماً يقولون إن عائشة قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية(١). فبأي شيء تدفع قول عائشة؟ قال: بقول النبي ﷺ «رأيت ربي» وقول النبي ﷺ أكبر من قولها.

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٥٩) والترمذي (٥/ ٢٦٢- ٢٦٣) وابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٣٠) عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة: ثلاثٌ من تكلم بواحدةٍ منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أولُ هذه الأمةِ سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: **«إنما هو جبريل، لم أرهُ على صُورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادًا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].
وفي البخاري (٨/ ٦١٠) ومسلم (!/ ١٥٨) سألت زرَّ بن حبيش عن قول الله عزَّ وجل ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩]، قال: أخبرني عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح»، وفي مسلم أنه فسّر قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ وقوله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ بأنه جبريل، وفيه أيضاً أن أبا هريرة فسّر ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ بأنه جبريل.
فهذا هو الصواب في هذه المسألة، والمصنف قد أخطأ في قوله إن النبي ﷺ رأى ربه عياناً. وانظر كلام ابن تيمية عن هذا في المقدمة.

٩٢- وقيل له: إنَّ رجلًا يقول: أنا أقول أن الله يُرى في الآخرة، ولا أقول إن محمداً رأى ربه في الدنيا، فقال: هذا أهل أن يجفى، ما اعتراضه في هذا الموضوع؟ يُسَلِّم الخبر كما جاء. وظاهر هذا من كلامه إثبات الرؤية في ليلة المعراج، وهذه الرواية اختيار أبي بكر النجاد، وأنا أحكي كلامه في آخر الفصل.

٩٣- ونقل حنبل قال: قلت لأبي عبد الله النبي ﷺ رأى ربه؟ قال: رؤيا حلم رآه بقلبه. وهذا يقتضي نفي الرؤية في تلك الليلة؟

٩٤- ونقل الأثرم: عن أحمد أنه حكى له قول رجل يقول: رآه ولا أقول بعينه ولا بقلبه، فقال أبو عبد الله: هذا حسن[١].

وظاهر هذا إطلاق الرؤية من غير تفسير بعين أو قلب، والرواية الأولى أصح، وأنه رآه في تلك الليلة بعينيه.

وهذه المسألة وقعت في عصر الصحابة، وكان ابن عباس وأنس وغيرهما يثبتون رؤيته في ليلة المعراج، وكانت عائشة تُنكر رؤيته بعينه في تلك الليلة، والدلالة على إثبات رؤيته قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الشورى: ٥١] فوجه الدلالة أنه تعالى قسم تكليمه لخلقه على ثلاثة أوجه: أحدها: بإنفاذ الرسل، وهو كلامه لسائر الأنبياء والمكلفين. والثاني: من وراء حجاب هو تكليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا الكلام بلا واسطة، لأنه لو كان بواسطة دخل تحت القسم الذي ذكرنا، وهو إنفاذ الرسل.

(١) في طبقات الحنابلة (١/ ١٤٥): قال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة، فقد كفر بالله وكذَّب بالقرآن، وردَّ على الله أمره، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل، والله تعالى لا يُرى في الدنيا، ويُرى في الآخرة.

الثالث: من غير رسولٍ ولا حجابٍ، وهو كلامه لنبينا في ليلة الإسراء إذ لو كان من وراء حجاب أو كان رسولاً، دخل تحت القسمين، ولم يكن للتقسيم فائدة، فتثبت أنه كان كلامه له عن رؤية.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠] أي كلمة بما كلمه بلا واسطة ولا ترجمان[(١)] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١] فالظاهر يقتضي أن النبي ﷺ لما رأى الله بعيني رأسه ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لم يكذب فؤاده ما رآه بعيني رأسه.

٩٥- ويدل عليه: ما حدثناه أبو القسم عبد العزيز قال نا علي بن عمر بن علي أبوالحسن التمار قال نا أبو بكر عمر بن أحمد بن أبي معمر الصفار قال حدثنا يوسف بن أحمد بن حرب بن الحكم الأشعري البصري قال نا روح بن عبادة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣] قال رأيت ربي جلّ اسمه مشافهةً لا شك فيه، وفي قوله ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾

---

(١) قال ابن جرير (٢٧/ ٢٨): اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معناه فأوحى إلى عبده محمد ﷺ وحيه، وجعلوا قوله «ما أوحى» بمعنى المصدر.
وقال آخرون: بل معنى ذلك فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه، وقد يتوجه هذا التأويل «ما» لوجهين: أحدهما: أن تكون بمعنى الذي، فيكون معنى الكلام: فأوحى إلى عبده الذي أوحاه إليه ربه، والآخر: أن تكون بمعنى المصدر.
ثم قال: وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه، لأن افتتاح الكلام جرى في أول السورة بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جبريل عليه السلام، وقوله «فأوحى إلى عبده ما أوحى» في سياق ذلك ولم يأت ما يدّل على انصراف الخبر عنهما، فيوجه ذلك إلى ما صرف إليه.

[النجم: ١٤] قال: «رأيته عند سدرة المنتهى حتى تبين لي نور وجهه»[١].

٩٦- وروى أبو بكر الخلال عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به[٢].

٩٧- وروى أبو القسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان[٣] فيما خرجه من أخبار الصفات بإسناده: عن ابن عباس قال: كانت الخلة لإبراهيم عليه السلام والكلام لموسى عليه السلام والرؤية لمحمد ﷺ[٤].

٩٨- وروى أبو حفص بن شاهين في سننه بإسناده: عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس: رأى محمد ﷺ ربه عز وجل بعينيه مرتين[٥].

---

(١) لم أجد من خرجه، ويوسف بن أحمد الأشعري لم أجد له ترجمة، والصفار الراوي عنه له ترجمة في تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٢- ٢٤٣) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، والتمار ثقة، تاريخ بغداد (١٢/ ٤٢). والخبر في متنه نكاره ظاهرة.

(٢) تقدم تخريجه برقم (٨٩) من هذا الفصل.

(٣) هو المحدث الحجة المقرئ، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري البغدادي الصيرفي، مولده سنة خمس وخمسين وثلاث مئة. وحدث عن: أبي بكر القطيعي وأبي محمد بن ماسي وغيرهم.
قال الخطيب: كان أحد المعنيين بالحديث والجامعين له، مع صدقٍ واستقامةٍ ودوام تلاوة، سمعنا منه المصنفات الكبار، وكمّل الثمانين، مات في صغر سنة خمس وثلاثين وأربع مئة. (تاريخ بغداد (١٩٠/ ٣٨٥)، السير (١٧/ ٥٧٨)).

(٤) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٩٢-١٩٣) والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (٥/ ١٦٥)- وابن خزيمة في التوحيد (ص١٩٧) والحاكم (٢/ ٤٦٩) عن معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأوله: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم.... قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٧) لابن مردويه.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما أخرجه مسلم (١/ ١٥٨) والبيهقي في الأسماء (ص٤٣٧) عن الأعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، قال: رآه بفؤاده مرتين.

٩٩- وروى أبو حفص بإسناده: عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بفؤاده مرتين(١).

١٠٠- وروى أيضاً بإسناده: عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ﷺ ربه بقلبه(٢).

وهذا الاختلاف عنه ليس براجع إلى ليلة المعراج، إنما هو راجع إلى رؤيته في المنام في غير تلك الليلة، رآه بقلبه على ما نبينه فيما بعد، وما رويناه عن ابن عباس أولى مما روي عن عائشة، لأن قول ابن عباس يطابق قول النبي ﷺ لأن النبي ﷺ أثبت رؤيته في تلك الليلة، ولأنه مثبت والمثبت أولى من النافي، ولا يجوز أن يثبت ابن عباس ذلك إلا عن توقيف، إذْ لا مجال للقياس في ذلك(٣).

فإن قيل: قوله «رأيت رِبي» إنما هو بكسر الراء، وهو اسم كان لعثمان رضي الله عنه رآه ﷺ في النوم في تلك الصفات، أو يكون المراد التابع

---

(١) أخرج مسلم نحوه، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه.
وأخرج أبن خزيمة في التوحيد (ص٢٠٠) عن سفيان عن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال: رآه مرتين. وإسناده حسن.

(٢) إسناد ضعيف، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٦) وابن جرير (٢٧/ ٢٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص٢٠٠) عن إسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ قال: رآه بقلبه.
سماك هو ابن حرب، وفي روايته عن عكرمة خاصة اضطراب. وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر والطبراني. لكن الأثر يشهد له ما سبق.

(٣) قول ابن عباس لا يدل على أن مذهبه إن النبي ﷺ رأى ربه تعالى بعينه، بل الروايات الصحيحة السابقة وهي قوله «رآه بقلبه» تدل على خلاف ذلك، وأما الروايات المطلقة أن محمداً ﷺ رأى ربه تعالى، فتحمل على المقيدة حتى يتم الجمع بين الأدلة، والله أعلم.

من الجن رآه على تلك الصفات.

قيل: لفظ الخبر يُسقط هذا السؤال لأنه قال له «فيم يختصم الملأ الأعلى» وهذا لا يقوله أحد من البشر، ولأنه قال: «فوضع يده بين كتفي فوجدت بُردها بين ثديي» وليس أحد له هذا من المخلوقين.

١٠١- وقد حكى القاضي أبو علي عن أبي بكر بن سليمان النجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: رأى محمداً ربه إحدى عشرة مرة، منها بالسُنة تسع مرات في ليلة المعراج حين كان يتردد بين موسى وبين الله عَزَّوَجَلَّ يسئل أن يخفف عن أمته الصلاة فنقص خمسة وأربعين صلاة، في تسع مقامات، ومرتين بالكتاب[١].

* * *

(١) أوردها ابن المصنف في طبقاته (٢/ ١١) فقال: قرأت بخط الوالد السعيد قال: حكى القاضي أبو علي بن أبي موسى عن أبي بكر النجاد أنه قال: رأى محمد ﷺ. . . فذكره.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

وضع الكف بين كتفيه

وقد رُوي بألفاظ ففي:

١٠٢- حديث أبي عبيدة بن الجراح «فوضع يده حتى وجدت» وذكر كلمة نسيها الراوي.

١٠٣- وفي حديث أبي هريرة رواه أبو بكر الخلال: عن النبي ﷺ قال: **«أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى قلت: لا؟ فوضع كفه بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي»**[(١)].

١٠٤- وناه أبو القسم عبد العزيز بإسناده: عن أبي هريرة قال: **«فوجدت برد أنامله بين ثديي»**.

١٠٥- وفي رواية ابن عباس في موضع آخر «فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي».

واعلم أنه ليس في حمل هذا الخبر على ظاهره ما يحيل صفاته، ولا يُخرجها عما تستحقه، لأننا نثبت كفاً كما أثبتنا يدين وسمعاً وبصراً ووجهاً، لا على وجه الجوارح والأبعاض، وليس إثبات تلك الصفات

---

(١) رواه أبي هريرة لهذا الحديث ضعيفة جداً، أخرجها أبو بكر النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٨٢) عن سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وفي إسناده عبيد الله بن أبي حميد الهذلي متروك الحديث، وسفيان بن وكيع ضعيف.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٠) إلى الطبراني في «السنة» وابن مردويه.

بأولى من إثبات الكف، لأننا نطلق اسم الوضع بين كتفيه، كما أطلقنا خلقه لآدم بيديه، فما[١] يتطرق على هذا يتطرق مثله هناك، ورأيت بعضهم يقول غير ممتنع أن تُلاقي كف الصفة لكتفي النبي ﷺ لا على منع ملاقاة الجسم للجسم، لكن على معنى ملاقاة الجسم لنور الشمس والقمر، قال: وهذا ظاهر ما جاء في الحديث «**فوجدت بردها بين كتفي**» ولأنه ليس في الملاقاة أكثر من مقاربة المحدث من القديم.

١٠٦- وقد جاء الشرع بذلك: فروى «إن الله يدني عبده حتى يضع عليه كنفه»[٢] ولأنه قد قال تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: يقعده معه على العرش[٣]، ولأن هذا غير ممتنع

---

(١) كتب فوقها في الأصل حرف «ن» أي لعلها «فمن» بدل «فما» وما أثبتناه أقرب للصواب.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٣٥٣) (١٠/ ٤٨٦) (١٣/ ٤٧٥) ومسلم (٤/ ٢١٢٠) وابن ماجة (١/ ٦٥) عن صفوان بن محرز قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجلٌ فقال: يا ابا عبد الرحمن - أو قال يا ابن عمر- هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُدني المؤمن من ربه- وقال هشام: يدنو المؤمن حتى يضع عليه كَنَفَه فيُقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ فيقول: أعرف، يقول رب أعرف (مرتين)، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون- أو الكفار- ينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» واللفظ للبخاري، ومعنى كَنَفَة: أي ستره، والمعنى أنه تحيط به عنايته التامة (الفتح ١٣/ ٤٧٧).

(٣) لم يصح في معنى هذا حديث ولا أثر- في حد علمي- بل كل ما جاء فيه معلول، وقد حكم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية بالوضع كما مر معنا سابقاً في المقدمة. فقد أخرج الطبراني في الكبير (١٢/ ٦١) عن عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن عطاء بن دينار الهذلي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال في قوله الله عز وجل ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: يجلسه فيما بينه وبين جبريل، ويشفع لأمته فذلك المقام المحمود.
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥١): وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع، وعطاء بن دينار لم يسمع من سعيد بن المسيب. =

على أصل من أثبت أنه على العرش، لأنه إذا كان بجهة تصح الإشارة وإليه فيها، ويصح النظر منها، وإنما يمتنع على أصل من نفي كونه بجهة يشار إليه فيها.

فإن قيل: الكف ها هنا بمعنى القدرة؟ كما قال القائل:

هَوِّن عليك فإنَّ الأمورَ بكفِّ الإلهِ مَقاديرها

يعني في قدرته تقديرها وتدبيرها، فعلى هذا يكون اعتراف النبي ﷺ بالعجز وإقراره بعد وضع الكف، إنما هو إقرار بقدرة الله تعالى على ما فعل به من التعطف واللطف، حتى عرف ما لم يعرفه، أو يكون المراد بالكف النعمة والمنة والرحمة، ومنه قوله: لي عند فلان يد بيضاء، أي نعمة منه كاملة فيكون إخباراً عن نعمة الله وفضله وإقباله عليه، بأن شرح صدره، ونوَّر قلبه فعرف ما لم يعرفه.

= قلت: وفيه أيضاً عبد الله بن صالح وهو الجهني صدوق كثير الغلط.
وأخرجه ابن مردوية- كما في الدر المنثور (٥/ ٣٢٦)- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: «يجلسه على السرير». وعزاه إلى الديلمي أيضاً (٥/ ٣٢٨).
وأخرج ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩٨) عن ليث عن مجاهد في قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: يجلسه معه على عرشه.
وفيه ليث وهو ابن أبي سليم ضعيف.
وقال ابن جرير بعد أن خرّج هذا الأمر: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحَّ به الخبر عن رسول الله ﷺ... ثم ذكر أحاديث الشفاعة.
إلا أنه عاد فقال: هذا وإن كان هو الصحيح من القول (يعني أحاديث الشفاعة) في تأويل قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً ﷺ على عرشه، قولٌ غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر... إلى آخر كلامه رحمه الله.

قيل: هذا غلط لأنه إن جاز تأويل الكف على ما قالوه، جاز تأويل قول ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على ذلك، ولأن قدرته ونعمته لا تختص الكفين، بل هي عامة في جميع مقدوراته، وما قاله الشاعر من أن الأمور بكف الإله مقاديرها، لا يشبه هذا، لأنه قد فسَّر ما بكفه وهو تقدير الأمور، وذلك لا يختص الكف لأنه صفته، وتدبير الأشياء لا يحصل بالصفات، وإنما يحصل بالذات فأمَّا ها هنا فإنما أضاف إلى الكف فعلًا، كما أضاف إلى اليد فعلًا وهو خلق آدم.

فإن قيل: قوله «بين كتفي» معناه أَوْصَلَ إلى قلبه من لُطفه ونوره وفوائده، لأن القلب بين الكتفين، وهو محل الأنوار والعلوم.

قيل: هذا غلط، لأن القلب لا يوصف بوضع الكف فيه، وإنما يوصف ذلك بالكتفين .

فإن قيل: قوله «فوجدت بردها» يحتمل برد النعمة، بمعنى روحها وأثرها من قولهم: عيش بارد إذا كان رغداً في رفاهية وسعة.

قيل: هذا غلط، لما بينا أن الكف ليس معناه النعمة، وإذا لم يكن معناه النعمة لم يصح التأويل عليه(١).

فإن قيل: قوله «فوجدت برد أنامله» يحتمل آثار إحسانه ونعمه ورحمته في صدري، فتجلى لي ما بين السماء والأرض:

قيل: هذا غلط، لما بينًا من أن إحسانه ونعمه لا يختص القلب والكف والأنامل، ولأنه إن جاز تأويل الأنامل على ذلك، جاز تأويل اليدين على النعمتين، والوجه على الذات.

***

(١) نقل هذه التأويلات البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٠٠- ٣٠١).

الفصل الرابع

الفصل الرابع

جواز إطلاق تسمية الصورة عليه

وقد بينا جواز ذلك في الخبر الذي قبله، وقد بينا أنه لا يمتنع إطلاق ذلك لا على وجه الأبعاض والجوارح، كما جاز إطلاق نفس وذات.

فإن قيل: ذكر الصورة يرجع إلى النبي ﷺ ويكون المعنى: رأيت ربي وأنا في أحسن صورة، كما يقول القائل: رأيت الأمير في أحسن صورة وزي[1].

قيل: هذا غلط، لأنه لم يُنقل أن صفة النبي ﷺ تغيرت في تلك الليلة، ولو كان لنقل كما نقل غيره، من المخاطبة ووضع الكف وغير ذلك.

وعلى أنه قد روي في الخبر ما يمنع من هذا بقوله «رأيت ربي في صورة شاب على وجهه فراش وفي رجليه نعلان» ولو كانت الصفة راجعة إلى النبي ﷺ لقال على وجهي وفي رجلي.

فإن قيل: فيحتمل أن تكون الصورة راجعة إلى الله تعالى، بمعنى أنه يُحسن خلق من يشاء كما يُقبح خلق من يشاء، لأن أفعل قد تجيء على معنى يفعل كما وصف نفسه بأنه «حكيم» والمراد به مُحكم لما يفعل.

قيل: هذا غلط، لأنه يُسقط فائدة التخصيص بتلك الليلة، لأن النبي ﷺ لم يزل مشاهداً لأفعاله في خلقه من تحسين وتقبيح، فحمله على هذا يسقط فائدة التخصيص بتلك الليلة.

فإن قيل: فيحتمل أن تكون الصورة راجعة إلى الله تعالى، بمعنى الصفة

---

(١) لا يخفى ما في هذا التأويل من تكلف وبعد، لا يوافق قائله شرعاً ولا عقلا ولا لغة. والخبر الذي ذكره المصنف «رأيت ربي في صورة...» سيأتي تخريجه وهو حديث منكر.

من توفر الرب عليه في الإنعام والإقبال عليه، فيكون حسن الصورة يرجع إلى حسن الأفعال به والإكرام.

قيل: هذا يسقط فائدة التخصيص بتلك الليلة، لعلمنا بأن نعمه عليه كانت ظاهرة بقيام المعجزات في المواضع التي تظهر النعم فيها، ولأنه إن صح هذا التأويل ها هنا وجب أن يصح مثله في قوله «إنكم ترون ربكم يوم القيامة» على معنى صفته توفر أنعامه وأفضاله على أهل الجنة.

فإن قيل: فقد ذكر النقاش[1] في «شفاء الصدور» في تفسير قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨] فقال قال عمرو بن عثمان: رأيت عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسجد الحرام في الحجر تحت الميزاب، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، أيش كان مذهب الشيخ في قول «رأيت ربي في أحسن صورة»؟ قال: رأيته في أحسن مكان.

قالوا وهذا ينفي الصورة.

قيل: الرواية الصحيحة عنه ما ذكرنا من إثبات الصورة اهـ.

* * *

---

(١) هو العلامة المفسر شيخ القراء أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زيادة الموصلي ثم البغدادي النقاش، ولد سنة ٢٦٦هـ، قال أبو بكر البرقاني: كل حديث النقاش منكر، وقال الخطيب: في حديثه مناكير بأسانيد مشهورة.
قال الذهبي: وكان واسع الرحلة، قديم اللقاء، وهو في القراءات أقوى منه في الروايات. وله كتاب «الإشارة في غريب القرآن» و«دلائل النبوة» وله كتاب كبير في التفسير نحواً من أربعين مجلداً...، ولو تثبت في النقل لصار شيخ الإسلام. قلت: واسم تفسيره «شفاء الصدور». مات سنة ٣٥١هـ.
(تاريخ بغداد (٢/ ٢٠١- ٢٠٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ٥٢٠)، السير (١٥/ ٥٧٣- ٥٧٦)، وانظر مخطوطات كتابه «شفاء الصدور»، تاريخ التراث لسزكين (١/ ١٠٤).

الفصل الخامس

الفصل الخامس

قول النبي ﷺ «لا أدري» لما قيل: له «فيم يختصم الملأ الأعلى»

قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أنه يحتمل أنه كان يعلم، لكن استعمل حسن الأدب بحضرة من هو أعلم به، حتى لا يدعي ذلك بحضرة من هو أعلم، كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقيل: إنه يحتمل أنه لم يعلم، ثم علم بعد ذلك ما بين المشرق والمغرب بأن زويت له الأرض، كما رُوي في الحديث: «**زُويت لي الأرض، فأُريت مشارقها ومغاربها**»[(١)].

* * *

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) ومسلم (٤/ ٢٢١٥) عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها...**» ومعنى زوي أي جمع. وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن أبي أسماء الرحبي عن شداد بن أوس مرفوعاً به.وإسناده صحيح.

فصل

هل أحيا الله لنبيه الأنبياء في ليلة الإسراء أم نشر أرواحهم في مثل صورهم

١٠٧- فذكر أبو إسحق في تعاليقه على «كتاب التفسير» في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ الآية [الزخرف: ٤٥] قال سعيد بن جبير: أحيا الله له الأنبياء حتى سألهم، وعلى هذا كلام موسى وغيره[1].

١٠٨- وذكر أبو بكر عبد العزيز في «كتاب التفسير» في هذه الآية قولين:

أحدهما: سل أهل الكتاب: أمَا كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد، أما كانت تأتي بالإخلاص، حكاه عن قتاده[2].

والثاني: قول سعيد بن جبير قال: لقي الرسل ليلة أسري به، ثم قال: كما قال سعيد بن جبير، وهو أحسن التأويلين إذ كان قد لقيهم، وظاهر كلام أبي بكر وأبي إسحق الأخذ بقول سعيد.

---

(١) لم أجد هذا الأثر.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/ ٤٦) عنه، وإسناده حسن.

واختار ابن جرير هذا القول فقال: وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: عني به سل مؤمني أهل الكتابين، فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل فيكون معناه سل المؤمنين بهم وكتابهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتابهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنى خبرهم، والمسألة عما جاؤوا به بمعنى مسألتهم، إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه إيانا بردّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول» ومعلوم أن معنى ذلك فردّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله، لأن الرد إلى ذلك ردٌّ إلى الله ورسوله، وكذلك قوله ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل، فإن تعلم صحة ذلك من قبلها، فاستغنى بذكر الرسل عن ذكر الكتب إذا كان معلوماً ما معناه اهـ.

وقد قيل: إن أرواحهم نُشِرَت في مثل صورهم.

١٠٩- وقد جاء هذا في حديث المعراج: في رواية أبي حفص بن شاهين وابي طالب بن العُشاري[١]. قال فيه «ثم أتينا بيت المقدس فنشر لي أرواح الأنبياء فصليت معهم» فبين أن النّشر كان على الأرواح، وقد ذكر أبوبكر الخلال في كتاب «السنة» هذه اللفظة.

فصل ثان

١١٠- يتعلق بليلة الإسراء في قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [النجم: ٨] هل الكناية في التدلي عن الله سبحانه أم عن جبريل؟ فذكر أبو بكر في «كتاب التفسير» في هذه الآية قولين: أحدهما أنه جبريل عن مجاهد والحسن في رواية[٢].

١١١- **والثاني**: أنه الله سبحانه، حكاه عن ابن عباس وعطاء وعكرمة والحسن[٣]، واختار هذا القول، والوجه فيه: أن رؤيته لجبريل قد

(١) هو الشيخ أبو طالب محمد بن علي بن الفتح الحربي العُشاري، سمع الدارقطني وابن شاهين وابن بطة وغيرهم.
قال الخطيب، كتبت عنه وكان ثقة صالحاً.
توفي سنة ٤٥١هـ. (تاريخ بغداد (٣/ ١٠٧)، طبقات الحنابلة (٢/ ١٩١)، ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٦)، السير (١٨/ ٤٨)).

(٢) لم يذكر السيوطي في الدر المنثور عنهما شيئاً.
إنما أخرج ابن جرير (٢٧/ ٢٧) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: «فكان قاب قوسين أو أدنى» قال: الله من جبريل عليه السلام.
وابن أبي نجيح وهو عبد الله، لم يسمع التفسير من مجاهد قاله يحيى القطان وابن عيينة (انظر جامع التحصيل ص ٢٦٥). وكان الثوري يصحح تفسيره.

(٣) أخرج الطبراني في الكبير (١١/ ١٥٠) عن عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة وعطاء عن ابن عباس «ثم دنا فتدلى» قال: هو محمد ﷺ ودنى فتدلى إلى ربه عز وجل. =

سبقت مراراً لا تحصى، فلا فائدة في إثباتها في تلك الليلة، إذ كان المقصود بذلك حصول الفضيلة له وعلو المنزلة، ولأنه قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [بالنجم: ١٠] والوحي إنما يكون من الله تعالى، فقوله (فأوحى) كناية عمن تقدم ذكره وهو المتدلي، فعلم أن المتدلي هو الذي يوحي وهو الله تعالى، وقد شهد الكتاب والسنة لما قاله أبو بكر قال تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] وبقول النبي ﷺ «**ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا**»(١).

حديث آخر في هذا المعنى:

١١٢- ناه أبو محمد الحسن بن محمد(٢) فيما خرَّجه من أخبار الصفات بإسناده: عن معاذ بن جبل قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ يومًا بصلاة الغداة حتى كادت الشمس أن تطلع، فلما خرج صلى بنا الغداة فقال: «**إني صليتُ الليلة ما قضي لي، ثم وضعتُ جنبي في**

= قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٤): وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.
قلت: كذا اقتصر عليه، وفيه شريك بن عبد الله النخعي، سيء الحفظ.
وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٥) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.
وأخرجه ابن جرير (٢٧/ ٢٦) قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي حدثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس: «ثم دنى فتدلى» قال: دنى ربه فتدلى» وإسناده حسن، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ٦٤٥) إلى ابن مردويه.

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٩) (١١/ ١٢٨- ١٢٩) (١٣/ ٤٦٤) ومسلم (١/ ٥٢١- ٥٢٣) عن أبي هريرة مرفوعاً به.

(٢) هو الخلال، تقدمت ترجمته.

المسجد، فأتاني ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فضرب يديه بين ثديي، حتى بدا لي ما في السماوات والأرض»(١).

(١) حديث معاذ بن جبل، أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣) والترمذي (٥/ ٣٦٨- ٣٦٩) وابن خزيمة في التوحيد (ص٢١٨- ٢١٩) عن جهضم اليمامي ثنا يحيى بن أبي كثير ثنا زيد بن أبي سلام عن أبي سلام- وهو زيد بن سلام بن أبي سلام نسبه إلى جده- أنه حدثه عبد الرحمن بن عياش الحضرمي من مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعاً فثوَّب بصلاة، وصلى وتجوز في صلاته، فلما سلم قال: «كما أنتم على مصافكم» ثم أقبل إلينا فقال: «إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمتُ من الليل فصليت...» فذكر تمام الحديث.
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأعلّه ابن خزيمة (ص٢٢٠) بتدليس يحيى بن أبي كثير، ولكنه قد صرح بالتحديث بالإسناد السابق وهو عند أحمد فأمنًا من تدليسه.
تنبيه: سقط من إسناد ابن خزيمة ذكر «أبي سلام».
وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٩) عن جهضم وموسى بن خلف قالا ثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي عبد الرحمن السكسكي عن مالك بن يخامر عن معاذ به. فذكر أبا عبد الرحمن السكسكي بدلًا من عبد الرحمن بن عياش.
وأخرجه أبو بكر النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق»(٧٤).
وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٤٤) عن موسى بن خلف العمي وحده عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن أبي عبد الرحمن السكسكي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل به.
وموسى بن خلف العمي وثقه يعقوب بن شيبة والعجلي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال الدارقطني: ليس بالقوي، وقال ابن حبان: أكثر من المناكير (التهذيب ١٠/ ٣٤١).
وقال البيهقي في الأسماء (ص ٣٠٠): وأحسن طريق فيه: رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف.
وأخرجه النجاد (٧٥) وابن خزيمة (ص٢٢٠) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٤١- ١٤٢) =

١١٣- وروى أبو القسم عبيد الله بن أحمد الصيرفي[١] فيما خرَّجه من أخبار الصفات بإسناده: عن معاذ عن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي في منامي» وذكر الخبر.

اعلم أن الكلام في هذا الخبر يتعلق به فصول:

أحدها: جواز إطلاق الصورة عليه، وقد تقدم الكلام في ذلك.

الثاني: جواز رؤيته في منامه، وهذا غير ممتنع في حق النبي ﷺ وفي حق غيره من المؤمنين.

١١٤- وقد نص أحمد على هذا فيما رواه عبد الله: سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة في النوم فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال فقال: كلامي يا أحمد، قلت يا رب، بفهمٍ أو بغير فهم؟ قال: بفهمٍ

= والحاكم (١/ ٥٢١) عن محمد بن سعيد بن سويد حدثني أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل به.

وأعله ابن خزيمة فقال: وهذا الشيخ سعيد بن سويد لست أعرفه بعدالة ولا جرح، وعبد الرحمن بن إسحاق هذا هو أبو شيبة الكوفي ضعيف الحديث، وعبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ. اهـ

وقال ابن عدي: وهذا له طرق قوله «رأيت ربي في أحسن صورة» واختلفوا في أسانيدها، فرأيت أحمد بن حنبل صحح هذه الرواية التي رواها موسى بن خلف عن يحيى بن أبي كثير حديث معاذ بن جبل، قال: هذا أصحها اهـ.

وانظر المزيد من الكلام على الحديث وطرقه في الإصابة (٢/ ٤٠٥- ٤٠٧).

(١) هو عبيد الله بن أبي الفتح- واسمه أحمد بن عثمان بن الفرج، يكنى أبا القاسم الصيرفي وهو الأزهري ويعرف بابن السوادي.

قال الخطيب: وكان أحد المكثرين من الحديث كتابة وسماعاً، ومن المعنيين به والجامعين له، مع صدق وأمانة، وصحة واستقامة، وسلامة مذهب وحسن معتقد، ودوام درس للقرآن، ولد سنة ٣٥٥هـ ومات سنة ٤٣٥هـ.

(تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٥)).

وبغير فهم[١].

فأخبر عن نفسه بالرؤية فدلّ على جوازه.

١١٥- والوجه في جوازه: ما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«رؤيا الرجل الصالح، جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة»**[٢].

فوجه الدلالة أنه أخبر أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة لا يكون إلا حقاً، ولا يكون باطلًا، فوجب أن تكون رؤية الله حقا[٣].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٣٤) باب ذكر المنامات التي رآها أحمد ابن حنبل.
وسيأتي الكلام على هذه المسألة.

(٢) أخرجه البخاري (١٢/ ٤٠٤) ومسلم (٤/ ١٧٧٣) عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً به، لكن قال في رواية مسلم: جزء من خمس وأربعين جزءاً.
وتابعه أبو صالح عن أبي هريرة، أخرجه مسلم (٤/ ١٧٧٤).
وتابعهما أبو سلمة عن أبي هريرة، أخرجه مسلم (٤/ ١٧٧٤).
وتابعهم همام بن منبه عن أبي هريرة، أخرجه مسلم (٤/ ١٧٧٤).

(٣) تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المسألة في كتابه «تلبيس الجهمية» فقال في معرض بيانه للوهم والخيال ومطابقته للحقيقة:
وقد يكون التوهم والتخيل مطابقاً من وجه دون وجه، فهو حق في مرتبته، وإن لم يكن مماثلًا للحقيقة الخارجة مثل ما يراه الناس في منامهم. وقد يرى في اليقظة من جنس ما يراه في منامه. فإنه يرى صوراً وأفعالًا، ويسمع أقوالًا، وتلك أمثال مضروبة لحقائق خارجية، كما رأى يوسف سجود الكواكب والشمس والقمر له، فلا ريب أن هذا تمثله وتصوره في نفسه، وكانت حقيقته سجود أبويه وأخوته، كما قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف: ١٠٠] وكذلك رؤيا الملك التي عبرها يوسف حيث رأى السنبل بل والبقرة، فتلك رآها متخيلة متمثلة في نفسه وكانت حقيقتها وتأويلها من الخصب والجدب. فهذا التمثل والتخيل حق وصدق في مرتبته بمعنى أن له تأويلًا صحيحاً يكون مناسباً له ومشابهاً له من بعض الوجوه، فإن تأويل الرؤيا مبناها على القياس والاعتبار =

ولأنه إجماع أهلُ الأعصار، وذلك أنّ عصراً بعد عصر من لدن التابعين

= والمشابهة والمناسبة. ولكن من اعتقد أن ما تمثل في نفسه وتخيل من الرؤيا هو مماثل لنفس الموجود في الخارج، وأن تلك الأمور هي بعينها رآها فهو مبطل، مثل من يعتقد أنَّ نفس الشمس التي في السماء والقمر والكواكب انفصلت عن أماكنها وسجدت ليوسف، وأن بقراً موجودة في الخارج سبعاً سماناً أكلت سبعاً عجافاً: فهذا باطل.
وإذا كان كذلك فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يُرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلًا، ولكن لابد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً أتى من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس. قال بعض المشايخ: إذا رأى العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة حجاباً بينه وبين الله. وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلًا ينكر ذلك، فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه، إذا الرؤية تقع للإنسان بغير اختياره، وهذه مسألة معروفة، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام، ولكن لعلهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة كسائر ما يرى في المنام. فهذا مما يقوله المتجهمة، وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم، وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به ﷻ، وإنما ذلك بحسب حال الرائي وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه. وقول من يقول ما خطر بالبال أو دار في الخيال فالله بخلافه، ونحو ذلك، إذا حمل على مثل هذا كان محملاً صحيحاً، فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسباً مشابهاً لها، فالله تعالى أجل وأعظم اهـ (تلبيس الجهمية (١/ ٧٢- ٧٤)).
وقال في «الوصية الكبرى» (ص٢٧- بتحقيقنا) وهي في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠): وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيماناً صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

ومن بعدهم يخبر أنه رأى ربه، ولا ينقل عن أحد من أهل العصر الإنكار عليه فدلَّ سكوتهم على جواز ذلك.

١١٦- من ذلك رقبة بن مسقلة[(١)] قال: رأيت رب العزة في المنام فقال: لأكرمِنَّ مثوى سليمان يعني التيمي.

١١٧- وعن عطاء السليمي[(٢)] أنه رأى ربه في المنام فقال: ما هذا الخوف الشديد الذي تخافني، ألم تعلم أني أرحم الراحمين؟

١١٨- وعن حمزة بن حبيب الزيات[(٣)] أنه رأي في المنام كأنه عُرض على الله فقال له: إقرأ القرآن كما علمّتك، وذكر القصة بطولها.

ولا يصح حمل ذلك على أنهم رأوا بشارة ربهم لأن في الأخبار ما يسقط ذلك وهو قوله لأكرمَنَّ مثوى سلميان، وقوله ما هذا الخوف، وقوله إقرأ.

الثالث: جواز الإتيان عليه، وهذا غير ممتنع إطلاقه إذا لم يوصف بالانتقال، ومثل هذا قوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يجوز إطلاقه هذه الصفة عليه لا على وجه الانتقال والحدوث، وإن كان حرف

---

(١) رقبة بن مصقلة (ويقال مسقلة كما وقع في صحيح مسلم) العبدي أبو عبد الله قال عبد الله ابن أحمد عن أبيه شيخ ثقة من الثقات مأمون، وقال يحيى: ثقة، وكذا قال النسائي والعجلي، وكان صديقا لسليمان التيمي (التهذيب ٣/ ٢٨٦).

(٢) عطاء السليمي الزاهد المشهور، قال ابن أبي حاتم (٦/ ٣٤٠): رأى عبد الله بن غالب، بايع ابن الأشعث، روى عنه نوح بن قيس، سمعت أبي يقول ذلك اهـ. ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلًا، وترجم له أبونعيم في الحلية (٦/ ٢١٥- ٢٢٦).

(٣) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات القارئ أبو عمارة الكوفي، قال ابن معين ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان رجلًا صالحاً عنده أحاديث وكان صدوقاً، وقال الساجي والأزدي: يتكلمون في قراءته: وينسبونه إلى حالة مذمومة فيه وهو في الحديث صدوق سيء الحفظ ليس بمتقن في الحديث، وقال الحافظ: صدوق زاهد ربما وهم. (التهذيب ٣/ ٢٧- ٢٨).

«ثم» يقتضي ذلك في اللغة، وكذلك قوله «ينزل الله إلى السماء الدنيا» يجوز إطلاق ذلك من غير انتقال وشغل مكان(١).

فإن قيل: قوله «في أحسن صورة» معناه بأحسن صورة، فتكون الفاء بمعنى الباء، ويكون معنى الإتيان فعله وإظهاره له، ومنه قوله تعالى ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] معناه إظهار فعله، وكذلك قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] معناه بظلل.

---

(١) الواجب على المسلم التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية، خصوصاً فيما يتعلق بصفات الباري سبحانه وأسمائه، ولفظ «الحركة والانتقال» لم يرد في الكتاب والسنة، فالإمساك عن ذكره، هو الموافق للحق والصواب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما لفظ «الزوال» و«الانتقال» فهذا اللفظ مجمل، ولهذا كان أهل الحديث والسنة فيه على أقوال: عثمان بن سعيد الدرامي وغيره أنكروا على الجهمية قولهم: إنه لا يتحرك. وذكروا أثراً: أنه لا يزول، وفسروا الزوال بالحركة، فبين عثمان بن سعيد أن ذلك الأثر إن كان صحيحاً لم يكن حجة لهم، لأنه في تفسير قوله (الحي القيوم) ذكروا عن ثابت: دائم باق لا يزول عما يستحقه. كما قال ابن إسحاق: لا يزول عن مكانته. (قلت) والكلبي بنفسه الذي يروي هذا الحديث وهو يقول: (استوى على العرش)، واستقر. ويقول: (ثم استوى إلى السماء) صعد إلى السماء. وأما «الانتقال» فابن حامد وطائفة يقولون: ينزل بحركة، وانتقال. وآخرون من أهل السنة كالتميمي من أصحاب أحمد أنكروا هذا، وقالوا: بل ينزل بلا حركة وانتقال.

وطائفة ثالثة، كابن بطة وغيره يقفون في هذا. وقد ذكر الأقوال الثلاثة القاضي أبو يعلى في «كتاب اختلاف الروايتين والوجهين» ونفي اللفظ بمجمله. والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص: فيثبت ما أثبت الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه وهو أن يثبت النزول والإتيان والمجيء وينفي المثل والسمي والكفؤ والند.

وقد صرح طوائف منهم بالحركة كما صرح بذلك طوائف من أئمة الحديث والسنة، وصرحوا بأنه لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن الحركة من لوازم الحياه، وقد صرح بالحركة من صرح من الفلاسفة.

قيل: هذا غلطٌ لوجوه، أحدها: أن إظهار فعله وتدبير ملكه عام في كل الأزمان والأحوال، فلا فائدة بتخصيصه في تلك الليلة التي أسرى به.اهـ

والثاني: إن جاز تأويله على إتيان الأفعال والملك، جاز حمل قوله: «إنكم ترون ربّكم يوم القيامة» على رؤية أفعاله وملكه، وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات على خلاف ذلك.

الثالث: أنه وصفه بالصورة ووضع الكف بين كتفيه، وهذه الصفة لا تتصف بها الأفعال والملك، فأما قوله ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] فالمراد به أفعاله، لأن في الآية ما دلَّ عليه، وهو خراب الديار بقوله ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [النحل: ٢٦][(١)].

وأما قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] المراد به الذات على أصولنا، لأن حمله على الأمر يُسقط فائدة التخصيص بذلك اليوم، لأن أمره سابق لإتيانه، ولأن إنْ جاز حمله على هذا، جاز حمل قوله «إنكم ترون ربكم يوم القيامة» على رؤية أمره وملكه. **فإن قيل**: فقد روي عن ابن عباس في قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ قال: يأتيهم بوعده ووعيده.

قيل له: ولم يقل إنه لا يأتي ذاته، فيحتمل أن يكون تأتي ذاته بوعده

(١) أخرج ابن جرير (١٤/ ٦٧) عن قتادة في هذه الآية قوله: إي والله، لأتاها أمر الله من أصلها فخر عليهم السقف من فوقهم، والسقف أعالي البيوت، فأتفكت بهم بيوتهم فأهلكهم الله ودمرهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. وإسناده حسن.
قال ابن جرير: وقال آخرون: عني بقوله (فخر عليهم السقف من فوقهم) يقول: عذابٌ من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا.
قال: وأولي القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك: تساقطت عليهم سقوف بيتهم، إذ أتى أصولهم وقواعدها أمر الله فأتفكت بهم منازلهم، لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان وخر السقف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعرف منها، أولى من توجيهها إلى غير ذلك، ما وجد إليه سبيل. اهـ

ووعيده وهكذا قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] معناه مجيء ذاته، لأن حمله على مجيء الأمر والملك يُسقط فائدة التخصيص بذلك اليوم، لأن أمره سابق، ولأن هذا يوجب تأويل «ترون ربكم»، ولأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته لأنَّا لا نثبت مجيئ انتقال، بل نثبت مجيئاً غير معقول، كما أثبتنا ذاتاً ونفساً ووجهاً ويداً(١).

١٢٠- وقد قال أحمد في رواية حنبل في قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قال: قدرته قال أبو إسحاق بن شاقلا هذا غلط من حنبل لا شك فيه، وأراد أبو إسحاق بذلك أن مذهبه حمل الآية على ظاهرها في مجيئ الذات هذا ظاهر كلامه والله أعلم.

١٢١- وقد قال أحمد في رواية أبي طالب ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] فمن قال أن الله لا يرى فقد كفر وظاهر هذا أن أحمد أثبت مجيئ ذاته، لأنه احتج بذلك على جواز رؤيته، وإنما يحتج بذلك على جواز رؤيته إذا كان الإتيان والمجيئ مضافاً إلى الذات.

---

(١) وهو الصواب الذي عليه أئمة السلف، وجمهور الأمة، واختاره ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٩١) فقال: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من وجه قوله ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ إلى أنه من صلة فعل الرب عز وجل، وأن معناه هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة.

قال: ثم اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عز وجل من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا. اهـ

ولا شك في صحة هذا القول، وهو من القواعد الثابتة لأهل السنة والجماعة، أنهم لا يتكلمون في أسماء الله وصفاته إلا بقول الله تعالى وقول الرسول ﷺ.

[حديثٌ آخر في هذا المعنى في ألفاظه زيادة]

١٢٢- رواه أبو بكر الخلال عن الحسن بن ناصح الخلال قال نا الأسود بن عامر شاذان قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ **«رأى ربه جل ثناؤه جعداً قططاً أمرد في حلة حمراء»**(١).

---

(١) حديث منكر، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٧٧) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل» (١/ ٣٦) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٥١٢- ٥١٣) مختصراً والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٤٤- ٤٤٥) عن شاذان به، لكن فيه: حلة خضراء، بدل حمراء.
ورواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٧) وابن الجوزي في «العلل» (١/ ٣٥) والخطيب في «تاريخه» (١١/ ٢١٤) عن عبد الصمد بن حسان عن حماد به وفيه: عليه حلة حمراء.
ووقع في العلل والتاريخ: ابن كيسان، وهو خطأ، وابن حسان له ترجمة في الجرح لابن أبي حاتم (٦/ ٥١) وقال عن أبيه: صالح الحديث صدوق. ووقع في الكامل المطبوع: ابن كيان، وهو من تحريفات الناشرين للكتاب التي لا تعد .
ورواه ابن عدي عن الحسين بن يحيى بن كثير عن أبيه عن حماد به. وسيكرره المصنف من طرق عن شاذان.
قال ابن عدي: قال لنا ابن أبي داود: روى هذا الحديث شاذان وإبراهيم بن أبي سويد وعفان وعبد الصمد بن حسان عن حماد، ورواه الحكم بن أبان عن زيرك عن عكرمة، وهو غريب اهـ.
وقد اتهم حماد بن سلمة بهذا الحديث، وليس ذلك بصحيح.
قال ابن عدي (٢/ ٦٧٦) حدثنا ابن حماد حدثنا أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي أخبرني الصفات- حتى خرج خرجةً إلى «عبادان» فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطانا خرج إليه في البحر فألقاها إليه.
قال أبو عبد الله: سمعت عباد بن صهيب يقول: إن حماد بن سلمة كان لا يحفظ، فكانوا يقولون إنها دُسَّت في كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدسُّ في كتبه هذه الأحاديث اهـ.
هكذا اتهم الثلجي الكذاب حماد رَحِمَهُ اللهُ، فدافع عنه ابن عدي بقوله: وأبو عبد الله بن الثلجي كذاب وكان يضع الحديث ويدسه في كتب أصحاب الحديث بأحاديث كفريات فهذه الأحاديث من تدسيسه. اهـ =

....

= قال الذهبي في الميزان (١/ ٥٩٣) بعد نقله لكلام ابن الثلجي: قلت: ابن الثلجي ليس بمصدق على حماد وأمثاله، وقد اتهم! نسأل الله السلامة. اهـ

والثلجي هذا جهمي ضال، قال الذهبي في ميزانه (٣/ ٥٧٧): قال ابن عدي: كان يضع الحديث في التشبيه ينسبها إلى أصحاب الحديث يسابهم بذلك.

قلت (أي الذهبي): جاء من غير وجهٍ أنه كان ينال من أحمد وأصحابه. ويقول: أيش قام به أحمد؟! قال المروزي: أتيته ولُمْتُه فقال: إنما أقول: كلام الله كما أقول: سماء الله وأرض الله.

وكان يقول: أصحاب أحمد بن حنبل يحتاجون أن يذبحوا!!

ويقول: عند أحمد بن حنبل كتب الزندقة!

وتعرض الدارمي في «النقض على المريسي» له، ورد عليه في مواطن كثيرة من كتابه. ولا تعجب بعد هذا من دفاع إمام الجهمية في عصرنا، الكوثري الهالك عن إمامه هذا بقوله في تعليقه على كتاب «الأسماء» للبيهقي وهو يرد على ابن عدي قوله (أبو عبد الله الثلجي كذاب): وهذا غاية في التجرؤ وهكذا يكون من تحمسهم في الباطل! (يعني أصحاب الحديث) والثلجي إمام من أئمة المسلمين! وكان من بحور العلم آية في الورع، لكن الهوى يقتل صاحبه، وقد كشفت الستار عن وجه هذا التجرؤ في غير كتاب، وقد سبق بعض ما يتعلق بهذا، والعقيلي على تعنته لم يذكره في الضعفاء، ولابن عدي نزوات تقضي على نفسه!».

ثم انظر إليه وهو يهجم على حماد بن سلمة: وأحاديث حماد بن سلمة في الصفات تحتوي على غرائب تحتاج إلى تدوين كتاب خاص، راجع تكملة الرد على النونية (ص٩٦)، والدفاع عن حماد بن سلمة ومحاولة تصحيح مثل هذا الحديث لا يصدر إلا ممن لا يعي ما يقول! فتباً لعقل يستسيغ الوثنية في الإسلام!! ويحاول الدفاع عن ضعفاء الأحلام، بعد وضوح العلل وتبين الخلل فيما يتمسك به أهل الزلل والله سبحانه هو الهادي. اهـ

أقول: الله حسيبك فيما سطرته في ذم السلف وأهل الحديث وتنقصهم ورميهم بالوثنية وقصور العقل والجهل، وغيرها من الصفات التي أنت وأتباعك أحقّ بها وأهلها.

فالحاصل أن حماد بن سلمة بريء من عهدة هذا الحديث، وقيل إن عكرمة أخطأ فيه.

قال البيهقي: وقد حمل غيره (يعني ابن عدي) من أهل النظر في هذه الرواية على عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وزعم أن سعيد بن المسيب تكلم فيه، وكذلك عطاء وطاووس ومحمد بن سيرين، وكان مالك بن أنس لا يرضاه. ومسلم بن الحجاج لم يحتج به في الصحاح. اهـ

قلت: وكلامه فيه نظر، فقد دافع عن عكرمة الحافظ في التقريب، بقوله: ثبت عالم =

١٢٣- ونا أبو القسم عبد العزيز بن أحمد قال نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت قال نا أبو عمر حمزة بن القسم الهاشمي نا عمر بن مدرك أبو حفص القاضي نا محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال نا شاذان قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ربي عزَّ وجلَّ في حلة خضراء في صورة شاب عليه تاج يلمع منه البصر**».

١٢٤- ونا أبو القاسم عبد العزيز قال أخبرني أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك في الإجازة وقرأته على أبي قال نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال ثنا عبد الرزاق نا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أتاني ربي عزَّ وجل الليلة في أحسنِ صورةٍ - يعني في النوم - فقال لي: يا محمد، هل تدري فيم**

= بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة.

وقد احتار الدارمي رحمه الله في علة هذا الحديث فقال في «النقض»(ص١٦٣): والله أعلم بهذا الحديث وعلته، غير أني استنكره جداً، لأنه يعارض حديث أبي ذر أنه قال لرسول ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» ويعارضه قول عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وتلت (لا تدركه الأبصار) فهذا هو الوجه عندنا فيه اهـ.

والحديث فيه عنعنه قتادة وهو مدلس، فلعلها هي العلة، والله أعلم.

وللحديث طريق أخرى موقوفة على ابن عباس.

فقد أخرج البيهقي في الأسماء (ص٤٤٤) عن إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم، رآه كأن قدميه على خضرة دونه ستر من لؤلؤ، فقلت: يا ابن عباس أليس يقول الله عز وجل ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: لا أم لك! ذاك نوره الذي هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء.

ثم نقل البيهقي عن ابن معين، تضعيفه لإبراهيم بن الحكم بن أبان.

وهو ضعيف عند جمهور المحدثين (انظر التهذيب).

يختصم الملأ الأعلى؟ قال قلت: لا، قال: «فوضَعَ يده بين كتفي، حتى وجدتُ بَردهَا بين ثديي»[١].

١٢٥- وأخرج إلي أبو القاسم عبيد الله بن أحمد في جملة أخبار الصفات: قال نا أحمد بن محمد الرازي قال نا حمزة بن القسم قال نا أبو حفص عمر بن مدرك قال نا محمد بن الوليد مولى بني هاشم بغدادي قال نا شاذان قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«رأيت ربي عز وجل في حلة خضراء في صورة شاب عليه تاج يلمع منه البصر»**.

١٢٦- وقال أيضاً: نا محمد بن العباس قال نا أبو الطيب محمد بن القسم الكوفي قال نا أحمد بن زهير بن حرب قال نا إبراهيم بن محمد عن عروة قال نا شاذان قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت ربي عز وجل جعداً أمرد عليه حلة خضراء»**.

١٢٧- ونا أبو محمد الحسن بن محمد في جملة أخبار الصفات: نا يوسف بن عمر قال نا إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن داود العطار قال نا أبو الفضل محمد بن أبي هرون الوراق قال نا أحمد بن محمد بن يحيى ابن سعيد القطان قال نا أسود بن عامر قال نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء»**.

١٢٨- وأنا أبو محمد الحسن بن محمد قال أجاز لنا علي بن محمد بن لؤلؤ

---

(١) سبق تخريجه.

قال نا الهيثم بن خلف الدوري قال: نا حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج قال: قال الضحاك: سمعت ابن عباس يقول: رأى محمد ربه بعينيه مرتين في صورة شاب أمرد[(١)].

١٢٩- وأنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشران قال أنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني نا أبو العباس عبد الله بن جعفر بن خشيش نا محمد بن منصور الطوسي نا[(٢)] أسود بن عامر نا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ «أنه رأى ربه عز وجل شاباً أمرد جعداً قططاً في حلة خضراء».

١٣٠- وذكر أبو بكر الخلال في سننه قال أنا محمد بن علي بن محمد الوراق قال نا إبراهيم بن هاني قال نا أحمد بن عيسى وقال له أحمد بن حنبل حدثهم به في منزل عمه قال نا عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن سعيد[(٣)] بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عمارة ابن عامر عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يذكر «أنه رأى ربه في المنام في صورة شاب موفر، رجلاه في خضر عليه نعلان من ذهب، على وجهه فَراش من ذهب»[(٤)].

---

(١) إسناده ضعيف، فيه عنعنة ابن جريج وهو مدلس. وقد أخرجه مسلم بلفظ: رآه بفؤاده مرتين. وقد تقدم ذكر طرقه.

(٢) في الأصل: نا أخبرنا، وهو خطأ.

(٣) في الأصل: سعد وهو خطأ، والتصويب من الطبراني والبيهقي وكتب الرجال.

(٤) حديث منكر، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥/ ١٤٣) والبيهقي في الأسماء (ص٤٤٦ - ٤٤٧) عن عمرو بن الحارث به.

وقد ضعفه الإمام أحمد بقوله: هذا حديث منكر، كما سيأتي نقل المصنف عنه. وفيه: مروان بن عثمان وهو ابن أبي سعيد بن المعلي الأنصاري الزرقي، ضعفه أبو حاتم وكذا الحافظ في التقريب. =

١٣١- ونا أبو القسم عبد العزيز قال أنا أبو بكر عبد العزيز في الإجازة قال نا محمد بن سليمان قال نا أحمد بن عبد الرحمن بن أخي وهب قال نا عمي عبد الرحمن بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رأيت ربي في المنام في خضر من الفردوس إلى أنصاف ساقيه، في رجليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب**»(١).

١٣٢- وأنا أبو بكر بن بشران أنا الدارقطني نا محمد بن إسماعيل الفارسي نا أبو زرعة الدمشقي نا أحمد بن صالح نا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث أن سعيد(٢) بن أبي هلال أخبره أن مروان بن عثمان أخبره عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل امرأة أبيٍّ بن كعب أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر «أنه رأى ربه في النوم في صورة

= وقال في ترجمته من التهذيب (١٠/ ٩٥): ذكر المؤلف (أي المزي) أنه روى عن أم الطفيل وفيه نظر، فإن روايته إنما هي عن عمارة بن عمرو بن حزم عن أم الطفيل امرأة أبي في «الرؤية» وهو متن منكر، قال أبو بكر بن الحداد سمعت النسائي يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله عز وجل. اهـ

قلت: وعمارة بن عمرو بن حزم، هو نفسه: عمارة بن عامر، فإن عمرو هو جدّ عمارة، كما سيأتي نقل المصنف عن أبي زرعة.

وذكره ابن أبي حاتم في كتابه (٦/ ٣٦٧) ولم يورد فيه جرحاً ولا تعديلاً. وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٢٤٥) وقال: يروي عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي» حديثاً منكراً، لم يسمع عمارة من أم الطفيل، وإنما ذكرته لكي لا يغتر الناظر فيه فيحتج به من حديث أهل مصر.

(١) هو مكرر الحديث السابق.

(٢) في الاصل: سعد.

شاب ذي وفرة قدماه في الخضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب».

١٣٣- وروى أبو عبد الله بن بطة في كتاب «الإبانة»: قال أحمد بن محمد الباغندي قال نا أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحرث عن عبد الله ابن أبي سلمة عن عبد الله بن عمر: أنه بعث إلى عبد الله بن عباس يسأله هل رأى محمد ربه تبارك وتعالى؟ فبعث إليه: أن نعم قد رآه، فرد عليه رسوله فقال: كيف رآه؟ قال: فقال رآه على كرسي من ذهب، تحمله أربعة من الملائكة، مَلَكٌ في صورة رجل، وملك في صورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، في روضة خضراء دونه فراش من ذهب»[١].

١٣٤- قال: ونا أبو ذر قال نا العطاردي قال نا يونس بن بكير عن أبي إسحق قال حدثني يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنشد رسول الله ﷺ من قول أميه بن أبي الصلت:

رَجُلٌ وثورٌ تحت رجلِ يمينه والنَّسر للأخرى ولَيث مرصد

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٩٨) وابن أبي شيبة في كتاب «العرش» (٣٨- بتحقيقي) والآجري في «الشريعة» (ص٤٩٤) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٤٣) وابن الجوزي في «العلل» (١/ ٣٧) وذكره الذهبي في يالميزان (٣/ ٤٧٤) كلهم عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق به.

قال البيهقي: فهذا حديث تفرد به محمد بن إسحاق بن يسار، وقد مضى الكلام في ضعف ما يرويه إذا لم يبين سماعه فيه، وفي هذه الرواية انقطاع بين ابن عباس رضي الله عنهما وبين الراوي عنه، وليس بشيء من هذه الألفاظ في الروايات الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. اهـ

فقال رسول الله ﷺ صدق[1].

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢٥٦) وابنه عبد الله في «السنة» (٢/ ٥٠٣- ٥٠٤) والدارمي (٢/ ٢٩٦) وابن أبي عاصم في («السنة» (٢/ ٢٥٥- ٢٥٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٩١) والطبراني في الكبير (١١/ ٢٣٣) وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٤٣- ٤٤) كلهم عن عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة (وقع عند أحمد: عتيبة وهو خطأ) عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ: «صدق أمية في شيء من شعره فقال:

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال النبي ﷺ صدق، وقال:

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
تأبي فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

فقال النبي ﷺ: «صدق».
قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٧١): هذا إسناد جيد.
قلت: لكن فيه عنعنة ابن إسحاق.
لكن قد صرح بالسماع في رواية يونس بن بكير عنه، أخرجها ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٩١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٦٠).
وأخرجه ابن خزيمة (ص٩٠) عن محمد بن عيسى حدثنا سلمة بن الفضل حدثني ابن إسحاق به. وفي إسناد البيهقي أحمد بن عبد الجبار وهو العطاردي، ضعيف، ولكن تابعه عند ابن خزيمة محمد بن أبان البلخي وهو ثقة حافظ، ويونس بن بكير دون عبدة بن سليمان الكلابي في الحفظ، قال ابن أبي حاتم: سئل أبي وأبو زرعة عن عبدة بن سليمان ويونس بن بكير وسلمة بن الفضل، أيهم أحب إليكم في ابن إسحاق؟ فقالا: عبدة بن سليمان.
وعلى كل حال، لم يتفرد به محمد بن إسحاق، خلافاً لقول البيهقي في الأسماء، بل تابعه عمارة بن أبي حفصة، أخرجه ابن خزيمة (ص ٩١) حدثنا أبو هاشم زياد بن أيوب حدثنا إسماعيل يعني ابن عليه حدثنا عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس فذكر القصة، قال عكرمة فقلت لابن عباس: وتجلد الشمس؟ فقال: عصفت بهن وأبيك إنما اضطره الراوي إلى أن قال تجلد.
وإسناده صحيح، عمارة بن أبي حفصة، قال أحمد وابن معين وأبو زرعة وابن سعد والنسائي: ثقة، وأبو هاشم ثقة حافظ.
وزيادة قال عكرمة فقلت لابن عباس...، فيها ما يستنكر وهو قوله: وأبيك، وقال الشيخ الهراس: وهي زيادة لا تطمئن إليها النفس.

وقد ذكر أبو الحسن الدارقطني هذه الألفاظ في كتب الرؤية من طرق.

اعْلَم أن الكلام في هذه الأخبار في فصلين: أحدهما: في طرقها، والثاني: في ألفاظها أما طرقها: فإن كلام أحمد في ذلك مختلف.

١٣٥- فروى المروذي قال حدثني عبد الصمد بن يحيى الدهقان قال سمعت شاذان يقول: أرسلت إلى أبي عبد الله أستأذنه في أن أحدث بحديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس **«رأيت ربي»** فقال: حدِّث به فقد حدث به العلماء، فقلت: إنهم يقولون ما رواه غير شاذان قال: بلى قد كتبته عن عفان عن رجل عن حماد بن سلمة(١).

وهذا من أحمد تصحيحٌ لحديث ابن عباس وتثبيت له.

١٣٦- وذكر أبو بكر الأثرم في كتاب العلل: سألت أحمد عن حديث عبد الرحمن بن عايش الذي روى عن النبي ﷺ **«رأيت ربي في أحسن صورة»** فقال يضطرب في إسناده، لأن معمراً روى عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

وروى معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

ورواه حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

ورواه يوسف بن عطية عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ.

ورواه عبد الرحمن بن زيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن

(١) أخرجه ابن المصنف في طبقاته (١/ ١١٨- ١١٩) قال: أنبأنا محمد بن الأبنوسي عن الدارقطني حدثنا محمد بن مخلد حدثنا أبو بكر المروذي حدثنا عبد الصمد بن يحيى فذكره، دون قوله: فقلت إنهم يقولون ما رواه غير شاذان... إلخ.
عبد الصمد بن يحيى الدهقان لم أجد له ترجمة.

عبد الرحمن بن عايش سمعت النبي ﷺ.

ورواه يزيد بن يزيد بن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

ورواه يحيى بن أبي كثير فقال عن ابن عباس عن مالك بن يخامر عن معاذ ابن جبل عن النبي ﷺ.

وأصل الحديث واحد، وقد اضطربوا فيه.

وظاهر هذا الكلام من أحمد التوقف في طريقه لأجل الاختلاف فيه، ولكن ليس هذا الكلام مما يوجب تضعيف الحديث على طريقة الفقهاء.

١٣٧- ورأيت في مسائل مهنا بن يحيى الشامي قال: سألته يعني أحمد عن حديث رواه ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب أنها قالت سمعت النبي ﷺ **«يذكر أنه رأى ربه في المنام في صورة شاب موفر رجلاه في خضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب»** فحوَّل وجهه عني وقال: هذا حديث منكر، وقال: لا نعرف هذا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان.

فظاهر هذا التضعيف من أحمد لحديث أم الطفيل.

١٣٨- ورأيته بخط أبي بكر الكشي قال عبد العزيز سمعت الخلال يقول: إنما نروي هذا الحديث وإن كان في إسناده شيء، تصحيحاً لغيره ولأن الجهمية تنكره.

١٣٩- ورأيت بخط ابن حبيب جوابات مسائل لأبي بكر عبد العزيز قال: حديث أم الطفيل فيه وهاء، ونحن قائلون به، وظاهر رواية إبراهيم

ابن هانئ تدل على صحته، لأن أحمد قال لأحمد بن عيسى في منزل عمه: حدثهم به، ولا يجوز أن يأمره أن يحدثهم بحديث يعتقد ضعفه، لا سيما فيما يتعلق بالصفات.

١٤٠- وقد صححه أبو زرعة الدمشقي فيما سمعناه من أبي محمد الخلال وأبي طالب بن العشاري وأبي بكر بن بشران عن علي بن عمر الحافظ فيما خرَّجه في آخر «كتاب الرؤية» قال نا محمد بن إسماعيل الفارسي قال نا أبو زرعة الدمشقي قال: نا أحمد بن صالح قال نا ابن وهب أخبره أن مروان بن عثمان أخبره عن عمارة بن عامر عن أم الفيل امرأة أبي بن كعب أنها سمعت رسول الله ﷺ «**يذكر أنه رأى ربه عز وجل في النوم في صورة شاب ذي وفرة قدماه في اخضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب**».

قال أبو زرعة: كل هؤلاء لهم أنساب قوية بالمدينة، فأما مروان بن عثمان فهو مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلي الأنصاري، وأما عمارة فهو ابن عامر ابن عمرو بن حزم صاحب رسول الله ﷺ، وعمرو بن الحرث وسعيد بن أبي هلال فلا يشك فيهما، وحسبك بعبد الله بن وهب محدثاً في دينه وفضله(١).

وظاهر الكلام من أبي زرعة إثباتاً(٢) لرجال حديث أم الطفيل، وتعريفاً لهم وبياناً عن عدالتهم، وهو ظاهر ما عليه أصحابنا، لأن أبا بكر الخلال ذكر

---

(١) في تاريخ أبي زرعة المطبوع (١/ ٤٤٥): ونسب مروان بن عثمان صاحب حديث أم الطفيل: مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلي الأنصاري.
قال أبو زرعة: أخبرنيه محمد بن عثمان عن محمد بن شعيب أنه نسبه له، وقد روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسعيد بن أبي هلال.اهـ

(٢) كذا في الأصل.

حديث أم الطفيل في «سننه» ولم يتعرض للطعن عليه.

١٤١- وأخرج إليَّ أبو إسحق البرمكي[(١)] جزءاً فيه حكايات عن أبي الحسن ابن بشار[(٢)] رواية أبيه أبي حفص[(٣)] عن أبيه أحمد بن إبراهيم[(٤)] قال: سألت الشيخ يعني أبا الحسن بن بشار[(٥)] عن حديث أم الطفيل وحديث

---

(١) أبو إسحاق البرمكي هو الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم البرمكي ثم البغدادي الحنبلي، مولده في سنة إحدى وستين وثلاث مئة. سمع أبا بكر القطيعي والحافظ أبا الفتح الأزدي الموصلي وابن ماسي وعدة.
حدث عنه: أبو غالب محمد بن عبد الواحد الشيباني، وأبو طالب اليوسفي وغيرهما.
قال الخطيب: كتبت عنه، وكان صدوقاً دينا، فقيها على مذهب أحمد، وله حلقة للفتوى، مات يوم التروية من ذي الحجة سنة خمس وأربعين وأربع مئة.

(٢) في الأصل: بن يسار وهو خطأ.

(٣) هو عمر بن أحمد بن إبراهيم أبو حفص البرمكي، كان من الفقهاء والأعيان النساك الزهاد، ذو الفتيا الواسعة والتصانيف النافعة، من ذلك «المجموع»، حدث عن ابن الصواف والخطبي، قال الخطيب: حدثنا عنه ابنه علي، وكان ثقة صالحاً ديناً، مات سنة ٣٨٩هـ. تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٨- ٢٦٩) طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٣- ١٥٥).

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل البرملي، ترجمه ابن المصنف في طبقاته (٢/ ٧٤) قال: صحب جماعة ممن صحبوا من صحب إمامنا أحمد، وتخصص لصحبه أبي الحسن بن بشار، وحكى عنه أشياء قد ذكرنا بعضها في «أخبار أبي الحسن بن بشار»، ونذكر الآن في هذه الترجمة ما أغفلناه هناك، من ذلك... ثم ذكر بعض أخباره.

(٥) هو علي بن محمد بن بشار أبو الحسن، الزاهد العارف، حدث عن عبد الله وصالح ابني أحمد بن حنبل وأبي بكر المروذي، روى عنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم المقرئ وعلي بن محمد بن جعفر البجلي وغيرهما.
قال أبو عبد الله بن بطة الفقيه: إذا رأيت البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار وأبا محمد البربهاري فاعلم أنه صاحب سنة. قال الخطيب: قال لي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء: أبو الحسن علي بن محمد بن بشار الزاهد، كان يروي مسائل صالح بن أحمد، وكان له كرامات ظاهرة، وانتشار ذكر في الناس، وتوفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة.
(تاريخ بغداد (١٢/٦٦)، طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧- ٦٣».

ابن عباس في الرؤيا، فقال: صحيح، فعارض رجل، فقال: هذه الأحاديث لا تذكر في مثل هذا الوقت، فقال له الشيخ: فَيَدْرس الإسلام، فسكت[١].

فقد حكم بصحة الحديث، وقد يجوز أنه لم يقع لأحمد معرفة مروان بن عثمان في حال ما سأله مهنا، ثم وقع له معرفة نسبه فيما بعد.

١٤٢- وكتب إليَّ أبو القسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني بجزءٍ فيه حديث ابن عباس في الرؤية من طرق، وكلام أصحاب الحديث عليه.

١٤٣- فقال أنا الحسن بن علي بن سلمة الهمذاني ومحمد بن علي بن مهدي وغيرهما قالوا ثنا أحمد بن جعفر بن مالك/ ونا أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسحق واللفظ له قال نا سليمن بن أحمد بن أيوب[٢] قال نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال نا الأسود بن عامر قال نا حماد ابن سلمُة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة جعد قطط في روضة خضراء»**.

١٤٤- **قال**: وأبلغت أن الطبراني قال: حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ في الرؤية صحيح، وقال: من زعم أني رجعت عن هذا الحديث بعد ما حدثت به فقد كذب، وهذا حديث رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ وجماعة من التابعين عن ابن عباس،

(١) ذكرها ابن المصنف في طبقات (٢/ ٥٩) في ترجمة أبو الحسن بن بشار معلقة: وقال أحمد البرمكي: سألت أبا الحسن بن بشار عن حديث أم الطفيل.

(٢) هو الطبراني وقد تقدم بيان مكان الحديث عنده، وهو من غير هذا الطريق .

وجماعة من تابعي التابعين عن عكرمة، وجماعة من الثقات عن حماد ابن سلمة[1] عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ وذكر أسماءهم بطولها.

١٤٥- وأنا محمد بن عبيد الله الأنصاري قال سمعت أبا الحسن عبيد الله بن محمد بن معدان يقول سمعت سليمان بن أحمد يقول سمعت ابن صدقة الحافظ[2] يقول: من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق.

١٤٦- وأنا محمد بن سليمان قال سمعت بندار بن أبي إسحق يقول سمعت علي بن محمد بن إبان يقول سمعت البرذعي يقول: سمعت أبا زرعة الرازي يقول: من أنكر حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت ربي عز وجل» فهو معتزلي[3].

---

(١) هنا إشارة من الناسخ إلى وجود سقط في العبارة استدركه في الهامش وكتب إلى جانبه: صح، ولكنه مطموس لم أستطع قراءته.
ثم تبين لي عند حصولي على الصورة الثانية وهو: «وقال أبي رحمة الله: روى هذا الحديث جماعة من الأئمة الثقات عن حماد بن سلمة» ولا يتناسب مع السياق!.

(٢) هو الإمام الحافظ المتقن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادي.
حدث عن أحمد بن حنبل بمسائل وعن إسماعيل بن مسعود الجحدري، ومحمد بن مسكين اليمامي وعدة.
وحدث عنه: عبد الباقي بن قانع وابو بكر الشافعي والبراني والفقيه أبو بكر الخلال وأبو بكر بن مجاهد.
قال الدارقطني: ثقة ثقة.
وقال ابن المنادي: كان من الحذق والضبط على نهاية ترضي أهل الحديث. وقال الذهبي: كان نقالاً لكتب القراءات، ومسائله عن الإمام أحمد مدونة، وكان موصوفاً بالإتقان والتثبت. توفي سنة ٢٩٣هـ.
(تاريخ بغداد (٥/ ٤٠-٤١)، طبقاته الحنابلة (١/ ٦٤- ٦٥)، السير (١٤/ ٨٣- ٨٤)).

(٣) في سنده من لم أجد له ترجمة.

١٤٧- وسمعت علي بن أحمد بن مهران المديني[١] قال حضرت أبا عبد الله ابن مهدي وحضر عند جماعة فتذاكروا حديث عكرمة، وأنكره بعضهم، وكنت قد حفظته فحدثت به بطولة، فقام إليَّ أبو عبد الله وقبَّل رأسي ودعا لي.

١٤٨- ونا محمد بن محمد بن الحسن قال نا أحمد بن محمد الملحمي قال سمعت محمد بن علي بن جعفر البغدادي قال سمعت أحمد بن محمد بن هاني الأثرم يقول: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ «**رأيت ربي**» الحديث فقال أحمد بن حنبل هذا حديث رواه الكبر عن الكبر عن الصحابة عن النبي ﷺ فمن شكَّ في ذلك، أو في شيء منه فهو جهمي لا تقبل شهادته، ولا يُسَّلم عليه، ولا يُعاد في مرضه[٢].

١٤٩- وأنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسحاق قال نا محمد بن يعقوب قال نا أحمد بن محمد قال نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي يصحح هذه الأحاديث ويذهب إليها، وجمعها وحدثناها.

١٥٠- وروى بإسناده عن عبد الوهاب الوراق قال: سمعت أسود بن سالم يقول في هذه الأحاديث التي جاءت في الرؤية قال: نحلف عليها

---

(١) كذا في الأصل ابن مهران، ولم أجد من ترجمه، ولعله أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أخرم المديني، ثم النيسابوري الصندلي المؤذن. مولده سنة ٤٠٥هـ ووفاته سنة ٤٩٤هـ قال عبد الغافر في تاريخه (بواسطة السير): شيخ عابد فاضل جليل، من تلامذة الإمام أبي محمد الجويني.
وقال الذهبي: الشيخ العالم الزاهد، بقية المسندين...
(السير (١٩/ ١٥٧- ١٥٨)، العبر (٣/ ٣٤١)، شذرات الذهب (٣/ ٤٠١)).
(٢) في سنده من لم أعثر له على ترجمة.

بالطلاق والعتاق أنها حق[١]. فهذا الكلام في طريقها.

وأما ألفاظ هذه الأحاديث فإنها تتضمنم إثبات الصورة وإثبات الرؤية، وقد تقدَّم الكلام في ذلك فيما قبل، وتتضمن زيادة ألفاظ في الرؤية لا يجب أن يستوحش من إطلاقها، لوجهين:

أحدهما: أن أحمد قال في رواية حنبل: لا نزيل عنه صفة من صفات ذاته بشناعة شُنِّعت.

الثاني: أننا لا نطلقها على وجه الجوارح والأبعاض، وتغير الأحوال، وإنما نطلقها كما نطلق غيرها من الصفات من الذات والنفس والوجه واليدين والعين وغير ذلك، وليس في قوله: شاب وأمرد وجعد وقطط وموفر إثبات تشبيه، لأننا نُثبت ذلك تسميةً كما جاء الخبر لا نعقل معناها، كما أثبتنا ذاتاً ونفساً، ولأنه ليس في إثبات الفراش والنعلين والتاج وأخضر أكثر من تقريب المحدث من القديم، وهذا غير ممتنع كما لم يمتنع وصفه بالجلوس على العرش، وكما روي في تفسير قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال يقعده على العرش.

وكما رُوي «أن الله يدني عبده حتى يضع عليه كنفه» وكما روي في قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩] وكما روي «أنه وضع يده بين كتفيه» وكما روي «دونه حجاب» وغير ذلك[٢].

واعلم أنها رأيا منام، لأن أم الطفيل قد صرحت بذلك في خبرها، وحديث ابن عباس أكثر ألفاظه مطلقة، وقد نقل في بعضها صريح بذكر

(١) سبق تخريجه في أول الكتاب.
(٢) سبق تخريج هذه الأحاديث.

المنام فيما حدثنا أبو القسم فقال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة يعني في النوم».

فإن قيل: فهذه الأخبار ضعاف، لأن مدارها على عكرمة، وقد قال ابن عمر لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس(١).

قيل: هذا غلط، لأن عكرمة ثقة ثقة، وهو مولى لابن عباس، وقد أخرج عنه البخاري ومسلم ومالك وأحمد وغيرهم من أئمة أصحاب الحديث.

فإن قيل: فهذه الأخبار منام، والشيء قد يُرى في المنام على خلاف ما هو به، قيل هذا غلط لوجوه: أحدها أن النبي ﷺ قصد بذلك بيان كرامته من ربه وقرب منزلته منه، فإذا حمل على خلاف ما أخبر زال المقصود، ولأن ما يخبر به شرع فهو معصوم فيه وصفات الله عز وجل شرع اعتقادها، وإذا كان معصوماً استوى فيه المنام واليقظة، لأن رؤية الأنبياء تجري مجرى الوحي، من ذلك رؤيا إبراهيم عليه السلام ذبح ولده، ومن ذلك رؤيا يوسف عليه السلام في المنام الكواكب أنها ساجدة له، ولأن أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام.

فإن قيل: يحتمل أن يكون قوله «رأيت ربي جعداً قططاً شاباً موفراً» معناه: وأنا جعد قطط أمرد، فتكون الصفة راجعة إلى النبي ﷺ كما يقال: رأيت الأمير راكباً يحتمل أن يكون الأمير هو الراكب، ويحتمل أن يكون الرائي راكباً.

---

(١) التهذيب (٧/ ٢٦٧).
وردَّه الحافظ في التقريب بقوله: ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة. أما الحافظ الذهبي فقال: ثبت، لكنه أباضي يرى السيف، وروى له مسلم مقروناً وتحايده مالك. (الكاشف ٢/ ٢٤١).

قيل: هذا غلط لوجوه: أحدها: أنه لم يكن هذه صفات النبي ﷺ ولو تغيرت صفته في تلك الحال لأخبر بذلك، كما أخبر بوضع اليد بين كتفيه، وكما أخبر بقوله «فيم يختصم الملأ الأعلى» ولأن ألفاظ الخبر تدفع هذا، لأن في حديث ابن عباس عليه «تاج يلمع منه البصر» لو كانت الصفة راجعة إلى النبي ﷺ لقال عليَّ تاج، وفي حديث أم الطفيل «رجلاه في خضر عليهي نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب» ولو كانت الصفة عائدة على النبي ﷺ لقال: على وجهي وعليَّ فراش وعليَّ نعلان. وعلى أن قائلاً لو قال: رأيت الأمير جعداً قططاً، لم تنصرف هذه الصفة إلا إلى الأمير دون الرائي، كذلك ها هنا.

فإن قيل: يحتمل أن تكون هذه المناظرة التي وصفها في الخبر ترجع إلى ما رأى في الجنة من هذه الخلق وما زُينت به، وأنه كان رائياً لربه في جميع ذلك لم يقطعه نظره إليها عنه ولم يشغله عنه.

قيل: هذا غلط لأنه لو قال: رأيت الخليفة في صورة شاب على وجهه فراش وفي رجليه، لم يعقل من ذلك داره، وإنما يرجع ذلك إلى ذاته.

فإن قيل: هذه الصفات لا تليق بصفات الله سبحانه لأنها من صفات المخلوقين المحدثين. قيل: هذا غلط، لأن مثل هذا موجود في إثبات الوجه واليدين والعين فإنها من صفات المخلوقين المحدثين، وقد جاز وصفه بها.

فإن قيل: إنما أثبتنا ذلك لأنها وردت من طريق مقطوع عليه وهو القرآن، وهذه أخبار آحاد، وخبر الواحد إنما يقبل فيما طريقه العمل، فأما فيما طريقه الاعتقاد والقطع فلا، لأنه لا يمكن القطع بمثلها.

قيل: هذا غلط، لأنها وإن كانت أخبار آحاد فقد تلقتها الأمة بالقبول،

منهم من حملها على ظاهرها وهم أصحاب الحديث[(١)]، ومنهم من تأولها وتأويله لها قبول لها، وإذا تُلقيت بالقبول اقتضت العلم من طريق الإستدلال، لأن تلقيهم لها يدل على صحتها.

وجواب آخر: وهو أنه لو لم يجب قبولها لم يجب التشاغل بتأويلها كسائر الأخبار الباطلة، ولما تشاغلوا بالتأويل على مقتضى اللغة، علمنا صحتها.

فإن قيل: إنما تأولناها لئلا يخلو نقلها من فائدة، وأن لا يكون ورودها كلا ورود.

قيل: لو لم يجب قبولها لم يلزم طلب الفائدة لها، ولم يضر إطراحها كسائر الأخبار الباطلة.

١٥١- وقد روي عن ابن عباس كلام يؤكد صحة حديثه ذكره أبو بكر بن أبي داود في كتاب «السنة» من جملة كتاب السنن بإسناده: عن عكرمة قال: سئل ابن عباس هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم، قال كيف رآه؟ قال: في صورة شاب دونه ستر من لؤلؤ، كان قدميه في خضرة، فقلت أنا لابن عباس: أليس هو من يقول ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾؟ قال: لا أم لك، ذلك نوره الذي هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء[(٢)].

---

(١) الذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة أنه لا فرق بين الحديث الآحاد والحديث المتواتر في تلقي العقيدة وغيرها، وأن التفريق بينهما بدعة محدثة، لم يعرفها سلف الأمة وعلمائها، وإنما أحدثها من كاد لهذه الأمة وعقيدتها.

وبسبب هذه البدعة الشنيعة، ردّت أحاديث علامة الساعة ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وظهور المهدي وخروج الدجال... وغيرها من أحاديث العقيدة.

وللشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نفيس على خبر الواحد وحجيته في كتابه «الرسالة» (ص٣٦٩- ٤٦١).

(٢) أثر ضعيف، وقد سبق تخريجه.

وهذا يدل من كلامه على إثبات الحديث، وحمله على ظاهره، وتأويل الآية.

١٥٢- فأما الفراش: فقال أبو بكر عبد العزيز نا أحمد قال سألت ثعلب عن قوله «فراش من ذهب» قال: الفراش ما تطاير من كل شيء رقيق فهو فراش. فهذا حدُّ الفراش في الشاهد(١)، فأما الفراش المذكور في الخبر، فلا نعقل معناه كغيره من الصفات(٢).

***

(١) «الفراش» بالفتح: الطَّير الذي يُقلي نفسه في ضوء السراج، واحدتها: فراشة. النهاية (٣/ ٤٣٠).

(٢) بل الصواب أن أهل السنة والجماعة يعقلون معاني الصفات الإلهية ولكنهم يفوضون الكيفية، أما تفويض المعنى فليس هو مذهب السنة، بل هو مذهب بدعي كما تقدم.

[حديث آخر في الصورة]

١٥٣- رواه أحمد في المسند: عن عبد الرزاق نا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال: قال الناس يا رسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ «**هل تُضَارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله، فقال: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» فقال لا يا رسول الله، قال: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فيتبعه، فيتبع من كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقول: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا عز وجل، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه**».

اعلم أن هذا الخبر يدل على إثبات الصورة وعلى الإتيان، وقد تقدم ذلك في الأخبار التي قبله، وبينا أنه غير ممتنع جواز إطلاق الصورة لا كالصور، كإطلاق نفس وذات لا كالنفوس والذوات، وإتيان لا عن انتقال وشغل مكان، كما جاز إطلاق الاستواء على العرش، لا عن انتقال من حال إلى حال، وكما جاز رؤيته لا في مكان! وإن لم يكن ذلك معلوماً في الشاهد.

فإن قيل: معنى الإتيان ها هنا ظهور فعله كقوله ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] وقوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١].

قيل: هذا غلط، لما بيَّنا فساده[1][2] في الخبر الذي قبله، وبينا أن ظهور فعله عام في كل الأزمان والأحوال، فلا فائدة لتخصيصه في ذلك اليوم.

والثاني: إن جاز تأويل الإتيان على الأفعال، جاز تأويله قوله «**ترون ربكم**» على رؤية أفعاله وملكه، وذلك لا يصح، وبينا أن قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ﴾ على ظاهره، وأن المراد به الذات، وأجبنا عن قوله ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾ [النحل: ٢٦] على أن المراد به أفعاله، لأن في الآية ما دل عليه من خراب الديار.

فإن قيل: فقوله «في صورته» معناه بصورته، فتكون الفاء ها هنا بمعنى الباء، وقد رُوي عن ابن عباس في قوله ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ بظلل، ولقوله الحركة بالمتحرك، والحركة في المتحرك، فتحصل تقديره يأتيهم بالصورة التي يعرفونها في الدنيا، من التدبير والملك، لأن معرفتهم له في الدنيا كانت بالدلالات المنصوبة وآياته.

قيل: هذا غلطٌ لوجوه، أحدها: أن قولهم أنت ربنا فيتبعونه، وهذا لا يتصور في أفعاله وملكه، لأنه لا يوصف بالربوبية ولا يصح اتباعه.

الثاني: أنه إن جاز تأويله على ما يظهر من أفعاله وملكه، جاز تأويل قوله «إنكم ترون ربكم» على رؤية تعطفه بكم، ورحمته لكم، وقد أجمعنا ومثبتوا

---

(١) في الأصل: إفساده، وهو خطأ.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد (٢/ ٢٧٥- ٢٧٦، ٥٣٣- ٥٣٤) والبخاري (١١/ ٤٤٥) عن عبد الرزاق به، وقد اختصره المصنف هنا. وقد تابع إبراهيم بن سعد معمراً عند البخاري (١٣/ ٤١٩- ٤٢٠) ومسلم (١/ ١٦٣- ١٦٦).
وتابعهما شعيب عند البخاري (١١/ ٤٤٤- ٤٤٥).

الصفات على خلاف ذلك.

الثالث: أنهم سألوه هل نرى ربنا؟ قال «ثم يجمع الله الناس ثم يأتيهم فيقولون أنت ربنا» فاقتضى ذلك إتياناً يرونه فيه، لأن النبي ﷺ أثبت لهم رؤية ووصف(١) لهم كيفية الرؤية.

فإن قيل: يحتمل أن يكون قوله «يأتيهم الله» معناه يأتيهم خلق من خلقه من الملائكة يتصوَّر لهم، ويخاطبهم بأمر الله، وأضاف ذلك إليه، كما يقال ضرب الأمير اللص، معناه أمر بضربه، يدل على ذلك قوله «نعوذ بالله منك» ولو كان هو الإله لقالوا: نعوذ بك.

قيل: هذا غلط لقوله «فيأتيهم الله ولأن القوم سألوه هل نرى ربنا قال «نعم يجمع الله الناس ثم يأتيهم فيقولون أنت ربنا» فاقتضى ذلك إتياناً يرونه منه.

وأما قولهم «نعوذ بالله منك»(٢) فلا يمتنع مثل هذا، كما روي أنه كان في دعاء النبي ﷺ «أعوذ بك منك» ولا يمتنع أن يذكر الاسم الظاهر في موضع الكناية كما قال تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم: ٨٥] وتقديره نحشر المتقين إلينا.

فإن قيل: فقد حُكي عن أبي عاصم النبيل أنه كان يقول: ذلك تغير يقع في عيون الرائين، كنحو ما يتخيل إلى الإنسان الشيء بخلاف ما هو به، فيتوهم الشيء على الحقيقة.

---

(١) في الأصل: وصف، والسياق يقتضي زيادة الواو.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٢) عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فَقدتُ رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بَطْنِ قَدَميه- وهو في المسجد- وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم إني أعوذ بك برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

قيل: هذا غلط، لأن في الخبر أنه قال: «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقولون: نعوذ بالله منك، ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقولون أنت ربنا ويتبعونه» وهذا الفرق بين الصورتين لا يكون عن تغير يقع في العين وإنما يكون عن تميز صحيح.

فإن قيل: لابد من حمل الخبر على نوع مما ذكرنا، لاستحالة أن يكون الله سبحانه على صور كثيرة يجهلونه مرة ويعرفونه أخرى، أو يكون ممن يحل الصور فتنتقل الصور به، لاستحالة أن يكون حالًا أو محلًا للصور أو مصور، فلم يبق إلا أن يكون تغير الصور راجعاً إلى الملك والفعل، أو تكون الصورة بمعنى الصفة، كما يقول القائل: عرفني صورة هذا الأمر أي صفته فيحصل تقدير ما يظهر لهم من بطشه وشدة بأسه يوم القيامة، وقد عرفوه حليماً غفَّاراً كريماً، فيظهر لهم منها قولا[1] «أنا ربكم» فيقولون عند ذلك «نعوذ بالله منك، مستعيذين بالله، هذا مكاننا حتى يأتينا» بمعنى حتى يظهر رحمته وكرمه، فيأتيهم بعد ذلك في الصورة التي يعرفونها من العفو والمغفرة.

قيل: هذا غلط، لأنه لا يجب حمله على شيء مما ذكروه، لأنَّا نطلق صفة الإتيان لا عن انتقال، ونطلق الصورة لا على وجهه التشبيه، كما أطلقنا تسمية نفس وذات ووجه ويد.

أما تغير الصورة فليس بتغير، لأنه لا يمتنع أن يكون جميع ذلك صفات له يحجبهم عن النظر إلى شيء منها في حال، ويريهم إياها في حال أخرى، كما جاز أن يريهم ذاته في حال ويمنعهم ذلك في حالة أخرى، وإذا كان كذلك لم يجز منه ما قالوه من تغير الصور عليه.

---

(١) كذا في الأصل: قولا، ولعل الصواب: قولٌ.

وأما حمله على الملك والفعل، فقد أفسدناه من الوجوه التي تقدمت، وكذلك حمل الصورة على الصفة لا يصح لما ذكرنا، وهو أن في الخبر «فيأتيهم فيتبعونه» وهذا لا يصح في الملك.

والثاني: أنه لو جاز تأويله على هذا، جاز تأويل قوله «ترون ربكم».

والثالث: أن النبي ﷺ تكلم بهذا في جواب سؤالهم عن رؤية الله في الآخرة. اهـ

* * *

[إثباتُ صفة السّاق لربنا سبحانه]

[حديث آخر في هذا المعنى]

ذكره أبو بكر الخلال في كتاب السنة فقال: أنا أبو بكر المروذي قال نا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني قال نا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم(١) خالد بن أبي يزيد قال حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال ابن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع قال نا عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلومٍ**» وذكر الخبر إلى أن قال «**وينزل الله تبارك وتعالى في ظللٍ من الغمام من العرش إلى الكرسي**» إلى أن قال «فيتمثل لهم الربُّ تبارك وتعالى فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس فيقولون: لنا إله ما رأيناه بعد، فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم بيننا وبينه علامة، إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول: ما هي؟ قال فيقولون: يكشف عن ساقه، قال فعند ذلك يكشف عن ساقه، قال فيخر من كان بظهره طَبَق، ويبقى قومٌ ظهورهم كأنها صَيَاصي البقر، يُريدون السجود فلا يستطيعون» وذكر الخبر بطوله(٢).

---

(١) في الأصل: عبد الرحمن وهو خطأ وما أثبتناه موافق لما فيب التهذيب وغيره.

(٢) صحيح، أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٢٠- ٥٢٤) والطبرانفي «الكبير» (٩/ ٣٥٧- ٤٦١) عن إسماعيل بن عبيدة بن أبي كريمة به. قلت: وإسناده حسن، رجاله ثقات سوى المنهال بن عمرو فهو صدوق.
وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣٢٩) والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٧- ٣٦١) والحاكم (٤/ ٥٨٩- ٥٩٢) من طريق أبي خالد الدالاني عن المنهال بن عمرو به.
قال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، غير أنهم لم يخرجا أبا خالد الدالاني في الصحيحين لما ذكر من انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة، فأما الأئمة المتقدمون =

١٥٦- وقد ذكره البخاري في صحيحه بإسناده: عن أبي سعيد سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشفُ ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة**»(١) وذكر الخبر بطوله.

١٥٧- وقد رواه أبو الحسن الدارقطني في كتاب «الرؤيا» عن ابن مسعود وابن عمر، فرواه بإسناده: عن عبد الله عن النبي ﷺ يوم يكشف عن ساق قال: يكشف ربنا عن ساقه ونخر له سجداً»(٢).

= فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق والاتقان، والحديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده، وأبو خالد شيعي متحرف.

قلت: وأبو خالد هو يزيد بن عبد الرحمن الأسدي الكوفي، صدوق يخطئ كثيراً وكان يدلس، قاله الحافظ.

وتساهل الهيثمي فقال في المجمع (١٠/ ٣٤٣) بعد ذكره للحديث: رواه كله الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح، غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة اهـ. ولكنه متابع كما تقدم.

وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٦- ٣٧٧) من هذا الطريق موقوفاً.

وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩/ ٢٥) موقوفاً على ابن مسعود من ثلاثة طرق عنه:

الأولى: عن شريك عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بنحوه. والمنهال لم يسمع من عبد الله، وشريك هو القاضي سيء الحفظ.

الثانية: عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال حدث عبد الله وهو عند عمر «يوم يقوم الناس لرب العالمين» بنحوه. وسندها حسن.

الثالثة: عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة وقيس بن سكن قالا قال عبد الله وهو يحدث عمر بنحوه.

وسندها حسن أيضاً.

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٧) إلى إسحاق بن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا والآجري في الشريعة والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي في البعث.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٦٣- ٦٦٤) مختصراً وفي التوحيد (١٣/ ٤٢٠- ٤٢٢) مطولاً ومسلم (١/ ١٦٧- ١٧١).

(٢) هو الحديث قبل السابق.

١٥٨- وبإسناده: عن ابن عمر عن النبي ﷺ يوم يكشف عن ساق قال: «**يكشف عن ساقه ونخر له سجداً**».

اعلم أن هذا حديث صحيح.

١٥٩- قال المروذي: ذكرت لأبي عبد الله حديث محمد بن سلمة الحراني عن عبد الرحمن قال حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال عن أبي عبيدة عن مسروق قال حدثنا عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال أبو عبد الله: هذا حديث غريب، لم يقع إلينا عن محمد بن سلمة، واستحسنه.

والكلام فيه في فصول: أحدها قولهُ «ينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» وهذا غير ممتنع في صفاته ونظيره قوله ﷺ: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا في كل ليلة**» وذلك جائز لا على وجه الانتقال من مكان وشغل مكان آخر، كما جاز وصفه بالاستواء على العرش لا على وجه الانتقال، وإن كان حرف «ثم» يقتضي حدوث استواء، ويأتي الكلام في ذلك في خبر النزول إلى سماء الدنيا.

* * *

الفصل الثاني

جواز رؤيته سبحانه للمؤمنين

وهذا فصل يأتي ذكره في حديث آخر

الفصل الثالث

الفصل الثالث

قوله «يكشف عن ساقه»

قوله «يكشف عن ساقه» وهذا أيضاً غير ممتنع إضافة الساق إليه وإثبات ذلك صفة لذاته، كما لم يمتنع إضافة اليد والوجه على وجه الصفة، لا على وجه الأبعاض والأجزاء، كذلك في الساق، ونظير هذا الخبر ما روي «يضع قدمه» وروي «رجله في النار» ويأتي الكلام في ذلك.

فإن قيل: المراد بذكر الساق ها هنا شدة الأمر، قال الشاعر:

وقامت الحرب على ساق.

وقال ابن عباس في قوله «يَومَ يُكشف عن ساق» أي عن شدة الأمر(١).

١٦٠- وقال الحسن في قوله ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ [القيامة: ٢٩] أي التفت ساق الدنيا بساق الآخرة(٢).

قيل: هذا غلط لوجوه، أحدها: أنه قال: «فيتمثل لهم الرب وقد كشف عن ساقه» والشدائد لا تسمي ربًا.

والثاني: أنهم التمسوه ليتَّبعوه، فينجوا من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من كان يعبد غيره، وإذا كان كذلك لم يجز أن يلتمسوه على صفةٍ تلحقهم فيها الشدة والأهوال.

الثالث: أنه قال «فَيَخرون سُجَّدا» والسجود لا يكون للشدائد، وهذا جواب أبي بكر، رأيته في تعاليق أبي إسحاق عنه.

(١) تقدم تخريجه والكلام على أسانيده.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٩/ ١٢٢) عن قتادة عنه.
وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٢) إلى عبد بن حميد.

الرابع: إن جاز تأويل هذا على الشدة، جاز تأويل قوله «ترون ربكم» على رؤية أفعاله وكراماته، وقد امتنع مُثبتو الصفات من ذلك، والذي رُوي عن ابن عباس والحسن، فالكلام عليه من وجهين: أحدهما: أنه يحتمل أن يكون هذا التفسير منهما على مقتضى اللغة، وأنَّ الساق في اللغة هو الشدة، ولم يقصد بذلك تفسيره في صفات الله تعالى في موجب الشرع.

والثاني: أنه يُعارض ما قاله قول عبد الله بن مسعود، أخرجه إليّ أبو القسم عبد العزيز قال: نا أبو القاسم إبراهيم بن جعفر الساجي قال أنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق التمار البصري قال نا أبو داود سليمان بن الأشعث قال نا سلمة بن شبيب نا عبد الرزاق أنا سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن ابن مسعود في قوله عز وجل ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قال: عن ساقيه جلَّ ذكره[1].

١٦١- وقال أبو داود نا بندار محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان ابن مسعود يقول ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾

---

(١) إسناده منقطع، أبو صادق هو الأزدي الكوفي، صدوق، أرسل عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة (التهذيب ١٢/ ١٣٠).

ففي سماعه من ابن مسعود بُعد، فإن علياً وأبا هريرة توفيا بعد ابن مسعود. وله طريق آخر، أخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٣٧) أخبرنا علي بن العباس بن الأشعث ثنا محمد بن حماد الطهراني ثنا عبد الرزاق أنبأ الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود به. والطهراني ممن روى عن عبد الرزاق بعدما عمي، وشيخ ابن منده لم أجد له ترجمة. وأشار إلى هذا الأثر الحاكم وصححه (٢/ ٥٠٠) فقال بعد أن روى حديث ابن عباس في تفسير «يوم يكشف عن ساق»: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أولى من حديث رُوي عن ابن مسعود بإسناد صحيح! لم أستجز روايته في هذا الموضع.

وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

[القلم: ٤٢] قال: يكشف الرحمن عن ساقه(١).

١٦٢- وأخرج إلى أبو القسم قال نا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران نا عثمان بن أحمد بن عبد الله بن السماك قال نا عبد الله بن ثابت قال حدثني أبي قال حدثني الهذيل بن حبيب الدنداني قال قال مقاتل بن سليمان قال عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] يعني عن ساقه اليمين، فيضيء من نور ساقه الأرض، فذلك قوله ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، يعني نور ساقه اليمين(٢).

١٦٣- فهذا قول ابن مسعود وناهيك بعبد الله أول المقدَّمين من الصحابة بعد العشرة وقال النبي ﷺ **«رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد»**(٣).

---

(١) إسناده منقطع، إبراهيم وهو ابن يزيد النخعي لم يسمع من عبد الله.
ولم أجد الحديث في سنن أبي داود ولا في المراسيل وكذا الذي قبله.

(٢) إسناده ضعيف، مقاتل بن سليمان متهم ورمي بالتجسيم.

(٣) صحيح، أخرجه الحاكم (٣/ ٣١٧- ٣١٨) عن زائدة عن منصور عن زيد بن وهب عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.
قال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله علة من حديث سفيان الثوري فأخبرنا محمد بن موسى بن عمران الفقيه ثنا إبراهيم بن أبي طالب ثنا ابو كريب ثنا وكيع عن سفيان.
وأما حديث إسرائيل فأخبرناه أبو عبد الله الصفار ثنا أحمد بن مهران ثنا عبيد الله بن موسى أنا إسرائيل جميعاً عن منصور عن القاسم بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ فذكره. اهـ
قلت: وهذا المرسل لا يقدح في صحة الموصول السابق، لأن الراوي عن منصور وهو زائدة ابن قدامة ثقة ثبت، فوجب قبول زيادته، ولأن منصور رواها عن شيخ آخر فدلَّ على أن له شيخان في هذا الحديث، وهذا ما قرره الشيخ الألباني حفظه الله في السلسلة (١٢٢٥).
وممن رواه مرسلا من الوجه السابق: أحمد في فضائل الصحابة (١٥٣٦) والطبراني في الكبير (٩/ ٨٠).

١٦٤- «وتمسكوا بعهد[١] ابن أم عبد»[٢] . . . .

= ورواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٤٩- ٥٥٠) عن سفيان حدثني أبو عميس (عتبة بن عبد الله) عن القاسم قال: قال النبي ﷺ لعبد الله: «قم فتكلم فحمد الله عز وجل ... فقال. النبي ﷺ: «اللهم رضيت لأمتي...» ورواه العدني في مسنده (كما في المطالب ٤/ ١١٣- ١١٤).

وأخرجه الطبراني كما في المجمع (٩/ ٢٩٠) مطولاً عن أبي الدرداء وقال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن عبيد الله بن عثمان بن خثيم لم يسمع من أبي الدرداء والله أعلم.

ورواه البزار عن عمرو بن أبي قيس عن منصور عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله مرفوعاً به وزاد: وكرهت لأمتي ما كره لها ابن أم عبد.

قال البزار: لا نعلم أسند منصور عن القاسم عن أبيه عن عبد الله إلا هذا، ولا نعلمه مسنداً إلا بهذا الإسناد، وروي عن منصور عن القاسم بن عبد الرحمن مرسلاً. اهـ

وفي إسناده محمد بن حميد الرازي، حافظ ضعيف، قاله الحافظ.

ورواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٣٩) عن وكيع ثنا مالك يعني ابن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ فذكره مرسلاً. ورجاله ثقات.

(١) كتب فوق بعهد: بهدي، وقد وردت في بعض طرق الحديث.

(٢) جزء من حديث صحيح، رواه أحمد (٥/ ٣٩٩) وفي فضائل الصحابة (١٩٨، ٤٧٩) والبخاري في الكنى (ص٥٠) وابن سعد (٢/ ٣٣٤) والترمذي (٥/ ٦١٠) عن سالم أبي العلاء المرادي عن عمرو بن هرم عن ربعي بن حراش وأبي عبد الله عن حذيفة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ قال: **«إني لست أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي يشير على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد أم عبد»** ولم يذكر الترمذي: واهتدوا بهدي... إلى آخره.

وأبو عبد الله قال ابن سعد: رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وقال البخاري في الكنى: رجل من أهل المدائن، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وسالم هو ابن عبد الواحد المرادي الأنعمي قال الحافظ: مقبول. وعمرو بن هرم ثقة.

وقد تابعه عبد الملك بن عمير، أخرجه الحميدي (٢/ ٢١٤) وابن سعد (٢/ ٣٣٤) وأحمد (٥/ ٣٨٢) والترمذي (٥/ ٦٠٩) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٧٧) والحاكم (٣/ ٧٥) عن ربعي ابن حراش عن حذيفة مرفوعاً به، وبعضهم لا يذكر: واهتدوا بهدي... وقال الترمذي: حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. =

وهو صاحب السواد يعني سرار[١] رسول الله[٢] وقال «لو كنت مُؤَمِراً أحداً دون شورى المؤمنين، لأمرّتُ عليهم ابن أم عبد»[٣].

= ورواه عبد الملك بن عمير عن هلال مولى لربعي عن ربعي عن حذيفة. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٤٥) وأحمد (٥/ ٣٨٥، ٤٠٢) وابن ماجة (١/ ٣٧) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٨٠) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٢٢٣) والخطيب في تاريخه (١٢/ ٢٠) والحاكم (٣/ ٧٥) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٥٣) وفي «الاعتقاد» (ص٣٤٠).
وبعضهم يقول عن مولي لربعي ولا يسميه، وهما واحد، كما نبه عليه أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٣٨١)، وقال فيه الحافظ: مقبول.
ورواه عبد الملك عن مولى لربعي عن حذيفة.
أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٣٤) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٨٠) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٢٢٣).
وله طريق آخر عن ابن مسعود، أخرجه الترمذي (٥/ ٦٧٢) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٧٢). والحاكم (٣/ ٧٥- ٧٦) عن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كُهيل حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود مرفوعاً به.
وسنده ضعيف جداً، علته يحيى بن سلمة فإنه متروك.
قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود، لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث.
وقال الذهبي: سنده واه.

(١) في الأصل: شراز وهو خطأ.

(٢) يشير إلى حديث مسلم (٤/ ١٧٠٨) وابن ماجة (١/ ٤٩) والطبراني في الكبير (٩/ ٧٧) عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي سمعت عبد الله بن مسعود يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذْنُكَ عليَّ أن يرفع الحجاب، وأن تسمع سِوادي حتى أنهاك**».
والسَّواد بالكسر: السِّرار، يقال: ساودت الرجل مُساوَدة إذا ساررته، قيل هو من إدناء سوادك من سواده، أي: شخصك من شخصه (النهاية ٢/ ٤١٩- ٤٢٠).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن سعد (٣/ ١٥٤) وأحمد (١/ ٩٥، ١٠٧، ١٠٨) والترمذي (٥/ ٦٧٣- ٦٧٥) وابن ماجه (١/ ٤٩) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٣٤) والخطيب في «تاريخه» (١/ ١٤٨) كلهم عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث عن علي مرفوعاً به.
قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث الحارث عن علي. =

وهو أحد القراء ممن جمع القرآن. وبعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة مع عمار بن ياسر: إني بعثت إليكم بعمار أميراً، وبعبد الله قاضياً ووزيراً[١] وغير ذلك من الفضائل.

❊ ❊ ❊

= قلت: والحارث هو ابن عبد الله الأعور، ضعيف متهم. لكنه لم يتفرد به، بل تابعه عاصم ابن حمزة:

رواه الحاكم (٣/ ٣١٨) عن أبي إسحاق عنه عن علي مرفوعاً، وأوله: لو كنت مستخلفاً أحداً... ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه...

فتعبقه الذهبي بقوله: عاصم ضعيف!

قلت: كذا قال! مع أنه قال في الكاشف: وهو وسط، ونقل في الميزان (٢/ ٣٥٢) توثيق ابن معين وابن المديني له، وقول أحمد: هو أعلى من الحارث الأعور وهو عندي حجة، وقوله النسائي: ليس به بأس.

وقال الحافظ في التقريب: صدوق.

لكن للحديث علة أخرى، وهي عنعنة أبي إسحاق السبيعي.

وقد صحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله هذه الرواية من هذا الطريق في تعليقه على المسند (٥٦٦).

(١) ضعيف، أخرجه ابن سعد (٦/ ٨) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٣٣- ٥٣٤) عن أبي نعيم وقبيصة قالا: ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

ورجاله ثقات- سوى قبيصة بن عقبة وهو صدوق ربما خالف- لكن فيه عنعنة أبي إسحاق.

[إثبات صفة الشَّخْص والغَيرة لربنا جل شأنه]

[حديث آخر]

١٦٥- ناه أبو القسم بعد العزيز بإسناده: عن المغيرة بن شعبة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفح[١] عنه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«أتعجبونَ من غَيْرة سعد، فوالله لأنا أغيرُ من سعد، والله أغيرُ منِّي، من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخصَ أغير من الله، ولا شخص أحب إليه المعاذير من الله، من أجل ذلك بَعَثَ المرسلين مُبشرين ومُنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله، الجنة»** وروي في لفظ آخر **«لا أحد أغير من الله»**[٢].

وفي لفظ آخر رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله يغار، وإنَّ المؤمنَ يَغار، وغيرةُ الله أن يأتي المؤمن ما حُرِّم عليه»**[٣].

---

(١) في الأصل: غير صفح، وهو خطأ.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٨) والبخاري (٩/ ٣١٩) معلقاً و(١٢/ ١٧٤ مسنداً مختصراً- ذكر الغيرة فقط- و(١٣/ ٣٩٩) مطولاً بمثل متن المصنف ومسلم (٢/ ١١٣٦) عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت... فذكره... وعندهم «لا أحد» بدل: لا شخص، و«العذر» بدل: المعاذير، و«بعث المبشرين والمنذرين». بدل: بعث المرسلين مبشرين ومنذرين.

وقوله: غير مصفح، قال عياض: هو بكسر الفاء وسكون الصاد المهملة، قال: ورويناه أيضاً بفتح الفاء، فمن فتح جعله وصفا للسيف وحالاً منه، ومن كسر جعله وصفاً للضارب وحالاً منه. اهـ (الفتح ٩/ ٣٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٣١٩) ومسلم (٤/ ٢١١٤) عن يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. واللفظ الذي ساقه المصنف موافق للفظ مسلم، وليس عند البخاري: وإن المؤمن يغار. وعنده: ما حرَّم الله عليه.

اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين:

أحدهما: إطلاق صفة الغيرة عليه.

والثاني: في إطلاق الشخص.

أما الغيرة فغير ممتنع إطلاقها عليه سبحانه، لأنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأن الغيرة هي الكراهية للشيء، وذلك جائز في صفاته قال تعالى ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

فإن قيل: لا يجوز إطلاق ذلك عليه، ويكون معناه: الله أزجر عن محارمه من الجميع، لأن الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه، ويحذر الدُّنُوَ منه، وقد نبه على ذلك عقيبة بقوله «ومن غيرته حرم الفواحش» أي زجر عنها وحظرها. ومنه أن بعض أزواج النبي ﷺ أهدت إليه شيئاً في غير يومها، فأُخبرت عائشة بذلك فبددته فقال: «غَارَت أُمكم»(١) أي زجرت عن إهداء ما أهدت.

---

(١) يشير إلى ما أخرجه أحمد (٣/ ١٠٥، ٢٦٣) والبخاري (٥/ ١٢٤) (٩/ ٣٢٠) وأبو داود (٣/ ٣٥٦٧) والترمذي (٣/ ٦٣١) وابن ماجة (٢/ ٧٨٢) والدارمي (٢/ ٢٦٤) من طرق عن حميد عن أنس: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحْفَةٍ فيها طعامٌ، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلَقَ الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أُمُّكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صَحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرت فيها».

ووقع عند أحمد من قول أنس: أظنها عائشة.

ووقع مصرحاً بها فيما ذكره معلقاً ابن حزم في المحلي (٨/ ١٤١) قال): روينا من طريق الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن حميد سمعت أنس بن مالك؛ أن زينب بنت جحش أهدت إلى النبي ﷺ وهو في بيت عائشة ويومها جفنة من حيس...» الحديث.

وقصة أخرى أخرجها أبو داود (٣/ ٣٥٦٨) والنسائي (٧/ ٧١) عن سفيان حدثني فليت العامري عن جسرة بنت دجاجة قالت: قالت عائشة ﵂: ما رأيت صانعاً طعاماً مثل =

قيل: هذا يؤكد ما ذهبنا إليه، لأنه إذا كان معناها الزجر، وذلك مما يجوز على الله سبحانه، لم يمتنع من إطلاق لفظ يتضمن ذلك، وعلى أن الخبر يقتضي أن تكون الغيرة علة في الزجر بقوله «ولهذا حرم» يعني لأجل هذه الغيرة حرم، وعلى ما قالوه لا يقتضي أن تكون الغيرة علة في الزجر، بل يكون الزجر نفسه علة لنفسه، وهذا لا يصح.

وأما لفظ «الشخص» فرأيت بعض أصحاب الحديث يذهب إلى جواز إطلاقه، ووجهه أنَّ قوله «لا شخص» نفي من إثبات، وذلك يقتضي الجنس كقولك: لا رجل أكرم من زيد، يقتضي أَن زيداً يقع عليه اسم رجل، كذلك قوله «لا شخص أغير من الله» يقتضي أنه سبحانه يقع عليه هذا الاسم.

١٦٦- وقد ذكر أبو الحسن الدارقطني في كتاب الرؤية ما يشهد لهذا القول فروي بإسناده: عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ، فذكر الرب تبارك وتعالى فقال: «تنظرون إليه ويَنْظُر إليكم» قال قلت: يا رسول الله، كيف ونحن ملء الأرض، وهو شخصٌ واحد فينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: «الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونهما ويريانكم»[1] فأقره النبي ﷺ على قوله «وهو شخص واحد».

= صفية، صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فبعثت به، فأخذني أَفْكَلٌ فكسرت الإناء، فقلت: يا رسول الله! ما كفارة ما صنعت؟ قال: «إناءٌ مثلُ إناءٍ، وطعام مثل طعام».
وحسَّن الحافظ في الفتح (٥/ ١٢٥) إسنادها، مع أنه قال في جسرة مقبولة!
وقد وثقها العجلي وابن حبان، وذكرها أبو نعيم في الصحابة، وقال البخاري: عند جسرة عجائب.

(١) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢٦٦) مختصراً وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤/ ١٣- ١٤) عن إبراهيم بن حمزة بن محمد حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الخزاعي حدثني عبد الرحمن بن عياش السمعي الأنصاري عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه =

١٦٧- وقد ذكر أحمد هذا الحديث في الجزء الأول من مسند الكوفيين فقال عبد الله قال عبيد الله القواريري: ليس حديث أشدُّ على الجهمية من هذا الحديث قوله: «شخص أحب إليه مدحه من الله».

ويحتمل أن يمنع من إطلاق ذلك عليه، لأن لفظ الخبر ليس بصريحٍ فيه، لأن معناه: لا أحد أغير من الله، لأنه قد روى ذلك في لفظ آخر، فاستعمل لفظ الشخص موضع أحد، ويكون هذا استثناء من غير جنسه ونوعه، كقوله تعالى ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، وليس الظن من نوع العلم وقوله ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧].

= صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال: «أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام» فذكر حديثاً طويلًا.

قال الهيثمي في المجتمع (١٠/ ٣٤٠): رواه عبد الله والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات، والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطا. اهـ

كذا قال: رجالهما ثقات! مع أن في الإسناد اثنان من المجاهيل لم يوثقهما إلا ابن حبان، وهم: دلهم بن الأسود (قال عنه الذهبي: لا يعرف) وعبد الرحمن بن عياش السمعي. وسقط من إسناد أبي داود: عبد الرحمن بن المغيرة، وأشار إلى ذلك المزي في التحفة (٨/ ٣٣٤) فقال: وقد وقع فيه وهم في غير موضع، رواه غير واحد عن إبراهيم بن حمزة الزبيري عن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي عن عبد الرحمن بن عياش السمعي عن دلهم عن أبيه عن جده عن عمه لقيط بن عامر، وعن دلهم عن أبيه عن عاصم ابن لقيط عن لقيط، وتابعه إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد الرحمن بن المغيرة. اهـ والإسناد الآخر الذي أشار إليه الهيثمي والمزي هو في المسند في الموضع السابق والطبراني في الكبير (١٩/ ٢١١- ٢١٤).

قال الحافظ في التهذيب (٥/ ٥٧): ورواه أبو القاسم الطبراني مطولاً، وهو حديث غريب جداً.

[إثبات صفة اليّد واليمين والقبض لله تعالى]
[حديث آخر]

١٦٨- أخبرناه أبو القاسم عبد العزيز قال: نا علي بن أحمد بن محمد بن داود ابن موسى بن بيان[١] قال نا عثمان بن أحمد بن عبد الله بن زيد قال نا موسى بن سهل الوشا نا إسماعيل بن عُلية عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله خلق آدم من قَبْضَةٍ قَبَضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، والسَّهل والحزن والخبيث والطيب»**[٢].

(١) في الأصل مهمل النقط، وكذا هو في تاريخ بغداد وغيره.

(٢) حديث صحيح، أخرجه ابن سعد (١/ ٢٦) وأحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦) وأبو داود (٥/ ٤٦٩٣) والترمذي (٥/ ٢٠٤) وابن جرير في تفسيره (١/ ١٧٠) وابن خزيمة في التوحيد (ص٦٤) وابن حبان في صحيحه (٨/ ١١) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٤) (٨/ ١٣٥) والحاكم (٢/ ٢٦١- ٢٦٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٧، ٣٨٥) وفي السنن (٩/ ٣) من طرق عن عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير المازني البصري عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً به. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا.
والحديث عزاه السيوطي في الدر (١/ ١١٥) إلى عبد بن حميد والحكيم في نوادر الأصول وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه.
والحديث يثبت صفة «اليد» للباري ﷻ، وهو أحد الأحاديث الكثيرة التي تثبت هذه الصفة.
وقد ذكرها أمام الأئمة ابن خزيمة ضمن السنن التي تثبت صفة «اليد» فقال: باب ذكر صفة آدم عليه السلام، والبيان الشافي أنه خلقه بيده لا بنعمته على ما زعمت الجهمية المعطلة، إذ قالت: إن الله يقبض بنعمته من جميع الأرض قبضة فيخلق منها بشرا. اهـ
وعلّق الشيخ الهراس على تأويل الجهمية لهذه الصفة بقوله: وهذا تأويل باطل، فإن القبض إنما يكون باليد الحقيقية لا بالنعمة، فإن قالوا: إن الباء هنا للسببية، أي بسبب إرادته الإنعام قلنا لهم: وبماذا قبض؟ فإن القبض محتاج إلى آلة، فلا مناص لهم لو أنصفوا من أنفسهم إلا أن يعترفوا بثبوت ما صرح به الكتاب والسنة اهـ. =

اعلم أنه غير ممتنع إطلاق القبض عليه سبحانه، وإضافتها إلى الصفة التي هي اليد التي خلق بها آدم، لأنه مخلوق باليد من هذه القبضة، فدلَّ على أنها قبضةٌ باليد[1] وفي جواز إطلاق ذلك أنه ليس في ذلك ما يُحيل صفاته ولا يُخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نحمل القبضة على معنى الجارحة والعضو والبعض ومعالجة وممارسة، بل نطلق هذه التسمية كما أطلقنا قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، على ظاهره.

وكذلك الوجه والعين والاستواء لا في مكان.

١٦٩- وقد قال أحمد في رواية الميموني[2]: من زعم أن يداه نعماه، كيف يصنع بقوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ مُشددة، قال الميموني فقلت «وحين خلق آدم بقبضة» يعني من جميع الأرض، والقلوب بين أصبعين. وظاهر هذا منه الأخذ بظاهر الحديث.

فإن قيل: لا يجوز إطلاق ذلك عليه، بل تُحمل[3] القبضة على معنى القدرة كقول القائل: فلان في قبضتي، على معنى قادر عليه، وعلى هذا قوله تعالى

= وانظر ردَّ الإمام الدارمي على من كذب بهذه الصفة من الجهمية والمعطلة في كتابه القيم «النقض على بشر المريسي» (ص٢٥- ٤١).

(١) وضعت هنا علامة الاستدراك، ولم يكتب في الهامش شيئا.

(٢) هو أبو القاسم سعد بن عبد الله بن الحسين بن علويه الفرضي الشافعي الميموني، كان من ولد ميمون بن مهران فنسب إليه.
سمع بن مهران فنسب إليه.
سمع أبا عمرو بن السماك وأحمد بن سلمان النجاد وغيرهما.
روى عنه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن تركان، وأبو أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي. (اللباب ٢/ ٢٨٤- ٢٨٥).

(٣) في الأصل: تحتمل، وهو خطأ.

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] أي تحت قدرته وملكه.

قيل: هذا غلط، لأن فيه إسقاط فائدة التخصيص بهذه القبضة، لعلمنا بقدرته على جميع الأشياء، فلا معنى لإضافة القُدرة إلى خلق آدم من قبضة قبضها، ولأن للقدرة، أسماء أخصّ به من القبضة، ولأنه إن جاز أن تُحمل القبضة على معنى القُدرة، وجب أن يُحمل قوله «ترون ربكم يوم القيامة» بمعنى ترون قدرته؟! وكذلك قوله «خلق آدم بيه» بمعنى بقدرته. فأما قوله ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] فلا يمتنع أن نقول فيه ما قلنا ها هنا.

فإن قيل: يحمل ذلك على معنى إظهار فعل هو الخلق والاختراع والإحداث كما قال تعالى ﴿لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ [يس: ٦٦] وكما قال تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [يس: ٦٥] وليس ذلك طمساً وختماً على على معالجة.

قيل: هذا يُسقط فائدة التخصيص بآدم، لأن إظهار[1] الفعل موجود عند خلق غير آدم من سائر البشر، ولان لذلك اسماً أخصّ به من القبض وهو الخلقُ والاختراع والأحداث، ولأن هذا يوجب أن يكون قوله ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ على معنى إظهار فعل، وكذلك يوجب تأويل قوله «ترون ربكم» على رؤية أفعال يظهرها، وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات على خلاف ذلك.

وأما قوله ﴿لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، فإنما لم يُضف ذلك إلى الصفة التي هي اليد، لأنه ليس في الآية ما دلَّ على ذلك وفي القبضة ما دلَّ عليه من الوجه الذي ذكرنا، وهو أنه مخلوق باليد من القبضة فدلَّ على أنها قبضة باليد.

فإن قيل: تحمل القبضة على أنها لبعض الملائكة بأمر الله، كما يقال:

---

(١) كتب بجانب هذا السطر: بلغ مقابلة.

ضرب الأمير اللص، وإنما أَمَرَ بضر به.

قيل: هذا غلطٌ، لأن الخبر يقتضي أنَّ آدم مخلوقٌ من القبضة، وقد ثبت أنَّ الخالق لآدم هو الله سبحانه، فوجب ان يكون هو القابض لا غيره، ولأنه إن جاز تأويله على هذا، جاز تأويل قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] معناه بيدي بعض الملائكة(١).

واعلم أنه ليس بمنكر في العقول، أن يكون الله خلق طينة آدم من أجزاء أنواع الطين، وأنَّ الأخلاق والخَلْق اختلفت وتفاوتت كما تفوت أجزاء الطين، لا لأجل أنَّ تفاوتها أوجب ذلك بل حدوثها على تلك الوجوه التي حدثت عليه بقدرة الله واختياره، لكنه جعلها علامات لربوبيته ووحدانيته.

❊ ❊ ❊

(١) قال الدارمي في نقضه على المريسي (ص٢٩- ٣٠): وقد يجوز للرجل أن يقول بنيت داراً، أو قتلت رجلًا او ضربت غلاماً، أو وزنت لفلان مالًا، أو كتبت له كتاباً، وإن لم يتول شيئاً من ذلك بيده، بل أمر البناء ببنائه، والكاتب بكتابته، والقاتل بقتله، والضارب بضربه، رالوازن بوزنه، فمثل هذا يجوز على المجاز الذي يعقله الناس بقلوبهم، على مجاز العرب. وإذا قال: كتبت بيدي كتابا كما قال الله: خلقت آدم بيديّ، أو قال وزنت بيدي، وقتلت بيديّ، وبنيت بيديّ، وضربت بيديّ، كان ذلك تأكيداً ليديه، دون يدي غيره.
ومعقول المعنى عند العقلاء، كما أخبرنا الله: أنه خلق الخلائق بأمره فقال ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمره وإرادته وكلامه وقوله «كن» وبذلك كانت، وهو الفعال لما يريد.
فلما قال: خلقت آدم بيدي، علمنا أن ذلك تأكيد ليديه، وأنه خلقه بهما مع أمره وإرادته، فاجتمع مع آدم تخليق اليد نصاً، والأمر والإرادة، ولم يجتمع في خلق غيره من الروحانين.اهـ.
تنبيه: كذا وقع في الموضعين «خلقت أدم بيدي» والآية ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

[حديثٌ آخر]

١٧٠- حدثناه أبو القاسم عبد العزيز قال: نا أبو سعيد الحسن بن جعفر محمد الحربي قال نا جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض أبو بكر الفريابي قال نا عُبيد الله بن معاذ قال نا المعتمر بن سُليمان عن أبيه قال نا أبو عثمان أنه سمع عبد الله أو سلمان، قال ولا أراه إلا سلمان قال: إنَّ الله عزَّ وجل لما خَمَّرِ طينة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعين ليلةً أو أربعين يوماً، ثم ضَرَب بيديه فيه، فَخَرج كل طيِّب في يمينه، وكل خبيث في يده الأُخرى، ثم خلط بينهما، قال: فمن ثَمَّ خرج الحيُّ من الميت والميتُّ من الحي. أو كما قال هكذا حدثناه موقوفا وربما وصله بعضهم[(١)].

اعلم أنَّ الخبر تضمن إثبات اليمين، وتخمير الطين وخلط بعضه ببعض، وغير ممتنع إضافة ذلك إلى اليد، التي خلق بها آدم، وليس في ذلك ما يحيل صفاته، لأنَّا لا نحمل إثبات اليمين والتخمير والخلط، على معنى الجارحة والعضو ومعالجة، وممارسة، بل نُطْلق ذلك كه أطلقنا قوله (خَلَقْتُ بيديَّ) على ظاهره.

---

(١) موقوف صحيح، أخرجه الدارمي في النقض (ص٣٦-٣٧) والاجري في «الشريعة» (ص٢٠٦) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٧) عن المعتمر بن سليمان به. والشك في الصحابي وقع من سليمان التيمي، كما في رواية البيعقي.
ولم يتفرد به المعتمر، بل تابعه معاذ بن معاذ العنبري.
أخرجه ابن سعد (١/ ٢٧) ووقع عنده: عن سلمان الفارسي أن ابن مسعود قال: خُمرٌ الله...
وتابعه يزيد بن هارون عند البيهقي في الأسماء (ص٣٢٧).
وتابعه أبو إسحاق الفزاري إبراهيم بن محمد عند الأجري (ص ٢٠٦) لكن في سنده عبد الملك بن حبيب المصيصي، قال الحافظ عنه: مقبول.
والاثر وإن كان موقوفاً، إلا أن له حكم الرفع، لأنه من الأخبار الغيبية التي لا اجتهاد فيها.

فإن قيل: يحمل قوله خمَّر وخلط على ما تقدم في الخبر الذي قبله، وهو أنه خمرَّها وخلطها بملكه وقدرته، أو أمر بعض المخلوقين من ملائكته بفعل ذلك.

قيل: هذا غلطٌ، لما تقدَّم من الجواب في الخبر الذي قبله، وهو أنَّ فيه إسقاط فائدة التخصيص لأنَّ قدرته تَعُم سائر الأشياء. ولأنَّ للقدرة اسماً أخصّ به، ولأنَّه إن جاز ذلك ها هنا، جاز في قوله (خلقت بيديَّ).

فإن قيل: إنما لم يحمل قوله (خلقت بيديَّ) على القدرة، لأنَّ فيه إبطال تفضيل آدم على إبليس، وليس في حمله ها هنا على القدرة إبطال ذلك.

قيل: في حمله على القدرة ها هنا إبطال فضيلة آدم أيضاً، لأنه من هذه الطينة خُلِقَ، ولا يصح حمله أيضاً على يد بعض المخلوقين ولا القدرة، لما ذكرنا في الخبر الذي قبله، ولأنَّ في الخبر ما يُسقط ذلك، وهو قوله «فخرج كل طيب في يمينه وكلُ خبيثٌ في يده الأخرى»، وهذا صريحٌ في إبطال القدرة، لأن القُدرة، لا توصف باليمين والشمال، ولأنَّ يد غير الله سبحانه لا توصف بأنه يخرج منها الخبيثُ والطيب، لأن هذا ابتداء خلق، وهو مما يختص الله به سبحانه.

فغن قيل: يحمل قوله «فخرج كل طيب بيمينه» أي بما أنْعَم عليه من توفيقه وتسديده، وكل خبيث في اليد الأخرى بما حُرِمَه من معونته ونصرته، والعرب تستعمل لفظة اليمين على معنى الحظِّ والجدِّ، كما قال القائل:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ   تلقَّاها عرابة باليمين[1]

أي بجدٍ وحظٍّ.

قيل: لا يصح، لأنَّ الكلام يجب أنْ يرجع إلى ما تقدم ذكره، والذي تقدم

(١) البيت للشمّاخ بن ضرار. انظر اللسان (٦/ ٤٩٦٩).

ذكره: اليدان بقوله «ثم ضرب بيديه فخرج كل طيب في يمينه» وجب أن يكون ذكر اليمين صفة لما تقدم ذكره من اليدين.

فأما النعم فلم يَجْر لها ذكر، ولأنَّ النعم لا توصف باليمين وضدها.

فإن قيل: يُحمل قوله «ثم ضرب بيديه ثم خلط بينهما» على معنى أنه لمَّا خلق الذرية خلقها نوعين طيباً وخبيثًا، وميزَّهما وجعل محل الطيب جانب اليمين عند يُمن السعادة والتوفيق، وجعل محل الخبيثُ جانب اليسار من آدم، أو من المَلَك الذي أمَره بخلط الطينة، ثم خلطهما بأن جعل الطيب في محل الخبيث، والخبيث في المحل الطيب.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه قد ثبت أنَّه خلقه بيديه، فوجب أن يكون الخلط والضرب عائداً إليهما، لأنَّ بهما حصل الخلق، ولأنَّ بهما حصل الخلق، ولأنَّه لا يجوز حمله على الطائفتين، لأن الطائفتين لا يقع عليهما اسم يدين ولا يمين. واعلم أنَّ الخبر أفاد أنَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أصله طيناً على هذا الوجه هذه المدة، ويشبه أن يكون ما روي في الخبر «أن النُّطفة تكون علقةً أربعين يومًا، ثم تكون مُضْغَةً مثلها، إلى أن يُنفخ فيها الروح»(١)، فكانت مُدَّة تغير آدم من هيئةٍ إلى هيئةٍ كنحو مدة تغير النُّطفة، وإنْ كان أمر النُّطفة مُفارق لطينة آدم من وُجوه أُخر اهـ.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٠٣، ٣٦٣) (١١/ ٤٧٧) (١٣/ ٤٤٠) ومسلم (٤/ ٢٠٣٦) عن زيد بن وهب عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يُجمعُ خَلْقُهُ في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك عَلقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يُرسَل المَلك فَينفخُ فيه الروح...» الحديث.

[حديثٌ آخر]

١٧١- ناه أبو القسم عبد العزيز قال: نا عبيد الله بن محمد المخرمي قال نا جعفر بن محمد الفريابي قال نا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحمد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أنَّ عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الله خَلَق آدم فمَسَح ظَهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقتُ هؤلاء للخير وبعمل أهل الخير يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقتُ هؤلاء للنَّار وبعمل أهل النار يعملون»**(١).

١٧٢- ونا أبو القسم قال نا أبو سعيد الحسن بن جعفر بن محمد الحربي قال نا جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي نا قتيبة نا الليث بن سعد عن محمد ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلَّام أنه قال: خلق الله آدم في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة وذكر الخبر إلى أن قال: ثم مَسَحَ ظهره بيديه فأخرج فيهما من هو خالق من ذريته إلى أن تقوم الساعة، ثُم قَبَضَ يديه، ثم قال: اختر يا آدم، قال: اخترت يمينك يا رب، وكلتا يَدَيكَ يمين، فبسطها فإذا فيها ذريته من أهل الجنة(٢).

---

(١) صحيح، تقدم تخريجه.

(٢) إسناده حسن، أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١٩) والآجري في الشريعة (ص٣٢٢) عن قتيبة بن سعيد به موقوفاً على عبد الله بن سلام.
وقد رجَّح النسائي هذه الرواية الموقوفة على ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً.
فقال: وهذا هو الصواب (يعني حديث ابن سلام الموقوف) والآخر خطأ، والذي بعده حديث محمد بن خلف وهو منكر. اهـ
قلت: يعني بالآخر ما أخرجه هو قبل هذا الحديث وهو برقم (٢١٨) والترمذي =

١٧٣- وأنا أبو محمد الحسن بن محمد بإسناده: عن أبي نضرة أنَّ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يَعُودُونه وهو يبكي فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الله قَبضَ قبضة بيمينه، وأخرى بيساره، فقال: هذه لهذه، وهذه لهذه ولا أُبَالي»** فلا أدري في أيِّ القبضتين أنا[1].

= (٥/ ٤٥٣- ٤٥٤) وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٦٧) والبيهقي في الأسماء (ص٣٢٤-٣٢٥) عن ابن أبي ذباب عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فحمد ربه بإذن الله له، فقال: الحمد لله، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة، وملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم، فقالوا: سلام عليك ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم»**.

قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قال النسائي عقبه: خالفه محمد بن عجلان فيه، ثم ذكر حديث عبد الله بن سلام.

قلت: والمخالف هو: ابن أبي ذُباب الحارث بن عبد الرحمن الدوسي.

قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال الحافظ في التقريب: صدوق يهم.

وحديث محمد بن خلف أخرجه النسائي (٢٢٠) عنه عن آدم حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان وذكر أربعة طرق إلى أبي هريرة مرفوعاً به.

(١) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٧٦، ١٧٦- ١٧٧) (٥/ ٦٨) عن حماد بن سلمة حدثنا الجريري عن أبي نضرة قال: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له: أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي، فقالوا له: ما يبكيك؟ ألم يقل لك رسول الله ﷺ: «خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني»، قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

ولكن ليس فيه: بيساره، وإنما بيده الأخرى.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٨٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وهو كما قال، وحماد بن سلمة سمع من الجريري قبل الاختلاط.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد (ص٧٩) والبزار (٣/ ٢٠) عن محمد بن المثنى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا النمر بن هلال عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ في القبضتين: «وهذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي».

قال البزار: لا نعلمه يروي عن أبي سعيد إلا من هذا الوجه، والنمر بصري ليس به بأس، =

١٧٤- وروى أبو عبد الله بن بطة في «الإبانة» حدثني أبو صالح محمد بن ثابت ثال نا أبو علي الحسن بن عليل العنزي ونا أبو حفص عمر بن محمد بن رجا قال نا أبو جعفر محمد داود البصروي قالا: نا العباس بن عبد العظيم العنبري قال نا الهيثم بن خارجة قال نا سُليمان بن عُتبة أبو الربيع السلمي قال سمعت يونس بن ميسرة بن حَلْبَس عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدَّرداء عن النبي ﷺ قال: «**خَلَقَ الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمين، فأخرج ذُرّيةً بيضاء كأنهم الذَّر**[1] ، **وضرب كتفه اليُسرى، فَأَخرج ذُرّيّة سوداء كأنهم الحُمم، فقال للتي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للتي**

= حدث عنه عمران القطان، ومسلم لم يتابع على هذا. اهـ.
قال الهيثمي (٧/ ١٨٦): رواه البزار ورجاله رجال الصحيحن غير نمر بن هلال، وثّقه أبو حاتم.
قلت: إنما قال أبو حاتم: شيخ، كما نقله ابنه في الجرح والتعديل (٨/ ٥١١) .
فالإسناد حسن إن شاء الله.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٠٦) إلى الطبراني (ولم أجده في الكبير) وابن مردويه.
وللحديث شاهد من حديث أنس بن مالك.
أخرجه أبو يعلى (٦/ ١٤٤- ١٤٥، ١٧٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٧٩) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٥٧) وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٢٤) والدولابي في الكنى (٢/ ٤٨) عن الحكم بن سنان حدثنا ثابت البناني عن أنس مرفوعاً: «إن الله قبض قبضة فقال: للجنة...».
لكن فيه الحكم بن سنان وهو الباهلي أبو عون، قال العقيلي: لا يتابع عليه، وقد روي في القبضتين أحاديث بأسانيد صالحة. اهـ
قلت: والحكم بن سنان ضعفه ابن معين والنسائي وأبو داود وابن سعد، وقال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال أحمد: ليس بالمتين عندهم، وقال الحافظ: ضعيف.
لكن الحديث يقوي بما سبق إن شاء الله تعالى.
تنبيه: وقع عند ابن حزيمة: الحكم بن سنان قال حدثنا ابن عون حدثنا ثابت، وهو خطأ إنما هو: الحكم بن سنان أبو عون، وكذا هو عند العقيلي وابن عدي والدولابي.
(١) في الأصل: الدر، مهملة النقط.

في يساره إلى النَّار ولا أبالي»(١).

وروى أيضاً عن أبي ...(٢) ابن جعفر قال نا محمد بن إسماعيل قال نا وكيع قال نا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس قال: مَسَحَ الله ظهر آدم فأخرج في يمينه كل طيب، وأخرج في الأخرى كل خبيث(٣).

واعلم أن هذا الخبر يفيد جواز إطلاق القبضة عليه واليمين واليسار والمسح، وذلك غير ممتنع لما بيَّنَّا فيما قبل، من أنَّه لا يحيل صفاته، فهو بمثابة إثبات اليدين والوجه وغيرهما.

فإن قيل: هذا الحديث تفرد بروايته محمد بن إسماعيل وكان ضعيفاً والمقبري وهو مدلس(٤).

---

(١) حسن، أخرجه أحمد وابنه عبد الله في زوائده (٦/ ٤٤١) وعبد الله في السنة (٢/ ٤٦٦) والبزار (٣/ ١٩، ٢١) عن الهيثم بن خارجة به.
قال البزار: لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، وإسناده حسن.
قلت: وهو كما قال، من أجل سليمان بن عتبة، قال فيه الحافظ: صدوق له غرائب، وهو من رجال ابن ماجة.
والحديث عزاه الهيثمي في المجمع (٧/ ١٨٥) للطبراني أيضاً، ووهم فقال: رجاله رجال الصحيح!

(٢) كلمة طمس أولها، وأغلب الظن أنها: حسين.

(٣) موقوف صحيح، أخرجه ابن جرير (٩/ ٧٦) حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن الأعمش عن حبيب عن ابن عباس به.
وفي إسناده ابن وكيع وهو سفيان، ضعيف، لكنه متابع في رواية المصنف. وحبيب بن أبي ثابت ثبت سماعه من ابن عباس.

(٤) أما محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك الدِّيلي مولاهم، أبو إسماعيل المدني، فقد قال فيه النسائي: ليس به بأس، وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث وليس بحجة، وقال الحافظ: صدوق.
قلت: وهو من رجال الصحيحين.
=

قيل: قد رُوِّيناه من غير هذا الطريق على أن محمد بن إسماعيل هو ابن فديك من أهل المدينة، وتفرده به لا يُوجب ضعفه، وكذلك كون المقبري مدلساً لا يوجب رد خبره.

فإن قيل: إضافة القبضة إليه على معنى الملك والفعل.

قيل: هذا غلط لما بيَّنا فيما قبل، وهو أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص، لأن ملكه لا يختص للقبضة، ولأن لذلك أسماء أخصّ به، ولأنَّ هذا يوجب تأويل اليدين أيضاً.

فإن قيل: قوله «اخترت يمين ربي» معناه اخترت من اختاره الله من أهل السعادة، وهم أولياؤه، وأضافه إلى اليمين لأنها محل للطيب.

قيل: هذا غلطٌ لأنَّ لذلك أسماء أخص به، ولأن هذا يوجب تأويل اليدين أيضاً، ولأنَّ الكلام يجب أن يُحمل على ما تقدَّم ذكره، والذي تقدم ذكره ذكر اليدين، وحصول الخلق والمسح بهما، لا يوجب أن يكون اليمين والشمال صفة لهما.

فإن قيل: قوله «اخترت يمين ربي» معناه رَددْتُ أمري إلى ربي، واخترت ما اختاره.

قيل: هذا غلط، لأنَّه لو كان قد ردَّ الأمر إليه لم يوجد منه اختيار، وفي الخبر «اخترت». فأما قوله «وكلتا يديه يمين» قيل فيه: إنه لم يُوصف باليدين، ويد الجارحة تكون أحدهما يميناً والأخرى يساراً، واليسرى تنقص أبداً في

= وأما المقبري وهو سعيد بن أبي سعيد واسمه كيسان المقبري، أبو سعد المدني، قال ابن المديني وابن سعد والعجلي وأبو زرعة والنسائي: ثقة، وقال يعقوب بن شيبة: قد كان تغير وكبر واختلط قبل موته يقال بأربع سنين. وقال الحافظ: ثقة من الثالثة، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة.

قلت: فوصفه بالتدليس مطلقاً فيه مبالغة، فلم يذكره الحافظ ابن حجر ولا غيره في المدلسين.

الغالب عن اليمين في القُوة والبطش، عرفنا كمال صفة الله تعالى، وأنه لا نَقْصَ فيها، وأنَّ ما وُصِف به من اليدين، ليس كما يوصف به الجوارح التي تنقص مياسِرُه عن ميامنه(١).

(١) كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدل على أنه لا يرى بأساً في تسمية اليد الأخرى لربنا سبحانه بـ«الشمال».
وقد أنكر هذا ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (ص٦٦) فقال:
باب ذكر سنة ثامنة تُبيِّن وتوضِّح أنَّ لخالقنا جل وعلا يدين كلتاهما يمينان، لا يسار لخالقنا عَزَّوَجَلَّ، إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجلَّ ربنا عن أن يكون له يسار. اهـ
وبوَّب الآجري في الشريعة (ص٣٢١): (باب الإيمان بأن لله عَزَّوَجَلَّ يدين، وكلتا يديه يمين) وضعف البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤) الزيادة التي وردت في مسلم في حديث ابن عمر مرفوعاً: «ثم يطوى الأرضين بشماله» فقال: وذِكْر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره عن النبي ﷺ، فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال، ورُوي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخرة يزيد الرقاشي، وهما متروكان. وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتا يديه يميناً!
وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين. اهـ
قلت: ثم ذكر حديث ابن عمر ومرفوعاً «المقسطون عند الله يوم القيامة، على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا» رواه مسلم.
وعلّق القرطبي في «المفهم» على الزيادة السابقة قائلًا: كذا جاءت هذه الرواية بإطلاق لفظ الشمال على يد الله تعالى، على المقابلة المتعارفة في حقنا، وفي أكثر الروايات وقع التحرز عن إطلاقها على الله حتى قال: وكلتا يديه يمين، لئلا يتوهم نقصٌ في صفته ﷻ، لأن الشمال في حقنا أضعف من اليمين. اهـ من (الفتح ١٣/ ٣٩٦).
وقال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٣٠١): «وكلتا يديه يمين» أي أنَّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال، لا نقص في واحدة منهما، لأن الشمال تنقصُ عن اليمين.
وقد علق الشيخ الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كلام ابن خزيمة السابق قائلًا: يظهر أن المنع من =

وقيل: معنى قوله «كلتا يديه يمين» وصفه بغاية الجود والكرم والإحسان والتفضُّل، وذلك أنَّ العرب تقول لمن هو كذلك: كلتا يديه يمين، وإذا نَقَص حظ الرجل وبخس نصيبه، قيل جعل سهمه في الشمال، وإذا لم يكن عنه اجتلابُ منفعة ولا دفعُ مضرة، قيل: ليس فلان باليمين ولا بالشمال،

= إطلاق اليسار على الله عَزَّوَجَلَّ إنما هو على جهة التأدب فقط، فإن إثبات اليمين وإسناد بعض الشئون إليها كما في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وكما في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإن يمين الله ملآى سَحَّاء الليل والنهار» يدل على أن اليد الأخرى المقابلة لها ليست يميناً. اهـ

قلت: ويقويه كلام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في نقضه على المريسي فقد قال: وأعجب من هذا قول الثلجي الجاهل فيما ادعى: تأويل حديث رسول الله ﷺ «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين» فادعى الثلجي أن النبي ﷺ تأول «كلتا يديه يمين» أنه خرج من تأويل الغلوليين أنها يمين الأيدي، وخرج من معنى اليدين إلى النعم.

يعني بـ «الغلوليين» أهل السنة، يعني أنه لا يكون لأحد يمينان، فلا يوصف أحد بيمينين، ولكن يمين وشمال بزعمه!

قال أبو سعيد: ويلك بها المعارض! إنما عني رسول الله ﷺ ما قد أطلق على التي في مقابلة اليمين الشمال، ولكن تأويله: وكلتا يديه يمين، أي: منزهٌ عن النقص والضعف، كما في أيدينا الشمال من النقص وعدم البطش، فقال «كلتا يدي الرحمن يمين» إجلالًا لله، وتعظيماً أن يوصف بالشمال، وقد وصفت يداه بالشمال واليسار.

وكذلك لو لم يجز إطلاق الشمال واليسار، لما أطلق رسول الله ﷺ، ولو لم يجز أن يقال: «كلتا يدي الرحمن يمين» لم يقله رسول الله ﷺ.

وهذا قد جوّزه الناس في الخلق، فكيف لا يجوز ابن الثلجي في يدي الله أنهما جميعاً يمينان؟! وقد سُمي من الناس ذا الشمالين؟ فجاز نفي دعوى ابن الثلجي أيضاً، ويخرج ذو الشمالين من معنى أصحاب الأيدي. اهـ (النقض ص ١٥٥- ١٥٦).

وقال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص١٤٢): إنما أراد بذلك معنى التمام والكمال، لأن كل شيء فمياسرة تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر، لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص.

ويجوز أنه يريد: العطاء باليدين جميعاً، لأن اليمنى هي المعطية، فإذا كانت اليدان يمينين =

ولذلك قال الفرزدق(١): كلتا يديه يمين غير مختلفة. اهـ

وهذا لا بأس به، لأنَّه لا ينفي الصفة بل يثبتها على الكمال.

***

= كان العطاء بهما، وقد روي في حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «يمين الله سحّاء لا يغيضها شيء الليل والنهار» أي نصب العطاء ولا ينقصها ذلك. اهـ

(١) هو شاعر عصره أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري الشهير بـ «الفرزدق»، والفرزدق وصف لوجهه وهو الرغيف الضخم.

أرسل عن علي ويروي عن أبي هريرة والحسين وابن عمر وأبي سعيد وطائفة. وعنه الكميت ومروان الأصفر وخالد الحذاء وغيرهم.

وفد على الوليد وعلى سليمان ومدحهما.

قال الذهبي: ونظمه في الذروة.

مات سنة ١١٠ هـ.

(طبقات الشعراء لابن سلام (ص١١١ وما بعدها)، معجم الشعراء للمرزباني (ص٤٨٦-٤٨٧)، السير للذهبي (٤/ ٥٩٠).

[حَدِيثٌ آخر]

١٧٥- حدثناه أبو القاسم عبد العزيز بإسناده: عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: **«وقال الله جَلَّ اسمه: يا ابن آدم أَنفق أُنفق عليك، يمين الله جلَّ اسمه سحَّاء» وفي لفظ آخر: انَّ يمين الله ملأى**(١) **لا يَغِيضها نفقة سحَّاء الليلَ والنهار»**(٢).

معنى سحاء: كثيرة العطايا لا يُنقصها شيء، وهذا لا بأس به، لأنَّه لا ينفي الصفة بل يُثبتها على الكمال.

[حَديثٌ آخر]

١٧٦- حدثناه أبو القاسم بإسناده: عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال: **«المقْسِطُون عند الله يوم القيامة على مَنَابر من نُورٍ، عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين»**(٣).

اعلم أن هذا الخبر يَتَضمنَّ اليدين وإثبات اليمين، وقد تقدم ذكر ذلك، وبيَّنا أنه ليس في إطلاق ذلك ما يُحيل صفاته، لأن إطلاق اليمين كإطلاق اليد.

---

(١) في الأصل: ملأو هو خطأ.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٣٥٢) (٩/ ٤٩٧) (١٣/ ٣٩٣، ٣٠٣، ٤٦٤).
ومسلم (٢/ ٦٩٠- ٦٩١) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: أَنفِق أُنفق عليكن وقال ﷺ: يد الله ملأى لا تغيضها نَفقة، سحَّاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أَنفَقَ منذ خلق السماء والأرض؟ فإنه لم يَغِض ما في يديه، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يَخفض ويرفع».
وأخرجه مسلم (٢/ ٦٩١) عن همام بن منبه عن أبي هريرة به.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠) ومسلم (٣/ ١٤٥٨) والنسائي (٨/ ٢٢١- ٢٢٢) والآجري في «الشريعة» (ص٣٢٢) واللالكائي في «رح أصول الاعتقاد» (٢/ ٤١٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤) كلهم عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً به.

فإن قيل: قوله «عن يمين الرحمن» معناه عن يمين عرش الرحمن على طريقة العرب في الحذف والإضمار، كما قال تعالى ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] معناه حبّ العجل، وكما قال الشاعر:

واستب بعدك يا كليب المجلس.

يعني أهل المجلس.

قيل: هذا غلطٌ، لوجوه أحدها: قوله «وكلتا يديه يمين» وهذا يدل على أنَّ ذلك صفة ترجع إلى ذاته، لأن العرش لا يوصف باليدين.

الثاني: أن اليمين إذا أضيفت إلى الذات اقتضت إضافة صفة، ولهذا إذا قيل: وقف الوزير على يمين الخليفة، إنما يعقل منه يمينه التي هي من صفته.

الثالث: أن حمله على ذلك يقتضي إضماراً في الخبر، وهو ذكر العرش والإضمار ترك حقيقة.

فإن قيل: قوله «عن يمين الرحمن» المراد به المنزلة الرفيعة والمحل العظيم، لأنهم يقولون: كان فلان عندنا باليمين، أي كان عندنا بالمحلّ العظيم والمنزلة الرفيعة، قال الشاعر:

أقولُ لناقتي إذ بَلَّغَتني لقد أصبحت عندي باليمين

أي بالمحلّ الجليل.

قيل: هذا غلط، لأنَّه لو أراد ذلك لقال: المقسطون في يمين الرحمن، معناه في المنزلة الرفيعة، لأنَّه يُقال: فلان عندنا في المنزلة الرفيعة، ولأنه قال «وكلتا يديه يمين» فلو كان المرادُ به المنزلة، لم يكن لذكر اليد معنى.

فإن قيل: حمله على ظاهره يستحيل على الله سبحانه، لأنه يؤدي إلى وصفه بالحد والجهة.

قيل: لا يُفضي إلى ذلك، كما أنَّ قوله «ترون ربكم كما ترون القمر» حملناه على ظاهره، وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ رؤية القمر في جهةٍ ومحدودة، والله تعالى لا في جهة ولا محدود، وكذلك قوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ تُطلق هذه الصفة وإن كان العرشُ في جهة، ولم يوجب ذلك وصفه تعالى بالجهة، كذلك ها هنا[١].

[حَدِيثُ آخر]

١٧٧- حدثناه أبو القاسم قال: نا القاضي عمر بن سنبك نا أحمد بن القسم بن نصر بن زياد نا أبو سالم العلا بن مسلمة الرواسي[٢] نا أبو حفص العبدي عن إبان عن أنس قال رسول الله ﷺ: **«الحَجَر في الأرض يمينُ الله جلَّ اسمه، فمن مَسَحَ يَده على الحجر، فقد بايع الله عزَّ وجلَّ أن لا يعصيه»**[٣].

---

(١) نفي الجهة عن الله سبحانه من الألفاظ المحدثة التي تحتمل الحق والباطل، لأن كثيراً من نفاة الصفات يريدون بها نفي العلو عن الله سبحانه؟! وهذا باطل لمخالفته للأدلة الصريحة التي تثبت علو ربنا تبارك وتعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك قولهم: ننزهه عن الجهة، إن أردتم أنه مُنزهٌ عن جهة وجودية تحيط به وتحويه وتحصره، إحاطة الظرف بالمظروف فنعم، هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى، ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى.

وإن أردتم بالجهة أمراً يوجب مباينة الخالق للمخلوق، وعلوّه على خلقه، واستواءه على عرشه، فنفيكم لهذا المعنى باطل، وتسميته جهة اصطلاح منكم توسلتم به إلى نفي ما دلَّ عليه العقل والنقل والفطرة، وسمّيتم ما فوق «العالم» جهةً وقلتم منزهٌ عن الجهات؟! وسمّيتم العرش حيزاً، وقلتم ليس بمتحيّزٍ؟ وسميتم الصفات أعراض وقلتم الرب منزهٌ عن قيام الأعراض به... الخ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (مختصر الصواعق ١/ ١٨٠).

(٢) في الأصل: ابن مسلم الرواس، والتصويب من التهذيب (٨/ ١٩٢) وغيره.

(٣) حديث موضوع، أبان هو ابن أبي عياش متروك، وأبو حفص العبدي هو عمر بن حفص قال الذهبي في الضعفاء (٢/ ٧٨٠): واه.

والعلاء بن مسلمة، قال الأزدي: كان رجل سوء لا يبالي ما روى، وقال ابن حبان: يروي =

١٧٨- وروى ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي قال سمعت عبد الله بن عباس يقول: إنَّ هذا الركن الأسود، يمينُ الله في الأرض يُصَافح به عباده مصافحة الرجل أخاه(١).

إعْلم أنَّ هذه الخبر ليس على ظاهره، لأن إضافة الحجر إلى أنه صفة ذات هي يمين، يحيل صفاته ويخرجها عما تستحقه، لأنَّ الحجر جسم مخلوق حال في مخلوق وفي الأرض، والقديم سبحانه(٢) تستحيل عليه هذه الصفات،

= المقلوبات والموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به، وقال ابن طاهر المقدسي: كان يضع الحديث.

والحديث ذكره الديلمي في «الفردوس» (٢/ ٢٨٠٧).

وأخرجه الأزرقي في «تاريخ مكة)- كما في كنز العمال (١٢/ ٢١٥)- عن عكرمة موقوفاً.

(١) ضعيف جدا، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٩) والأزرقي في «أخبار مكة» أخبرنا ابن جريج عن محمد بن عباد عن ابن عباس، فقال: نحوه. وقول عبد الرزاق «نحوه» يشير به إلى الرواية التي أخرجها قبله (٥/ ٣٩) عن إبراهيم بن يزيد أنه سمع محمد بن عباد يحدّث أنه سمع ابن عباس يقول: الركن- يعني الحجر- يمين الله في الأرض، يصافح بها خلقه مصافحة الرجل أخاه، يشهد لمن استلمه بالبر والوفاء، والذي نفسُ ابن عباس بيده ما حاذى به عبدٌ مسلمٌ يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه.

وفيه إبراهيم وهو الخوزي، متروك.

وسند المصنف فيه عنعنة ابن جريج.

وأخرجه الخطيب في تاريخه (٦/ ٣٢٨) مرفوعاً عن جابر بن عبد الله، وفي سنده إسحاق بن بشر الكاهلي، كذبه الأئمة.

(٢) «القديم» ليس من أسماء الله الحسنى، إنما هو من التسميات التي جرت على ألسنة أهل الكلام والفلسفة، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو: المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعتيق، وهذا حديث، للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ يس: ٣٩، والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم. (انظر شرح الطحاوية ص ١١٤). =

ويفارق هذا ما تقدمه من إثبات اليمين في الخبر الذي قبله، وأنَّ ذلك صفةٌ ذات، لأنه لا يستحيل إضافتها إليه، لأنها غير مستحيلة عليه، لأن إضافة اليمين إليه كإضافة اليد إليه، وذلك جائز، ومثل هذا غير موجود ها هنا.

يبين صحة هذا من كلام أحمد أن فسَّر قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] قال معناه: هُو إله من في السماوات وإله من في الأرض، وهو على العرش. فلم يحمل قوله ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ على ظاهره بل تأوله وبين أنه على العرش، فوجب أيضاً أن يمتنع من إطلاق صفة ذات في الأرض، تلمس في جهةٍ من الجهات.

وقد قيل في تأويله أوجه أحدها: أن هذا على طريق المَثَل، وأصله أنَّ الملك كان إذا صافح رجلاً قبَّل الرجلُ يده، فكأن الحجر لله سبحانه بمنزلة اليمين للملك يُسْتَلَم ويُلْثَم[1]. وقد رُوي في الخبر «أن الله عزّ وجلّ حين أخذ الميثاق من بني آدم، وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى، جعل ذلك في الحجر الأسود، ولذلك يقال: إيماناً بك ووفاءً بعهدك»[2].

= والصواب أن يستعاض عن هذا الاسم بما جاء في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] وبما جاء في قول رسوله ﷺ: «... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء...» رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٤).

واتباع ما جاءت به الشريعة أولى من اتباع ألفاظ أهل الكلام. وقال العلامة الألباني رحمه الله في تعليقه على الطحاوية: لكن أفاد الشيخ ابن مانع هنا فيما نقله عن ابن القيم في «البدائع» أنه يجوز وصفه سبحانه بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك، وباب الأخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية.

قلت: (أي الألباني): ولعل هذا هو وجه استعمال شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الوصف في بعض الأحيان.

(١) قاله ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص١٤٥).

(٢) لعله يشير إلى ما أخرجه الحاكم (١/ ٤٥٧) عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد =

وقد قيل فيه وجهٌ آخر: وهو أنه يُحتمل أن يكون معنى قوله «الحجر يمين الله في أرضه» إنما أضافه إليه على طريق التعظيم للحَجَر، وهو فعلٌ من أفعال الله تعالى سمَّاه يميناً فنسبه إلى نفسه، وأمر الناس باستلامه ومصافحته، ليظهر طاعتهم بالايتمار وتقربهم إلى الله سبحانه، فيحصل لهم بذلك البركة والسعادة.

وقيل فيه وجه آخر: وهو أنَّ معنى قوله «يمين الله» أمان الله، لأن الحجر من جملة البيت وقد قال سبحانه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ولا بأس بهذه الوجوه للمعنى الذي ذكرنا، من امتناع إضافة ذلك إلى الله سبحانه.

ويبين صحة هذا: ما روي عن النبي ﷺ الحجر الأسود من ياقوت الجنة وإنما سَوَّدته خطايا بني آدم»(١).

= الخدري رضي الله عنه: حججنا مع عمر بن الخطاب فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك، فقال له علي بن أبي طالب: بلى يا أمير المؤمنين! إنه يضر وينفع، قال: بم؟ قال: بكتاب الله تبارك وتعالى، قال: وأين ذلك من كتاب الله؟ قال: قال الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرره بأنه الرب وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له: افتح فاك قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق، وقال: أشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد»، فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. قال الحاكم: ليس من شرط الشيخين، فإنهما لم يحتجا بأبي هارون عمارة بن جوين العبدي. وقال الذهبي بعده: أبو هارون ساقط. وقال في الميزان: قال أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين: ضعيف لا يصدق في حديثه، وقال النسائي: متروك.

وقد صح منه قول عمر رضي الله عنه أني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، كما سيأتي.

(١) إسناده ضعيف، أخرجه ابن خزيمة (٤/ ٢٢٠) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «الحجر الأسود ياقوته بيضاء من ياقوت الجنة، وإنما سوَّدته خطايا المشركين، يُبعث يوم القيامة مثل =

وايضاً قول عمر: «لإني لأعلم أنَّك حَجَرٌ لا تضُرُّ ولا تنفع»[(١)].
وهذا لا يقال في صفات القديم[(٢)].

= أحد، يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا».
وفيه أبو الجنيد خالد بن الحسين الضرير، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن عدي (٣/ ٩١١): عامة حديثه عن الضعفاء أو قوم لا يعرفون.

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٧١، ٤٧٥) ومسلم (٢/ ٩٢٥) عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال للركن: أما والله إني لأعلم أنك حَجَرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ استلمك ما استلمتك، فاستلمه.
وأخرجه مسلم (٢/ ٩٢٥- ٩٢٦) من طرق أخرى عن عمر رضي الله عنه.

(٢) وفي ختام هذا الفصل نقول، إنَّ مذهب سلف الأمة هو إثبات صفة «اليد» لربنا جل شأنه، ولا يلتفت إلى تأويلات بل تحريفات الجهمية وأشياعهم.
وقَد ردَّ العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله في كتابه الفذّ «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» على من قال بتأويل هذه الصفة أو تعطيلها من عشرين وجهاً (٢/ ١٥٣- ١٧١) وقال في خاتمة الفصل:
ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع، وروداً متنوعاً متصرفاً فيه، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وتخمير طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه وتخيير آدم بين ما في يديه فقال اخترت يمين ربي، وأخذُ الصدقة بيمينه يُربيها لصاحبها، وكتابته بيده على نفسه إن رحمته تغلب غضبه، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه مفتوحتان اختر، فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرض باليد الأخرى، وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده، وقوله: الأيدي ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلي. فهل يصح في عقلٍ أو لغة أو عُرف أن يقال قدرة الله؟ أو نعمته العليا ويد المعطي التي تليها؟ فهل يحتمل هذا التركيب غير يد الذات بوجه ما وهل يصح أنْ يراد به غير ذلك؟ وكذلك قوله «اليد العليا خير من اليد السفلى» =

[حديث آخر]

١٧٩- نا أبو القسم عن أبي بكر عبد العزيز إجازة عن أبي بكر أحمد بن محمد الخلال عن أحمد عن الحسين الرقي عن إبراهيم بن المنذر عن [محمد بن][(١)] فليج بن سليمان عن أبيه عن سعيد بن الحرث عن عبيد بن

= واليد العليا هي المنفقة واليد السفلي هي السائلة. فضم هذا إلى قوله الأيدي ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطي هي التي تليها وإلى قوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تقطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة، فإن التركيب والقصد والسياق لا يحتمله البتة، وتأمل قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فلما كانوا يبايعون رسول الله ﷺ بأيدهم ويضرب بيده على أيديهم، وكان رسول الله ﷺ هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى، ولما كان سبحانه فوق سمواته على عرشه وفوق الخلائق كلهم، كانت يده فوق أيدهم كما أنه سبحانه فوقهم، فهل يصح هذا لمن ليس له يد حقيقية؟ فكيف يستقيم أن يكون المعنى قدرة الله ونعمته، فوق قدرهم ونعمهم؟! أم تقتضي المقابلة أن يكون المعنى هو الذي يسبق إلى الأفهام من هذا الكلام. وكذلك قوله «ما تصدّق أحد بصدقةٍ من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بينمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، فهل يحتمل هذا الكلام غير الحقيقة؟ وهب أن اليد تستعمل في النعمة، أفسمعتم أنَّ اليمين والكف يستعملان في النعمة في غير الوضع الجديد الذي اخترعتموه وحملتم عليه كلام الله وكلام رسوله ﷺ. وكذلك «وبيده الأخرى القسط»، هل يصح أن يكون المعنى وبقدرته الأخرى؟ وهل يصح في قوله «إن المقسطين عن يمين الرحمن» أنه عن قدرته في لغة من اللغات؟ وهل سمعتم باستعمال اليمين في النعمة والكف في النعمة؟ وكيف يحتمل قوله «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أفاض بهم في كفه» كف النعمة والقدرة؟

وهذا لم تعهدوا أنتم ولا أسلافكم به استعمالاً ألبتة، سوى الوضع الجديد الذي اخترعتموه، وكذلك قوله «خمر الله طينة آدم ثم ضرب بيده فيها فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بيده الأخرى، ثم خلط بينهما» فهل يصح في هذا السياق غير الحقيقة؟ فضع لفظ النعمة والقدرة ها هنا ثم انظر هل يستقيم ذلك؟ وهل يصح في قوله «والخير كله في يديك» أن يكون في نعمتك أو في قدرتك اهـ باختصار يسير (٢/ ١٧١- ١٧٣).

(١) سقط من الأصل.

حنين[١] عن قتادة بن النعمان قال: سمعت رسول الله يقول: «إن الله لما فرغ من خلقه، استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: أنها لا تصلح لبشر»[٢].

---

(١) في الأصل: بن جبير وهو خطأ.

(٢) حديث منكر، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٨- ٢٤٩) وأبو محمد الخلال وأبو بكر الخلال كما سيأتي والطبراني في الكبير (١٩/ ١٣) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٥٥) عن إبراهيم بن المنذر الحزامي به. قال البيهقي عقبه: فهذا حديث منكر، ولم أكتبه إلا من هذا الوجه، وفليح بن سليمان مع كونه من شرط الخاري ومسلم، فلم يخرجا حديثه هذا في الصحيح، وهو عند بعض الحافظ غير محتج به.
ثم نقل تضعيف ابن معين والنسائي لفليح بن سليمان، قلت: وضعفه ابن المديني وقال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال الدارقطني: يختلفون فيه وليس به بأس، والظاهر أن هذا الحديث من غرائبه، فقد ذكره الذهبي في ترجمته من الميزان (٣/ ٣٦٥).
وقال البيهقي: وفيه علة أخرى، وهو أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وصلى عليه عمر، وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدي وابن بكير، فتكون روايته عن قتادة منطقعة. اهـ
قلت: قوله أن فيه انقطاع، فيه نظر إذا السياق يأباه.
ثم إن الحافظ بن حجر اختار في التهذيب (٧/ ٦٣) أنه مات وهو ابن تسعين، ولم ينف سماع عبيد بن حنين من قتادة كما في ترجمة قتادة من التهذيب (٨/ ٣٥٨).
والحديث في متنه نكارة شديدة، وهو ما أشار إليه البيهقي بقوله: وما نقل في هذا الخبر إنما يفعله في الشاهد من الفارغين من أعمالهم من مسّه لغوب، أو أصابه نصب مما فعل، ليستريح بالاستلقاء وضضع إحدى رجليه على الأخرى، وقد كذَّب الله تعالى اليهود حين وصفوه بالاستراحة بعد خلق السماوات والأرض وما بينهما فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.
وقال: وأما النهي عن وضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى مستلقياً فقد رواه أبو الزبير عن جابر عن النبي ﷺ دون هذه القصة (قلت: وهو في مسلم ٣/ ١٦٦١) وحمله أهل العلم على ما يخشى من انكشاف العورة- وهي الفخذ- إذا رفع إحدى رجليه على الأخرى مستلقياً والإزار ضيق، وهو جائز عند الجميع إذا لم يخش ذلك. اهـ =

١٨٠ - وفي لفظ آخر: عن عمرو بن عتبة بن فرقد وكعب بن عجرة أنهما كانا جالسين عند الأشعث بن قيس قال: فوضع إحدى رجليه على الأخرى فقال: ضعهما إنها لا تصلح لبشر.

١٨١- وفي لفظ آخر: عن محمد بن قيس قال: جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دقّ الله فاك أتسئل عن هذا؟ قال لكعب: دعوه فإن يك عالماً ازداد، وإن يك جاهلاً تعلم، سألت أين ربنا وهو على العرش العظيم، متكئ واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى[١].

١٨٢- ونا أبو محمد الحسن بن محمد[٢] قال نا علي بن عمر التمار من أصل كتابه قال نا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم الواسطي قال نا أحمد ابن علي الأبار أبو العباس قال نا محمد بن إسحاق الصاغاني قال نا إبراهيم بن المنذر الحزامي[٣] قال نا محمد بن فليح عن أبيه عن سعيد بن الحرث عن عبيد بن حنين[٤] قال: بينا أنا جالس في

= ثم ساق حديث عباد بن تميم عن عمه: «أن رسول الله ﷺ كان يستلقي في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى» رواه مسلم.
والحديث ذكره الألباني حفظه الله في الضعيفة (٧٥٥) وحكم بنكارته وأنه من الإسرائيليات.
تنبيه: سقط من سند ابن أبي عاصم المطبوع: فليح بن سليمان.
ووقع فيه: عبد الله بن حنين، قال الألباني: بالميم المضمومة، ووقع في الأصل بالحاء وهو تحريف! كذا قال، وهو وهم منه حفظه الله، فإن صوابه: عبيد بن حنين، وكذا هو عند الطبراني والبيهقي والتهذيب.

(١) لم أجده مسنداً، وقد أشار إليه الحافظ أبو موسى المديني، كما في السلسلة الضعيفة للألباني (٢/ ١٧٨).

(٢) في الأصل: الحراني وهو خطأ، أشار إلى ذلك الناسخ.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) في الاصل: ابن جبير.

المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس يتحدث وثاب إليه ناس، فقال: انطلق بنا يا ابن حنين[1] إلى أبي سعيد فأخبرت أنه اشتكى، قال: فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقياً رافعاً رجله اليمنى على اليسرى، فسلمنا عليه وجلسنا، فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد فقرصها قرصة شديدة، فقال أبو سعيد: سبحان الله يا ابن أخي أوجعتني، قال: ذاك أردت إنَّ رسول الله ﷺ: «**إنّ الله لما قضى خلقه استلقى ثم رفع إحدى رجليه على الأخرى، ثم قال: لا ينبغي لأحدٍ من خلقي أن يفعل هذا**» فقال أبو سعيد: لا جرم والله لا أفعله أبداً.

قال أبو محمد الخلال: هذا حديث إسناده كلهم ثقات، وهم مع ثقتهم شرط الصحيحين مسلم والبخاري.

١٨٣- وقد ذكر أبو بكر أحمد بن محمد الخلال[2] هذا الحديث في «سننه» فقال نا أحمد بن الحسين الرقي نا إبراهيم بن المنذر نا محمد بن فليح

(١) في الأصل: ابن جبير.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال، ولد سنة ٢٣٤هـ أو في التي تليها فيجوز أن يكون رأي الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلقٍ كثير من أصحابه، وتلمذ لأبي بكر المروذي، قاله الذهبي.
ورحل إلى فارس وبلاد الشام والجزيرة، يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته. وكتب عن الكبار والصغار حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى، ثم أنه صنف كتاب: «الجامع في الفقه» من كلام أحمد بأخبرنا وحدثنا، وصنف كتاب«العلل» عن أحمد في ثلاث مجلدات، وألف كتاب «السنة» وغيرها من المؤلفات التي تدل على إمامته وسعة علمه.
قال الذهبي: ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل، حتى تتبع هو نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاث مئة فـ رحمه الله تعالى. توفي سنة ٣١١هـ.
(تاريخ بغداد (٥/ ١١٢- ١١٣) طبقات الحنابلة (٢/ ١٢- ١٥)، السير (١٤/ ٢٩٧- ٢٩٨)).

ابن سليمان قال حدثني أبي عن سعيد بن الحرث عن عبيد بن حنين[١] قال: بينما أنا جالس في المسجد إذ جاءني قتادة بن النعمان وجلس إليَّ وتحدث وثاب إلينا الناس، فقال قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه، واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: إنها لا تصلح لبشر**».

اعلم أن هذا الخبر يفيد أشياء منها: جواز إطلاق الإستلقاء عليه، لا على وجه الاستراحة، بل على صفة لا تعقل معناها[٢]، وأن له رجلين كما له يَدَان وأنه يضع إحداهما على الأخرى على صفةٍ لا نعقلها[٣]، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، لأنا لا نصف ذلك بصفات المخلوقين؛ بل نُطلق ذلك كما أطلقنا صفة الوجه واليدين، وخلق آدم بها، والاستواء على العرش، وكذلك جاز النظر إليه، لا في مكان، وكذلك إثبات الوجه لا على الصفة التي هي معهودة في الشاهد، وكذلك العين.

فإن قيل: لا يجوز حمل هذا الخبر على ظاهره، بل يُحمل قوله «لما فرغ من خلقه استلقى» بمعنى ترك أن يخلق مثله ويديم ذلك، كما يقال: فلان بني داره وعمرها فاستلقى على ظهره، بمعنى أنَّه ترك البناء، ولا يُراد أنه اضطجع.

قيل: قولكم أنه لا يجوز حمله على ذلك غلط، لأنَّا قد بينا أنا لا نحمله على صفةٍ تستحيل في صفاته، بل يجري في ذلك مجرى غيره من الصفات، وأما حمله على ترك أنْ يخلق مثله وترك الاستدامة لذلك فغلط ايضاً، لأن

---

(١) في الأصل: ابن جبير.

(٢) تقدم أن الحديث لا يصح، ولذا فلا تثبت به صفة لله تعالى، لأن الصفات تثبت بالأحاديث الصحيحة فقط دون الأحاديث الضعيفة والمنكرة.

(٣) في الأصل: لا نعقته، ولعل الصواب ما أثبتناه.

لذلك اسماً هو أخصُّ به من الاستلقاء، وهو ترك الخلق وقطع استدامته.

وجواب آخر: وهو أنه لا يصح حمله على قطع الاستدامة لأنه مستديم لخلقه، ومستديم أيضاً إيقاع خلق في السموات والأرض بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١] فأخبر أنه فاعلٌ لإمساكها بعد الفراغ منها.

فإن قيل: قوله «استلقى» بمعنى ألقى مخلوقاته[١] عن الرجل يستلقي ويضع إحدى رجليه على الأخرى قال: ليس به بأس قد روي.

وقال حنبل: رأيت أبا عبد الله مستلقياً على فقاه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى.

قيل: هذا غلط، لأن قول كعب تَضَمَّن شيئين:

أحدهما: إثبات الرِّجلين صفة.

والثاني: منع هذه الجلسة وكراهتها[٢]، قام الدليل على جواز هذه الجلسة لخلاف السلف وإجازتهم له، وبقي إثبات الرجلين على ظاهره لأنه لم ينقل عنهم خلافه ولا ردّه، فوجب الرجوع إليه لأنه لا يجوز في حقه إثبات صفة برأيه واجتهاده.

[حديث آخر في هذا المعنى]

ناه أبو محمد الحسن بن محمد قراءة عليه قال نا عبد الواحد بن علي بن الحسين الفامي أبو الطيب قال نا أبو القسم الحسن بن محمد بن عبد الله

---

(١) كذا في الأصل ويوجد نقص، وهو الرد على القول السابق، وأول الفقرة هنا وتقديرها: وسئل أحمد.

(٢) كذا في الأصل وفي الكلام نقص.

الواسطي قال نا محمد بن إسماعيل أبو إسماعيل قال نا الحسن الصباح أبو علي البزاز قال نا أبو توبة الربيع بن نافع نا سلمة بن كلثوم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية: أن رجلًا من المشركين سب النبي ﷺ فحمل عليه رجل من المسلمين فقتله فقتل الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «**ما تعجبون من رجلٍ نصر الله ورسوله، لقي الله غداً متكياً فقعد له**»(١) والكلام فيه كالكلام في الذي قبله في الاستلقاء سواء.

* * *

(١) حديث مرسل، حسان بن عطية من ثقات التابعين.
وفي الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص١٤٩) قوله: وروى أبو إسحاق الفزاري في كتابه عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم عبد الله بن رواحة وجابر، فلما صافوا المشركين أقبل رجل منهم يسب رسول الله ﷺ فقام رجل من المسلمين فقال: أنا فلان بن فلان وأمي فلانة فسبني وسب أمي، وكُفَّ عن سب رسول الله ﷺ، فلم يزده ذلك إلا إغراء، فأعاد مثل ذلك، وعاد الرجل مثل ذلك، فقال في الثالثة: لئن عُدت لأرحلنَّك بسيفي، فعاد فحمل عليه الرجل فولى مدبراً، فاتبعه الرجل حتى خرق صف المشركين، فضربه بسيفه، وأحاط به المشركون فقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «أعجبتم من رجل نصر الله ورسوله» ثم إن الرجل برئ من جراحته فأسلم، فكان يسمى «الرحيل».
رواه الأموي في مغازيه من هذا الوجه. اهـ
أبو إسحاق الفزاري هو إبراهيم بن محمد بن الحارث الحافظ، وكتابه هو «السير في الأخبار» انظر تاريخ التراث لسزكين (١/ ٢/ ٩٦).
والأموي هو سعد بن يحيى بن سعيد.

[إثبات الرجل والقدم لربنا جلّ شأنه]

[حديث آخر]

١٨٤- ناه أبو القسم عبد العزيز من طرقٍ مختلفةٍ بألفاظٍ مختلفة.

أحدها: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَزالُ جَهَنّم تقولُ: هل من مزيد؟ قال: فَيُدْلي رَبُّ العِزَّة جَلَّ اسمه فيها قَدَمَهُ، فَيَنْزوي بعضها على بعض، وتقول: قَط قَط بعزتك**».

وفي لفظٍ آخر «فَيَضَعُ رَبُّ العِزَّة قَدَمه». وفي لفظ آخر «فيدلي رب العالمين جلَّ اسمه قدمه، قال: فينزوي بعضها إلى بعض»(١).

١٨٥- وفي لفظٍ آخر رواه أبو هريرة: أخبرناه أبو القسم قال أنا أبو بكر بن مالك إجازة وقرأته على أبي عنه قال نا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال نا عبد الرزاق بن همام نا معمر نما همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَحاجَّت الجنةُ والنارُ، فقالت النار: أُوثِرتُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٩٤) (١٢/ ٥٤٥) (١٣/ ٣٦٩) ومسلم (٤/ ٢١٨٧، ٢١٨٨) عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَطِ قطِ بعزّتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فَضْلٌ حتى يُنشيء الله لها خلقاً، فيُسكنهم فضل الجنة» لفظ مسلم.
أما رواية «فيدلي رب العالمين قدمه»، فقد أخرجها مسلم (٤/ ٢١٨٨) والدارمي في «النقض على المريسي» (ص٦٩) وابن خزيمة في التوحيد (ص٨٨، ٩٧) وابن جرير (٢٦/ ١٠٦) من طريق أبان بن يزيد العطار حدثنا قتادة عن أنس مرفوعاً به.
وسندها صحيح، أبان بن يزيد ثقة له أفراد، قاله الحافظ فلعل هذه الرواية من أفراده، فإن عامة من روى الحديث قال: يضع. وقال الشيخ الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على هذه الرواية: لعل هذه رواية بالمعنى، فإن أغلب الروايات بلفظ «يضع» وهو- أي التدلي- معنى صحيح فإنه الالتقاء من علو إلى سفل، ولا شك أن النار في أسفل مكان، والله هو العلي الأعلى جل شأنه. اهـ

بالمتكبِّرين والمُتجبِّرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضُعفاءُ الناس وسفلهم، فقال الله عَزَّوَجَلَّ للجنة: إنما أنت رحمة أرحمُ بك من أشاءُ من عبادي، وقال للنار: [أنت عذابي] (١) أعذبُ بك من اشاءُ من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما مِلْئُها، فأما النارُ فلا تمتلئ حتى يَضَعَ الله رجله فيها تقول: قط قط أي حسبِي، هنالك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله تعالى من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله يُنشئ لها خلقاً»(٢).

١٨٦- وفي لفظ آخر «لا تزالُ جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يَضَعَ الجبار جل اسمه قدمه فيها، فتقول: قط قط يعني: حسبي حسبي»(٣).

وفي لفظ آخر «فيضعُ الله تعالى قَدَمه فيها فتقول: قط قط لكرمك(٤) وعظمتك».

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٤٢٢- ٤٢٣) وأحمد (٢/ ٣١٤) والبخاري (٨/ ٥٩٥) ومسلم (٤/ ٢١٨٦- ٢١٨٧) عن معمر به.
وله طرق أخرى عن أبي هريرة، انظر المسند (٢/ ٢٧٦، ٤٥٠) والبخاري (١٣/ ٤٣٤) ومسلم (٤/ ٢١٨٦).

(٣) حسن، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص٩٢) حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور السليمي حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى السلمي حدثنا هشام- وهو ابن حسان- عن محمد - وهو ابن سيرين- عن أبي هريرة مرفوعاً: اختصمت الجنة والنار....» وفيه: حتى يضع الجبار فيها قدمه...» وليس فيه: قط قط يعني: حسبي حسبي .
قلت: وإسناده حسن، إسماعيل بن بشر، صدوق تكلم فيه للقدر .
والحديث أخرجه الدارقطني في الصفات (ص٣٢) عن محمد بن سيرين به بلفظ: لا تزال جهنم... حتى يضع الجبار تبارك وتعالى فيها قدمه. وعزى الحافظ في الفتح (٨/ ٥٩٥) زيادة: حسبي حسبي لعبد الرزاق، ولم أجدها في مصنفه، فالظاهر أنها في تفسيره.

(٤) في الأصل: لكزمك، وهو خطأ.

١٨٧- وفي لفظ آخر «فلا تمتلئ حتى يَضَعَ الله قدمه فَتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلىء ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يَظلم الله تعالى أحداً من خلقه»(١).

١٨٨- وفي حديث آخر رواه أبو سعيد الخدري «فيضعُ الله قدمه عليها فتُزوى وتقول قدني قدني»(٢). وقد ذكر أبو الحسن الدارقطني هذا الحديث من

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (ص٩٣- ٩٤) عن يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ به.
وأخرجه (ص٩٤) بالطريق التي تقدمت برقم (٢).
وفي كلا الطريقين تكررت «قط» ثلاث مرات.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٣/ ١٣، ٧٨) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٣٣) والدارمي في «النقض» (ص ٦٩- ٧٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٩٣، ٩٤، ٩٨) والدارقطني في الصفات (ص٣١، ٣٤) عن حماد عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين، فيقول الله تبارك وتعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء، ولكل واحدة منكما ملؤها، فيلقى في النار أهلها فتقول: هل من مزيد، قال: ويلقي فيها وتقول: هل من مزيد، ويلقي فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يأتيها تبارك وتعالى فيضعُ قدمه عليها فتزوى وتقول: قدي قدي، وأما الجنة فيبقى فيها أهلها ما شاء الله أن يبقى، فينشئ الله لها خلقاً ما يشاء». وفي رواية ابن خزيمة (ص٩٨): وتقول: قدني قدني.
والحديث فيه: عطاء بن السائب وقد اختلط، وحماد بن سلمة ممن روى عنه قبل الاختلاط وبعده كما في «الكواكب النيرات» (ص٣٢٢- ٣٣١).
ورواه ابن خزيمة (ص٩٥) عن جرير عن عطاء بن السائب به لكن قال: عن أبي هريرة! والظاهر أنه من اختلاط عطاء، فإن جرير أيضاً ممن روى عن عطاء بعد الاختلاط.
لكن يشهد للحديث ما أخرجه أحمد (٣/ ٧٩) ومسلم (٤/ ٢١٨٧) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «احتجت الجنة والنار» فذكر نحو حديث أبي هريرة إلى قوله «ولكليكما عليّ ملؤها» ولم يذكر ما بعده من الزيادة.

طرق وألفاظ مختلفة نحو ما ذكرنا[١].

وقد ذكر البخاري ومسلم «القدم» في الصحيحين جميعاً[٢].

(١) انظر كتاب الصفات للدارقطني (ص٢٦- ٣٥).

(٢) في الأحاديث السابقة إثبات صفة «الرجل» و«القدم» لربنا تبارك وتعالى، وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها.

فقد روى الترمذي في سننه (٤/ ٦٩٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم... » وفيه «ويبقى أهل النار فيُطرح منهم فيها فوج، ثم يقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ ثم يطرح فيها فوج فيقال: هل امتلأتِ؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى إذا أُوْعَبُوا فيها وضع الرحمن قَدَمه فيها، وأزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قط، قالت: قَطْ قَطْ...» الحديث، وإسناده حسن.

ثم قال الترمذي: وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يُذكر فيه أمر «الرؤية»، أنّ الناس يرون ربهم، وذِكرُ القدم وما أشبه هذه الأشياء.

والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تُروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويُؤْمَنُ بها ولا تُفسّر ولا تُتوهم، ولا يقال كيف؟

وهذا أمرُ أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه. اهـ

وقال ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٩٠): باب ذكر إثبات الرِّجْل» لله عز وجل.

وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ، قال الله عز وجل يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَآ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩٥]. اهـ

وهذا هو مذهب سلف الأمة في هذه الصفة وغيرها من الصفات، أن نؤمن بها كما جاءت من غير ين نُبدِّل معانيها أو نحرّفها أو نعطلها، ولو عرف لها السلف غير معانيها الظاهرة لتكلموا بها وجرت على ألسنتهم.

وقد تهجم إمام الجهمية في هذا العصر الكوثري- عليه من الله ما يستحق- على تبويب ابن خزيمة السابق فقال في تعليقه الآثم على كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٣٥١): وكلمة ابن خزيمة في التوحيد (باب إثبات الرجل لله عز وجل وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية) مما يقضي =

اعلم أنه غير ممتنعٍ حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ المراد به «قدم» هو صفة لله تعالى وكذلك «الرجل».

١٨٩- وقد نص أحمد على ذلك في رواية المروذي وقد سأله عن الأحاديث «يضع قدمه» وغيرها قال: نُمِرَها كما جاءت.

١٩٠- وقال ابن منصور قلت لأبي عبد الله: «اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها» فقال أحمد: صحيح.

١٩١- وقال أبو بكر الأثرم قلت لأبي عبد الله حَدَّث مُحدث وأنا عنده بحديث «يَضَعُ الرب عزَّ وجلَّ قدمه» وعنده غلام فأقبل على الغلام فقال: نعم إن لهذا تفسيراً، فقال أبو عبد الله: انظر إليه كما تقول الجهمية سواء.

١٩٢- وقال في رواية حنبل قال النبي ﷺ: «**يضع قدمه**» نُؤمنُ به ولا نرّد على رسول الله ﷺ.

فقد نصَّ على الأخذ بظاهر ذلك لأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عمَّا تستحقه، لأنَّا لا نثبت قدماً جارحة ولا أبعاضاً، بل نثبت ذلك قدماً صفة، كما أثبتنا يدين ووجهاً وسمعاً وبصراً وذاتاً، وجميع ذلك صفات، وكذلك القدم والرجل، ولأنَّا لا نصفه بالانتقال والمماسة لجهنم، بل نطلقُ ذلك كما أطلقنا الاستواء على العرش والنَّظر إليه في الآخرة.

وقد احتج أبو بكر بن خزيمة في كتاب «التوحيد»(١) على إثبات الرجل

= بمحو اسمه من ديوان العلماء!! إلى أن قال: ومثله لا يلتفت إليه في باب الاعتقاد!
فإذا كان ابن خزيمة إمام الأئمة يُمحى اسمه من ديوان العلماء، ولا يلتفت إليه في باب الاعتقاد، فمن يكتب اسمه في ديوان العلماء ويلتفت إليه في باب الاعتقاد، أأنت وأمثالك من الجهمية المعطلة أشباه اليهود والنصارى؟! الذين عطلوا صفات خالقهم حتى كادوا يعبدون عدما!

(١) التوحيد (ص٩٠).

بقوله تعالى ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥] وبقول أمية:

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

وإن رسول الله صدقه فقال: صدق أمية بن الصلت»(١).

وقد اعترض عليه بعضهم في هذا الدليل، وقال: لو كان التمسكُ بظاهر الآية صحيحاً، لوجب القول بإثبات الأرجل والأيدي والأعين والآذان على وجه الجمع، لأن أرجل اسم جمع، وقد أجمع المسلمون على إنكار ذلك، وكذلك الآذان، قال هذا القائل: فَعُلِمَ أنَّ الله تعالى أراد به ردَّ الكافرين عن عبادة الأصنام، قال هذا القائل: فَعُلِمَ أنَّ الله تعالى أراد به ردَّ الكافرين عن عبادة الأصنام، وعرَّفهم أنكم تأنفون من عبادة من له رجلٌ يمشي بها ويدٌ يبطش بها وعينٌ يُبصر بها وأذنٌ يسمعُ بها، فكيف تعبدون من ليس له شيء من ذلك، يقرّعهم على عبادة الأصنام التي هي جماد وموتان، ليس لها فعلٌ ولا قُدرةٌ ولا سمعٌ ولا بصر.

وهذا الذي ذكره هذا القائل لا يمنع الاحتجاج بالآية، لأنَّ الدليل قد دلَّ على نفي إثبات هذه الصفات التي هي الأذن وجمع الأرجل فنفيناه، وبقي ما عدا ذلك على ظاهره، وهذه طريقةٌ ظاهرةٌ على أصول الفقهاء، وإنَّ الدليل إذا تناول شيئين فقام الدليل على إسقاط أحدهما، لم يُوجب ذلك إسقاط باقيه، كذلك ها هنا.

فإن قيل: يُحمل قول أمية على أنَّه إنما أراد يمين العرش ويساره.

قيل: هذا غَلَطٌ لوجهين: أحدهما أنَّ صفة اليمين واليسار في حقيقة اللغة إنما يُضاف إلى الذات دون الجمادات.

---

(١) صحيح، وقد سبق الكلام عليه عند أحاديث رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل.

والثاني: أنَّ ها هنا كِناية ومكني، فيجبُ أنْ ترجعَ إلى المقصود بالذكر هو الله سبحانه، كما لو قال: فلان عن يمين الخليفة، لا ينصرف ذلك إلى غيره.

فإن قيل: معنى القدم ها هنا المتقدم من المشركين يضعه في النار، لأنَّ العرب تقول للشيء المتقدم: قدم، وعلى هذا تأويل قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢]. أي أي سابقة صِدْق[١]، قال وضَّاح اليمن[٢]:

صلِّ لربِّك واتخذ قَدَماً يُنجيك يوم العثار والزلل

أراد بذلك ما تقدم من الشرف، وما يفتخر به.

قيل: هذا غلطٌ لوجهين: أحدهما: أنَّ قوله «يضع قدمه» هاءُ كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور، والمذكور في الخبر الله سبحانه، وفي لفظٍ آخر «الجبَّار» وفي لفظٍ آخر «رَبُّ العزة»، فوجب أن يرجع إليه، فأمّا المتقدم من الكفار فلم يتقدَّم ذكرهم، فلا يجب رجوع الهاء إليهم.

والثاني: أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص بالنار، لأنَّ المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة، فوجب حَمْلهُ على ظاهره ليُفيد فائدة.

وأمّا قوله سبحانه ﴿أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢] فقد روي عن زيد بن أسلم المراد به محمد ﷺ[٣].

---

(١) حكاه ابن فورك في «مشكل الحديث» (ص٤٤) عن النضر بن شميل.
وقاله ابن حبان، انظر الإحسان (١/ ٤٢٧- ٤٢٨) ط الأرنؤوط.

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال المعروف بوضَّاح اليمن، من آل خولان من حمير، شاعر رقيق الغزل، عجيب النسيب.
توفي نحو ٩٠هـ. (فوات الوفيات (٢/ ٢٧٢- ٢٧٥)، الأعلام (٣/ ٢٩٩).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن جرير (١١/ ٥٩) حدثني المثني حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم به.
=

وقيل: المراد به الثواب، رُوي بذلك عن ابن زيد وغيره(١).

وإنما حمل القدم هناك على السابق من الرسول والثواب، لأن في ظاهر اللفظ ما دلَّ عليه، وهو قول سبحانه ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢] وإنما قالوا ذلك في الرسول وكذلك قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣] إنما يبشرون بما سبق لهم من الأعمال، فهناك ما دلَّ على أن المراد بالقدم السابقة، وليس في الخبر ما يدلُّ على ذلك، بل فيه ما يدل على خلاف ذلك من الوجه الذي ذكرنا.

فإن قيل: فقد رُوي بكسر القاف: قِدمه، وإذا كان كذلك كان معناه ما ذكرنا من التقدم من المشركين.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه لا يُحفظ عن أحدٍ من أصحاب الحديث أنَّه رواه

= إسحاق هو ابن الحجاج الطاحوني، أورده ابن أبي حاتم (٢/ ٢١٧) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا، وشيخ ابن جرير: المثنى وهو ابن إبراهيم الآملي لم أجد له ترجمة.

(١) أخرجه ابن جرير (١١/ ٥٩) حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾، قال: القدم الصدق: ثواب الصدق بما قدموا من الأعمال.
وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال أبو زرعة: ضعيف، وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث، كان في نفسه صالحاً وفي الحديث واهياً.
قلت: وضَعْفُه في الحديث لا يمنع من الأخذ بتفسيره، فإنه كان صالحاً في نفسه كما قال أبو حاتم. وأخرجه ابن جرير (١١/ ٥٩) من قول ابن عباس وسنده تالف. وأخرجه عن مجاهد من وجوه فيها ضعف وانقطاع، تتحسن بمجموعها. وأخرجه من طريقين عن الربيع ابن أنس، وفيهما أبو جعفر الرازي، سيء الحفظ.
ثم قال أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال معناه: أن لهم أعمالًا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب، وذلك أنه محكي عن العرب: هؤلاء أهل القدم في الإسلام، أي: هؤلاء الذين قدموا خيراً فكان لهم فيه تقديم، ويقال: له عندي قَدَم صدق وقَدَم سوء، وذلك ما قدم إليه من خير أو شر، ومنه قول حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لنا القَدَمُ العُليا إليك وخلفنا ... لأولنا في طاعةِ الله تابعُ

بالكسر، فلا يجوز دعوى ذلك، والذي يدل على بطلانه ما ذكرنا.

فإن قيل: المراد بالقدم ها هنا: خلق من خلق الله تعالى يخلقه الله تعالى يوم القيامة، فَيُسميه: قَدَمًا، ويضعه الله من طريق الفعل والملك يضعه في النّار فتمتلئ منه.

وقيل المراد: قدم بعض خلقه فأضاف ذلك إليه كما يقال: ضرب الأمير اللص، فيضاف إليه على معنى أنّه يأمره.

قيل: هذا غلطٌ لما تقدَّم من الوجهين أحدهما: أنَّ هاء الكناية ترجع إلى المذكور المتقدم، والذي تقدم ذكره هو الله سبحانه.

والثاني: أنَّه يُسقط فائدة التخصيص بالنار، لأنه قد ينشئ خلقاً يوم القيامة فيدخلهم الجنة، فتخصيص النار بذلك لا معنى له.

فإن قيل: قوله «فيضَع الجبار» جنس الجبابرة وهم الكفرة المعاندون.

وقيل: المراد به إبليس وشيعته لأنه أول من استكبر، فقال تعالى ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧٤][1].

قيل: هذا غلط، لأنَّا قد روينا في الحديث «يضعُ الله قَدَمه» وفي لفظ آخر، «فيضعُ ربُّ العزَّة قدمه» وهذا صريح في أنَّ المراد بالجبار هو الله ربُّ العزة.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّ في الخبر تقول «قطِ بعزَّتك وعظمتك»، وهذه صِفَةٌ تختص الله سبحانه، لأنَّ هذا قَسَمٌ منها بالله سبحانه، خَرَجَ منها مخرج الخضوع والتذلل، ولا يكون هذا منها بوضع الجبابرة ومن يستحق العذاب لأنها سحق لهم، ولأنَّه قال: «لا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها»، والرجلُ لا يعبر بها عن الجبابرة، والمتقدم من المشركين.

---

(١) انظر مُشكل الحديث لابن فورك (ص ٤٥).

ولأنَّ قوله «لا تمتلئ» تعظيماً لحالها وشدَّة غيظها، قال تعالى ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [تبارك: ٨] وما هذا صفته لا يَكُفُّه وضع بعض الجبابرة من الكفار، وإنما يكفيه قَدَمُ الصفة، ولأنه قال: «ينزوي بعضها إلى بعض» يعني يجتمع، وهذا لا يُوجد ببعض خلقه، لأنَّ النار تسحقه، كما قال ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [تبارك: ١١] وإنما تجتمع من قَدَمِ الصِّفة.

فإن قيل: الحديث الذي رُوي فيه «يضع رجله» لم يروه إلا بعضهم على الشك، فرواه الدارقطني بإسناده: عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «يُلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رجله فيها - أو قال: قدمه - فتقول: قِط قِط»[(١)]، فذكره على لفظ الشك فاحتمل أن يكون لما التبس عليه اللفظ وتَوَهَّمَ أنَّ القدم لا يكون إلا رجلاً بدل القدم الرجل.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّا قد روينا هذها اللفظ بإسناده عن أبي هريرة من غير شك في اللفظ.

فإن قيل: فنتأول الرجل على نحو تأويلنا القدم، إمّا أن يُريد رجل بعض خلقه فأضافه إليه مُلْكاً وفعلاً، أو يُراد به رجل المتجبرين من خلقه، ولأنَّه قد قيل الرجل للجماعة الكثيرة، ولأنَّ العرب تقول: مَرَّ بنا رجل من جراد، أي «قطعة منها»[(٢)].

قيل: هذا غلطٌ لما تقدم، وهو أن هاء الكناية يرجع إلى المذكور المتقدم ولأنَّه صرح باسمه الأعظم.

---

(١) كتاب «الصفات» للدارقطني (ص٢٨).

(٢) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص٤٦)، وذكر هذا التأويل الخطابي كما في «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٣٥٢).

فإن قيل: حَمْلُ الخبر على ظاهره يُوجبُ رَدَّ القرآن، لأنَّ الله سبحانه يقول ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩] فأخبر أنَّ الإلهية: لا تردها، وفي جواز وضع القدم فيها إيرادٌ لها، وقال تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] وظاهرُ الخبر يقتضي أنها تمتلئ بالقدم، وهذا خلاف ظاهر القرآن، فوجب تأويله.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ حمله على ظاهره لا يوجب ردَّ القرآن، وذلك أنَّ قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩] معناه: ما وردوها على وجه الخوف والفَزَع والعقوبة، قال تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وأرادَ على وجه الخوف، ثم قال تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢] وهذا المعنى معدوم في حقه سبحانه.

وأما قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٨٥] فنحن نقول بظاهره، وأنها تمتلئ به وبمن تبعه، لكن بعد وضع القدم وانزواء بعضها إلى بعض، ولا نقول أنها تمتلئ بالقدم.

فإن قيل: فَقَدَمُ الصِّفة لا يجوز وصفها بالوضع في المكان، وإنما قَدَمُ الجارحة، وذلك لا يليقُ بصفاته.

قيل: لا يمتنع إطلاق ذلك لا على وجه الحدِّ والجهة والحلول، كما جاز وصف الذات بالعُلوِّ على العرش لا على وجه الحد والجهة، وإنْ كنا نعلم أنَّ العُلو غير السفل، ولهذا نَصفُه بالعلو ولا نصفه بالسفل، ثم لم يُوجب ذلك وصفه بالجهة وكذلك رؤيته.

فأما قوله: قط قط، أيّ حسبي، وقد ورد هذا مفسراً في بعض الألفاظ، وهذا كما تقول العرب:

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً قليلاً قد ملأت بطني[١]

وقد قيل: إنَّ ذلك حكاية صوت جهنم.

«حديث آخر في هذا المعنى»:

١٩٣- ثنا أبو محمد الحسن بن محمد قال نا أبو حفص من شاهين قال نا الحسين بن جعفر الكوكبي قال نا العباس بن عبد الله قال نا أبو المغيرة قال نا صفوان قال نا سريج بن عبيد عن أبي بشر الأذرمي عن كعب قال: إن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال: إني واطِ على بعضك، فانتسفت إليه الجبال، فتصعصعت الصخرة فشكر لها ذلك، فوضع عليه قدامه[٢].

* * *

(١) كتب في الأصل متصلًا.

(٢) الخبر من الإسرائيليات، كعب هو الإحبار.

[حديث آخر]

أخبرناه أبو القسم قال نا أبو يعلى عبد الله بن مسلم بن يحيى قال نا الحسين بن إسماعيل الضبي نا إسمعيل بن الحرث قال نا أبو النضر نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ضرسُ الكافِر مثل أُحد، وفَخِذه مثلُ البيضاء، ومقعُدهُ من النار كما بين قُديد ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار جلَّ اسمه»**[1].

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٤، ٥٣٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٧١) من عبد الرحمن عن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم به.
وإسناده حسن، عبد الرحمن بن عبد الله هو مولى ابن عمر (وقع في الأصل عبد العزيز وهو خطأ)، صدوق، قاله ابن المديني، وقال أبو حاتم: فيه لين يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الحافظ: صدوق يخطئ. وإسناد المصنف فيه: إسماعيل بن الحارث لم أجد له ترجمة سوى قول ابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ١٠٤) ذكره أبو محمد الخلاف فيمن روى عن إمامنا أحمد، أما الحسين الضبي فهو صادق فاضل (تاريخ بغداد ٨/ ١٩- ٢٠)، وأبو يعلى هو الدباس، ثقة (تاريخ بغداد ١٠/ ١٧١) .
وله طريق آخر عن أبي هريرة، أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٨) والحاكم (٤/ ٥٩٥) عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربذة».
قال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٤٨٤): إسناد جيد.
قلت: وهو كما قال، عبد الرحمن بن إسحاق هو ابن عبد الله المدني، صدوق رمي بالقدر.
وطريق ثالث عن أبي هريرة، أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٣) وابن حبان (٩/ ٢٨٤) والحاكم (٤/ ٥٩٥) والبيهقي في الأسماء (ص٣٤٢) عن عبيد الله بن موسى أخبرنا شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار، وضرسه مثل أحد» وزاد الترمذي: «وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة» وليس عند الترمذي: «بذراع الجبار». =

وحدثناه أيضاً عن طريق أبي بكر عبد العزيز بهذا اللفظ.

اعلم أنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نُثبت ذراعاً جارحةً، ولا أَبْعَاضاً بل نثبت ذلك صفة، كما أثبتنا الوجه واليدين وغيرهما من الصفات.

فإن قيل: المراد بالجبار المتجبر من خلقه، لأن حمله على الله سبحانه يوهم الجارحة والعضو في صفته ويوهم الطول عليه[1].

= قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه للذهبي، وهو كما قالا.
وطريق رابع عن أبي هريرة، أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٣) عن محمد بن عمار حدثني جدي محمد بن عمار وصالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثلُ الربذة».
قال الترمذي: حسن غريب.
ومثل الربذة كما بين المدينة والربذة، والبيضاء: جبلٌ مثلُ أحد. قلت: وإسناده حسن لغيره، محمد بن عمار الأول هو ابن حفص، لا بأس به، وجده محمد بن عمار هو ابن سعد القرظ، وثق.
وقال الحافظ: مستور، وصالح صدوق مختلط.
وطريق خامس عن أبي هريرة مختصراً، أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٩) والترمذي (٤/ ٧٠٤) عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه: «ضرسُ الكافر أو نابُ الكافر مثل أُحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثٍ».
فوائد: ورقان: بوزن قطران، جبلٌ أسود بين العَرْج والرُّوَيثة، على يمين المار من المدينة إلى مكة (النهاية ٥/ ١٧٦).
قوله: ضرسه مثل أحد وفخذه مثل البيضاء، جبلان تعظم أعضاء الكافر كعظمهما وتقتضي النسبة النبوية أن تكون البيضاء جبلا أكبر من أحد، كما أن الفخذ أكبر من الضرس (انظر عارضه الأحوذي ١٠/ ٤٨).

(١) قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص١٤٥): إن لهذا الحديث مخرجاً حسناً إن كان النبي ﷺ أراده، وهو أن يكون الجبار ههنا الملك، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: بملك مسلط، والجبابرة الملوك، وهذا كما يقول الناس: هو كذا وكذا =

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ في الخبر أنَّه قال: «اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبّار جل اسمه» وهذه الصفة لا يستحقها أحدٌ من الجبابرة غير الله عز وجل بل غيره يستحق الذم والمقت[1] ولأنَّه ذكر الجبار بالألف واللام، والألف واللام يَدْخُلان للعهد أو للجنس، وليس يمكن حمله على الجنس، لأنه يقتضي كل جبار وليس ها هنا معهود من الخلق يُشار إليه، فلم يبق إلا أن يُحمل عليه سبحانه، لأنَّه أعرف المعارف.

وأما قولهم: إنه يُفضي إلى أن نصفه بالطول، فليس كذلك لأنَّا نثبت قوله وخلق آدم بيده» ولم يُوجب ذلك إثبات صفة في اليد تُقضي إلى الحدّ على ما نعقله في الشاهد، كذلك ها هنا، ونُثبت استواءً على العرش، ولم يوجب ذلك تحديده لأجل أنَّ العرش محدود.

= بذراع الملك، يريدون بالذراع الأكبر، وأحسن ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع. اهـ
وقال ابن حبان عقب الحديث السابق: إن الجبار ملك باليمن يقال له الجبار (له ذراع معروف المقدار) (وانظر الترغيب ٤/ ٤٨٤) وقال المنذري: وقيل ملك بالعجم.
وقال الحاكم: قال الشيخ أبو بكر رحمه الله معنى قوله «بذراع الجبار» أي: جبار من جبابرة الآدميين، ممن كان في القرون الأولى، ممن كان أعظم خلقاً وأطول أعضاء وذراعاً من الناس.
وأبو بكر هو شيخ الحاكم أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري المعروف بالصِّبْغي الإمام العلامة المفتي المحدث له كتاب في «الأسماء والصفات»، وترجمته في العبر (٢/ ٢٥٨- ٢٥٩) والسير (١٥/ ٤٨٣- ٤٨٩) وغيرهما.
وقال البيهقي في الأسماء (ص٣٤٢): قال بعض أهل النظر: في قوله «بذراع الجبار» إن الجبار ههنا لم يعن القديم، وإنما عُني به رجلًا جباراً كان يوصف بطول الذراع وعظم الجسم، ألا ترى إلى قوله ﴿كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وقوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ وقوله «بذراع الجبار» أي: بذراع ذلك الجبار الموصوف بطول الذراع وعظم الجسد، ويحتمل أن يكون ذلك ذراعاً طويلًا يُذرع به يُعرف بـ «ذراع الجبار»، على معنى التعظيم والتهويل، لا أن له ذراعاً كذراع الأيدي المخلوقة. اهـ

(١) في الأصل: المعصية، وصوّبت في الهامش بـ «المقتة» ولعل الصواب ما أثبتناه.

فإن قيل: قوله جلَّ اسمه يُحتمل أن يكون من كلام بعض الرواة أَدْرَجَه في كلام النبي ﷺ[١].

قيل: هذه مِدْحَةٌ لا يستحقها غيره، ولا يجوز أن نُضيف إلى الراوي الخطأ، لأنه قد أخذ علينا حُسْنَ الظن فيهم.

فإن قيل: هذا يفضي إلى تحديد الذراع لأنَّ جلد الكافر محدود.

قيل: لا يُفضي إلى هذا، كما لم يفض إلى تحديده بالاستواء على العرش، لأنه العرش محدود، وكذلك قوله: الكرسي موضعُ القدمين[٢]، وكذلك قوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ولم يوجب ذلك تحديد اليمين، لأنَّ السماوات محدودة.

❊ ❊ ❊

(١) لم تذكر هذه الزيادة وهي «جلّ اسمه» في المصادر السابقة، والظاهر أنها مدرجة كما ذكر، والله أعلم.

(٢) أثر موقوف على ابن عباس، إسناده حسن، أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٠١) والدارمي في «النقض» (ص٧١، ٧٣- ٧٤) وابن أبي شيبة في «العرش» (٦١- بتحقيقي) وابن خزيمة في التوحيد (ص١٠٧- ١٠٨) وابن جرير في تفسيره (٣/ ١٠) والدارقطني في «الصفات» (ص٤٩- ٥٠) والحاكم (٢/ ٢٨٢) والخطيب في تاريخه (٩/ ٢٥٢) كلهم عن سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبر عن ابن عباس في قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: الكرسي موضع القدمين، لا يقدر أحد قدره.

[حديث آخر]

١٩٥- ناه أبو القسم، بإسناده عن مجاهد قال: إذا كان يوم القيامة يذكر داود ذنبه فيقول الله عز وجل له: كن أمامي، فيقول: رب ذنبي، فيقول الله: كن خلفي فيقول: رب ذنبي ذنبي، فيقول الله له: خذ بقدمي(١).

وفي لفظ آخر: أخرجه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال وسمعته منه: عن ابن سيرين يقول في قوله عز وجل ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠] قال: إنَّ الله عز وجل ليُقرب داود حتى يضع يده على فخذه، يقول: ادنُ مِنَّا أزلفت لدينا.

اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، إذ ليس فيه ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نُثبت قدماً وفخذا جارحة ولا أبعاضًا، بل نُثبت لك صفة كما أثبتنا الذات والوجه واليدين، ولا نثبت أخذاً بقدمه على وجه المماسّة، كما أثبتناه خلقه لآدم بيده لا على وجه المماسّة والملاقاة، بل نعقل معناه(٢)، ولا نثبت أيضاً أماماً وخلفاً على

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٦٨) إلى ابن مردويه ولكن من حديث عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ: «أنه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه وشدته قال: ويقول الرحمن لداود عليه السلام مر بين يديّ، فيقول داود: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي فيقول: خذ بقدمي، فيأخذ بقدمه عز وجل، فيمر قال فتلك (الزلفى) التي قال الله ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

(٢) قوله «كما أثبتنا خلقه لآدم بيده لا على وجه المماسة والملاقاة» نفي لم يأت به النص، بل الصواب خلافه، فقد زعم بشر المريسي في تفسيره لقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص: ٧٥، أن الله ولي خلقه، وقوله «بيدي» تأكيد للخلق لا أنه خلقه بيده.
فردّه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في كتابه «النقض» (ص٢٥- ٣٠) بقوله: فيقال لهذا المريسي الجاهل بالله وبآياته: فهل علمت شيئاً مما خلق الله ولي خلق ذلك غيره، حتى خصَّ آدم من بينهم أنه ولي خلقه من غير مسيس بيده فمسه؟ وإلا فمن ادعى أن الله لم يل خلق شيء صغر أو كبر، فقد كفر. غير أنه ولي خلق الأشياء بأمره، وقوله، وإرادته. وولي خلق آدم بيده مسيساً.
=

وجه الحد والجهة، بل نثبت ذلك صفة غير محدودة، كما قالوا في الاستواء

= لم يخلق ذا روح بيده غيره، فلذلك خصه به، وفضله وشرف بذلك ذكره، لولا ذلك ما كانت له فضيلة في ذلك على شيء من خلقه. إذ كلهم خلقهم غير مسيس في دعواك.
وأما قولك «تأكيد للخلق» فلعمري إنه لتأكيد جهلت معناه فقلبته، إنما هو تأكيد اليدين وتحققهما، وتفسيرهما، حتى يعلم العباد أنه تأكيد مسيس بيد، لما أن الله تعالى قد خلق خلقاً كثيرا في السماوات والأرض أكبر من آدم وأصغر، وخلق الأنبياء والرسل، وكيف لم يؤكد في خلق شيء منها ما أكد في آدم. إذا كان أمر المخلوقين في معنى يد الله كمعنى آدم عند المريسي. فإن يك صادقاً في دعواه فليُسمّ شيئاً نعرفه، وإلا فإنه الجاحد بآيات الله، المعطل ليدي الله.
وادعى الجاهل المريسي أيضاً في تفسير التأكيد من المحال ما لا نعلم أن أحداً ادّعاه من أهل الصلاة. فقال: هذا تأكيد للخلق، لا لليد، كقول الله تعالى ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].
فيقال لهذا التائه الذي سلب الله عقله وأكثر جهله: نعم هو تأكيد لليدين، كما قلنا، لا تأكيد للخلق. كما أن قوله (تلك عشر كاملة) تأكيد للعدد لا تأكيد للصيام. لأن العدد غير الصيام، ويد الله غير آدم. فأكّد الله لآدم الفضيلة التي كرمه وشرفه بها، وأثره على جميع عباده. إذ كل عباده خلقهم بغير مسيس بيد، وخلق آدم بمسيس: فهذه عليك لا لك. وقد أخذنا فألك من فيك، محتجين بها عليك كالشاة التي تحمل حتفها بأظلافها.
فإن أجاب هذا المريسي أعلمناه أن تأكيد الخلق- إن كان جاهلًا به- هو قول الله ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ الآية السجدة: ٧-٩ وقوله ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ الآية ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ غافر: ٦٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فهذا تأكيد الخلق وتفسيره، لا ما ادعى الجاهل. وقوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ تأكيد يديه لا تأكيد خلق آدم. وما كان حاجة إبليس إلى أن يؤكد الله له خلق آدم، وقد كان من أعلم الخلق بآدم» رآه قبل أن ينفخ فيه الروح طينا مصوراً مطروحاً بالأرض. ثم رآه بعد ما نفخ فيه الروح ثم كان معه في الجنة حتى وسوس إليه فأخرجه منها. ثم كان يراه إلى أن مات. فإنما أتم الله له =

على العرش معناه العلو عليه، ومعلوم أن العلو غير السفل، ولم يوجب ذلك وصفه

= من أمر آدم ما لم ير، لا ما رأي. لأنه لم ير يدي الله وهما تخلقانه. فليعلم الجاهل المريسي بأنا ما ظننا أن عنده من رثاثة الحج والبيان، وقلة الإصابة والبرهان، قدر ما كشف عنه هذا الإنسان. والحمد لله الذي أنطق بها لسانه، وعرف الناس شأنه، ليعرفوه فيجافوا مكانه.
وقال: ولو لم يكن لله يدان بهما خلق آدم ومسه بهما مسيساً. كما ادعيت لم يجز أن يقال ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩] ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [تبارك: ١] للمذهب الذي فسرنا. فإن كنت لا تحسن العربية فسل من يحسنها ثم تكلم.
وقد يجوز للرجل أن يقول: بنيت داراً، أو قتلت رجلًا، أو ضربت غلاماً، أو وزنت لفلان مالاً، أو كتبت له كتاباً، وإن لم يتول شيئاً من ذلك بيده، بل أمر البناء ببنائه، والكاتب بكتابته، والقاتل بقتله، والضارب بضربه، والوازن بوزنه. فمثل هذا يجوز على المجاز الذي يعقله الناس بقلوبهم، على مجاز كلام العرب وإذا قال: كتبت بيدي كتابا كما قال الله: خلقت آدم بيدي. أو قال: وزنت بيدي، وقتلت بيدي، وبنيت بيدي، وضربت بيدي. كان ذلك تأكيداً ليديه، دون يدي غيره. ومعقول المعنى عند العقلاء، كما أخبرنا الله: أنه خلق الخلائق بأمره. فقال ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤١]، فعلمنا أنه خلق الخلائق بأمره وإرادته وكلامه، وقوله «كن» وبذلك كانت، وهو الفعال لما يريد.
فلما قال خلقت آدم بيدي- علمنا أن ذلك تأكيد ليديه. وأنه خلقه بهما مع أمره وإرادته فاجتمع مع آدم تخليق اليد نصا والأمر والإرادة. لم يجتمعا في خلق غيره من الروحانيين. لأن الله لم يذكر أنه مس خلقاً ذا روح بيده غير آدم، إذ لم يذكر ذلك في أحد ممن سواه. ولم يخص به بشراً غيره من الأنبياء وغيرهم.
ولو كان على ما تأولت أنه أراد بيديه أنه ولي خلقه فاكده، لكان لإبليس إذا فيما احتج به الله عليه من أمر اليدين لآدم بذلك فضل وفخر، إذ ولي خلق إبليس في دعواك كما ولي خلق آدم سواء، وأكده كما أكده. ولو كان ذلك على ما تأولت لحاجّ إبليس ربه، كما حاجه حين قال ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، وكما قال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣] فيقول خلقتني أيضاً يا رب بيديك، على معنى ما خلقت به آدم، أي وليتَ خلقي.
فأكذبه في دعواه. ولكن كان الكافر الرجيم، أجود معرفة بيدي الله منك أيها المريسي، بل علم عدو الله إبليس، أنه لو احتج بها على الله لأكذبه. اهـ
تنبيه: وقعت آية الحجر السابقة في النقض المطبوع: أأسجد لبشر...، وهو خطأ.

بالجهة! وإن كان العلو جهة في الشاهد، وإن لم يكن هذا معقولًا في الشاهد.

ونظير هذا الحديث قوله ﷺ في الرحم(١) يأخذ بحقو الرحمن، قد أخذ أحمد بظاهره من غير قول بمماسة ولا جهة.

فإن قيل: مجاهد وابن سيرين ليسا بحجةٍ، ولا ممن يثبت بقولهما صفات لله تعالى؟!

قيل: إثبات الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً، لأنه لا مجال للعقل والقياس فيه، فإذا رُوي عن بعض السلف فيه قولًا، عُلم أنه قاله توقيفاً.

فإن قيل: قوله «كن أمامي وخلفي» معناه حاسب نفسك قبل أن أُسائلك فيقول داود: أخاف أن تدحضني خطيئتي إن حاسبت نفسي، فيقول له خُذ بقدمي أي بما قدمت لك من العفو والغفران، ودع ما أسأت إلي ولا تأخذ به، ومنه قوله تعالى ﴿تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالحجرات: ١] أي لا تسبقوا قبل حكم الله عليكم في الشيء، ولم يرد به التقدم في الأمكنة، وكذلك قوله ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الأمام يطلق على محاسبته فلا يصح، لأن الله سبحانه قد أخبرنا بالقرآن بقوله ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ والمحاسبة لا تكون مع الغفران، وإذا امتنع حمله على المحاسبة امتنع حمل القدم على المغفرة، وأما قوله ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠) والبخاري (٨/ ٥٧٩- ٥٨٠) (١٠/ ٤١٧) (١٣/ ٤٦٥- ٤٦٦) ومسلم (٤/ ١٩٨٠- ١٩٨١) عن معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحمُ فأخذت بِحَقْوِ الرحمن، فقال له: مَهْ، قال: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أَصِلَ من وصَلَك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك، قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد: ٢٢].
والحقو: معقد الإزار، وهو الموضع الذي يُستجار به ويُحتزم على عادة العرب، لأنه من أحق ما يحامي عنه ويدافع، كما قالوا: نمنعه ما نمنع منه أزرنا. (قاله القاضي عياض).

وقوله ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[(١)] فقد نقل عن السلف ما وجب الرجوع إليه أما قوله ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، فإنها نزلت على سبب، وذلك أنهم قتلوا رجلين بغير أمر النبي ﷺ فنزلت الآية[(٢)]، فكان معناها لا تقدموا حدا ضربه الله على فريضة، ولا تتقدموا على حد ضربه رسول الله ﷺ في سنته.

وأما قوله ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي لا تكذبه الكتب التي قبله التوراة والإنجيل والزبور، ولا ينزل كتاب من بعده يكذبه[(٣)]، فوجب الرجوع.

إلى تفسير السلف في ذلك، ولم يرد عنهم مثل ذلك في خبر داود مع ذكرهم له في التفاسير، بل حملوه على ظاهره.

فإن قيل: يحمله قوله «يضع يده على فخذه» معناه فخذ بعض خلق أُمَر بالدُّنو منه.

قيل: قوله «حتى يضع يده على فخذه» هاء كناية، وهاء الكناية تعود إلى المذكور، والذي تقدم ذكره اسم الله تعالى.

---

(١) استدرك الناسخ هذه الفقرة في الهامش وكأن في الكلام نقصاً.

(٢) لم أقف على هذا السبب.
والمشهور أنها نزلت في اختلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ، والحديث في الصحيحين وغيرهما.

(٣) نقله القرطبي (١٥/ ٣٦٧) عن الكلبي. وقال قتادة والسدي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ يعني الشيطان ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص.
وقال سعيد بن جبير: لا يأتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه.
وقال ابن جريج: (لا يأتيه الباطل) فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون. وعن ابن عباس: (من بين يديه) من الله تعالى (ولا من خلفه) يريد من جبريل ﷺ ولا من محمد ﷺ.
وقال ابن كثير (٤/ ١٠٢): ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين.

فإن قيل: يحتمل أن يكون أراد بالدنو منه ليقربه من عفوه ورحمته وصفحه حتى يصير كهيئة المماس في المثل، على الوجه الذي لا يكون بينه وبين ما يماسه حائل.

قيل: لا يصح حمله على العَفو والرحمة، لأن عفوه ورحمته سبقت له في الدنيا قبل أن يدنيه منه بقوله تعالى ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٤٠] فوجب حمله على ما يفيد.

«حديث آخر في هذا المعنى فيه زيادة»:

١٩٦- أناه أبو محمد الحسن بن محمد نا يوسف بن عمر القواس قال محمد ابن عثمان بن البسري التمار قال مخول المستملي قال نا محمد بن منصور الطوسي قال نا يونس بن محمد المؤدب قال نا سعيد بن زربي عن الحسن قال: أوحى الله إلى داود ارفع رأسك فقد غفرت لك، فقال: يا رب كيف تغفر لي وقد صنعت ما صنعت؟ قال: ارفع رأسك فقد غفرت لك ومحوت خطيئتك بإبهام يميني[(١)].

وهذه الزيادة تقتضي إثبات الإبهام، وذلك غير ممتنع كما لم يمتنع إثبات الأصابع.

❊ ❊ ❊

(١) مرسل ضعيف، سعيد بن زربي منكر الحديث.

[إثباتُ صفة الضَّحك لربِّنا تبارك وتعالى]
[حديث آخر]

١٩٧- ناه أبو القسم عبد العزيز من طرق أحدها: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يَضحكُ الله تعالى إلى رجلين: يَقْتُل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، يُقَاتِل هذا في سبيل الله فَيُقْتَل، ثمَّ يَتُوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل**(١) **الله ثم يستشهد**»(٢).

١٩٨- وروى علي بن ربيعة قال: كنت ردف علي بن أبي طالب فلما ركب كبَّر ثلاثا وحمد ثلاثاً، ثم قال: سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كُنَّا له مقرنين [وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون﴾](٣)، ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم استضحك، فقلتُ: مم استضحكت؟ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال يوماً مثل ما قلت ثم استضحك، فقلت مم استضحكت يا رسول الله؟ قال: «**ضَحكتُ لضَحك ربي عزَّ وجل، لعجبه بعبده إنه لا يغفر الذنّوب أحدَ غيره**»(٤).

---

(١) كتب في هامش الأصل: لفظ الجلالة ساقط من الأصل.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٩) ومسلم (٣/ ١٥٠٤) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به. وأخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٥) عن معمر عن همام بن منبه حدثنا أبو هريرة بنحوه.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) حسن، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٣٢) وأحمد (٧٥٣، ٩٣٠، ١٠٥٦- طبعة شاكر) وأبو داود (٣/ ٧٧) والترمذي (٥/ ٥٠١) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (٧/ ٤٣٦)- والآجري في «الشريعة» (ص٢٨١- ٢٨٢) والحاكم (٢/ ٩٩) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٥٢) وفي «الأسماء» (ص٤٧١) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة عن علي بن أبي طالب به. =

١٩٩- وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ يَضحك الله إليهم يوم القيامة: الرجل إذا قام من الليل يُصلي، والقومُ إذا صفُّوا للصلاة، والقومُ إذا صفُّوا لقتال العدو»[(١)].

= قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: صحيح.
قلت كذا قال! مع أن فيه عنعنة أبي إسحاق وهو السبيعي، وقد ثبت أنه أسقط اثنين من الرواة كما في «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ٢٧٢) قال: أخبرنا عبد الرحمن بن بشر النيسابوري (ثقة) فيما كتب إليَّ قال: ذكر عبد الرحمن بن مهدي حديث علي بن ربيعة الذي رواه قال: كنت ردف علي فلما ركب قال: سبحان الله الذي سخر لنا هذا، فسمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: قال شعبة فقلت لأبي إسحاق ممن سمعته قال: من يونس بن خباب، فأتيت يونس بن خباب فقلت: ممن سمعته فقال: من رجل رواه عن ربيعة. اهـ ولم يتفرد به أبو إسحاق بل تابعه إسماعيل بن عبد الملك، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٣٦- ٢٣٧) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٠) والبيهقي في الأسماء (ص٤٧٠- ٤٧١). وإسماعيل هو ابن أبي الصُّغير الأسدي، قال ابن معين في رواية وأبو حاتم والنسائي: ليس بقوي، وقال البخاري: يكتب حديثه، وقال الحافظ: صدوق كثير الوهم. قلت: فحديثه حسن في المتابعات.
وتابعة المنهال بن عمرو، أخرجه الحاكم (٢/ ٩٨- ٩٩).
عن سعيد بن سليمان الواسطي حدثنا فضيل بن مرزوق عن ميسرة بن حبيب عنه به.
وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي! مع أن المنهال وميسرة ليسا من رجال مسلم!
وشيخ الحاكم وشيخ شيخه لم أجد لهما ترجمة.

(١) ضعيف، أخرجه أحمد (٣/ ٨٠) وابنه عبد الله في «السنة» (٢/ ٤٧٠) والدارمي في «النقض» (ص١٧٩) وأبو يعلى (٢/ ٢٨٥- ٢٨٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٧) وابن ماجة (١/ ٧٢-٧٣) والآجري في «الشريعة» (ص٢٧٨- ٢٧٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٧٢) والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٢) عن مجالد بن سعيد عن أبي الوداك عن أبي سعيد به. قال البوصيري في الزوائد (١/ ٨٧): هذا إسناد فيه مقال، مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم في صحيحه فإنما روى له مقروناً بغيره، قال ابن عدي: عامة =

٢٠٠- وروت عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله** عز وجل **ليضحك من إياس الناس وقنوطهم، وقُرب الرحمة منهم**»، قالت عائشة فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أو يَضْحكُ ربنا؟ قال: «**أي والذي نفس محمد بيده، إنه ليضحك**»، قال فقالت: لن يعدمنا خيراً إذا ضحك»[(١)].

= ما يرويه غير محفوظ. اهـ

قلت: وما قاله البوصيري لا غبار عليه، ولذا قال الحافظ في التقريب: ليس بالقوي، وقد تغيَّر في آخر عمره.

وله طريق آخر، أخرجه البزار (١/ ٣٤٤- زوائد) عن محمد بن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوه.

قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٥٦): رواه البزار وفيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام كثير لسوء حفظه، لا لكذبة. اهـ

قلت: واقتصر على هذا، مع أن فيه عطية وهو العوفي مدلس ضعيف.

(١) ضعيف جدا، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٣٥) وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٢٤)) والخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٤٤) عن سلم بن سالم البلخي عن خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عائشة.

وعلتَّه خارجة بن مصعب وهو أبو الحجاج السرَّخسي، متروك وكان يدلس عن الكذابين، قاله الحافظ.

وسلم (وتصحف في التوحيد إلى سالم) بن سالم ، قال أحمد: ليس بذاك، وقال ابن معين: ليس بشيء، وضعفه أبو حاتم (الجرح ٤/ ٢٦٧) وله شاهد، أخرجه أحمد (٤/ ١١) وابنه عبد الله في «السنة» (١/ ٢٤٦) وكذا ابن أبي عاصم (١/ ٢٤٤) والدارمي في «النقض» (ص١٧٧) وابن ماجة (١/ ٦٤) والدارقطني في «الصفات (ص٤٦) والآجري في «الشريعة» (ص٢٧٩- ٢٨٠) والبيهقي في الأسماء (ص٤٧٣) عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين.

وإسناده ضعيف، وكيع بن عدس لم يوثقه إلا ابن حبان، وقال ابن القطان: مجهول الحال، وقال ابن قتيبة: غير معروف.

٢٠١- وروى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عزّ وجل يَضحَكُ إلى العبد إذا مدَّ يده إلى الصدقة، ومن ضحك الله إليه غَفَرَ له**»[1].

٢٠٢- نا أبو القسم قال أنا أبو بكر عبد العزيز الفقيه إجازة قال نا جعفر بن محمد الخلال قال نا سلمة بن شبيب قال نا أبو عبد الرحمن المقري قال نا ابن لهيعة عن أبي الزبير أنَّه سأل جابر بن عبد الله عن الوُرُود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تجي أمتي يوم القيامة على كومٍ فوق النَّاس، فتأتي الأُمَمُ بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك يمشي فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقوله: أنا ربكم فيقول: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك حتى تبدو لهواته، ثم ينطلقون يتبعونه**». وذكر الخبر[2].

٢٠٣- ونا أبو القسم عبد العزيز أجازة نا محمد بن سليمان نا عمرو بن إسحق القومسي نا روح بن عبادة قال، وأنا عبد العزيز أجازه قال نا العباس بن محمد نا يحيى بن معين نا روح بن عبادة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يضحك الله ربكم حتى بدت**

---

(١) ذكره الديلمي في «كتاب الفردوس» (١/ ١٦٠) واقتصر عليه علاء الدين الهندي في كنز العمال (٦/ ٣٨٣).

(٢) إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وقد أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٣٣) حدثنا أحمد ابن محمد بن إسماعيل الأدمي ثنا الفضل بن سهل الأعرج ثنا يحيى بن إسحاق أبو زكريا السليحيني ثنا ابن لهيعة به.
وفي الحديث ما ينكر وهو قوله (حتى تبدوا لهواته» والحديث أخرجه مسلم (١/ ١٧٧-١٧٨) وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٤٨) وابن مندة في كتاب الإيمان (٢/ ٨٢٣-٨٢٥) دون هذه الزيادة، مما يشعر أن ابن لهيعة لم يحفظ الحديث. واستنكرها ابن منده فقال: ولم يذكر من تقدم هذا.

لهواته وأضراسه» قال يحيى بن معين **«لهواته وأضراسه»**(١).

٢٠٤- وذكر أبو الحسن الدارقطني في الصفات عن أبي بكر النيسابوري قال نا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال نا روح قال نا ابن جرج عن أبي الزبير أنَّه سمع جابراً سئل عن الورود وذكر الحديث وقال فيه «فيقول الله عَزَّوَجَلَّ : أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **حتى تبدو لهاته وأضراسه»**(٢).

٢٠٥- نا أبو القسم بإسناده: عن امرأة من الأنصار يقال لها أسماء ابنة يزيد بن السكن أنَّ رسول الله ﷺ قال لأم سعد: **«ألا يَرْقأَ دمعاك، وَيَذْهَب حُزنك بأنَّ ابنك أول من ضحك الله عزّ وجل له واهتزَّ له العرش»**(٣).

---

(١) أخرجه ابن منده في «الإيمان» (ص/ ٨٢٦) عن العباس بن محمد ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج به.
حجاج بن محمد وهو المصيصي ثقة ثبت، لكنه اختلط في آخر عمره.
وفيه أيضاً: عنعنة أبي الزبير وابن جريج.

(٢) كتاب «الصفات» (٣٢)، وعبارة: «حتى تبدوا لهاته وأضراسه» ترك مكانها بياضاً في الأصل المخطوط للكتاب، كما أشار إلى ذلك المحقق.

(٣) ضعيف، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٣٤) وابن أبي شيبة في «مصنفة» (١٢/ ١٤٣- ١٤٤) وأحمد في «مسنده» (٦/ ٤٥٦) وفي فضائل الصحابة (١٥٠٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٦) والدارمي في «النقض» (ص١٨٠- ١٨١) ومحمد بن عثمان ابن أبي شيبة في «العرش» (٥٠- بتحقيقي) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٣٧) والطبراني في الكبير (٦/ ١٢) والحاكم (٣/ ٢٠٦) كلهم عن يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن إسحاق بن راشد عن امرأة من الأنصار يقال لها أسماء بنت يزيد به.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي!
كذا قالا! مع أن فيه إسحاق بن راشد، مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان وقد خالفه شيخه ابن خزيمة فقال: لست أعرف إسحاق بن راشد هذا، ولا أظنه الجزري أخو النعمان بن راشد. اهـ =

٢٠٦- وروى نعيم بن هَمار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الشهداء أفضل؟ قال: «**الذين يقاتلون في الصَّف ولا يلفتوُن وُجُوهَهَم حتى يُقتلوا، أولئك يتَلَبَّطُون في الغُلى في الجنة، يضحكُ إليهم ربك، وإذا ضحك إلى عبدٍ في مَوطِنٍ فلا حساب عليه**»(١).

٢٠٧- وروى أبو بكر أحمد بن إسحق الصبغي في كتابه المسمى «بالأسماء والصفات» فيما ذكره ابن فورك: عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**إني لأعلم آخرَ أهل النَّار خروجاً من النار، وآخر أهل الجنَّة دُخُولاً، يقال له: أدخل الجنة، فيأتيها فيرى أنها قد مُلِئَتْ فيرجع**

= قلت: وهو كما قال، فإن إسحاق بن راشد هذا أقدم طبقة من الجزري (وهو أبو سليمان الحراني صدوق)، كما ميزهما الحافظ في التهذيب (١/ ٢٣٢).
ولعل الحاكم والذهبي توهما أنه الجزري فقالا مقالتهما السابقة.

(١) حسن، أخرجه أحمد (٥/ ٤٨٧) والدارمي في «النقض» (ص١٧٩) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٤) عن إسماعيل بن عياش حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن نعيم بن همّار به. قال المنذري في الترغيب (٢/ ٣١٩): رواه أحمد وأبو يعلى، ورواتهما ثقات.
وكذا قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٩٢).
قلت: إسناده حسن فقط، فرجاله ثقات سوى إسماعيل بن عياش، فهو صدوق في روايته عن أهل بلده كما هو الحال هنا ، فإن بحير بن سعد حمصي.
وله شاهد: من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، أخرجه الطبراني في الأوسط- كما في الترغيب للمنذري (٢/ ٣١٩)- بلفظ: «أفضل الجهاد عند الله يوم القيامة الذين يَلْتَقُون في الصف الأول، فلا يَلْفِتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتَلَبَّطُون في الغُرفِ من الجنة يَضحكُ إليهم ربك، وإذا ضَحِك إلى قومٍ فلا حساب عليهم».
قال المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن.
وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٩٢) وقال: رواه الطبراني في الأوسط من طريق عنبسة ابن سعيد بن أبان، وثقه الدارقطني- كما نقل الذهبي- ولم يضعفه أحد. اهـ
يتلبطون: أيّ يتمرغون يضطجعون، وفي المسند: ينطلقون وعند الآجري: سَيَطَّتُون في العلى من الجنة.

فيقول: يا رب قد امتلأت، فيقال: ارجع ثلاث مرات، ثم يقال له: لك الدنيا ولك عشرة أمثالها، فيقول: أتضحكُ بي وأنت الملك»(١).

٢٠٨- وعن طلحة بن البراء أنْ رسول الله ﷺ لما أخبر بموت طلحة رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: **«اللهم ألقه وهو يَضحك**(٢) **وأنت تضحك إليه»**(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٠) والبخاري (١١/ ٤١٨- ٤١٩) (١٣/ ٤٧٤) ومسلم (١/ ١٧٣) عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة السلماني بن مسعود به.
وتابع الأعمش منصوراً عند مسلم (١/ ١٧٤).

(٢) في رواية الطبراني: وهو يضحك إليك.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣١١) عن عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم عن أبي مسكين عن طلحة بن البراء أنه أتى النبي ﷺ فقال: ابسط يدك، قال: «وإن أمرتك بقطيعة والدتك؟» قال: لا، قال: ثم عدت إليه، فقلت: ابسط يدك أبايعك، قال: «علام، قلت: على الإسلام... الحديث».
قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٦٥): رواه الطبراني مرسلاً، وعبدربه بن صالح لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.
قلت: عبد ربه ذكره ابن أبي حاتم (٦/ ٤٤) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلًا، وأبو مسكين هو الحر بن مسكين الأودي، ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٢٣٩) في أتباع التابعين، فهو لم يسمع من طلحة.
وله طريق آخر، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٦) حدثنا عبد الرحيم بن مطرف حدثنا عيسى بن يونس عن سعيد بن عثمان البلوي عن عروة بن سعيد الأنصاري عن أبيه عن حصين بن وَحْوَح أن رسول الله ﷺ أتى قبر طلحة بن البراء في قطار بالغصبة، فصفَّ وصففنا خلفه فقال: «اللهم ألق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك».
وقد أخرجه أبو داود (٣/ ٥١٠- ٥١١) من الطريق السابق مختصراً ولفظه: أن طلحة بن البراء مرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقال: «إني لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت، فأذنوني به وعجلوا، فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله». وأخرجه من الطريق الطبراني في الكبير (٤/ ٢٨-٢٩) مطولاً.
قال الحافظ في الإصابة (٢/ ٢٢٧) بعد أن أورد ما رواه أبو داود: هكذا أورده أبو داود =

٢٠٩- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يُضْرَبُ الصراط بين ظَهْراني جهنم» وذكر الحديث، وقال فيه «فيقول وَيْلَك يا ابن آدم ما أَغْدَرَكَ!، ألم تُعطني عُهُودِك ومواثيقك أن لا تسئلني غير ما أعطيتك؟، فيقول: أي ربِّ، لا أكونُ أَشْقَى خلقك، فلا يزال يدعُو حتى يَضْحَك الربُّ منه، فإذا ضَحِكَ الله منه قال له: أدخل الجنة»(١).

٢١٠- وأخرج أبو علي الحسن بن علي بن المذهب من مسند أحمد بإسناده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أردفه على دابته، فلمّا استوى عليها كبَّر رسول الله ﷺ ثلاثاً وحَمِدَ الله ثلاثاً وسبّح الله ثلاثاً، فقال: «ما من امرئ يركبُ دابته فيصنع كما صنعت، إلا أقبل الله عزّ وجلُ يضحكُ إليه كما ضحكتُ إليك»(٢).

= مختصراً كعادته في الاقتصار على ما يحتاج إليه في بابه... ثم قال وفيما صنع قصور شديد، فإن هذا القدر هو بقية الحديث، أورده البغوي وابن أبي خيثمة وابن أبي عاصم والطبراني وابن شاهين وابن السكن وغيرهم، من هذا الوجه الذي أخرجه منه أبو داود مطولاً ومختصراً، وقال الطبراني لما أخرجه في «الأوسط»: لا يروى عن حصين بن وحوح إلا بهذا الإسناد، وتفرد به عيسى بن يونس. اهـ

قلت: عيسى بن يونس هو ابن أبي إسحاق السبيعي، ثقة مأمون لا يضر تفرده، ولكن الحديث يعل بعروة أو عزرة بن سعيد الأنصاري وأبيه، فإنهما مجهولان، وكذا سعيد بن عثمان فإنه لم يوثقه إلا ابن حبان.

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٩- ٤٢٠) ومسلم (١/ ١٦٣- ١٦٧) عن إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أنَّ ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟...» الحديث بطوله.

وأخرجه البخاري (١١/ ٤٤٤- ٤٤٦) ومسلم (١/ ١٦٧) عن شعيب عن ابن شهاب به.

(٢) ضعيف، أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠) حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس مرفوعاً به. =

اعلم أنه غير مُمتنع حملُ هذه الأحاديث على ظاهرها من غير تأويل، وقد نصّ أحمد على ذلك في رواية الجماعة.

٢١١- قال في رواية حنبل: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديقها الرسول ﷺ. ....(١) القرآن.

٢١٢- وقال المروذي: سألت أبا عبد الله عن عبد الله التيمي فقال صدوقٌ، وقد كتبت عنه من الرقايق ولكن حُكي عنه أنه ذكر حديث الضحك فقال: مثل الزرع الضحك، وهذا كلام الجهمية(٢)، قلت: ما تقول في حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر «فضحك حتى بدت» قال: هذا يشنَّع به، قلت فقد حدَّثت به قال: ما أعلم أني حدثت به إلا محمد بن داود يعني المصيصي وذلك أنَّه طلب إليَّ فيه، قلت: أفليس العلماء تلقته بالقبول؟ قال: بلى.

٢١٣- قال أبو بكر الخلال رأيت في كتاب لهرون المستملي أنه قال لأبي عبد الله حديث جابر بن عبد الله «ضحك ربنا حتى بدت لهواته أو قال أضراسه ممن سمعته» قال نا روح قال رسول الله ﷺ «**يضحك حتى بدت لهواته أو قال أضراسه**».

فقد نصَّ على صحة هذه الأحاديث والأخذ بظاهرها والإنكار على فسرَّها، ولك أنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته ولا يخرجها

= قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣١): رواه أحمد وفيه ابو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف. قلت: ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم.

(١) كلمة غير مفهومة.

(٢) وذلك أن الجهمية قالوا: ضحك الله كناية عن إعطائه الثواب والنعم والفضل، كما يقال ضحكت الأرض، أي: خرج فيها النبات والزهر، فنفوا هذه الصفة عنه تعالى، وسيأتي ردُّ المصنف عليهم.

عما تستحقه، لأنَّا لا نُثبت ضحكاً هو فَتْحُ الفم وتكشير شفتين واسنان، ولا نُثبت أضراساً ولهوات هي جارحة ولا أبعاضاً[(١)]، بل نُثبت ذلك صفة كما أثبتنا الوجه واليدين والسمع والبصر، وإنْ لم نعقل معناه[(٢)]، ولا يجب أنْ نستوحش من إطلاق هذا اللفظ إذا وَرَدَ به سَمْعٌ، كما لا نستوحش من إطلاق ذلك في غيره من الصفات.

فإن قيل: هذا محمول على إظهار فضله ونعمه بالإثابة: للرجلين المقتولين في سبيل الله، كأنَّه بيَّن ثوابهما وأظهر من كرامته لهما، وكذلك قوله «ضحكت لضحكِ ربيّ» أيَّ لإظهار فضله وكرامته، لأن الضحك في اللغة هو الإظهار، من قولهم: ضحكت الأرضُ بالنبات، إذا ظهر فيها النبات وانْفَتَق عن زهره، وكذلك قالت العرب لِطَلَعِ النخل إذا تَفَتَّق عنه فيقولون: ضَحِكَت الطلعة، إذا ظهر منها ما كان مُسْتَتِراً[(٣)]، وكذلك قول القائل: يضاحك الشمس منها كوكب شرق، وأنشد ابن الأعرابي[(٤)]:

---

(١) تقدم بيان ضعف هذه الزيادة، فلا تثبت به صفة لله تعالى.

(٢) بل الصواب أنه يعقل معناها لكن لا يعلم كيفيتها، وهذا هو مذهب السلف، تفويض الكيفية لا تفويض المعنى.

(٣) في اللسان (٤/ ٢٥٥٨) والضحك أيضاً: طلع النخل حين ينشق، وقال ثعلب: هو ما في جوف الطلعة، وضحكت النخلة وأضحكت، أخرجت الضحك.

(٤) هو محمد بن زياد أبو عبد الله مولى بني هاشم، يعرف بابن الأعرابي، صاحب اللغة، كان أحد العالمين بها، والمشار إليهم في معرفتها، كثير الحفظ لها، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم الحربي، وثعلب، وأبو عكرمة الضبي، وأبو شعيب الحراني، وكان ثقة، مات سنة ٢٣١هـ. من كتبه: «النوادر»، «الأنواء».
(تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٢- ٢٨٥)، الفهرست (٦٩)، البلغة (ص١٩٦).

أَمَا تَرَى الأرضَ قد أعطت زَهرتَها   مخضرةً فاكتسى بالنَّوْرِ عَاريها[١]
وللسَّماءِ بُكاءٌ في جوانبها   وللربيع ابتسامٌ في نواحيها

يريد بالابتسام ظهور النبات وطلوع النور عليها، وكذلك قولهم: ضحِك المزنُ بها ثم بكى، يريد بالمزْن السحاب، وبضحك النَّوْر الذي يظهر ببكائه المطر[٢].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه مظهر بفضله ونعمه مع عدم الأشياء المذكورة في الخبر من القتل وعدم الدعاء والصلاة، كما هو بعد ذلك فلم يصح حمله على ذلك، ولأنه إن جاز تأويله على هذا جاز تأويل قوله «إنكم ترون ربكم» على معنى ترون بعطفه بكم وثوابه ورحمته.

وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات على فساد هذا التأويل، كذلك هاهنا، ولأنَّ الضحك إذا أُضيفَ إلى الذات، لم يُعقل منه ما قالوه من إظهار الفضل والنعمة، ولهذا إذا قيل: ضحك الأميرُ، لا يُعقل منه ما قالوه، كذلك في صفاته سبحانه، ولأنَّ في الخبر ما يسقط هذا، وهو قوله «يتجلى ضاحكاً حتى تبدو أضراسه ولهواته» وهذه الصفة تختص الذات دون ما ذكروه من النعم والفضل.

فإن قيل: لا يخلوا إما أنْ تقولوا يضحكُ في وقتٍ دون وقت، أو يستديم الضحك، فإن قلتم يضحكُ في حالٍ دون حال، جعلتم ذاته محلاً للحوادث، وإنْ قُلتم يستديم ذلك، أَضَفْتُم صِفَةً منكرة، لأنَّه

(١) في «مشكل الحديث» لابن فورك: وقد أعطتك زهرتها، بدل: أعطت وفي الأصل هنا: بالنور عاريها، وفي «المشكل» عاليها.

(٢) انظر هذه التأويلات الباطلة في «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٤٩- ٥١) و«الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٤٧٣) فقد حكاه عن أبي الحسن بن مهدي الطبري.

يقال لمن كثر ضَحِكُهُ: فُلانٌ ضُحَكَة هزأة(١).

قيل: نقول فيه ما تقولون في الغضب والرضا والكراهة، مع جواز هذا التقسيم وعلى أنَّه لا يمتنع أنْ يكون صفة ذاتٍ يُظْهرها في وقتٍ، كما يُظهر ذاته في وقتٍ دون وقت، ولا يُفضي ذلك إلى ما قالوه، لأنَّ من كَثُر ضحكه سُمِّي ضُحكة، إذا كان ضحكه من الأشر والبَطَر، وهذا مُستحيلٌ في صفاته سبحانه.

فأما قوله «لن نعدم من ربّ يضحك خيراً» فذلك لأنَّ الضحك يدلُّ على الرِّضا، والرضا يدل على العفو والمغفرة، وقد ذكر ابن قتيبة هذا التأويل في كتاب «اللفظ»(٢) وأجاب عنه بأنَّه إنْ كان في الضحك الذي فَرّوا منه تشبيهٌ بالإنسان، فإن في هذا تشبيهاً بهذه المعاني.

❋ ❋ ❋

---

(١) في اللسان (٤/ ٢٥٥٧): الضُّحكة: الرجل الكثير الضحك يُعاب عليه.

(٢) يقول ابن قتيبة في كتابه «الاختلاف في اللفظ والردُّ على الجهمية والمشبهة» (ص٣٩): وقالوا في الضحك وهو مثل قول العرب: ضحكت الأرض بالنبات، إذا طلع فيها ضروب الزهر، وضحكت الطلعة إذا تفتق كافورها عن بياضها، وضحك المزن إذا لمع فيه البرق، وليس من هذه شيء إلا وللضحك فيه معنى حدث، فإذا كان الضحك الذي فَرُّوا منه تشبيه بالإنسان، فإن في هذا تشبيها بهذه المعاني.

«حديث آخر»

٢١٤- ناه أبو القسم قال نا علي بن إبراهيم بن موسى نا موسى بن عبيد الله بن يحيى المقري نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي نا أبو أسامة قال نا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: خلق الله الملائكة من نُور الذراعين والصدر(١).

وناه من طريق آخر بهذا اللفظ.

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (٢/ ٤٧٥) وعنه ابن مندة في «الرد على الجهمية» (٧٨) عن أحمد بن حنبل به، وهو أثر موقوف على عبد الله بن عمرو، وقد كان يحدث عن أهل الكتاب، فلعل هذا منها، وأعلّ بتدليس هشام بن عروة.

وأخرجه ابن منده في كتابه السابق (٧٧) عن صدقة بن سابق قال قرأت على محمد بن إسحاق حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو وقال: سمعته يقول: خلق الله الملائكة ثم قال: ليكن منكم ألف ألفين، فيكونون، فإن في الملائكة لخلقاً هم أصغر من الذباب. وقال غيره وزاد فيه: وخلقهم من نور الذراعين والصدر.

صدقة بن سابق كوفي، ذكره ابن أبي حاتم (٤/ ٤٣٤) ولم يحك فيه شيئاً. وأخرجه البيهقي في «الأسماء» (ص٣٤٢-٣٤٣) عن يحيى بن أيوب أن ابن جريج حدثه عن رجل عن عروة بن الزبير أنه سأل عبد الله بن عمرو بن العاص: أي الخلق أعظم؟ قال الملائكة، قال: من ماذا خلقت؟ قال: من نور الذراعين والصدر، قال: فبسط ذراعين فقال: كونوا ألفي ألفين، فقال ابن أيوب فقلت لابن جريج: ما ألفا ألفين؟ قال: ما لا تحصى كثرته.

قال البيهقي عقبه: هذا موقوف على عبد الله بن عمرو، راويه رجل غير مسمى، فهو منقطع، وقد بلغني أن ابن عيينة رواه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو. فإن صح ذلك، فعبد الله بن عمرو قد كان ينظر في كتب الأوائل، فما لا يرفعه إلى النبي عليه السلام يحتمل أن يكون مما رآه فيما وقع بيده من تلك الكتب. اهـ

والثابت في خلق الملائكة هو ما رواه الإمام أحمد (٦/ ١٦٨) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٤) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارجٍ من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم».

اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما في إثبات الذراعين والصدر، والثاني في خلق الملائكة من نوره.

أما الفصل الأول: فإنه غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في إثبات الذراعين والصَّدر، إذ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نُثبت ذراعين وصدراً هي جوارح وأبعاض، بل نُثبت ذلك صفة كما أثبتنا اليدين والوجه والعين والسمع والبصر، وإن لم نعقل معناه.

فإن قيل: عبد الله بن عمرو لم يرفعه إلى النبي ﷺ وإنما هو موقوف عليه فلا يلزم الأخذ به.

قيل: إثبات الصفات لا يؤخذ إلا توقيفاً، لأن لا مجال للعقل والقياس فيها، فإذا رُوي عن بعض الصحابة فيه قول، علم أنهم قالوه توقيفاً.

فإن قيل: فقد قيل إنَّ عبد الله بن عمرو أصاب وسقين يوم اليرموك، وكان فيها من كتب الأوائل مثل «دانيال»[١] وغيره، فكانوا يقولون له إذا حدثهم: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا من وسقيك يوم اليرموك فيحتمل أن يكون هذا القول من جملة تلك الكتب فلا يجب قبوله، وكذلك كان وهب بن منبه يقول: إنما ضل من ضل بالتأويل، ويرون في كتب «دانيال» أنه لما علا إلى السماء السابعة فانتهوا إلى العرش، رأى شخصاً ذا وفْرة فتأول أهل التشبيه على أن ذلك ربهم، وإنما ذلك إبراهيم[٢].

---

(١) دانيال قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل، وأن الصحابة وجدوا جسده في بيت مال «الهرمزان» عند فتحهم «تُستَر»، انظر «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠- ٤٢).

(٢) «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٥٢).

قيل: هذا غلط لوجوه: أحدهما: أنه لا يجوز أن يظن به ذلك لأن فيه إلباس في شرعنا، وهو أنه يروي لهم ما يظنوه شرعاً لنا، ويكون شرعاً لغيرنا، ويجب أن ننزه الصحابة عن ذلك.

والثاني: إنَّ شرعنا وشرع غيرنا سواء في الصفات، لأن صفاته لا تختلف باختلاف الشرائع.

فإن قيل: يحتمل أن يكون ذلك صدراً وذراعين لبعض خلقه لأنه ذكر الذراعين والصدق مطلقاً، وقد وجد في النجوم ما يسمى ذراعين وصدراً وتكون الفائدة في ذلك التنبيه على ما في قدرته من المخلوقات، وإنشاء المخترعات(١).

قيل: هذا غلط، لأنه ذكر الذراعين والصدر بالألف واللام، والألف واللام يدخلان للعهد أو للجنس، وليس يمكن حمله على الجنس، لأنه يقتضي كل ذراع وكل صدر، وليس ها هنا معهود من الخلق يشار إليه، فلم يبق إلا أن يحمل عليه سبحانه ، لأنه أعرف المعارف، يبين صحة هذا أنه لما أراد تخصيص بعض الملائكة بفضيلة أو حكم عرَّفه باسمه، نحو قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] ونحو ذلك، ولأن حمله على بعض خلقه يُسقط فائدة التخصيص بالملائكة، فلما خصَّ الملائكة بالذكر، علم أنه قَصَد تشريفهم، وإذا حُمل على بعض خلقه لم يكن لهم مزية.

وأما الفصل الثاني: وهو خلق الملائكة من نوره فليس على ظاهره،

(١) المصدر السابق، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٣٤٣).

ومعناه خلقها بنوره تشريفاً لهم، كما خلقَ آدم بيده تشريفاً له على غيره من خلقه، وإنما لم يجز حمله على ظاهره، لأن ذلك يُحيل صفاته ويخرجها عما تستحقه، لأن نور ذاته قديم، والقديم لا يتبعض فيكون بعضه مخلوقاً كسائر صفاته[١].

وهذا ظاهر كلام أحمد، وذلك أنه قال في قوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] يقول: من أمره، وتفسير «روح الله» أنها روح الله خلقها، كما يقال: سماء الله وأرض الله[٢]، فلم يحمل الكلام على ظاهره في الروح بل تأوله، لأن في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، كذلك ها هنا.

* * *

(١) قد سبق بيان أن الرواية الصحيحة هي: «خلقت الملائكة من نور» فلا يرد عليها ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) هذا هو الصواب في تفسير الآية، وهو أن معنى (روح منه) أي من خلقه ومن عنده كقوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]ن وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت في قوله (هذه ناقة الله) وفي قوله (وطهر بيتي).

وليست «من» للتبعيض كما تقوله النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة. (انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٩٠)».

[حديث آخر]

٢١٥- ناه أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ابن آدم مَرِضْتُ فلم تَعُدْني، قال: يا رب كيف وأنت رب العالمين! قال: مَرِضَ عبدي فلو عُدْتَه لوجدتني عنده**».

وفي لفظٍ آخر «**يقول الله عزّ وجلّ استطعمتك فلم تطعمني، قال فيقول: يا رب كيف استطعمتني فلم أُطْعمكَ، وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال فيقول: أما عَلِمْتَ أَنَّ عبدي فُلاناً استطعمك فلم تُطعمه، أما علمت لو كنت أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم اسْتَسْقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ فيقول: أَمَا عَلمت أنّك لو كنت أَسْقَيْتَهُ لوجدت ذلك عندي**»(١).

٢١- وفي لفظ آخر «**اسْتَقْرَضْتُ عبدي فلم يُقرضني، وشَتَمَني ولم ينبغي أن يشتمني، قال يقولُ: وادهراه وانا الدهر**»(٢).

اعلم أنَّ هذا الخبر قد اقترن به تفسير من النبي ﷺ في بعضه، فَوَجَبَ الرجوع إلى تفسيره، وذلك أن فَسَّر قوله: مرضت واستطعمت واستسقيت، على أنَّه إشارةٌ إلى مرضِ وليّه واستسقائه واستطعامه، وأضافَ ذلك إلى نفسه إكراماً لوليه ورفعةً لقدره، وهذه طريقة مُعتادة في الخطاب

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠) عن حماد بن سلمة عن ثابت عن ابي رافع عن ابي هريرة مرفوعاً به، مع اختلاف في اللفظ.

(٢) إسناده ضعيف، رواه أحمد (٢/ ٣٠٠، ٥٠٦) والحاكم (٢/ ٤٥٣) عن محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً به.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي!
قلت: لكن فيه عنعنة ابن إسحاق.

يُخبرُ السَّيدُ عن نَفسِهِ ويُريد عَبده إكراماً له وتعظيماً، وعلى هذا يُحمل قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، معناه: أولياءُ الله ورُسله، وكذلك قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، أي آسفُوا أولياءنا والنَّاصرين لديننا، لاستحالة أن يُؤذَى ويُحارب(١).

وأمَّا قوله «لو عُدْته لوَجَدْتني عنده» معناه، وجدت رحمتي وفضلي وثوابي وكرامتي في عيادتك له.

٢١٧- يُبْين صحة هذا: ما حدثناه أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ **«أنا عند ظنّ عَبْدي، وأَنَا معه، إنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذراعاً تَقرَّبَ الله إليه بَاعاً، ومن جاء يمشي أَقْبَلَ الله إليه بالخير يُهرول»**(٢) فَبُيِّنَ في هذا

---

(١) وبمثله قال البيهقي في الأسماء (ص٢٢٠- ٢٢١).
قال ابن جرير (٢١/ ٣٢) في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: إن الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه وركوبهم ما حرم عليهم. اهـ
وبنحوه قال ابن كثير (٣/ ٥١٧)، وقال البغوي (٥/ ٢٧٦): وقيل معنى (يؤذون الله) يلحدون في أسماءه وصفاته. فالصواب إمرار النص على ظاهره.

(٢) كذا الحديث في الأصل وفيه اختصار.
وقد أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥١، ٤١٣) والبخاري (١٣/ ٣٨٤) ومسلم (٤/ ٢٠٦١) من طرق عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاءٍ، ذكرته في ملاءٍ خيرٌ منهم، وإن تقرَّب مني شبراً، تقرَّبت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».
وأخرجه أحمد (٢/ ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٤- ٥٣٥) ومسلم (٤/ ٢١٠٢) عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه.
وله طرق أخرى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأنس يطول ذكرها.

الحديث أنَّ قُربه من عبده بالثواب، كذلك ها هنا(١)، وعلى هذا يتأول قوله ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: ٣٩] معناه وجد عقابه وحسابه(٢).

٢١٨- وقد فَسَّر أحمد قوله لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦] يقول: في الدفع عنكما، وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] في الدفع، وقوله ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، في النَّصر لهم على عدوهم، وقوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] يقول في العون على فرعون(٣).

* * *

---

(١) قال ابن حبان في صحيحه (٢/ ٩١): ومن تقرب إلى الباري جل وعلا بقدر شبر من الطاعات، كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع، ومن تقرب إلى مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات، كانت المغفرة منه أقرب بباع، ومن أتى في أنواع الطاعات بالسرعة كالمشي، أتته أنواع الوسائل ووجود الرأفة والرحمة والمغفرة بالسرعة كالهرولة، والله أعلى وأجلّ. اهـ

(٢) قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٨/ ١١٥) في تفسير الآية: حتى إذا هلك (يعني الكافر) صار إلى الحاجة إلى عمله، الذي كان يرى أنه نافعه عند الله، لم يجده ينفعه شيئاً، لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فَوَفَّاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه.

(٣) اشتملت هذه الآيات على ذكر مَعيَّة الله تعالى، وهي تنقسم إلى قسمين: معية عامة، ومعية خاصة. أما المعية العامة فدليلها قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وأما المعيّة الخاصة فقد ساق المصنف بعض الآيات التي تدلُّ عليها.

[حَدِيثٌ آخر]

٢١٩- ناه أبو القاسم بإسناده: عن عبد الله بن عمر أنَّ أتَاهُ رجلٌ فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النَّجوى؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتى بالمؤْمن يوم القيامة فيُدْنيِه الله تعالى منه، فَيَضَعُ كَنفَه عليه حتى يستره من النَّاس، فيقول: عبدي أتعرفُ كذا وكذا مرتين، فيقول: نعم، حتى إذا قَرَّرَه بذُنُوبه كُلها، ورأى نفسه أنَّه قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أَغْفرها لك اليوم**» وقد ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين[١].

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما في الدُّنو، والثاني في وَضْع كَنفَهَ عليه.

فأما قوله «يُدني عبده» فغير مُمتنع حمله على ظاهره، وأنَّه دُنو من ذاته.

٢٢٠- وقد أخذ أحمد بظاهره في رواية أبي الحرث وقد سأله: ما معنى قول النبي ﷺ «**إن الله يُدْني العبدَ يوم القيامة فيضع عليه كنفه**» كما قال ونقول به.

فقد نص أحمد على الأخذ بظاهره من غير تأويل، وإنما قال ذلك لأنَّه ليس في حمله على ذلك ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نصفه بالإنتقال من مكانٍ إلى مكان، وعلى هذا يُحمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩] وأنَّ المراد بالدنو دنوه من الذات.

فإن قيل: في حمله على ذلك ما يُفضي إلى إحالة صفاته وإخراجها عما تستحقه، لأنه تستحيل المساحة والمسافة، وبعد المكان والنهاية عليه سبحانه.

---

(١) سبق تخريجه.

قيل: هذا غلط لما بينًا، وهو أنَّا لا نَصِفُه بالانتقال من مكان إلى مكان، حتى يجيء منه ما ذكرت، وإنما تلك صفة راجعة إلى العبد، ولأنَّ هذا لا يقتضي كونه في مكان، كما أنَّ إثباته مُستوياً على العرش لم يوجب كونه في مكان، وكذلك رؤيته سبحانه لا تُوجب كونه في مكان، كذلك الدنو منه لا يوجب كونه على مسافة.

فإن قيل: فيجب حمله على أنَّه يُقرِّبه من رحمته وأَمَانِه وتَّعطفه ولُطفه، وهذا شائعٌ في اللغة، لأنَّه يقال: فلانٌ قريب من فلان، والمراد به المنزلة وعُلُو الدَّرجة(١).

قيل: هذا غلطٌ لوجهين: أحدهما: أنه راحمٌ له ومتعطف عليه وآمن له، مع عدم الدُّنو كما هو بعد الدنو، فلا يصح حَمْلُه على ما لا يفيد.

والثاني: إنْ جَازَ هذا، جاز لقائلٍ أن يقول في قوله «ترون ربكم» معناه تعطُّفه ورحمته وثوابه.

الفصل الثاني: قوله «يضع عليه كَنَفَه حتى يستره من الناس» فلا نعلم معنى الكنف ما هو فنمرُّ الخبر على ظاهره.

فإن قيل: يحمل ذلك على القرب من المنزلة والدرجة، لأنه يُقال: أنا في كنفِ فلان، وفلانٌ في كنفي، يريد به تعطفه وتوفره(٢).

---

(١) كذا قال ابن فورك في «مشكل الحديث» (ص٥٦).
وكذا أوّله النووي في شرح مسلم (١٧/ ٨٧) فقد قال: والمراد بالدنو هنا دنو كرامة وإحسان، لا دنو مسافة، والله تعالى منزه عن المسافة وقربها.
والحافظ في الفتح (١٠/ ٤٨٨).
وسيأتي ما يردُّ هذا في كلام ابن القيم.

(٢) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٥٧).
وقال النووي في «شرح مسلم» (١٨/ ٨٧): أما كنفه فبنون مفتوحة، وهو ستره وعفوه.
وبنحوه قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٨٨).

قيل: هذا غلطٌ لما تقدم، وهو أنَّه متعطف متوفر عليه قبل ذلك، ولأنَّ هذا يوجب تأويل حديث الرؤية على ذلك.

فأما قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، فالمراد به علمه، لأنَّه قد تقدم ذكر العلم في أول الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] فوجب حمل ذلك على العلم[1].

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ فهذه الآية لها شأن، وقد اختلف فيها السلف والخلف على قولين:
فقالت طائفة: (نحن أقرب إليه) بالعلم والقدرة والإحاطة، وعلى هذا فيكون المراد قربه سبحانه بنفسه، وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه، وإحاطة علمه به.
والقول الثاني: إن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها بأوامرهم ومراسيمهم، فيقول الملك: نحن قتلناهم وهزمناهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ وجبرائيل هو الذي يقرؤه على رسول الله ﷺ، وقال ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه إذ هو بأمره.
وهذا القول هو أصح من الأول لوجوه:
أحدها: أنه سبحانه قيَّد القرب في الآية بالظرف وهو قوله ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ فالعامل في الظرف ما فيه قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ من معنى الفعل، ولو كان المراد قربه سبحانه بنفسه لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين، ولا كان في ذكر التقييد فائدة، فإن علمه سبحانه وقدرته ومشيئته عامة التعلق.
الثاني: أن الآية تكون قد تضمنت علمه كتابة ملائكته لعمل العبد، وهذا نظير قوله ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.
الثالث: إن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصًا لا عاماً، وهو نوعان: قربه من داعية بالإجابة، ومن مطيعه بالإنابة، ولم يجيء القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصاً كقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ فهذا قريب من داعية وسائله به، وقال تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.
ثم قال: والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، =

٢٢١- وقد قال أحمد في قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] هي علمه لأنّه افتتح الآية بالعلم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ وختمه بالعلم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٨-٩] فظاهره يقتضي دُنُوّاً من الذات، لأن القصد بذلك كرامته.

٢٢٢- وقد روى ابن بطة بإسناده: عن ابن عباس في قوله ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قال: مقدار قوسين[2].

٢٢٣- وحكى أبو بكر الخلال عن عبد الله حدثني هناد بن السري قال نا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن ميسرة في قول الله تعالى

= فإذا كانت قريبةً من المحسنين، فهو قريب سبحانه منهم قَطْعاً، وقد بينّا أنه سبحانه قريب من أهل الإحسان ومن أهل سؤاله بإجابته.

ويوضح ذلك أن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه، فيقرب ربه منه إليه بإحسانه، فإنه تقرب منه شبراً يتقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً، فهو قريب من المحسنين، بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه، كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل وهو فوق عرشه، ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة، وهو على عرشه، فإن علوه على عرشه من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عالياً، ولا يكون فوقه شيء البتة، كما قال أعلم الخلق: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء» وهو سبحانه قريب في علوه، عالٍ في قربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «أيها الناس أربعوا على أنفكسم، فإنكم لا تدعون أصّم ولا غائباً، إنَّ الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» اهـ (من مختصر الصواعق ٢/ ٢٦٧- ٢٧١ باختصار، وانظر شرح حديث النزول لشيخه ابن تيمية (ص١٢٤- ١٤٣).

(١) روى حنبل بن إسحاق في كتاب «السنة» نحوه، كما في «شرح حديث النزول» (ص١٢٧) وهو في مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٤٩٦).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٥) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

لموسى عليه السلام ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] قال: أُذني حتى سمع صريف القلم في الألواح[1].

٢٢٤- قال أبو بكر عبد العزيز في تعاليق أبي إسحاق عنه قوله: حتى سمع صرير القلم على النون والراء وما أشبهه، قال: ومن روى صريف القلم يقول على الكاف وما أشبه ذلك، لأنَّ صريفه في رجوعه إلى وراء، وصريره في مجيئه على بين يديه.

وأما قوله «من قرب شِبْراً قربت منه ذراعاً» فالمراد به التقريب من رحمته وكرامته، لأنَّه روى ذلك مُفسراً في بعض ألفاظ الحديث، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«من جاء يمشي أقبل الله إليه بالخير يُهرول»**[2] فقد ورد التفسير من النبي ﷺ في ذلك، فلهذا قضينا بالمطلق منه على المقيد، والكلام على هذا الخبر يأتي مستوفي.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه هنا في الزهد (١/ ١١٨) عن أبي الأحوص به. ميسرة هو أبو صالح مولى كنده كوفي، لم يوثقه إلا ابن حبان، وقال الحافظ في التقريب: مقبول.
وأخرجه أيضاً (١/ ١١٩) عن أسباط عن عطاء به.
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٧٠) حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء به، ابن حميد هو محمد الرازي ضعيف.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٥١٥) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٢) لم أجد هذه الرواية.

[إثباتُ صِفة العُلو لربِّنا تبارك وتعالى]
[حديثٌ آخر]

٢٢٥- ناه أبو القسم عبد العزيز بإسناده: عن معاوية بن الحكم قال: كانت لي جارية ترعى غنماً في قبل أُحُدٍ والجوَّانيَّة، فاطَّلعتها ذات يومٍ فإذا الذيبُ قد ذَهَبَ بشاةٍ من غنمها، وإني رجل من بني آدم آسفُ كما يأسَفُون لكنيِّ غضبت فصككتُها صكَّةً، فأتيتُ النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظَّم ذلك عليَّ، فقلت يا رسول الله: ألا أُعْتِقُها، قال: «ائتني بها»، فأتيته بها، فقال لها «أين الله؟» قالت: في السَّماء، قال: «فمن أنا» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[1].

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما: في جواز السؤال عنه سبحانه بأين هو، وجواز الإخبار عنه بأنَّه في السماء.

والثاني: قوله «اعتقها فإنها مؤمنة».

أما الفصل الأول فظاهر الخبر يقتضي جواز السؤال عنه، وجواز الإخبار عنه بأنه في السماء، لأنَّ النبي ﷺ قال لها «أين الله» فلولا أنَّ السؤال عنه جائز لم يسأل، وأجابته بأنه في السماء وأقرَّها على ذلك، فلولا أنَّه يجوز الإخبار عنه سبحانه بذلك، لم يُقرها عليه.

٢٢٦- ونظير هذا الحديث: ما رواه أبو رزين قال: قلت: يا رسول الله ﷺ

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٤٧- ٤٤٨) ومسلم (١/ ٣٨١- ٣٨٢) عن إسماعيل بن إبراهيم عن حجاج بن أبي عثمان الصواف عن يحيى بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السُّلَمي وأوله: بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ عطس رجلٌ من القوم فقلت: يرحمك الله...» الحديث.

أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: «في عَمَاء»[١].

فأجاز السؤال وأجاب عنه.

٢٢٧- وقد أطلق أحمد القول بذلك فيما خرَّجه في «الرد عل الجهمية» فقال: قد أخبرنا أنه في السَّماء فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ حاصبا﴾ [تبارك: ١٦-١٧] وقال عزّ وجل ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ وقال ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وقال ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١] فقد أخبر الله سبحانه أنَّه في السَّماء، وهو الله على العرش.

فقد أطلق أحمد القول بذلك، واحتج بهذه الآيات على جواز القول به، وسنعيد الكلام في موضع آخر إن شاء الله[٢]، ولأنه ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، وذلك أنَّا لا نقول هو في السماء على وجه الإحاطة، بل نطلق ذلك كما أطلقنا جواز رؤيته، لا على وجه الإحاطة وإن لم يكن ذلك معقولًا في الشاهد، وكما قالوا في قوله ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ معناه: عالٍ عليه، ولم يُوجب ذلك كونه في جهةٍ، وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ العُلْو غير السفل.

فإن قيل: لا يجوز السؤال عنه بأين هو؟ لأنه ليس في جهة، وإنما يصح السؤال عمَّن هو في جهة، ولا يصح الجواب عنه بأنه في السماء، لأن في حقيقته[٣] للظَّرف والوعاء، ولا يجوز وصفه بذلك.

(١) يأتي تخريجه والكلام عليه.

(٢) في الأصل: إنشاء الله؟!

(٣) في الأصل: في حقيقة، وهو خطأ.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه لا يمتنع جواز السؤال عنه، ولا يُفضي إلى الجهة، وجواز الجواب عنه بأنه في السماء[١]، لا يُفضي إلى الوعاء، كما جاز إطلاق القول بأنه عالٍ على العرش ولم يُفْض إلى الجهة، وإنْ كُنّا نعلم أنَّ العلو غير السفل، وكذلك جاز القول برؤيته لا في جهة، وإنْ لم يكن مرئياً في الشاهد إلا في جهة، كذلك ها هنا، وكذلك الحركة في الجسم، وإنْ لم تكن حالة فيه.

فإن قيل: هذه اللفظة قد تستعمل في السؤال عن المكان فيقال: هو في البيت أم في المسجد؟ وتستعمل في الاستعلام عن المنزلة فيقال: أين فلان منك ومن الأمير؟ وقد تستعمل في الاستعلام للفرق بين الرُّتْبتين فيقولون: أين فلان من فلان، يعني بذلك، في الرّتبة والمنزلة فيحتمل أن يكون قوله «أين الله» استعلاماً لمنزلته وقدره عندها، وفي قبلها، وأشارت أنه في السماء، أي رفيع الشأن عظيم المقدار، على معنى قوله القائل إذا أراد أن يخبر عن منزلة رجل: منزلة فلان في السماء، أي هو رفيع الشأن[٢].

قيل: هذا غلطٌ، لأن الحقيقة في هذه اللفظة أنها استفهام عن المكان دون المنزلة والرتبة، وإنَّما تُستعمل في ذلك على طريق المجازة، فكان حملها على الحقيقة أولى.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّه لو كان استفهاماً عن المنزلة لأنْكر عليها جوابها بما يرجع إلى غير ما سألها، فلَّما لم يُنكر ذلك امتنع صحة هذا التأويل.

وجوابٌ خر: وهو أن الأمة كانت من الطغام[٣]، ولا يُضاف إليها المعرفة بحمل المكان على الرّفعة وعُلو المنزلة.

(١) في الأصل: بأنه في السماء ولا يفضي، والواو زائدة.

(٢) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٥٨).

(٣) الطَغَام هم أراذل الناس وأوغادهم (اللسان ٤/ ٢٦٧٧) والمقصود هنا العوام.

فإن قيل: فإذا لم يكن سؤالاً عن المنزلة، لم يبقْ إلا أنه سؤالٌ عن المكان، وأنتم لا تثبتون ذلك. قيل: بل هو سؤالٌ عن كونه في السَّماء لا على وجه الحلول.

فإن قيل: يحتمل أن يكون قولها في السماء معناه: فوقها، كما قال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] معناه عليها، وكذلك قوله تعالى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] معناه عليها، يُبيِّن صحة هذا قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١] فَوَصَفَ نفسه بذلك وقوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١] فدلَّ على أنَّه فوق السماء وفوق ما خلق(١).

قيل: هذا غلطٌ لوجوه أحدها: أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص بالسَّماء، لأنَّه فوق الأشياء كلها فلا معنى لتخصيصه بالسماء، إذا كان المراد به الفوق.

الثاني: أنَّه إنْ جاز أن يُطْلق القول بأنَّه فوقَ السماء فوق العرش، ولا يُفضي إلى الجهة، وإنْ كنا نعلم أنَّ الفوق ضد السفلَ، جاز إطلاق القول بأنه في السماء ولا يفضي إلى الجهة.

الثالث: إنما يجب الامتناع من ذلك لو كُنا نقول ذلك على وجه الحد والظَّرف، فأمَّا نحن ونمتنع من ذلك لم يمتنع إطلاق ذلك عليه.

فإن قيل: إن جاز أن تُطلقوا هذا القول، وأنه في السماء لا على وجه الإحاطة والجهة، فأطلقوا القول في الأرض وفي كل مكان، لا على وجه

---

(١) هذا الوجه صحيح، فإن «في» تأتي في اللغة بمعنى «على».
قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد (٧/ ١٣٠): وأما قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ﴾ [تبارك: ١٦]، فمعناه من على السماء يعني: العرش، وقد يكون في بمعنى على، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٧٢] أي: على الأرض، وكذلك قوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [الطه: ٧١]، وهذا كله يعضده قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب. اهـ

الإحاطة والجهة، كما أطلقه النَّجّار[١] وجماعة من المعتزلة، بمعنى أنه مُدَبِّرٌ فيها وعالِمٌ بها، كقولهم: فلانٌ في نبا[٢] داره، معناه: ميرها.

قيل: هذا غلط، لأننا لا نُطلق من ذلك إلا ما ورد به السَّمْعُ، والسمع وَرَدَ بإطلاق ذلك في السماء وعلى العرش، ولم يرد في غير ذلك.

فإن قيل: قد ورد القرآن بذلك، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

قيل: في هذه الآيات ما دل على أنّه ليس المراد به الذَّات، لأنّه قال ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ﴾ فأخبر أنه يعلم سرّنا وجَهرنا الواقعين في السماوات والأرض، إذ هي مَحَالُّ السِّر والجهر، ولهذا لا يجوز الوقف على قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ وإنما الوقف على قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٣]، وكذلك قوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ

(١) هو الحسين بن محمد بن عبد الله النَّجار الرازي، رأس الفرقة «النجّارية» من المعتزلة، وإليه نسبتها، وهو من متكلمي «المجبرة» وله مع النظام عدة مناظرات، وأكثر المعتزلة في الري وجهاتها من «النّجارية» وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر، واكتساب العباد، وفي الوعد والوعيد، وإمامه أبي بكر، ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات، وخلق القرآن وفي الرؤية قبحهم الله.

له كتب منها «البدل» في الكلام، و«المخلوق»، و«الأرجاء» وغيرها.

(انظر الفهرست (ص٢٥٤- ٢٥٥)، مقالات الإسلاميين (ص٢٨٣-٢٨٥)، الملل والنحل (١/ ٨٨- ٩٠)، الإعلام (٢/ ٢٥٣)).

(٢) النّبْوُ العُلُوُّ والارتفاع، وقد نبا، والنَّبْوَة والنَّباوةُ والنَّبِيُّ: ما ارتفع من الأرض، قاله ابن سيده (اللسان ٦/ ٤٣٣٣).

(٣) قال ابن كثير (٢/ ١٢٣): اختلف مفسرو هذه الأية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية القائلين- تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- بأنه في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السماوات وفي الأرض، أي يعبده =

﴿ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ معناه علمه بسرنا وجهرنا.

فإن قيل: فيجب أن تحمل قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على العلم كما حملت قوله ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ على العلم.

قيل: الآية هكذا تقتضي أنَّ المراد بها علمه ما في السماوات وفي الأرض، ونحن لسنا نمنع أنْ يكون علمه ما في السماوات وفي الأرض، لأنَّ في الآية قرينة دلَّتْ على العلم، وغيرها من الآيات والأخبار مُطْلقة ليس فيها ما دلَّ على العلم، فحملناها على ظاهرها، على وجه لا يفضي إلى الحدِّ والجهة.

٢٢٨- وقد روى أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان في جملة حديثه عن الشافعي بإسناده: عن عبد الله بن الحسين المصيصي قال: دخلت طَرْسُوس، فقيل لي هاهنا امرأة قد رأت الجنَّ الذين وَفِدُوا إلى النبي ﷺ، فأتيتُها فإذا هي امرأة مستلقية على قفاها، فقلت: رأيت أحداً من الجنِّ الذين وفدوا إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، حدثني عبد الله[1] سمحج قال: قلت: يا رسول

= ويوحده ويقرُّ له بالإلهية من في السماوات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغباً ورهباً، إلا من كفر من الجن والإنس. وهذه الآية- على هذا القول- كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبراً أو حالاً.

والقول الثاني: أن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر، فيكون قوله (يعلم) متعلقاً بقوله ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون .

والقول الثالث: أن قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وقف تام، ثم استأنف الخبر فقال ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ وهذا اختيار ابن جرير. اهـ

(١) في الأصل: عبد الله بن سمحج، وهو خطأ.

الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: «على حوت من نور يتلجلج في النور»(١) وذكر بقية الخبر وهو وإنْ كان غريباً، فإنه يَعْضُدُه ما تقدم من الأخبار.

ورأيت في كتاب أبي موسى النحوي المعروف «بالحامض»(٢) عن ثعلب أنه قال: قولهم: في السماء بيته، كقولك مقصده ورجاء ثوابه وإجابته، وهذا يُسقط فائدة التخصيص بالسماء، لأن رجاء ثوابه وإجابته يرجى في كل حال.

* * *

(١) ضعيف، أخرجه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات (ورقة ٧٥ب) حدثني الفضل بن الحسن أبو الفضل الأهوازي حدثني عبد الله بن الحسين المصيصي قال؛ دخلت طرسوس... فذكره، وسمي المرأة: منوس.
وبقية الحديث: قال قلت لها: أسمعت منه شيئاً غير هذا؟ قالت: نعم حدثني عبد الله سمحج قال سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من ميت يُقرأ عنده سورة «يس» إلا مات ريَّاناً، وأدخل قبره ريانا، وحُشر يوم القيامة ريانا. قال قلت لها: أسمعت منه شيئاً غير هذا؟ قالت: نعم، حدثني عبد الله سمحج قال سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من رجل يصلي صلاة الضحى ثم تركها، إلا عُرج بها على الله فقالت: إن فلاناً حفظني فاحفظه، وإن فلاناً ضيعني فضيعه».
قلت: وفي إسناده عبد الله بن الحسين بن جابر البغدادي، سكن المصيصة، قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٤٦): يقلب الأخبار ويسرقها، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. اهـ
والحديث عزاه الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٧٨) إلى الدارقطني في الأفراد والشيرازي في الألقاب والطبراني في الكبير.

(٢) هو سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي أبو موسى، المعروف بالحامض، من العلماء باللغة والشعر، من تلاميذ ثعلب، وهو المقدّم من أصحابه، كان ضيق الصدر سيء الخلق فلقب بالحامض.
له عدة تصانيف منها: كتاب «خلق الإنسان»، وكتاب «السبق والنضال»، كتاب «النبات» وغيرها. توفي سنة ٣٠٥هـ.
(تاريخ بغداد (٩/ ٦١)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٦)، نزهة الألباء (١٨١- ١٨٢) الإعلام (٣/ ١٣٢).

[حديثٌ آخر]

٢٢٩- ناه أبو القسم بإسناده: عن أبي رزين قال قلت يا رسول الله: أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السَّموات والأرض؟ قال: كان في عَمَاء، ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خَلَق العرش على الماء»[(١)].

٢٣٠- وروى أبو بكر النجاد بإسناده عن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء ثم خلقَ عرشه على الماء». ورواه أبو عبد الله بن بطة بإسناده عن أبي رزين قال قلت: يا رسول الله، أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «على عماء، تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء».

قال أبو عبيد: قوله «في عماء» العماء في كلام العرب السحاب[(٢)] قال الأصمعي وغيره: وهو ممدود، قال: وإنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم[(٣)] ولا ندري كيف كان ذلك العَمَاء وما مبلغه.

قال: وأمَّا العمى في البصر فإنه مقْصُور، وليس هو من معنى[(٤)] الحديث في شيء.

---

(١) ضعيف، أخرجه الطيالسي (١٠٩٣) وأحمد (٤/ ١١، ١٢) وابنه عبد الله في «السنة» (١/ ٢٤٥- ٢٤٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٧١- ٢٧٢) وابن أبي شيبة في «العرش» (٧/ بتحقيقي) والترمذي (٥/ ٢٨٨) وابن ماجة (١/ ٦٤- ٦٥) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٣٧٦- ٤٠٧) عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين العقيلي به.
وفيه: وكيع بن حدس، ويقال: عدس، قال ابن القطان: مجهول، وقال الذهبي: لا يعرف، تفرد عنه يعلى بن عطاء.

(٢) في غريب الحديث: السحاب الأبيض.

(٣) في الأصل: عنه هو خطأ، والتصويب من غريب الحديث.

(٤) في الغريب: هذا الحديث.

اعلم أنَّ هذا الحديث يدلّ على جواز إطلاق السؤال عنه سبحانه بأين هو، ويدلُّ على جواز الإخبار عنه بأنه كان في عَمَاءَ، لا على وجه الإحاطة والجهة كما أجزنا رؤيته لا على وجه الجهة.

فإن قيل: قوله «في عماء» يحتمل أن يكون فوق عماء.

قيل: هذا غلط، لما بينًا من فساد هذا السؤال في الخبر الذي قبله.

ورأيت في كتاب أبي موسى النحوي المعروف بالحامض: رواية السوسنجردي[(١)] قلت لأبي العباس في مسئلة النبي ﷺ أين كان ربنا، أليس في المكان؟ قال: فيما يستفهم الجاهل وبأي شيء يسئل إذا أراد علم شيء جهله، لابد من هذا، ويكون الجواب على حسب ذلك، ألا ترى قوله «كان في عماء» وفي عماء فالممدود هو الغيم الرقيق، والمقصور أي كان في عماء علينا، لا ندري[(٢)].

وهذا من ثعلب دلالة على جواز السؤال عنه بالأُينية وإن كانت للمكان.

[حديث آخر]

٢٣١- ذكره ابن فُورك ولم يقع لي طريقه: عن أنس بن مالك قال: كان جبريل عند النبي ﷺ فأتاه ملك فقال: أين تركت ربنا؟ قال: في سبع أرضين، فجاءه آخر فقال: أين تركت ربنا؟ قال: في سبع سماوات، فجاءه آخر

(١) غريب الحديث (٢/ ٨-٩).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور أبو الحسين المعدل، المعروف بابن السوسنجري (وقع في الأصل بالزاي وهو خطأ)، سمع أبا عمرو بن السماك والنجاد وغيرهما، قال الخطيب: كان ثقة مأمونا دينا مستوراً حسن الاعتقاد، شديداً في السنة، وسمعت من يذكر عنه أنه اجتاز يوماً في سوق الكرخ، فسمع سبّ بعض الصحابة، فجعل على نفسه أن لا يمشي قط في الكرخ، مات سنة ٤٠٢هـ. (تاريخ بغداد (٤/ ٢٣٧)، طبقات الحنابلة (٢/ ١٦٨- ١٦٩).

فسأله مثل ذلك، فقال في المشرق، وآخر فسأله: أين تركت ربنا؟ قال في المغرب؟[١].

فإن صح هذا الخبر، حمل على أن علمه بسرنا وجهرنا الواقعين في السماوات والأرض، والمشرق والمغرب، وإنما وجب حمل هذا الخبر على هذا لما تقدم من نصّ القرآن والأخبار الصحاح، أنه في السماء مستوٍ على عرشه بائن من خلقه.

***

(١) «مشكل الحديث» (ص٦٠) ولم أقف عليه مسنداً.

[إثباتُ صِفَةِ الفَرَحِ لربِّنا جلَّ شأنه]
[حديثٌ آخر]

٢٣٢- ناه أبو القسم بإسناده: عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لله عزّ وجل أشدُ فرحاً بتوبة عبده، من أحدكم يَسقطُ على بعيره، وقد أضلَّه بأرض فلاة**»(١).

٢٣٣- أخبرناه أيضاً بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**الله جل اسمه أشدُّ استبشاراً بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالَّته بفلاةٍ من الأرض، عليها سِقاؤه ومتاعه وما يصلحه**»(٢).

٢٣٤- وناه بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يُوَطِّن رجُلٌ مسلم المساجد للصلاة وللذكر، إلا تَبَشْبَشَ(٣) الله به حين يخرج من بيته، كما يَتَبَشْبَشُ أهل الغائب بغائبهم**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٠٣) ومسلم (٤/ ٢١٠٥) عن همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال فذكره. وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٤- ٢١٠٥) بسياق أطول عن عكرمة بن عمار حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثنا أنس بن مالك مرفوعاً به.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.
وإنما أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٢) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «لله أشدُّ فرحاً بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالَّتِهِ إذا وجدها».
وله عنده طريق آخر فقد أخرجه (٤/ ٢٠١٢) عن معمر عن همام عن أبي هريرة مرفوعاً بمعناه.

(٣) في الأصل: استبشر وفي الموضع الثاني يستبشر، وهو مخالف لنص الحديث عند جميع من أخرجه.

(٤) حديث صحيح، أخرجه الطيالسي (٢٣٣٤) وأحمد (٢/ ٣٢٨) وابن ماجه (١/ ٢٦٢) وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣٧٩) وابن حبان (٣/ ٦٧) (٤/ ٢١) والحاكم (١/ ٢١٣) من طرقٍ عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً به، =

اعلم أنَّ الكلام في الفرح والاستبشار، قريبٌ من الكلام في الحديث الذي تقدَّم في الضحك، والقول فيه كالقول في ذلك(١).

وقد حكينا كلام أحمد في ذلك، والأخذ بظاهر الحديث من غير تفسير كذلك هاهنا، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نثبت فرحاً هو السرور لأنه يقتضي جواز الشهوة والحاجة عليه، ومن قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢] أي سَرُّوا بها، ولا نثبت أيضاً فرحاً هو البطر والأشر، لأنهما لا يليقان بالله عَزَّوَجَلَّ، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] وقوله ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] يعني بذلك فَرَحَ البَطَر والأَشَر، بل نُثبت ذلك صفة، كما أثبتنا صِفَة الوجه واليدين والسمع والبصر، وإنْ لم نَعْقِل معناه، ولا يجب أنْ يُسْتَوحش من إطلاق مثل هذا اللفظ إذا ورد به

= وزادوا في آخره: إذا قدم عليهم.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٢٨١): هذا إسناد صحيح.
قلت: وهو كما قالوا.
وقد رواه الليث بن سعد عن المقبري عن أبي عبيدة عن سعيد بن يسار به، فزاد أبا عبيدة في الإسناد.
رواه أحمد (٢/ ٤٥٣) والدارمي في «النقض» (ص٢٠٣) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٧٨- ٤٧٩)، وذكره الحاكم تعليقاً (١/ ٢١٣).
وأخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٤١٤) عن ابن وهب عن رجل عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً به. وفيه رجل لم يسم.

(١) هو الصواب، أن تثبت الصفة كما جاءت، ولا تفسر بلوازمها كما سيأتي النقل عن ابن فورك وغيره.

سمع، كما لم يستوحش من إطلاق ذلك في غيره من الصفات.

فإن قيل: معنى الفرح هاهنا معنى الرضا، ومنه قوله تعالى ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] أي: راضون، لأنَّ من سُرَّ بالشيء فقد رَضِيَه، ويقول هو فرح به بمعنى هو راضٍ به فيكون معناه: أنَّ من وَفَّقَه الله للتوبة من معاصيه، فقد رضي أن يكون مُثَاباً على الخير مقبولاً منه الطاعة والعبادة(١).

قيل: هذا غلطٌ، لأن هذا القائل عنده أنَّ الرضا بمعنى الإرادة، وإرادة الله سبحانه لا تختص ما ذكر في الخبر من التوبة، لأنَّ ضد التوبة مما كان عليه قبل ذلك، كان الله مُريداً له، على أنه لا يمتنع أن يكون معنى ذلك ما قالوه وكذلك القول في البَشْبَشَة، لأنَّ معناه يُقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيتُ لفلان بَشَاشَةً وهشاشةً وفرحاً، ويقولون: فلانٌ هشٌ بشٌ فرحٌ، إذا كان منطلقاً(٢)، يجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح.

وقد ذكر ابن قتيبة هذا الحديث في كتاب «الغريب» وقال قوله «يبشبش» من البشاشة وهو يتفعَّل(٣).

فحمل الخبر على ظاهره ولم يتأوله.

* * *

---

(١) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٦٤).
ونقل البيهقي في الأسماء (ص٤٧٧) عن الخطابي نحوه، ونقله عن أبي الحسن علي بن محمد الطبري (ص٤٧٧ - ٤٧٨) ونقل نحوه الحافظ في الفتح (١١/ ١٠٦) عن الخطابي وابن أبي جمرة والقرطبي في «المفهم».

(٢) الصحاح (٣/ ٩٩٦)، وفيه: قال يعقوب يقال: لقيته فَتَبَشْبَش بي، وأصله تَبَشَّشَ، فأبدلوا من الشين الوسطى فاء الفعل، كما قالوا: تجفجف.

(٣) «غريب الحديث» (١/ ٤١٤)، وفي الأصل: تفعل، والتصويب من الغريب.

[إثْباتُ صفةِ العَجَب لربِّنا تبارك وتعالى]
[حَديثٌ آخر]

٢٣٥- رواه أبو عبد الله بن بطة بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«عجب الله عزَّ وجلَّ من قومٍ جيء بهم في السَّلاسل، حتى يُدخلهم الجنة»**(١).

٢٣٦- ورواه بإسناده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجب ربّنا من رجلين: رُجلٌ ثارَ عن وِطَائِه ولِحافه، من بين حِبِه وأهله إلى صلاته، طلب ما عندي، ورجلٌ غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه، فَعَلِمَ ما عليه في الانهزام، وماله في الرُّجُوع، فَرَجَع حتى هُرِيق دمه، فيقول الله لملائكته: انْظُروا إلى عبدي رَجَعَ رغبةً فيما عندي، وشفقَةً من عذابي، حتى هُرِيق دمه»**(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٧) والبخاري (٦/ ١٤٥) عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وتابعه حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عند أحمد (٢/ ٣٠٢، ٤٠٦) وأبي داود (٣/ ١٢٧).

وله طريق آخر عند أحمد (٢/ ٤٤٨) فقد رواه عن كامل أبو العلاء سمعت أبا صالح عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وسنده حسن، كامل هو ابن العلاء، وثقة ابن معين ويعقوب بن شيبة، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في موضع آخر: ليس به بأس، وقال الحافظ: صدوق يخطئ.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٤١٦) (٣٩٤٩- طبعة شاكر) وأبو داود (٣/ ٤٢- ٤٣) (القسم الثاني من الحديث فقط) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٩) والدارمي في «النقض» (ص٢٠٢) وابن حبان (٤/ ١١٤-١١٥) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٢١/ ١٠٣٨٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٦٧) والحاكم (٢/ ١١٢) (القسم الثاني منه) وكذا البيهقي في السنن (٩/ ٤٦)، وأخرجه بتمامه في موضع آخر (٩/ ١٦٤) وفي الأسماء (ص ٤٧٢) والبغوي في «رح السنة» (٤/ ٤٢- ٤٣) كلهم عن حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود مرفوعاً به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. =

٢٣٧- ومن ذلك قول النبي ﷺ: «عَجب رَبُّك من شابٍ ليست له صبوة»(١).

= وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٥٥) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير، وإسناده حسن.
وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح.
قلت: لكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وحماد بن سلمة سمع منه قبل الاختلاط، وبعده قاله العقيلي، وإنما قال الشيخ أحمد شاكر: صحيح، لكونه يرجح أن حماد سمع من عطاء قبل الاختلاط فقط، انظر تعليقه على الحديث (٣٩٥١) من المسند.
لكن له طريق آخر عن ابن مسعود موقوفاً يتقوى به.
أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ١٨٥).
والطبراني في الكبير (٩/ ١٥٩/ ٨٧٩٨) عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: رجلان يضحك الله إليهما: رجل تحته فرس من أمثل خيل أصحابه، فلقيهم العدو فانهزموا وثبت رجلان يضحك الله إليهما: رجل تحته فرس من أمثل خيل أصحابه، فلقيهم العدو فانهزموا وثبت الآخر، إن قُتل قتل شهيداً، فذلك يضحك الله إليه، ورجل قام من الليل لا يعلم به أحد فاسبغ الوضوء وصلى على محمد ﷺ، وحمد الله، واستفتح القراءة، فيضحك الله إليه يقول: انظروا إليه عبدي لا يراه أحدى غيري». اللفظ للطبراني قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٥٥): وفيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه.
وأخرجه عبد الرزاق (١٠/ ١٨٥- ١٨٦) عن سعيد الجريري عن أبي العلاء بن عبد الله ابن الشخير عن أبي ذر قال: ثلاثة يستبشر الله إليهم: رجل قام من الليل وترك فراشه ودفاءه، ثم قام يتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فيقول الله للملائكة: ما حمل عبدي على هذا؟ أو على ما صنع؟ فيقولون: أنت أعلم، فيقول: أنا أعلم ولكن أخبروني، فيقولون: خوفته شيئاً فخافه، ورجَّيته شيئاً فرجاه، قال فيقول: فإني اشهدكم أني قد أمّنته مما خاف، وأعطيته ما رجا، ورجل كان في سرية فلقي العدو...» الحديث.
قلت: وإسناده صحيح، الجريري وإن كان قد اختلط لكن سماع معمر منه قبل الاختلاط.

(١) حسن، أخرجه (٤/ ١٥١) وأبو يعلى (٣/ ٢٨٨) والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٧٦) عن قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة ابن عامر مرفوعاً به.
وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٠) وقال: رواه أحمد وأبو يعلي والطبراني، وإسناده حسن.
قلت: وإسناده حسن، فابن لهيعة قد روى عنه قتيبة بن سعيد وحديثه عنه صحيح، ففي =

اعلم أنَّ الكلام في هذا الحديث، كالكلام في الذي قبله، وأنَّه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه، وحمله على ظاهره إذ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نُثبت عَجبا هو تعظيم لأمرٍ دَهَمَة استعظمه لم يكن عالماً به، لأنَّه مما لا يليق بصفاته، بل نُثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته(١).

فإن قيل: المراد به تعظيم ذلك وتكثيره عند أهله حثّاً على فعلها، وترغيباً في المبادرة إليها، ويحتمل أن يكون المراد به الرِّضا له والقبول، لأنَّ من أعجبه الشيء فقد رَضِيَه، ولا يصح أنْ يَعجب مما يُسخطه ويكرهه.

٢٣٨- وقد أومئ أبو عبد الله بن بطة إلى هذا في كتاب «الإبانة» فقال: التعجب على ضربين: أحدهما المحبة بتعظيم قدر الطاعة، والسخط بتعظيم قدر الذنب، ومن ذلك قول النبي ﷺ **«عجب ربك من شاب ليست له صبوة»** أي أنَّ الله مُحِبٌ له راضٍ عنه، والتعجب على معنى الاستنكار للشيء، ويتعالى عن ذلك، لأنَّ الاستنكار هو الجاهلُ الذي لا يعرف فلما عرفه استنكره(٢) وعجب منه.

= «شرح العلل» لابن رجب (ص١٣٨): قال قتيبة قال أحمد: أحاديثك عن ابن لهيعة صحاح، قلت: لأنا كنا نكتب من كتاب عبد الله بن وهب ثم نسمعه من ابن لهيعة. اهـ ورواية ابن وهب عنه صحيحة كما هو معلوم لأنه من العبادلة.

ورواه عن ابن لهيعة: كامل بن طلحة وهشام بن عمار، أخرجه ابن أبي عاصم (١/ ٢٥٠) (عن هشام وحده) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٦٥- ١٤٦٦).

(١) قلت: وهو الصواب الذي عليه سلف الأمة، أن تثبت الصفات كما جاءت دون تأويل.

(٢) هو في الأصل: استكبره وفي المواضع السابقة: الاستكبار، وهو خطأ.

قيل: الطريق الصحيح ما ذكرنا من حمله على ظاهره، وهو الأشبه بأصول أحمد في نظائره من الأخبار لما بيَّنا، وهو أنَّه ليس في ذلك ما يحيل صفاته، وما ذكروه من التأويل لا يصح، لأن الله تعالى راضٍ بذلك قبل وجود هذه الأفعال منهم، ومُعَظِّمٌ لها قبل وجودها، فرضاه وتعظيمه لا يختص ما ذكر في الأخبار، فلم يصح حملها عليه، لأنه حَمْلٌ على ما لا يفيد.

فأما قوله «يقادون إلى الجنة بالسلاسل» فقيل فيه إنهم يَكرهون الطاعة التي يصلُون بها إلى الجنة، من حيثُ تخالف أهوائهم وشهواتهم، وتكرهها نُفُوسهم من حيثُ تَشُقُّ عليهم، وتصدهم عن الراحات واللذات في الحال، لكنها سائقة لهم إلى الجنة، وهي دَارُ الراحات.

٢٣٩- وقد قال أحمد في رواية الفضل بن زياد[1] وقد سأله عن قول النبي ﷺ «**عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**» قال: هو هذا السبي الذين يسبون فيدخلون في الإسلام، ونحو ذلك نقل أبو الحرث[2].

٢٤٠- فأمَّا قوله ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٢]، فقد رُوي عن

---

(١) هو أبو العباس الفضل بن زياد القطان البغدادي، ذكره أبو بكر الخلال فقال: كان من المتقدمين عند أبي عبد الله، وكان أبو عبد الله يعرف قدره ويكرمه، وكان يصلي بأبي عبد الله، فوقع له عن أبي عبد الله مسائل كثيرة، وحدث عنه جماعة منهم: يعقوب بن سفيان الفسوي. (تاريخ بغداد ١٢/ ٣٦٣)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٥١- ٢٥٣).

(٢) يؤيد هذا القول ما أخرجه البخاري في التفسير (٨/ ٢٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠، قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.

قال ابن الجوزي: معناه أنهم أسروا وقيدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعاً فدخلوا الجنة، فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول، وكأنه أُطلق على الإكراه التسلسل، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب (الفتح ٦/ ١٤٥).

ابن مسعود كان يقرأ بضم التاء، وروي عن شريح إنكار هذه القراءة[(١)]،

(١) صحيح، أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٠) وعنه البيهقي في «الأسماء» (ص٤٧٥) عن أبي زكريا العنبري حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قرأ عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴿بل عَجِبتُ ويسخرون﴾، قال شريح: إن الله لا يعجب من شيءٍ، إنما يعجب من لا يعلم، قال الأعمش فذكرت لإبراهيم فقال: إن شريحاً كان يعجبه رأيه، إن عبد الله كان أعلم من شريح، وكان عبد الله يقرأها ﴿بل عجبتُ﴾.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا، محمد بن عبد السلام عن ابن بشار أبو عبد الله النيسابوري ثقة، له ترجمة في تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٩). وأخرجه الفرّاء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٤) قال حدثني مِندل بن علي العنزي عن الأعمش قال قال شقيق: قرأت شريح... فذكر نحوه.
وإسناده ضعيف لضعف مندل.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٢) إلى أبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وقال ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٢٩): قوله ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ بضم التاء، من عجبت بمعنى بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون.
وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بل عجبتَ) بمعنى بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.
فإن قال قائل: كيف يكون مُصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإنْ اختلف معناهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد ﷺ ما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله.
وقد عجب ربُّنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون مما قالوه.اهـ
وللفراء كلام نفيس جار على قاعدة السلف في فهم صفات الخالق سبحانه فقد قال في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٤): و«العجب» وإن أسند إلى الله، فليس معناه من الله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ وليس السُخْرِيُّ من الله كمعناه من العباد، وكذلك قوله ﴿الله يستهزئ بهم﴾ ليس ذلك من الله كمعناه من العباد، ففي ذا =

فإن كانت صحيحة لم يمتنع حملها على ظاهرها، وأنَّ ذلك صفة لله تعالى، على ما ذكرنا في ظاهر الخبر.

فإن قيل: هذا خَرَجَ على طريق المجازاة على عجبهم، لَمَّا أخبر عنهم أنهم عجبوا من الحق لما جاءهم، وقالوا: هذا شيء عجاب، وهذا شيء عجيب، كما قاله القائل:

فنجهل فوق جَهل الجَاهلينا(١).

وكما قال تعالى ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]، فسمَّى الثاني باسمها.

قيل: إنما يكون هذا على طريق المجازاة، إذا تقدم العجب منهم، ولم يجر له ذكر في هذه السورة، وإنما جرى ذكره في سورة ص، فلا يخرج هذا مخرج المجازاة، ألا ترى أنَّ المواضع التي استشهدوا بها، تقدم ذكر ذلك من جهتهم فخرج الإنكار من الله تعالى على طريق المجازاة.

فإن قيل: المراد به النبي ﷺ فأخبر عن نفسه، والمراد به النبي ﷺ كما قال: «مَرِضتُ فلم تعدني»، وكما قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] معناه: أولياءه.

قيل: هناك قد دلَّ الدليل على أنَّ هناك مُضمر محذوف، وليس هاهنا ما دل على ذلك، فوجب التمسك بحقيقة اللفظ، وهو الإضافة إلى نفسه، وعلى

= بيان لكسر قول شريح، وإن كان جائزاً لأن المفسرين قالوا: بل عجبت يا محمد ويسخرون هم، فهذا وجه النصب.

(١) عجز بيت من معلقة عمرو بن كلثوم صدره:

ألا لا يَجْهَلن أحدٌ علينا.

(انظر شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ص ١٠٢).

أنَّ في الآية ما يدل على أنَّ ذلك راجع إليه سبحانه، لأنَّه عَطَفه على نفسه بقوله تعالى ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ [الصافات: ١١]، وهذا كله راجع إليه سبحانه، ثم عطفه فقال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ فكان ذلك راجعاً إليه.

* * *

[حديث آخر]

٢٤١- ناه أبو القسم بإسناده: عن أُبيّ بن كعب قال: «لا تَسُبُوا الرِّيح فإنها من نَفَس الرحمن جلّ اسمه» وفي لفظ آخر «فإنها من نفس الله جلّ اسمه، فإذا رأيتموها فقولوا: اللهم إنا نسألك من خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرْسِلتْ به، ونعُوذُ بالله من شرها، وشر ما فيها، وشرّ ما أُرسلت به»(١).

٢٤٢- وروى ابن بطة في بعض مُكاتباته إلى بعض أصدقائه جواب مسائل سأله عنها بإسناده: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رَأَيتم

---

(١) حديث صحيح، أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٦) والحاكم (٢/ ٢٧٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٦٣)عن جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ذر بن عبد الله عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن أُبي موقوفا عليه.
قلت: حبيب مدلس وقد عنعنه، والحديث اختلف في رفعه ووقفه.
فقد خالف محمد بن فضيل جريراً فرواه بهذا الطريق مرفوعاً.
أخرجه أحمد (٥/ ١٢٣) والترمذي (٤/ ٥٢١) (وقع في طبعة شاكر: عن زر بدل ذر وهو خطأ) والنسائي في «عمل اليوم» (٩٣٤) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٩٣).
قال الترمذي: حسن صحيح.
وأخرجه النسائي في «عمل اليوم» (٩٣٧) عن سهل بن حماد عن شعبة عن حبيب به مرفوعاً، وسنده جيد، شعبة يتثبت عن المدلسين.
وأخرجه باسنادين (٩٣٨، ٩٣٩) عن ابن أبي عدي وابن شميل كلاهما عن شعبة عن حبيب به موقوفاً.
وأخرجه البخاري في الأدب (٧١٩) وعبد الله في «زوائده على المسند» (٥/ ١٢٣) عن إسباط عن الأعمش عن حبيب عن سعيد به موقوفاً وعن عبد الله مرفوعاً.
لكن للحديث شاهد يقويه من حديث عائشة ﵂، أخرجه مسلم (٢/ ٦١٦) والنسائي في «عمل اليوم» (٩٤٠) والبيهقي في سننه (٣/ ٣٦٠) عن عبد الله بن وهب سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به...».

الريح فَلَا تَسُبُوها، فإنها من نفس الرحمن، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فسلُوا الله من خيرها، واستعيذوا بالله من شَرِّها»(١).

اعلم أنَّ شيخنا ابا عبد الله ذكر هذا الحديث في كتابه، وامتنع أن يكون على ظاهره في أنَّ الريح صفةٌ ترجع إلى الذات، والأمر على ما قاله، ويكون معناه أنَّ الريح مما يُفَرِّج الله عزّ وجلّ بها عن المكروب والمغموم، فيكون معنى النفس معنى «التنفيس» وذلك معروف في قولهم: نَفَّسْتُ عن فلان، أي فَرَّجْت عنه، وكلمت زيداً في التَّنفيس عن غريمه، ويقال: نفَّس الله عن فلان كربة أي فرَّج عنه(٢)، وروي في الخبر «من نفَّس عن مكروبٍ كُربة نَفَّس الله عنه كربة يوم القيامة»(٣)، وروى في الخبر أنَّ الله فَرَّجَ عن نبيه بالريح يوم الأحزاب فقال سبحانه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وإنما وجب حمل هذا الخبر على هذا، ولم يجب تأويل غيره من الأخبار، لأنَّه قد روي في الخبر ما يدل على ذلك، وذلك أنَّه قال: «فإذا رأيتموها فقولوا اللهم إنَّا نسئلك من خيرها، وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أرسلت به» وهذا يقتضي أنَّ فيها شرٌّ وأنها مرسلة، وهذه صفات المحدثات.

٢٤٣- ونا أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ

---

(١) لم أقف عليه من حديث جابر، ويأتي نحوه من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر الصحاح (٣/ ٩٨٥) واللسان (٦/ ٤٥٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢) ومسلم (٤/ ٢٠٧٤) والترمذي (٥/ ١٩٥- ١٩٦) وابن ماجه (١/ ٨٢) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من نَفَّس عن مؤمن كُربة من كُرَب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسرَّ على مُعْسِر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة،....» الحديث.

الريح من رَوْحِ الله، يَبْعثها بالرَّحمة، ويبعثها بالعذاب، فلا تَسُبُوها، وسلُوا الله خيرها وعوذوا بالله من شرِّها»[١].

وقوله «فإنها من روح الله» يدل على صحة التأويل، وأنه يُروح بها عن المكروب[٢].

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٧-٢٦٨) وأبو داود (٥/ ٣٢٨-٣٢٩) عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري حدثني ثابت بن قيس عن أبي هريرة قال: أخذت الناس ريح بطريق مكنة، وعمر بن الخطاب حاج، فاشتدت عليهم، فقال عمر لمن حوله: من يحدثنا عن الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً، فبلغني الذي سأل عنه عمر من ذلك، فاستحثثت راحلتي حتى أدركته فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، ثابت هو الزرقي ثقة، وقد حسَّن الحديث النووي في الأذكار (ص١٦٢) فقصّر. وتابع الأوزاعي معمراً، رواه أحمد (٢/ ٤٠٩) والنسائي في عمل «اليوم والليلة» (٩٣٢) وابن ماجه (٢/ ١٢٢٨) وابن حبان (٧/ ٤٩٣).

وتابعه يونس، أخرجه أحمد (٢/ ٥١٨)، وزيادة بن سعد الخراساني، أخرجه النسائي في «عمل اليوم» (٩٣١).

(٢) قال النووي في الأذكار (ص١٦٢): «من روح الله» هو بفتح الراء، قال العلماء: أي من رحمة الله بعباده.

ونقل البيهقي في «الأسماء» (ص٤٦٣) عن أبي منصور الأزهري قال: قوله ﷺ «الريح من نفس الرحمن» أي: من تنفيس الله تعالى بها عن المكروبين.

قلت: وقال ابن قتيبة في «الاختلاف في اللفظ» (ص٢٩) في قوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، أي: برحمة، وكذا قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي: فرحمة ورزق، على قراءة من قرأها بالضم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ - كما في مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٠-٢٩١): وقال النبي ﷺ: «الريح من روح الله» أي من الروح التي خلقها الله، فإضافة الروح إلى الله إضافة ملك، لا إضافة وصف، إذ ما يضاف إلى الله إن كان عيناً قائمةً بنفسها فهو ملك له، وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله.

فالأول كقوله ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ وقوله ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريل ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ وقال ﴿وَمَرْيَمَ =

وقوله: «يبعثها بالرحمة وبالعذاب» صريحٌ في أنها مخلوقة، مأمورة بالرحمة تارة وبالعذاب أخرى، وهذا دليلٌ على صحة التأويل.

[حديثٌ آخر في هذا المعنى]

٢٤٤- من حديث أبي الحسين وأبي القسم بن بشران عن دعلج عن ابن خزيمة بإسناده: عن النبي ﷺ قال وهو مُولٍ[1] ظهره إلى اليمن: «إني أجد نفس الرحمن في هاهنا»[2].

= ﴿ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، وقال عن آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾.
والثاني كقولنا: علم الله وكلام الله وقدرة الله وحياة الله وأمر الله، لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمي المعلوم علماً، والمقدور قدرة، والمأمور به أمراً، والمخلوق بالكلمة كلمة، فيكون ذلك مخلوقاً، كقوله ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ وقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ اهـ.

(١) في الأصل: مولي، وهو خطأ.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٠٤) والطبراني في الكبير (٧/ ٥٢/ ٦٣٥٨) عن الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل السكوني قال: دنوت من رسول الله ﷺ حتى كادت ركبتاي تمسان فخذه، فقلت: يا رسول الله تركت الخيل وأُلقي السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، فقال: «كذبوا الآن جاء القتال، لا تزال من أمتي أمةٌ قائمة على الحق، ظاهرةٌ على الناس، يزيغ الله قلوب قومٍ، قاتلوهم لينالوا منهم، وقال وهو مول ظهره إلى اليمن: «إني أجدُ نفس الرحمن ههنا، ولقد أوحي إليّ مَكْفُوتٌ غير مُلَبَّثٍ، وتتبعوني أفناداً، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها» واللفظ للطبراني، وليس عند أحمد «وقال وهو مول ظهره... إلى قوله: أفناداً»، وزاد أحمد «ألا إن عقر دار المؤمنين الشام والخيل معقود... دون قوله «وأهلها معانون عليها»، وسقط من إسناد الطبراني: إبراهيم بن سليمان». قلت: وإسناده حسن، رجاله ثقات سوى ابن عياش فإنه صدوق وروايته هنا عن أهل بلده، فابن سليمان دمشقي. =

٢٤٥- وروى ابن بطة في مكاتبته إلى بعض أصداقائه بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمانُ يمان، والحكمة يمانية، وأجدُ نفس ربكم من قبل اليمن**»(١). ومعناه ما تقدم في الحديث الذي قبله، وهو أن أجد تفريج الله عني، وتنفيسه عن كربي، بِنُصرته إيّاي من قبل أهل اليمن، وذلك لمَّا نصره المهاجرون والأنصار نفس الله عن نبيه ما كان فيه من أذى المشركين، وقَتَلَهُم الله على أيدي المهاجرين من أهل اليمن والأنصار، وكان ﷺ كثيراً ما كان يمدح أهل اليمن، فروي عنه أنه قال: «**الإيمان يمان والحكمة يمانية**»(٢) وإنما وجب

= ولم يتفرد به ابن عياش بل تابعه عبد الله بن سالم الحمصي وهو ثقة، أخرجه الطبراني (٧/ ٥٢/ ٦٣٥٨) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٦٢- ٤٦٣). ووقع عند الطبراني: عبد الله بن صالح، وهو خطأ.

وللحديث شاهد من حديث النواس بن سمعان: رواه أبو يعلى- كما في المطالب العالية (٤/ ٣٣٦)- وضعفه البوصيري لتدليس الوليد بن مسلم.

(١) إسناده حسن، رواه أحمد (٢/ ٥٤١) والدارمي في «النقض» (ص١٥١) معلقاً عن حريز بن عثمان عن شبيب أبي روح أن أعرابياً أتى أبا هريرة فقال: يا ابا هريرة! حدثنا عن النبي ﷺ فذكر الحديث فقال: قال النبي ﷺ: «إلا أن الإيمان... فذكره».

وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٥-٥٦) وقال: رواه أحمد ورجاله الصحيح غير شبيب، وهو ثقة.

وقال شيخه العراقي في تخريج الأحياء (١/ ١٠٤): رجاله ثقات.

وفيه نظر، فإن فيه عصام بن خالد الحمصي، قال النسائي فيه: ليس به بأس وقال الحافظ: صدوق.

تنبيه: وقع عند أحمد والدارمي: جرير وهو خطأ، والصواب حريز بن عثمان فإنه الذي يروي عن شبيب، ويروي عنه عصام.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٥٢٦) ومسلم (١/ ٧٢- ٧٣) عن شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الفخر والخيلاء في الفدّادين أهل الوَبَر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية».

وله طرق وألفاظ أخرى أنظر البخاري (٨/ ٩٨،٩٩) مسلم (١/ ٧١، ٧٢، ٧٣).

حمله على ذلك لما تقدم في الحديث الذي قبله، وأنَّ فيه ما دلَّ على أنَّ النفس مخلوقةً، لأنه أضافه إلى الريح، والريح مخلوقة من جهة أنها مأمورة بالرحمة والعذاب، فوجب حملُ هذه المطلق على ذلك.

٢٤٦- ورأيت في بعض مكاتبات ابن بطة إلى بعض أصدقائه وقد ذكر هذين الخبرين حديث جابر «إذا رأيتم الريح فلا تسبوها» وحديث أبي هريرة «أجد نفس ربكم» وحكى كلام ابن قتيبة في ذلك، فقال: أنت في نفس من أمرك أي في سعة، وقوله «من نفس الرحمن» معناه أنها يُفَرِّج بها الكرب، ويُذْهب بها الجدب، يقال: اللهم نَفِّس عني أيَّ: فرِّج عني، وذكر كلاماً طويلاً(١).

ثم قال ابن بطة بعده: ومما يشهد لصحة هذا التأويل، وأنَّ الريح من نفس ربكم إنما أراد بالنفس: الفرج والروح، ما سمعت أبا أبا بكر بن الأنباري يقول: إنما سُمِّيت الريح ريحاً، لأنَّ الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة،

---

(١) لم أجد كلام ابن قتيبة في «غريب الحديث»، وفي «تأويل مختلف الحديث» (ص١٤٣) يقول: قالوا رويتم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن» وينبغي أن تكون الريح عندكم غير مخلوقة، لأنه لا يكون من الرحمن جل وعز شيء مخلوق.
قال: ونحن نقول: إنه لم يرد بالنَّفس ما ذهبوا إليه، وإنما أراد أن الريح من فَرَج الرحمن عز وجل ورَوْحه، يقال: اللهم نفِّس عني الأذى، وقد فرج الله عن نبيه ﷺ بالريح يوم الأحزاب، وقال تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾.
وكذلك قوله «إني لأجد نفس ربكم من قِبَل اليمن»، وهذا من الكناية، لأن معنى هذا أنه قال كنت في شدةٍ وكرب وغم من أهل مكة، ففرَّج الله عني بالأنصار، يعني أنه يجد الفرج من الأنصار- وهم من اليمن- فالريح من فرج الله تعالى وروحه، كما كان الأنصار من فرج الله تعالى. وقد بينت هذا في كتاب «غريب الحديث» بأكثر من هذا. اهـ
قلت: ولم أجده في المطبوع في مظنته والله أعلم. وانظر الكلام على الأحاديث السابقة في «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٩٣-٩٤).

وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى، فهي مأخوذة[(١)] من الروح وأصلها روح، فصارت الواوُ ياءً لسُكُونها وانكسار ما قبلها.

ثم قال: هذا ما قاله أهل العلم بتأويل الكتاب والسنة، وكلام العرب في تأويل الريح، ومعنى النَّفس بها، وفي كتاب الله تعالى ما دلَّ علي أنها بمعنى الفرج من الغم، والنَّفس من الكرب، أنَّ الغم والضيق يكونان بركودها، قوله جلَّ وعزَّ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢].

وقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٣].

٢٤٧- وفي معنى ذلك حديث آخر: رواه ابن فورك ولم يقع لي طريقه أنه قال «هذا نفس ربي أجده بين كتفي أتتكم الساعة»[(٢)] معناه هذا فرج الله عني صرف به غمومي وهمومي، وكشف عن قلبي، وسُري عن فؤادي ما كان يجده ﷺ في مستقبل أوقاته، من زوائد روح اليقين والألطاف، فسمَّى ذلك نفس الرّب، لأنّه هو الذي نَفَّس به عنه، والإضافة على طريق الملك، والموجب لحمله على ذلك ما تقدم في الخبر الأول، وقد بيَّنا أنَّ فيه ما دلَّ عليه.

* * *

(١) كتب في الهامش: في الأصل مأخوذ بدون تاء.

(٢) مشكل الحديث لابن فورك (ص٦٩)، ولم أقف على إسناده.

[إثباتُ صفة النُّزُول لربنا تبارك وتعالى]
[حديث آخر]

٢٤٨- رواه الثقات من طُرقٍ مختلفة، وألفاظ مختلفة، حدثناه أبو القسم بإسناده: عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: «**ينزلُ الله عزَّ وجلَّ ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفرُ لكل نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو مشرك بالله جل اسمه**»(١).

٢٤٩- وروى معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَّطلع الله إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لهم إلا المشرك أو مُشاحن**»(٢).

٢٥٠- وروت عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله جل اسمه يطلع ليلة النِّصف من شعبان إلى سماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عَدد شَعر غنم كلب**»(٣).

---

(١) حديث صحيح بمجموع طرقه، ذكر المصنف منها طريقين أما حديث أبي بكر، فرواه البزار (٢/ ٤٣٥ - زوائد) وابن أبي عاصم (١/ ٢٢٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٦) والدارقطني في «النزول» (ص١٥٥- ١٥٧) واللالكائي (٢/ ٤٣٨- ٤٣٩) عن عمرو بن الحارث عن عبد الملك بن عبد الملك عن مصعب بن أبي ذئب عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عن عمه عن جده أبي بكر مرفوعاً به.
قال الذهبي في الميزان (٢/ ٦٥٩): قال البخاري: في حديثه نظر، يريد حديث عمرو بن الحارث عن عبد الملك أنه حدثه عن المصعب بن أبي ذئب... وساق الحديث.
قلت: يتقوى الحديث بما بعده.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٢٢٤) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٧٠) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٨- ١٠٩) والأوسط- كما في المجمع (٨/ ٦٥)- والدارقطني في «النزول» (ص١٥٨) عن الأوزاعي وابن ثوبان عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل مرفوعاً به.
ورجاله ثقات- كما قال الهيثمي في المجمع- مكحولاً كثير الإرسال، وقد عنعن.
وانظر كتاب «العرش» بتحقيقي (ص٩٣- ٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢٣٨) والترمذي (٣/ ١٠٧) وابن ماجه (١/ ٤٤٤) والدارقطني في الصفات (ص١٦٩- ١٧٠) واللالكائي (٢/ ٤٤٨) عن الحجاج بن أرطأة عن يحيى بن أبي =

٢٥١- وروى أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله يُمهل حتى إذا ذهب ثُلث الليل هبط عزَّ وجلَّ، فقال: هل من داعٍ يستجاب له، هل من سائل يُعطى سُؤله، هل من مُستغفر من ذنب»(١).

٢٥٢- وروى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إذا ذهب شطرُ الليل الأول، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائلٍ فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، حتى ينشق الفجر»(٢).

= كثير عن عروة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلةً، فخرجت فإذا هو بالبقيع، فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله، إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «إن الله عزَّ وجلَّ ينزل... فذكره.

قال الترمذي: حديث عاشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمداً يضعف هذا الحديث، وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. قلت: فيه إذاً انقطاع في موضعين.

وله إسناد آخر، أخرجه الدارقطني في «الصفات» (ص١٧٠- ١٧٢) عن سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وبات رسول الله ﷺ عندي فلما كان في جوف الليل فقدته... الحديث مطولاً.

وفيه: سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي، عامة أحاديث مناكير (الميزان ٢/ ٢٢١).

وأخرجه الدارقطني (ص١٧٢) عن محمد بن عباد أنا حاتم بن إسماعيل عن مضر بن كثير عن يحيى بن سعيد بن عمروة عن عائشة بنحو الحديث السابق.

حاتم بن إسماعيل هو المدني يروي عن يحيى بن سعيد، ومضر لم أجد له ترجمة.

(١) أخرجه أحمد (ص/ ٣٨٣) (٣/ ٣٤، ٤٣، ٩٤) ومسلم (١/ ٥٢٣) وابن ماجة (١/ ٤٣٥) وابن حبان (٢/ ١٣٧) من طرق عن أبي إسحاق عن الأغرّ أبي مسلم يرويه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ فذكره.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٩) (١١/ ١٢٨- ١٢٩) ومسلم (١/ ٥٢١) عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٤) عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة مرفوعاً به.

وأخرجه مسلم (١/ ٥٢٢) عن أبي صالح وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن مرجانة عن أبي هريرة مرفوعاً به، وألفاظها متقاربة.

٢٥٣- وحدثنا أبو القسم بإسناده: **عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «[إن الله][(١)] يُمهل حتى إذا ذهب شطر الليل، نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مُستغفرٍ يُغفر له، هل من داعٍ يستجاب له، هل من تائب فأتوب عليه، حتى ينشق الفجر ثم يرتفع»**[(٢)].

٢٥٤- وقرئ على أبي الفرج أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن المسلمة المعدل في داره وأنا حاضرٌ أسمع قال: أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢١٩) والدارقطني في النزول (ص١٣٨-١٣٩) عن محمد بن عبد الله الخزاعي حدثنا مالك بن سُعير حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد.
وعن أبي إسحاق عن الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد.
وعن حبيب بن أبي ثابت عن الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ فذكره. وإسناده حسن، مالك بن سُعير (وقع عند ابن أبي عاصم والدارقطني: سعيد وهو خطأ) هو ابن الخمس التميمي، قال أبو زرعة وأبو حاتم: صدوق، وكذا الدارقطني وقال أبو داود ضعيف، وقال الحافظ: لا بأس به، ومحمد بن عبد الله الخزاعي وهو أبو الحسن الصنعاني المقدسي الخلنجي، قال النسائي: كتبت عنه ببيت المقدس، صدوق. ولم ينفرد به، بل تابعه مؤمل بن أهاب، أخرجه الأجري في «الشريعة» (ص٣٠٩) ومؤمل صدوق له أوهام، قاله الحافظ.
وأخرجه الدارقطني في «الصفات» (ص١٣٣) عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل يهبط إلى هذه السماء، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت، ثم قال: هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من مستغيث أغيثه، هل من مضطر أكشف عنه ضره، فلا يزال كذلك، حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا، ثم يصعد إلى السماء».
وفيه يونس بن أبي إسحاق وهو السبيعي، صدوق يهم قليلًا، لكن سماعه من أبيه بعد الاختلاط، قاله أبو زرعة (انظر شرح علل الترمذي لابن رجب ص ٣٧٤)، لكنه يتقوى بما سبق.

ابن إبراهيم الجواليقي قال نا محمد بن عثمان بن أبي سويد الزارع القرشي قال نا عبد الرحمن بن المبارك قال نا الفضيل بن سليمان النميري قال نا موسى بن عقبة عن إسحق[(١)] بن يحيى بن الوليد عن عُبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الله تبارك وتعالى كُلَّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من سائلٍ فيعطى سُؤله، هل من مُستغفر فيغفر له، هل من عانٍ فيُفَكُّ عانيه، قال فيكون كذلك، حتى يُصَلِّى الصُّبح، ثم يعلو ربنا تبارك وتعالى على كرسيه**»[(٢)].

٢٥٥- وروى أبو بكر أحمد بن إسحق الصبغي: عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من أيامٍ أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض**»[(٣)].

---

(١) في الأصل: عن أبي إسحاق، وهو خطأ والتصويب من التهذيب وغيره.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٢- ٣١٣) والطبراني في الكبير والأوسط- كما في المجمع (١٠/ ١٥٤)- عن موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت مرفوعاً به.
قلت: فيه انقطاع وجهالة.
قال البخاري عن إسحاق بن يحيى: لم يلق عبادة (التهذيب (١/ ٢٥٦)).
ولم يرو عنه سوى مرسي بن عقبة، ولذا قال الحافظ: مجهول الحال.
وقد أعلّه الهيثمي بالانقطاع فقط!
وله شاهد من حديث جابر، أخرجه الدارقطني في «الصفات» (ص٩٦- ٩٧) من طريق محمد ابن إسماعيل الجعفري حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر عبد الله الأنصاري مرفوعا بنحوه.
وإسناده ضعيف جداً، عبد الله بن سلمة (وقع في المطبوعة: مسلمة) هو المزني، سئل أبو زرعة عنه فقال: منكر الحديث (الجرح ٥/ ٧٠). ومحمد بن إسماعيل الجعفري، قال ابن أبي حاتم سألت عنه أبي فقال: منكر الحديث (الجرح ٧/ ١٨٩).

(٣) صحيح، أخرجه البزار (٢/ ٢٨- ٢٩- زوائد) وزأبو يعلى (٤/ ٦٩- ٧٠) وابن حبان في =

....

= «صحيحه» (٦/ ٦٢).
عن محمد بن مروزان العقيلي عن هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أفضلُ عند الله من أيام عشر ذي الحجة»، قال فقال رجل: يا رسول الله! هي أفضل أم عدتّهن جهاداً في سبيل الله؟ فقال: «هي أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، إلا عَفيراً يُعفر وجهه في التراب، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا عبادي شعثاً غبراً ضاحين، جاؤوا من كل فج عميق، لم يروا رحمتي ولم يروا عذابي، فلم أر يوماً أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة».
ذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٥٣) وقال: رواه أبو يعلى وفيه: محمد بن مروان العقيلي وثقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار إلا أنه قال: أفضل أيام الدنيا أيام العشر. اهـ وقال في موضع آخر (٤/ ١٧): وقد تقدم بطوله، رواه البزار وإسناده حسن، ورجاله ثقات. قلت: أما محمد بن مروان، فقد قال فيه أبو داود: صدوق وقال مرة: ثقة، وقال الحافظ: صدوق له أوهام، والحديث فيه أيضاً عنعنة أبي الزبير عن جابر. ولم يتفرد به هشام، فقد تابعه أيوب السختياني.
أخرجه البزار (٢/ ٢٨- زوائد) من طريق عاصم بن هلال عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر به. وعاصم هو البارقي ضعفه ابن معين، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال أبو داود: ليس به بأس وقال الحافظ: فيه لين.
وتابعه (أي هشاما) مرزوق أبو بكر، أخرجه البزار (٢/ ٢٩- زوائد) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٦٣). وقال ابن خزيمة: أنا أبرأ من عهدة مرزوق. ومرزوق هو الباهلي (وقع في المطبوعة من البزار: مرزوق بن أبي بكر، وهو خطأ) صدوق .
ويشهد لشطر الحديث الأول، ما أخرجه البخاري (٢/ ٤٥٧) والطيالسي (٢٦٣١) وأبو داود (٢/ ٨٥١) والترمذي (٣/ ١٢١) وابن ماجه (١/ ٥٥٠) عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء».
أما شطره الثاني فيشهد له حديث عائشة في مسلم (٢/ ٩٨٢- ٩٨٣) مرفوعاً: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار، من يومن عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء».
وشاهد من حديث أبي هريرة، انظر التعليق على كتاب «العرش» (ص٩١).

٢٥٦- وروي عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥] قال: ينزل أهل السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الأرض من الجنّ والإنس، فيقول أهل الأرض: أفيكم ربّنا؟ فيقولون: لا- وذكر الحديث- ثم يأتي الربُّ في الكروبيين وهم أكثر أهل السماوات السبع والأرضين»[١].

اعلم أنَّ هذا حديث صحيحٌ، يجب الأخذ بظاهره من غير تأويل، ولا يجب أن يُستوحش من إطلاق مثل ذلك.

وقد نص أحمد عليه في رواية ابن منصور وقد سأله: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث [الليل][٢] الآخر إلى السماء الدنيا» أليس تقول بهذا الحديث؟ قال أحمد: صحيح.

٢٥٨- وقال أحمد بن الحسين بن حسان[٣] قيل لأبي عبد الله «إنَّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة» قال: نعم، قيل له: وفي شعبان كما جاء الأثر؟ قال: نعم.

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٥٠٦).
عن حجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول: إن هذه السماء إذا انشقت نزل من الملائكة أكثر من الجن والإنس...».
وفيه علتان: ضعف ابن جدعان، وتدليس ابن فضالة، ولم يتفرد به، فقد تابعه حماد بن سلمة. أخرجه ابن أبي حاتم- كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٥-٣١٦)- مطولاً، وقال ابن كثير: فمداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقاته غالباً، وفيها نكارة شديدة. اهـ وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٨) إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في «الأهوال» وابن المنذر والحاكم.

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) لم يزد صاحب طبقات الحنابلة على هذا الاسم وقال: من أهل سُرَّ من رأى، صحب إمامنا أحمد، وروى عنه أشياء. (طبقات الحنابلة (١/ ٣٩).

٢٥٩- وقال يوسف بن موسى(١) قيل لأبي عبد الله: إنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف؟ قال: نعم.

٢٦٠- وقال حنبل قلت لأبي عبد الله: ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم، قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟ فقال: اسكت عن هذا وغضب، وقال: مَالَك ولهذا! امض الحديث على ما روي.

والوجه في ذلك أنه ليس في الأخذ بظاهره ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا لا نحمله على نزول انتقال كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨] ولا على أن يخلوا(٢) منه مكان ويشغل مكان، لأنَّ هذا من صفات الأجسام، بل نطلق القول فيه كما أطلقناه في قوله ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا﴾ [يوسف: ٢] وليس يمتنع إطلاق ذلك، وإنْ لم يكن معقولاً في الشاهد، كما وصفناه بالحياة وأنَّه حي بحياة، ولم نصفه بالحركة والانتقال والتحول، وإنْ كنا نعلم في الشاهد أن الحي لا ينفك عن الحركة والانتقال والتحول، وكذلك قد وُصف أمره بالمجيء فقال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠] ولم يوجب ذلك انتقال في الموضعين، وكذلك جاء الليل وجاء النهار وجاءت الحمى، وإن لم يوجب ذلك انتقال، وكما أطلقنا القول بالاستواء وحمله بعضهم على العلو، ولم يوجب ذلك حدوثه في جهة

---

(١) هو يوسف العطار الحربي، كان ينزل في مربعة الخرسي، وروى عن أحمد بن حنبل مسائل كثيرة، روى عنه أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال وأثنى عليه ثناءً حسناً، قولا: كان يوسف هذا يهودياً أسلم على يدي أبي عبد الله وهو حدث، فحسن إسلامه ولزم العلم، وأكثر من الكتاب، ورحل في طلب العلم. (تاريخ بغداد (١٤/ ٣٠٨)، طبقات الحنابلة (١/ ٤٢٠- ٤٢١).

(٢) كذا في الأصل.

العلو بعد أنَّ لم يكن، وإنْ كان حقيقة، «ثُمَّ» في اللغة للتراخي، ولا أوجب له الجهة، وإن كان العلو غير السفل كذلك هاهنا(١).

٢٦١- وقد قال أحمد في رسالته إلى مسدد: إنَّ الله عزّ وجل ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخلو من العرش(٢).

فقد صرح أحمد بالقول إنَّ العرش لا يخلوا منه، وهكذا القول عندنا في قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] والمراد به مجيء ذاته لا على وجه الانتقال.

وكذلك قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] المراد به مجيء ذاته، لا على وجه الانتقال.

وقد حكينا كلام أحمد في ذلك في رواية أبي طالب وحنبل وكلام أبي إسحق في الكلام على قول النبي ﷺ **«أتاني ربي في أحسن صورة»**، وليس يمتنع أن نثبت له نزول ذات، لا على وجه الانتقال لا يعقل معناه، وإنْ لم يعقل هذا في الشاهد، كما أثبتنا ذاتاً ويدين ووجهاً وعيناً لا يعقل معناه.

وقد عضد هذا الخبر القرآن، فذكر مقاتل(٣) في تفسيره في قوله تعالى:

---

(١) ذكرها اللالكائي (٢/ ٤٥٣) معلقة.

(٢) لم أجده في الرسالة المذكورة في ترجمة «مسدد» من طبقات الحنابلة (١/ ٣٤١- ٣٤٥).

(٣) هو مقاتل بن سليمان البلخي، المفسر، أبو الحسن، روى عن مجاهد والضحاك وابن بريدة، وعنه حرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وخلق. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال مقاتل بن حيان: ما وجدت علم مقاتل بن سليمان إلا كالبحر.
وقال الشافعي: الناس عيال في التفسير على مقاتل.
وقال وكيع: كان كذاباً، وقال البخاري: قال سفيان بن عيينة: سمعت مقاتلًا يقول: إن لم يخرج الدجال سنة خمسين ومئة فاعلموا أني كذاب. وقال البخاري: سكنوا عنه، وقال النسائي: كان مقاتل يكذب وعن يحيى قال: ليس حديثه بشيء.
وقال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل- يعني في الإثبات- حتى جعله مثل خلقه. وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى =

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الرحمن: ٣٧] بمعنى انفرجت، وهو البياض الذي في وسط السماء لنزول من فيها، يعني الرَّب والملائكة(١).

فإن قيل: المراد بقوله «ينزل الله تبارك وتعالى» معناه ينزل من أفعاله التي هي ترغيب لأهل الخير، وإقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف، بالتذكير والتنبيه، الذي يُلقى في قلوب أهل الخير، حتى يستغفروه(٢).

قيل: هذا غلطٌ، لوجوه أحدها: أنه لم يكن غير مقبل فأقبل عليهم، بل كان مقبلاً قبل ذلك، يُبين صحة هذا قول النبي ﷺ «**ولا يزالُ اللهُ مُقبلاً على**

= من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في التفسير.
وقال الذهبي: أجمعوا على تركه.
وقال الحافظ في التقريب: كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم.
مات سنة نيف وخمسين ومئة.
(الميزان (٤/ ١٧٣- ١٧٥)، التهذيب (١٠/ ٢٧٩- ٢٨٥)، السير (٧/ ٢٠١- ٢٠٢).

(١) قال ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٨٢): وقوله ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن انشقت السماء وتفطرت- وذلك يوم القيامة فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر. اهـ وقال ابن كثير (٤/ ٢٧٥): أي تذوب كما يذوب الدردري. والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة.

(٢) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٧٤- ٧٥).
وكذا تأوله أبو سليمان الخطابي- كما في «الأسماء» للبيهقي (ص٤٥٣)- ولم أجده في المطبوع من معالم السنن (٤/ ٣٣١- ٣٣٢) في الكلام على حديث النزول.
وذكر هذا التأويل النووي في شرحه (٦/ ٣٧).
وأنكر الحافظ ابن حجر على من حمل الخبر على ظاهره فقال: وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم؟!
وذكر تأويل ابن العربي للحديث، ثم قال: والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو المَلَك بأمره؟؟ وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه؟! (انظر الفتح (٣/ ٣٠-٣١).
وهذه كلها تأويلات باطلة، والسلف أثبتوا نزولا حقيقاً يليق الله سبحانه، من غير تمثيل أو تأويل.

عبده في الصلاة»[(١)].

الثاني: أنه إن جاز تأويله على هذا، جاز تأويل قوله «ترون ربكم» على الرؤية إلى رحمته.

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد وابنه عبد الله (٥/ ١٧٢) وأبو داود (١/ ٥٦٠) والنسائي (٨/ ٣) والدارمي (١/ ٣٣١) والحاكم (١/ ٢٣٦) والبيهقي في «سننه» (٢/ ٢٨١، ٢٨٢) والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٥٣) عن يونس عن الزهري سمعت أبا الأحوص مولى بني ليث يحدث في مجلس ابن المسيب وابن المسيب جالس أنه سمع أبا ذر يقول قال رسول الله ﷺ فذكره، وتمامه: «فإذا صرف وجهه انصرف عنه».
قال المنذري في «مختصر السنن» (١/ ٤٢٩): وأخرجه النسائي، وأبو الأحوص هذا لا يعرف له اسم، وهو مولى بني ليث، وقيل: مولى بني غفار، ولم يرو عنه غير الزهري، قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو أحمد الكرابيسي: ليس بالمتين عندهم. اهـ.
قلت: وقال الحافظ في التقريب: مقبول.
وأغرب النووي قال: هو فيه جهالة، لكن الحديث لم يضعفه أبو داود فهو حسن عنده! (نصب الراية ٢/ ٨٩).
وأخرجه البغوي (٣/ ٢٥٣) عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري به، وصالح ضعيف.
لكن قد جاء في حديث يحيى عليه السلام الطويل «... وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت...».
أخرجه الطيالسي (١١٦١) وأحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢) والترمذي (٥/ ١٤٨- ١٤٩، ١٤٩) والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (٣/ ٣)- وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ٤٣- ٤٤) والآجري في الشريعة (ص٨) والحاكم (١/ ٤٢١- ٤٢٢) عن أبان بن يزيد العطار (إلا أحمد فمن طريق موسى بن خلف أبو خلف) عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلّام أن أبا سلام حدثه أن الحارث الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن...» الحديث.
قال الترمذي: حسن صحيح غريب.
قلت: ورجاله ثقات رجاله مسلم، ويحيى بن أبي كثير مدلس لكنه قد صرح بالتحديث عند ابن حبان.
ولم يتفرد به بل تابعه معاوية بن سلام أخو زيد بن سلام، وهو ثقة.
أخرجه ابن خزيمة (٢/ ٦٤- ٦٥) والحاكم (١/ ٢٣٦) والبيهقي (٢/ ٢٨٢).

الثالث: أنَّ في الخبر ما يُسقط هذا، وهو قوله «هل من سائل فيعطى سؤله هل من مستغفر فيغفر له» وهذه صفة تختص الذات، لا يصح وجودها من الرحمة والأفعال التي هي صفات قائمة بالذات.

فإن قيل: قوله «ينزل» معناه تنزل ملائكته بهذا النداء وبهذا الدعاء فيضاف ذلك إليه، كما يقالك ضرب الأمير اللص، ونادى في البلد، ومعناه: أمر بذلك، وكذلك قوله «ينزل عشية عرفة» يُحمل على ملائكته، وعلى نزول رحمته[1]؟!

قيل: هذا غلط لوجوه أحدها: أن في الخبر «ينزل ربنا عزّ وجل» وهذا لا يصح حمله على ملائكته، كما إذا قيل: نزل الملك ببلد كذا، لا يُعْقَل منه نزول أصحابه.

الثاني: قد رُوي في بعض الألفاظ ما يُسقط هذا.

٢٦٢- وهو ما حدثناه أبو القسم بإسناده: عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل، فيفتح الذكر في الساعة الأولى، الذي لم تره عين فيمحوا الله ما يشاء ويُثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي داره وهي مسكنه التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بَشَر، وهي مسكنه لا يسكنها معه من بني آدم إلا ثلاث: النبيون والصديقون والشهداء، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا وملائكته، فتنتفض فيقول: قومي بعزتي، ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفرٍ فأغفر له، ألا من يسألني فأعطيه، ألا من داعٍ فأجيبه، حتى تكون صلاة الفجر،**

---

(١) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٧٥).

ولـذلـك يـقـول الـلـه ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] (١).

وهذا يُسقط التأويل، لأنه قال: «ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا وملائكته»، فأثبت نزول ذاته ونزول ملائكته.

فإن قيل: يحتمل قوله «ينزل وملائكته» معناه ينزل بملائكته.

قيل: هذا غلط، لأن حقيقة الواو للعطف والجمع، ولأنه قال في الخبر «ألا من يسألني فأعطيه ألا من داعٍ فأجيبه» وهذا القول لا يكون لملك.

الثالث: أنه إنْ جاز تأويل هذا على نزول ملائكته، جاز تأويل قوله «ترون ربكم» على رؤية ملائكته.

٣٦٣- وجواب آخر جيد: وهو ما رواه إبراهيم بن الجنيد الختلي في كتاب «العظمة» بإسناده: عن أنس أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله جل اسمه إذا أراد أن ينزل نزل بذاته**»(٢).

فإن قيل: فقد روي بضم الياء «يُنزل الله» وإذا كان كذلك، صح التأويل بأنه ينزل من أفعاله التي هي ترغيب لأهل الخير، واستعطاف لأهل العطف.

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٥) والبزار (٤/ ١٩٢) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» (٨٦- بتحقيقي) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٥- ١٣٦) والدارقطني في «النزول» (ص١٥١- ١٥٢) واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢/ ٤٤٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٣٨) عن الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء مرفوعاً به.
قلت: وعلته: زيادة بن محمد الانصاري، قال أبو حاتم والبخاري والنسائي: منكر الحديث، وأورد الذهبي في الميزان (٢/ ٩٨) الحديث ثم قال: فهذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير «زيادة».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.

قيل: هذا غلط، لأنه لا يُحفظ هذا عن أحد من أصحاب الحديث أنه روى ذلك بالضم، فلا يجوز دعوى ذلك، والذي يُبين بطلان ذلك قوله «ألا من يسألني فأعطيه، ألا من داعٍ فأجيبه» وهذه صفة تختص بها الذات دون الأفعال، وما هذه الزيادة ألا تحريف المبطلين لأخبار الصفات.

فإن قيل: يحمل قوله «ثم يعلوا» المراد به ملائكته.

قيل: هذا غلط، لأنه قال في الخبر «ثم يعلوا على كرسيه» وليس هذه صفة للملائكة لأن الكرسي مضاف إليه، وكذلك قوله «ثم يرتفع» لا يصح حمله على الملائكة، لأن هاء الكناية ترجع إلى المذكور.

فإن قيل: أليس قد قال تعالى ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧] وكان طمس الأعين من الملائكة بأمر الله، فلا يمتنع أن يكون تنزُّل الملائكة بأمر الله، وكذلك قوله ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] وقال ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وقوله تعالى ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ [الشمس: ١٤] كل ذلك المراد به فعل يظهر منه كذلك ها هنا.

قيل: هذا غلطٌ، لأن تلك الآيات لم يقترن بها ما دل على أنَّ المراد به نفس الذات فالأمر فيها محتمل، فحمل على أفعاله، وأما ها هنا ففي سياق الخبر ما دلَّ على أنَّ المراد به الذات من الوجه الذي ذكرناه.

فأما قوله في حديث أبي سعيد وأبي هريرة «إذا ذهب ثلث الليل هبط» فالقول فيه كالقول في الرواية المشهورة «نزل» وأنَّ ذلك إخبارٌ عن هبوط الذات ونزولها.

وأما قوله في حديث أبي الدرداء «ينزل في الساعة الثانية جنة عدن

وهي داره ومسكنه لا يسكنها معه إلا النبيون والصديقون والشهداء» فإنه غير ممتنع حمله على ظاهره، وأنه يجوز إطلاق القول بأنَّ جنة عدن داره ومسكنه، لا على وجه الحد والجهة، كما أطلقنا القول بالاستواء على العرش، لا على وجه الجهة، وقد دلَّ على صحته هذا الإطلاق قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [تبارك: ١٦] فأخبر أنه في السماء ولا يمتنع أيضاً جواز إطلاق القول بأن الأنبياء والشهداء والصديقين سكان معه.

٢٦٤- ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] حدثنا أبو القسم بإسناده: عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قول ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: يُجلسه معه على السرير[(١)].

وأما قوله في حديث أبي الدرداء[(٢)] «يمحو الله ما يشاء ويثبت» فليس ذلك على معنى تغيير حكمٍ قد استقر، لكن على معنى تجديد كراماته ونعمه، ويأتي الكلام على هذا مستوفى في قوله تعالى ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ [الرعد: ٣٩] وهو مذكور في حديث النبي ﷺ **«من سرَّه أن يمدَّ الله في عُمره، ويُوسع عليه في رزقه، فليتَّق الله وليَصِل رَحِمَه»**[(٣)].

وأما قوله في حديث أبي الدرداء «وينزل في الساعة الثالث وملائكته» فغير ممتنع حمله على ظاهره، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٢٦- ٣٢٨) إلى ابن مردويه والديلمي.
(٢) في الأصل؛ أبي ذر وهو خطأ، وكذا في الموضع الثاني.
(٣) يأتي تخريجه والكلام عليه.

﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١] وقد امتنع قومٌ من إطلاق ذلك، وقالوا قوله «جنة عدن داره ومسكنه» معناه: دار كرامته ومثوبته، وهذا غلط لوجهين **أحدهما**: أنَّ جنة عدن لا تختص بكرامته ومثوبته[١] لأن سائر الجنان كذلك.

والثاني: أنه إنْ جاز تأويله على هذا، جاز تأويل الاستواء على العرش، على كرامته ومثوبته، وتأولوا قوله «لا يسكنها معه إلا الأنبياء والشهداء» على أنه معهم بالنصرة والكرامة، وهذا غلط، لأنَّ ذلك يُسقط فائدة التخصيص بجنة عدن، لأنه ناصرهم في غيرها، ولأنَّ لفظة السُّكنى لا تستعمل في النصرة.

٢٦٥- وقد ذكر أبو بكر النقاش[٢] في كتاب «الرسالة» في قوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]: لو كان الجائي غيره، لكان الجائي غير الملك، وحُكي عن إسحق بن راهويه أنه قال: سألني رجل من الجهمية أنه قال: إذا نزل إلى السماء الدنيا يخلوا منه العرش؟ قال فقلت: يقدر أن ينزل ولا يخلوا منه العرش؟ قال: فسكت، قال فقلت: إنْ قُلتَ يقدر خُصمتَ، وإن قلت لا يقدر كفرت، ولأن تكون مخصوماً، خير من أن تكون كافراً.

قال إسحق: وسألني رجل عن نزول الرب، وما توهم الرجل عند ذلك، فقلت: ما توهم عند قوله ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ

---

(١) في هامش الأصل: في الأصل «ومثبوته» وفي التي تليها والصواب مثوبته. اهـ

(٢) تقدمت ترجمته.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] فيكون توهمك عند النزول مثل توهمك ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾.

٢٦٦- وقد ذكر أبو بكر عبد العزيز من أصحابنا في كتاب «التفسير» في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فقال: اختلف في صفة إتيان الرب في قوله ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه، من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد، إلا بخبر من الله أو من رسوله، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج، إلا بما ذكرنا.

وقال آخرون: إتيان الله جلّ ذكره نظير ما يُعرف من مجيء الجائي من موضع إلى موضع، وانتقاله من مكان إلى مكان.

وقال آخرون: معنى قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] معناه: أمر الله؟! كما يقال: قد خشينا أن يأتينا بنو أمية، يُراد به حكمهم.

وقال آخرون: معنى ذلك هل ينظرون إلا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعقابه. كما قال ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] وكما يقال: قطع الوالي اللص أو ضربه، وإنما قطعه أعوانه. وغلّب أبو بكر الوجه الأول، وروى في ذلك بإسناده: عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً وذلك قوله** ﴿هَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] (١).

٢٦٧- وروى بإسناده حديثاً طويلًا ذكرت بعضه: عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**توقفون موقفاً واحداً يوم القيامة مقدار سبعين عاماً، لا ينظر إليكم، ولا يقضي بينكم قد حُصر عليكم، فتبكون حتى ينقطع الدمع، ثم تدمعون دماً وتبكون حتى بلغ ذلك منكم الأذقان، ويلجمكم فتضجُون، ثم تقولون: من يشفع لنا على ربنا حتى يأتوني فإذا جاؤني خرجت حتى آتي الفحص**»، قال أبو هريرة: يا رسول الله ما الفحص؟ قال: «قدام العرش فأخر ساجداً» وذكر الخبر إلى أن قال «فيقول: قد شفَّعتك، فأنصرف حتى أقف مع الناس، فبينا نحن وقوف سمعنا حِسًّا من السماء شديداً فهالنا، فنزل أهل السَّماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض لنورهم، فقلنا: أفيكم ربنا؟ فقالوا: لا وهو آت» وذكر الخبر إلى أن قال «ثم ينزل أهل السماوات على قدر ذلك من التضعيف، حتى نزل الجبار تعالى ذكره في ظللٍ من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم، فينزل ربنا تبارك وتعالى

---

(١) إسناده «ضعيف» أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٩١) حدثنا محمد بن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً به.
قلت: إسناده ضعيف، لضعف زمعة بن صالح وابن المختار وابن حميد. وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٥٨٠) للديلمي.
وعزاه إلى عبد بن حميد وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس موقوفاً بنحوه.

يحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والسماوات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم، فوضع الله عز وجل عرشه حيث شاء من الأرض، ثم ينادي نداءاً يسمع الخلائق»(١) وذكر الخبر.

قال أبو بكر: وبمثل ذلك روي الخبر عن جماعة من الصحابة والتابعين، ويؤكد صحة هذا وأنَّ المراد بالإتيان والمجيء الذات قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فلما قصد إتيان الآيات صرح بذكرها.

* * *

(١) إسناده ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٩٢) حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن إسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره مطولًا.

قلت: فيه جهالة الأنصاري، وضعف يزيد بن أبي زياد، وإسماعيل بن رافع المدني (وقع عند ابن جرير: المديني، والتصويب من التهذيب وغيره).

[بيان أنَّ الله تعالى حِجَابه النُّور أو النَّار]
[حَديثُ آخر]

٢٦٨- حدثنا أبو القسِم بإسناده: عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ بأربع كلمات قال: «**إنَّ الله لا يَنَام ولا ينبغي أنْ ينام، يَخْفض القِسْط ويَرفعه، يُرفَعُ إليهِ عَمَلُ النَّهارِ قبلَ الليل، وعملُ الليلِ قبل النَّهار، حِجَابُه النَّارُ، لو كَشَفَها أَحْرَقت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كل شيءٍ أدركه بَصَرُهُ**».

وفي لفظٍ آخر: «**حجابُهُ النُورُ لو كَشَفَها لأَحْرَقت سُبُحاتُ وَجْهِهِ كل شيءٍ أدْركه بَصرَهُ من خَلقه**»(١).

٢٦٩- وحدثنا أبو القسم بإسناده: عن سهل بن سعد قال رسول الله ﷺ: «**دُون الله سَبعون ألف حجابِ من نُور وظُلمة، وما تَسمعُ نَفْسٌ شيئاً من حسٍّ تلك الحُجُبِ إلا زَهَقَتْ نفسها**»(٢).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٠٥) ومسلم في الإيمان (١/ ١٦١- ١٦٢) وابن ماجه (١/ ٧٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٩، ٧٥) والآجرّي في «الشريعة» (ص٣٠٤) من طريق أبي معاوية الضرير حدثنا الأعمش عن عمرو بن مُرَّة عن أبي عبيدة به.
وعند مسلم الراويتان معاً: «حجابه النور» و«حجابه النار».
وأخرجه مسلم (١/ ١٦٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٣، ٦١) وفي «النقض على المريسي» (ص١٧٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٨٠) عن جرير عن الأعمش به.
وقد تابع شعبةُ الأعمش عند مسلم (١/ ١٦٢). وتابعه سفيان.
أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١٩-٢٠) والآجري في «الشريعة» (ص٢٩٠-٢٩١) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٨٠) عن سفيان عن عمرو بن مرة به.
والمسعودي عند البيهقي في الأسماء (ص١٨٠-١٨١).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٨٨) وأبو يعلى - كما في المجمع (١/ ٧٩)- والطبراني في الكبير (٦/ ١٤٨/ ٥٨٠٢) والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٠٢) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٦) عن مكي بن إبراهيم ثنا موسى بن عبيدة الربذي عن عمر بن الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعن أبي حازم عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا به. =

٢٧٠- وذكر أبو بكر أحمد بن إسحاق الصَّبغي[1] أخباراً أُخر في هذا المعنى في كتاب الأسماء والصفات: فروى عن عبد الرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ قال: «رأيتُ البارحة عَجَباً، رأيت من أمتي رجلاً جاثياً على رُكبتيه بينه

= قال البيهقي: تفرد به موسى بن عبيدة، وهو عند أهل العلم بالحديث ضعيف.
وبذلك أعلّه الهيثمي في المجمع (١/ ٧٩).
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٦٤) إلى العقيلي وذكره بسنده في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٤)، ولم أجد في مطبوعة الدكتور!!
ورواه الدارقطني في الأفراد- كما في «الآلئ المصنوعة (١/ ١٤)- وعنه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١١٦) بسياق أطول وفي سنده: حبيب بن أبي حبيب زريق الحنفي أبو محمد المصري كما في تهذيب الكمال (١/ ٢٢٧) فإنه يروى عن هشام بن سعد وعنه محمد ابن يوسف ابن أبي معمر، قال أحمد: كان يكذب، وقال أبو داود: كان من أكذب الناس.
وليس هو أخو حمزة الزيات كما قال السيوطي!

(١) هو الإمام العلامة المفتي المحدث، شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الشافعي المعروف بالصِّبْغي مولده ٢٥٨هـ، سمع من إسماعيل بن قتيبة والحارث ابن أبي أسامة وغيرهما، حدث عنه أبو علي الحافظ وأبو أحمد الحاكم وأبو بكر الإسماعيلي وأبو عبد الله الحاكم، وجمع وصنف وبرع في الفقه، وتميَّز في علم الحديث.
قال الحاكم سمعت أبا الفضل بن إبراهيم يقول: كان أبو بكر بن إسحاق يخلف إمام الأئمة ابن خزيمة في الفتوى بضع عشرة سنة في الجامع وغيره.
وقال الحاكم: ومن تصانيفه كتاب «الأسماء والصفات» و«الإيمان» و«القدر» و«الخلفاء الأربعة» و«الرؤية» و«الأحكام»، و«الإمامة».
ومات في شعبان ٣٤٢هـ.
تنبيه: تصحَّفَ في الكتاب إلى «الضبعي» وكذا في العبر والشذرات وطبقات الشافعية، والصواب «الصِّبغي» نسبةً إلى بيع الصبغ، كما في الأنساب واللباب وغيرهما، وكذا ضبطه الذهبي في المشتبه (٢/ ٤٠٧).
(الأنساب (٨/ ٣٣- ٣٤)، العبر (٢/ ٢٥٨- ٢٥٩)، السير (١٥/ ٤٨٣- ٤٨٩) طبقات الشافعية (٢/ ٨١-٨٢)).

وبين الرَّب حجابٌ، فأخذ بيده فأدخله على الله تعالى ذكره»[1].

٢٧١- وذكر حديثُ صُهيب أنَّ النبي ﷺ قرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وذكر الحديث وقال فيه: «**فيكشف لهم عن الحجاب، فينظرون إليه**»[2].

٢٧٢- وذكر حديث عُمر أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ موسى قال: يا رب أرني أبانا آدم**» وذكر الحديث فقال فيه: «**فقال آدم: من أنت؟ قال: موسى، فقال: أنت الذي كلَّمك الله مِنْ وراءِ الحجابِ، لم يَجعل بَينك وبَينه رسولاً مِنْ خَلقه**»[3].

---

(١) لم أجده!

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢- ٣٣٣) (٦/ ١٥-١٦) ومسلم في الإيمان (١/ ١٦٣) والترمذي (٤/ ٢٥٥٢) والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (٤/ ١٩٨)- وابن ماجة (١/ ١٨٧) عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب مرفوعاً: «إذا دَخَل أهل الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النَّار؟ قال: فيكشِفُ الحِجَابَ فما أُعطوا شيئاً أَحَبَّ إليهم من النَّظر إلى ربهم عزَّ وجلَّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. لفظ الإمام مسلم.

(٣) حديث صحيح، أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (٥/ ٤٧٠٢) ومن طريقه البيهقي في «الأسماء» (ص١٩٣-١٩٤) وابن أبي عاصم (١٣٧، ٦٠١) وأبو عوانة- كما في الفتح (١١/ ٥٠٦) وأبو يعلى (١/ ٢٠٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٤٣- ١٤٤) والدارمي «في الرد على الجهمية (ص١٤٠) وأحمد النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٣٠) والآجري (ص١٧٩- ١٨٠) عن ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ موسى قال: يا ربِّ، أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنَّة...» الحديث.

وإسناده حسن، من أجل هشام بن سعد المدني وهو من رجال مسلم، صدوق له أوهام، وحسَّن حديثه الذهبي كما في الكاشف.

والحديث في الصحيحين من رواية أبي هريرة من طرق عنه، انظر البخاري (٦/ ٤٤١) (٨/ ٤٣٤- ٤٣٥) (١١/ ٥٠٥) (١٣/ ٤٧٧) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٢- ٢٠٤٤) والترمذي =

٢٧٣- وذكر حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكر وصيته نوح ابنه فقال: «**أنهاكَ عن الكِبْر والشِّرك، فإنَّ الله يحتجب عنهما**»(١).

= (٤/ ٢١٣٤) والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (١٠/ ١٢٧- ٢١٤)- وابن ماجه (١/ ٨٠).
قال ابن عبد البر: هذا الحديث ثابت بالاتفاق رواه عن أبي هريرة جماعةٌ من التابعين، وروي عن النبي ﷺ من وجوهٍ أخر من رواية الأئمة الثقات الأثبات.
قال الحافظ: وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة، ثم ذكرها، انظر الفتح (١١/ ٥٠٦).

(١) إسناده صحيحن أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩- ١٧٠، ٢٢٥) والبخاري في «الأدب المفرد (٥٤٨) والحاكم (١/ ٤٨- ٤٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٠٣):
عن الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جُبَّةُ سيجان مَزْرُورة بالدِّيباج، فقال: «الا إنَّ صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس- قال يريد: يضع كل فارس ابن فارس- ويرفع كل راع ابن راع، قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جُبَّته وقال: «ألا أرى عليك لباسَ مَنْ لا يَعقَل!» ثم قال: «إنَّ نبي الله نوحاً» ﷺ لمَّا حضرته الوفاةُ قال لابنه: إني قاصٌّ عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنها عن اثنتين، آمرك: بلا إله إلا الله، فإن السَّموات السَّبع والأرضين السبع لو وُضعتْ في كَفَّةٍ، ووضعت لا إله إلا الله في كَفَّةٍ رجحت بهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاةُ كُلِّ شيء، وبها يُرْزَقُ الخَلْقُ، وأنهاك عن الشِّرك والكِبْر» قال قلت أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر؟ قال: أنْ يكون لأحدنا نعلان حَسَنَتان لهما شراكان حَسَنان؟ قال: «لا» قال: هو أنْ يكون لأحدنا حُلَّة يلبسها؟ قال: «لا»، قال: «الكبر هو أنْ يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: «لا» قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحابٌ يجلسون إليه؟ قال: «لا» قيل: يا رسول الله فما الكِبْر؟ قال: «سَفَهُ الحقِّ، وغَمْصُ الناس».
قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجا للصقعب بن زهير، فإنه ثقة قليل الحديث، ووافقه الذهبي وزاد: ورواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلاً.
وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٢٠) ثم قال: رواه كله أحمد والطبراني بنحوه ثم قال: ورجال أحمد ثقات. وهو كما قالوا.
وليس في هذه الرواية (رواية ابن عمرو) ذكر الحجاب، وإنما ورد ذلك في رواية ابن عمر. =

٢٧٤- وذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله ديكاً يُجاوِزُ رَأْسه كذا، والحجاب السَّبْعين، ورِجْلاه قد جَاوَزَتا السَّبْع الأرضين**»(١).

اعلم أنه غير مُمتنع إطلاق حجاب هو نور من دون الله، لا على وجه الإحاطة والحدِّ والمحاذاة، كما أجزنا رؤيته سبحانه لا على وجه الإحاطة به والجهة والمقابلة، وإنْ كُنَّا لا نجد في الشاهد مرئياً إلا في جهة المقابلة، وكما جاز إطلاق وصفه بالاستواء على العرش، لا على وجه الجهة والحد والانتقال، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ [الأنعام: ٣٠] فأثبت الوقوف عليه لا في جهة، ويعضد ذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] فوصف نفسه بالحجاب، كذلك ها هنا.

= أخرجها البزار (٤/ ٣٠٦٩) عن أبي معاوية الضرير عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: «الا أخبركم بوصية نوحٍ ابنه؟...» الحديث، وفيه: «وأنهاك عن اثنتين: الشرك والكبر، فإنهما تحجبان عن الله».
ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٤) وقال: وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح.
والحديث يعتضد بما قبله.

(١) فيه جهالة، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٥٢٣) عن حرب بن سريج حدثتنا زينب بنت يزيد العتكية قالت: كنا عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فجاء رهطٌ من أهل الشام فيهم شهر بن حوشب، فذكروا الصلاة ومواقيتها، فقالت: إني أحبّ أن أتخذ ديكاً، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ لله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه تحت سبعِ أرضين، ورأسه قد جَاوز سبع سماوات، يَسْقع في إبان الصلوات، فلا يبقى ديكٌ من ديكةَ الأرض إلا أجابه» فلا أحب أن يعدم بيتي أن اتخذ الديك.
زينب العتكية لم أجد لها ترجمة، وليس فيه ذكر الحجاب.
وأورده السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٦١) عن أبي الشيخ.

فأما قوله: «**كل شيء أدركه بصره من خلقه**» معناه: أنَّ نور وجهه يحرق ما يدركه من خلقه.

٢٧٥- وقد ذكر أبو عبد الله بن بطة في كتاب «الإبانة» قال أبو بكر عبد العزيز قال: أبو بكر أحمد بن هرون قال سألت ثعلباً عن قول النبي ﷺ: «**لأَحرقت سُبُحات وَجهه**» فقال: السَّبحات- يعني من ابن آدم- الموضع الذي يَسْجد عليه[1].

فإن قيل: الحجاب راجعٌ إلى الخَلْق، لأنهم هم المحجوبون عنه بحجابٍ يخلقه فيهم، وهو عدمُ الإدْراكِ في أبصارهم، ولا يجوز أنْ يكون الله سبحانه مُحتجباً ولا محجوباً بحجاب، لأنَّ ما سُتِر بالحجاب، فالحجاب أكبر منه ويكون متناهياً محاذياً جائزاً عليه المماسة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥]. فجعل الكفار مَحْجوبين عن رؤيته لما خُلِق فيه من الحجاب، ويبين هذا أنه لم يُضف الحجاب إلى الله تعالى بل أطلق ذكر الحجاب.

ويبين صحة هذا: ما رَوى علي كرم الله وجهه، رواه عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي أنه مَرَّ بقَصَّابٍ وهو يقول: لا والذي احتجب بسبعة أطباق، فقال علي رضي الله عنه: «**ويحك يا قصاب، إنَّ الله لا يحتجب عن خلقه**» وفي لفظٍ آخرٍ «**إنَّ الله لا يحتجب عن خلقه بشيء ولكن حَجَب خلقه عنه**»[2].

---

(١) لم أجده في المطبوع من كتاب «الإبانة» وهو يحوي المجلد الأول من الكتاب الأصلي. وسيذكر المصنف أحاديثًا وآثاراً أخرى، ولعلها في الباقي من الكتاب الذي لم يطبع. وفي لسان العرب (٣/ ١٩١٦): ويقال السُّبُحاتُ مواضع السجود. ولم يعزه لأحد.

(٢) لم أجده.

قيل: هذا غَلَطٌ، لما بيّنا أننا نُثبت حجاباً لا يُفضي إلى التناهي والمحاذاة والمُمَاسَّة، كما أثبتنا رؤيته لا على وجه التناهي والمحاذاة.

وقوله: «**لم يُضف الحجاب إليه**» غلطٌ، لأن في حديث أبي موسى: «**حجابه النور**» وهذا صريح في الإضافة.

وأما قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فلسنا نمنع أنْ يكون الخلق في حجابٍ عن ربهم، ولا نمنع إنْ يكون دونه حجاب نور، لوُرود الشرع بذلك، فليس في الآية ما ينفي ذلك.

وأما ما رُوي عن علي فإنما أنكر على القصاب حجاباً معقولاً، لأنَّ القصاب قال: احتجب بالسماوات، فرجع الإنكار إلى ذلك، ونحن لا نصف الحجاب بذلك.

وعلى أنه يعارض قول عليّ ما ذكره أحمد بن سليمان النَّجاد بإسناده: عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أنه قال: «**والذي نفسي بيده، إنَّ دون الله يوم القيامة سَبعون ألفَ حجاب إن منها حجابٌ، من ظُلمةٍ ما ينفذها شيءٌ، وإن منها لحجاب من نُورٍ ما يستطيعه شيءٌ، وإن منها حجاباً لا يَسمعها أَحَدٌ لا يَربط الله على قلبه إلا انخَلَعَ فؤاده**»[١].

فإنْ قيل: قوله في حديث ابن سمرة: «**بينه وبين الرب حجاب**» المراد به حجاب العبد من رحمة الرب، يعني أنّه كان ممنوعاً من الرحمة، وقوله:

---

(١) موقوف صحيح، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٧٣) حدثنا الوليد حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن أبي حازم حدثنا أبو حازم عن عمر بن الحكم ابن ثوبان عن عبد الله موقوفاً بنحوه.
ورجاله ثقات، سوى عمر بن الحكم فإنه تابعي صدوق، والوليد هو ابن أبان الأصبهاني، ثقة.
وأورده السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٥- ١٦) عن أبي الشيخ.

«أدخله على ربي» معناه: في رحمة ربي.

قيل: من سبق في علمه أنه يرحمه، لم يجعل بينه وبين رحمته حجاب، وكذلك من سبق في علمه عذابه، لا يجعل بينه وبين العذاب حجاب.

وأما تأويلهم الدخول، على الدخول في الرحمة، فلا يصح، كما لم يصح تاويل قوله: **«ترون ربكم»** على رؤية رحمته.

فإن قيل: قوله: **«لو كَشَفها عن وجهه»** معناه: لو كشف رحمته عن النار لأحرقت سُبُحات وجهه، أي أحرقت محاسن وجهه المحجوب عنه بالنار، فالهاء عائدةٌ على المحجوب لا إلى الله تعالى.

قيل: قد بَيَّنا أنَّ السُّبُحات صفة لوجهه سبحانه، وأنَّ الإحراق يكون لجميع ما يدركه نوره[1].

فإن قيل: لا يصحُّ أنْ يكون المحدث ولا القديم محجوباً بشيءٍ من سَوَاتر الأجسام المغطية المكتنفة المحيطة، وإنما يقال لهذه الأجسام الساترة أنها حجابٌ عن رؤية المحدث لما رآه، من أجل أنَّ المنع من الرؤية يحدث عنده فيسمى باسم ما يحدث عنده، وعلى هذا ما نقوله إنَّ البارئ سبحانه لا نراه في الدنيا لأنَّه في حجابٍ على طريق المجاز، وإنما المانع من رؤيته ما يحدثه من المنع، وإنَّما في حجابٍ على طريق المجاز، وإنما المانع من رؤيته[2] ما يحدثه من المنع، وإنَّما كان كذلك لأنَّ المانع من معرفة الشيء ورؤيته ومعاينته ما يمنع من وجود معرفته ومعاينته وما يمنع

---

(١) وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي نحواً من هذه التأويلات وردَّ عليها، في كتاب «النقض على المريسي» (١٦٩- ١٧٣) فراجعه فإنه نفيس.

(٢) في الأصل: رؤية، ولا تناسب مع الجملة.

من ذلك فهو الذي يضاد وجوده ، وذلك لا يصح إلا في العَرَضين المُتَضادين المتعاقبين، ولا يصح أنْ يكون الجسم منها ولا مانعاً من عرض أصلاً لأنه لا يصح أنْ يكون بين العَرَضين والجسم تنافٍ وتضاد(١).

قيل: هذا لا يمنع من إطلاق اسم الحجاب على القديم سبحانه، كما لا يمنع من إطلاقه على غيره، وإن كان هذا المعنى الذي ذكروه موجوداً فيه.

٢٧٦- وقد روى في معنى هذا حديث أبي القسم بن بشران بإسناده: عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ وَلَّاهُ الله مِنْ أمرِ النَّاسِ شيئاً، فاحْتَجَب عن حَاجَتِهم وخَلَّتهم وَفَاقِتِهم، احتَجَب الله يومَ القيامةِ عن حاجَتِهِ وَفاقتِه**»(٢).

---

(١) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص١٢٤- ١٢٥). وكذا تأوله الحافظ في الفتح (١/ ٤٠٥) على أنَّه يحتجب بأمر معنوي يتعلق بقدرته!

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩٤٨) والترمذي (٣/ ٦١١)- ولم يسق لفظه- وحميد بن زنجويه في «الأموال» (١/ ٦٤) والحاكم (٤/ ٩٣-٩٤) والبيهقي (١٠/ ١٠١- ١٠٢) وعلَّقه البغوي (١٠/ ٧٠- ٧١) عن يزيد بن أبي مريم أن القاسم بن مخيمرة أخبره أنَّ أبا مريم الأزدي قال: دخلت على معاوية فقال: ما أنعَمَنا بك أبا فلان؟ وهي كلمة تقولها العرب، فقلت: حديثاً سمعتُه أخبرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره، قال: فجعل (أي معاوية) رجلاً على حوائج الناس.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيح ووافقه الذهبي. وهو كما قالا، أبو مريم الأزدي صحابي، اختلف في اسمه، ذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ١٧٩) وذكر حديثه هذا، والقاسم بن مخيمرة ثقة فاضل، ويزيد بن أبي ممريم وثَّقه ابن معين ودحيم وأبو حاتم وقال أبو زرعة: لا بأس به.

* وله طريق أخرى:

أخرجها أحمد (٤/ ٢٣١) والترمذي (٣/ ٦١٠) والحاكم (٤/ ٩٤) عن علي بن الحكم حدثني أبو الحسن قال عمرو بن مُرَّة لمعاوية: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة، والخلة والمسكنه، إلا أغلق الله أبواب السماء، دون خلَّته وحاجته ومسكنته» فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس. =

....

= قال الترمذي: حديث عمرو بن مرة حديث غريب.
وقال الحاكم: صحيح ووافقه الذهبي.
لكن فيه: أبو الحسن وهو الجزري قال ابن المديني: مجهول ولا أدري سمع من عمرو ابن مرة أم لا؟
ونقل في التهذيب عن الحكم أنه قال: أبو الحسن هذا اسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن ثقة مأمون (١٢/ ٧٣).
والحديث يتقوى بما قبله.
وللحديث شاهد من حديث معاذ، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٨-٢٣٩) مرفوعاً بنحوه.
وفيه شريك القاضي، وحديثه حسن في المتابعات.
وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٠) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله أحمد ثقات.

[إثباتُ رؤية المؤمنين لربِّهم جلَّ وعزَّ في الآخرة]
[حديثٌ آخر][1]

٢٧٧- روي من طرق مختلفة وألفاظ مختلفة، أبو القسم بإسناده: عن جرير بن عبد الله البجلي قال: خَرَجَ علينا رسول الله ليلة البدر فنظر إلى القمر فقال: «**تَرَوْنَ ربكم يومَ القِيامَةِ، كما تُنظرونَ إلى هذا القَمَر لا تضامُّون في رؤيته**»[2].

٢٧٨- وروى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم سَتَرَوْن رَبَّكم**» قالوا: يا رسول الله نَرى ربنا؟، قال فقال: «**هل تضارُّون في رؤية الشمس نصف النهار؟ قالوا: لا، فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: «فإنكم لا تُضارون في رؤيته إلا كما تُضَارونَ في ذلك**»[3].

٢٧٩- وروى أبو هريرة قال قلنا: يا رسول الله هل نَرى ربَّنا؟ قال: «**هل تُضَارُّون في رُؤية القَمر ليس دُونه سَحَابة؟**» قال قلنا: لا، قال: «**فهل تضارُّون برؤية الشمس ليستْ في سحابة؟**» قال قلنا: لا، قال: «**كذلك تَلْقَون ربَّكم**»[4].

---

(١) كتب بمحاذاة العنوان: بلغ مقابلة.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٠) والبخاري (٢/ ٣٣، ٥٢) (٨/ ٥٩٧) (١٣/ ٤١٩) ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٣٩- ٤٤٠) عن إسماعيل بن أبي خالد حدثنا قيس بن أبي حازم قال: سمعت جرير يقول فذكره وتمامه: «فإنْ استطعتم أن لا تُغْلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني العصر والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

(٣) حديث صحيح مُطول، ذكر المصنف طرفاً منه، أخرجه أحمد (٣/ ١٦-١٧) والبخاري (٨/ ٢٤٩- ٢٥٠) (١٣/ ٤٢٠- ٤٢٢) ومسلم في الإيمان (١/ ١٦٧-١٧١) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به.

(٤) حديث متفق على صحته، سبق تخريجه في الجزء الأول (ص١٥١) من هذا الكتاب.

٢٨١- وروى أبو عبد الله بن بطة في كتابه بإسناده: عن أنس بن مالك قال: سُئِل رسول الله عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**الزِّيادة النَّظر إلى وجهِ الله الكريم**»(١).

٢٨١- وروى بإسناده: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أدنى أهل الجنة منْزلة لَرَجل ينظرُ في ملكه أَلْفَي سَنَةٍ، يَرَى أَقْصاه كما يرى أَدْنَاه، ينظر في أزواجِه وسرره وخدمه، وإنَّ أَفْضَلَهم منزلة مَن ينظرُ في وجه الله ﷻ في كل يوم مرتين**»(٢).

---

(١) ضعيف جداً من هذا الوجه، أخرجه الحسن بن عرفة في «جزءه» (٢٣) ومن طريقه ابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٩٥- ٩٦) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٤٥٦) والخطيب في تاريخه (٩/ ١٤٠):
عن سلم بن سالم عن نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «للذين أحسنوا العمل في الدنيا الجنَّة، والزيادة النَّظرُ إلى وجه الله الكريم جلَّ وعزَّ».
وفيه ضعيفان: سلم بن سالم البلخي ضعفه ابن معين والنسائي وقال أحمد: ليس بذاك، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة، قال البخاري: منكر الحديث، وقال مسلم وغيره: متروك، وقال الحاكم: وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل (الميزان).
والحديث عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٥٧) إلى أبي الشيخ والدارقطني في الرؤية وابن مردويه وابن النجار.
ويغني عنه حديث صهيب المخرج قريباً.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٢/ ١٣) وعنه عبد الله في «السنة» (١/ ٢٥١) وأبو يعلى (١٠/ ٩٦- ٩٧) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٨٤، ٤٥٩) موقوفاً وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٧) وأبو الشيخ في العظمة (٦٠٤) وابن مندة في «الرد على الجهمية» (٩١) والحاكم (٢/ ٥٠٩).
عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاخته عن ابن عمر مرفوعاً به.
وأخرجه أحمد (٢/ ٦٤) وعنه عبد الله في «السنة» (٢/ ٢٥١- ٢٥٢) والترمذي (٤/ ٢٥٥٣) (٥/ ٣٣٣٠) وأبو يعلى (١٠/ ٧٦- ٧٧) وابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١٢٠) والآجري في «الشريعة» =

٢٨٢- وروى أيضاً بإسناده عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «بينا هو يعلمهم شيئاً من أمْر دِينهم إذ شَخَصَتْ أبصارهم عنده فقال: «ما أَشْخَص أبصاركم عني؟» قالوا: نظرنا إلى القمر، قال: «كيف بكم إذا رَأَيتُم الله عزَّ وجل جهرة»(١).

= (ص٢٦٩) والحاكم (٢/ ٥٠٩- ٥١٠) والخطيب في «الموضح لأوهام الجمع والتفريق».
عن إسرائيل بن يونس حدثنا ثوير سمعت عبد الله بن عمر مرفوعاً بنحوه؛ وزاد: ثم تلا هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].
قال الحاكم: هذا حديث مُفَسَّر في الرد على المبتدعة، وثوير بن أبي فاخته وإن لم يخرجاه فلم يُنقم عليه غير التشيع.
وتعقَّبه الذهبي بقوله: بل هو واهي الحديث. وقال الترمذي: غريب.
وذكر الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠١) وعزاه لأبي يعلى والطبراني وقال: وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاخته وهو مجمع على ضعفه.
قلت: قد ضعفه ابن معين وابن المدني، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: وقد رواه عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً ويرفعه بعضهم:
أخرجه الترمذي (٤/ ص٦٨٨) (٥/ص٤٣١) وابن جرير (٢٩/ ١٢٠) واللالكائي (٣/ ٤٨٤) وابن عدي (٢/ ٥٣٣).
وذكره العلامة الألباني حفظه الله في الضعيفة (١٩٨٥).
وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٣٥٠) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي.

(١) في سنده جهالة، أخرجه عبد الله في «السنة» (٤٦٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٧٩- ١٨٠) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١٠١) والآجري في «الشريعة» (ص٢٦٤) واللالكائي (٣/ ٤٩٨) عن أسلم العجلي عن أبي مراية قال: كان أبو موسى يُعلِّمنا سُنَّتنا وأمر ديننا... فذكر الحديث.
وقد اختلفوا في رفعه ووقفه، ورجَّح ابن خزيمة وزقفه فقال: وذِكر هذا القول من قِبَل أبي موسى لا عن النبي ﷺ.
وفي سنده: أبو مراية (وقع عند الآجري: أبو بردة، وهو تصحيف) ذكره الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص٥١٩) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول الحال.

٢٨٣- وروى أيضاً بإسناده: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أهْل الجنَّة يَرون ربَّهم تعالى في كُلِّ يوم جُمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مَجْلساً أسرعهم إليه يوم الجُمعة، وأبكرهم غُدُواً**»[١].

اعلم أنَّ هذه أخبارٌ صحاحٌ يجب الأخذُ بها، نَصَّ عليه أحمد في رواية أبي الحارث فقال: أحاديث الرؤية صحاح جياد. وكذلك قال في رواية المروذي لما سأل عن أحاديث الرؤية: صِحَاحٌ جِيَاد.

وكذلك قال في رواية ابن منصور، وقد قيل له: تقول بهذه الأحاديث التي تُروى عن النبي ﷺ في الرؤية وتذهب إليها، وجمعها في كتاب وحدثنا بها.

وقال في رواية المروذي وحنبل وأبي داود: من قال إنَّ الله لا يُرى في الآخرةِ فقد كفر.

فقد نصَّ على صحتها والأخذ بها، وتكفير من ردَّها.

وقد رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري[٢].

فأما قوله: «**كما ترون القمر**» فلم يَقصد به إلا تحقيق رؤية العيان، لا تشبيه المرئي بالقمر في أنَّه محدود في جهة[٣]، وإنَّما معنا رؤيتكم لله يوم القيامة كرؤيتكم القمر ليلة البدر، أي كما لا تشكُّون ليلة البدر في رؤية القمر أنه

---

(١) أخرجه الآجرّي في «الشريعة» (ص٢٦٥) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود حدثنا عمي محمد الأشعث حدثنا حسن بن حسن حدثني أبي حسن عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً به.
وأخرجه أبو عبد الله بن بطة بسنده كما سيذكره المصنف.
حسن بن حسن هو ابن حسن بن علي بن أبي طالب، قال ابن سعد: كان قليل الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: مقبول.
وله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفاً سيذكره المصنف ويأتي الكلام عليه.

(٢) يعني حديثه المتقدم برقم (٢) من هذا الفصل.

(٣) قد سبق القول في نفي الجهة، وأنه لفظ يحتمل الحق والباطل. انظر (الجزء الأول/ ١٨٢).

البدر، ولا يتخالجكم فيه رَيْبٌ وظن، كذلك ترون الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة معاينة يحصل معها اليقين.

وأما قوله: «**لا تَضَامُّون في رُؤيته**»[١] بالتشديد فقيل معناه: لا يَنْضم بعضكم إلى بعض، كما تَنْضَمُّون في رؤية الهلال رأس الشهر، بل تَرونه جهرةً من غير تكلفٍ لطلب رؤيته، كما ترون البدر- وهو القمر ليلة الرابع عشر - إذا عَايَنه المُعاين جهرةً لم يحتج إلى تكلف في طلب رؤيته.

وأما قوله: «**لا تَضَامُون**» مُخَفَّف فالمراد به الضَّيم، أي: لا يلحقكم فيه ضيم، والضيم والضرَّر واحد في المعنى. وأما قوله: «**لا تضارُّون**» أي لا يلحقكم ضَرَرٌ في رؤيته بتكلُّف طلبها كما يلحق المشقَّة والتَّعب في طلب ما يخفى ويدق ويغمض[٢].

وكل ذلك تحقيق لرؤية المُعانية، وأنها صِفَة تزيد على العلم.

فإنْ قيل: معناه رؤية العلم، وأنَّ المؤمنين يعرفون الله يوم القيامة ضرورة.

قيل: هذا غلط، من قِبَلِ أنَّ الرؤية إذا كانت بمعنى: العلم، تَعَدَّت إلى مفعولين، وذلك كما يقول القائل: رأيتُ زيداً فقيهاً، أي علمته كذلك، فأمَّا إذا قال: رأيتُ زيداً مطلقاً، فلا يُفهم منه إلا رؤية البصر، وقد حَقَّق ذلك بما أكَّده من تشبيه برؤية القمر ليلة البدر، وذلك رُؤية البصر لا رؤية علم.

---

(١) انظر النهاية في «غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٠١) لابن الأثير، وقال: ويجوز ضمُّ التاء وفتحها على تُفَاعِلون وتَتَفاعلون، وقال: الضَّيم: الظُّلم.

(٢) في النهاية (٣/ ٨٣) قال: يُروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد بمعنى: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر إليه، لوضوحه وظُهوره.

ونقل عن الجوهري قوله: يقال أَضَرني فلان: إذا دنا مني دُنُوّاً شديداً.

ثم قال: فأراد بالمضارَّة: الاجتماع والازدحام عند النظر إليه.

وأما بالتخفيف فهو من الضير لُغة في الضُر، والمعنى فيه كالأول.

وقال الجوهري في الصحاح (٢/ ٧٢١): وبعضهم يقول: لا تَضَارُون بفتح التاء أي: لا تَضَامُّون.

وجواب آخر: وهو أنَّ النبي ﷺ بَشَّرَ المؤمنين من أصحابه بذلك، وهذا يُوجب أنْ يكون معنى يختصون به، فأما العلم بالله فمشترك بين المؤمنين والكافرين في القيامة، فَيَبْطُل معنى بشارته للمؤمنين بالرؤية.

وجواب آخر: وهو أنَّ في رواية أبي موسى: «**ترون الله جهرة**» وهذا يَرفَعْ الإشكال، لأن الرؤية وإنْ كانت تستعمل في معنى العلم، فبإنها إذا قُرِنَت بلفظ الجَهر لم تحتمل العلم، ومن ذلك قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]. يعني عياناً[1] وكذلك في حديث ابن عمر: «**وإن أفضلهم مَنْ ينظر في وجه ربه في كلِّ يوم مرتين**» وهذا يمنع أنْ يكون المراد به العلم.

فأما ما روي في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**إنَّ أهل الجنَّة يرون ربَّهم تعالى في كلِّ يوم جمعة في رمال الكَافُور، فأقْربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجُمعة، وأبْكرهم غُدُواً**» فإنَّ أبا عبد الله بن بطة رواه عن أبي عمر عبيد الله بن مسح العَطَّار وأبي يوسف يعقوب بن يوسف ومحمد بن الحسين قالوا: نا أبو بكر عبد الله بن سليمان أبي داود السجستاني قال: نا عمي محمد بن الأشعث قال: نا ابن حسن قال: حدثني أبي حسن عن الحسن عن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ[2].

٢٨٥- ونا أبو القسم بلفظٍ آخر موقوفاً على ابن مسعود فقال: نا أبو القسم عبيد الله ابن أحمد بن علي القمري نما محمد بن مخلد نا إسحق بن إبراهيم البغوي نا وكيع عن المسعودي عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: «**إنَّ الله يَبْدُوا لأهلِ الجنَّة على كثيبٍ من كَافُور، فيكونون منه في**

---

(١) وهو ما جاء وصرحاً به في رواية جرير عند البخاري (١٣/ ٤١٩) ولفظه: «إنَّكم سترون ربكم عَيَاناً».

(٢) تقدم الكلام عليه برقم (٧) من هذا الفصل.

القُرْبِ على قدر تسرعهم إلى الجُمَع»(١).

فإن قيل: هذا تفرد به المنهال بن عمرو وهو ضعيف.

قيل: هذا لا يصح، لأنَّ أبا عبد الله بن بطة قد روى أصل الحديث عن النبي ﷺ من غير طريق المنهال بن عمرو، وعلى أنَّ المنهال بن عمرو الأسدي كوفي ثقة، وله تفسير أكْثر فيه الرواية عن سعيد بن جبير، وأخرج عنه أحمد أحاديث في المسند، وأخرج عنه البخاري حديثين مُسندين(٢).

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (٤٧٦) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٣٨/ ٩١٦٩) عن المسعودي به، ولفظه: «سارعوا على جُمع، فإنَّ الله ﷻ يَبرُز إلى أهل الجنّة في كلّ جمعةٍ في كثيب من كافور، فيكونوا في القُرْب على قدر تَسَارعهم إلى الجمعة، فَيُحدث الله عزَّ وجلَّ لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك، ثم يرجعون إلى أهليهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم» ثم دخل عبد الله المسجد، فإذا هو برجلين إلى أهليهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم» ثم دخل عبد الله المسجد، فبإذا هو برجلين يوم الجمعة قد سبقاه، فقال عبد الله: رجلان وأنا الثالث إن شاء الله أن يبارك في الثالث.
ذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ١٧٨) وقال: وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.
قلت: وهو ما ذهب إليه أبو حاتم الرازي، كما في جامع التحصيل (ص ٢٤٩) والترمذي كما في السنن (٢/ ٣٦٦). وقال الذهبي في العلو (٦٠): موقوف حسن. ولعله للطريق الآتي.
* وله طريق أخرى:
فقد أخرجه ابن ماجة (١٠٩٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢٠) عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن معمر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: خرجت مع عبد الله إلى الجمعة، فوجد ثلاثة وقد سبقوه فقال: رابع أربعة، وما رابعُ أربعةٍ ببعيد، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ النَّاسَ يَجلسون من الله يوم القيامة على قَدْرِ رَوَاحهم إلى الجُمُعات، الأول والثاني والثالث» ثم قال: «رابعُ أربعةٍ، وما رابع أربعةٍ ببعيد».
وسنده حسن، رجاله ثقات، سوى عبد المجيد وقد وثقه الجمهور: أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال الحافظ: صدوق يخطئ وكان مُرجئاً. وبنحوه قال البوصيري في الزوائد.

(٢) ذكره الحافظ في «هدي الساري مقدمة فتح الباري» (ص٤٦٤) فيمن ضُعِّفَ بأمرٍ مردود كالتحامل أو التعنت أو عدم الاعتماد على المضعف لكونه من غير أهل النقد ولكونه قليل =

وقد قيل: في قوله: «**في كل يوم جمعة**» معناه يرونه على مقادير أَوْقَاتِ الدنيا وأيامها، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]. وذلك على التقدير بأيام الدُّنيا وأوقاتها، لأنَّ ليس هناك غَدوه وعشية وجُمعة(١).

وأمَّا قوله: «**في رمال الكافور**» فلا يمتنع إطلاق ذلك عليه سبحانه، لا على وجه الانتقال، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١]. وقد سبق الكلام في ذلك(٢).

وأمَّا قوله: «**أقْرَبهم منه مجلساً**» فلا يمتنع حمله على ظاهره في القُرْبِ من الذات، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩].

وكذلك قول النبي ﷺ: «**يؤتى بالعبدِ يوم القيامة فَيُدْنيه الله فيضع كنفه عليه**»وقد بينا فيما تقدم أنَّ ذلك على ظاهره في الدَّنو من الذَّات، وهذا الخبر محمول على ذلك.

فإن قيل: يحملُ القُرب على القُربِ من الثَّواب والكرامة والرحمة.

قيل: هذا لا يصح لوجهين: أحدهما أنَّ رحمتَه وكرامتَه وثوابَه سابقٌ لرؤيتهم له.

= الخبرة بحديث من تكلم فيه أو بحالة أو لتأخر عصره ونحو ذلك، فقال: المنهال بن عمرو تكلم فيه بلا حجة.

(١) وكذا فسَّر الآية ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره (١٦/ ٧٧).

وساق بسنده عن عامر بن يساف عن يحيى قال: كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاءاً وغداءً فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم.

يحيى هو ابن أبي كثير الثقة الثبت، وعامر بن يساف قال أبو حاتم: صالح (الجرح (٦/ ٣٢٩). فالإسناد حسن.

(٢) انظر الجزء الأول (ص١٣٠، ٢٥٥).

والثاني: أنه إنْ جازَ تأويله على هذا، جازَ تأويل قوله: «ترون ربكم» على التَّعَطُّفِ والرحمة والكرامة، وقد اتفقنا ومثبوا الصِّفَات على فساد هذا التأويل، كذلك ها هنا.

فأمَّا قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. فالمراد به علمه لأنَّه قد تقدم ذِكْر العلم في أولِ الآية بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ فوجبَ حمله على العلم(١).

٢٨٦- وقد قال أحمد في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. علمه لأنه افتتح الآية بالعلم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وختم بالعلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وأما قوله: «**من قرب شبرا قربت منه ذراعاً**» فإنَّ تَقَرُّب العبدُ إليه بالأعمال الصالحة، وأمَّا تقربه إلى عبده فبالثواب وزالرحمة والكرامة، لأنه رُوي ذلك مفسراً في بعض ألفاظِ الحديث، وقد ذكرناه في الكلام على قوله: «**يُدني عبده حتى يضع عليه كنفه**»، وذكرناه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ومن جاء يمشي أقْبَل الله إليه بالخير يُهرول**»(٢). فقد نصَّ على أنَّ إقبال عليه بالخير، فدل على ذلك.

وفي هذا الفصل حكايتين ذكرهما أبو بكر أحمد بن محمد الخلال في «سُننه»:

٢٨٧- أحدهما: قال سمعت أبا سعيد الفقيه المصيصي الحسن بن علي بن عمر قال: قال أبو صفوان: رأيت المتوكل في النَّوم وبين يديه نارٌ مُؤججةٌ عظيمةٌ، فقلت: يا أمير المؤمنين لمن هذه؟ قال: لابني

---

(١) قد سبق الكلام في تفسير الآية، وأن المراد: قرب ملائكته، انظر (الجزء الأول/ ٢٢٩).
(٢) انظر (الجزء الأول/ ٢٢٧- ٢٣١).

المنتصر لأنَّه قتلني، وتدري لم قتلني؟ لأنِّي حدَّثته أنَّ الله يُرى في الآخرة.

قال أبو سعيد فقال: إبراهيم الحربي: هذه رُؤيا حق، وذلك أنَّ المتوكل كَتَب حديث حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حُدُس في الرؤية بيده عن عبد الأعلى وقال: لا أكتبه إلا بيدي.

٢٨٨- والحكاية الأُخرى: قال: أنا أبو بكر المروذي قال سمعت القواريري يقول: رأيتُ أحمدَ بن حنبل في النَّوم فقال: المؤمنُون ينتظرون أنْ يرون ربَّهم، فأمَّا الكفار فلا يجوز أنْ يرون الله تعالى.

٢٨٩- وحكى ابن فورك[1] عن أبي بكر خزيمة أنَّ ذكر في كتاب «**التوحيد**» أنَّ من الكفار مَنْ يَرَى الله يوم القيامة رؤيةَ امتحان، قبل أنْ يُوضع الجِّسْر بين ظهراني جهنم[2].

---

(١) «مشكل الحديث» (ص١٨٦- ١٨٧).

(٢) قال ابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٧٦) بعد أن ذكر حديثا أبي هريرة وأبي سعيد في «الرؤية»: في هذه الأخبار دلالة على أنَّ قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾. إنما أراد الكفار الذين كانوا يكذبون بيوم الدين بضمائرهم فينكرون ذلك بألسنتهم، دون المنافقين الذين كانوا يكذبون بضمائرهم ويقرون بألسنتهم يوم الدين رياءً وسُمعة، ألا تسمع إلى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾﴾ [المطففين: ٤/ ١١]. أي المكذبون بيوم الدين، الا ترى أن النبي ﷺ قد أعلم أنَّ منافقي هذه الأمة يرون الله حين يأتيهم في صورته التي يعرفون، هذا في خبر أبي هريرة، وفي خبر أبي سعيد: «فيكشف عن ساق فيخرون سجداً أجمعون» وفيه ما دلَّ على أنَّ منافقي هذه الأمة يرون الله حين يأتيهم في صورته التي يعرفون، هذا في خبر أبي هريرة، وفي خبر أبي سعيد: «فيكشف عن ساق فيخرون سجداً أجمعون» وفيه ما دلَّ على أنَّ المنافقون يرونه للاختبار والامتحان فيريدون السجود فلا يقدرون عليه، وفي خبر أبي سعيد: «فلا يبقى من كان يعبد صنماً ولا وثناً ولا =

....

= صورةً إلا ذهبوا حتى يتساقطون في النار» فالله ﷻ يحتجب عن هؤلاء الذين يتساقطون في النار ويبقى من كان يعبد الله وحده من برٍ وفاجر ومنافق وبقايا أهل الكتاب.
إلى أن قال: وأما المنافقون فإنما كانوا يكذبون بذلك بقلوبهم ويُقرون بألسنتهم رياءً وسمعة فقد يتراءى لهم رؤية امتحان واختبار، وليكون حجبه إياهم بعد ذلك عن رؤيته حسرةً وندامة إذْ لم يصدقوا به بقلوبهم وضمائرهم، وبوعده ووعيده، وما أمر به ونهى عنه، وبيوم الحسرة والندامة. وفي حيث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة: «قال فيلقى العبد فيقول: أي فُل ألم أكرمك» إلى قوله: «فاليوم أنساك كما نسيتني» فاللقاء الذي في هذا الخبر غير التراءي، لأنَّ الله ﷿ يتراءى لمن قال له هذا القول، وهذا الكلام الذي يكلم به الرب جلَّ ذكره عبده الكافر يوم القيامة كلامٌ من وراء الحجاب من غير نظر الكافر إلى حالته في الوقت الذي يكلم به ربه عزَّ وجلَّ»اهـ. المراد من كلامه.
وقد علَّق الهراس ﵀ على كلامه، فقال عند ذكره لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾: الحق أن الآية عامة في جميع الكفار والمنافقين، وذلك بعد أن يدخلوا النار، وأما في عَرَصات القيامة فيرونه جميعاً.
وقال: وكيف يُعقل لقاء بغير رؤية! وقد ذكر هنا أنه يلقاه ويكلِّمه، والكلام غير اللقاء، واللقاء هو المواجهة. اهـ. وانظر تعليقه (ص١٥٠).
وهذه المسألة- وهي هل يرى الكافر ربه- مسألة اختلف فيها علماء السلف رحمهم الله تعالى، والصواب فيها أن الكافر يرى ربه لا على جهة التكريم، وإنما لمناقشة الحساب ثم يُحجب عن الرؤية.
وقد قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في سؤال وجه له عن لقاء الله تعالى فأجاب: «الحمد لله، أما «اللقاء» فقد فسَّره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة، بعد السلوك والسير، وقالوا: إنَّ لقاء الله يتضمن رؤيته ﷻ، واحتجوا بآيات «اللقاء» على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية كالمعتزلة وغيرهم.
وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين: أحدهما: السير إلى المَلِك، والثاني: معاينته كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ فذكر أنَّه يكدح إلى الله فيلاقيه، والكدح إليه يتضمن السلوك والسير إليه، واللقاء يعقبهما.
وأمَّا المعاينة من غير مسيرٍ إليه- كمعاينة الشمسْ والقمر- فلا يسمى لقاء، وقد يراد باللقاء الوصول إلى الشيء، والوصول إلى الشيء بحسبه. =

....

= ومن دليل ذلك أن الله تعالى قد قال: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ و﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ وقال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ الآية.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تتمنوا لقاءَ العدو واسألوا الله العاقبة، فإذا لقيتموهم فاصبروا».

ويستعمل اللقاء في لقاء العدو، ولقاء الولي، ولقاء المحبوب، ولقاء المكروه.

وقد جاء في الكتاب والسنة ألفاظ من نحو «لقاء الله» كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ وقوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ وقوله: ﴿إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾.

لكن يلزم هؤلاء «مسألة» تكلم الناس فيها، وهي أنَّ القرآن قد أخبر أنَّه يلقاه الكفار ويلقاه المؤمنون كما قالك ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

وقد تنازع الناس في الكفار هل يرون ربهم مرةً ثم يحتجب عنهم؟ أم لا يرونه بحال تمسكاً بظاهر قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ولأنَّ الرؤية أعظم الكرامة والنعيم، والكفار لا حظَّ لهم في ذلك.

وقالت طوائف من أهل الحديث والتصوف: بل يرونه ثم يحتجب، كما دلَّ على ذلك الأحاديث الصحيحة التي في الصحيح وغيره، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما مع موافقة ظاهر القرآن، قالوا: وقوله: ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ يشعر بأنَّهم عاينوا ثم حُجبوا، ودليل ذلك قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فعُلم أنَّ الحجب كان يومئذٍ، فيشعر بأنه يختص بذلك اليوم، وذلك إنَّما هو الحجب بعد الرؤية، فأما المنع الدائم من الرؤية فلا يزال في الدنيا والآخرة.

قالوا: ورؤية الكفار ليست كرامة ولا نعيماً، إذ «اللقاء» ينقسم إلى لقاء على وجه الإكرام، ولقاء على وجه العذاب، فهكذا الرؤية التي يتضمنها اللقاء.

ومما احتجوا به حديث أبي هريرة: قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليست في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «والذي نفسي بيده لا تُضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما» قال: « فيلقى العبد فيقول: أي =

....

= قُلْ! ألم أكرمك وأُسودك وأزوجك وأسخِّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب، قال فيقول: فظننت أنَّك مُلاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساكَ كما نسيتني، ثم قال: يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك فيقول: أي ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك، وصلَّيت وصمتُ وتصدَّقت ويثني بخيرٍ ما استطاع، فيقول: ههنا إذاً، قال: ثم يقال الآن نبعثُ شاهدنا عليك، ويتفكَّر في نفسه مَنْ ذَا الذي يشهدُ عليَّ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي، فتنطقُ فخِذُه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، فذلك المنافق ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط عليه...».

ثم ذكر بعد كلام له في الردِّ على المعتزلة وأشباههم، الذين ينكرون لقاء الله تعالى ورؤيته بالكلية، بعض الأدلة التي تُبين أيضاً أن لقاء الله تعالى غير الجزاء، مثل: قوله ﷺ في الحديث: «... وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق...» ففي الحديث فَرَّق بين لقائه وبين والنار.

وقوله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيلكِّمه الله ليس بينه وبينه حاجبٌ ولا ترجُمان».

ومنها: أنه لو أُريد بـ«لقاء الله» بعض المخلوقات- إما جزاءً وإمَّا غير جزاء- لكان ذلك واقعاً في الدنيا والآخرة، فكان العبد لا يزال ملاقياً لربه، ولما علم المسلمون بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ لقاء الله لا يكون إلا بعد الموت، عَلِمَ بطلان أنَّ «اللقاء» لقاء بعض المخلوقات.

ومعلومٌ أن الله قد جَازَى خلقاً على أعمالهم في الدنيا بخير وشر، كما جازى قوم نوح وعاد وثمود وفرعون، وكما جازى الأنبياء وأتباعهم، ولم يقُلْ مسلمٌ إن لقاء هذه الأمور في الدنيا لقاء الله.

ومنها: أن قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

فلو كان «اللقاء» هو لقاء جزائه لكان هو لقاء الأجر الكريم الذي أعدَّ لهم، وإذا أخبر بأنهم يلقون ذلك لم يَحسن بعد ذلك الإخبار بإعداده، إذْ الإعداد مقصودة الوصول، فكيف يخبر بالوسيلة بعد حصول المقصود؟ لا سيما وقد قَرَن اللقاء بالتحية، وذلك لا يكون إلا في اللقاء المعروف، لا في حصول شيء من النعيم المخلوق.

ومنها: أن قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كره الله لقاءه» أخبر فيه أن الله يحب لقاء عبد ويكره لقاء عبد، وهذا يمتنع حمله على الجزاء، لأنَّ الله لا يكره جزاء أحد، ولأن الجزاء لا يلقاه الله، ولأنه إنْ جاز أن يلقى بعض المخلوق كالجزاء أو غيره جاز أنْ يلقى العبد، فالمحذور الذي يُذكر في =

وأنكر ابن فُورك هذه المقالة وقال: هي مُحدثة لأنَّ مِنَ النَّاس مَن مُنعَ الرؤية، وقال لا يراه مُؤمنٌ ولا كافر، وهم المعتزلة، ومنهم من قال يَرَاه المؤمنون دون الكافرين، ومنهم من قال- وهو ابن سالم[١]- يراه جميع الكفار وكان مذهباً[٢] مرغوباً عنه مُبدعاً فيه عند علماء العراق والحجاز.

وقد احتج ابن خزيمة لقوله بما تقدمت من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«يجْمَعُ الله النَّاس فيقول من كانَ يعبد شيئاً فَلْيَتَّبعه، فيتبع من كان يعبد القمر، ومن كان يعبدُ الشَّمس، ومن كان يعبدُ الطَّواغِيت، وتبقى هذه الأُمة فيها مِنَافِقُوها فيَأتيهم الله عزَّ وجلَّ في غير الصُّورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون نَعُوذُ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتي ربُّنا، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه»**.

والجواب: أنَّه ليس في هذا ما يدلُّ على الرؤية، وإنَّما فيه أنَّه يخاطِبهُم وقد يجوز أنْ يُخاطِب الخلق من غير أنْ يروه.

❋ ❋ ❋

= لقاء العبد موجود في لقائه سائر المخلوقات، فهذا تعطيل النص، وإما أن يقال: بل هو لاق لبعضها، فيتناقض قول الجهمي ويَبطل.

قال: ودلائل بطلان هذا القول لا تكاد تحصى. اهـ من مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦١- ٤٧٥ باختصار.

وقد حكى ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٥١) في «وعيد مُنكري الرؤية» إجماع أهل اللغة على أنَّ «اللقاء»: المعاينة بالأبصار.

أما ابن حزم فقد قال إنَّ الكفار يرون الله تعالى في الآخرة بقلوبهم! انظر الفصل (٣/ ٤). وانظر شرح الطحاوية (٢١٣).

(١) كذا في الأصل، وفي مطبوعة «مشكل الحديث» ص(١٨٧): ابن سلم البصري.
ولم أعرفه، ووهم القلعجي في تعليقه على «مشكل الحديث» فجعله سلم العلوي!! وترجم له مع أنه أثبته ابن سلم!! فلا أدري على أي شيءٍ اعتمد في قوله هذا؟!

(٢) في المطبوعة من «مشكل الحديث»: وكان مذهبه مزهوداً فيه عند العلماء، مرغوباً عنه مبتدعاً فيه عند علماء العراق والحجاز.

[حَديثٌ آخَرٌ]

٢٩٠- رواه أبو عبد الله بن بطة بإسناده: عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْكم مِنْ أحدٍ إلا سَيَخْلوا الله به يوم القيامة، ليسَ بَيْنه وبَيْنه حِجابٌ أو تَرْجُمانٌ**»(١).

اعلم أنَّ هذا الخَبَر في معنى الذي قبله من القُرب منه، لأنَّ الخلوَ عبارةٌ عن القُرب، ولهذا إذا قيل: خلا الوزير بالخليفة، المراد به القُرب، وقد بينًا جواز إطلاق الدُّنو والقرب من الذات، كذلك لا يمتنع جواز الخَلْوة لأنَّ معناهما واحد.

٢٩١- وقد نصَّ أحمد على الأخذِ بظاهر الحديث في رواية حنبل فقال: لا نُزيل عنه صفة من صفاتِ ذاته بشَنَاعةٍ شُنِّعَتْ، ووصف به نفسه، من

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن خزيمة (١٥٠) فقال: حدثنا علي بن سلمة اللَّبَقي حفظاً ثنا زيد ابن الحباب ثنا حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلِّمه ربُّه ليس...».

وإسناده حسن، رجاله رجال مسلم سوى علي بن سلمة القرشي، وهو صدوق.

* ويشهد له حديث عدي بن حاتم المخرج في البخاري في مواضع منها (١١/ ٤٠٠) (١٣/ ٤٧٤) ومسلم (٢/ ٧٠٣- ٧٠٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه تَرجُمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قَدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تِلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرةٍ» لفظ مسلم.

* ولحديث بريدة طريق ضعيفة:

فقد أخرجه عبد الله في «السنة» (٤٦٩) عن أبي خالد القرشي نا بشير بن المهاجر عن عبد الله (وقع عبيد الله وهو خطأ) بن بريدة عن أبيه مرفوعاً به.

وفي سنده: بشير بن المهاجر الكوفيب الغنوي، صدوق لين الحديث رمي بالأرجاء، وأبو خالد القرشي هو عمرو بن خالد، متروك.

وتابعه عبد العزيز بن أبان وهو متروك أيضاً، عند البزار (٤/ ٣٤٤٠- زوائد).

واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٩٣- ٤٩٤).

وقد أعله الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٤٦) بعبد العزيز بن أبان.

كلام ونزولٍ وخَلْوةٍ بعبده يوم القيامة، ووضعه كنفه عليه.

فإنْ قيل: يحمل ذلك على أنَّه يُفْرده يوم القيامة بكلامٍ لا يسمعه غيره بل يختص بسماعه المكلم، لأنَّ معنى ذلك في كلام العرب الانفراد، ومن قولهم: خَلَا فُلان بعمله وخَلا فلان بنفسه، معناه: الإنفراد، وكذلك ها هنا.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إذا جازَ حَمْله على الإنفراد بالكلام، جاز حمله على الانفراد بالقُرب، إذ معناهما يرجعُ إلى الكرامة والمنزلة.

❋ ❋ ❋

[حديثٌ آخر]

٢٩٢- حدثنا أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمَّا خلق الله تعالى آدم نَفَخ فيه الرّوح عَطَس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله، فقال له ربه: يرحمك رَبُّكَ يا آدم، ثم قال: اذهبْ إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جُلُوساً، فقُل: السَّلام عليكم، فقال: السَّلام عليكم، فقالوا: السَّلام عليك ورحمة الله، ثم رَجَع إلى ربَّه فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم، ثم قال له ويَدَاه مَقْبوضَتان: يا آدم اخْتَر أَيُّهما شئت قال: اخْتَرتُ يمينَ رَبيّ، وكلْتا يَديه يمينٌ مُباركة**»[١].

أمَّا قوله: «**نفخ فيه الروح**» فقد أطلق ذكر الرُّوح ها هنا، وقد أضافها إلى نفسه في القرآن فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]. فمعنى إضافته إليه من طريق المُلْك والفِعل، وأضافه[٢] إلى نفسه لتشريف شأنه، والرفعة من حاله، كما خَصَّ بعض البيوت بالإضافة إلى نفسه.

٢٩٣- وقد نصَّ أحمد على معنى هذا فيما خرَّجه في «**الرد على الزنادقة والجهمية**» فقال: وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] يقول: مِنْ أمره[٣]، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. أي: من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روحٌ[٤]

---

(١) حديث صحيح، تقدم تخرجه ص (١٧٤).
ونضيف إلى مصادر تخريجه: «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٦، ٥٩٦) وابن سعد (١/ ٢٦-٢٨) وابن حبان (٢٠٨٢- زوائد) والحاكم (١/ ٦٤) (٢/ ٣٢٥) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: أضافة.

(٣) في المطبوعة من «الرد على الزنادقة»: من أمره كان الروح فيه.

(٤) في المطبوعة: أنها روح بكلمةٍ من الله خلقها الله.

خلقها الله، كما يقال عبد الله، وسماء الله، وأرض الله[(١)].

(١) «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٤٠) من طبعة الدار السلفية بالكويت، وهي مصورة عن طبعة مصرية طبعت سنة ١٣٩٩هـ، كتب في آخرها: كتبه لنفسه محمد بن محمد بن علي أحمد المقدسي الحنبلي ثالث من شهر ذي الحجة الحرام سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.
وهذا الكتاب- أعني الرد على الزنادقة- جاء في «سير أعلام النبلاء» للذهبي أنه موضوع على الإمام أحمد! فقد قال في (١١/ ٢٨٦- ٢٨٧) بعد أنْ ذكر رسالته إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان: فهذه الرسالة إسنادها كالشمس، فانظر إلى هذه النَّفَس النُّوراني، لا كرسالة الإصطخري، ولا كالردِّ على الجهمية الموضوع على أبي عبد الله!! فإن الرجل كان تقياً ورعاً لا يتفوَّه بمثلِ ذلك، ولعله قاله، وكذلك رسالة المسيء في الصلاة باطلة، وما ثبت عنه أصلاً، وفرعاً، ففيه كفاية».
وأما في ترجمة الإمام أحمد من «تاريخ الإسلام» للذهبي المطبوعة بتحقيق أحمد شاكر رحمه الله فاقتصر على ذكر رسالة الإصطخري فقال: وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة الإصطخري، ففيها نظر والله أعلم. (انظر ص١٢٤).
وقد نقل عن هذه الرسالة (الرد على الزنادقة) المصنف في أكثر من موضع في كتابنا هذا مصححاً نسبتها للإمام أحمد، وكذا من بعده من العلماء- الحنابلة وغيرهم- كأبي الوفاء ابن عقيل والبيهقي وابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه (انظر مثلاً «درء تعارض العقل النقل»: (١/ ١٨، ٤٤، ٢٢١، ٢٤٩) (٢/ ٧٥، ٢٩١- ٣٠١) وغيرها.
وابن القيم في مواضع كثيرة أيضاً، من ذلك قوله في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٤١): «قال الإمام أحمد في كتابه الذي خرَّجه في الرد على الزنادقة والجهمية، وذكره الخلال في الجامع والقاضي أبو يعلى وسائر أصحاب أحمد.
فثبتت نسبة الكتاب للإمام أحمد، ولا عبرة بمن طعن فيه من الجهمية المعاصرين وأتباعهم كالكوثري في تعليقه على كتاب «الاختلاف في اللفظ» وقد أفسد الكتاب بتعليقه الآثم، وزعم في (ص٤٦) أنَّ الكتاب أُذيعت نسبته في القرن الرابع برواية مجهولة!!
وهذا كلام مردود، فإن الكتاب لم يزل مشهوراً بين أصحاب الإمام أحمد كما سبق في كلام ابن القيم، والكتاب المشهور، الغني بشهرته لا يحتاج في صحة نسبته إلى اعتبار حال رجال الإسناد مِنَّا إلى مصنفه، كما قال خاتمة الحفَّاظ ابن حجر العسقلاني في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (١/ ٢٧١) المطبوعة بتحقيق شيخنا الفاضل ربيع بن هادي حفظه الله تعالى:
* أما رسالة الإصطخري وهو أحمد بن جعفر بن يعقوب الفارسي، فقد ذكرها القاضي أبو الحسين في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤- ٣٦) وذكر فيها مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر و«رسالة الصلاة» قد طبعت هي ورسالة «الرد على الزنادقة» بتحقيق محمد حامد الفقي.

وأما قوله: «**رحمك ربك**» حين عطس آدم عليه السلام، فإنَّه يفيد مخاطبته له من غير واسطة ولا ترجمان، تشريفاً له وتعظيماً على غيره من المكلمين.

وأما قوله: «**ثم رجع إلى ربِّه فقال هذه تحيتك**» ظاهرة يقتضي رُجوعاً إلى المكان، وقد حمله بعضهم على الرجوع إلى الخطاب والمسائلة، وليس في حمله على المكان ما يُحيل الصِّفات.

وأما قوله: «**اخترت يمين ربي**» فقد تقدم الكلام فيه، وقلنا لا يمتنع إطلاق اليمين عليه، كما جاز إطلاق اليدين[1].

* * *

(١) انظر ص(١٦٨) وما بعدها.

[حَديثٌ آخر]

٢٩٤- ذكره ابن فورك ولم يقع لي طريقه عن النبي ﷺ أنّه قال: «**إن الله يَطْوي المظالم يوم القيامة**[١] **فيجعلها تحتَ قَدَمَيه، إلا مَا كَان من أَجْر الأجير، وعَقْر البَهيمة، وفض الخاتم**»[٢].

اعلم أنّا قد بَيّنّا جواز إطلاق اسم «القدم» في صفته، لا على وَجه الجارحة والبعض والعضو، كما جاز إطلاق اليدين والوجه، وَبينّا ذلك فيما تَقدَّم، وتكلّمنا على تأويل من تأوّل القَدم على وجوه، والمراد بهذا الخبر تَعريفنا مَراتب الأعمال، وأنَّ منها إلى العَفْو عنه أقرب من غيره، وهذا المتعارف في استعمال اللُّغة، في الشَّئ الذي لا تنافس ولا يطالب به: قد جعلته تحت قدمي، إذا أراد الإعراضَ عنه.

٢٩٥- ومثل هذا: ما روي عن النبي ﷺ لما فَتَح مكة قَامَ على بَابِ الكعبة فقال: «**كلُّ دَمٍ كانَ في الجَاهِليَّة، قَدْ جَعَلْتُه تحت قدمي**»[٣] على

---

(١) كذا في «مشكل الحديث».

(٢) «مشكل الحديث» (٨٩) قال: روى معاوية بن صالح عن راشد بن سعد أن رسول الله ﷺ فذكره.
وقد أخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» (١٤) قال أخبرنا أحمد بن سليمان بن حذلم ثنا أبو زرعة ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح عن راشد بن سعد مرفوعاً به.
وهذا سند مرسل، فراشد بن سعد هو المقرائي من ثقات التابعين.

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٢/ ١١، ٣٦) وأبو داود (٤/ ٤٥٤٩) ولم يسق لفظه والنسائي (٨/ ٤٢) وابن ماجه (٢٦٢٨) والدارقطني (٣/ ١٠٥) عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة (وتارة يقول ابن جدعان: ابن محمد) عن ابن عمر قال: إن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة وهو على دَرَجِ الكعبة، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إنَّ قتيل الخطأ قتيل السَّوط والعصا: فيه مائةٌ من الإبل، منها أربعون خَلِفَةٌ في بطونها أولادُها، ألا إنَّ كلَّ مأثُرةٍ كانت في الجاهلية ودمٍ، تحت قدمي هاتين، إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا إني قد =

معنى: قد أَعرضت [عن] المنافسة فيه، والمطالبة به.

فإن قيل: هذا تمثيلٌ[1] بالأمر الذي يُوطَأُ بالقَدَم، إذا أراد ستره والإعراض عنه، قيل: اجعله تحت قدمك تمثيلاً.

قيل: لا يجب حمله على ذلك، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته من الوجه الذي بيَّنا.

***

= أمضيتُهما لأهلهما كما كانا».

وأخرجه أحمد (٢/ ١٠٣) عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يعقوب السدوسي عن ابن عمر.

قال: ابن القطان في كتابه: وهو حديث لا يصح لضعف علي بن زيد، نقله الزيلعي.

قلت: قد ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وقال أبو زرعة: ليس بقوي وكذا أبو حاتم وزاد: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه.

ويدلك على هذا اضطرابه في هذا الإسناد كما سبق.

لكن الحديث مروي بطريق صحيحة، فقد أخرجه أبو داود (٤/ ٤٥٤٧) والنسائي (٨/ ٤١) وابن ماجه (٢٦٢٧)وابن حبان (١٥٢٦- زوائد) والبيهقي (٨/ ٦٨).

عن حماد بن زيد عن خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة فكبَّر ثلاثاً ثم قال: «لا إله إلا الله وحده صدق وعده...» فذكره نحوه.

قال ابن القطان في كتابه: هو حديث صحيح من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص، ولا يضره الاختلاف الذي وقع فيه، وعقبة بن أوس تابعي ثقة. اهـ

يشير إلى الاختلاف الذي وقع في سنده، فقد رواه عقبة فقال: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، ورواه أيوب عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمرو فأسقط عقبة بن أوس وغير ذلك وهو اختلاف لا يضر.

وللتوسع انظر: نصب الراية (٤/ ٢٣١- ٣٣٢) للزيلعي، وإرواء الغليل (٧/ ٢٥٥- ٢٥٨) للعلامة الألباني وقد أفاض في الكلام عليه.

(١) في الأصل: تمثيلاً، وهو خطأ لغة.

[إثباتُ صفة «الكفّ» للرحْمَنِ جَلّ شأنه]
[حَديثُ آخر]

٢٩٦- أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله يَقبَلُ الصَّدَقَاتَ، ولا يَقبَلُ مِنها إلا الطَّيِّب، فَيأْخُذها بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحَدُكم فَلُوَّه أو فَصيلَه»**[1].

---

(١) إسناده حسن، أخرجه بلفظ مقارب الترمذي (٣/ ٦٦٢):
عن عبَّاد بن منصور حدثنا القاسم بن محمد قال: سُمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه، فيُربِّيها لأحدِكم كما يُربي أحدُكم مُهرَه، حتى إنَّ اللقمةَ لتصيرُ مثلَ أُحد» وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ و﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾.
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا.
قلت: وإسناده حسن، عباد بن منصور صدوق وكان يدلس، لكنه قد صرَّح هنا.
وصححه المنذري في الترغيب (٢/ ٣).
وحديث عائشة رواه ابن حبان في صحيحه (٨١٩- زوائد) والطبراني، وقال الهيثمي (٣/ ١١١): رجاله رجال الصحيح.
* وله طريق أخرى: رواها البزار (١/ ٩٣١- زوائد) وقال الهيثمي (٣/ ١١٢): ورجاله ثقات.
ويشهد للحديث ما بعده.
* فائدة: قال الترمذي عقب تخريجه لهذا الحديث: وقد قال غيرُ واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبُه هذا من الروايات، من الصِّفات، ونزول الربِّ تباركَ وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تُثبت الروايات في هذا ويُؤمَنُ بها ولا يُتوهَّمُ، ولا يقال: كيف؟ هكذا رُوي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: امرُّوها بلا كيف، وهكذا قولُ أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهميةُ فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه.
وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه: اليدَ والسَّمعَ والبصرَ، فتأوَّلت الجهمية هذه الآيات ففسرُّوها على غير ما فسَّرَ أهلُ العلم، وقالوا: إنَّ الله لم يخلُق آدمَ بيده، وقالوا: إن معنى اليد ههنا القُوة. =

وفي لفظ آخر قال: «مَنْ تَصَدَّق بِتَمْرةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي مَوْضِعِها، أَخَذَها الله بِيَمِينِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَبِّيها كما يُرَبِّي أَحَدُكُم فَلُوَّهُ، حَتَّى تكونَ مَثْلَ الجَبَل أو أَفْضَل»(١).

وفي لفظٍ آخر: «إنَّ الله يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ بِيَمنِهِ، ولا يَقْبَلُ مِنها إلا مَا كَانَ طيِّباً، وإنَّ الله لَيُرَبِّيَ لأَحَدِكُم صَدَقَته، كما يُرَبيِّ أَحَدُكُم مَهْرَهُ أو فَصِيلَه حَتَّى يُوافي بها يومَ القيامةِ وهي أَعْظَم من أُحُد»(٢).

= وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التَّشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ، أو مثلَ يدٍ، أو سمعٌ كسَمعٍ أو مثل سمع، فإذا قال: سمعٌ كسمعٍ أو مثل سمعٍ فهذا التشبيه.

وأما إذا قالَ كما قال الله تعالى: يدٌ وَسمعٌ وبَصَرٌ، ولا يقول كيفَ، ولا يقولُ مثل سمعٍ ولا كسمعٍ، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ اهـ كلامه رحمه الله تعالى.

وهو كلام نفيس، جارٍ على قانون السلف رحمهم الله تعالى، من إمرار آيات الصفات وأحاديثها، وإثبات معانيها، وعدم التعرض لها بالتكييف أو التشبيه أو التأويل والتحريف.

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٣٣١) والبخاري تعليقاً (٣/ ٢٧٨) (١٣/ ٤١٥) عن عبد الله بن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة به ولفظه مقارب للفظ السابق.

ورواه البخاري في الموضعين السابقين موصولاً، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٢) من طرقٍ عن أبي صالح عن أبي هريرة به.

ورواه مسلم (٢/ ٧٠٢) والترمذي (٣/ ٦٦١) والنسائي (٥/ ٥٧- ٥٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص٦١، ٦٣) عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن سعيد بن يسار به، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدَّق أحدٌ بصَدقةٍ من طيِّبٍ، ولا يقبل الله إلا الطيِّبَ، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإنْ كانت تمرةً، فتربُوا في كَفِّ الرحمنِ، حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُربِّي أحدكم فَلُوَّه أو فَصيله».

وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة انظر «التوحيد» لابن خزيمة (ص٥٩- ٦٣).

معنى: فتربو، أي: تزيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

فلوه أو فصيله: الفلو المهر، سُمِّي بذلك لأنه فُلي عن أمه، أي: فصل وعزل، والفصيل ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه.

(٢) انظر ما سبق.

٢٩٧- وفي حديث آخر: رواه ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَصدَّقُوا فإنَّ أَحَدَكم يُعطي اللُّقْمة أو الشَّيء، فَيَقَع في يد الله تعالى قبلَ أنْ تَقَعَ في يَدي السَّائل، ثُمَّ تلَى هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]. فيُربِّيها كما يُرَبيِّ أحدكُم مَهْرَهُ أو فَصِيله، فيُوفِّيها إيَّاهُ يومَ القيامة**»(١).

اعلم أنَّه غيرُ ممتنع حملُ الخَبَر على ظاهره، إذ ليس فيه ما يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحق، لأنَّا لا نُثْبتُ «كفًّا»(٢) هُو جارحة ولا بَعض، بل

---

(١) ذكره بهذا اللفظ دون الآية، الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (٢/ ٥٢).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٢٠/ ١٢١٥٠) قال حدثنا محمد بن أبان الأصبهاني ثنا الحسين بن محمد بن شيبة الواسطي ثنا يزيد بن هارون أنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس رفعه قال: «ما نقصت صدقةٌ من مالٍ قط، وما مدَّ عبدٌ بصدقةٍ إلا أُلقيتْ في يد الله قبل أن تقع في يدِ السائل، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ له عنها غنىً، إلا فتح الله عليه بابَ فقر».

ذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ١١٠) وقال: وفيه من لم أعرفه!

قلت: وفيه ضعيفان يزيد بن أبي زياد وهو القرشي الهاشمي، وشريك القاضي، ولا أدري لِمَ لم يُعل الحديث بهما؟!

* وله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفاً، أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٢٢٧-٢٢٨) ومن طريقه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٩/ ٨٥٧١) واللالكائي (٣/ ٤٢٠) عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن قتادة المحاربي عن عبد الله قال: ما تصدق رجلٌ بصدقة إلا وقعت في يد الرب قبل أن تقع في يد السائل، وهو يضعها في يد السائل، قال: وهو في القرآن فقرأ عبد الله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾.

وأخرجه الدارمي في النقض (ص٣٦) عن شعبة عن عبد الله بن السائب به.

وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ١١١) وقال: وفيه عبد الله بن قتادة المحاربي ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله ثقات.

(٢) كذا قال! ولم يسق فيما تقدم اللفظ الذي فيه لفظ «الكف»، وهو ثابت كما سبق في رواية مسلم وغيره «... فَتَربُو في كَفِّ الرَّحْمن».

نثطلق كفاً هو صفةٌ كما أطلقنا يدين ووجهاً وعيناً وسمعاً وبصراً وذاتاً، كذلك لا يمتنع إطلاق ذلك في الكَفِّ، ويكون فائدة الخبر الترغيب والحث في الصَّدقة، وأنَّها مما يَجبُ أنْ يُقصد بها الطَّيب من المال، لحصولها في كَفِّ الرحمنِ، وأنه لا يقبل منا إلا الطَّيب.

فإن قيل: معنى الكفِّ ها هنا: المُلكُ والسُّلطان، فيكون تقديره يقع في ملكه وسلطانه، قال الاخْطَل(١):

أَعَاذِلَ إنَّ النَّفْسَ في كَفِّ مَالكٍ   إذا ما دَعَا يوماً أَجَابَتْ به الرسلا

وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُنشد كثيراً هذين البيتين:

هَـوِّن عـليـكَ فـإنَّ الأَمـورَ   بـكـفِّ الإلـهِ مَـقـادِيـرهـا
فـليـس بـآتِـيـكَ مَـنْـهِـيُّـهَـا   ولا قَـاصِـرٌ عـنـكَ مَـأْمُـورُهـا(٢)

وهذا مستعمل في كلامهم: فلان في كفي، يُريدون بذلك يَجْري عليه أمري، وربما قيل المراد بالكف: الأثرُ والنِّعمة، ومعناه تقع منكم بنعمةٍ من الله وتوفيقه إياكم لفعلها، ومنه قول ذي الإصبع(٣):

---

(١) هو الأخطل التغلبي النصراني، واسمه غياث بن غوث بن الصلت.
قيل للفرزدق: من اشعر الناس؟ قال: كفَاكَ بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح، وقد حصَّل أموالاً جزيله من بني أمية، ومات قبل الفرزدق بسنوات.
انظر: المؤتلف والمختلف (ص٢١)، الشعر والشعراء (٣٩٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء» (ص٣٣٢) عن حماد بن عمرو الأسدي عن حماد بن ثلج عن ابن مسعود قال: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كثيراً ما يخطب: ان يقول على المنبر، فذكر البيتين وفيه: خفض عليك، بدل: هون عليك، وفيه: حماد بن ثلج لم أجد له ترجمة!

(٣) هو ذو الإصبع العَدواني واسمه حرثان بن حارثة بن محرث، ويقال: الحارث بن ثعلبة بن ضرب، وقيل له: ذو الإصبع، لأنَّ أفعى ضربت إبهام رجله فقطعها، وهو أحد حكماء الشعراء، عمر دهراً، وهو القائل:

يا عمرو إلا تَدَع شتمي ومَنقصتي   أضربك حيث تقول الهَامَة اسْقُوني

انظر «المؤتلف والمختلف» لأبي القاسم الآمدي (١١٨).

زَمَانٌ به لله كفٌّ كريمة … علينا ونعماً لهن بَشير

أرادَ بذلك نعمة ظاهرة لله عز وجل فيه(١).

قيل: هذا غلطٌ، لأنه ليس شيءٌ من الأشياءِ خارجٌ عن ملكه وسُلطانه، ومن نفى ذلك كفر، وكذلك جميع الطَّاعات تقع بنعمةٍ من الله وتوفيقه، وإذا كان كذلك، فلا فائدة في تخصيص الصَّدقة بالنِّعمة وغيرها من الطاعات من جُملة نِعَمِه، وكذلك لا فائدة في تخصيص الصَّدقة بالمُلْكِ والسُّلطان وغيرها في ملكه وسلطانه، فوجب حمل الخبر على ظاهره، وما قاله الشاعر فهو على طريق المجاز، لأنَّ الحقيقة في هذه التَّسمية خِلافُ ذلك، ولا يَجوز إضافة المَجَازِ إلى صفات الله، لأنَّ المجاز لا حَقيقة له.

فإن قيل: كيف يصح حمله على ظاهره، والصَّدقة من جُملة المُحْدَثات، والمحدثات لا تلاقي القديم!.

قيل: كما صَحَّ حمل قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. على ظاهره وإنْ كان آدم من جملة المُحدثات، كذلك ها هنا لا يمتنع حمل(٢) ذلك على ظاهره

---

(١) كذا تأوله ابن فورك في «مشكل الحديث» (ص٩١- ٩٢).
وتأوله ابن الأثير في «النهاية» (١٨٩- ١٩٠) بالقبول للصدقة! قال: «هو كناية عن محل قبول الصدقة! فكأن المتصدق قد وضع صدقته في محل القَبُول والإثابة، وإلا فلا كف لله ولا جارحة! تعالى الله عما يقول المشبهون عُلواً كبيراً!».
وبنحوه قال المازري في كتابه «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٢٥) ونقله النووي في شرحه (٧/ ٩٨) ونقله عن عياض أيضاً.
كذا قالوا!! والحديث النبوي قد نطق بإثبات الكف للرحمن جلَّ شأنه، فتأويلهم باطل لا مستند له من الحديث ولا غيره.
وقد ردَّ عليهم المصنف ها هنا، وانظر ما تقدم في إثبات اليمين في (الجزء الأول/ ١٦٨).
(٢) في الأصل: حمله، وليس بمستقيم.

على وجه لا يقتضي الملاقاة[١] كما قلنا في خلق آدم.

٢٩٨- وفي معنى هذا الحديث: ما ناه أبو القسم نا محمد بن عبد الرحمن بن العباس البزاز نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري نا أحمد بن يوسف ابن خلد التغلبي نا صفوان بن صالح نا الوليد بن مسلم قال حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِنْ دَمْعَةٍ تَقَعُ من عَين يَتيم، إلا وَقَعت في كَفِّ الرحمن، وذلك أنْ لا يظلمه ولا يُؤذيه في غير حق»**[٢].

* * *

---

(١) قوله: «على وجه لا يقتضي الملاقاة» سبق القول فيه، وأنَّه نفي لم يأت به نص، وأن الصواب خلافه. انظر (الجزء الأول/ ص ٢٠٦- ٢٠٨).

(٢) لم أجد من خرَّجه.

وإسناده هنا: مرسل ضعيف، فإن ضمرة بن حبيب وهو الزبيدي أبو عتبة الحمصي، ثقة من أواسط التابعين تقريباً، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي، ضعيف وكان قد سُرق بيته فاختلط، قاله الحافظ.

[إثباتُ صِفَةُ الأَصابعِ للرَّحْمَنِ سُبحانه]

[حديثٌ آخر]

٢٩٩- حدثنا أبو القسم بإسناده: عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يُكْثِر أنْ يقول: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دينك**» قالوا يا رسول الله: آمنَّا بكَ وبما جِئْتَ بِهِ، فَهَل تخافُ علينا؟ قال: «**إنَّ القُلُوب بين أُصْبُعَينِ مِنْ أَصابعِ أَلله عزَّ وجلَّ يُقَلِّبُها**».

وفي لفظٍ آخر: «**إنَّ القُلُوب بيدِ الله يقلبها**»(١).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٥٥) وفي المصنف (١٠/ ٢٠٩) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٥) وأحمد (٣/ ١١٢، ٢٥٧) والترمذي (٤/ ٢١٤٠) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧) وابن منده في «الرد على الجهمية» (٦٩) والحاكم (١/ ٥٢٦) من طرق عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك به.

قال الترمذي: حديث حسن، وهكذا روى غيرُ واحد عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس، وروى بعضهم: عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح.

قلت: وإسناده حسن، أبو سفيان اسمه طلحة بن نافع أبو سفيان الواسطي، ليس به بأس، قاله جماعة.

ورواه الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس.

أخرجه ابن ماجة (٣٨٣٤) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦١) والآجري (ص٣١٧)، ويزيد ضعيف.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (٦٨٣) من طريق أبي الأحوص عن الأعمش عن أبي سفيان ويزيد (كذا جمع بينهما) به.

وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٦١/ ٧٥٩) عن إسماعيل بن عمرو البجلي عن قيس ابن الربيع عن الأعمش عن ثابت عن أنس مرفوعاً (الدعاء فقط) وفي سنده ضعيفان إسماعيل وقيس.

ورواية الأعمش عن أبي سفيان عن جابر يأتي الكلام عليها.

٣٠٠- وناه بإسناده: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ قَلْبِ ابن آدم إلا بَيْنَ أُصْبُعَين مِنْ أَصَابعِ الرَّحمن عزَّ وجلَّ، فإذا شَاءَ أن يُقِيمَه أَقَامَه، وإذا شاءَ أن يُزيغَه أزَاغه**»[(١)].

٣٠١- وناه لفظاً بإسناده: عن أم سلمة زوج النبي قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يَا مُقَلِّب القُلوب ثَبِّت قَلْبي على دينك**» قالت: قلت: يا رسول الله! وَتَخافُ على قَلبك وقد عَصَمه الله بالوَحي؟ قال: «**إنَّ قَلْبَ ابنَ آدم بينَ أُصْبُعَينِ مِن أَصَابع الله عزَّ وجلَّ- السَّبابة والتي تليها- فإذا أراد الله تعالى أنْ يُزيغَ قلبَ عبدٍ أزاغه، وإذا أراد أنْ يُثَبِّتَه ثَبَّته**».

حدَّثناه عن أبي بكر عبد العزيز في الإجازة نا علي بن محمد بن أحمد الواعظ نا أبو الزِّنْبَاع رَوْحُ بن الفرج نا عيسى بن يونس نا ضمرة عن ابن شَوْذَب عن أيوب عن أبي قلابة عن أم سلمة[(٢)].

---

(١) صحيح لغيره، أخرجه أحمد (٦/ ٩١) عن حماد بن زيد عن المعلي بن زياد وهشام ويونس عن الحسن أن عائشة قالت: دعوات كان رسول الله ﷺ يكثر يدعو بها: «يا مقلّبَ القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت...» ولفظه مقارب لما ذكره المصنف.

وفي سماع الحسن عن عائشة رضي الله عنها نظر، وقد عنعن.

* وله إسناد آخر عن عائشة:

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢١٠) وأحمد (٦/ ٢٥٠- ٢٥١) والدارمي في النقض (ص٦١) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٤، ٢٣٣) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٥٩) مختصراً عن علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد القرشية عن عائشة به.

وعلي بن زيد ضعيف، وأم محمد وهي امرأة أبيه مجهولة الحال.

ويشهد للحديث ما قبله وما بعده.

(٢) لم أجد من خرَّجه بهذا السند، وفيه أبو قلابة وكان يرسل كثيراً، وفي سماعة من أم سلمة نظر.

وله طريق أخرى عن أم سلمة.

فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٠٩- ٢١٠) وأحمد (٦/ ٣١٥) وابن أبي =

٣٠٢- وناه بإسناده: عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّه سمع رسول الله يقول: «إنَّ قُلُوبَ بني آدمَ كُلَّها بينَ أُصْبُعَينِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحمنِ عَزَّ وجَلَّ كَقَلْبٍ واحدٍ، يُصرفه[1] كيف يشاءه» وقال رسول الله ﷺ: «اللهم مُصَرِّفَ القُلوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إلى طاعتك»[2].

= عاصم في «السنة» (٢٢٣، ٢٣٢) والترمذي (٥/ ٣٥٢٢) وقال: حسن، والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٥٧) وفي الكبير (٢٣/ ٣٣٤) كلهم عن معاذ بن معاذ عن أبي كعب صاحب الحرير (سوى الطبراني فعن مسلم بن إبراهيم عن أبي كعب) ثنا شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: أكثر دعائه يا مقلّب القلوب ثَبِّت قلبي على دينك، ثم قال: يا أم سلمة! إنه ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ».

وأخرجه أحمد (٦/ ٢٩٤، ٣٠١- ٣٠٢) والدارمي في النقض (ص٦٢) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٥٨) وفي الكبير (٢٣/ ٢٣٨) عن عبد الحميد بن بهرام ثنما شهر بن حوشب بنحوه، وفيه زيادة: «فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة أنه هو الوهاب» وللطبراني في الكبير زيادة أخرى.

وأخرجه ابن خزيمة (ص٨١) عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر به.

وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٦) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٤٥) عن مقاتل بن حيان عن شهر به، وفيه عنعنة بقية.

* وله طريق ثالثة: فقد أخرجه الآجري (ص٣١٦) عن سالم الخياط عن الحسن عن أمه قالت: سمعت أم سلمة بنحوه.

وليس عندهم قول أم سلمة: «وتخاف على قلبك وقد عصمه الله بالوحي» ولا زيادة «السَّبابة والتي تليها». ويشهد للحديث ما قبله وما بعده.

(١) في الأصل يصرف، والتصويب من مصادر الحديث.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٢، ٢٣١) والأجري في «الشريعة» (ص٣١٦) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦٠) والبيهقي في «الأسماء» (٣٤٠) كلهم عن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حَيْوَة أخبرني أبو هانيء، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص فذكره. وعند مسلم «صَرِّفْ قلوبنا».

واتابع ابن المقرئ ابنُ المبارك، رواه الدارمي في «النقض» (ص٦١).

٣٠٣- وناه أبو القسم قال: أبو القسم عبد الله بن إبراهيم بن محمد القاضي(١) نا أحمد بن الحسن الرازي نا مقدام بن داود نا عبد الله بن محمد بن المغيرة نا سفيان عن الأعْمَش عن أبي سُفيان عن جابر بن عبد الله قال: كانَ رسول الله ﷺ يُكثِرُ أنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبَ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دينكَ**» فقال له بعضُ أصحابه: أَتَخافُ علينا وقد آمنَّا بكَ، وبما جئت به؟ فقال: «**إنَّ القُلُوبَ بين أُصْبَعَينِ من [أصابع](٢) الله يُقَلِّبها هكذا وهكذا، يُقلِّبُ أُصْبُعيه**»(٣).

٣٠٤- ونا أبو القسم بإسناده: عنْ النَّواس بن سَمْعان الكلابي أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إلا وَهو بينَ أُصْبُعَينِ مِنْ أَصَابعِ ربِّ العَالمين**

(١) في الأصل: الفامي، وهو خطأ وصوابه: القاضي، وهو: أبو القاسم عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن تميم، ترجم له الخطيب في تاريخه وقال: خرّج له أبو حفص بن شاهين فوائد، وكان يروي عن: ... وأبي العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق الرازي، حدثنا عنه أحمد بن محمد العتيقي وعبد العزيز بن علي الأزجي، وكان صدوقاً.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) صحيح لغيره، أخرجه الترمذي (٤/ ٤٤٩) تعليقاً والحاكم (٢/ ٢٨٨- ٢٨٩) (وقد سقط من أصول المستدرك وأضيف من التلخيص كما قاله مصحح الكتاب) ورواه الحاكم موصولًا عن الثوري عنه، كما في النكت الظراف للحافظ. (٢/ ٢٠١)).
ورواه الجورقاني في «الأباطيل» (١/ ٤٥) عن محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به وزاد: قال سفيان بإصبعيه: هكذا وقلَّب إصبعيه، وأرانا عباس بالسبابة والوسطى.
قال الترمذي: وروى بعضهم: عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح.
وأشار الحاكم إلى أنه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
وقال الجورقاني: هذا حديث صحيح رجاله كلهم أثبات.
ويشهد للحديث ما قبله.

جلَّ اسمه، إذا شاء أنْ يُقِيمَه أقَامه، وإذا شاء أنْ يُزيغَه أَزَاغَه» قال رسول الله ﷺ يقول: «يا مُقلِّب القُلوبِ ثَبِّتْ قُلُوبنَا على دينك» قال: «والميزانُ بيدِ الرَّحْمن جلَّ اسمه، يرْفَعُ أَقْواماً، ويَضَعُ آخرين إلى يوم القيامة»(١).

اعلم أنه غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره، في إثبات الأصابع والسَّبَّابه والتي تليها، على ما رُوي في حديث جابر، إذْ ليس في حمله على ظاهرِهِ ما

---

(١) إسناد صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن ماجه (١٩٩) وابن حبان (٢٤١٩- زوائد) والدارمي في النقض (٦٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٩، ٢٣٠، ٥٥٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٨٠) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٧- ٣١٨) وابن منده «في الرد على الجهمية» (٦٨) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦٢) والحاكم (١/ ٥٢٥) (٢/ ٢٨٩) (٤/ ٣٢١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٤٠-٣٤١) وفي «الاعتقاد» (ص١٥٢) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر بن عبيد الله عن أبي أدريس الخولاني قال: سمعت النواس بن سمعان قال سمعت رسول الله ﷺ فذكره.

قال الحاكم في الموضع الثاني أنه صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وأما في الموضعين الآخرين فقال: على شرط مسلم.

والصواب الأول فإن رجاله ثقات رجال الشيخين.

والحديث رواه: سبرة بن الفاكِه: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٠، ٥٥٠، ٥٥١) (ووقع في المطبوعة: بن الفاكهة وهو خطأ) وهو صحابي أسدي.

وأبو هريرة: أخرجه ابن أبي عاصم (٢٢٩) والدارمي في النقض (ص٦٢) مختصراً.

ونعيم بن همار: أخرجه ابن أبي عاصم (٢٢١، ٥٥٣).

وعاصم بن كليب عن أبيه عن جده: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٨٧) والطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٢٦٣) وفي الكبير (٧/ ٣١٣/ ٧٢٣٢) من طريقين عنه، وانظر الإصابة (٢/ ١٥٩).

وأبو ذر: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٨١- ٨٢) بسياق مطول عن شرحبيل بن الحكم عن عامر بن نائل عن كثير بن مرة عن أبي ذر، قال ابن خزيمة بعده: أنا أبرأ من عهدة: شرحبيل بن الحكم وعامر بن نائل، وقد أغنانا الله- فله الحمد كثيراً- عن الاحتجاج في هذا الباب بأمثالهما. اهـ

ولم يزد الحافظ في اللسان (٣/ ١٤٢) في ترجمة شرحبيل على نقل كلام ابن خزيمة.

يُحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لما بينَّا في الخبر الذي قبله، لأنَّا لا نُثبت أَصَابِعاً هي جارحة ولا أَبْعاضاً، وإنَّما نطلق ذلك كما أطلقنا تَسْمية اليَدَين والوَجه والعَين وغير ذلك، ويكون المقْصود بالخبر الفَزَع من الله سبحانه والمسارعة إلى الطَّاعات والخوف من سُوءِ المنقلب[١].

فإن قيل: يُحتمل أنْ يكون المرادُ بالأَصابع المُلْك والقُدرة، ويكون فائدته أنَّ قُلوبهم في قبضته جارية على قدرته، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا على طريق المثل، كما يقال: ما فلان إلا في يدي وخنصري، ويريد بذلك أنَّه عليه مُسَلَّطٌ، وأنَّه لا يتعذر عليه ما يريده منه، ويحتمل أن الأُصْبُعَين ها هنا بمعنى النِّعمتين، وقد تقول العرب: لفلانٍ على فلان إصبع حَسَنٌ، إذا أَنعم عليه نِعْمةَ حسنة، ومنه قول الشاعر:

ضَعِيفُ العَصا بَادِي العُرُوق تَرَى له ... عليه إذا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعَا[٢]

(١) ما سبق من الأحاديث النبوية صحيحة وصريحة في إثبات صفة «الأصابع» لربِّنا جلَّ شأنه، وليس في ذلك غضاضة على المسلم- كما يحاول المعطلة أن يشنعوا- لأنَّه يُثبت ما أثبته أعلم الخلق بربه، وليس فيما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله تشبيهٌ ولا تمثيل.
قال أبو بكر بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التوحيد» (ص٧٩-٨٠): باب إثبات الأصابع لله عَزَّوَجَلَّ من سُنَّة النبي ﷺ قيلاً له، لا حِكايةً عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد أن خبر ابن مسعود ليس هو من قول النبي ﷺ تصديقاً لليهودي. اهـ
يريد أن المعطلة ردوا الاحتجاج بخبر الحَبر اليهودي، الذي سيذكره المصنف بعد.
بدعوى أنه صدر عن اليهودي لا عن النبي ﷺ - وسيأتي الردُّ على هذه الشبهة- فما عساهم أن يقولوا عن كلامه الصريح هنا ﷺ في إثبات الأصابع؟!
هذا ما سيذكره المصنف الآن عنهم من التأويلات والتحريفات.

(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان (٤/ ٢٣٩٥) ولم يعزه لأحد، إنما قال: «قال الراعي يصفُ راعياً... فذكره، لكن فيه: عليها إذا ما أجدب...»- وكذا هو في مختلف الحديث لابن قتيبة (ص١٤١)-، ثم شرحه فقال: «ضعيف العصا أي: حاذِق الرعية لا يضرب ضرباً شديداً، يصفه بحسن قيامه على إبله في الجَدْب، وصَبَعَ به وعليه يصْبَع صَبْعاً: أشار نحوه بإصبعه واغتيابه، أو أراده بشرٍّ، والآخر غافل لا يشعر».

أي إذا ما وقع الناس في الجَذْبِ والقحْط، له عليه أثَرٌ حَسن، ويحتمل أنْ يكون معناه بين أَثرين من آثار الله عزَّ وجلَّ، وفعلين من أفعاله[(١)].

قيل: هذا غلطٌ لوجوه:

أحدها: أنَّ حَمْله على المُلك والقُدرة والنِّعم والآثار، يُسقط فائدة التخصيص بالقَلب، لأنَّ جميع الأشياء هذا حكمها، وأنها في ملكه وبنعمه وبآثاره.

الثاني: أنَّ في الخبر ما يُسْقِط هذا، وهو قوله: «**بين السَّبابة والتي تليها وأشار بيده هكذا وهكذا**» وهذا يَمنع من صحة التأويل.

الثالث: أنَّه لو كان المراد به النِّعمتين، لكان القلبُ مَحْفوظاً بها ولم يَحتج إلى الدعاء، وَلَّما دَعَا بالتَّثْبيت، لم يصح حمله على النعمتين، وهذا الثالث جواب ابن قتيبة، لأنَّه إذا كان بين نعمتين كان مَحْفوظاً بتلك النِّعمتين[(٢)].

وأما قول الشاعر فهو على طريق المجاز، فلا يَجوز استعماله في صفات الله تعالى، لأنَّه لا حقيقة للمجاز.

وأمَّا قوله: «**والميزان بيد الرحمن يَرفَعُ أقواماً ويَضَعُ آخرين**» فلا يمتنع

---

(١) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص٩٢- ٩٤).
ونقل البيهقي في «الأسماء» (ص٣٤١) نحوه عن أبي حاتم الخطيب.

(٢) «تأويل مختلف الحديث» (ص١٤١).
وقد أثبت هذه الصفة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى فقال بعد ذلك: فإنْ قال لنا: ما الإصْبَع عندك ههنا؟ قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: «يَحملُ الأرضَ على إصْبَع وكذا على إصبعين» ولا يجوز أن تكون الإصْبَع ههنا نعمة، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. ولم يجز ذلك.
ولا نقول: إصْبعٌ كأصبعنا، ولا يدٌ كأيدينا، ولا قبضةٌ كقبضاتنا، لأنَّ كلَّ شيءٍ منه عزَّ وجلَّ لا يُشْبه شيئاً منا. اهـ
وهو كلام جيد، جار على منهج السلف رحمهم الله تعالى.

إضافة ذلك إليه، كما لم يمتنع إضافة الخَلْقِ لآدم بيده، ونظير هذا قول النبي ﷺ: «كَتَبَ التَّوراةَ بيده» (١).

وليس القائل أنْ يَقول: إنَّا أَثْبَتنا خلق آدم بيده من طريقٍ مقْطُوعٍ عليه، وهو القرآن، لأنَّ خبر الواحد إذا تَلَقَّتْه الأُمة بالقَبُول صار في حكم المقطوع عليه، وليس لهم أنْ يَقُولوا إنَّ ذلك قُصِدَ به فضيلة آدم، وهذا المعنى معدوم ها هنا، لأنَّ في ذلك تفضيلًا لبعض خلقِهِ على بعض، تشريفاً لهم وتكريماً وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

***

(١) يأتي تخريجه والكلام عليه.

[حَديثٌ آخَرٌ في الإِصْبَع]

٣٠٥- ناه أبو القسم بإسناده: عن عبد الله قال: أتَى النبي ﷺ رجلٌ من اليهود فقال: يا أبا القاسم! أَبَلَغَكَ أَنَّ الله يَحملُ السَّماواتِ على إصْبَع، والأَرْضِينَ على إصْبَع، والشَّجَرَ على إصْبَع، والخَلَائِق على إصْبَع، ثم يقول: أنَا الملكُ، قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ ضَحكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ، فأنزل الله عَزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] (١).

وفي لفظٍ آخر قال: «**إنَّ الله يُمْسك السماوات على إِصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملكُ، فضحك رسول الله حتى بَدَتْ نَواجِذَهُ، ثم قَرَأ:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى الآية(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨) ولم يسق لفظه وكذا عبد الله في السنة (٤٩١)، وابن أبي عاصم (٥٤٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣٣٣):
من طرق عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بهذا اللفظ.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٣٨) وابن أبي عاصم (٥٤٤) وابن خزيمة (ص٧٧) عن أبي عوانة عن الأعمش به.
وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨) وابن خزيمة (ص٧٦) والبيهقي في الأسماء (ص٣٣٤) عن جرير عن الأعمش به.
وأخرجه مسلم (٤٢١٤٨) عن عيسى بن يونس عن الأعمش به.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٣) ومسلم والبيهقي في الأسماء (ص ٣٣٤) عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش به.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٥٠-٥٥١) ومسلم في صفات المنافقين (٤/ ٢١٤٧) وابن أبي عاصم (٥٤١) وعبد الله في «السنة» (٤٩٠) وابن خزيمة في التوحيد (ص٧٨) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٨، ٣١٩) وابن منده في «الرد» (٦٤) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٣٤) من طرق عن منصور بن المعتمر عن إبراهيم عن عَبيدة السَّلماني عن عبد الله مرفوعاً به، لكن فيه بعد قوله: «والجبال والشجر على إصبع»: «والماء والثرى على إصبع...» ولعلها سقطت من الناسخ. =

وفي لفظ آخر: «قال يَا محمد! إذا كان يومُ القيامة وضع ربُك جلَّ اسمه السَّماء على هذهِ، والأرضَ على هذِه، والجبال على هذِهِ، والماءَ، والثَّرى على هَذِهِ، وسائر الخَلْقِ على هَذِهِ، ثم هَزَّهُنَّ فقال: أين الملوك؟ لي الملك اليوم، قال فضحك رسول الله ﷺ»(١).

وفي لفظٍ آخر: رواه أبو بكر الخلال بإسناده: عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال مَرَّ يَهوديٌ برسول الله ﷺ وهو جالسٌ قال: كيف تقول يا أبا القاسم، يَومَ

= وأخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٣) وابن أبي عاصم (٥٤٢) وعبد الله في «السنة» (٤٨٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٧٧) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٩) وابن منده في «الرد» (٦٣): عن يحيى بن سعيد ثنا سفيان بن سعيد حدثني منصور وسليمان الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة به.
وقد عدَّ ابن خزيمة رواية الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة خطأً من يحيى بن سعيد فقال: الجواد قد يعثر في بعض الأوقات، وَهِمَ يحيى بن سعيد في إسناد خبر الأعمش- مع حفظه وإتقانه وعلمه بالأخبار- فقال: عن عبيدة عن عبد الله، وإنما هو عن علقمة، وأما خبر منصور فهو عن إبراهيم عن عَبيدة عن عبد الله.
والإسنادان ثابتان صحيحان: منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله.
والأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله.
غير مستنكر لإبراهيم النخعي- مع علمه وطول مجالسته أصحاب ابن مسعود - أنْ يروي خبراً عن جماعة من أصحاب ابن مسعود عنه اهـ كلامه.
وقد رواه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٩) عن الضحاك بن مخلد عن سفيان عن منصور فقط عن إبراهيم عن عبيدة به.
وهي متابعة ليحيى بن سعيد عن الضحاك.
وممن رواه عن علقمة: خيثمة بن عبد الرحمن.
أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٨) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٣٥) عن أحمد بن المفضل ثنا إسباط بن نصر عن منصور عن خيثمة به.
تنبيه: وقع عند البيهقي: أحمد بن الفضل الغنوي، وأظنه تحريف لأحمد بن المفضل الحفري القرشي، وهو شيعي صدوق روى عن أسباط بن نصر، له ترجمة في التهذيب والجرح (٢/ ٧٧). أما الأول فلم أجد له ترجمة.

(١) انظر تخريجه في الذي بعده.

يَجعلُ الله السَّماء على ذِه، وأشار بالسَّبَّاحَةِ، والأرضَ على ذِه، والجبال على ذِه، وسَائرَ الخَلْقِ على ذِه، وجعل يشير بإصَابعه، قال: فأنْزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية[(١)].

(١) صحيح لغيره، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٤٠) وابن أبي عاصم (٥٤٥) وابن جرير (٢٤/ ١٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٧٨) وابن منده في «الرد على الجهمية» (٦٥) من طرقٍ عن محمد بن الصلت حدثنا أبو كُدينة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: مرَّ يهودي بالنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «حدثنا» فقال: كيف تقول يا أبا القاسم... الحديث.
وعند الترمذي: وأشار أبو جعفر محمد بن الصلت بخنصره أولاً، ثم تابع حتى بلغ الإبهام، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.
قال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وأبو كدينة اسمه يحيى بن المهلب.
قلت: قال عنه الذهبي ثقة، ومحمد بن الصلت صدوق يهم، لكن عطاء بن السائب صدوق كان قد اختلط.
وأخرجه أحمد (١/ ٢٥١) وعنه ابنه عبد الله في «السنة» (٤٩٤، ١١١٣) عن حسين بن حسن نا أبو كدينة به.
وفيه: حسين الأشقر، ضعيف.
وأخرجه أيضاً عبد الله (٤٩٣) فقال حدثني عبد الله بن عمر نا عمران بن عيينة عن عطاء به ولفظه: مرَّ يهودي على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «يا يهودي خَوِّفنا» فقال: «يا أبا القاسم! كيف بيوم تكون الأرض على هذه، والسماوات على هذه، والماء على هذه، والخلق على هذه يعني أصابعه، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.
ولفظه مقارب للفظ الذي ساقه المصنف قبل هذا الحديث.
وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» (٦٦) عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي السائب وعن أبي الضحى عن مسروق قال: قال رسول الله ﷺ ليهودي: «أذكر عظمة الربِّ جل وعز» فقال: السماوات على هذه يعني الخنصر، والأرض على هذه يعني البنصر، والجبال على هذه يعني الوسطى، والماء على هذه يعني السبابة، وسائر الخلق على هذه يعني الإبهام، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾. وهذا مرسل.
وعزاه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٩٧) للهروي، والسيوطي في «الدر» (٧/ ٢٤٨) لعبد بن حميد وابن مردويه.

إعلم أنَّه غيرُ مُمتنعٍ حَملُ الخبر على ظاهِرِه، وأنَّ الإِصْبَعَ صفةٌ ترجع إلى الذات، وأنَّه تجوز الإِشارة فيها بيده.

٣٠٦- نص عليه أحمد في رواية أبي طالب: سئل أبو عبد الله عن حديث الحَبر «**يضع السَّموات على إِصْبَع، والأرضين على إِصْبَع، والجبالَ على إِصْبع**» يقول إلا شَارَ بيده هكذا، أي يشير، فقال أبو عبد الله: رأيت يحيى يحدث بهذا الحديث ويضع إِصْبعاً إِصْبعاً، ووضع أبو عبد الله الإبهام على إِصْبَعه الرابعة، من أسْفل إلى فوق على رأسِ كل إِصْبَع[1].

فقد نصَّ على ذلك.

٣٠٧- وذكر هبة بن منصور الطبري[2] في كتاب «السُّنَّة» فقال: سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان بن جابر قال سمعت أبا نصر أحمد بن يعقوب بن زاذان قال: بَلَغني أنَّ أحمد بن حنبل قَرَأَ عليه رجلٌ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ

---

(١) ذكره عبد الله في «السنة» (٤٨٩) عن أبيه.
ورواه أبو بكر الخلال في كتاب «السُّنة» عن أبي بكر المروذي عن أحمد، كما في الفتح (١٣/ ٣٩٧) وقال: رأيت أبا عبد الله يشير بإصبع إصبع.

(٢) هو الإمام الحافظ المجوِّد المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطَّبريُّ الرازي الشافعي اللالكائي، مفيدُ بغداد في وقته.
سمع عيسى بن علي الوزير وأبا طاهر المخلِّص وعِدَّة، وروى عنه: أبو بكر الخطيب وابنه محمد بن هبة الله وعدة.
قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ وصنف كتاباً في «السُّنَّة» وعاجلته المنية، خرج إلى الدِّينور فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مئة.
قلت: وكتابه في السنة هو المطبوع باسم: «شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» بتحقيق د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة- الرياض مفيد جدا.
ترجمته في (تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠-٧١) السير (١٧/ ٤١٩- ٤٢٠) شذرات الذهب (٣/ ٢١١).

مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧] ثم أوْمى بيده، فقال له أحمد: قطعها الله وَحَرِدَ وقام[١].

وهذا محمولٌ على أنَّه قَصَدَ التشبيه، والموضعُ الذي أجازَه إذا لم يقصد ذلك، والوجه فيه: أنَّه ليس في حمله على ذلك ما يُغيِّر صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لما بَيَنَّا في الحديث الذي قبله، وهو أنَّه إثباتَ الأَصَابع كإثبات اليدين والوجه.

فإن قيل: المرادُ به إصْبَع بعض خَلْقٍ يخلقه، قالوا لأنَّ النبي ﷺ لم يقل في الخبر على إصْبَعه، بل أطلق ذلك فيحمل عليه[٢].

قيل: هذا غلطٌ لوجهين:

أحدهما: أنَّ في الخبر يُسقط ذلك، وهو قوله: «وسائر الخلْق على هذه» فاقتضى ذلك أنَّه لم يبق مَخلوقٌ، إلا وهو على الإصْبَع، فلو كان المرادُ به إصْبَع بعض خلقه، لَخَرج بعضُ الخلق عن أن يكون على الإصبع. وهذا خلاف الخبر.

الثاني: أنَّ المفسرين قالوا: إنَّما يكون ذلك عند فَناءِ خلقه وإماتتهم، فلا يكون له مُجيبٌ غير نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فدلَّ بهذا على أنَّه لم يَبْقَ هناك خَلقٌ يضع السَّموات على إصْبعَه.

فإن قيل: ففي الخبر ما يدلُّ على القدرة، وهو قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧][٣].

قيل: معناه ما عَرَفوا الله حقَّ معرفته، وإذا كان هذا معناه، لم يكن المراد به القُدْرة، وهذا الحديث ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين.

❊ ❊ ❊

(١) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٣٢)، وحَرَدَ: أي ترك الجالسين وتحوَّل عنهم (اللسان).
(٢) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٩٥) فقد ذكر هذا التأويل الباطل.
(٣) ذكره في «مشكل الحديث» (ص٩٦).

[إثباتُ صِفَةُ القَبضِ والبَسط لربنا تعالى]

[حَديثُ آخر][(١)]

٣٠٨- ناه أبو القسم بإسناده: عن نافع عن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فتلى هذه الأية: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. قال رسول الله ﷺ: **«يأخُذُ الله عزَّ وجلَّ السَّمواتِ والأَرْضينَ بيده، ثم يقول: أنَا المَلِكُ، فما زال يَقُولها حَتَّى رَجَفَ به المنْبر، حتى ظَنَنَّا لَيَخِرُّ به المنبر من رجفانه»**[(٢)].

وفي لفظٍ آخر: **«إنَّ الله عَزَّ وجلَّ إذا كان يوم القيامة جَمَعَ السَّموات والأرْضين السَّبع في قبضته، ثم بَسَطَها، ثم يقول: أَنَا الله أَنَا الرحمنَ أَنا المَلِكُ أنا القُدُّوسُ أنا السَّلام أَنَا المؤمِنُ أَنَا المُهَيْمنُ أَنا المُهَيْمنُ أَنَا العَزِيزُ أَنَا الجَبَّارُ أَنَا المُتَكبر، أينَ الجبابرة»**[(٣)].

وفي لفظ آخر: قال: **«يَطْوي الله تعالى السَّماوات يومَ القِيامة، فَيأْخذها بيده**

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٢) حديث صحيح، رواه عن نافع أربعة:

١- عبيد الله بن عمر. ٢- مالك. ٣- عبد الله بن نافع. ٤- ابن شهاب الزهري.

* أما حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر:

فأخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٣) والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٨٩/ ١٣٣٩٨) واللالكائي (٣/ ٤١٨).

ولفظه: «إنَّ الله يقبضُ يومَ القيامة الأرض، وتكون السَّماوات بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِك».

* وأما حديث مالك:

فأخرجه البخاري تعليقاً في الموضع السابق، وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٩٦) وصله الدارقطني في «غرائب مالك» وأبو القاسم اللالكائي في السنة. وهو في المطبوع (٣/ ٤١٧). وأما حديث عبد الله بن نافع: فأخرجه اللالكائي (٣/ ٤١٨ - ٤١٩). وما حديث ابن شهاب: فرواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٩-٣٢٠) عن حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن نافع به.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٧) لأبي الشيخ في العظمة وابن مردوية والبيهقي في الأسماء (ولم أجده في مظنته فيه).

اليمنى، ثم يقول: أَنَا الملَكُ، أينَ الجَبَّارون، وأين المُتكبرونَ، ثم يَطوي الأرضين ثم يأخذهنَّ بشماله، فيقول: أَنَا الملكُ أينَ الجبَّارون أين المتكبرون؟»(١).

وفي لفظ آخر: «يأخُذُ الجبار تعالى سَمواتِهِ وأَرْضِه» وجعل رسولُ الله يَقْبِضُ يديه ويَبْسُطُها، ويقول: أَنَا المَلِكُ أين الجبَّارُون؟ أين المتكبرون؟»(٢)

---

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨) وأبو داود (٥/ ٤٧٣٢) ومن طريقه البيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٣) وابن أبي عاصم في «السنة) (٥٤٧) وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٩) عن أبي أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.
وقد أعل الحديث بعمر بن حمزة لضعفه وتفرده بلفظه: «الشمال» لكن للحديث طرق صحيحة أخرى، سيأتي ذكرها.
وانظر الكلام على لفظه «الشمال» في «الجزء الأول».

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨- ٢١٤٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٢- ٧٣) والبيهقي في الأسماء (ص٣٣٩) عن سعيد بن منصور حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن حدثني أبو حازم عن عبيد الله بن مِقْسَم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال... فذكره، وفي آخره: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيءٍ منه، حتى إني لأقول: أساقطٌ هو برسول الله ﷺ.
وأخرجه مسلم وابن ماجه (١٩٨- ٤٢٧٥) والدارمي في «النقض» (ص٣١) وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٨) والبيهقي في الأسماء (ص٣٣٩- ٣٤٠).
من طرقٍ عن عبد العزيز بن أبي حازم حدثني أبي به.
وأخرجه أحمد (٢/ ٧٢، ٨٨) وابن أبي عاصم (٥٤٦) وابن خزيمة (ص٧٢) من ثلاثة طرقٍ عن حماد بن سلمة قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم به.
وأخرجه ابن خزيمة (ص٧٣) عن يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعيد عن عبيد الله بن مقسم به.
* ولأبي حازم شيخ آخر في هذا الحديث هو: عبيد بن عمير التابعي الكبير الثقة.
أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٨) حدثني أبو علقمة الفروي عبد الله بن محمد حدثني عبد الله بن نافع عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن عبيد بن عمير عن ابن عمر به.
وإسناده حسن، عبد الله بن نافع هو ابن ثابت الزبيري أبو بكر المدني، قال ابن معين: صدوق، وقال البزار وأحمد بن صالح: ثقة، وقال الحافظ: صدوق. =

ولفظ «الشمال» قد ذكره مسلم في صحيحه.

٣٠٩- ونا أبو محمد الحسن بن محمد بإسناده: عن ربيعة الجُرَشي «والسماوات مَطْوِيَّاتٌ بيمينه» قال: «والأخرى خَلْوٌ ليس فيها شيء»(١).

اعلم أنَّه غير مستحيل إضافة «القبْضِ والبَسْطِ» إلى ذاته سبحانه، كما لم يستحل إضافة خَلق آدم بيده إلى ذاته، والإستواء على عرشه، وقد عَضَدَ ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. فوصف نفسه بذلك.

فإن قيل: القبض والبَسط راجعٌ إلى القُدرة والسُلطان.

قيل: هذا غلطٌ، لما بينا فيما قبل، وأنَّ جميعَ الأشياءِ في قُدرته وسُلطانه،

= وأبو علقمة الفروي وثقه ابن معين والنسائي.

* وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٨/ ٥٥١) (١١/ ٣٧٢) (١٣/ ٣٦٧، ٣٩٣) ومسلم (٤/ ٢١٤٨) وأحمد (٢/ ٣٧٤) وابن ماجه (١٩٢) والدرامي (٢/ ٣٢٥) وابن أبي عاصم (٥٤٨، ٥٤٩) وابن جرير (٢٤/ ١٨- ١٩) وابن خزيمة (ص٧١) والبيهقي في الأسماء (ص٣٢٣):

من طرق عن الزهري وله فيه شيخان:

١- سعيد بن المسيب. ٢- وأبو سلمة بن عبد الرحمن.

نقل ذلك ابن خزيمة عن محمد بن يحيى وهو الذهلي.

(١) إسناده حسن، أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٧) وعبد الله في السنة (١١٥٧) عن معاذ بن هشام ثني أبي عن قتادة ثنا النضر بن أنس عن ربيعة الجُرَشي (وقع فيه الجرسي وهو خطأ) قال: ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء.

وإسناده حسن.

ربيعة هذا هو ابن عمرو، ويقال ابن الحارث، ويقال ابن الغاز الجُرشي، مختلف في صحبته ووثقه الدارقطني.

وباقي رجاله ثقات، سوى معاذ بن هشام فإنه صدوق ربما وهم.

وأعلّه محقق السنة لعبد الله بالانقطاع بين النضر وربيعة، ولا أدري على أي شيءٍ اعتمد في قوله هذا؟!

وقد راجعت ترجمتيهما في تهذيب الكمال فلم أر شيئاً يدل عليه؟

فلا معنى لتخصيص السماء والأرض بذلك، ولأنَّه قال: «يأخذه بيده اليمني» وفي لفظٍ آخر: «بشماله» وهذه صِفَةُ ذاتٍ لا تختص القدرة والسلطان[(١)].

فإنْ قيل: يحتمل أنْ يكون قوله «قبضها» بمعنى أفناها، كقول القائل: قبض الله روح فلانٍ إليه، أفْنَاها ثم بسطها، أي ثم يُعيدها على الوجه الذي يُريد!

قيل: هذا غلطٌ لوجهين:

أحدهما: أنَّه قال يقبضها بيده، ولو كان المراد به الفَنَاء لم يعلقه باليد، لأنَّ فناء الأشياء لا يختص باليد.

٣١٠- الثاني: أنَّ أبا مُحمد الحسن بن محمد الخلَّال رَوى فيما خَرَّجه من «أخْبار الصفات» بإسناده: عن ابن عباس قال: «يَطْوي الله السَّماوات السَّبْع بما فيها من الخَليقة، والأرضينَ السَّبع بما فيها مِنَ الخليقة بيمينه، فلا يرى من عند الإبهام شَيئاً، ولا من الخُنْصر شيئاً، ويكون ذلك في كَفِّه بمنزلة الخَرْدَلة»[(٢)].

---

(١) كذا تأولها ابن فورك في «مشكلة» (ص٩٦- ٩٧) والتأويل الذي سيذكره المصنف بعد. ونقل البيهقي نحوه في الأسماء (ص٣٣١).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٨) دون جملة «فلا يرى من عند الإبهام شيئاً ولا من الخنصر شيئا» وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وأخرج ابن جرير (٢٤/ ٢٧) وعبد الله في «السنة» (١٠٩٠) عن معاذ بن هشام ثنى أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ما السَّموات السَّبع والأرضون السبع في يدِ الله، إلا كخردلةٍ في يد أحدكم.

أبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي وهو تابعي ثقة، أرسل عن عمر وعلي قاله ابن أبي حاتم، وسمع عبد الله بن عمرو، قاله البخاري في التاريخ (٢/ ١٦) وروى بسنده عن عمرو ابن مالك النكري عنه قال: أقمت مع ابن عباس وعائشة اثنتي عشرة ليس من القرآن آية إلا سألتهم عنها. ثم قال: في إسناده نظر. وعمرو بن مالك هو النُّكري صدوق له أوهام. فالإسناد حسن إن كان أبو الجوزاء سمعه من ابن عباس.

وهذا يمنع تأويلهم بالفناء، لأنه أخبر أنها باقية في كفه.

فإن قيل: قوله: «بيمنيه» أي بقَسَمه، كأنَّه أقْسَمَ بها.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّا لا نعلم أنَّه أقْسَمَ بها ولو كان لنُقل، ولأنَّه ليس ها هنا حرف القسم.

فإنْ قيل: فالذي يَدُلُّ على أنَّ المراد بالقبض الفناء قوله: «أنا الملك وأين الملوك» فيقول هو ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ قال المفسرون: إنَّما يكونُ ذلك عند فَنَاءَ خَلْقه وإمَاتَتِهم، فلا يكونُ له مجيبٌ غير نفسه «لله الواحد القهار».

قيل: ليس في ذلك ما يمنع قبضها بيده، لأنَّه يحتمل أنْ يَقْبضها بيمينه، ثم يفنيها.

٣١١- وقد حمل أبو بكر عبد العزيز قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. على ظاهره وأنَّ ذلك راجعٌ إلى ذاته، ذكر ذلك في كتاب «التفسير» في الكلام على قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. فقال: قد قال بعضُ أهل العربية في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. يقول: في قدرته واستشهد على ذلك بقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٧]. وليس المراد بالملك اليمين دون سار الجسد، ولأنَّك تقول: هذا الشيء في قبضتك، أي في قدرتك، ثم أَجَابَ عن ذلك بأنْ قال: مَا رُوي عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين يشهدُ على بُطلانِ هذا القول، وهو يَؤُولُ إلى قول جَهْم وذلك قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقول النبي ﷺ: «**فوضع يده بين كتفي**»(١).

وقال ﷺ: «**فأقومَ عن يمينِ رَبِّي مَقاماً لا يَقُومه غَيري**»(٢).

فقد احتج عليه بهذه الأشياء لإثبات اليمين والقبض بها.

٣١٢- ثم ذكر حديثاً بإسناده: عن أبي أيوب الأنصاري قال أتى النبي ﷺ حَبْرٌ من اليهود فقال: أرأيتَ إذ يقولُ الله في كتابه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا

---

(١) مرَّ في ص (١٣٧).

(٢) إسناده ضعيف، وهو قطعة من حديث طويل في الشفاعة، أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨- ٢٩٩) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩٨- ٩٩) والبزار (١/ ٣٤٧٨- زوائد) والطبراني في الكبير (١٠/ ٨٠/ ١٠٠١٧):

عن محمد بن الفضل السدوسي ثنا سعيد بن زيد ثنا علي بن الحكم البناني عن عثمان بن عمير عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال: جاء ابنا مليكة إلى النبي ﷺ فقالا: إنَّ أُمنا كانت تكرم الزوج وتعطف على الولد، قال: وذكر الضيف، غير أنها كانت وَأَدَتْ في الجاهلية، قال: «أمكما في النار» فأدبرا والشر يُرى في وجوههما، فأمر بهما فردًا فرجعا والسرور يرى في وجوههما، رجيا أن يكون قد حدث شيء، فقال: «أمي مع أمكما» فقال: رجلٌ من المنافقين: وما يغني هذا عن أمه ونحن نطأ عقبيه، فقال رجل من الأنصار- ولم أر رجلًا قط أكثر سؤالًا منه: يا رسول الله! هل وعدك ربك فيها أو فيهما؟ قال: فظن أنه من شيء قد سمعه، فقال: «ما سألته ربي وما أطعمني فيه، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة...» الحديث.

ورواه الدارمي (٢/ ٣٢٥) مختصراً والطبراني (١٠/ ٨١/ ١٠٠١٨) والحاكم (٢/ ٣٦٤- ٣٦٥) عن الصعق بن حزن عن علي بن الحكم عن عثمان عن أبي وائل عن ابن مسعود به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعثمان بن عمير هو أبو اليقظان.

فتعقبه الذهبي بقوله: لا والله! فعثمان ضعفه الدارقطني، والباقون ثقات.

وقال البزاز: وأحسب الصعق غلط في هذا الإسناد.

وذكر الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٢) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف.

وقد ضعفه أحمد، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك.

﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. فأين الخلق عند ذلك؟ فقال: «هُمْ فيها كَرَقْمِ الكِتَاب»(١).

***

(١) إسناده ضعيف، أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٩) فقال: حدثني محمد بن عون ثنا أبو المغيرة ثنا ابن أبي مريم ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الأنصاري به.
وعزاه السيوطي في «الدر» (٧/ ٢٤٩) لابن جرير فقط.
وفيه: ابن أبي مريم وهو أبو بكر بن عبد الله، ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي والدارقطني وغيرهم.
وأبو المغيرة هو الخولاني عبد القدوس بن الحجاج، ثقه.

[حَديثٌ آخر]

٣١٣- ناه أبو القسم قال: أبو بكر أحمد بن الحسن بن شاذان نا عبد الله بن محمد البغوي نا هُدْبة بن خالد نا حماد بن سلمة عن ثَابت عن أنس ابن مالك قال: قَرأَ رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «**وضَعَ إبْهامه على قريب مِنْ أُنْملة خُنْصُرِهِ، فَسَاخَ الجبلُ**» قال حميد لثابت: تقول هذا! فَرَفَعَ ثابتٌ يده فضربَ بها صَدْرَ حميد، وقال: يَقوله رسولُ الله ﷺ ويقوله أنس وأنا أكْتمه؟!

وفي لفظٍ آخر: قال فوضع رسول الله الإبهام على المِفْصَل من الخنصر، فسَاخَ الجبلُ(١).

٣١٤- ونا أبو القسم، علي بن إبراهيم السكوني نا موسى بن عبيد الله بن يحيى المقري نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي، معاذ ابن معاذ، حماد بن سلمة، ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] . قثال: «هكذا» يعني أنّه أخْرَج طَرفَ الخنصر، قال أبي: أرَاناه معاذ، فقال حُميد: ما تريدُ في هذا يا أبا مُحمد؟ قال فضَرَبَ صَدره ضربةً شديدةً، وقال: من أنت يا حميد وما أنت يا حميد، يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ تقول أنت ما تريد؟!

٣١٥- وأنا أبو محمد الحسن بن محمد قال: يحيى بن علي المعمري من

---

(١) حديث صحيح، تقدم تخريجه في(ص٨٢).
وما بعده أسانيد المصنف إليه.

أصلِ كتابه(١) قال نا محمد بن جعفر بن رميس(٢) قال نا علي بن إشكاب قال نا معاذ بن معاذ العنبري عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «أَخْرَجَ أَوَلَ مِفْصل من إصْبعه الخُنْصُر» قال علي بن إشكاب: ورأيتُ معاذ أخرج أول مفصل من إصْبعه الخنصر.

٣١٦- وذكره أبو الحسين بن السّنْوْسَنْجِرْدي(٣) في «حديثه» بإسناده: عن أنس قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: «وَضَعَ إبْهامه على قريب أُنْمُلةِ خُنْصُره» وفعل حماد هكذا وأرانا طَرَفَ الخُنصر، ووضع مَوضع المفصل فَسَاخَ الجبل.

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصلين: أحدهما: إثبات التَّجلِّي، والثاني: في الخنصر.

فأمَّا التَّجلي فهو راجعٌ إلى الذات، وذلك غير ممتنعٍ، كما لم يمتنع أنْ يتجلى للمؤمنين يوم القيامة جَهْرة وعَيَاناً، وكذلك لا يمتنع أنْ يتجلى للجبل

(١) لعله: يحيى بن علي بن يحيى بن أبي معمر عبد الله بن سخبرة، وأبو معمر صاحب عبد الله ابن مسعود، ويكنى أبا القاسم، ترجم له الخطيب في تاريخه (١٤/ ٢٣٨).
وقال: نزل بغداد وحدَّث بها عن عبد الله بن محمد البغوي ويحيى بن صاعد... وحدثنا عنه: أبو محمد الخلال، وكان ثقة يشهد عند الحكام، ذكر لي الخلال أنه مات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

(٢) في الأصل: ابن رييس، ولم أجد له ترجمة ولعله: ابن رمسيس وهو أبو بكر القصري، المترجم في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٣٩) سمع أبا علقمة الفروي والحسن بن محمد بن الصباح وعثمان ابن سعيد من نوح المقرئ وجماعة من هذه الطبقة، روى عنه أبو الحسن الدارقطني، مات سنة: ست وعشرين وثلاثمائة.
• أما علي بن إشكاب فهو علي بن الحسين بن إبراهيم، ثقة.

(٣) هو أحمد بن عبد الله، مضت ترجمته في «الجزء الأول/ ص ٢٣٩».

جَهرةً وعياناً، وهو أنْ خلق في الجبل رُؤية حتى رَأى رَبَّه بأنْ أحياه، وجعله عالماً رائياً، ثم دَكَّه بعد الرؤية، وجعله علامةً لموسى في أنَّه لا يراه في الدنيا.

٣١٧- وقد نا أبو القسم بإسناده: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا تَجَلَّى الله جَلَّ اسمه للجبل طَارَتْ لعظمته ستَّة أجْبُل، فَوَقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكَّة، فوقع بالمدينة أُحُد وَورقان ورضوى، ووقع بمكة ثبير وحِرَاء وثَور**»[1].

فإن قيل: يُحمل التجلي على إظْهار الفعل والتدبير.

قيل: إن جَازَ تأويل الخَبَر على هذا، جَازَ تأويل قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] على مجيء بعض ملائكته وكلامه لموسى دون الله، وكذلك قوله: «**ترون ربكم**» على رؤية أفعاله، وهذا لا يصح، كذلك ها هنا، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٤]. كما حملته المعتزلة على ظاهره في الذات دون الأفعال.

ويحتمل أنْ يكون ظهور[2] سُبُحاته أوْجَبَ دَكَّه من غير أنْ يخلق فيه إدْراكاً، كما أنَّ النَّار إذا لاقت الجبل أوجب تقطيعه، وإنْ لم يحصل فيه إدراك، كما قال: «**حجابه النُّور، لو كشفها عن وجهه، لأحرقت سُبُحات وجهه كل شيءٍ أدركه بَصَره**».

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره- كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٤- ٢٤٥)- وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٤) عن معاوية بن عبد الكريم (وقع عند ابن كثير: ابن عبد الله وهو خطأ) عن الجلد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس مرفوعاً به.
قال ابن كثير: هذا حديث غريب بل منكر.
قلت: وفيه: الجلد بن أيوب البصري، قال الذهبي في المغني (١/ ١٣٥) ضعفه إسحاق ابن راهوية، وقال أبو الحسن الدارقطني: متروك.
وعزاه السيوطي في «الدر» (٣/ ٥٤٥) لأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) في الأصل: ظهوره سبحانه، وهو خطأ.

الفصل الثاني: في «الخُنْصُر»: وهو على ظاهره، إذ ليس في حمله على ذلك ما يُحيل صفاته، وأنَّ الخنصر كالإِصْبَع، والإِصبع كاليد، وقد جاز إِطْلاقُ اليدين، كذلك ها هنا يجب أنْ يجوز، لا على وجه التبعيض والعضو.

فإن قيل: هذا الحديث ضعيف، ذكره حماد عن ثابت، ولم يروه غيره عنه من أصحاب، وقال بعضهم إنَّ حماداً كانت له خَرجَةٌ إلى عبَّادَان، وإنَّ ابن ابي العوجاء الزنديق أدْخَلَ على أُصوله ألفاظاً وأحاديثاً احتملها في آخر عمره، فرواها بغفلة ظهرت فيه(١).

قيل: هذا حديثٌ صحيحٌ رواه الأَثْبات منهم: أحمد وهو المُعَوَّل عليه في الجرح والتَّعديل، وحماد بن سلمة ممن أثنى عليه أحمد، وأخرج عنه البخاري حديثاً مُسْنداً في الصَّحيح، ويجب أنْ لا يُلْتَفَتْ إلى مثل هذا الكلام؛ لأنَّ القائل له يقصد بذلك ردَّ أحاديثَ الصِّفات، وقد قال الأئمة من العلماء: إنَّ أثبت الناس في ثابت البُنَاني حماد بن سلمة(٢).

---

(١) ذكره ابن فورك في «مشكلة» (ص٩٨) بقوله: وقد قال بعضهم إن حماداً كانت له خرجه إلى عبادان...

(٢) قال أبو حاتم: أثبتُ أصحاب أنس: الزهري ثم قتادة ثم ثابت البناني، وقال أبو طالب قلت لأحمد بن حنبل: ثابت البناني أثبت أو قتادة؟ قال: ثابت ثبت في الحديث، من الثقات المأمونين، صحيح الحديث وكان يقص.

وقد اختبر حماد بن سلمة حفظه، فقد أخرج ابن أبي حاتم في الجرح بسنده عن حماد قال: يقول الناس: القصاص لا يحفظون فكنت أقلب على ثابت البناني حديثه- يعني أجَرّب حفظه- فكنت أقول لحديث ابن فلان: كيف حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى؟ فيقول: لا، حدثناه فلان، وأقول لحديث عبد الرحمن بن ابي ليلى: كيف حديث فلان؟ فيقول: لا، حدثناه عبد الرحمن بن أبي ليلى.

وقال الحافظ أبو بكر البرديجي: ثابت عن أنس صحيح من حديث شعبة والحمادين وسليمان بن المغيرة، فهؤلاء ثقات، ما لم يكن الحديث مضطرباً. (انظر الجرح (٢/ ٤٤٩) =

فإن قيل: المراد بالخنصر الشيء اليسير من آياته، فَذَكر الخنصر وضرب المثل به، لا أنَّه جَعَل له خُنْصُر[(١)].

قيل: هذا غلطٌ، لأنه لو كان المراد ذلك؛ لم ينكره حميد، ولا أنكره عليه ثابت، ولا أحتجَّ عليه بأنَّ النبي ﷺ قاله، لأنَّ آيات الله لا تُنكر، فثبت أنَّ المراد بذلك صفةُ ذاتٍ.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّه إنْ جاز حمل الخنصر على الشيء اليسير من آياته، جاز حمل التجلي للجبل، على إظهار بعض آياته للجبل حتى جعله دكاً، وكذلك جاز حملُ قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]. على أنَّه أَمَرَ بعضَ مَلائكته بكلامه، لا أنَّه كلمه بنفسه، وقد أجمعنا ومثبتوا الصفات على أنَّه تَجَلَّى بذاته للجبل، وكَلَّم مُوسى بنفسه، كذلك ها هنا يجب أنْ يُحمل الخنصر على أنها صفةٌ لذاته، كما وَجَبَ حمل اليد التي خلق بها آدم[(٢)].

❊ ❊ ❊

= والتهذيب (٢/ ٢- ٤)).

هذه هي بعض أقوال جهابذة هذا العلم ونقاده، وهي كافية في الردِّ على دعاوى أهل الأهواء، الذين إذا لم يجدوا تأويلًا مستساغاً مقبولاً؛ لجأوا إلى الطعن في المرويات!! ولو كان رواتها جبال الحفظ وأئمة المسلمين!! وقانا الله وإياكم شر فتنتهم وبلاءهم، ورد كيدهم في نحورهم.

(١) ذكره ابن فورك (ص٩٨).

(٢) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

[إثبات السَّمع والبصر لله تعالى]
[حَديثٌ آخر]

٣١٨- رواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال فيما خَرَّجه من «أخبار **الصفات**» بإسناده: عن أبي هريرة: «أنَّ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فوضع إصْبَعه الدَّعَّاء وإبهامه، على عينه وإذنه.

وفي لفظ آخر: «**فوضعَ إبهامه على أُذُنِه والأُخرى على عينه**».

قال أبو محمد: هذا حديثٌ إسناده شرط مسلم، يلزمه إخْراجُه في الصحيح، وهو حديثٌ ليس فيه علة(١).

اعلم أنَّه ليس المراد بالإشارة إلى العُضو والجارحة التي لا مَدْحَ في إثباتها، لأنَّ القديم سبحانه يستحيل عليه ذلك، وإنَّما المراد بذلك تحقيق

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه أبو داود (٥/ ٤٧٢٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٤٢- ٤٣) وعنه ابن حبان (١٧٣٢- زوائد) والدارمي في «النقض» (ص٤٧) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٧٩) واللالكائي (٣/ ٤١٠):
عن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حرملة بن عمران التُّجيبي حدثني أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة فذكره.
قال ابن يونس (الراوي عن المقري عند أبي داود): قال المقرئ: يعني (أن الله سميع بصير) يعني أن لله سمعاً وبصراً.
قال أبو داود: وهذا ردٌّ على الجهمية.
وقال اللالكائي: إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه.
وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٧٣) عنه: سند قوي على شرط مسلم.
وهو كما قالوا. والدَّعَّاء: إصبعه السَّبابه التي كان يدعو بها. وللحديث شاهد من حديث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إنَّ ربَّنا سميعٌ بصير» وأشار إلى عينيه.
عزاه الحافظ للبيهقي في الأسماء وقال: سنده حسن.
وعزاه السيوطي في «الدار» (٢/ ٥٧٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

السَّمع والبصر الذي في إثباته المقصود أنَّ الله عزَّ وجَلَّ يرى المرئيات برؤيته، ويسمع المسموعات بسمعه، فأشار إلى الأُذُنِ والعين تحقيقاً للسَّمع والبصر لأجل أنهما مَحل للسمع والبصر، وقد يُسمى محل الشيء باسمه لما بينهما من المجاورة والقرب(١).

ولأنَّ هذا الخبر أفاد أنَّ وصفه عزَّ وجلَّ بأنه سميعٌ بصير، لا على معنى وصفه بأنه «عليم»؛ كما ذهب إليه بعض أهلُ النظر، ولم يُثْبوا لله عَزَّ وجلَّ في وصفنا له بأنه «سميع» معنى خاصاً، وفائدة زائدة على وصفنا له بأنَّه عليم، فأفاد بذلك تحقيق معنى السمع والبصر، وأنه معنى زائدٌ على العلم، إذْ لو كان معنى ذلك العلم؛ لكان يُشير إلى القلب الذي هو [محل](٢) العلم، ليُنبه بذلك على معناه، فلما أشار إلى العين والأُذن- وهما مَحلَّان للسمع والبصر- حقق الفَرْقَ بين السَّمع والبصر وبين العلم.

٣١٩- وفي معنى هذا ما روى أبو عبد الله بن بطة بإسناده: عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الدَّجال أَعْور، وإنَّ رَبَّكم ليسَ بأَعْور**»(٣).

ومعناه تحقيق وصف الله تعالى بأنَّه بصيرٌ، وأنَّه لا يصح عليه النَّقص والعمى، ولم يرد بذلك إثبات الجارحة إذْ لا مَدْحَ في إثباتها، لأنَّ إثْبَاتها يُؤدي إلى القول بحدثه.

---

(١) قال نحو هذا الكلام البيهقي في «الأسماء» (ص١٧٩- ١٨٠).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري (١٣/ ٩١، ٣٨٥) ومسلم في الفتن (٤/ ٢٢٤٨) عن شعبة عن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أُمَّته الأعورَ الكذابَ، ألا إنَّه أعور، وإنَّ ربكم ليس بأعور، ومكتوبٌ بين عينَيه: ك ف ر». ورواه أحمد (٣/ ٢٠١، ٢١١، ٢٢٨، ٢٤٩، ٢٥٠) ومسلم عن شعيب بن الحبحاب وحميد عن أنس مرفوعاً بنحوه. وليس عند مسلم رواية حميد.

٣٢٠- وفي معنى ذلك: ما روى أبو موسى قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيُّها النَّاسُ إنَّكم لا تَدْعُون أصَمًّا[(١)] ولا غائباً، إنَّكم تَدْعونَ سَميعاً بصيراً**»[(٢)].

فنفى النَّقْصَ عنه، وأثبت السمع والبصر.

٣٢١- وكذلك قول عائشة رضي الله عنها: «**تبارَكَ الذي وَسِعَ سَمْعه كلَّ شيء**»[(٣)].

---

(١) كُتب في هامش الأصل: لفظة «إنكم» ساقطة من الأصل، وقوله: «أصماً» كذا في الأصل.
قلت: قال الحافظ في الفتح (١/ ١٨٨): ووقع في بعض النسخ «أصماً» وكأنه لمناسبة «غائباً» وقوله: «بصيراً» ووقع في تلك الرواية «قريباً»اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٣٥) (٧/ ٤٧٠) (١١/ ١٨٧، ٢١٣- ٢١٤، ٥٠٠) (١٣/ ٣٧٢) ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٧٦- ٢٠٧٨) من طرقٍ عن أبي عثمان النَّهدي عن أبي موسى الأشعري قال: كنَّا مع النبي ﷺ في سفرٍ، فجعل الناسُ يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس أرْبَعُوا على أنفسِكم، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم». قال: وأنا خلفه، وأنا أقول: لا حولَ ولا قوة إلا بالله، فقال: «يا عبد الله بن قيس! ألا أَدُلُّكَ على كَنزٍ من كنوز الجنَّة؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «قُل: لا حَولَ ولا قوة إلا بالله» لفظ مسلم.

(٣) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٦) والبخاري تعليقاً (١٣/ ٣٧٢) والنسائي (٦/ ١٦٨) وابن ماجه (١٨٨، ٢٠٦٣) وابن أبي عاصم (٦٢٥) وابن جرير (٢٨/ ٥) والآجري في الشريعة (ص ٢٩١) والحاكم (٢/ ٤٨١) والبيهقي في «الأسماء» (ص١٧٧) واللالكائي (٣/ ٤١٠) عن طرق عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت: الحمدُ لله الذي وَسِعَ سمعه الأصوات: لقد جاءت المُجادِلةُ إلى النبي ﷺ تُكلِّمه في ناحية البيت وما أسمع ما تقول، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].
ولفظ المصنف هي رواية ابن ماجة والحاكم والآجري: «تباركَ الذي وَسِعَ سمعُه كلَّ شيء».
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٧٤): وهذا أصح ما ورد في قصة المجادلة.
قال ابن خزيمة في التوحيد (ص٤٥) بعد أن ذكر معنى الخبر: «فكذلك خَبَّر المؤمنين أنه سَمِعَ قول المجادلة، وتحاورَ النبي ﷺ والمجادلة، وخَبَّرت الصدِّيقةُ بنتُ الصِّديق رضي الله عنهما =

وهذا الخبر دلالة على جواز الإشارة إلى صفات نفسه، عند ذكر صفات الله تعالى، لا على طريق التشبيه، ونظيره حديث الحَبْر وقوله: «**يا أبا القاسم يوم يجعلُ السَّماء على ذه، وأشار بالسَّبَّاحَة، والأرضين على ذه**».

❋ ❋ ❋

= أنه يخفي عليها بعض كلام المجادلة مع قربها منها، فسبَّحت خالقها الذي وسع سمعه الأصوات، وقالت: سبحان- (كذا)- من وسع سمعه الأصوات، فسمع الله جلّ وعلا كلام المجادلة وهو فوق سبع سموات مُستوٍ على عرشه، وقد خَفِيَ بعض كلامها على من حَضَرها وقربَ منها».

[حديثٌ آخر]

٣٢٢- أَخْرَجَه أبو القسم عبد العزيز قال: علي بن إبراهيم الموصلي نا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله المقري نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: أبو المغيرة الخولاني قال نا الأوزاعي نا قال: حدثني يحيى بن أبي كثير عن عكرمة قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أنْ يُخوِّفَ عبادَهُ أبْدى عنْ بعضِهِ إلى الأرضِ، فعندَ ذلك تزَلْزَل، وإذا أُرادَ أنْ يُدمِّر على قومٍ تُجلّي لها**»(١).

ورواه ابن فورك عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أنْ يُخوفَ أهلَ الأرض، أبْدى عن بعضه، وإذا أرادَ أنْ يُدمر عليهم تَجلى لها**»(٢).

أما قوله: «**أبدى عن بعضه**» فهو على ظاهره، وأنَّه راجع إلى الذات إذ ليس في حمله على ظاهره ما يُحيلُ صفاته، ولا يُخرجها عما تستحق.

فإن قيل: بل في حمله في على ظاهره ما يحيل صفاته، لأنَّه يستحيل وَصْفه بالكُلِّ والبعض والجزء، فَوَجب حمله على إبداء بعض آياته وعلاماته تحذيراً ونذيراً.

قيل: لا يمتنع إطلاق هذه الصفة على وجه لا يفضي إلى التجزئة والتبعيض، كما أطلقنا تسمية يد ووجه، لا على وجه التجزئة والبعض، وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ اليدَ في الشاهد بعض من الجملة.

---

(١) لم أقف عليه من حديث عكرمة.

(٢) «مشكل الحديث» (ص١٠١) وقد ذكره هكذا معلقاً عن يحيى بن أبي كثير.
وذكره الديلمي في «الفردوس» (٩٦١)، وعزاه الهندي في كنز العمال (٢٩٨٥٧) إلى الطبراني في «السُّنَّة» موقوفاً.

وجواب آخر: وهو أنَّه لو جاز أنْ يُحمل قوله: «**أبدى عن بعضه**» على بعض آياته لوجب أنْ يُحمل قوله: «**وإذا أرادَ أن يُدمر تجلى لها**» على جميع آياته، ومعلومةٌ أنَّه لم يدمر قريةً بجميع آياته، لأنه قد أهْلك بلاداً، كل بلدٍ بغير ما أهلك به الآخر.

وأما قوله «**تجلى لها**» فهو راجعٌ إلى تَجَلِّي الذات، كما حملنا التجلي للجبل أنَّه تجلى ذات حين تقطع الجبل، كذلك ها هنا.

فإن قيل: يحمل قوله «**تجلى لها**» معناه آياته وأفعاله، لأنَّ معنى التجلي هو: الظهور، ولهذا يقال: جَلَوْتُ السَّيفَ وجَلَوتُ العَرُوسَ، إذا أظْهَرْتَها وأَبْرَزْتَها، ومنه قول القائل:

تجلى لنا بالمشْرَفيّة والقَنَا.

يعني: بالسيوف والرماح(١).

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ إنْ جازَ تأويل الخبر على إظهار آياته، جاز تأويل تجليه للجبل على ظهور آياته، وَلَّما حملوا ذلك على ظاهره، لم يمتنع أيضاً حمل هذا التجلي على ظاهره، إذ ليس في إضافة التجلي إليه ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنَّا نطلق ذلك من غير انتقالٍ، ولا فراغ مكان وشغل مكان آخر، وكذلك قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. محمول على ظاهره في رؤية الذات لا الأفعال.

***

(١) انظر هذا التأويل والذي قبله في «مشكل» ابن فورك (ص١٠١-١٠٢).

[حديثٌ آخر]

٣٢٣- ناه أبو القاسم بإسناده: عن أبي الأَحْوص الجُشمي أنَّه قال: «رآني رسول الله ﷺ وعلي أطمارٌ فقال: «هل لك مِنْ مَالٍ؟» قال: قلت: نعم، قال: «مِنْ أي المال؟» قال قلت: قد آتاني الله مِنْ الشَّاء والإبل، قال: «فَلْترَ نِعْمةُ الله وكَرامتُهُ عليك» قال النبي ﷺ: «هل تُنتَجُ إبلك[1] وافيةً أذانُها؟» قال: وهل تُنتج إلا كذلك! ولم يكنْ أسْلَم يومئذٍ، قال: «فَلَعَلَّكَ تَأخُذُ مُوسَاكَ فتقطع أُذُنَ بعضِها، ونقول: هذه بُحُرٌ، وتَشُقُّ أُذُنَ الأُخْرَى فتقول: هذه صُرُمٌ» قال: نعم، قال: «فلا تَفْعَل فإنَّ كلَّ مَا آتاكَ الله حلٌّ، وإنَّ مُوسى الله أَحَدُّ، وسَاعِدُ الله أَشَدُّ»[2].

---

(١) في الأصل: إبل، وهو خطأ.

(٢) حديث صحيح، أخرجه بهذا اللفظ البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٤٧- ٤٨).
عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه به، وتمامه «قال: يا محمد! أرأيت إنْ مَررتُ برجلٍ فلم يَقْرِني ولم يُضِفْني، ثم مَرَّ بي بعد ذلك أَقْرِيه أم أَجْزيه؟ قال: «بل اقْرِهِ».
وأخرجه مختصراً أحمد (٣/ ٤٧٣- ٤٧٤) وأبو داود (٤٠٦٣) والترمذي (٤/ ٢٠٠٦) والنسائي (٨/ ١٩٦) من طرق عن أبي إسحاق به.
وقال الترمذي: حسن صحيح، وأبو الأحوص اسمه عوف بن مالك بن نَضْله الجشمي وهو تابعي ثقة، وقد صرّح أبو إسحاق بالسماع منه كما سيأتي.
وأخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٧٦) مختصراً عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير عن أبي الأحوص به.
قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٣): رجاله رجال الصحيح.
قوله: تُنتج إبلك: يقال نتجت الناقة: إذا ولدت فهو منتوجةٌ. قوله: «هذه بُحُر» من البحيرة التي ذكرها الله ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وهي الناقة كانت إذا نُتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى، بحروا أذنها، أي: شقوها فكانت حراماً على النساء: لحمها ولبنها وركوبها، فإذا ماتت حَلَّت للنساء.
والصرُم جمع الصريم: وهو الذي صُرِمَ أذنه أي قطع.
فنهاه النبي ﷺ عما كان عليه أهل الجاهلية من قطع آذان الأنعام وتحريم بعضهن، وتحليل بعضهن على خلاف ما أمر الله ﷻ به. (البغوي).

وفي لفظ آخر: مُوسى الله أَحَدُّ من مُوسَاك، وسَاعِدُ الله أشدُّ من ساعدك»[١].

اعلم أنَّه غَيرُ ممتنعٍ حمل الخبر على ظاهره في إثباتِ «السَّاعِدِ» صفة لذاته، كما حملنا قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] على ظاهره، وأنها صِفَةُ ذاتٍ إذْ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، لأنَّا لا نحمله على ساعدٍ هو جارحة، بل صِفَةُ ذاتٍ لا نعقلها، كما أثْبتنا ذاتاً لا كالذوات.

فإن قيل: المراد بالسَّاعد ها هنا: القُوة، فعبَّر عنها بالساعد لأنَّه محل للقوة، وقد يعبر عن الشيء بمحله كما سَمَّت[٢] العرب البصر: عيناً، والسمع: أذناً، كذلك تُسمى القدرة ساعداً، ومنه يقال: جمعت هذا المال بقوة سَاعِدِي، ويرادُ به بالتَّدبير والقوة، دون المباشرة بالساعد[٣].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه يُوجب حمل قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] معناه بالقدرة.

فإن قيل: إنما لم نحمل اليد على القُدْرة لأنَّ في ذلك إبطالُ فضيلة آدم على إبليس، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. على طريق التفضيل، وليس في حمل هذا الخبر على القُدرة إبطال فائدة[٤].

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود الطيالسي (١٣٠٣، ١٣٠٤) وأحمد (٣/ ٤٧٣) وابن منده في «الرد على الجهمية» (٥٥) والحاكم (٤/ ١٨١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٤١- ٣٤٢): من طرق من شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة...» الحديث.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) في الأصل: سمعت، وهو خطأ ظاهر.

(٣) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١٠٣).

ونقله البيهقي في «الأسماء» (ص٣٤٢) فقال: وقال بعض أهل النظر.

(٤) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١٠٤).

قيل: ما كان يَمتنع أن تحملون اليد على القدرة، وإنْ أفضى إلى إبطالِ فضيلة آدم كما حملتم قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]. معناه: لذاتي، وتأولتهم النَّفْس ها هنا على الذَّات، وإنْ أفضى ذلك إلى إبطال فائدة تخصيص موسى بذلك، لأنَّ جميع الأنبياء اصطنعهم لذاته، ولمَّا لم يَجُزْ تأويل اليدِ على القدرة؛ كذلك ها هنا.

جوابٌ آخر: وهو أنَّه لو استحال إضافة اليد إليه، لم يجز إضافتها إليه، وإنْ أَفْضَى إلى إبطال فضيلة آدم، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] .لما لم يجز حمل ذلك على الذات، حُملَ على الأمر، وإنْ أفضى إليه إسقاط تخصيص عيسى، لأنَّ غيرَ عيسى مخلوقٌ بالأَمر، فَعُلم أنَّ إضافة اليَد إليه لا للمعنى الذي ذكروه؛ وإنَّما ذلك لورود الشَّرع به، وهذا المعنى موجودٌ في غيره.

وأما قوله: «**ومُوساه أحَدُّ من مُوساك**» فقد قيل فيه: إنَّ هذا خَرَجَ على طريق التمثيل، لأنَّ «المُوسى» لما كان آلةً للقطع، وكان المراد بالخبر أنَّ قَطْعَهُ أسْرَع من قطعك، عَبَّر عن القَطع بالموسى اعتباراً بعادة العرب، وأنَّها تُسمي الشيء باسم ما يُجاوره ويُقاربه[(١)].

ولا بأس، بذلك لأنَّ الله تعالى يجوز في صفته ضرب المثل، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣].

وإنما لم يجب حمل الموسى على أنَّه صفة للذات كالساعد، لأنَّ الموسى آلةٌ، والآلاتُ لا تكونُ صفاتاً للذات، وليس كذلك السَّاعد، لأنَّه قد يكون مِنْ صفاتِ الذات بدليل كونه صِفَةً للذات في الشَّاهد، فإذا وَرَدَ الشرع بإضافته، لم يمتنع حمله على ظاهره، كما لم يمتنع حمل اليد والوجه على ظاهره.

* * *

(١) انظر المصدرين السابقين.

[إثبات صفة «العَيْنَين» لربِّنا جلَّ شأنه]
[حَديثٌ آخر]

٣٢٤- ناه أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العَبْد إذا قَامَ في الصَّلاةِ فإنَّه بينَ عَيْنَي الرَّحمنَ جلَّ اسْمه، فإذَا التَفَتَ قَالَ له الرَّبُّ جَلَّ اسْمه: يا ابن آدم إلى مَنْ تَلْتَفِتُ؟ إلى خيرٍ لك مني! أَقْبِلْ إليَّ أنَا خيرٌ لَكَ مِمنْ تَلْتَفِتُ إليه**»(١).

اعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ حملُ الخبر على ظاهره، في إثبات «**عينين**» هما صِفتانِ زائدتان على البصر والرؤية، ليستا بجارحتين، والوجه في ذلك أنَّ الله تعالى وَصَف نفسه بذلك بقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]. وقال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]. ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقول النبي ﷺ: «**الدَّجَّال أعْور وإنَّ رَبكم ليس بأعْور**»(٢).

---

(١) أخرجه البزار (١/ ٥٥٣- زوائد) عن إبراهيم بن يزيد عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً به، لكن فيه: «بين يدي الرحمن» بدل: «بين عيني الرحمن» قال البزار: رواه طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة موقوفاً.
وذكره الهيثمي في المجمع (٢/ ٨٠) وقال: رواه البزار وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو ضعيف. ورواية طلحة بن عمرو عن عطاء لم أقف عليها.

(٢) تقدم تخريجه. وهو دليل واضح على غثبات صفة العينين، فإن العور نقصٌ، وقد نفاه الرسول ﷺ عن ربه تعالى، وكل نفي في الكتاب والسنة فإنما هو لثبوت كمال ضده، كما هو مقررٌ في محله من كتب العقيدة.
وقد أثبت هذه الصفة أئمة من السلف، منهم: الدارمي عثمان بن سعيد، فقد قال في «النقض» (ص٤٨): «في تأويل قول رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليس بأعور» بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور».
وقال ابن خزيمة في التوحيد (ص٤٢) بعد أن ذكر الآيات التي ساقها المصنف هنا: «فواجب على كلِّ مُؤمن أنْ يُثبت لخالقه وبارئه ما اثبتَ الخالق البارئ لنفسه من «العين»، =

٣٢٦- وروي: «أنَّ مَلِكاً كان في بني إسرائيل فَفُرِشَت له النساء فجعل يمشي على صدورهن، فبينما هو على صدر امرأة منهن إذْ رَفَعَت رأسَها إلى السَّماء فقالت: اللهم إنَّ هذا بعينك، فقال الله تعالى: عليَّ تَمَرَّدْ يا أَرْضُ خُذِيه، قال: فَخَسَفت به الأرض والناسُ يَنظرون».

٣٢٧- وروى عبد الله في كتاب «السُّنَّة» بإسناده: عن ابن عباس: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]. قال: بعين الله عز وجل (١).

= وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبتَّه في مُحكم تنزيله، ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه عز وجل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فبيَّن النبي ﷺ أن لله «عينين» فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطورٌ بين الدّفتين، مقروءةً في المحاريب والكتاتيب».

ثم ذكر حديث أبي هريرة الذي ساقه المصنف في الفصل قبل السابق (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات) وحديث الدَّجال.

(١) لم أجده في المطبوع، وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/ ٢١) والبيهقي في «الأسماء» (ص٣١٣)م عن حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال: بعين الله تبارك وتعالى.

وسنده في ضعف، من أجل عطاء بن أبي مسلم الخراساني.

وعزاه السيوطي في «الدر» (٤/ ٤١٨) إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وفيه قال: بعين الله ووحيه.

وقد فسَّر ابن جرير الآية كذلك فقال: «وقوله ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك» ولم يذكر غيره.

وليس تفسير من فسَّر الآية ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منَّا، وبحفظنا وكلاءتنا بغلط، بل هو تفسير صحيح، فقد فسَّره كذلك البغوي في تفسيره (٣/ ٢٢٩- ٢٣٠) نقلاً عن ابن عباس وابن كثير (٢/ ٤٤٤)، ولا يخالف ذلك القول بأن الله تعالى «عيناً» فهذه الآية والآيات السابقة نصٌّ في إثباتها، إذْ لو لم تكن لله عين لَمَا وصف نفسه بذلك، وقد صرَّح لنبيه عليه السلام أنه يحفظه بعينه.

وللدارمي رحمه الله في «النقض» كلامٌ جيد هنا، فقال في (ص١٩٠- ١٩١): «فيقال لهذا المعارض: أما ما ادعيت أن قوماً يزعمون أن لله عيناً، فإنَّا نقوله، لأنَّ الله تعالى قاله، ورسوله قاله، وأما جارح كجارح العين من الإنسان على التركيب، فهذا كذبٌ ادَّعيته علينا عمداً! لما أنك تعلم أن أحداً لا يقوله، غير أنك لا تألُوا ما شَنَّعت؛ ليكون أنجع لضلالك في قلوب الجهال، =

فإن قيل: قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]. أيْ، بمرأى منِّي وبمشهدٍ مني، وقيل فيه: بحفظي وكلائتي، وكذلك قوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]. أي بحفْظِنا وكلائتنا.

وقيل بمرآى ومشاهدةٍ منَّا، وكذلك قوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. وكذلك قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وقيل: المراد به أعينُ الماء التي أخرجها من الأرض، وكذلك قول النبي ﷺ في المُصلِّي: «**بين عيني الرحمن**» أي: بحفظه وكلائته، ومعناه: أنَّ الله حافظٌ للمصلي، ألا ترى أنَّه قال: أنا خيرٌ لك ممن تلتفت إليه.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ الله تعالى كان رائياً له، ومُشَاهِداً له قبل جريان الفلك، وقبل طَرْحِه في اليَمِّ، وكذلك كان حافِظاً وكالِئاً قبل وجود الجَرَيان، وطرحه في اليم، بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]. فتبيَّن أنَّ كلائته لنا بالليل والنهار.

* * *

= والكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل، فمن أي الناس سمعت أنه قال: جارحٌ مركب؟ فأشر إليه، فإن قائله كافر! فكم تقرر قولك جسم مركب، وأعضاء وجوارح وأجزاء، كأنك تهوِّل بهذا التشنيع علينا، أن نكفَّ عن وَصْفِ الله بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به الرسول!!
ونحن وإن لم نصف الله بجسم كأجسام المخلوقين، ولا بعضو ولا بجارحة، لكنَّا نصفه بما يغيظك من هذه الصفات الَّتي أنت ودعاتك لها منكرون، فنقول: إنه الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير، نور السماوات والأرض....
ثم قال: وأما تفسيرك عن ابن عباس فمعناه الذي ادَّعينا، لا ما ادعيت أنت، يقول: بحفظنا وكلاءتنا بأعيننا، لأنه لا يجوز في كلام العرب أن يوصف أحد بالكلاءةِ إلا وذلك من ذوي الأعين، فإنْ جهلت فسمِّ لنا شيئاً من غير ذوي الأعين يوصف بالكلاءة، وإنما أصل الكلاءة من أجل النظر، وقد يكون الرجل كالئاً من غير نظر، ولكنه لا يخلو أن يكون من ذوي الأعين، وكذلك قولك: عين الله عليك، فافهم!».

[حديثٌ آخر]

٣٢٨- ناه أبو القسم بإسناده: عن ابن عمر أنَّ النبي ﷺ رأى نُخَامةً في قِبْلة المسجد وهو يُصلي، فلما انصرف أَخَذَ عُوداً فاتاها فَحكَّها، ثم قال: «**يَا أَيُّها النَّاسُ إنَّ أَحَدَكُم إذا كان في صَلاتِهِ، فإنَّه يُوَاجِهُ رَبَّه جَلَّ اسْمُهُ، فلا يَتَنَخَّمَنَ أَحَدٌ في قِبْلَتِهِ، ولا عَنْ يَمينِهِ**»(١).

٣٢٩- وفي لفظٍ آخرٍ: رواه أنس عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ العبْد إذا قَامَ يُصلِّي فإنَّما يُنَاجِي رَبَّه جَلَّ اسْمُهُ، فيما بَينه وبينَ القِبْلَةِ**» (٢).

٣٣٠- وفي لفظِ آخر: رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: «**إنَّ أَحَدَكُم إذا صلَّى فإنَّ الله قبلَ وجْهِهِ**».

وفي لفظِ آخر: «**إنَّ الله قِبَلَ وجْهِ أَحَدِكم، إذا كان في الصلاة**»(٣).

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ «فإنه يواجه ربه» وأقرب الألفاظ إليه ما أخرجه أحمد (٢/ ٣٤) ثنا عبد الرزاق ثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: صلَّى رسول الله ﷺ في المسجد فرأى في القبلة نخامة، فلما قضى صلاته قال: «إنَّ أحدكم إذا صلى في المسجد فإنه يُناجي ربَّه، وإنَّ الله تبارك وتعالى يستقبله بوجهه، فلا يتنخمنَّ أحدُكم في القبلة ولا عن يمينه» ثم دعا بعودٍ فحكَّه ثم دعا بخَلُوقٍ فخضبه» وأخرجه البخاري (٢/ ٢٣٥) تعليقاً. وإسناده صحيح، وسيأتي مزيد من تخريجه من حديث ابن عمر بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري في الصّلاة (١/ ٥٠٧- ٥٠٨، ٥١٠، ٥١١، ٥١٣) (٣/ ٨٤) ومسلم في المساجد (١/ ٣٩٠) عن قتادة وحميد عن أنس مرفوعاً به، واللفظ تقريباً للبخاري في الموضع الأول، وتمامه: «فلا يبزقنَّ أحدُكم قِبَلَ قِبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه» ثم أخذ طرفَ رِدائه فبصق فيه، ثم ردَّ بعضه على بعض فقال: «أو يفعل هكذا».

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٧٢) والبخاري (٢/ ٢٣٥) ومسلم (١/ ٣٨٨) ولم يسق لفظه وابن ماجة (٧٦٣) عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «إنَّ أحدكم إذا كان في الصلاة فإنَّ الله قِبَلَ وجهه، فلا يَتَخمنَّ أحدٌ قبل وجهه في الصلاة».

وأخرجه البخاري (١/ ٥٠٩) ومسلم (١/ ٣٨٨) عن مالك بن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «إذا كان أحدُكم يصلي فلا يَبصُقْ قبل وجهه، فإنَّ الله قِبَلَ وجهه إذا صلى». =

٣٣١- وفي حديث آخر: رواه أبو ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزالُ الله جلَّ اسْمُهُ مُقبِلاً على العَبْدِ ما لم يَلْتَفِتْ، فإذا التَفَتَ انصرفَ عنه».

وفي لفظ آخر قال: «إذا لينصرف[1] وجهه عنه».

وفي لفظ آخر قال: «إذا التَفَتَ أعْرَضَ عنه»[2].

اعلم أنَّ الكلام في فصلين:

أحدهما: قوله: «إن الله قبل وجهه ومواجهه».

والثاني: في الإعْرَاض.

أما الأول فغير ممتنعٍ حَمْلُه على ظاهره، إذْ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته، لأنَّ ذلك لا يوجب الجهة في حَقِّه، كما لم يُوجب الجهة في القول بجواز رؤيته في الآخرة، وإنْ كُنَّا نعلم في الشاهد أنَّ المَرْئِي لا يكون إلا في جهة كذلك ها هنا، وفي هذا إسقاطٌ لقولهم أنَّ وَصفه بذلك يُفضي على الجِهَةِ والمحاذاة والمقابلة، لأنَّه لا يُفضي إلى ذلك، كما لم يُفضِ هذا القول إلى القو بجواز رؤيته، وفي القول بالإستِواء على العرش[3].

= وأخرجه أحمد (٢/ ٦، ١٤١) والبخاري (٣/ ٨٤) ومسلم (١/ ٣٨٨) ولم يسق لفظه والدارمي في سننه (١/ ٣٢٤- ٣٢٥) عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً بنحوه.
وأخرجه البخاري (١٠/ ٥١٧) عن جُويرية عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «إنَّ أحدَكم إذا كان في الصلاة فإنَّ الله حِيَالَ وجههِ، فلا يتنخمنَّ حِيال وجهه في الصلاة».
وأخرجه أحمد (٢/ ٢٩، ٥٣) ومسلم (١/ ٣٨٨) ولم يسق لفظه عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.
وأخرجه أحمد (٢/ ٩٩) عن ليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.

(١) كذا في الاصل! ولعله: «فإذا صرف وجهه انصرف عنه» وهي رواية أحمد.

(٢) سبق تخريجه والكلام عليه في (الجزء الأول/ ٢٦٣).

(٣) نفي الجهة من الألفاظ المحتملة التي تحتمل الحق والباطل، وقد سبق الكلام على ذلك في أول الكتاب. =

فإن قيل: معناه ثوابُ الله يَنْزل على هذا المصلي قِبَلَ وجهه وكرامته، ومثله قول النبي ﷺ: «**يجيء القُرْآنُ بينَ يَدَي صَاحِبِه يومَ القِيامة**»(١).

= والحديث حقٌ على ظاهره، وأنه سبحانه فوق العرش وهو قِبَلَ وجه المصلي، فإنَّ الإنسانَ لو أنَّه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر، لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضاً قبل وجهه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر الحديث وحديث أبي رزين المشهور، قال: «ومن المعلوم أن من توجه إلى القمر وخاطبه- إذا قدر أن يخاطبه- لا يتوجَّه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه، فهو مستقبلٌ له بوجهه مع كونه فوقه، ومِنَ الممتنع في الفطرة أن يستدبره ويخاطبه مع قصدِه التامِّ له، وإن كان ذلك ممكناً، وإنما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته، كما ليسمع هو الخطاب، فأما مع زوال المانع فإنما يتوجه إليه.

فكذلك العبد إلى قام إلى الصلاة، فإنه يستقبل ربَّه وهو فوقه، فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله، ويَدعوه من العلو لا من السفل، كما إذا قُدِّر أنه يخاطب القمر.

وقد ثبت في الصحيحين أنه قال: «لينتهين أقوامٌ عن رفع أبصارهم في الصَّلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم» واتفق العلماء على أن رفَع المصلي بصره إلى السماء منهيٌّ عنه، فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلاً للفطرة، لأنَّ الداعي السائل الذي يُؤمر بالخشوع- وهو الذُّل والسكوت - لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحيةِ مَنْ يدعوه ويسأله، بل يناسب حاله الإطراق وغض بصره أمامه». انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٧٦- ٥٧٨) (٥/ ١٠٧).

(١) حديث صحيح، وقد ذكره المصنف بالمعنى، أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩١٥) وابن خزيمة كما في الترغيب (٢/ ٣٥٠)- ومن طريقة الحاكم (١/ ٥٥٢) عن عبد الصمد بن عبد الوارث أخبرنا شعبة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**يجيءُ القرآنُ يومَ القيامة فيقول: يا ربِّ حَلِّهِ، فيلْبَسُ تاجَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ زِدْهُ، فيلبس حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يا ربِّ إرضَ عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارقَ وتَزَاد بكل آيةٍ حسنةً**».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وعبد الصمد تابعه محمد بن جعفر:

أخرجه الترمذي بعد الحديث السابق موقوفاً على أبي هريرة، وقال: وهذا أصحُّ من حديث عبد الصمد عن شعبة .

قلت: وذلك لأن عبد الصمد وإنْ كان ثقة في شعبة، لكن محمد بن جعفر المدني البصري =

أي يجيء ثوابه، ويحتمل أنْ يكون ذلك على معنى الترغيب في إدْمانِ الخشوعِ وإحضارِ القلبِ حين يشغله ذلك عن غيره[١].

قيل: هَذا غلطٌ، لأنَّ ثوابَ الله تعالى وكرامته لا تَختصُّ بالمصلي، ولا يختص تلقاء وجهه، لأنَّها عامة قَبل الصَّلاةِ وبعدها، وأمامه ووراه، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

❁ ❁ ❁

= المعروف «بغندر» أوثق وأتقن منه في شعبة، قال الحافظ في تهذيب التهذيب: محمد بن جعفر المعروف بغندر صاحب الكرابيس، روى عن شعبة فأكثر، وجالسه نحواً من عشرين سنة وكان ربيبه، وقال العجلي: بصري ثقة، وكان من أثبت الناس في حديث شعبة، وقال ابن المبارك: إذا اختلف الناس في حديث شعبة فكتاب غندر حَكَمٌ بينهم. (انظر تحفة الأحوذي ٨/ ٢٢٨).

والحديث وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع، فمثله لا يقال بالرأي، والله أعلم.

(١) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١٠٧).

الفصل الثاني

الفصل الثاني

قوله «لا يَزالُ الله مُقْبلاً على عَبدِهِ مَا لم يَلْتفت، فإذا التفَتَ أعْرَضَ عنه»

فلا يمتنع حمله على ظاهره، وأنَّ ذاته مُقْبلةٌ عليه، إذ ليس في حمله على ذلك ما يحيل صفاته، لأنَّا لا نثبتُ إقْبال انتقال، ولا إعراضاً بمعنى الانْصِراف عن ذلك، كما حَمَلْنا تجلِّيه للجبل على ظاهره، ولم يُوجب ذلك حمله على انتقال.

فإن قيل: هذا محمولٌ على أنَّه لا يزال خيره مُقْبِلاً عليه، كما يقول القائل: إنَّ الأمير أَقْبَلَ على فلان وقَرَّبه، أي انصرف خيره وثوابه، كما يقال: صرف الأمير وجهه عن فلان، إذا قَطَعَ خيره عنه، ولم يحسن إليه.

ويحتمل أنْ يكونَ معناه: لا يزال توفيق الله للعبد ما لم يُعرض، فإذا أَعرضَ أعرض عنه، يعني قطع التوفيق واللطف، وهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]. معناه: لَمَّا صَرَفَ الله قلوبهم عن الخير بقطع التوفيق واللطف، انْصَرَفت قلوبهم عن الخير[(١)].

قيل: هذا غَلَطٌ، لما بَيَّنَّا وهو أنَّ ثوابه لا يختص بالمصَلِّي، وكذلك قَطْعُ الثَّواب لا يختص بمن التفتَ في صلاته، لأنَّ غير المُلْتَفِت- من الغائب- في صلاته يقطع ثوابه، فيجب أنْ لا يكون لهذا التخصيص فائدة إلا ما ذكرنا.

* * *

---

(١) المصدر السابق (ص١٠٨- ١٠٩).

[حَديثٌ آخَر]

٣٣٢- ناه أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لا يَنْظُرُ الله إليهم يَوْمَ القِيامَةِ: الإِمَامُ الكَذَّابُ، والشَّيخُ الزاني، والعَائِلُ المزهي»(١).

٣٣٣- وفي حديث آخر: عن أُسامة عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لا ينظر الله إليهم يَومَ القِيامَة: عاقًّا لِوالديه ومُدْمِناً خَمْراً، ومَنَّاناً بما أَعْطَى»(٢).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٣) وعنه ابنه عبد الله في «السنة» (١٠٦٣) والنسائي (٥/ ٨٦): عن يحيى بن سعيد عن ابن عجلان قال: سمعت أبي يحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ... ﷺ فذكره.
وإسناده حسن، من أجل عجلان المدني وابنه.
وأخرجه مسلم (١/ ١٠٢-١٠٣) والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (١٠/ ٨٤) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٢٣) عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه: «ثلاثة لا يكلمُهُم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وعائلٌ مُستَكْبِرٌ».
وأخرجه أحمد (٢/ ٤٨٠) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً بمثل لفظ مسلم.
ومعنى المزهي- ووقع عند أحمد والباقي- المزهو: هو المُختال المتكبر.

(٢) لم أقف عليه من حديث أسامة.
وقد صح نحوه من حديث ابن عمر:
أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص٣٦٤) وابن حبان (٥٦- زوائد) عن ابن وهب قال أخبرني عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول: قال عبد الله ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ومُدْمنُ خمرٍ، والمنَّان بما أعطى».
وأخرجه ابن خزيمة (ص٣٦٣- ٣٦٤) والحاكم (٤/ ١٤٦- ١٤٧) عن سليمان بن بلال عن عبد الله بن يسار به.
وأخرجه أحمد (٢/ ١٣٤) والنسائي (٥/ ٨٠-٨١) من طريقين عن عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار به وفيه زيادة وهذا لفظه: «ثلاثةٌ لا ينظرُ الله عزَّ وجل إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، والمرأةُ المترجِّلة، والدَّيُّوث، وثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والمدمنُ على الخمر، والمنَّان بما أعطى».
=

٣٣٤- وفي حديث آخر: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الخُيَلاءِ، فإنَّ الله لا يَنظرُ إليه يَومَ القيامة»[(١)].

٣٣٥- وفي حديثٍ آخر: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله تعالى إلى امْرَأةٍ لا تَعرف حَقَّ زوجها، ولا تستغني عنه»[(٢)].

= قالحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وفيه: عبد الله بن يسار وهو المكي الأعرج، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: مقبول.
لكن للحديث شواهد منها: حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه أحمد (٢/ ٢٠١، ٢٠٣) والدارمي (٢/ ١١٢) والنسائي (٨/ ٣١٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص٣٦٥- ٣٦٦) وابن حبان (١٣٨٢، ١٣٨٣- زوائد) والطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٩٥) عن سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «لا يدخل الجنة: منان، ولا عاق والديه، ولا مدمن خمر، ولا ولد زنية».
وقد أعله ابن خزيمة بجهالة جابان وبإسقاطه نبيط من هذا الإسناد (وهو مذكور في الإسناد عند النسائي).
وقد توسَّع في الكلام على الحديث الشيخ الألباني حفظه الله في السلسلة (٦٧٣).

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٥٢) ومسلم (٣/ ١٦٥١):
عن مالك عن نافع وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم كلهم يُخْبره عن ابن عمر مرفوعاً به.
وأخرجه البخاري (٧/ ١٩) (١٠/ ٢٥٤، ٤٧٨) عن موسى بن عقبة عن نافع به.
وله طرق أخرى عن نافع وعن ابن عمر، انظر البخاري (١٠/ ٢٥٨) ومسلم (٣/ ١٦٥١- ١٦٥٣).
وله شاهد من حديث أبي هريرة، انظر المصادر السابقة.

(٢) حديث صحيح، رواه النسائي في «عشرة النساء» (الكبرى)- كما في التحفة (٦/ ٣٠٠)- عن سَرَّار بن مُجشِّر بن قبيصة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً به. سرَّار ثقة، وباقي رجاله ثقات.
ولم يتفرد به، بل تابعه ابن المبارك عند البزار (١٤٦٠- زوائد).
ولم يتفرد به سعيد بن أبي عروبة، بل تابعه همام عند البزار، وعمران القطان (وهو صدوق يهم) عند ابن عدي (٦/ ٢١٤٤)، وعمر بن إبراهيم العبدي عند الحكم (٢/ ١٩٠) (٤/ ١٧٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

٣٣٦- وفي حديثٍ آخر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَنظر الله إلى رَجلٍ أَتى رَجُلاً أو امرأةً في دُبُرِها»**(١).

٣٣٧- وفي حديث آخر: عن ابن عباس رضي الله عنهما: **«لا ينظر الله إلى مسدل»**(٢).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٥١- ٢٥٢) والترمذي (٣/ ١١٦٥) والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (٥/ ٢١٠) وابن الجارود في «المنتقى» (٧٢٩) وابن حبان في صحيحه (١٣٠٢، ١٣٠٣- زوائد) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٣٠) وابن حزم في «المحلى» (١٠/ ٦٩- ٧٠):
عن أبي خالد الأحمر عن الضحاك بن عثمان بن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس مرفوعاً به.
قال الترمذي: حسن غريب وصححه ابن حزم.
ورجاله ثقات رجال الشيخين، سوى الضحاك بن عثمان وهو ابن عبد الله الأسدي الحزامي فمن رجال مسلم، وثّقه الجمهور، وقال أبو حاتم: يكتب حديث ولا يحتج به وهو صدوق، وقال: أبو زرعة: ليس بالقوى، وقال الحافظ: صدوق يهم.
والحديث رواه النسائي في الكبرى- كما في التحفة (٥/ ٢١٠)- عن هناد عن وكيع عن الضحاك موقوفاً.
وقال الحافظ في «التلخيص» (٣/ ١٨١): وهو أصح عندهم من المرفوع.
ورواه ابن عدي (٣/ ١١٠٩) عن سليمان اليمامي عن ابن أبي كثير عن طاووس عن ابن عباس مرفوعاً به، وسليمان ضعفه غير واحد.
والحديث ولو كان موقوفاً، فإن له حكم الرفع، لأن مثله لا يقال بالرأي، كما أن له شاهداً من حديث أبي هريرة مرفوعاً.
أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٣) وأحمد (٢/ ٢٧٢- ٣٤٤) وعبد الله في السنة (١٠٦٤) وأبو داود (٢/ ٢١٦٢) والنسائي في الكبرى- كما في التحفة (٩/ ٣١٢- ٣١٣)- وابن ملبة (١٩٢٣) من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن الحارث بن مُخَلَّد عن أبي هريرة به، وفي بعض طرق الحديث لفظه: «ملعونٌ مَنْ أتى امرأته في دبرها».
والحارث هو الزرقي والأنصاري، قال البزار: ليس بمشهور، وقال ابن القطان: مجهول الحال، وذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) لم أقف عليه!

٣٣٨- وفي حديث آخر: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ: «إنَّ الله تعالى لا يَنْظُرْ إلى مُسْبِلِ إزاره»(١).

٣٣٩- وفي حديثٍ آخر: عن أبي أُمَامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثَةٌ لا ينظر الله عَزَّ وَجَلَّ إليهم يومَ القِيامة، ولا يُزكِّيهم، ولَهُم عَذابٌ أليم: عاق وَالِدَيه، ومدمناً خمراً، ومُكذِّباً بقَدرِ الله تعالى»(٢).

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٣٢٢) والنسائي في «المجتبي» (٨/ ٢٠٧- ٢٠٨) وفي الكبرى- كما في التحفة (٤/ ٣٩١)- وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٩٢):
من طرقٍ عن أشعث بن أبي الشعثاء المحاربي قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً به، وفيه: «مسبل الإزار»، وسنده صحيح، أشعث ثقة.
وله شاهد من حديث أبي هريرة وزاد «يوم القيامة».
أخرجه أحمد (٢/ ٣١٨) وهو من صحيفة همام عنه.
وأخرجه مسلم (٣/ ١٦٥٣) عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة ورأى رجلاً يجرُّ إزاره، فجعل يضربُ الأرضَ برجله- وهو أميرٌ على البحرين- وهو يقول: جاء الأمير، جاء الأمير، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا ينظر إلى مَنْ يجرُّ إزاره بَطَراً».

(٢) حسن لغيره، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٣) والطبراني في الكبير «٨/ ١١٩/ ٧٥٤٧»: عن دحيم ثنا محمد بن شعيب عن عمر بن يزيد عن أبي سلام عن أبي أمامة مرفوعاً، لكن لفظه: «ثلاثةٌ لا يَقبلُ الله لهم صَرْفًا ولا عَدْلاً: عاقٌ، ومنَّان، ومكذِّبٌ بالقَدَر».
ذكره المنذري في الترغيب (٣/ ٣٢٨) وقال: رواه ابن أبي عاصم في السنة بإسناد حسن.
ورواه الطبراني (٨/ ٢٤١/ ٧٩٣٩) عن يزيد بن زريع عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً بلفظ: «أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة....» فذكرهم وزاد: «مدمن خمر».
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠٦): رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما بشر بن نمير وهو متروك، وفي الآخر عمر بن يزيد وهو ضعيف.
قلت: أما عمر بن يزيد وهو النَّصري، فقد ترجم له ابن أبي حاتم (٦/ ١٤٢) ولم يذكر في جرحاً ولا تعديلًا.
وذكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ٨٨- ٨٩) وقال: كان ممن يَقْلب الأسانيد ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به على الإطلاق، وإن اعتبر بما يوافق الثقات فلا ضير.
وقال الذهبي في الميزان (٣/ ٢٣١): وقد يعتبر به.

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر مَبنيٌّ على أصلٍ، وهو أنَّه يجوز أنْ يُوصف الله تعالى بالنَّظَرِ الذي هو رؤية، كما يجوز وصفه بأنَّه رأي بصيرة.

وذكر ابنُ فُورك في كتاب «تأويل الأخبار» أنَّه لا يجوز وَصْفُه بأنَّه نَاظِر نَظَراً هو رؤية، قال: «لأنَّه لا يجوز أنْ يُثبت له صفةً إلا ما وَصَفَ بها نفسه، أو وصفه رسوله»[1].

ولو تأمَّل لَعَلِمَ أنَّ هذه صِفَةٌ قد وَصَفَ بها نفسه، ووصفه بها رسوله، قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٩]. فوصف نفسه بالنظر.

٣٤٠- وروى أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرَكُم وأَمْوالِكُم، ولكن إنَّما يَنْظُر إلى أعْمالِكُم وقُلوبِكُم**».

وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم[2].

فأخبر أنَّه نَاظِرٌ إلى الأعمال والقلوب.

---

(١) «مشكل» ابن فورك بنحوه، وقال: «وقد ورد الكتاب بأنه راءٍ بصير، وأنه يرى ويبصر، ولم يرِدْ بأنه ينظر!! فلذلك لا يوصف بالنظر على معنى الرؤية، ويوصف بالنظر على معنى التَّعطُّفِ والرحمة!!».
ولك أن تعجبَ من هذا التحكم الذي لا يستند إلى دليل، لا من شرع ولا عقل!! وقد أجاد المصنف في الرد عليه.

(٢) مسلم (٤/ ١٩٨٧) عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وأخرجه من هذا الوجه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٥، ٥٣٩) وابن ماجه (٤١٤٣).
وأخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦- ١٩٨٧) عن أسامة بن زيد أنه سمع أبا سعيد مولى عبد الله بن عامر بن كُريز يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ فذكره مطولاً وفيه: «إنَّ الله لا ينظُرُ إلى أجسادِكم ولا إلى صُورَكم، ولكن يظرُ على قلوبكم» وأشار بأصابعه إلى صدره.

٣٤١- وروى أبو بكر النَّجاد بإسناده: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أوَّلَ ليلةٍ مِنْ شهر رَمَضان؛ نَظَرَ الله إليهم، ومَنْ نَظَرَ إليه لم يُعَذِّبه**»(١).

٣٤٢- وروى أبو بكر في كتاب «الشَّافي» بإسناده: عن وَاثِلَة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لله عَزَّ وجَلَّ في كُلِّ يومٍ ثَلاثمائة وسِتِّينَ نَظرةً ليسَ لصاحبِ الشاه(٢) فيها نَصِيب**»(٣).

(١) إسناده ضعيف، أخرجه البيهقي في «فضائل الأوقات»(٣٦) عن الهيثم بن الحواري عن زيد العمي عن أبي بصرة قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِتْ أمتي في شهر رمضان خمساً لم يُعطهن نبيّ قبلي، أما واحدةً: فإنَّه إذا كان أول ليلةٍ من شهر رمضان نظر الله ﷻ إليهم، ومَنْ نَظَر الله إليه لم يعذب أبداً، وأما الثانية: فإن خَلُوف أفواههم حين يُمْسُون أطيبُ عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كلِّ يومٍ وليلة، وأما الرابعة: فإنَّ الله ﷻ يأمر جنَّته فيقول لها: استعدِّي وتزيَّني لعبادي، أوشكَ أنْ يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي، وأما الخامسةُ: فإنه إذا كان آخرُ ليلةٍ غُفر لهم جميعاً، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وُفُّوا أجورهم».
ذكره المنذري في الترغيب (٢/ ٩٢) وقال: رواه البيهقي وإسناده مقارب أصلح مما قبله.
وفيه: زيد العمِّي وهو ابن الحواري، ضعيف.
وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٤٤٥): إلى البيهقي (أي في الشعب) والأصبهاني في الترغيب.
ثم رأيته فيهما من الطريق نفسه، وهو في الأول برقم (٣٦٠٣) وفي الثاني برقم (١٨٢٠).
والحديث الذي ذكره المنذري قبله، هو حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أُعْطِيتْ أمتي في شهر رمضان خمسَ خصالٍ لم تُعط أمة قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة...» الحديث.
أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٢) والبزار (١/ ٩٦٣- زوائد) والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٤٢) والبيهقي في «فضائل الأوقات» (٣٥) وفي الشعب (٣٦٠٢). وفيه: هشام بن أبي هشام، قال البزار: ليس هو بالقوي في الحديث، وضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما.
(٢) كُتب في هامش الأصل: صاحب الشاه فُسِّرَ بلاعب الشطرنج.
(٣) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٧١٠).

فقد نطق الكتاب والسُّنة بإثبات هذه الصفة، وغير ممتنع حمل ما رواه واثلة على ظاهره، لا على وجه التكرار، كما جازَ وَصفه تعالى بأنَّ له تِسْعَةً وتسعين اسماً لا على وجه التحديد، وكما جاز وصفه بالعُلُو لا في جهة، وكذلك جواز النظر إليه لا في جهة، وإنْ كُنَّا نعلم أنَّ العلو ضد السفل، والنَّظَر لا يصح في الشَّاهد إلا في جهةٍ، كذلك ها هنا.

وكما جاز وصفه بالذَّات، وإن كان حقيقة الذَّات في الشاهد هو الجسم المؤلف، وكذلك جاز وصفه بالسَّمع والبصر والوجه وغير ذلك، ولا نقول إنها جميعه ولا بعضه، وإنْ كانت في الشاهد أنها بعض الذات، كذلك لا يمتنع وصفه بالعَدَدِ وإنْ لم يتعدد، ولا يصح تأويله على ما يُحدثه في كلِّ حالٍ من تغيير الأحوال لوجهين:

أحدهما: أنَّ ما يُحدثه لا يختص بتسْعةٍ وتسعين رحمة.

والثاني: أنَّ هذه الأشياء تصدر عن القُدْرةِ لا عن النظر.

فَعُلِم أنَّ المراد بالخبر إثبات صفة ترجع إلى النظر الذي هو الرؤية، لا على وجه التكرار لاستحالة التكرار في صفات ذاته، لأنَّ تكرارها يُفضي إلى حدثها[1].

---

(١) هذا القول غير صحيح، فمن المعلوم من الكتاب والسنة أن الله تعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء متى شاء، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال سبحانه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٥- ١٦]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

ودوام الفعل من الكمال، فبإن الفعل إذا كان صِفَة كمال، فدوامه دوام كمال.

وقد ذكر أهل الكلام لفظ «تسلسل الأفعال» وهو لفظٌ مجملٌ، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى واجب وممتنع وممكن.

فالتسلسل في المؤثرين: محالٌ ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون كل واحدٍ منهم استفاد =

٣٤٣- وروى أبو بكر أحمد بن إسحق الصبغي في كتابه المسمى بـ «الأسماء والصفات» فيما حكاه ابن فُورك عنه: عن عاصم بن لقيط أنَّ لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحبه، قال: فأتينا رسول الله ﷺ حيثن انصرفَ من صلاةِ الصُّبْح، وذكر الحديث، وقال فيه: «فَتخْرجُون من مَصَارِعِكُم تَنْظُرُونَ إليه، ويَنْظُر إليكم»(١).

= تأثيره مما قبله لا على غاية!

والتسلسل الواجب: ما دلَّ عليه العقل والشرع، من دوام أفعال الربِّ في الأبد، وأنه كلَّما انقضى لأهل الجنة نعيم، أحدَث لهم نعيماً آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأنَّ كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت.

وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإنَّ كل حي فعَّال، والفرق بين الحي والميت: الفِعْل، ولهذا قال غيرُ واحدِ من السلف: الحيَّ: الفعال.

وقال عثمان بن سعيد: كلُّ حيٍّ فعَّال، ولم يكن ربنا تعالى قط في وقتٍ من الأوقات معطَّلاً عن كماله، من الكلام والإرادة والفعل.

وأما التسلسل الممكن: فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حيّاً قادراً مريداً متكلماً- وذلك من لوازم ذاته- فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كلِّ فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكلُّ ما سواه مخلوقٌ كائن بعد أن لم يكن.

فيقال باختصار: إن صفات الأفعال- كالاستواء والنزول والخلق والرزق والكلام. إلخ- قديمة النوع حادثة الآحاد.

وانظر تفصيل هذه المسألة في: «شرح الطحاوية» لأبي أبي العز رحمه الله (ص١٣٢- ١٤١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١١٥- ٢٤٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد أفاض في الكلام عليها، وأورد الأدلة من الكتاب ثم من السنة على أن الله تعالى لم يزل فاعلاً لما يشاء متى شاء، ثم ردَّ على المخالفين في المسألة بما لا تجده في مكان آخر.

(١) ضعيف سبق تخريجه في (الجزء الأول/ ١٦٧).

٣٤٤- وروى ابنُ المنذر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينَمَا أهلُ الجنَّةِ في نَعِيمِهِم، إذْ سَطَحَ لهم نُورٌ من فَوق رُؤوسِهِم، فإذا الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ قد أَشْرَف عليهم مِنْ فَوقِهم فقال: السَّلام يا أَهل الجنَّة، فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾** [يس: ٥٨]. قال: «**فَيَنْظُر إليهم ويَنْظُرون إليه، ولا يَلْتَفِتُونَ إلى شيءٍ مِنَ النَّعيم ما دامُوا يَنظُرونَ إليه**»[١].

٣٤٥- وروي عن كعب أنَّه قال: «**ما نَظَر الله إلى الجنَّة قَط إلا قال لها: طيبي لأهلكِ، قال: فازْدَادَتْ طِيبًا إلى ما كانت**»[٢].

فإن قيل: تُحمل هذه الأخبار على التَّعَطُّفِ والرحمة، وأنَّ الله يَتعطف عليهم فَيُريهم نَفْسَه ويرحمهم.

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه ابن ماجة (١٨٤) والبزار (٤/ ٢٢٥٣- زوائد) والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٧٤- ٢٧٥) والآجري (ص٢٦٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٨- ٢٠٩) وفي «صفة الجنة» (٩١) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٣٩- ٢٤٠) وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٦١- ٢٦٢) واللالكائي (٣/ ٤٨٢) عن أبي عاصم العَبَّاداني ثنا الفضل ابن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً به.
قال البزار: لا نعلمه يُروى عن جابر إلا بهذا الإسناد.
وقال الذهبي في «العلو» ص٢٣) بعد أن ذكر الحديث: وإسناده ضعيف.
وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع!
وفي سنده ضعيفان: أبو عاصم العباداني (وهو عبيد الله بن عبد الله) والرقاشي.
والحديث عزاه السيوطي في «الدر» (٧/ ٦٥) إلى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ضعيف، أخرجه عبد الله بن أحمد - كما في حادي الأرواح (ص٢٩٥) ولم يذكر في أي كتاب له- حدثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحارث عن كعب به.
وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١) عن أبي عوانة عن يزيد به.
وسنده ضعيف من أجل: يزيد بن أبي زياد، وهو القرشي الهاشمي مولاهم.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إنْ جازَ أنْ يُتَأول نَظَرُه إلى الأشياءِ على معنى التعطف جاز أنْ تُتَأول رؤيته وبصره إلى الأشياء على معنى التعطف والرحمة.

وقد أثبتَ ابنُ فورك البصر والرؤية صفة، كذلك النظر.

ولأنَّه إذا جاز وصفه بالرؤية والبَصر إلى الأشياء؛ جاز وصفه بالنظر، إذْ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقُّه.

فأما قوله في حديث جابر: «**بَيْنا أهلُ الجنَّة في نعيمهم إذْ سَطَعَ لهم نُورُ من فوق رؤوسهم**» فلا يمتنع حمله على ظاهره، وأنَّه نُورُ ذاته، لأنَّه إذا جاز أنْ يُظْهِرَ لهم ذاته فيرونها؛ جاز أنْ يُظهر لهم نُوره فيرونه، لأنَّ النُّورَ من صفات ذاته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وأما قوله في حديث جابر: «**بَيْنا أهلُ الجنَّة في نعيمهم إذْ سَطَعَ لهم نُورُ من فوق رؤوسهم**» فلا يمتنع أيضاً حَمله على ظاهره، وأنَّه إشْرافُ ذَاته، لا على وجه الجهة، كما جاز أنْ يَتَجلَّى للجبل حتى جعله دَكّاً.

فإن قيل: يحمل قوله: «**إذْ سَطَعَ لهم نورٌ**» على ما يَتَجدَّد لهم من كراماته، وإشْعَارهم بما يزيدهم من معارفه، فعند ذلك يرفعون رؤوسهم، على معنى ما يقال: فلان رفع رأسه، إذا ارْتَفَعت حاله عن انخفاض بما يتجدد له، وقوله عند ذلك: «**أشرف عليهم من فوق رؤوسهم**» يعنيك من فوق رجائهم.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إنْ جازَ أنْ يُحمل ظُهور النُّور على كرامته جاز أنْ يحمل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [الإنسان: ٢٣]. إلى كراماته، ولأنَّه إذا جاز أنْ يُوصف أنه أشرف عليهم من فوق رجائهم؛ جازَ أنْ يُوصف من فوق رؤوسهم، لا على وجه الجهة إذ لا فرق بينهما.

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]. معناه لا يتعطف عليهم ولا

يرحمهم، وكذلك قوله تعالى[(١)] «لا ينظر الله إليهم» على هذا المعنى، ولهذا يقول القائل: انظر إليَّ بمعنى تعطَّف علي وارحمني، وليس المراد به نفي النظر الذي هو الرؤية، لأنه تعالى ناظراً رائياً إلى جميع الأشياء غير مستترة عنه.

٣٤٦- وفي معناه ما روي: «**إنَّ الله لم يَنْظُر إلى الدُّنيا منذ خلقها**»[(٢)] معناه: لم يُجل قدرها ولا قدر من رَكَن إليها، لأنَّه خَلَقَها للفناءِ والزوال وحَثَّ على الزُّهد فيها وترك الاشتغال بها، ومنه قولهم: ما نظر فلان إلى فلان إذا أراد أنَّه لم يَعْتَد به.

وأما قوله: «**إن الله لا ينظر إلى صُوَرِكُم ولكن ينظر إلى قُلُوبكم**» معناه الاحتساب والاعتداد، أي لا يعتد بما يظهر منكم إذا لم يوافق الباطن، لأنَّ الأعمال الظَّاهرة مَنُوطَةٌ بصحة السَّرَائِر والإخلاص، ولهذا قال ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيات، وإنما لامْرِئٍ ما نَوَى**»[(٣)] يريد أنَّ النِّيات هي المصَحِحة للأعمال.

وليس إذا نَفَينا النظر في حالٍ، دَلَّ على نفي ذلك في الجملة، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ ولم يدل ذلك على نفي الكَلام في الجملة.

---

(١) كذا في الأصل والصواب: قوله ﷺ، لأنه من كلامه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هو الحديث الأول الذي ابتدأ به البخاري صحيحه وأخرجه في ستة مواضع أخرى، وأخرجه مسلم في الإمارة (٣/ ١٥١٥- ١٥١٦) من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واللفظ المذكور لمسلم.
قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنَّف كتاباً أنْ يبدأ فيه بهذا الحديث، تنبيهاً للطالب على تصحيح النية.
وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث، حتى قالوا إنه: ثلث الإسلام، وبعضهم قال: ربعه، ووجَّه البيهقي كونه ثلث العلم بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنيَّة أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها.

[حديث آخر]

٣٤٧- ناه أبو القاسم بإسناده: عن عائشة قالت: كَانَت عندي امرَأةٌ فلما قامت قال النبي ﷺ: «**مَنْ هذه يا عائشة؟**» قلت: يا رسول الله أمَا تعرفها! هذه فُلانَة ما تَنامُ الليل، وهي من أَعْبَدِ أَهْلِ المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «**مهْ! عليكم مِنْ العَمَل ما تُطيقُونَ، فإنَّ الله تعالى لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا**» قالت: وكان أحب العمل إليه أدْوَمُهُ وإنْ قلَّ(١).

٣٤٨- وفي حديثٍ آخر: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله لا يَمَلُّ مِنَ الثَّوابِ حتى تَمَلُّوا مِنَ العَمَل**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٠١) (٣/ ٣٦) ومسلم (١/ ٥٤٢) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

وقد جاء التصريح باسمها فيها أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٧) ومسلم (١/ ٥٤٢) عن ابن شهاب عن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أنَّ الحولاءَ بنتَ تُويتِ بن حبيب بن أسد ابن عبد العُزى مرَّت بها وعندها رسول الله ﷺ فقلت: هذه الحولاء بن تويت، وزعموا أنها لا تنامُ الليل، فقال رسول الله ﷺ: «لا تنامُ الليل! خُذُوا من العمل ما تُطيقون، فوالله لا يَسْأَمُ الله حتى تَسْأَمُوا».

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٧٩) قال حدثنا ابن وكيع ثنا يزيد بن حيان عن موسى بن عبيدة ثني محمد بن طحلاء مولى أم سلمة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل فتسامع به الناس فاجتمعوا فخرج كالمغضب- وكان بهم رحيماً- فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، فقال: «اكْلَفُوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يملُّ من الثواب حتى تملوا من العمل، وخير الأعمال ما دمتم عليه».

ونزل القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ حتى كان الرجل يربطُ الحبل ويتعلَّق به، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردَّهم إلى الفريضة وترك قيام الليل.

وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف، وكذا ابن وكيع. =

اعلم أنَّه غيرُ مُمتنعٍ إطلاقُ وَصفه تعالى بالمَلل، لا على معنى السآمة والاستثقال ونُفُور النَّفس عنه، كما جاز وَصفه بالغَضَب لا على وجه النُّفور، وكذلك الكراهة والسّخط والعداوة فقال سبحانه: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤].

وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]. وقال: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]. وقال: ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]. وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. وقال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

فإن قيل: معنى المَلَل ها هنا الغضب، فيكون معناه: لا يغضب عليهم ولا يقطع عنهم ثوابه حتّى يترُكوا العمل(١).

قيل: هذا غَلَطٌ، لأنَّ الملل قد يَحصل منَ العبد، فيما لا يقتضي الغضب عليه، وهو تركُ النَّوافل، والخبر على هذا الوجه خَرَج، ولأنَّه إنْ جازَ تأويل المللِ على الغضب، جاز تأويل الغضب على الملل إذْ ليس أَحدُهما بالتأويل أولى من الآخر، وكلاهما مما قد وَرَدَ الشرع بإطلاقه عليه.

ولأنَّ الملل والغَضَب في اللغة عبارة عن معنيين مختلفين، فلا يجوز حمل

= وقد أخرجه بإسناد آخر عن موسى به وفي: «يا أيها النَّاس إنَّ الله لا يملُّ حتى تملوا يعني من الثواب فاكلفوا من العمل ما تطيقون...».

ولعل قوله: «يعني من الثواب» مُدرج من بعض الرواة.

وقد أشار غليه الحافظ في الفتح (٣/ ٣٧) لكن قال: أخرجه الطبري في تفسير سورة المزمل، وفي بعض طرقه ما يدل على أن ذلك مدرج من قول بعض رواة الحديث، والله أعلم.

قلت: كذا قال! وليس له عنده إلا طريقان!

(١) انظر «مشكل» ابن فورك (ص١١٢).

أحدهما على الآخر، ولأنَّه إنْ جاز امتناع إطلاق الملل ولأنَّ له حكم في الشَّاهد، جاز امتناع إطلاق الغَضب والرِّضَا والإرادة، لأنَّ لها حداً في الشاهد.

فإن قيل: معناه: إنَّ الله لا يَمَلُّ إذا مَلَلْتُم، ومثل هذا قولهم: إنَّ هذا الفَرَسَ لا يَفْتُر حتى تفتر الخيل، وليس المراد بذلك أنَّه يفتر إذا فَتَرت الخيل، إذ لو كان المراد به هذا، ما كان له فضلٌ عليها، لأنَّه يفتر معها، وإنما المراد به لا يفتر وإنْ فترت الخيل، وكذلك قولهم في الرجلِ البليغ، لا ينقطع حتى ينقطعَ خصومه، يريد بذلك أنه لا ينقطع إذا انقطعوا، إذْ لو كان المراد به ينقطع إذا انقطعوا؛ لم يكن له فَضْلٌ عليهم.

فعلى هذا يكون معنى الخبر أنَّ الله عَزَّ وجلَّ لا يترك الإحسان إلى عبيده، وإنْ تركوا هم طاعته[١].

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ الخبر قُصِدَ به بيان التحريض على العمل والحثّ عليه وإنْ قَلَّ، فإذا حَمِلَ الخبرُ على استدامة الثواب مع انقطاع العمل من العامل؛ لم يوجد المقصود بالخبر، لأنَّه يعول على التَّفَضُل ويطرح العمل.

وجواب آخر: وهو أنَّ «حَتَّى» لها ثلاثة أقسام: أحدُها: أنَّها تكون غاية، وتكون بمعنى «كي» وتكون بمعنى «إلا أن» وليست بمعنى «إذا»[٢].

---

(١) انظر المصدر السابق (ص١١٢-١١٣).
ونقل هذا التأويل أيضاً البيهقي في «الأسماء» (ص٤٨٣)، والحافظ في الفتح (١/ ١٠٢) ورجَّح أن الصواب هو أنه من باب «المقابلة اللفظية» كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ ونقل عن الإسماعيلي وجماعة من المحققين، ونقل عن القرطبي قوله: وجه مجازه أنه تعالى لمَّا كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالاً، عبَّر عن ذلك بالملال، من باب تسمية الشيء باسم سببه.

(٢) انظر: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لأبي محمد بن هشام (١/ ١٢٢).

[حديث آخر]

٣٤٩- ناه أبو القسم: بإسناده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَسبُّوا الدَّهر فإنَّ الله هُو الدَّهرُ**»(١).

وفي لفظٍ آخر: «**لا يَقُولنَّ أَحَدُكُم: يا خَيبَة الدَّهر فإنَّ الله هُوَ الدَّهر**»(٢).

وفي لفظٍ آخرٍ: «**قال الله عزَّ وجلّ: يَسُبُّ ابنُ آدمَ الدَّهْرَ، وأَنَا الدَّهْرُ، بيدِي اللَّيلُ والنَّهار**»(٣).

وفي لفظٍ آخرٍ: «**لا تسبوا الدهر، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: أنا الدَّهرُ، ليَ اللَّيل والنَّهار، أجدده وأُبليه، وأَذْهَبُ بِمُلُوكٍ وآتي بمُلُوكٍ**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩١، ٤٩٩) ومسلم في الألفاظ من الأدب (٤/ ١٧٦٣) عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وأخرجه أحمد (٢/ ٣٩٥) عن عوف عن خلاس ومحمد عن أبي هريرة به.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٤) ومسلم (٤/ ١٧٦٣) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وأخرجه البخاري (١٠/ ٥٦٤) عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «لا تُسمُّوا العنبَ الكرْم، ولا تقولوا: يا خَيبةَ الدَّهر، فإنَّ الله هو الدَّهر».
وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٦٢) عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «قال الله ﷻ: يُؤذيني ابنُ آدم يقول: يا خَيبةَ الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإني أَنا الدهر، أقلِّب ليله ونهاره، فإذا شئتُ قَبضتُهما».

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٦٤) ومسلم (٤/ ١٧٦٢) عن يونس عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة قال: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.
وأخرجه البخاري (٨/ ٥٧٤) (١٣/ ٤٦٤) ومسلم (٤/ ١٧٦٢) عن سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يُؤذيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهرَ، وأنا الدَّهر، بيدي الأمر أُقلِّبُ الليلَ والنهار».

(٤) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٩) عن ابن نمير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن ذكوان عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه.
ورجاله رجال الشيخين، سوى هشام بن سعد فمن رجال مسلم وحده، وقد أخرج له في الشواهد، وفي حفظه شيء، قال الحافظ: صدوق له أوهام ورمي بالتشيع، ومع ذلك حَكَم له في الفتح (١٠/ ٥٦٥) بالصحة!

وفي لفظٍ آخر قال: «**كانَ أَهْلُ الجاهِلِيَّة يقولون: إنَّما يُهْلِكُنا اللَّيلُ والنَّهار، هو الذي يُهْلِكُنا ويُميتنا ويُحيينا، فقال الله عَزَّ وجَلَّ في كتابه**: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. فقال الله عزَّ وجَلَّ: **يُؤْذِيني ابن آدم يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأَنَا الدَّهْرُ بيدي الأمر، أُقَلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ**»(١).

وفي لفظٍ آخرٍ: «**يقول [الله]**(٢): **اسْتَقْرَضْتُكَ عَبْدِي فَلَم تُقْرِضني، ويَشْتُمني عَبْدِي وهو لا يدري، يقول: وادَهْرَاه وادَهْرَاه، وأَنَا الدَّهر**»(٣).

٣٥٠- اعلم أنَّ أبا بكر الخلال قال: حدثني بشر بن موسى الأسدي(٤) قال:

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/ ٩٢) حدثنا أبو كريب ثنا أبو عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وفيه بعد ذكر الآية: «فيسبُّونَ الدَّهر فقال الله تبارك وتعالى...».
وأخرجه عن عمران بن بكار الكلاعي ثنا أبو روح ثنا سفيان بن عيينة نحوه.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٣) عن ابن راهوية عن ابن عيينة قال: «كان أهلُ الجاهلية يقولون...» فجعله من قول ابن عيينة!
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه ابن جرير (٢٥/ ٩٢) حدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: يقول الله...فذكره.
وفي سنده عنعنة ابن إسحاق، وابن حميد وهو محمد الرازي، ضعيف.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٣) عن يزيد بن هارون عن ابن إسحاق عن أبي الزناد من الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقة الذهبي!
وفيه عنعنة ابن إسحاق.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في كتابه (٢/ ٣٦٧) وقال: روى عن روح بن عبادة حديثاً واحداً وعن أبي عبد الرحمن المقري والحميدي، ولم يحكِ فيه جرحاً ولا تعديلاً.
لكن ذكره الخطيب في «تاريخه» (٧/ ٨٦) فقال: وأما هو في نفسه فكان ثقةً أميناً عاقلًا ركيناً.
ونقل عن الدارقطني أنه: ثقة. وذكره ابن أبي يعلى في «طبقاته» (١/ ١٢١-١٢٢).

سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الدهر، فلم يجبني فيه بشيءٍ.

وظاهر هذا أنْ أحمد توقف عن الأَخْذِ بظاهر الحديث، وامتنع من إطلاق تَسمية «الدَّهْر» على الله سبحانه.

٣٥١- وقال حنبل سمعت هرون الحَمَّال يقول لأبي عبد الله: كُنَّا عند سفيان ابن عيينة بمكة فحدَّثنا أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تَسُبُّوا الدهر**» فقام فتح بن سهل فقال: يا أبا محمد تقول يا دهرُ ارْزُقنا؟ فسمعت سفيان يقول: خُذُوه فهو جهمي، وهرب، فقال أبو عبد الله: القوم يردُّون الآثار عن رسول الله، ونحن نؤمن بها ولا نرد على رسول الله ﷺ قوله.

وظاهر هذا أنَّه أَخَذَ بظاهر الحديث، ويحتمل أنْ يكون قوله: «**نحن نُؤمن بها**» راجعٌ إلى أخبار الصفات في الجملة، ولم يرجع إلى هذا الحديث خاصة.

٣٥٢- وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث في كتابه، وقال: لا يجوز أنْ يُسَمَّى الله دَهْراً.

والأمر على ما قاله، لأنه قد روي في بعض ألفاظ هذا الحديث ما منع من حمله على ظاهره، ولم يَرِدْ في غيره من أخبار الصفات ما دَلَّ على صرفه عن ظاهره، فلهذا وجب حملها على ظاهرها، وذلك أنَّه روى فيه: «**يُؤْذيني ابن آدم يَسُبُّ الدهر، وأنا الدهر بيدي الأَمرُ، أُقلِّب الليل والنهار**» وفي لفظ آخر: «**لي الليلُ والنَّهار أُجَدده وأُبْليه، وأَذْهَبُ بملوكٍ وآتي بملوك**» فبيَّنَ أنَّ الدَّهر الذي هو الليل والنهار خَلْقٌ له وبيده، وانَّه يُجدده ويُبليه فامتنع أنْ يكونَ اسماً له.

وأصل هذا الخبر أنَّه وَرَدَ على سبب، وهو أن الجاهلية كان تقول: أَصابني الدهر في مالي بكذا، ونالتني قَوَارعُ الدهر ومصائبه، فَيُضِيفُون كل حادثٍ يحدث مما هو جارٍ بقَضاءِ الله وقَدَره، وخَلقه وتقديره، من مَرضٍ أو

صحةٍ أو غنى أو فقر، أو حياةٍ أو موتٍ إلى الدهر، ويقولون: لَعَنَ الله هذا الدهر والزمان ولذلك قال قائلهم:

أمِنَ المُنون وريْبها يَتَوَجَّعُ والدَّهرُ ليس بمعتِبٍ من يَجْزَعُ

وقال سبحانه: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] أي: ريب الدهر وحوادثه. وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. فأخبر عنهم بما كانوا عليه من نِسْبة أقدار الله وأفعاله إلى الدهر، فقال: «**لا تسبوا الدهر**» أي: إذا أصابتكم المصائب لا تَنْسِبُوها إليه، فإنَّ الله تعالى هو الذي أصابكم بها، لا الدهر، وإنكم إذا سَبَبْتُم الدهر وفاعل ذلك ليس هو الدهر.

٣٥٣- وقال أبو بكر الخَلَّال: سألت إبراهيم الحربي عن قول النبي ﷺ: «**لا يقولن أَحَدُكم يا خَيبة الدهر، فإنَّ الله هو الدَّهْرُ**» وقوله: «**لا تَسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**» قال: كانت الجاهلية تقول: الدهر هو الليلُ والنَّهار، يقولون الليل والنهار يفعل بنا كذا، فقال الله ﷻ: أنا أفعل ليس الدهر(١).

فقد بَيَّنَ إبراهيم الحربي أنَّ الخبر ليس على ظاهره، وأنَّه وَرَدَ على سبب.

٣٥٤- وذكر أبو عبيد نحو ما ذكرنا، فقال: لا ينبغي لأَحَدٍ من أهل الإسلام أنْ يجهل وجهه، وذلك أنَّ أَهَلَ التعطيل يحتجون به على المسلمين، واحتج به بعضهم، فقال: ألا تراه يقول: فإنَّ الله هو الدهر» قال: وتأويله أنَّ العَرب كان شأنها أنْ تَذُمَّ الدهر، وتَسُبَه عند المصائب التي تنزل بهم؛ من موتٍ أو هرمٍ أو تَلَفٍ، فيقولون: أصابتهم

---

(١) لم أجده في الجزء المطبوع من «غريب الحديث» له.

قَوَارِعُ الدهر؛ وأبادهم الدهر وأتى عليهم الدهر، فيجعلونه الذي يفعلُ ذلك فَيذُمونه عليه، فقال النبي ﷺ: لا تسبوا الذي يفعل بكم هذه الأشياء وتصيبكم هذه المصائب، فإنكم إذا سَبَبْتُم فاعلها، فإنما يقع السَّبُ على الله عز وجل إذْ هو الفاعل لها، لا الدهر(١).

❊ ❊ ❊

(١) «غريب الحديث» (٢/ ١٤٥- ١٤٨) وقد نقله المصنف باختصار.

[حديث آخر]

٣٥٥- ناه أبو القسم بإسناده: عن خَوْلَةَ بنتِ حَكيم: أنَّ النبي ﷺ خَرَجَ وهو مُحْتَضِنٌ أَحَدَ ابني بنته ويقول: «**إنَّكم لَتجبّنُونَ وتَبَخَّلُون وتجهلون، وإنَّكم لمن رَيْحانِ الله، وإنَّ آخِرَ وَطْأَةِ الرَّحْمَن بَوَج**»(١).

٣٥٦- وناه أبو القسم بإسناده: عن يعلى العَامري: انَّه جاء حَسَنٌ وحُسَينٌ يَسْتَبِقَانِ إلى رسول الله ﷺ فَضَمَّهما إليه، وقال: «**إنَّ الوَلَدَ مَجْبَنَةٌ، وإنَّ آخِرَ وَطْئَةٍ وَطِئها ربُّ العَالِمِينَ بِوَجٍّ**»(٢). وفي رواية أبي الحسن

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الحميدي (٣٣٤) وأحمد (٦/ ٤٠٩) والترمذي (٤/ ١٩١٠) والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٣٩- ٢٤٠، ٢٤١) والبيهقي في الأسماء (ص٤٦١) عن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة سمعت ابن أبي سويد يقول سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: زَعَمَتْ المرأةُ الصالحة خولة بنت حكيم قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضن... الحديث.
وليس عند الترمذي: وإن آخر وطأة...
قال الترمذي: حديث ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة لا نعرفه إلا من حديثه، ولا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعاً من خوله.
قلت: ولا يضره تفرد ابن ميسره به فهو ثبتٌ حافظ، لكن يعلُّ بالانقطاع- كما قال الترمذي- بين عمر وخولة، وفي التهذيب أنه روى عنها مرسلاً، وبابن أبي سويد وهو محمد الثقفي الطائفي فإنه مجهول.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢) في «الأسماء» (ص٤٦١) عن ابن خُثَيم عن سعيد ابن أبي راشد أنه أخبره عن يعلى بن مرة أن حسناً وحسيناً ... رضي الله عنهما فذكره بنحوه وأوله: «إني أحبُّهما فأحبهما، أيها الناس إنَّ الولد مبخلة...».
وأخرجه ابن ماجة (٣٦٦٦) والحاكم (٣/ ١٦٤) عن وهيب عن ابن خثيم به، دون ذكر «الوطئة»، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.
وأخرجه أحمد (٤/ ١٧٢) والترمذي (٥/ ٣٧٧٥) بالسند الأول بلفظ: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسينٌ سبط من الأسباط».
وقال الترمذي: حديث حسن.
والحديث في سنده: سعيد بن أبي راشد ويقال: ابن راشد، ذكره ابن حبان في الثقات على =

....

= عادته في توثيق المجهولين، لذا قال الحافظ: مقبول، أما الذهبي فقال في الكاشف: صدوق! وللحديث شواهد يصح بها دون ذكر «الوطئة».
* منها: ما أخرجه البخاري (٧/ ٩٤) ومسلم (٤/ ١٨٨٣) عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبُه فأحبُه».
وأخرج البخاري (٧/ ٩٥) (١٠/ ٤٢٦) عن ابن عمر مرفوعاً: «هما رَيْحَانَتاي من الدنيا». يعني الحسن والحسين.
* وأخرج البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٣٥) عن عائشة أن النبي ﷺ أُتي بصبي فقبَّله فقال: «أما إنهم مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ، وإنهم لمن ريحان الله عز وجل».
وفيه ابن لهيعة وقد ساء حفظه.
* وأخرج أحمد (٥/ ٢١١) والطبراني في الكبير (١/ ٢٣٦/ ٦٤٦) عن الأشعث بن قيس أنه قدم على النبي ﷺ في وفد كندة فقال له النبي ﷺ: «هل لك من ولد؟» قال: لا إلا مولود وُلِدَ لي مخرجي إليك، ولوددت أنَّ لي مكانه شبع القوم، فقال النبي ﷺ: «لا تقل ذاك، فإنَّ فيهم قُرَّة عينٍ، وأجراً إذا قُبضوا، ولئن قلت ذلك فإنهم لمجبنةٌ ومَحْزَنة ومبخلة».
وفيه مجالد بن سعيد.
وأخرجه الطبراني (١/ ٢٣٦/ ٦٤٧) من طريق أخرى وفيه ابن لهيعة، لكن له شاهدٌ قوي أخرجه الحاكم (٤/ ٢٣٩) عن الأعمش عن خيثمة عن الأشعث بنحوه.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قلت: لكن في سماع خيثمة وهو ابن عبد الرحمن من الأشعث نظر، والله أعلم.
وأخرجه البزار (٢/ ١٨٩٢- زوائد) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الولدُ ثَمرةُ القلبِ، وإنهم مَجْبنةٌ مبخلة مَحْزنة».
ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٥) وقال: رواه أبو يعلى والبزار، وفيه عطية العوفي وهو ضعيف.
* وأخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٠١٤٣) عن معمر عن ابن خثيم به مرسلاً.
* وأخرجه البزار (٢/ ١٨٩١- زوائد) عن عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن خثيم عن محمد ابن الأسود بن خلف عن أبيه عن النبي ﷺ أنه أخذ حسناً فقبَّله، ثم أقبل عليهم فقال: «إنَّ الولدَ مبخلةٌ مجهلة مجبنة».
ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٥) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.
قلت: الأسود بن خلف صحابي، أما ابنه فذكره ابن حبان في الثقات، انظر تعجيل المنفعة (ص٣٥٨).
ومعنى قوله: مبخلة: أي يَحملون الأب على تركِ الإنفاق إبقاءً للمال لهم، ومجبنة: أي يحملونه على ترك الجهاد إبقاءً لنفسه لهم، ومحزنة: أي يحزن لمرضهم أو فقدهم.

وأبي القاسم ابني ابن بشران بإسناده: عن يعلى بن مُرَّة: «**وإنَّ آخر وَطْئَةٍ وطِئَها ربُّ العالمين بوَجٍّ**»(١).

٣٥٧- وذكر الحميدي في مسنده بإسناده: عن كعب أنَّه قال: وَجٌّ مُقَدَّس، منه عَرَجَ الرَّب إلى السَّماء يوم قَضى خَلْقَ الأَرض.

قال الحميدي: مَوضعٌ بالطائف يقال له وَجّ.

اعلم أنَّه غير ممتنع على أُصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ ذلك معنى يتعلق بالذَّات دون الفعل، لأنَّا حملنا الخبر على ظاهره في قوله: «**يَنْزِلُ الله إلى سَماء الدنيا**» وقوله: «**يَضَعُ قَدَمه في النَّار**» وقوله: «**يَتَجَلَّى لهم في رِمَال الكَافُور**» وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١]. كذلك ها هنا، إذْ لسنا نحمل «الوَطئة» على مماسته جارحة لبعض الأجسام، بل نُطلق هذه الصفة كما أطلقنا استواءه على العَرْش، لا على وجه المماسة والانتقال من حالٍ إلى حال، وكما أطلقنا قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]. لا على وجه المماسة، كذلك ها هنا.

فإنْ قيل: معنى ذلك يرجع إلى الفعل، وهو أنَّ آخر ما أَوْقعَ الله سبحانه بالمشركين من الشِّدة بوَجٍّ، وهو اسم موضع بالطائف، لأنَّه كان آخر غزوةٍ غَزَاها رسول الله ﷺ وحنين أدْنى الطائف، وهذا مثل قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ**

---

(١) إسناده ضعيف، المسند (٣٣٥) قال: ثنا عبد الله بن الحارث بن عبد الملك ثني محمد بن عبد الله بن إنسان- يعني ابن إنسان بطن من العرب- عن عبد الله بن عبد ربه بن الحكم ابن عثمان بن بشر عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن كعب أنه سمعه يقول: فذكره. عبد الله بن عبد ربه بن الحكم، ذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٤٨) وأورده ابن أبي حاتم (٥/ ١٠٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وَطْأَتك على مُضَرَ، وابْعَثْ عليهم سَنين كَسِني يُوسُف»(١) فتتابع القحط عليهم سَبْع سنين، حتى أَكَلُوا القَدَّ والعِظَامَ، والعرب تقول في كلامها: اشْتَدَّت وطْأَةُ السُّلطان على رعيته، وليس يريدون بذلك وَطْء القَدَم، كذلك ها هنا(٢).

قيل: هذا غلَطٌ، لأنَّه لم يكن ذلك آخِرَ ما أَوْقَعَ الله بالمشركين، لأنَّ الفُتُوح حصلت بعد النبي ﷺ والنِّكايَة في المشركين ظاهر على يدي خليفة بعد خليفة، ثم النكاية في الفُرْس والرُّوم، وغير ذلك من أهل الكفر.

وجواب آخر: وهو أنَّ في الخبر ما يُسْقِط هذا، وهو قوله: «آخر وطئة» وذلك لا يستعمل في الشِّدَّة، وإنَّما يُستعمل في الشدة ما كان بالهمزة والألف، نحو قوله: **«اشدد وَطْأَتَك على مضر»** فإنَّ هناك قرينة دلَّتْ على أنَّ المراد به العذاب، وهو أنَّه دعا على الكفار، ولأنَّه ذكر الوطأة هناك بالهمزة والألف.

٣٥٨- وقد حكى ابنُ قُتيبة هذا التأويل في **«مُختلف الحديث»** وقال في جوابه: لا أقضي به على مُراد رسول الله ﷺ لأنني قرأتُ في الإنجيل: أنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٠، ٤٩٢- ٤٩٣) (٦/ ١٠٥، ٤١٨) (٨/ ٢٢٦، ٢٦٤) ومسلم (١/ ٤٦٦- ٤٦٧) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويُكبر ويرفع رأسه: «سَمعَ الله لمن حَمِدَه ربَّنا ولكَ الحمد» ثم يقول وهو قائم: «اللهم أَنْجِ الوليد بن الوليد وسلمةَ بن هشام وعياشَ بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدُدْ وَطْأَتَك على مُضرَ، واجْعَلها عليهم كسِني يُوسُف، اللهم العنْ لحِيانَ ورِعلاً وذكوان وعُصيَّة غصِبتِ الله ورسوله» ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ [آل عمران: ١٢٨]» لفظ مسلم.

وأما قوله: «حتى أكلوا القد (بالفتح وهو جلد السَّخْلة) والعظام» فقد روى البخاري (٢/ ٤٩٢-٤٩٣) وفي مواضع أخرى كثيرة عن مسروق قال: كنا عند عبد الله فقال: «إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدْباراً قال: اللهم سَبْعٌ كسبعِ يوسَف، فأَخَذَتهم سَنَةٌ حَصَّتْ كلَّ شيءٍ، حتى أكلوا الجلودَ والميتة والجيف...» الحديث.

(٢) انظر «مشكل» ابن فورك (١١٦) و«الأسماء» للبيهقي (ص٤٦١- ٤٦٢).

المسيح صَلواتُ الله عليه قال للحواريين: ألم تَسْمَعُوا أنَّه قيل للأولين: لا تكذبوا إذا حَلَفْتُم بالله، ولكن أصدقوا، وأنَا أَقُولُ لكم لا تحلفوا بالسَّماء فإنَّها كرسي الله، ولا بالأرضِ فإنَّها مَوْطِئ قدميه، ولا بأورشليم[(١)] فإنها مدينة الملك الأكبر، ولا تحلف برأسك فإنَّك لا تستطيع أنْ تَزيد في شَعْرةً سوداء ولا بَيضاء، ولكن ليكن قولكم: نعم نعم، ولا لا، وَما كان سِوى ذلك فإنَّه من الشيطان.

هذا مع حديث حدثنيه يزيد بن عمرو قال نا عبد الله بن الزبير قال نا عبد الله ابن الحرث عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن كعب قال: «**إنَّ وجَّ مقدس، مِنه عَرَجَ الرَّبُّ إلى السَّماء يوم قَضَى خلق الأرضِ**»[(٢)].

وهذا الكلام من ابن قتيبة إقْرارٌ منه بفَسَاد هذا التأويل، وحمل الخبر على ظاهره كما ذهبنا إليه.

❊ ❊ ❊

(١) أي بيت المقدس.

(٢) «مختلف الحديث» (ص١٤٤- ١٤٥).

وما رواه عن الحميدي عن كعب قد سقط من شده اثنان، انظر سنده المتقدم برقم (٣).

[حَديثٌ آخَر](١)

٣٥٩- ناه أبو القسم بإسناده: عن جابر وابن عمر وأنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَن جلّ اسْمُه لموْتِ سَعْدِ بن مُعاذ**»(٢).

٣٦٠- **وفي حديث آخر**: رواه بإسناده: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن مُعَيقيب قال: نَظَرَ رسولُ الله ﷺ إلى سَعْدِ بنِ مُعَاذ على السَّرير فقال: «**لقد اهْتَزَّ العَرْشُ لموته، عَرْشِ الرَّحْمَن عَزَّ وجَلَّ**»(٣).

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٢) أما حديث جابر رضي الله عنهما: فأخرجه أحمد (٣/ ٢٩٦، ٣١٦، ٣٤٩) والبخاري (٧/ ١٢٢-١٢٣) ومسلم (٤/ ١٩١٥) وغيرهم من طرق عنه.

※ وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما: فأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٣٣) ومحمد بن أبي شيبة في كتاب «العرش» (٤٩- بتحقيقنا) والبزار (٢٦٩٧- زوائد) والحاكم (٣/ ٢٠٦) عن محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال: أهتزَّ العرشُ لحب لقاءِ الله سعداً (وعند بعضهم دون ذكر لفظ الجلالة)، قال إنما يعني السرير، قال إنما تفسخت أعواده، قال: ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبسَ فلما خرج قيل له: يا رسول الله ما حَبَسك؟ قال: «ضُمَّ سعدٌ في القبر ضمةً، فدعوت الله أن يكشف عنه».

وفيه عطاء بن السائب كان قد اختلط، لكن يشهد له ما قبله وما بعده.

※ وأما حديث أنس فأخرجه أحمد (٣/ ٢٣٤) ومسلم (٤/ ١٩١٦) عن سعيد عن قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ قال- وجنازتُه موضوعةٌ- يعني سعداً-: «اهْتَزَّ لها عرشُ الرَّحمن».

وفي الباب: عن سعد بن أبي وقاص وحذيفة وأبي هريرة وأسماء بنت يزيد ورميثة وأبي سعيد الخدري وأسيد بن حضير وغيرهم.

قال الذهبي في العلو (ص٧١): فهذا متواتر أشهد بأن رسول الله ﷺ قاله.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٩٠) عن غيلان بن جامع عن أبي عبد الله عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن معيقيب عن النبي ﷺ: «اهتزَّ العرشُ لموتِ سعد بن معاذ».

ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٠٩) وقال: رواه الطبراني وفيه عمرو بن مالك الغبري! وثقه ابن حبان وقال يغرب، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة، وبقية رجاله رجال الصحيح! كذا في المجمع! وليس في سند الطبراني عمرو بن مالك! وكنيته أبو عثمان. =

٣٦١- وفي حديث آخر: رواه بإسناده: عن ابن عمر قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لهذا العَبْد الصَّالح الذي تَحَرَّكَ له العَرْشُ، وفُتِحَتْ له أبْوابُ السَّماوات، وَشِهِدَهُ سَبْعُونَ ألفَ مِن الملائكة لم يَهْبطُوا إلى الأَرضِ قبل ذلك، ولقد ضُمَّ في قَبْرِهِ ثم أُفرِج له**» يعني سَعْداً رحمه الله[١].

اعلم أنَّ هذا الخبرَ ليس مما يرجع على شيء من الصفات لأنَّ «العَرْشَ» مُحْدَثٌ مَخلوقٌ، وغير ممتنعٍ أنْ يهتزَّ العرش على الحقيقة، ويتحركَ لموت سعد، لأنَّ العرش تجوز علَيه الحركة، ويكون لذكره فائدة وهو: فضيلة سعد، أنَّ العرش مع عِظَم قَدْره اهتزَّ له[٢].

وقد تأوّل قوم على أنَّ العرش ها هنا السَّرير الذي كان عليه سعد! وهذا غلط لوجهين، أحدهما: أنَّ في الخبر «**اهتزَّ عرشُ الرَّحْمن جَلَّ اسمه**» وإضافةُ العرش إلى الله سبحانه، إنَّما يَنصرف إلى العرش الذي هو في السماء.

والثاني: أنَّه قَصد بهذا الخبر فضيلة سعد، ولا فَضيلة في تحرك سَريره واهتزازه، لأنَّ سرير غيره قد يتحرك ويهتز من تحته.

= وأبو عبد الله المذكور في الإسناد لم أعرفه، ولعل في المطبوعة شيء.
وفي تاريخ الخطيب (٩/ ٤٩) عن عبد الله بن علي بن المديني قال: قلت لأبي: حديث رواه الوليد عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن معيقيب أن النبي ﷺ قال: «اهتزَّ العرش لموت سعد» فقال: هذا الحديث كذبٌ موضوع، رواه سليمان بن أحمد الواسطي وعمرو بن مالك.

(١) صحيح، أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٣٠) والنسائي (٤/ ١٠٠-١٠١) والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١٠٩) والخطيب في تاريخه (٦/ ٢٥٠) من طريقين عن عبد الله بن إدريس أخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.
وسنده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.
تنبيه: سقط من سند البيهقي في المطبوعة: عبيد الله بن عمر عن نافع!

(٢) اهتزاز العرش إنما هو لاستبشاره وسروره بقدوم رُوحه، يقال لكلِّ مَنْ فَرِح بقدوم قادم عليه: اهتز له، وقد وقع التصريح بذلك في حديث ابن عمر: «اهتز العرش لحبِّ لقاء سعد».

وتأوله آخرون: على أنَّ الاهتزاز ها هنا رَاجعٌ إلى حَمَلَةِ العَرش، الذي يَحملونه ويَطُوفُون حوله، وأقامَ العَرشَ مَقَام من يحمله ويطوف به من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]. وإنَّما يُريد أهل السَّماء وأهل الأرض، وكما قال النبي ﷺ في أُحُد: «**هَذا جَبَلٌ يحبنا ونُحبه**»(١) يريد يُحبنا أهلُه يعني الأنصار!

ويكون معنى اهتزاز حملته الاستبشار والسُّرور به، يقال: فلانٌ يستبشر للمعروف ويَهتَزُّ له، ومنه قيل في المثل: إنَّ فُلاناً إذا دُعي اهتزَّ، وإذا سُئِل ارتز، والكلام لأبي الأسود الدُّئلي، والمعنى فيه: إذا دُعي إلى طَعامٍ يأكله ارتاح له واستبشر، وإذا دعي لحاجةٍ ارتز، أي تَقَبَّض ولم ينطلق، قال الشَّاعر:

وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ ... كَما اهْتَزَّ عِندَ البارِحِ الغُصْنُ الرطْبُ(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٧٧) ومواضع أخر ومسلم (٢/ ٩٩٣) عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ طلع له أحدٌ فقال: «هذا جَبلٌ يُحبُّنا ونحبُّه، اللهم إنَّ إبراهيمَ حَرَّم مكة، وإني حَرَّمتُ ما بين لابَتَيها» لفظ البخاري.
وأخرجه البخاري (٧/ ٣٧٧)م مختصراً عن قرة بن خالد عن قتادة عن أنس مرفوعاً به.
وللعلماء في معنماه أقوال: أحدها: أنه على حذف مضاف والتقدير: أهل أحد، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه.
ثانيها: أنه قال ذلك للمسرَّة بلسان الحال إذا قَدِم من سفرٍ لقربه من أهله ولقياهم، وذلك فعل من يحب بمن يحب.
ثالثها: أن الحبَّ من الجانبين على حقيقته وظاهره، لكون أَحد من جبال الجنة، كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعاً: «جبلُ أُحُد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة» أخرجه أحمد، ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه، كما جاز التسبيح منها، وقد خاطبه النبي ﷺ مُخاطبة مَنْ يَعْقل فقال لما اضطرب: «اسكنْ أُحد» الحديث. اهـ من كلام الحافظ في الفتح (٧/ ٣٧٧).
ولا يخفى قوة القول الثالث لموافقته لظاهر الخبر، وعدم احتياجه لتقدير مضاف محذوف، والله أعلم.
(٢) انظر «مشكل» ابن فورك. =

وهذا غلط؛ لما بَيَّنَّا أنَّه غيرُ ممتنع من إضافة الاهتزاز إلى العرش لكونه مُحدثاً، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ٩-١٠].

وهذه إضافةٌ صحيحة إلى السَّماء والأرض، كذلك إضافة ذلك إلى العرش، وحَمْلُ ذلك على حَمَلَةِ العرس عُدُولُ عن الحقيقة إلى المجاز من غيرِ حاجة إلى ذلك، ولئن جاز هذا، جاز العدول في قوله: ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]. معناه أهل السماء. ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ١٠]. معناه أهل الجبال، ولأنَّ ما يمنع من حمل الخبر على العرش، يمنع من حمله على حملته، وما يجوز في أَحَدهما نُجوزه في الآخر، ولأنَّه لا يجب أنْ يمتنع المخالف من هذا، لأنَّه لا يُثْبت كونه على العرش، وإذا لم يُثْبِتْ ذلك لم يمتنع إضافة ذلك إلى العرش.

وأما قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]. فمعناه: فما بكت عليهم السماء بأهلها[١] وكذلك قوله: «**هذا جَبَلٌ يُحبنا**» معناه يحبنا بأهله.

= وفي «الأسماء والصفات» للبيهقي نسب هذا التأويل إلى أبي الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري.
وانظر الفتح (٧/ ١٢٤).

(١) حكى هذا التفسير الخازن في تفسيره (٦/ ١٤٦) بصيغة التمريض فقال: وقيل: المراد أهل السماء وأهل الأرض.
وأما ما اعتمده هو والبغوي (٦/ ١٤٦) وابن كثير (٤/ ١٤٢) ومن قبلهم ابن جرير في تفسير (٢٥/ ٧٤- ٧٥) فهو ما ساقه بإسناده قال: حدثنا أبو كريب ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير قال: «إتى ابن عباس رجلٌ فقال: يا أبا عباس، ارأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فهل تبكي السماء والأرضُ على أَحَد؟ قال: نعم، إنه ليس أحدٌ من الخلائق إلا له بابٌ في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا ماتَ المؤمنُ فأُغلق بابه من السَّماء الذي كان يصعد [فيه] عمله وينزل منه رزقه بَكَى عليه، وإذا فَقَده مُصلَّاه من الأرض التي كان =

....

= يصلي فيها ويَذكُر الله فيها بَكَت عليه، وإنَّ قومَ فرعون لم يكن لهم في الأرض آثارٌ صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبكِ عليهم السَّماء والأرض».
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، زائدة هو ابن قدامة الثقفي.
وروى ابن أبي حاتم- كما في تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٢)- عن عباد بن عبد الله عن علي نحوه، وعباد هو الأسدي، ضعيف الحديث.
وروى ابن جرير بإسناده: عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الإسلام بَدَأ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ، ألا لا غُرْبَةَ على مؤمنٍ، ما مات مؤمنٌ في غربةٍ غابت عنه فيها بواكيه، إلا بَكَت عليه السَّماء والأرض» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ﴾ ثم قال: «إنهما لا يبكيان على الكافر».
وهذا مرسل، شريح تابعي ثقة.
وأخرج البغوي (٦/ ١٤٦) عن موسى بن عبيدة الرَّبذي أخبرني يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبدٍ إلا له في السَّماء بابان بابٌ يخرجُ منه رزقُه، وبابٌ يدخل فيه عمله، فإذا ماتَ فَقَدَاه وبكيا عليه» ثم تلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ﴾.
وفيه ضعيفان: الربذي والرقاشي.
=

[حَديثٌ آخَر]

٣٦٢- رواه أبو بكر أحمد بن سلمان النَّجاد في «السُّنَّة»: عن عبد الله بن أحمد قال نا مَعْمر قال نا وكيع عن مُوسى بن عُبَيدة عن محمد بن كعب قال: كأنَّ النَّاسَ إذا سَمِعُوا القرآن من في الرحمن عَزَّ وجَلَّ يوم القِيَامَة، فكأنَّهم لم يَسْمَعُوه قبل ذلك(١).

٣٦٣- وناه أبو محمد الحسن بن محمد قال نا عمر بن أحمد بن عثمان قال نا محمد ابن هرون بن حميد قال نا عثمن بن أبي شيبة قال نا وكيع قال نا موسى بن عُبيدة قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: إذا سمع القرآن من في الرحمن في القِيامة فكأنَّهم لم يَسمعوه قبل ذلك(٢).

٣٦٤- [ونا](٣) أبو القسم عبد العزيز بإسناده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كأنَّ الخَلْقَ لم يَسْمَعوا القُرآن حين سَمِعُوه من فيه يوم القيامة**»(٤).

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ إطلاق الفي عليه سبحانه، كما لم يمتنع إطلاقُ اليد والوجه والعين.

٣٦٥- وقد نص أحمد على ذلك في رسالة أبي العباس أحمد بن جعفر الفارسي(٥) فقال كَلَّمَ الله موسى تكليماً من فيه.

فإن قيل: هذا الحديث ضعيف يرويه موسى بن عبيدة، وقال يحيى بن

---

(١) مرسل ضعيف، محمد بن كعب القرضي تابعي ثقة، وموسى بن عبيدة ضعيف، وسيأتي القول فيهما.

(٢) إسناده كسابقه.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) لم أجد من أخرجه.

(٥) رسالة الفارسي هذه فيها نظر، وقد سبق ذكر كلام الذهبي فيها.

سعيد القطان: موسى بن عبيدة ضعيف[(١)].

قيل: هذا غلط، لأنَّ موسى بن عبيدة رَجُلٌ من أهل الرَّبْذَةِ لا بأس به، وقد روى عنه وَكيع، وهو من أئمة أصحاب الحديث.

وأمَّا محمد بن كعب: فهو من علماء التابعين بالتفسير والفتيا، وأبوه كعب ابن سليمان[(٢)] من الصحابة.

---

(١) الجمهور على تضعيف حديث الرَّبذي.
فقد قال أحمد بن حنبل: لا تحلُّ الرواية عندي عنه، وقال: منكرُ الحديث، نقله عنه البخاري.
وقال ابن معين: ضعيف إلا أنه يُكتب من أحاديثه الرقاق، وقال مرة: ليس بشيء.
وقال ابن المديني: ضعيف الحديث، حَدَّث بأحاديث مناكير.
وقال أبو زرعة: ليس بقوي الأحاديث.
وقال أبو حاتم: منكر الحديث.
وقال الترمذي: يُضعف، وقال النسائي: ضعيف، وقال مرة: ليس بثقة.
وقال يعقوب بن شيبة: صدوق ضعيف الحديث جداً، ومن الناس من لا يكتب حديثه لوهائه وضعفه وكثرة اختلاطه، وكان من أهل الصدق.
وقال أبو بكر البزار: موسى بن عبيدة رجلٌ مفيد وليس بالحافظ، وأحسب إنما قصر به عن حفظ الحديث شغله بالعبادة.
وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم.
وقال الساجي: منكر الحديث، وكان رجلًا صالحاً.
انظر التهذيب (١٠/ ٣٥٦- ٣٦٠).
فالرجل صالح في نفسه، لكنْ لم يكن حافظاً للحديث كما سبق من أقوال العلماء فيه، فلا عبرة بعد ذلك بتوثيق وكيع له، إذ الجرح المفسر مقدمٌ على التعديل، كما هو مقررٌ عند علماء الجرح والتعديل.

(٢) كذا في الأصل: سليمان! وهو خطأ وصوابه: سليم، كما في التهذيب (٩/ ٤٢٠) والتاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢١٦) وفيه: وكان أبوه ممن لم يُنْبتْ يوم قريظة فتُرِك.
وقال الترمذي: سمعت قتيبة يقول: بلغني أن محمد بن كعب وُلد في حياة النبي ﷺ فردَّه الحافظ ابن حجر بقوله: لا حقيقة له! وإنما الذي ولد في عهده هو أبوه فقد ذكروا أنه كان من سبي قريظة ممن لم يحتلم ولم ينبت، فخلَّوا سبيله.

فإن قيل: فَنَتَأَوَّل قوله: «**من في الرحمن**» معناه من الرحمن.

قيل: هذا غلط، لأنَّه يَتضمَّن حَذْفَ صِفةٍ قد وَرَدَ الخبر بها[١]، وعلى أنَّه إنْ جَاز هذا التأويل؛ وجب مثله في قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. معناه بذاتي ويكون ذكر اليد زائد، وكذلك قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]. وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. المراد به: ذاته، وليس المراد به الوجه الذي هو صفة، وَلمَّا لم يجز هذا هناك؛ كذلك ها هنا، ولأن هذا يُؤَدي إلى جواز القول بأنَّ لله في، وأنَّه يجوز أنْ يُدْعى فيقال: يا في اغفر لنا، وهذا لا يجوز، فامتنع أنْ يكون المراد بالفي الذات، لأنَّه لا يجوز وصفه ودعاءه بذلك.

* * *

(١) قد تقدم أن الخبر لا يصح، فلا يُثبت به لله تعالى صفة.

[حديثٌ آخر]

٣٦٦- ناه أبو القسم بإسناده: عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: «لَو كانَ القُرآنُ في إهَابٍ، مَا مَسَّته النَّارُ»(١).

٣٦٧- وفي حديثٍ آخر: عن عبيد الله بن موهب(٢) عن عصمة بن مالك الخطمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لو جُمِعَ القُرآنُ في إهَابٍ ما أَحْرَقَته النَّار»(٣).

اعلم أنَّه قد قيل في ذلك وجوه:

أحدها: أنَّ من حَفِظَ القرآن وقاه الله عذابَ النَّار، واحتجَّ في ذلك بحديثِ أبي أُمَامَةَ: «إنَّ الله سبحانه لا يُعذِّبُ قَلْباً وَعَى للقرآن»(٤).

---

(١) إسناده صحيح، رواه أحمد (٤/ ١٥١، ١٥٥) والدارمي (٢/ ٤٣٠) والفريابي في «فضائل القرآن» (١، ٢) وأبو يعلى (١٧٤٥) والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٦٥) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٦٤): عن ابن لهيعة عن مِشرح بن هاعان عن عقبة مرفوعاً به.
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٨): فيه ابن لهيعة وفيه خلاف.
قلت: ابن لهيعة كان قد ساء حفظه، لكن قد روي عنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ وروايته عنه صحيحة، وذلك عند الدارمي والفريابي وأبي يعلى والبيهقي، وكذا قتيبة بن سعيد- عند أحمد- فإن روايته عنه قد صحَّحها أحمد كما في «شرح العلل» لابن رجب (ص١٣٨). ويشهد للحديث ما بعده.

(٢) في الأصل: وهب، والتصويب من مصادر الحديث.

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٦٩- ١٧٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٤١) عن الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي مرفوعاً به.
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٥٨): فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف.
قال ابن عدي بعد أن ذكر جملةً من أحاديثه: وعامتها مما لا يتابع عليه إما إسناداً وإما متناً.
وقال فيه أبو حاتم: أحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل.
وقال الأزدي: منكر الحديث جداً (لسان الميزان (٤/ ٤٤٩)).
وللحديث شاهد بسند ضعيف جداً:
أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٧٢/ ٥٠٩١) من حديث سهل بن سعد بنحوه.
ووفيه: عبد الوهاب بن الضحاك، متروك.

(٤) لم أقف عليه!

وإلى هذا أومئ أحمد في رواية إسحق بن إبراهيم، وقد سأله ما معنى: «**لو كان القرآن في إهاب ما مَسته النار**» قال أبو عبد الله: هذا يُرجى لمن القرآن في قلبه أنْ لا تمسه النار في إهاب، يعني في قلب رجل(١).

وفي هذا ضعف، لأنَّه قد روي في الخبر عن النبي ﷺ قال: «**يكونُ فيكم قَومٌ يقرءون القُرآن، لا يُجاوِزُ حَناجِرهم، يَمرُقُونَ من الدِّينِ مُرُوقَ السَّهم من الرَّمية**»(٢).

٣٦٨- وروي «**النَّارُ إلى فَسَقَةِ القُرآن، أقربُ منها إلى عَبَدةِ الأَوْثَانِ**»(٣).

وعُلِمَ أنَّ معنى قول النبي ﷺ: «**إنَّ الله لا يُعذِّبُ قَلْباً وَعَى القُرآن**» إذا حَفِظَ حُدُوده وعمل بموجَبَه.

وقال قوم: معناه أنه لو كُتِبَ القرآن في جلْدٍ ثم طُرِحَ في النَّار، ما أحرقته النَّار، وذلك في عهد رسول الله ﷺ علامة لنبوته.

وقال قوم: تأويله أنَّ القُرآن لو كُتِبَ في جِلْدٍ، ثم طُرح الجلد في النَّار ما احترق، أي: ما احْتَرَقَ القُرآن، وما بَطَلَ ولا انْدَرَسَ، وإنما يَنْدِرِسْ ويَبْطل المِدَادُ والحبر والجلد.

٣٦٩- وهذا مثل قوله حاكياً عن الله سبحانه: «**إنِّي مُنَزِّلٌ عَلَيكَ كِتَابًا لا يغسله الماء**»(٤) ومعناه لا يُبْطِلَهُ ولا يفنيه الماء، كذلك قوله: «ما احترق»

---

(١) «مسائل الإمام أحمد» لإسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري (٢/ ١٨٧).
وأخرجه بسنده عن ابن هانئ البيهقي في «الأسماء» (ص٢٦٤).

(٢) قاله النبي ﷺ في الخوارج، وقد روى أحاديثهم جمع من الصحابة رضي الله عنهم انظر البخاري (٦/ ٦١٧- ٦١٨) (٩/ ٩٩-١٠٠) (١٢/ ٢٨٣) ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٤٠- ٧٥٠).

(٣) لم أقف عليه!

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٢) ومسلم في كتاب الجنة (٤/ ١٩٧-٢١٩٨) عن هشام عن قتادة عن مُطرِّف بن عبد الله عن عِياض بن حِمَار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في =

وهذا وجه صحيحٌ، لأنَّا وإنْ قُلنا إنَّ القُرآن مكتوبٌ في الحقيقة، وأنَّ الكتابة هي المكتوب، فلسنا نقول إنَّه حَالٌّ في الجلد، ولا في الوَرَقِ ولا في اللوح، فاحتراق المحل لا يُوجب احتراقه، لأنَّه ليس بحال في محل كتابته.

* * *

= خطبته: «ألا إنَّ ربي أمرني أنْ أُعلِّمكم ما جهلتم مما علمنّي يومي هذا: كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حلالٌ، وإني خَلَقتُ عبادي حُنفاءَ كلَّهم، وإنهم أَتَتهم الشياطينُ فاجْتَالتهم عن دينهم، وحَرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنْزِلْ به سلطاناً، وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فَمَقَتَهم عربَهم وعجمهم، إلا بَقَايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتُك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسلُهُ الماءُ، تقرؤُهُ نائماً ويقظانَ...» الحديث.

[حَديثٌ آخر]

٣٧٠- ناه أبو القسم بإسناده: عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**ما أَذِنَ الله لعبدٍ في شيءٍ أفضلِ مِنْ رَكعتين يُصَلِّيهما، وإنَّ الله لَيَذَر البرَّ فوقَ رَأْسِ العَبدِ ما دَامَ في صَلاتِه، وما تَقَرَّبَ العَبْدُ إلى الله بمثْلِ ما خَرَجَ منه**» يعني القرآن(١).

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨) والترمذي (٥/ ٢٩١١) وابن الضُّريس في «فضائل القرآن» (١٤١) عن أبي النضر حدثنا بكر بن خُنيس عن ليث بن ابي سليم عن زيد ابن أرطأة عن أبي أمامة مرفوعاً به.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وبكر بن خنيس قد تكلّم فيه ابنُ المبارك وتركه في آخر أمره.
قلت: والجمهور على تضعيف حديثه.
وقال فيه ابن معين: صالح لا بأس به، إلا أنه يروي عن ضعفاء ويُكتب من حديثه الرقاق.
وقال أبو حاتم: سألت ابن المديني عنه قال: للحديث رجال!
يشير إلى أنه لم يكن من رجال الحديث الحافظين، فقد ذكروا أنه كان صاحب غزو.
وفيه أيضاً: ليث بن أبي سليم مختلط لم يتميز حديثه فتُرك.
* لكن له شاهد صحيح من حديث أبي ذر:
أخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) وعنه البيهقي في الأسماء (ص٢٣٦) عن سلمة بن شبيب حدثني أحمد بن حنبل ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطأة عن جبير من نفير عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً بلفظ: «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيءٍ أفضل مما خَرَجَ منه، يعني القرآن».
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وهو كما قالا، فإنَّ رجاله رجال مسلم سوى زيد بن أرطأة، وهو ثقة عابد.
وتابع ابنَ مهدي عليه عبدُ الله بن صالح، لكن جعله: عن عقبة بن عامر بدلاً من أبي ذر.
أخرجه الحاكم (١/ ٤٤١) وعنه البيهقي (ص٢٣٦) وزاد في أوله: أن رسول الله ﷺ تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ ثم ذكر الحديث. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال البيهقي: ويحتمل أن يكون جبير بن نفير رواه عنهما جميعاً. =

٣٧١- ورواه أبو عبد الله بن بطة في كتاب «الإبانة» بإسناده: عن أبي أُمَامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تَقَرَّبَ العِبَادُ إلى الله بشيءٍ أَفْضل مِنْ شيءٍ خَرَجَ منه»** وهو القرآن.

اعلم أنَّ المراد بالخروج ها هنا ظهور المنافع، كما يقال: خَرَجَ لَنا من كلامك خَيرٌ كثير، وأتَانَا منه نَفعٌ بَيِّنٌ، وليس المراد به الخروج الذي هو بمعنى الانتقال والمفارقة، لأنَّه ليس بجسم ولا جَوْهرَ، وإنَّما يجوز الانتقال على الجَواهِر والأجسام(١).

= والرواية الأولى أرجح، لأن في الثانية عبد الله بن صالح كاتب الليث، صدوق كثير الغلط.

* وقد ورد مرسلاً بسند حسن:

أخرجه أحمد في الزهد (٣٥) والترمذي (٥/ ٢٩١٢) وعبد الله في «السنة» (١٠٩) عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفسير عن النبي ﷺ به.

ورواه أبو داود في المراسيل- كما في تحفة الأشراف (١٣/ ١٥٤).

* وقد ورد نحوه موقوفاً على خبَّاب ﷺ بسند صحيح:

أخرجه أحمد في «الزهد (ص٣٥) والبخاري تعليقاً في «خلق أفعاله العباد» (ص١٨- ط الرسالة، وسقط من ط الدار السلفية (ص٣١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥١٠- ٥١١) والدارمي في «الرد على الجهمية» (٣١٠) وعبد الله في «السنة» (١١١) والآجري في «الشريعة» (ص٧٧) والحاكم (٢/ ٤٤١) واللالكائي (٢/ ٢٤٠) والبيهقي في الأسماء (ص٢٤١) وفي الاعتقاد (ص١٠٣-١٠٤) عن منصور بن المعتمر عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كنتُ جاراً لخباب فخرجنا يوماً من المسجد وهو آخذٌ بيدي فقال: يا هَنَاهْ، تقرَّبْ إلى الله ﷻ ما استطعت، فإنَّك لن تتقرب إليه بشيءٍ أحب إليه من كلامه. يعني القرآن.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، وهو كما قال، فروة بن نوفل هو الأشجعي الكوفي ذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال: قد قيل إنَّ له صحبة، وقال أبو حاتم: ليست له صحبة ولأبيه صحبة، وباقي رجاله ثقات.

(١) قول المصنف: المراد بالخروج ها هنا ظهور المنافع... إلخ، هو عين ما تأوله ابن فورك في =

٣٧٢- وقد قال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار: كلامُ الله ليس ببائنٍ منه(١).

= «مشكله» (ص١٢١)! وسيقول المصنف ما يخالفه بعد قليل!! وهو تأويل لا يصح! بل هو مخالف لقول السلف، لأن السلف يقولون: كلام الله منه بدا وإليه يعود، كما قال الطحاوي في عقيدته: «وإن القرآنَ كلامُ الله، منه بدا بلا كيفيةٍ قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصَدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة».
قال الشارح: وإنما قالوا: منه بدا أي: خرج، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خَلَقَ الكلام في محلّ فبدا الكلام من ذلك المحل! فقال السلف: منه بدا، أي هو المتكلم به فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١]، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] ومعنى قولهم: وإليه يعود: يُرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار، وقوله بلا كيفيةٍ: أي لا تُعرف كيفية تكلُّمه به قولاً ليس بالمجاز. اهـ
وقال شيخ الإسلام: فقول السلف: منه بدا، لم يريدوا به أنه فارق ذاته، وحلَّ في غيره، فإنَّ كلام المخلوق بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلى غيره، فكيف يجوز أن يفارق ذات الله كلامه أو غيره من صفاته اهـ (مجموع (١٢/ ٢٧٤)).
وقول المصنف: «وليس المراد به الخروج الذي هو بمعنى الانتقال والمفارقة لأنه ليس بجسم ولا جوهر...» إنما هو من كلام أهل الكلام! فإن القرآن أنزله الله على رسوله وحياً، أي أنزله إليه على لسان الملك، سمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك ثم قرأه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وتنزيله من عند الله فيه بيان أنه من الله لا مخلوق من المخلوقات، وليس من عند جبريل ولا محمد ﷺ كما زعمه المبتدعة. وفيه إثبات صفة العلوم.
(انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص١٤٩- ١٥٠) لنا و«درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١١٣)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ١١٧- ١٤٠، ٢٤٦- ٢٥٧).

(١) وذلك أن الكلام من صفاتِ الله تعالى القائمةِ به، فلا يصح أن يقال: أن الكلام بائنٌ منه! بل هذا قول الجهمية الزاعمين أن الله خَلَقَ الكلام في محل، وبدا الكلام من ذلك المحل! مخلوقاً منفصلاً عن الله بائناً منه، وعطَّلوا الربَّ من الاتصاف بصفة الكلام! نعوذ بالله من الخذلان! =

٣٧٣- وقال فيما خَرَّجَه في «الرَّد على الجَهْمية» في الأحاديث التي رويت: «يجيءُ القُرآن في صُورةِ الشاب» فقال: كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال(١).

٣٧٤- وقال في رواية حنبل: احتجوا علي يَومَئِذٍ «تجيءُ البَقَرةُ يومَ القيامة»(٢) «وتجيء تَبارَكَ»(٣).

---

(١) لم أجده في «الرد على الجهمية» ط السلفية بمصر.
والعبارة مجملة، ونحن نؤمن بأن القرآن نَزَل من عند الله تعالى، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، وأن القرآن من كلام الله تعالى، والتوراة من كلامه، والإنجيل من كلامه، والقرآن غير التوراة والتوراة غير الإنجيل، وانظر ذلك بتوسع في «مناظرة في القرآن العظيم» لابن قدامة المقدسي بتحقيقنا.

(٢) إشارة إلى حديث النَّوّاس بن سمعان الكلابي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُؤتى بالقرآن يومَ القيامة وأهلِهِ الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمه سورة البقرة وآلُ عمران» وضَرَب لهما رسول الله ﷺ ثلاثةَ أمثالٍ ما نسيتُهنَّ بعد، قال: «كأنهما غَمامتانِ أو ظُلَّتانِ سَوْدَاوان بينهما شَرْقٌ، أو كأنهما حِزْقَان من طيرٍ صَوافَّ من طيرٍ صَوافَّ تُحاجَّان عن صاحبهما».
أخرجه مسلم (١/ ٥٥٤) ومعنى شَرْق: أي ضياء ونور، وحزقان وفرقان: واحد، أي قطيعان.
وروى نحوه أبو أُمامة الباهلي، أخرجه مسلم أيضاً (١/ ٥٥٣).

(٣) لعله يشير إلى ما أخرج أحمد (٢/ ٢٩٩، ٣٢١) وأبو داود (٢/ ١٤٠٠) والترمذي (٤/ ٢٨٩١) وابن ماجة (٣٧٨٦) وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٣٥، ٢٣٦) والفريابي في «فضائل القرآن» (٣٣) والحاكم (١/ ٥٦٥) من طرق عن شعبة عن قتادة عن عباس الجُشمي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ سُورةً من القُرآن ثلاثون آيةً شَفَعَتْ لرجلٍ حتى غُفر له، وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾».
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٠) إلى ابن مردويه والبيهقي في الشعب.
قال الترمذي: حديث حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وعباس الجشمي ذكره ابن حبان في الثقات.
وللحديث شواهد يصح بها منها: =

فقلت لهم: هذا الثواب[١].

فقد نصَّ أحمد على المعنى الذي ذكرنا.

وقد قال قَومٌ: إنَّ «الهاء» في قوله: «خَرَجَ منه» يعود على العبد، وخروجه منه وجودة مَتْلُوًّا على لسانه، مَحفوظًا في صدره، مكتوباً بيده.

وهذا غلطٌ لوجهين:

أحَدهما: أنَّه وَصَفَ الخارج بأنَّه كلام الله، وهذه الصفة لا يصحُّ خروجها من غير الله تعالى، والذي يظهر من التَّالي هو التِّلاوات، والتِّلاوات على

= * ما أخرجه الطبراني في الأوسط- كما في المجمع (٧/ ١٢٧)- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سُورةٌ من القُرآن ما هي إلا ثلاثون آيةً، خَاصَمَت عن صاحبها حتى أدْخلته الجنَّة، وهي سُورة تبَارك».

قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

وعزاه في «الدر» (٨/ ٢٣١) إلى: ابن مردويه والضياء في المختارة.

* وما أخرج عبد الرزاق (٣/ ٢٧٩- ٣٨٠) ومن طريق الطبراني في الكبير (٩/ ١٣١/ ٨٦٥١) وابن الضريس (٢٣٢) عن الثوري عن عاصم بن أبي النَّجود عن زِر بن حُبيش عن ابن مسعود قال: «يُؤتى الرجلُ في قبره فتُؤتى رجلاه فتقولان: ليس لكم على ما قبلنا سبيل، قد كان يَقرأ علينا سُورة الملك، ثم يُؤتى جوفه فيقول: ليس لكم علي سبيلٌ، كان قد أوعى فيَّ سورة الملك، ثم يُؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيلٌ، كان يقرأ بي سورة الملك، قال عبد الله: وهي المانعةُ تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب».

وإسناده حسن، من أجل ابن أبي النجود.

وقد تابع حمادٌ الثوري عند أبي الضريس (٢٣١).

ورواه عبد الرزاق والطبراني عن معمر عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود بنحوه.

وللحديث شواهد أخرى تركناها اختصاراً.

(١) وكذا تأوله النووي(٦/ ٩٠) فقال: قال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين.

ولعله نقله عن المازري.

فقد قال في «المعلم بفوائد مسلم» (١/ ٤٦٠): قال بعض أهل العلم يكون هذا الذي يُؤتى به يوم القيامة جزاء على قراءتهما، فأجرى اسمهما على ما كان من سببهما، كعادة العرب في الاستعارة.

قولهم ليست بقرآن، وإنَّما هي تِلاوةٌ للقرآن، والتلاوة عندهم غير القرآن، فلا يصح هذا التأويل[(١)].

والثاني: أن قائلًا لو قال: ما تَقَرَّبَ إليَّ زَيدٌ بشيءٍ أفضل من شيء خَرَجَ منه، وهو علمه، فإن ذلك يَرجع إلى أنْ يكون العِلم[(٢)] الخارج من زيد، كذلك ها هنا.

❊ ❊ ❊

---

(١) «التلاوة» لفظ يُطلق على المصدر، الذي هو فعل التالي وكسبه الذي يكون بصوته وجوارحه، ومثله: اللفظ والقراءة.
وتطلق على المفعول الذي وقع عليه فعل التالي، وهو: المتلو، ومثله: الملفوظ والمقروء.
ولما كانت هذه الألفاظ تأتي بالمعنيين، فقد منع الأئمةُ أحمد وغيره من إطلاقها، فلا يقال: التلاوة مخلوقة ولا غير مخلوقة.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد كان طائفة من أهل الحديث والمنتسبين إلى السُّنة تنازعوا في اللفظ بالقرآن هل يقال: إنه مخلوق؟
ولما حدث الكلام في ذلك أنكرت أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وقالوا: من قال إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال إنه غير مخلوق فهو مبتدع.
وأما صوت العبد فلم يتنازعوا إنه مخلوق، فإن المبلِّغ لكلام غيره بلفظ صاحب الكلام إنما بلَّغ غيره، كما يقال: روى الحديث بلفظه، وإنما يُبلِّغُه بصوتِ نفسه لا بصوت صاحبِ الكلام. اهـ
انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠٦) وما بعدها فإنه مهم.

(٢) في الأصل: العالم، ولعل الصواب ما أثبتاه.

[حديث آخر]

٣٧٥- رواه أبو عبد الله بن بطة بإسناده: عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ فَضْلَ القُرآن على سائرِ الكلام، كفَضْلِ الله على خلقه، وذلك أنَّ القُرآن مِنه خَرَجَ وإليه يَعُودُ»**[1].

---

(١) حديث عثمان رضي الله عنه اختلف في رفعه ووقفه.
فقد رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٣٨) عن عبد الصمد المقرئ عن الجراح- وهو ابن الضحاك الكندي- عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السُلمي عن عثمان ابن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركُم مَنْ تَعلَّم القرآنَ وعلَّمه، وفَضْلُ القرآنِ على سائرِ الكلام كفضلِ الله تعالى على خَلْقه، وذلك أنه منه».
وكذا رواه البيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٧) عن الحماني ثنا إسحاق بن سليمان الرازي ثنا الجراح به.
وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وفيه ضعف.
ثم قال: تابعه يعلى بن المنهال عن إسحاق في رفعه، ويقال إن الحماني منه أخذ ذلك.
وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٤١) واللالكائي (٢/ ٢٣٨- ٢٣٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٧) من ثلاث طرق عن إسحاق بن سليمان ثنا الجراح به مرفوعاً الجملة الأولى منه ثم قال: قال أبو عبد الرحمن: فضل القرآن... إلخ.
وقال الحافظ في الفتح (٩/ ٦٦): وقد بَيَّن العسكري أنها من قول أبي عبد الرحمن السلمي.
وقد أخرجه البخاري (٩/ ٧٤) عن علقمة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان مرفوعاً الجملة الأولى منه.
وللجملة الثانية من الحديث شواهد منها:
ما أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨٧، ٣٤٠) عن محمد بن سواء ثنا سعيد ابن أبي عروبة عن أشعث الحُدَّاني عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ القرآنِ على سائرِ الكلام، كَفَضل الرَّحمن على سائر خَلْقه».
شهر صدوق لكنه كثير الأوهام، وأشعث هو ابن عبد الله صدوق، وسعيد بن أبي عروبة أحد الثقات الأعلام لكنه كان قد اختلط، لكن رواية محمد بن سواء عنه قبل الاختلاط وهي في الصحيحين (انظر الكواكب النيرات ص ١٩٨) فلا يُعل الحديث بسعيد. =

....

= وقد تابع ابن سواء عليه عبد الوهاب بن عطاء عند اللالكائي (٢/ ٣٣٩).
وقد خُولِفا في ذلك، فرواه ابن عدي (٥/ ١٧٠٥) ومن طريقة البيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٨- ٢٣٩) عن شيبان ثنا عمر الأبح عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الأشعث الأعمى عن شهر به. (وقد سقط الأشعث من مطبوعة ابن عدي).
قال البيهقي: تفرد به عمر الأبح وليس بالقوي.
قلت: قد قال فيه البخاري: منكر الحديث نقله ابن عدي.
ورواه عبد الله في «السنة» (١٢٩) عن عمرو بن حمران عن سعيد عن قتادة عن شهر به، دون ذكر أشعث.
وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨٦) والدارمي صاحب السنن في سننه (٢/ ٤٤١) وابن الضريس (١٣٩) عن حماد بن سلمة عن الأشعث الحداني عن شهر به مرسلاً.
فمدار هذه الطريق على شهر بن حوشب.
* وله شاهد آخر من حديث أبي سعيد الخدري:
أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٢٦) والدارمي في سننه (٢/ ٤٤١) وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨٥، ٣٣٩) وعبد الله في «السنة» (١٢٨) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٩) وابن أبي حاتم في «العِلل» (٢/ ٨٢) وابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٧٧) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٨):
من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: مَنْ شَغَلَه القُرآنُ وذكري عن مَسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السَّائلين، وفَضْلُ كلامِ الله على سائر الكلام كفضلِ الله على خَلْقِه».
قال الترمذي: حسن غريب.
وقال أبو حاتم: هذا حديث منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي.
وقال أحمد: رأيته وكان لا يسوى شيئاً، وقال ابن معين: قد سمعنا منه ولم يكن بثقة.
وقال الذهبي في الميزان (٣/ ٥١٥): حسنه الترمذي فلم يُحسن.
وأعلّه الحافظ في الفتح (٩/ ٦٦) بعطية العوفي فقط، ولم يذكر ضعف محمد بن الحسن.

وأما قوله: «منه خرج» فمعناه منه خَرَجَ تنزيله وظهوره والابتداء، وإليه يعود حُكمه، لأنَّ ما تضمنه القُرآن من الأحكام، التي هي العبادات واجتناب المحرمات إنَّما يُفْعَلُ لله عَزَّ وجَلَّ، فيكون الحكم عائداً إليه، بمعنى مفعول له ولأجله.

٣٧٦- وقد قال أبو بكر الخلال سمعت عبد الله بن أحمد قال: ذكر أبو بكر الأعين قال: سُئِلَ أبو عبد الله أحمد بن حنبل عن تفسير قوله: «**القُرآنُ كلامُ اللهِ مِنْه خَرَجَ وإليه يعود**» فقال أحمد: منه خرج هو المتكلم به، وإليه يعود.

فقد فَسَّرَ قوله: «**منه خرج**» على أنَّه صفة من صفات ذاته، مبتدي به، ولم يُفسر قوله: «**وإليه يعود**» وتفسيره ما ذكرنا من أنَّ أحكامه عائِدة إليه[١].

٣٧٧- وهكذا فسره أبو بكر بن إبرَة[٢] من أصحابنا فيما وجدته مُعَلَّقاً بخطِّه في حاشية كتاب «السُّنَّة» لأبي بكر الخلال.

وقد قيل: معنى قوله: «منه خرج» أي منه يُسمع، وبتعليمه يُعلم، وبتَفْهيمه يُفهم[٣].

وهذا لا يخرج على أصولنا، لأنَّ على قولنا يسمع منه، في حق من تولى خطابه، ويسمع من غيره، في حق من لم يتول خطابه.

وقيل: معنى قوله: «منه خرج» أنَّه له، والعرب تقول: إنَّ هذا منك، تعني أنَّه لك، كما قال القائل:

---

(١) قد مضى بيان ذلك قريباً.

(٢) لم أعرفه.

(٣) ذكره ابن فُورك (ص١٢٣) قال: ومن أصحابنا من قال... فذكره.

ومنك العطاء ومنك[١] الثناء.

أي لك العطاء ولي الثناء عليك[٢].

ولا يجوز أن يُحمل قوله «منه» على معنى الجزء منه، لأنَّه سبحانه ليس بذي أبعاض وأجزاء[٣].

ولا يجوز أيضاً حمله على أنَّ منه بمعنى فعله، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. يعني: خَلْقاً ومُلْكاً، لأنَّه قد ثَبَتَ بالدليل أنَّ كلامه صِفَةٌ قديمة لذاته، غير محدثة ولا مخلوقة[٤].

❋ ❋ ❋

(١) كتب فوقها في الأصل: مني، وفي الشكل: منا.
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) هذا من النفي الذي لم يرد في الكتاب ولا في السنة! بل هو مما تكلم به المعتزلة ومن شابههم، فالصواب الإمساك عنه.
(٤) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

[حديث آخر]

٣٧٨- ناه أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله تبارَك وتعالى قَرَأَ طه ويس قَبْل أنْ يخلق آدمَ بألْفِ عَامٍ، فلما سمعتِ الملائكةُ القُرآنَ، طُوبَى لأُمَّةٍ يَنزلُ هذا عليها، وطُوبَى لأجْوافٍ تَحمِلُ هذا، وطُوبَى لألْسُنٍ تَكَلَّمُ بهذا**»[(١)].

وقد ذكره أبو عبد الله بن بطة في كتابة بإسناده.

اعلم أنه غيرُ ممتنعٍ إطلاق صفة «القراء» على الله سبحانه، كما أنَّه غير ممتنع إطْلاقُ صِفَةُ الكلام عليه، فنقول: قَرَأَ ويَقْرأ، كما نقول: تكلَّم ويتكلم، وقد قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٨]. فوصف نفسه بذلك[(٢)]، ولأنَّه ليس في ذلك ما يُوجب خَلْقَ القرآن ولا

---

(١) إسناده ضعيف جداً، اخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٠٧) والبيهقي في «الأسماء» (ص٢٣٢) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٦٦) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢١٨) ومن طريقهما ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٠٩-١١٠):
عن إبراهيم بن المهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة مرفوعاً به.
قال ابن عدي: وإبراهيم بن مهاجر لم أجد له حديثاً أنكر من حديث «قرأ طه ويس» لأنه لم يروه إلا إبراهيم بن مهاجر.
ونقل عن البخاري قوله فيه: منكر الحديث.
وفيه أيضاً: عمر بن حفص قال أحمد: حرقنا حديثه، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك.
وقال أبو حاتم ابن حبان في المجروحين (١/ ١٠٨): وهذا متنُ موضوع، وكذا حكم عليه ابن الجوزي.
وقد أعلَّه الألباني رحمه الله في السنة بعمر بن حفص فقط.

(٢) قال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢١١): ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ في قلبك ﴿وقرآنه﴾ أي أن جبريل عليه السلام فاتبع قرآنه.
وكذا فسَّره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٨٥) وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤٩).

حدوثه، كما لم يكن في قولنا «تَكَلَّم» ما يُوجب حُدوثه.

فإنْ قيل: بل فيه ما يُوجب حدوثه وخلقه، وذلك أنَّ القراءة عبارةٌ عن جمع الشيء، ومنه قولهم: ما قَرَأت هذه النَّاقة سَلاً[1] قط، أي: ما جَمَعَت في رحمها وَلَداً، وكذلك قولهم: قرأت الماء في الحوض، وقرأت اللقمة في فيَّ، ومتى وَصفنا القُرآن بالجَمع، وصفناه بصفةٍ توجب حدوثه.

قيل: يحتمل أنْ يكون الجمع راجعاً إلى أَحَدِ وجهين:

أحدهما: إلى أَحْكامه وشَرائعه، لا إلى نفس الكلام الذي هو الصفة لقيام الدليل على قدمه، والقديم لا يَصحُّ جَمعه[2]، وأحكامه مجموعة في

---

(١) السَّلَى: الجلدةُ التي يكون فيها الولد من الناس والمواشي، وخصَّه الأزهري والجوهري بالمواشي. (القاموس).
وأما «القرآن»: فقال أبو إسحاق النحوي: يُسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمِّي قرآناً لأنه يجمع السور فَيَضُمُّها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي جمعه وقراءته (اللسان- قرأ).
وانظر: «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان (ص٢٠-٢١).

(٢) قوله: «... والقديم لا يصح جمعه... إلخ» خلاف المشهور عند السلف والخلف أن الصحابة في عهد أبي بكر رضي الله عنه جمعوا كتاب الله تعالى «القرآن» وهو كلام المنزَّل على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وثبت عن النبي ﷺ المنع من المسافرة بما كُتب وجمع من القرآن إلى أرض الأعداء، فقال: «لا تُسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن تناله أيديهم» متفق عليه.
وأما المداد والورق فإنهما مخلوقان، وقد ميَّز الله تعالى في كتابه بين الكلام والمداد فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.
فالقرآن متلوٌ بالألسن، محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف، هذا قول أئمة السلف الموافق للكتاب والسنة.
أما المعتزلة فقالوا: إنْ القرآن مخلوق من المخلوقات، ونفوا عن الله تعالى صفة الكلام، وجاء عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب بقول محدث آخر، فقال: إن معنى القرآن كلام الله، =

....

= وحروفه ليست كلام الله!! فأخذ بنصف قول المعتزلة ونصف قول أهل السنة والجماعة!
وقال: القرآن حكاية عن كلام الله وليس بكلام الله!!
وجاء بعده أبو الحسن الأشعري فسلك مسلكه في إثبات أكثر الصفات، وفي مسألة القرآن، واستدرك عليه قوله: إن هذا حكاية، وقال: الحكاية إنما تكون مثل المحكي فهذا يناسب قوله المعتزلة، وإنما يناسب قولنا أن نقول: هو عبارة عن كلام الله! لأن الكلام ليس من جنس العبارة!
وقد ظنَّ بعضهم أن قولنا: إن كلام الله في قلوب أنبيائه وعباده المؤمنين وإنهم يتلونه بألسنتهم، وإن كلامه تعالى في المصحف أن ذلك يقتضي الحلول، الذي هو من جنس قول النصارى والحلولية من المتصوفة وغيرهم، وهو باطل!
وقد تنازع الناس في إثبات لفظ الحلول ونفيه: هل يقال إن كلام الله حال في المصحف أو حال في الصدور أم لا؟
فمنهم طائفة نفت الحلول كالمصنف (القاضي أبي يعلى) وأمثاله، وقالوا: ظهر كلام الله في ذلك ولا نقول: حلّ، لأن حلول صفة الخالق في المخلوق، أو حلول القديم في المحدث مُمتنع.
وطائفة أطلقت القول بأن كلام الله حالٌ في المصحف كأبي إسماعيل الأنصاري الهروي وغيره قالوا: ليس هذا هو الحلول المحذور الذي نفيناه، فَنُطْلق القول بأن كلامه حالٌ في المصحف دون حلول ذاته.
وطائفة ثالثة كأبي علي بن أبي موسى وغيره قالوا: لا نطلق الحلول نفياً ولا إثباتاً، لأن إثبات ذلك يُوهم انتقال صفة الرب إلى المخلوقات، ونفي ذلك يوهم نفي نزول القرآن إلى الخلق، فنُطلق ما أطلقته النصوص، ونُمسك عما في إطلاقه محذور، لما في ذلك من الإجمال.
وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر التنازع السابق: «وأما قول القائل إن قلتم: إنَّ هذا نفس كلام الله فقد قلتم بالحلول، وإن قلتم غير ذلك قلتم بمقالتنا (أي أنه عبارة عن كلام الله) فجواب ذلك أن المقالة المنكرة هنا تتضمن ثلاثة أمور فإذا زالت لم يبق منكراً.
أحدها: من يقول إن القرآن العربي لم يتكلم الله به! وإنما أحدَثه غيرُ الله كجبريل ومحمد والله خلقه في غيره!
الثاني: قول من يقول إن كلام الله ليس إلا معنى واحداً هو الأمر والنهي والخبر، وأن الكتب الإلهية تختلف باختلاف العبارات لا باختلاف المعاني، فيجعل معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحداً، وكذلك معنى آية الدّين وآية الكرسي، كمن يقول: إن معاني أسماء الله الحسنى بمعنى واحد، فمعنى العليم والقدير والرحيم والحكيم معنى واحد! =

الجملة ومُفَصَّلة في الآياتِ والسُّور، ويكون ذِكْر السور والآيات عَلَاماتٍ لتفصيل الأحكام.

الوجه الثاني: أنْ يكون الجَمْعُ راجعاً إلى جمع فهمه وعلمه ومعرفته، وذلك لا يُفْضي إلى الحدث في القرآن لأنَّ الجمع يحصل في صفات القارئ لا في القُرآن، ولأنَّ المقرؤ عبارة عن المجموع، ثم لم يوجب ذلك منع وصفه بذلك، كذلكَ في القراءة.

٣٧٩- وقد ذكر أبو بكر بن الأنباري في كتاب «الزَّاهِر» فقال: إنَّما سُمِّي القُرآنُ قُرآناً فيه قولان:

أحدهما: قاله أبو عبيدة: لأنَّه يجمعُ السّور ويضمها.

وقال قطرب: إنَّما سُمي القُرآن قرآناً، لأنَّ القارئ يظهره[(١)] ويلقيه من فيه، أُخِذَ من قول العربِ: ما قرأت النَّاقَةُ سَلَا قَط، أي: ما رمت بولد[(٢)].

= فهذا إلحاد في أسمائه وصفاته وآياته.

الثالث: قول من يقول: إن ما بلَّغته الرسل عن الله من المعنى والألفاظ ليس هو كلام الله! وإن القرآن كلام التالين لا كلام رب العالمين!

فهذه الأقوال الثلاثة باطلةٌ بأي عبارة عُبر عنها.

وأما قول من قال: إن القرآن العربي كلام الله، بلَّغه عنه رسول الله ﷺ وأنه تارة يُسمع من الله، وتارة من رسله مُبلِّغين عنه وهو كلام الله حيث تَصَرَّف، وكلام الله تكلَّم به لم يَخلقه في غيره، ولا يكون كلام الله مخلوقاً، ولو قرأه الناس وكتبوه وسمعوه.

وقال مع ذلك: إن أفعال العباد وأصواتهم وسائر صفاتهم مخلوقة، فهذا لا ينكر عليه.

وإذا نفى الحلول، وأراد به أن صفة الموصوف لا تُفارقه وتنتقل إلى غيره، فقد أصاب في هذا المعنى، لكن عليه مع ذلك أن يؤمن أن القرآن العربي كلام الله تعالى، وليس هو ولا شيء منه كلاماً لغيره، ولكن بلَّغته عنه رسله، وإذا كان كلام الله المخلوق يُبَلَّغ عنه، مع العلم بأنه كلامه حروفه ومعانيه، ومع العلم بأن شيئاً من صفاته لم تفارق ذاته، فالعلم بمثل هذا في كلام الخالق أولى وأظهر، والله أعلم».

انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٣٥- ٢٤٥، ٢٩٣- ٢٩٥).

(١) في الزاهر: لأن القارئ يظهره ويبينه ويلقيه من فيه.

(٢) «الزاهر في معاني كلمات الناس» (١/ ٧١- ٧٢) باختصار، ط مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.

[إثْبَاتُ صِفةُ «الحَياء» لرَبِّنا جَلَّ شأنه]
[حَدِيثٌ آخر]

٣٨٠- ناه أبو القاسم بإسناده: عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُم كَريمٌ يَسْتَحي مِنْ عَبْدِهِ، إذا رَفَعَ إليه يَدَهُ يَدْعُوهُ، أَنْ يَرُدَّهُما إليه صِفْراً» يعني ليس فيها شيء[1].

وفي لفظٍ آخر: «إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ حَيِيٌّ كَريمٌ، يَسْتَحي إذا رَفَعَ العَبْدُ يَدَيْه يَرُدهما صِفْراً، حتى يَضَعَ فيهمَا خيراً»[2].

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٨٨) ومن طريقه البيهقي في الأسماء (ص٩٠) والترمذي (٥/ ٣٥٥٦) وابن ماجة (٣٨٦٥) وابن حبان (٢٤٠٠) والحاكم (١/ ٤٩٧) والخطيب في تاريخه (٣/ ٢٣٥- ٢٣٦) من طرقٍ عن جعفر بن ميمون عن أبي عثمان النهدي عن سلمان مرفوعاً به.
قال الترمذي: حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه.
وهو كما قال، فإن جعفر بن ميمون وهو صاحب الأنماط متكلَّم فيه، قال ابن عدي: لم أر أحاديثه منكرة وأرجو أنه لا بأس به.
وقال الحافظ في التقريب عنه: صدوق يخطئ، وحسَّن الحديث في الفتح (١١/ ١٤٣).
ولم يتفرد به فقد تابعه عليه أبو المعلى كما سيأتي.
* وقد رواه يزيد بن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان موقوفاً عليه.
أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٨) والحاكم (١/ ٤٩٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
* ورواه محمد بن الزبرقان- وهو صدوق ربما وهم - عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان مرفوعاً.
أخرجه ابن حبان (٢٣٩٩- زوائد).
وصِفراً: أي خالية، يقال: بيت صِفر عن المتاع، أي: خال.
(٢) صحيح، أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٨/ ٣١٧) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٨٥) عن محمد ابن عبد الله بن المثنى الأنصاري حدثني أبو المعلى نا أبو عثمان سمعت سليمان فذكره مرفوعاً.
وأبو المعلى هو يحيى بن ميمون، ثقة. والحديث يشهد له ما قبله وما بعده.

٣٨١- **وفي حديث آخر**: رواه أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الله ليَسْتَحي إذا رَفَعَ العبد إليه يَديه، أنْ يَرُدَّهما صفراً، ليس فيهما شيء»**(١).

٣٨٢- وفي حديث آخر: رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ ربَّكم عزَّ وجلَّ كَريمٌ يَستحي إذا رَفَعَ العَبْدُ يَدَيْه أنْ يَرُدَّهُما صفراً لا خيرَ يهما، فَلْيُعْطِ اللهَ العَبدُ منْ نَفْسِهِ الجَهَد، وإذا حَزَبه أمْرٌ فليقل: حَسْبي الله وَنِعْمَ الوكيل»**(٢).

وفي حديث آخر: رواه أنس عن النبي ﷺ يأثره عن ربه عزَّ وجلَّ: **«إنِّي**

---

(١) حسن لغيره، أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٧- ٤٩٨) عن بشر بن الوليد القاضي عن عامر بن يساف عن حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري قال: حدثني أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رحيمٌ حَيِيٌّ كريمٌ، يَستحيي من عبده أن يرفَع إليه يديه ثم لا يَضَع فيهما خيراً».

صححه الحاكم، فتعقَّبه الذهبي بقوله: عامر ذو مناكير.

وهو عامر بن عبد الله بن يساف، قال ابن عدي: منكر الحديث عن الثقات، وقال: ومع ضعفه يكتب حديثه.

فحديثه حسن في الشواهد.

وبشر بن الوليد قال صالح جزرة: صدوق ولكنه لا يعقل كان قد خرف، وقال الآجري سألت أبا داود: أبشر بن الوليد ثقة؟ قال: لا، وقال الدارقطني: ثقة.

وله طريق أخرى:

فقد أخرجه البغوي (٥/ ١٨٦) عن عبد الرزاق عن معمر عن أبان عن أنس مرفوعاً به.

وفيه: أبان وهو ابن ابي عياش، متروك.

وممن روى هذا الحديث جابر: أخرج حديثه أبو يعلى (٣/ ١٨٦٧) والطبراني في الأوسط - كما في المجمع (١٠/ ١٤٩)- وفيه: يوسف بن محمد بن المنكدر وقد وثق على ضعفه، وبقية رجالهما رجال الصحيح، قاله الهيثمي.

(٢) عزاه الهندي في كنز العمال (٢/ ٨٧) إلى الدارقطني في الأفراد.

لأستحي من عبدي أنْ يشيبَ في الإسلام أنْ أُعَذِّبَه»(١).

٣٨٤- وفي حديث آخر: رواه عَطَاء عن يعلى أنَّ النبي ﷺ رأى رَجلاً يَغْتَسلُ بالبَراز، فَصَعِدَ المنبر فحمدَ الله وأثنى عليه، فقال: **«إنَّ الله حَيي حَليمٌ سِتِّيرٌ يُحبُّ الحَيَاء والسِّتْر، فإذا اغْتَسَلَ أَحَدُكُم فَلْيَسْتَتِرْ»**(٢).

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه أبو حاتم ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٦٨) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٧) عن سويد بن عبد العزيز عن نوح بن ذكوان عن أخيه أيوب بن ذكوان عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يعني عن الله عز وجل: «إني لأستحي من عَبدي وأمتي يَشيب رأس أَمَتي وعبدي في الإسلام ثم أُعَذِّبهما في النار بعد ذلك، ولأنَا أعظمُ عفواً من أن أَسْتُر على عبدي ثم أفضحه، ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني».
وقد أورده ابن حبان في ترجمة أيوب بن ذكوان وقال عنه: منكر الحديث، يروي عن الحسن وغيره المناكير، ولا أعلم له راوياً غير أخيه، فلا أدري التخليط في حديثه منه أو من أخيه؟
ثم ساق له الحديث السابق وآخر، وقال: وهذان منكران باطلان لا أصل لهما.
قلت: وفيه أيضاً سويد بن عبد العزيز، ضعفه ابن معين وأحمد والنسائي وغيرهم.
ورواه ابن السقطي في معجمه وابن النجار في تاريخه- كما في الآلئ المصنوعة (١/ ١٣٣) - من طريق أخرى عن أيوب بن ذكوان.
* وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٦٧) عن محمد بن عبد الله بن زياد الأنصاري حدثنا مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءني جبريل من الله تبارك وتعالى أنه قال جلّ وعلا: وعزَّتي وجلالي، ووحدانيتي وارتفاع مكاني وفاقةَ خلقي إلي، واستوائي على عرشي، إني لأستحي من عبدي وأَمَتي يَشيبان في الإسلام ثم أعذبهما...» الحديث.
وقد أورده ابن حبان في ترجمة محمد بن عبد الله وقال عنه: منكر الحديث جداً، يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به بحال.
وللحديث طرق أخرى أكثرها واهي، انظر الآلئ المصنوعة (١/ ١٣٤- ١٣٧).
(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤/ ٤٠١٢) والنسائي (١/ ٢٠٠) والبيهقي من طريق أبي داود (١/ ١٩٨) عن النُّفيلي حدثنا زهير عن عبد الملك بن أبي سليمان العَرْزمي عن عطاء عن يعلى به.
ورجاله ثقات، عطاء هو ابن أبي رباح وزهير هو ابن معاوية.
وأخرجه أحمد (٤/ ٢٢٤) وأبو داود (٤/ ٤٠١٣) والنسائي (١/ ٢٠٠) والبيهقي (١/ ١٩٨) =

٣٨٥- وروى أبو بكر أحمد بن إسحق الصبغي: عن أبي واقد الليثي أنَّ رسول الله ﷺ بَينما هو جَالسٌ في المسْجِدِ والنَّاسُ مَعَه، أَقْبلَ ثلاثةُ نَفرٍ فَأَقْبَلَ اثنان إلى رسول الله ﷺ وذَهَبَ وَاحِد، قال: فَوَقَفَا على رسول الله ﷺ، فأمَّا أَحدُهما فرأى فُرجَةً في الحلقة فَجلسَ فيها، وأمَّا الآخر فجلسَ خَلْفَهم، وأمَّا الثالث فأدْبَر ذَاهباً، فلما فَرغَ رسول الله ﷺ قال: «ألا أُخْبركم عن ثلاثة نفر[1]، أمَّا أَحدهم فَأَوَى إلى رسول الله ﷺ فآواهُ الله، وأمَّا الآخرَ فاسْتَحيا فاستحيا الله منه، وأمَّا الآخر فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عنه»[2].

اعلم: أنَّه غيرُ مُمْتنع وصف الله تعالى بالحياء، لا على معنى ما يُوصف به المخلوقين من الحياء الذي هو انقباضٌ وتَغَيُّرٌ وتجمع وخَجَلٌ، لاستحالة كونه جسماً مُتغيراً تحلُّه الحوادث[3]، لكن نُطلق هذهِ الصفة كما أطلقنا وصفه

= وفي «الأسماء» (ص٩١) عن أسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه.
قال أبو داود: الأول أتم.
وقال أبو حاتم عن هذا الطريق: ليس بذاك (العلل ١/ ١٩).
وجعله أبو زرعة من أوهام ابن عياش فقال: لم يصنع أبو بكر بن عياش شيئاً، وكان أبو بكر في حفظه شيء، والحديث حديث الذي رواه زهير وأسباط بن محمد عن عبد الملك عن عطاء عن يعلى بن أمية عن النبي ﷺ (العلل ٢/ ٣٢٩- ٣٣٠).
ورواه عبد الرزاق (١/ ٢٨٨) عن ابن جريج عن عطاء مرسلًا.
والبزار هو: الفضاء الواسع.

(١) كذا في الأصل، وفي مصادر الحديث: «أخبركم عن النفر الثلاثة».

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٠-٩٦١) ومن طريقة البخاري (١/ ١٥٦- ٥٦٢) ومسلم (٤/ ١٧١٣) في كتاب السلام: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أن أبا مُرَّة مولى عقيل بن أبي طالب أخبره عن أبي واقد الليثي به.

(٣) قد سبق بيان أن هذا النفي ليس وارداً في الكتاب والسنة، ولا في كلام السلف، فالصواب =

سبحانه بالإرادَة وإنْ خالفت إرادة المخلوقين، لأنَّ إرادته تقتضي وجوب المراد، وإرادتنا لا تقتضي وجوبه، وكذلك علمه يقتضي العلم بالمعدوم والموجود خلاف علمنا، وكذلك رؤيته لا تقتضي وجوده في جهة، خلاف رؤية بعضنا، ولأنَّه لو لم يوصف بالحياء جاز أنْ يُوصف بضده وهو «القُحَة»(١) ولما لم يُوصف بضده جاز أنْ يُوصف به، ألا ترى أنَّا وَصَفْنَاه بالعلم والقُدرة والكلام، لأنَّ في نفيها إثبات أضدادها، وذلك مستحيل عليه.

فإن قيل: يُحمل قوله: «يستحي» على التَّرك، فيكون قوله: «يستحي» بمعنى لا يترك يدي العبد خالية من خير، إذا رَفعها إليه في الدعاء، قالوا: وعلى هذا يُتأوَّل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦] أي لا يترك، لأنَّ المستحي يترك للحياء أشياء، كما يترك للإيمان، وينقطع بالحياء عن المعاصي، كما ينقطع بالإيمان عنها، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**الحياء شُعْبَةٌ من الإيمانِ**»(٢).

= الإعراض عنه، خصوصاً إذا تضمَّن نفي صفةٍ ثابتة.

وقول المصنف قبل ذلك عن الحياء عند المخلوقين إنه انقباض وتغير... إلخ لا يمنع من إطلاق صفة «الحياء» في حق الله سبحانه، إذْ من المعلوم أنه ليس كل ما لزم ذوات المخلوقين وصفاتهم من حاجة ونقص ونحوه، فهو لازم لصفات الله تعالى! فإن الله تعالى قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فالقول فيها كالقول في باقي الصفات.

(١) القُحُّ: الخالص من اللؤم والكرم ومن كل شيء، يقال: لئيم قُحٌّ إذا كان مُعْرِقاً في اللؤم، وأعرابي قُح وقُحاح أي: محض خالص.

والقُحُّ: الجافي من الناس كأنه خالص فيه (اللسان- قحح).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥١) ومسلم (١/ ٦٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الإيمانُ بِضعٌ وسُتون شُعبةً، والحياءُ شُعبة من الإيمان» لفظ البخاري، أما لفظ مسلم: «بضع وسبعون شعبة».

ورواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة فأفضلُها قول: لا إله إلا الله، وأدْنَاها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان».

ورواية «بضع وستون» هي الأرجح، انظر الفتح (١/ ٥١- ٥٢).

وكذلك قوله: «**وأمّا الآخر فَاسْتَحيا فاسْتَحيا الله منه**» فيحتمل أنْ يكونَ معناه: أنه يترك أذى القوم بمزاحمتهم في مجلسه، فترك الله عقوبته وعَفَا عنه، وكذلك قوله: «**إنَّ رَبَّكم حَيي كَريمٌ**» أنَّه يترك عقوبة العَبد على خطيئته[(١)].

قيل: هذا غَلَطٌ، لأنَّه يُسقط فائدة التخصيص بهذه الصفة، لأنَّه قد يُعطى مع وجود هذه الصِّفة التي هي رفعُ اليدين ومع عدمهما، فوجب حمله على فائدة، ولا فائدة إلا إثباتُ هذه الصفة.

وجَوابٌ آخر: وهو أنَّه لو كان الحياء عبارة عن الترك؛ لحصل تقدير الخبر: إنَّ الله يترك يده صِفْراً، وقد قالوا إنَّ معناه: أنه لا يترك يده صِفْراً من العطاء، فعلى هذا تحصيل عبارة عن ضِدِّ الترك، فلا تستقيم العبارة والتأويل.

فأمّا قوله: «سِتِّير» أي ساتر يستر على عباده كثيراً من عيوبهم، ولا يُظهرها عليهم، وسَتير بمعنى سَاتِر، كما جاء قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم.

* * *

---

(١) تأويل الحياء بالترك تأويل باطل! لا دليل عليه! وهو تفسير للصفة بلازمها، فإن الترك من لوازم الحياء، وليس هو الحياء نفسه!

[حديثٌ آخر]

٣٨٦- ناه أبو القسم بإسناده: عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: حَدثنا نبي الله ﷺ: «أنَّ رَجُلاً آتاه الله مَالاً وَوَلداً، وكان لا يدين ديناً فمكث حتى إذا ذهب عمر وبقي عمر، تفكر فعلم أنَّه لم يبتئر عند الله خيراً، دعا بنيه فقال: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خَيرُ أبٍ يا أبانا، قال: فَوَ الله لا يَبْقَى عند رجلٍ منكم مال هُو منِّي إلا وأنا آخذُه، أَوْ تَفْعلوا ما آمرُكم به؟ قال: فأخذ منهم ميثاقاً، قال: فإذا أنا مِتُّ فاحْرِقوني، ثم دُقُّوني ثم ذَروني في يَوم ريحٍ عَاصِفٍ لعلِّي أُضل الله، قال: فَفَعَلُوا ذلك وربِّ مُحمدٍ حين مات، فجيء به أَحْسَنَ ما كان فعرض [على][1] الله تعالى، قال: ما حَمَلَكَ على النَّار؟ قال: خَشْيَتُك يا رَبَّاه، قال الله: أَجِدُكَ رَاهباً، فتابَ الله عليه، أو قال غفر له»[2].

٣٨٧- وفي حديث آخر: رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أسْرَفَ رجُلٌ على نَفْسِهِ، حتى إذا حَضَرَتْه الوَفاة قال لأهله: إذا أَنَا مِتُّ فاحْرِقُوني، ثم

---

(١) سقطت من الأصل، وهي عند الدارمي.

(٢) صحيح، أخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٣٣٠) قال أخبرنا النَّضر بن شميل أخبرنا بَهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً بنحوه.

ورواه البيهقي في «الأسماء» (ص٥١١- ٥١٢) عن يزيد بن هارون عن بهز به.

ولم يتفرد به بهز (وهو صدوق) بل تابعه عليه أبو قزعة الباهلي.

أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٧) (٥/ ٣) من طريقين عن حماد بن سلمة أنا أبو قزعة الباهلي عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعاً به.

وأبو قزعة هو سويد بن حجير البصري، ثقة من رجال مسلم.

وحكيم بن معاوية وثقة العجلي؛ وقال النسائي: ليس به بأس.

ومعنى يبتئر: أي يدَّخر، كذا فسرَّها قتادة عند البخاري (١١/ ٣١٢) في حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٤/ ٢١١٢).

اسحقوني، ثم ذَرُوني في الرياح، فَو الله لئن قَدِرَ الله عليَّ ليُعَذِّبَني عَذاباً لا يُعذبه أَحَداً، قال: فَفُعِلَ ذلك به، فقال الله جلَّ اسمه لكُلِّ شيء أخذ منه شيئاً: رُدَّ ما أَخَذْتَ منه، فإذا هُو قائمٌ بين يدي الله تعالى، فقال له: مَا حَمَلَك على ما صَنَعْتَ؟ قال: خشيتك، فغفر الله له»(١).

وفي لفظٍ آخرٍ: «أنَّ رجُلاً ممن كانَ قبلكم لم يعمل خَيراً قط إلا التَّوحيد» وذكر الخبر(٢).

وفي لفظ آخر: قال: «إذا أنَا مِتُّ فحرِّقوني، ثم اطْحَنُوني، ثم ذَرُوني في بحر» وذكر الخبر(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٦/ ٥١٤- ٥١٥) ومسلم في التوبة (٤/ ٢١١٠) عن معمر قال: قال لي الأزهري: ألا أحدثك بحديثين عجيبين؟ قال الزهري: أخبرني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره. ولفظ المصنف مقارب للفظ مسلم.
وأخرجه مسلم عن الزبيدي عن الزهري بنحو حديث معمر.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٦) ومسلم (٤/ ٢١٠٩- ٢١١٠) عن مالك عن أبي الزناد عن أبي هريرة مرفوعاً به.

(٢) إسناده حسن، أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨) عن يحيى بن إسحاق عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ رجلاً لم يعمل من الخير شيئاً قط إلا التوحيد، فلما حضرته الوفاة.
ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٩٠) وحَسَّن إسناده.
وقد وقع في المطبوعة من المسند: عن أبي وائل عن عبد الله بن وائل! عن عبد الله بن مسعود، وزيادة: عبد الله بن وائل خطأ، إذ ليس في الرواة من يسمى بهذا الاسم، وقد نبه على هذا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على المسند (٥/ ٣٧٨٥) وأنه لا يوجد هذا الاسم في النسخة الخطية الأخرى.
وزيادة هذه اللفظة «إلا التوحيد» مهمة، في بيان أن الرجل كان مؤمناً موحداً.

(٣) قوله «... فذروني في البحر».
جاءت في حديث حذيفة رضي الله عنه: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٤- ٥١٤) (١١/ ٣١٢).

اعلم أنَّ هذا الخبر وإنْ لم يرجع شيْءٌ من لفظه إلى ما هو صِفَةٌ من صفات الله؛ فإنَّ لفظه مُشْكِلٌ، وكان القائل له رجلاً موحداً مَغفوراً له، فوجب أنْ يوقف على معناه ليزول الإشكال.

أمَّا قوله: «أضل الله» أي أنساه، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. وقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]. أي: تنساه، وقيل في بعض الوجوه في تأويل قوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

أي ناسياً فذكَّرك، والعرب تقول: ضَلَلْتُ كذا وأَضْلَلْته، أي نسيته[(١)].

وإذا كان ذلك معنى الضَّلال ها هنا؛ فمراده أنَّ الله سبحانه يُميتُني ولا يبعثني فاستريح مِنْ عذابه، والعرب تقول: ضَلَّ الماء في البئر، إذا غَابَ فيه ولم يَبِنْ، ويكون تحقيق معنى قوله: «أضل الله» أي: لعلَّ الله لا ينشرني ولا يُبعثني فاستريح من عذابه، وهذا إظْهار الجَزَعِ والخوف والخشية بأبلغ ما يكون في بابه، لا أنَّه كان يعتقد قائله أنَّه يجوز أنْ ينسى الله أحداً، أو يُمكن أنْ يفوته شيء.

٣٨٨- ومثل ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه كان يقول في دعائه: اللهم وإنْ كنتَ كتَبْتَني شَقِياً فامحني واكتبني سعيدًا[(٢)].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير في علم التفسير» (٩/ ١٥٩) فقال: «الخامس: وجدك نسِيًّا فهداك إلى الذِّكر، ومثله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قاله ثعلب».

والذي قاله جمهور المفسرين فيها: أنه وجده ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداه إليها.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه ابن جرير (١٣/ ١١٢- ١١٣) من طرق عن أبي حكيمة عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يَطوف بالكعبة: «اللهم إنْ كنتَ كتبتني في أهل السَّعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتَ عليَّ الذَّنبَ والشِّقْوَة فامْحُني وأَثبتني في أهل السعادة، فإنك تَمحو ما تَشاء وعندك أُم الكتاب». =

فذكر أهل العلم أنَّ ذلك إظهارُ غاية الخوف والخشية، حتى يسأل ما لا يكون، أنْ لو كان مما يكون، حتى لا يفوته التَّضرع بكلِّ وجه في طلب ما يكون.

وأمَّا قوله: «لئن قَدِرَ علي ربي ليعذبني» فلا يمكن حمله على معنى القدرة، لأنَّ من توهم ذلك لم يكن مُؤمناً بالله عزَّ وجلَّ ولا عارفاً به، وإنَّما ذلك على معنى قوله تعالى في قصة يونس: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وذلك يرجع إلى معنى «التَّقدير» لا إلى معنى «القُدرة» لأنَّه لا يصح أن يخفى على نبي معصوم ذلك.

٣٨٩- وقال الفَرَّاء في تأويل قوله: ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. أي أنْ لن يقدر عليه ما قَدَرنا(١).

فعلى هذا يحمل قوله: «لئن قَدِرَ علي ربي ليعذبني» أي إنْ كان قدر: أي حكم علي بالعقوبة فإنَّه يعاقبني دائماً، وهذا كلام خائفٍ جَزِعٍ، فوجب حمل كلامه على وجه صحيح، لا ينافي المغفرة ولا يؤدي إلى الكفر(٢).

* * *

= وهذا سند صحيح، أبو حكيمة وهو الجمال، ترجم له ابن أبي حاتم (٩/ ٣٦٣) ونقل عن ابن معين أنه قال: أبو حكيمة ثقة.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٦١) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
وورد نحوه عن ابن مسعود وشقيق بن سلمة أبي وائل بأسانيد صحيحة، انظر المصدر السابق.

(١) في معاني القرآن المطبوع (٢/ ٢٠٩): أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قَدَرنا.

(٢) وبنحوه قال الحافظ في الفتح (٦/ ٥٢٣) فقد قال: وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دَهْشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصداً لحقيقةِ معناه، بل في حالةٍ كان فيها كالغافل والذَّاهل والناسي الذي لا يُؤاخذ بما يصدر منه، وأبعد الأقوال قول من قال إنه كان شرعهم جواز المغفرة للكافر؟!

[حديثٌ آخر]

٣٩٠- ناه أبو القسم قال: أنا أبو بكر عبد العزيز إجازةً قال نا أحمد بن محمد الخلال نا يعقوب بن سفيان وإبراهيم بن الهيثم قالا نا آدم نا أبو جعفر الرازي عن عبد الله بن دينار عن بشير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الرُّحم شُجْنَةٌ من الرحْمَن، تعلق بَحْقوي الرَّحْمن جَلَّ اسمه تقول اللهم: صِلْ من وَصَلني، واقْطَعْ مَنْ قَطَعَني»**[1].

٣٩١- وناه أبو القاسم قال: أنا أبو بكر بن مالك إجازة قال نا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال نا أبو بكر الحنفي نا معوية بن أبي مُزَرِّد[2] قال: حدثني عمي سعيد أبو الحباب قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ، قامَتِ الرَّحِمُ فأَخَذَت بحَقْو الرَّحمن، قالت: هذا مقام العَائذِ من القطيعة، قال: أَمَا تَرضَينَ أنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، اقرؤا إنْ شئتم** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٤]»[3].

---

(١) إسناده فيه ضعف، أبو جعفر الرازي قال أبو زرعة فيه: شيخ يهم كثيراً، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن معين: يكتب حديثه ولكنه يخطئ، ووثَّقه ابن المديني وأبو حاتم وغيرهما.
والحديث ثابت من غير هذه الطريق، كما في الحديث الآتي.

(٢) في الأصل: مرزد، وهو خطأ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠).
وأخرجه البخاري (٨/ ٥٧٩- ٥٨٠) (١٠/ ٤١٧) (١٣/ ٤٦٥- ٤٦٦) ومسلم (٤/ ١٩٨٠- ١٩٨١) من طرق أخرى عن معاوية بن أبي مزرد به، وزادا بعد قوله: «وأَقْطع مَنْ قطعك» قالت: بلى، قال: «فذاك لك».

٣٩٢- وناه أبو القسم قال: نا القاضي عمر بن سنبك قال: أبو بكر بن أبي داود نا زيد بن أخزم نا أبو عاصم عن ابن جريج قال: أخبرني زياد عن صالح مولى التَّوأَمَة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**الرَّحم شُجْنَةٌ آخذةٌ بِحُجْزَةِ الرَّحمن**»[1].

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ «الحَقْو» و«الحُجْزة»[2] صفة ذاتٍ، لا على وجه الجارحة والبعض، وأنَّ الرحمن آخذةٌ بها لا على وجه الاتصال والمماسة، بل نُطلق ذلك تسمية كما أطلقها الشرع.

ونظير هذا ما حملناه على ظاهره في وضع القَدَمِ في النَّارِ، وفي أخذ «داود» بقدمه لا على وجه الجارحة، ولا على وجه المماسة، كما أثْبتنا خلق آدم بيديه، فاليدان صِفَةُ ذاتٍ، والخلق بها لا على وجه المماسة والملاقاة،

---

(١) إسناده حسن، أخرجه ابن أبي عاصم (٥٣٨) والبزار (٢/ ١٨٨٣) زوائد والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٢٧/ ١٠٨٠٧) عن أبي عاصم عن ابن جريج به.
ولفظ الطبراني: «إن للرحم حَجنةً آخذةً بِحُجْزَةِ الرحمن...».
وأخرجه أحمد (١/ ٣٢١) وابن عدي (٤/ ١٣٧٥) عن روح بن عبادة عن ابن جريج به.
ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٠) وقال: فيه صالح مولى التوأمة وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح.
قلت: وهو صالح بن نبهان مولى التوأمة، قال أحمد: كان مالك أدركه وقد اختلط، فمن سمع منه قديماً فذاك، وقد روى عنه أكابر أهل المدينة، وهو صالح الحديث ما أعلم به بأساً، وضعفه أبو زرعة والنسائي، وقال ابن عدي: لا بأس به إذا روى عنه القدماء مثل: ابن أبي ذئب وابن جريج وزياد بن سعد، ومن سمع منه بآخرة وهو مختلط يعني فهو ضعيف.
قلت: والراوي عنه هنا زياد بن سعد، فالإسناد حسن.
وله شاهد من حديث ابن عمرو سيأتي تخريجه.
(٢) الحَقو والحُجزة هما شَدُّ الإزار، ثم سُمِي الإزار حَقواً وحُجزة للمجاورة.
انظر النهاية (١/ ٣٤٤- ٤١٧).

كذلك ها هنا[١]، وكما أثبتنا الاستواء لا على وجه الجهة والمماسة.

٣٩٣- وذكر شيخنا أبو عبد الله رَحِمَهُ اللهُ في كتابه هذا الحديث وأَخَذ بظاهره. وهو ظاهر كلامِ أحمد.

٣٩٤- قال المروذي: جاءني كتاب من دمشق فعرضته[٢] على أبي عبد الله فنظر فيه، وكان فيه: أنَّ رجلاً ذكر حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ الخلقَ، حتى إذا فَرَغ منها قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن**» وكان الرجل تلقيه[٣] يعني حديث أبي هريرة فرفع المحدث رأسه وقال: أخاف أن تكون كفرت، فقال ابو عبد الله: هَذا جَهمي.

٣٩٥- وقال أبو طالب: سمعت أبا عبد الله سُئل عن حديث هشام بن عمار أنه قُرى عليه حديث: «**تجيء الرحم يومَ القيامة، فتتعلق بالرحمن**» فقال: أخاف أنْ تكون قد كفرت، قال: هذا شامي ماله[٤] ولهذا قلت ما تقول؟ قال: يُمضى الحديث على ما جاء.

فإنْ قيل: الرَّحم لا يصح عليها التعلق، لأنَّ ذلك حق القرابة من طريق النسب، فَعُلِم أنَّ ذلك مَثَلٌ والمراد به تأكيد أمر الرحم، والحثُّ على وَصْلِه، والزَّجْرِ عن قطعه، فأَخْبَر عن ذلك بأبلغ ما يكون من التأكيد، ويكون معناه: أنَّها مُسْتَجيرةٌ معتصمةٌ بالله[٥].

---

(١) قوله: «... لا على وجه المماسة والملاقاة...» قد سبق بيان الصواب فيه، انظر (الجزء الأول/ ٢٠٦- ٢٠٨).

(٢) في الأصل: فأعرضته!

(٣) كذا في الأصل.

(٤) لعله: قال ولهذا قلتُ ما تقول...

(٥) انظر: «مشكل» ابن فورك (ص١٣٠). =

قالوا: ويُبين هذا أنَّه قد روي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «الرحم مُعَلَّقةٌ بالعَرشِ، لها لِسَانٌ طَلقٌ ذَلِقٌ، تقول: مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ الله، ومَنْ قَطَعَني قَطَعُه الله»[(١)].

= وكذا «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص٣٦٩) ونقله الحافظ في الفتح (٨/ ٥٨٠) عن القاضي عياض والطِّيبي.

(١) لم أجده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ!

لكن من حديث ابن عمرو وابن عباس وعائشة:

* أما حديث ابن عمرو:

فقد أخرجه وكيع في «الزهد» (٤٠٢) وعنه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٣٧) وهنَّاد في «الزهد» (١٠٠٠) عن أبي عاصم الثقفي عن محمد بن عبد الله بن قارب قال: سمعت عبد الله يقول بلسانٍ له ذلق: «إن الرحمن معلقة بالعرش تنادي بلسان لها ذَلْق: اللهم صِلْ مَنْ وَصَلني، واقْطَعْ مَنْ قَطَعني».

وأخرجه أبو داود الطيالسي (٢٢٥٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤) وفي «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٧) عن عثمان بن المغيرة عن أبي العنبس سمع عبد الله بن عمرو بالطائف قال لنا النبي ﷺ فذكره.

وأبو العنبس هو محمد بن عبد الله بن قارب ويقال: محمد بن عبد الرحمن، ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يحكيا فيه شيئاً، وأبو عاصم الثقفي هو محمد بن أبي أيوب ثقة وكذا عثمان ابن المغيرة.

وأبو العنبس تابعه أبو ثمامة:

رواه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٣٨) وأحمد (٢/ ١٨٩، ٢٠٩) والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٤٧) والدولابي في «الكنى» (١٣٤) والحاكم (٣/ ١٦٢):

عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «تُوضع الرَّحم يوم القيامة لها حُجنة كحجنة المِغْزل، تتكلَّم بلسانٍ طلق ذَلْق، فَتَصلُ مَن وَصَلها وتقطع مَن قَطَعها».

ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٠) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد الصحيح غير أبي ثمامة الثقفي وثقة ابن حبان.

وأبو ثمامة ذكره ابن حجر في «التعجيل» (ص٤٧٠) ولم يَحك فيه شيئاً، وقال: هو غير أبو ثمامة الحناط الذي وثقه ابن حبان. =

....

= وعزاه في كنز العمال (٣/ ٣٦٢) إلى الحاكم في الكنى.
* وله طريق أخرى، رواها البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٣- ٢٤) عن عبد الله بن يوسف عن ابن لهيعة نا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «الرحم شجنة كما ينبت العودُ في العود، فمن وَصَلها وصَلَه الله ومَن قَطَعها قطعه الله، وتُبعث يوم القيامة بلسان فصيح ذَلْق: اللهم فلانٌ وصلني فأدخله الجنة، وتقول: إن فلاناً قطعني فأدخله النار».
وفيه ابن لهيعة وقد ساء حفظه.
* طريق ثالثة: فقد أخرجه الحميدي (٢/ ٢٦٩) وابن أبي شيبة (٨/ ٥٢٦) وأحمد (٢/ ١٦٠) وأبو اود (٥/ ٤٩٤١) والترمذي (٤/ ١٩٢٤) والحاكم (٤/ ١٥٩) والبيهقي في «الأسماء» (٤٢٣) والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٢٦٠) كلهم عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحمونَ يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرَّحِمُ شُجنةٌ من الرحمن، فمن وصَلَها وصله الله، ومَن قَطَعها قطعه الله».
قال الترمذي: حسن صحيح.
وفيه أبو قابوس قال الذهبي في المغني: أبو قابوس عن عبد الله بن عمرو حديث «الراحمون» لا يعرف.
وقال الحافظ: مقبول.
فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح.
وأما حديث عائشة رضي الله عنها: فقد أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨١) عن عروة عنها ولفظه: «الرَّحِمُ مُعَلَّقةٌ بالعرش تقول: من وَصَلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».
* وأما حديث ابن عباس رضي الله عنه:
فقد أخرجه الحاكم (٢/ ٣٠١- ٣٠٢) عن عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ قال: «إنَّ الرَّحم لتقطع وإن النعمة لتكفر، وإنَّ الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبداً، ثم قرأ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: وقال رسول الله ﷺ: «الرَّحم شُجنةٌ من الرحمن، وإنها تجيءُ يومَ القيامة تتكلَّم بلسان طلق ذلق، فمن أشارت إليه بوصل وصله الله ومن أشارت إليه بقطع قطعه الله».
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي لكن =

قيل: هذا غلط، لأنَّ قوله: «إنَّ الرحم حق القَرَابة» ولا يصح التعلق عليه فليس كذلك، لأنَّ معناه: ذي الرحم يأخذ بحقو الرحمن، فحذف المضاف وأَقَام المُضَاف إليه مَقَامَه، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ٣٤]. ومعناه: صاحب قول الحق، وإذا ثَبَتَ أنَّ المراد بها ذي الرحم فذلك مما يصح عليه التعلق، والذي يدل على أنَّ المراد به ذي الرحم، أنَّ الوَصْلَ والقَطْعَ نَفعٌ وضرٌ، وذلك إنما يختصُّ بذي الرحم، فأما نفس الرحم فلا يتوجه إليه.

٣٩٦- ويبين ذلك قول النبي ﷺ: «**شركٌ بالله تَبرئٌ من نسب**»(١).

= أخرجه مرسلًا معمر في «الجامع» (١١/ ١٧٣) برواية عبد الرزاق عن ابن طاووس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرحم...» فذكره.

وذلق طلق: على وزن فُعل بوزن صُرَد ويقال: طَلِقٌ ذَلِقٌ، وطُلُقٌ ذُلُقٌ ذُلُقٌ، وطليق ذليق، ويراد بالجميع المَضَاء والنَّفاذ، وذَلْق كل شيء حَدُّه (النهاية).

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢١٥) ثنا علي بن عاصم عن المثنى بن الصَّبَّاح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «كفرٌ تَبَروءَ من نسبٍ وإنْ دقَّ، أو ادِّعاء إلى نسبٍ لا يعرف».

وفيه المثنى بن الصباح، ضعيف، لكنه قد تُوبع.

فقد أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/ ١٠٨) حدثنا محمود بن علي البزار أبو حامد الأصبهاني حدثنا هارون بن موسى الفروي حدثنا أنس بن عياض عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً بلفظ: «كفر بامرئٍ ادعاءٍ إلى نسبٍ لا يُعرف وجَحَده، وإنْ دقَّ».

وقد أخرجه عنه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٣١٦).

وإسناده حسن، أنس بن عياض ثقة، وهارون الفروي لا بأس به، وشيخ الطبراني قال عنه أبو نعيم: شيخ ثقة صدوق، و«البزار» وقع عند «الطبراني» بالراء، وفي «تاريخ أصبهان» بالزاي في الموضعين.

وللحديث شاهد ضعيف جدا من حديث أبي بكر رضي الله عنه: =

ومعناه: تبرئ من ذي النسب.

٣٩٧- وقوله ﷺ: «بُلُّوا أَرْحَامَكُم وَلو بالسَّلامَ»[(١)] ومعناه: بُلُّوا ذي الأرْحَامِ بالسلام.

= أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٣٤٣- ٣٤٤) وفيه: السّري بن إسماعيل الكوفي، متروك الحديث.
وأخرجة موقوفاً على أبي بكر، من رواية أبي معمر وهو عبد الله بن سخبرة وروايته عن مرسله.
ورواه موقوفاً على ابن مسعود نحواً منه.

(١) إسناده حسن، أخرجه وكيع في الزهد (٤٠٩) وعنه هناد في الزهد (٩٢١) وابن حبان في الثقات (٤/ ٣٢٤) عن مُجَمِّع بن يحيى الأنصاري عن سويد بن عامر الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.
سويد بن عامر قال الحافظ فيه: لا صحبة له وأن حديثه مرسل، ونقل ذلك عن ابن حبان والبغوي وابن منده (الإصابة) (٢/ ٩٩، ١٣٤).
ومجمع كوفي صدوق من رجال مسلم، فهو مرسل حسن.
وأخرجه ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٢٤) عن ابن المبارك عن مجمع به.
وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٥٤) عن خالد بن عبد الله الواسطي عن مجمع به.
وأخرجه برقم (٦٥٣) عن عيسى بن يونس عن مجمع قال: حدثني رجل من الأنصار أن النبي ﷺ قال: فذكره.
وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٣٤٧) عن مروان بن معاوية الفزاري عن مجمع عمن حدَّثه يرفعه: «بُلُّوا أرحاكم ولو بالسلام».
ولعلها ترجع إلى الطريق الأول.
وللحديث شاهد من حديث ابن عباس: أخرجه البزار (٢/ ١٨٧٧) زوائد وسنده تالف فيه: البراء بن يزيد الغنوي ضعيف، وشيخ البزار فيه محمد بن يونس الكريمي قال ابن حبان وغيره: كان يضع الحديث على الثقات.
وشاهد آخر من حديث أبي الطفيل: أخرجه الطبراني- كما في المجمع (٨/ ١٥٢)- بلفظ: «صلوا أرحامكم بالسلام» قال الهيثمي: وفيه راوٍ لم يسم.
وعزاه السيوطي في الجامع إلى البيهقي في الشعب عن أنس، ونقل المناوي في «الفيض» (٣/ ٢٠٧) عن البخاري أنه قال: طرقه كلها ضعيف ويقوى بعضها بعضاً.
وحسنه الألباني حفظه الله في الجامع.
قال أبو عبيد: قال أبو عمرو وغيره: يقال بَلَلْتُ رحمي أبلّها بلًا وبِلالًا إذا وصلتها ونَدَّيتها بالصلة، إنما شُبهت قطيعة الرحم بالحرارة تُطْفأُ بالبرد، كما قالوا: سقيته شُربة بَردَّتُ بها عطشه، يقال: كأن الصلة هي البرد، والحرارة هي القطيعة.

وقولهم: إنَّ ذلك مثل، فلا يصح، لأنَّه إذا أمكن حَمْلُ الكلام على ما يفيد كان أولى من حمله على ما لا يفيد.

وقولهم: إنَّ معناه أنها مُستجيرةٌ معتصمة بالله، فلا يمنع من هذا، لكن صِفَةُ الاستجارة والاعتصام على ما ورد به الخبر، من الأَخْذِ بحقو الرحمن جل اسمه.

وقولهم: إنَّ المراد بذلك تأكيد أمر الرحم والحثُّ على صلته، فلا يمنع من هذا، وليس في ذلك ما ينافي الصفة المذكورة في الخبر، بل يجوز أنْ يكون قَصْد الحثِّ على صلته، لأجل ما يُوجد منهم مِنَ الاعتصام على الصفة المذكورة.

وقولهم: إنَّ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إنَّ الرَّحم مُعلَّقةٌ بالعَرْش**» فلا يمنع أنْ تعلق بالعرش في حال، وتعلق بحقو الرحمن في حال، فيُجمع بين الخبرين جميعاً.

٣٩٨- فأمَّا معنى «الشُّجْنة» فقال أبو عبيد: فيه لغتان شِجنة وشُجنة، وإنَّما سُمِّي الرجل شجنة بهذا.

وقال أبو عبيدة: يعني قَرَابة مُشتبكة كاشتباك العُرُوق.

قال أبو عبيد: وكأن قولهم: الحديث ذو شجون منه، إنما يمسك بعضه ببعض[١].

وقال غيره من أهل العلم: يقال هذا شَجَرٌ متشجن، إذا التفَّ بعضه ببعض وهو من هذا[٢].

٣٩٩- قال[٣]: وأخبرني يزيد بن هارون عن الحجاج بن أَرْطَأة قال: الشُّجْنَةُ

---

(١) غريب الحديث (١/ ٢٠٩) وفيه: إنما هو تمسّكُ بعضه ببعض.

(٢) انظر «النهاية» (٢/ ٤٤٧) ولسان العرب مادة: شجن.

(٣) القائل هو أبو عبيد في غريب الحديث كما تقدم.

كالغُصْنِ تكون من الشجر أو كلمه نحوها.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] فحكى شيخنا أبو عبد الله رحمه في كتابه، عن جماعة من أصحابنا الأخذ بظاهر الآية في إثبات الجنب صِفَةٌ له سبحانه.

٤٠٠- ونقلت من خط أبي حفص البرمكي قال ابنُ بَطَّة: قوله: «بذات الله» أمر الله كما تقول: في جَنْبِ الله، يعني في أمر الله.

وهذا منه يمنع أنْ يكون الجنب صِفَةَ ذَاتٍ، وهو الصحيح عندي، وأنَّ المراد بذلك التَّقْصير في طاعة الله، والتَّفريط في عبادته، لأنَّ التَّفريط لا يقع في جنب الصِّفة، وإنَّما يَقَعُ في الطَّاعة والعبادة، وهذا مستعملٌ في كلامهم: فلانٌ في جَنب فلان، يريدون بذلك في طاعته وخدمته والتقرب منه.

ويبين صحة هذا التأويل ما في سياق الآية من قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]. وهذا كله راجع إلى الطاعات.

٤٠١- وقد اعتبر أحمد القرائن في مثل هذا، فقال في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. قال: المراد به علمه، لأنَّ الله افتتح الخبر بالعلم، وختمه بالعلم.

* * *

[حديث آخر]

٤٠٢- ناه أبو القسم بإسناده: عن علي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن سَرَّهُ أنْ يمد الله في عُمْرِهِ، ويُوسِّعَ عليه في رِزْقه، ويَدْفَعَ عنه مِيتَةَ السُّوء فَلْيتَّقِ الله وَليصِلْ رَحِمه»(١).

إنْ سأل سَائلٌ عن هذا الخبر فقال: كيف تجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٤٩]. وقال

---

(١) إسناده حسن، أخرجه عبد الله بن أحمد (١/ ١٤٣) في زوائده على المسند، والخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص٤٤) والحاكم (٤/ ١٦٠) من طريقين عن معمر عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه مرفوعاً به، ولم يذكر الخرائطي «ويدفع عنه ميتة السوء».
ورجاله ثقات سوى عاصم بن ضمرة وهو السلولي، فإنه لا بأس به.
وله طريق آخر عن عاصم:
أخرجه البزار (٢/ ١٨٧٩) زوائد عن ابن جريج عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم عن علي مرفوعاً بلفظ: «مَنْ أحبَّ النَّسَاءَ له في أجله، والزيادةَ في رزقه، فَلْيَصِلْ رَحِمَ».
قال البزار: قد روى هذا مرفوعاً من وجوه وأعلى من روى ذلك علي، وقد روي عن علي من طريق آخر، وأحسب أبن جريج سمع هذا من حبيب، ولا رواه غيره.
قلت: وقد قال البزار (كما في التهذيب في ترجمة عاصم): هو صالح الحديث، وأما حبيب بن أبي ثابت فروى عنه مناكير، وأحسب أن حبيباً لم يسمع منه.
وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٢): رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني في الأسوط ورجال البزار ورجال الصحيح غير عاصم بن ضمرة وهو ثقة.
تنبيه: وقع في المسند: عن يعمر، وصوابه: معمر، كما هو عند الخرائطي والحاكم وقد أشار إلى ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه في تعليقه على المسند (١٢١٢) معتمداً على نسخة أخرى.
ووقع عند الحاكم: عن عاصم رضي الله عنه! وورد في التلخيص على الصواب.
ويشهد للحديث: حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في البيوع (٤/ ٣٠١). وفي الأدب (١٠/ ٤١٥) ومسلم في البر والصلة (٤/ ١٩٨٢) عنه مرفوعاً بلفظ: «من سرَّه أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه».
وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه البخاري في الأدب (١٠/ ٤١٥) بنحو حديث أنس.

في موضعٍ آخر: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾ [المنافقون: ١١]. فأخبر أنَّ الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، فكيف يجوز مع هذا أنْ يقول النبي ﷺ: «**صِلَةُ الرحم تمد في العُمر**» وروى: «تزيدُ في العمر».

٤٠٣- قالوا: ويؤيد ما في الكتاب: ما روى من أنَّ أُمَّ حَبيبةَ قالت: اللهم مَتِّعني بأبي سفيان وبأخي معاوية، فقال النبي ﷺ: «**لقد سَألْتِ الله في آجالٍ مَضْرُوبة، وأَرْزَاقٍ مَقْسُومةٍ لا يؤخر منها شيئاً**»(١).

٤٠٤- وقال ابن مسعود في حديثه عن النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إنَّ الله يَبْعَثُ مَلَكَ الأرْحَام، فَيكْتب أَجَلَ المولودِ في بَطْنِ أُمه، ورِزْقَه وشَقَاوَتَه وسَعَادَتَه**»(٢).

فيقال له: قد قال بعض أهل العلم: إنَّ معنى الزيادة في العمر نَفْيُ الآفات عنهم، والزيادة في أفْهامهم وعقولهم وبصائرهم، وليس ذلك زيادة في

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٦٦) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٥١) عن المغيرة بن عبد الله اليشكري عن معرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة: اللهم متِّعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إنك سألتِ الله لآجالٍ مضروبة، وآثار مَوْطُوءةٍ، وأرزاق مقسومة، لا يُعَجِّلُ شيئاً منها قبل حِلِّه، ولا يؤخِّر منها شيئاً بعد حِلِّه، ولو سألت الله أن يُعافيكِ من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر لكان خيراً لك» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٦/ ٣٠٣) وفي الأنبياء (٦/ ٣٦٣) وفي القدر (١١/ ٤٧٧) وفي التوحيد (١٣/ ٤٤٠) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٣٦- ٢٠٣٧) من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يُجمع خَلقُهُ في بطنِ أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك عَلَقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مُضْغَةً مثل ذلك، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الرُّوح ويُؤمر بأربع كلمات: بكَتْبِ رزقِهِ وأجله وعمله وشقيٌّ أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فَيَسْبِقُ عليه الكتاب، فيعمل بعملِ أهلِ النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعملِ أهل الجنة فيدخلها».

أرْزَاقِهم ولا في آجالهم، لأنَّه قد أخبر سبحانه أنه يَزيد من يشاء من فضله، ولم يخبر أنَّه يزيد من يشاء في رزقه وفي أجله، بل أَخْبَر بضد ذلك فقال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]. وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٤٩].

وقال بعضهم: إنَّ الله سبحانه يكتبُ أجل عبده مائة سنة عنده، ويجعل تركيبه وهيئاته وبنيته ثمانين، فإذا وَصَلَ رَحمه زادَ الله في ذلك التركيب، وفي تلك البنية، ووصل ذلك النَّقص فعاش عشرين أُخرى حتى يبلغ المائة، وهو الأجل الذي لا يستأخر عنده ولا يستقدم فيه.

وقال بعضهم: معنى ذلك أنْ يكون السَّابق في المعلوم، أنَّه إذا وَصَلَ رَحمه كان عمره أكثر منه إذا لم يصل، فيكون كله مما سبق في العلم، على الحد الذي يحدث ويوجد في المستأنف.

٤٠٥- وقد روى أبو الحفص العُكْبري[1] بإسناده: عن أبي الدَّرْداء قال تَذاكرنَا عند رسول الله ﷺ الزِّيَادة في العُمُر فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحداً لا يُزادُ في عُمُرِهِ الذي أَجَّلَه الله له، ولَكنَّ الزِّيادَة في العُمُر: الرَّجُلُ يموتُ ويَدَعُ ذُرِيةً صَالحةً فَيَدْعُونَ له مِنْ بَعده، ويتبعونه بالعَمَل الصَّالح**»[2].

---

(١) أبو حفص العكبري هو عمر بن أحمد بن عثمان البزاز.
قال الذهبي: أحد المسندين.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤) قال: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة حدثنا يحيى بن صالح حدثنا سليمان بن عطاء بن عطامه عن سلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مَشْجَعَة عن أبي الدرداء به.
قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن أبي الدرداء إلا بهذا الإسناد، تفرد به سليمان، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٣) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وليس في إسناده متروك ولكنهم ضعفوا.
=

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١].

قيل: معنى ذلك: أي مَنْ قَلَّ عمره أو كَثُر فهو يمضي[١] إلى أَجَله الذي كُتِبَ له، وقوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ كل يوم حتى ينتهي إلى أجله ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾، يعني في اللوح المحفوظ مكتوب قبل أنْ يخلقه، قد بَيَّن قدره، لا أنَّه يكون زَائداً ثم ينقص، أو ناقصاً ثم يزيد، لأنَّ ذلك يُؤدي إلى أنْ لا يكون الله تعالى عالماً بالأشياء قبل كونها، على حسب ما يكون، ولا يجوز ذلك في وَصْفه، فَعُلِم أنَّ المراد به تعريفنا أنَّ التفاوت الواقع بين الأعمال في اختلاف مددها في الطول والقصر، والزيادة والنقصان، كل ذلك في كتاب مبين على حكم واحد، صدر عن علم سابق محيط.

والمخالف في هذا الأصل «القَدَريَّة» لأنهم يقولون بقطع الأجل، ومعنى ذلك: أنَّ يكون الله تعالى قد جعل لبعض الأحياء مدة حياته خمسين سنةً، ثم يقتله القاتل فيجعل ذلك سَنَةً، ويقطع عليه بلوغه المدة التي قَدَّرَ الله له ذلك.

وهذا قولٌ يخالف ما تقدم من الكتاب والسُّنَّة، ويؤدي إلى وَصْفِ الله عَزَّ وجلَّ بالقَهر والغَلَبة، لأنَّه إذا أراد أنْ يكونَ أجل زَيد خمسين سنةً، وأراد غيره أنْ يكون سَنَةً، فلم يمكن من بلوغه الأجل الذي أَجَّلَه الله له، وأراد أنْ يَبلغه عليه

= قلت: قوله «رواه الطبراني في الصغير» وَهْمٌ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد راجعت المعجم الصغير كله فلم أجد الحديث فيه.
أبو مشجعة وهو ابن ربعي الجهني قال عنه الحافظ: مقبول، وكذا مسلمة بن عبد الله.
وسليمان بن عطاء، قال البخاري: في حديثه مناكير، وقال أبو زرعة: منكر الحديث وكذا أبو حاتم وزاد: يكتب حديثه.

(١) في الأصل: يعني.

أجله، فقد قهره في مراده وغلبه في حكمه وذلك لا يليق بوصفه(١).

ولأنَّ من قال منهم بقطع الأجل؛ يلزمه أنْ يقول بزيادة الأجل إذا وَصَلَ رحمه وتجنب الآفات، وهذا لازمٌ لمن فرَّق بين الأمرين، ومن جمع بين الزيادة والنقصان فقد خالف ظاهر الكتاب والسنة.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

قيل: قد قيل فيه وجوه: أحدهما: أنَّ معناه أنَّ الله ينسخ من الأحكام ما يشاء وذلك محوه، ويُثبت فيها ما يشاء وهو إثباته وتقديره، وقد يُوصف تعالى بالنسخ والإثبات ولا يدعوا ذلك إلى البداء ولا إلى الزيادة في العمر.

وقيل فيه: معناه يمحو ما سَبَقَ من الذنوب بالتوبة المتعقبة لها، ويثبت التوبة وحكمها.

---

(١) هذا قولهم قبحهم الله، ومن ذلك أن أعرابياً وقف على حلقةٍ فيها عمرو بن عبيد- كبير المعتزلة ومن أولهم- فقال: يا هؤلاء إنْ ناقتي سُرقت، فادعُوا الله أن يَرُدَّها عليَّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنَّك لم تُرِدِ أن تُسرق ناقته فسرقت! فارددها عليه، فقال الأعرابي- بفطرته - لا حاجةَ لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخافُ كما أرادَ أنْ لا تُسرق فسرقت، أنْ يريد ردَّها فلا تُرد!!

وسبب ضلالهم هذا؛ أنهم زعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، فرُّوا إلى هذا لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذَّبه عليه! ولكنهم صاروا كالمستجير من الرمضاء النار، فإنهم هربوا من شيء، فوقعوا فيما هو شرٌّ منه، فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، وهو من أقبح الاعتقاد!

والصواب أن الله تعالى شاء أن يقع الكفر من الكافر ولكنه لا يحبه ولا يرضاه فيشاؤه، كوناً ولا يرضاه ديناً، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، ومنشأ ضلالهم إنما هو في التسوية بين المشيئة، والرضا والمحبة. انظر العقيدة الطحاوية (ص١١١) وما بعدها بشرحنا.

وقيل فيه: أنَّه يمحو بياضَ النَّهار ويُثبتُ سوادَ الليل، ويُثبتُ بياضَ النهار ويَمحو سوادَ الليل.

وقيل: معناه تعريفنا أنَّ الإيجاد والإعدام، والإثبات والنفي، متعلقٌ بمشيئته على حسب ما سبق به علمه، وجرى به قلمه، لا يكون ذلك إلى غيره أو من غيره[(١)].

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى مُخبراً عن نوح عليه السَّلام أنَّه قال لقومه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٣-٤] [(٢)]. وقال عزَّ وجلَّ في آيةٍ أخرى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٢].

قيل: أما قول نوح إنَّه يؤخرهم إلى أجلٍ مسمى إنْ آمنوا وبَلَغُوه يكون أجلًا لهم ولم يثبت الله تعالى لهم أجلًا لم يبلغوه، ولا قال إلى أجلٍ لكم مسمى، بل لم يُضف إليهم الأجل[(٣)] ونكَّره فَبَانَ أنَّ المراد أَجَلًا من الآجال، لو آمنوا وبَلَغوه كان لهم أجلًا، يبين صحة هذا قوله في سياقها: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]. يريد بذلك ما هو

---

(١) وقال ابن كثير (٢/ ٥١٩) بعد أن ذكر أقوال المفسرين: ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار يَنْسخُ الله ما يشاء منها ويُثبت منها ما يشاء، وقد يُستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد حدثنا وكيع... عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجل لَيُحْرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر»... وثبت في الصحيح: أنَّ صلة الرحم تزيد في العمر، وفي حديث آخر: «إن الدُّعاء والقَضَاء لَيَعْتَلِجان بين السَّماء والأرض»اهـ.

(٢) في الأصل: ﴿فاتقوا الله وأطيعون يغفر لكم...﴾ وهو وهم في الآية.

(٣) في الأصل: الأمل، والصواب ما أثبتناه، وقد نبه عليه الناسخ.

لهم أجل، فِدلَّ على ما قلناه(١).

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٢]. فهو أجل الدينا والآخرة(٢)، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تَشكُّون في البعث وهو الأجل المسمى للثواب والعقاب، وأجل الدنيا هو المسمَّى للفناء والتكليف فيه.

٤٠٦- ومما يجري هذا المجرى، والسؤال عنه كالسؤال فيما ذكرنا، ما روي أنَّه قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«الدُّعاء يَرُدَّ البَلَاء، والصَّدَقَةُ تَدْفَعُ البَلَاء»**(٣).

٤٠٧- وما روى أنَّه قال: **«إنَّ الدُّعَاء والقَضَاء يَتعالجَان»**(٤).

---

(١) قال البغوي في تفسيره (٨/ ٢٢٩): ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يعافيكم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: آمنوا قبل الموت تَسْلموا من العذاب، فإنَّ أجل الموت إذا جاء لا يُؤخر ولا يمكنكم الإيمان.

(٢) وهو قول قتادة والحسن، كما في تفسير ابن جرير (٧/ ٩٤) عنهما بإسناد صحيح في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ قالا: قَضَى أجل الدنيا منذ يوم خُلِقت إلى أن تموت، وأجل مُسمًّى عنده: يوم القيامة.
ونقله عن الضحاك ومجاهد وعكرمة، وقال إنه أولى الأقوال بالصواب.

(٣) عزاه في كنز العمال (٢/ ٦٣) إلى أبي الشيخ في «الثواب» عن أبي هريرة، الجملة الاولى منه.

(٤) حديث حسن، أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ١٠٦٨) والحاكم (١/ ٤٩٢) عن زكرياء بن منظور شيخ من الأنصار أخبرني عَطَّاف بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يُغني حَذَرٌ من قَدَر، والدُّعاء ينفع مما نَزَل ومما لم ينزل، وإن البلاء ليتنزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
فتعقبه الذهبي بقوله: قلت: زكريا مجمع على ضعفه!
قلت: وثَّقه ابن معين في رواية وأحمد بن صالح المصري، وضعفه ابن المديني والنسائي وأبو حاتم وقال هو وأبو زرعة والبخاري وابن حبان: منكر الحديث.
وقال ابن عدي: وهو ضعيف كما ذكروا إلا أنه يكتب حديثه (التهذيب».
وقد حسنه الألباني في الجامع (٦/ ٧٦١٦) ولعل ذلك بشواهده، فمنها:
١- شاهد من حديث ابن عمر:
أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٣) عن يزيد بن هارون أنبا عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة =

٤٠٨- وما روي أنَّه قال: «**الصَّدَقَةُ تَدْفَع القَضَاء المبرم**»(١).

ومعنى هذه الأخبار كلها على نحو ما ذكرنا، وهو أنْ يكونَ السَّابق في العلم ما يحدث في المستأنف، أنَّه إذا دعا صُرِفَ عنه البلاء، وكذلك إذا تَصدَّق؛ لا

= عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاء ينفع مما نَزَل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء».
سكت الحاكم عنه وقال الذهبي: عبد الرحمن واه.
يعني: ابن أبي بكر، وهو كما قال.
ورواه الترمذي (٣٥٤٨) بزيادة في أوله: «مَنْ فُتِحَ له منكم بابُ الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئاً يُعطَى أحبَّ إليه من أنْ يُسأل العافية» وقال رسول الله ﷺ: «إن الدعاء ينفع...».
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه.
٢- وشاهد من حديث معاذ:
أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٤) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٦/ ٢٠١) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٦٢) وأبو يعلى - كما في كنز العمال (٢/ ٦٣) - ولا يوجد مسند معاذ في المطبوع - عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله (وقع عند الطبراني عبيد الله وهو خطأ) بن عبد الرحمن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قالك قال رسول الله ﷺ: «لن يَنفع حَذَرٌ من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نَزَل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء عباد الله».
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٤٦): وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ، ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل الحجاز ضعيفة.
قلت: وشهر فيه ضعف.
٣، ٤- وشاهدان من حديث سلمان وثوبان بلفظ: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيدُ في العمر إلا البِرّ» انظر الصحيحة (١٥٤).
(١) لم أجده بهذا اللفظ!
وأخرج الطبراني في الكبير (٤/ ٢٧٤/ ٤٤٠٢) عن رافع بن خَديج مرفوعاً: «تَسدُّ الصَّدقة سبعين باباً من السُّوء». قال في المجمع (٣/ ١٠٩): وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف. وقال الذهبي في «المغني»: ضعفوه.

أنَّه يكون المعلوم في الأَزَلِ وصول البلاء القديم وإذا حصل الدعاء تغير المعلوم، لأنَّ لك يؤدي إلى أنْ لا يكون ذلك في الأَزَل مَعلوماً، وذلك محال.

وقيل فيه أيضاً: أنَّ المراد به إذا أتَى بهما - أعني الدعاء والصَّدقة- دُفع بذلك عن الفاعل لهما وِزْرَ الترك، وعقوبة العِصْيان فيه، ويكون معنى التخصيص لذلك بالذكر، التحريض على فعله والحثّ عليه.

* * *

[حَديثٌ آخَر]

٤٠٩- ناه أبو القسم بإسناده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ مَلَكُ الموتِ عليه السَّلام يأتي النَّاسَ عَيَاناً، فأتَى مُوسى فَلَطمه فَذَهَبَ بِعَيْنِه، فَعَرَجَ إلى رَبِّه فقال: بَعَثْتَني إلى مُوسى فَلَطَمَنِي فَذَهَبَ بِعَيني، وَلَولا كَرَامَتَه عليكَ لَشَقَقْتُ عَلَيه، قال: ارْجع إلى عَبْدي فَقل فَلْيَضَع يَدَه على ثَوْرٍ، فَلَهُ بكلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ كفُّه سَنَةٌ يعيشها، قال: فَأَتَاه فَبَلَّغَ ما أمره به، فقال: ما بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: الآنَ، فَشَمَّهُ شَمَّةً قَبَضَ رُوحَه فيها، وَردَّ الله على مَلَكِ الموْتِ بَصرَهَ، فكان بَعْدُ لا يأتي النَّاسَ إلا خِفْيَةً».

وفي لفظٍ آخر قال: «فَسَأَلَ ربَّه أنْ يُدْنيه مِنَ الأرضِ المقَدَّسة رمية حجر» قال: فقال رسول الله ﷺ: «فَلَوْ كُنْتَ ثَمَّ، لأَرَيْتُك قَبْرَه إلى جَانبِ الطَّريقِ تحت الكثيب الأَحْمر».

اعلم أنَّ هذا حديثٌ صحيحٌ، يُحمل على ظاهره، وأنَّ ذلك الفعل كان من موسى على الحقيقة، وأنَّه إدخالُ نَقْصٍ على جَارحةِ المَلَكِ ليكون محنةً للمَلْطُوم، إباحةً للاطم، بأنْ يكون الله عزَّ وجلَّ أَبَاحَه ذلك، لأنَّ لله تعالى أنْ يأمرَ بما يشاء من ذلك، ويأذن فيما شاء منه.

٤١٠- وقد قال أحمد في رواية ابن منصور ومُهَنا: الحديث صحيح.

٤١١- وقال في رواية ابن القسم: نحن نُقِرُّ به ونُصدِّقه على ما جاء في الأحاديث، وإنما يتكلم في هذا ويدفعه أهلُ الزَّيغ.

فقد نص أحمد على صحته والأخذ بظاهره، والوجه فيه ما ذكرناه.

وقد أنكر قَومٌ من أهل الإلحاد هذا، وقالوا: إنْ جاز على ملك الموت العَورَ؛ جاز عليه العمى، وقالوا: لعللَّ عيسى قد لَطَمَ عينه الأُخرى

فأعماه، لأنَّ كَانَ أشد كراهية للموتِ من موسى، وذلك أنَّه قال: اللهم إنْ كنت صَارفًا هذه الكأس عن أحَدٍ فاصْرِفْها عني.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه ما كان يمتنع مثل ذلك في حقِّ عيسى لو وجد.

وقد أثبته قومٌ من المسلمين وتأوَّلوه على وجهين: أحدهما: أنَّ الله جعل للملائكة أنْ تَتَصوَّرَ بما شاءت من الصُّور المختلفة، ألا تَرَى أنَّ جبريل عليه السَّلام أتى رسولَ الله ﷺ في صورة دِحية الكلبي، ومرة في صورة أعرابي، ومرة أُخْرى وقَدْ سَدَّ بجناحيه ما بين الأُفق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧]. **قيل**: إنْ جبريل تَصَوَّر بصورةِ رجل، وهذه الصُّور التي يتنقَّل إليها تخيلات ليست حقيقة، فاللطمة أذْهَبَتْ بالعين التي هي تخيل وليست حقيقة.

والثاني: أنَّ معنى اللَّطمة: إلزامُ موسى لملك الموت الحجة حين رَادَّه في قبض روحه، على حسب ما روى في الخبر، وهذا مستعملٌ في كلام العرب.

٤١٢- ومنه ما يُحكى عن علي كرَّم الله وجهه أنَّه قال: أنا فَقَأْتُ عينَ الفتنة. يريد بذلك إلزام الحجة.

❊ ❊ ❊

[حَديثٌ آخر]

٤١٣- ناه أبو القاسم بإسناده: عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يقولُ الله عزَّ وجلَّ: العَظَمَةُ إزاري، والكِبْر رِدَائي، فَمنَ نَازَعَني وَاحِداً مِنهما أَلْقَيتُه في جهنم**».

وفي لفظٍ آخرٍ: «**الكِبْرياء ردائي، والعِزَّةُ إزارِي، فَمَنْ نَازَعَني وَاحِداً منها أَلْقَيتُه في النَّار**»(١).

اعلم أنَّ قوله: «الكِبْريَاء ردائي والعَظَمة إزاري» المراد به أنَّ ذلك صفة من صفاتي، فأنَا المختصُّ به دون غيري، فمن نازعني في ذلك، بأنْ تكبَّر وتعظَّمَ على الناس أدخلته النَّار، وهذا كما تقول: إنَّ فلاناً شِعَاره ودِثاره الزُّهدُ والورع، أيَّ صفته ونَعته.

* * *

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢) وأبو داود (٤٠٩٠) وابن ماجة (٤١٧٤) من طرق عن عطاء بن السائب عن الأغرّ عن أبي هريرة مرفوعاً به (باللفظ الثاني).
وإسناده صحيح، رجاله ثقات، وعطاء وإن كان قد اختلط لكن في الرواة عنه سفيان الثوري وقد سمع منه قبل الاختلاط.
وقد أخرجه مسلم في البر والصلة (٤/ ٢٠٢٣) والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٢) عن الأعمش قالا: قال رسول الله ﷺ: «العزُّ إزَاره، والكبرياءُ رِدَاءُه، فمن ينازعني عَذَّبتُه».
والضمير في «إزاره ورداؤه» يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره، قال الله تعالى: «ومن ينازعني ذلك أعذبه».
ومعنى ينازعني: يتخلَّقُ بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيدُ شديد في الكِبْر، مصرحٌ بتحريمه (النووي).

[إثبات صفة النَّفس لربنا جلَّ شأنه]
[حَدِيثٌ آخَرُ]

٤١٤- ناه أبو القسم بإسناده: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم إنْ ذَكَرتني في نَفْسك ذَكَرْتُكَ في نَفْسي، وإنْ ذَكَرْتَني في مَلأ ذَكَرْتُكَ في مَلأٍ مِنَ المَلائكَة، أو قال: في مَلإٍ هُمْ خَيرٌ منهم، وإنْ دَنَوْتَ مني شِبْراً دَنوتُ مِنكَ ذِرَاعاً، وإنْ دَنَوتَ مني ذِرَاعاً دَنَوتُ منك بَاعَاً، وإنْ أَتيتَني تَمشي أَتَيتُكَ هَرْوَلة»[(١)].

٤١٥- وناه أيضاً بإسناده: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أنَا عندَ ظَنِّ عَبْدي، وأَنَا مَعَه حَيثُ يَذكُرُني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُه في نَفْسي، وإنْ ذَكَرَني في مَلأ ذَكَرْتُه في ملإٍ خير منهُم، وإنْ اقْتَرَبَ إليَّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ إليه ذِرَاعاً، وإنْ اقْتَرَبَ إليَّ ذَراعاً اقْتَرَبْتُ إليه بَاعاً، وإنْ أَتَاني يَمْشي أَتَيتُهُ هَرْولَة»[(٢)].

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٣٨) حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله يا ابن آدم...» قال قتادة: فالله عز وجل أسرع بالمغفرة.
ذكره الهيثمي (١٠/ ٧٨) وقال: ورجاله رجال الصحيح.
قلت: وسنده صحيح على شرط مسلم.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٥١١- ٥١٢) عن شعبة عن قتادة عن أنس مختصراً بلفظ: «إذا تَقَرَّب العبد إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة».
ثم أخرجه هو ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٦٧) عن سليمان بن طرخان عن أنس ابن مالك عن أبي هريرة مرفوعاً به.
قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٥١٢): فالأول مرسل صحابي.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد (١٣/ ٣٨٤، ٤٦٦، ٥١٢) ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٦٧- ٢٠٦٨) من طرق- بعضها مختصر- عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به. =

٤١٦- وناه أبو القسم قال: نا إبراهيم ابن أحمد بن محمد المقري المَعَدل قال: نا أحمد بن سلمان بن الحسن نا محمد بن الهيثم نا إسحاق الحنيني[(١)] عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أناعند ظَنِّ عَبْدي وأنا مَعَهُ إذا ذَكَرَني، والله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُم يَجدُ ضَالَّته بفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، ومَنْ تَقَرَّبَ إلى الله ذِرَاعاً تَقَرَّبَ الله إليه باعاً، ومَنْ جَاءَ يَمْشي أَقْبَلَ الله تعالى إليه بالخير يُهَرْوِل»**[(٢)].

= وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥١، ٣٥٤، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٨٠، ٤٨٢).

* وله شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه:

أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٨) عن المَعْرُور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزوجل: «مَن جَاء بالحسنةِ فله عشرُ أمثالها وأَزِيد، ومن جاء بالسيِّئة فجزاؤه سيئةٌ مثلُها أو اغفر، ومَن تقرَّب منِّي شِبْراً تقرَّبت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقرَّبت منه باعاً، ومن أَتَاني يمشي أَتيتُه هرولةً، ومَنْ لقيني بِقُراب الأرضِ خطيئةً لا يُشرك بي شيئاً لقيتُه بمثلها مغفرةً».

* وشاهد من حديث معاذ بن أنس:

يرويه الطبراني- كما في مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/ ٧٨)- وقال: وإسناده حسن.

* وشاهد من حديث واثلة بن الأسقع:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٥) مختصراً بيلفظ: «أنا عند ظن عبدي بي» وفي سنده عتبة بن أبي حكيم: صدوق يخطئ كثيراً.

* وشاهد من حديث ابن عباس:

أخرجه البزار (٣٠٦٥- زوائد) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم! إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإذا ذكرتني في ملإٍ ذكرتُك في ملإ خير من الذين تذكرني فيهم». وفي سنده فضيل بن سليمان، صدوق له خطأ كثيرًا، قاله الحافظ.

(١) في الأصل مهمل النقط.

(٢) إسناده ضعيف، فيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني أبو يعقوب المدني، قا البخاري: في حديثه نظر، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: ضعيف ومع ضعفه يكتب حديثه.

ومحمد بن الهيثم الراوي عنه هو ابن حماد بن واقد أبو عبد الله ويعرف بأبي الأحوص قاضي عُكبرا، قال الدارقطني: كان من الثقات الحفاظ (تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٢).

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصول أربعة:

الفصل الأول

أنَّ الله تعالى يُوصَف بأن له نَفساً

٤١٧- وقد أوْمأ إليه أحمد فيما خَرَّجَه في «الرَّد على الجهمية» فقال: إذا أردت أنْ تعرف أنَّ الجهمي كاذبٌ على الله، حين زعم أنه في [كلِّ] مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس كانَ الله ولا شيء، فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خَارجاً من نفسه؟ فإنْ قال: خلقه في نفسه كَفَرا![1] وإنْ قال: خلقه خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم، كان أيضاً كُفر، حين دخل في مكان وحيز بل وُحشٌ، وإنْ قال: خلقهم خَارجاً من نفسه ولم يدخل فيهم؛ رجع عن قوله وهو قول أهل السُّنَّة[2].

وهذا من كلام أحمد يَدلُّ على إثبات النَّفس، لأنَّه جعل ذلك حُجةً عليهم، ولو لم يعتقد ذلك لم يحتج به، وقد أخبر بذلك في أيٍ من كتابه منها قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] ولأنَّه ليس في إثبات النفس ما يحيل صفاته ولا يخرجها عمَّا تستحقه، لأنَّا لا نُثْبتُ نفساً مَنْفُوسَةً مُجسَّمةً مركَّبة ذات روح، ولا نثبت نفساً بمعنى الدَّم على ما تقوله العرب: له نفسٌ سائلة وليست له نفس ويُريدون بذلك الدَّم[3]، لأنَّ الله سبحانه يتعالى عن ذلك، بل نُثبتُ نَفْساً

(١) في «الرد على الزنادقة والجهمية» المطبوع زاد: حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه!
(٢) «الرد على الزنادقة» (ص٥٠) مع اختلافات يسيرة.
(٣) اللسان (٦/ ٤٥٠٠) وفيه: وإنما سُمِّي الدمُ نَفْساً، لأن النفس تخرج بخروجه.

هي صفةً زائدةً على الذات، كما أثبت له حياة ونفساً فقلنا حيٌّ بحياة، وباقي ببقاء، وإنْ لم يكن حياته وبقاءه عَرضين كحياتنا وبقائنا، كذلك في النفس.

فإنْ قيل: فأثبتوا له رُوحاً لأنَّه قد وَصَفَ نفسه بذلك فقال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

قيل: لا نُثبت ذلك، لأنَّ السَّمْع لم يَرد بذلك على وجهِ الصفة للذات، وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ المراد به أمره، لقيام الدليل على أنَّ صفات ذاته لا تَحُلُّ المُحْدَثَات[1]، ويُفارق هذا إثبات النَّفس، لأنَّه ليس في إثباتها ما يُحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لما ذكرنا.

فإن قيل: ليس المراد بالنفس ها هنا إثباتُ صفةٍ، وإنما المراد بذلك الذات، كما تقول العرب: هذا نفس الأمر، ويريدون به إثباتُ الأمر لا أنَّ له نفساً، وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. معناه: عقوبته، وقيل: إياه وقوله ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ أيْ في غيبي ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي غيبك، وقيل في قوله: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ يرجع إلى نفس عيسى، وأضافَ نفسه إلى الله من طريق المُلْكِ والخَلْق، فيكون معناه: لا أعلم ما في مُلكَكَ مما خلقته إلا ما أَعْلَمتني، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الأنعام: ٥٤]. معناه: كَتَبَ عليه، وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]. معناه: اصْطَنَعتك لذاتي أو لرسالتي، وقول النبي ﷺ: «**ذكرتُه في نفسي**» معناه: أخفيتُ ثوابه كما أخفى ذكري في نفسه،

---

(١) الإضافة في قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِى﴾ للتشريف كذا فسَّره البغوي (٤/ ٣٨٠) وغيره، ومن المعلوم أن الإضافة إليه تبارك وتعالى قسمان:

إضافة صفات: كسمع الله وبصره وعلمه وقدرته...

وإضافة تشريف: كبيت الله ورسوله الله وروح الله.... إلخ.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].
وقول النبي ﷺ إخباراً عن الله عَزَّ وجَلَّ: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالحين مَا لَا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[(١)].

قيل: هذا غلطٌ، لأنه إنْ جاز حمل النفس على الذات؛ جاز حمل الحياة والبقاء على الذات فيقال: ذاتٌ حَيَّةٌ ذاتٌ باقية، وقد أجمعنا ومُثبِتُوا الصِّفات على أنَّه حيٌّ بحياة، وباقي ببقاء، كذلك جاز أنْ يكون ذَاتاً بنفس، ولأنَّ هذا[(٢)] يؤدي إلى جواز القول بأنَّ الله نفس، وأنَّه يجوز أنْ يُدْعَا فيقال: يا نفس اغفر لنا، وقد أجمعت الأُمة على منع ذلك.

وأمَّا تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾ [طه: ٤١]. معناه: لذاتي ورسالتي، فلا يصح لأنَّه يُسقط فائدة التخصيص بموسى، لأنَّ غيره من الأنبياء اصطنعه لِذَاته ورسالته، فوجبَ أنْ يكون لتخصيص النَّفس ها هنا فائدة.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّ قوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾ [طه: ٤١]. المراد به الذي له النفس، وكذلك قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. المرادُ به الله الذي له النفس، وكذلك قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. المراد به الله الذي له النفس.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة (٤/ ٢١٧٤) من طريقين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.
وأخرجه أيضاً عن سهل بن سعد الساعدي قال: شهدتُ من رسول الله ﷺ مجلساً وَصَفَ فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديث: «فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر» ثم اقترأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٦-١٧].
(٢) أي تأويل النفس بالذات.

وجوابٌ آخر: وهو أنَّه لا يَصِحُّ حمل قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. على عقوبته، لانه قد قال في سِياقها: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ولو كان على ما قالوه؛ لكان تقديره: وإلى عقوبة الله المصير، ولا يَصحُّ أيضاً حمل قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. بمعنى عليه، لأنَّ ذلك لا ينفي إثباتُ النَّفْس صفةً له، فيحصل تقديره: كتب ربُّكم عليه ذي النفس، لأنَّ النفس صفة له، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ٦٦]. والمراد به بعلمه وذاته، لأن علمه لا يختصُّ بذلك، ولا يصح أيضاً حمل قوله: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. على غيبك، لأنَّ ذلك يُسقط فائدة التخصيص، لأنَّه غيرُ عالمٍ بغيب غير الله تعالى، فَعُلِم أنَّ المراد به النَّفس التي هي صفة، وكذلك لا يصحُّ حمله لا أعلم ما في مُلْكِكَ، لأنه غير عالمٍ بما في مُلْكِ غير الله مِنَ المخلوقين، فلا فائدة من تخصيصه بالله تعالى، فعُلم أنَّ المراد به ما ذكرنا.

وأما حملهم النفس على إخفاء الثَّواب، فلا يصح، لأنَّه لا فائدة في إخفاء الثَّواب، بل الفائدة في إظهاره لأنَّه يحصل به الترغيب في الطاعات، والحثُّ عليها، ولهذا عدَّد الجنَّة وأنهارها وثمارَها، كل ذلك حَثًّا على التَّرغيب في الطاعات، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. فإنَّه لم يُخفِ ذِكْرَ الثَّواب، ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ فَأَثْبَتَ أنَّ هناك ما تقرُّ به العين، وإنَّما أَخفى تفصيل الثواب، وهكذا الجواب عن قول النبي ﷺ: «**ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سَمِعَتْ**» معناه: لم تَر وتسمع بتفصيله، فأما جملته فقد أَعْلَمنا به[1]، ولا يجوز إثبات روح.

(١) وإلى هذا يشير قوله ﷺ في الحديث نفسه: «بَلْهَ ما أَطْلَعكم الله عليه» بعد قوله: «أعددت =

٤١٨- وقد قال أحمد فيما خرجه في «الرَّد على الزَّنَادِقة» في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فقال: تفسير «روح الله» إنما معناها: أنها روح بكلمة الله خلقها كما يقال: عبد الله، وسماء الله، وأرض الله[١].

الفصل الثاني[٢]

ذِكرُ العبد لله تعالى في نَفسُه، معناه بحيث لا يعلمه أحدٌ غيره، ولا يَطَّلِعُ عليه سواه، قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

أي: تعلم ما أجنّه وما أُسِرّه وأُضمره، ولا علم لي بما في نفسك مما أخفيته عني.

الفصل الثالث

قوله: «وإنْ ذَكَرني في ملإٍ ذِكرتُه في ملإٍ خَيرٍ منه»: فالمراد بالملأِ: الملائكة، وقد صرَّح بذلك في لفظٍ آخر[٣]، وأنَّه تعالى يُشهدهم على ما يفعل بهم من الكرامات، ويمدحهم ويثني عليهم عندهم.

وقد جَعَلَ قومٌ هذا حجة في تفضيل الملائكة على المؤمنين من بني آدم، ومن ذهب إلى تفضيل الأنبياء والأولياء من الآدميين على الملائكة، يُجيب عن ذلك بأنَّ معنى قوله «خير منه» يَرجع إلى الذكر[٤] أي أنه قال بذكرٍ خيرٍ من ذكْره وأطيب منه، لأنَّ ذكرَ العبدِ لله دُعَاء وتَضَرُّعٌ، وذكرَ الله إظهارُ رحمته

= لعبادي الصالحين ما لا عين رأت» أي: دع عنك ما أطلعكم عليه! فالذي لم يُطْلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالًا في جنب ما لم يطلع عليه، وقيل معناه: غير، وقيل معناه: (نووي).

(١) الرد على الجهمية (ص٤٠).

(٢) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٣) التصريح بذكر الملائكة جاء في رواية معاذ بن أنس، وقد تقدّم ذكرها برقم (٢) من هذا الفصل.

(٤) في الأصل: إلى الذكرى، وقد نبه على خطأه الناسخ.

وكرامته، وذلك خير للعبد وأنفع(١).

٤١٩- وأخرج إليَّ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المؤمِنُ أَفْضَلُ مِنَ الملائكة الذين عند الله** عز وجل»(٢).

الفصل الرابع

قوله: «**دَنَوتُ منه ذِرَاعاً وبَاعاً وأتيته هَرْولة**» فليس المراد به دُنُو الذَّات وقُربها في المسافة وإتيانها، وإنما المراد بذلك قُرب المنْزلة والحظّ لديه، وكذلك قوله: «**أَتَيتُه هَرْوَلة بالثَّواب**»(٣) وأراد بذلك إسراع الثواب، ويحتمل أنْ يكون المراد بالهرولة والسرعة، التَّضعيف في الثواب والزيادة فيه، على معنى قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

٤٢٠- وقد روي هذا في حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّ وجَلَّ: مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشرُ أمثالها، ومَنْ عَمِلَ سَيئةً فجزاؤه مثلها، ومَنْ اقْتَرَبَ إليَّ شَبْراً اقْتَرَبْتُ إليه ذِرَاعاً**»(٤).

---

(١) تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، ويُنسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة.
وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يُفضِّل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحُكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.
وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة. اهـ. من كلام ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية (٢/ ٤١٠) وقد أطال الكلام في هذه المسألة وذكر استدلال الفريقين من الكتاب والسنة.
ورجَّح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن حال المَلَك أفضل ابتداء، وأن حال الأنبياء والأولياء أفضل انتهاء. انظر تفصيل كلامه مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٠- ٣٩٢).
وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١/ ٥٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) كذا قال! ولم يتقدم لهذه الرواية ذكر فيما سبق.

(٤) تقدم ذكره برقم (٢) من هذا الفصل.

فدلَّ هذا على أنَّ المراد بذلك التَّضْعيف، ولا يكون المراد به السَّير وإنَّما سَمَّاه ذلك تَوسعاً كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ﴾ [سبأ: ٥]. والسَّعْي هو العَدْو والإِسْراع في المشي، وليس ذلك بمراد أنهم مَشَوا، بل المراد بذلك استعجالهم المعاصي، ومبادرتهم إلى فعلها، كذلك ها هنا، والذي يَدلُّ على صحة هذا التأويل ما تقدم في حديث أبي هريرة: «ومَنْ جَاء يَمْشي أقْبلُ الله إليه بالخير يُهرول» وقد ذكرنا إسناده[1] وهذه لفظه زائدة قضينا بها على غيرها من الألفاظ المطلقة.

ويعضد ذلك تفسير السلف:

٤٢١- وهو ما: نا أبو عبد الله بن البغدادي عن ابن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أحمد بإسناده: عن أنس عن النبي ﷺ أنَّه ذكر الحديث قال قتادة: «والله أسْرَعُ بالمغْفِرة»[2].

ويُفارق هذا ما تقدَّم من أخبار النُّزول إلى السَّماء الدنيا، ومجيئه في ظُلَلٍ من الغَمام، وأنَّها محمولة على ظاهرها في نُزول الذات ومجي الذات، لا على وجه الانتقال، ولم يَجُزْ تأويله على نزول ثوابه وكراماته، لأنَّه لم يَرِدْ في ألفاظه ما دلَّ عليه، وها هنا قد جاء التفسير من النبي ﷺ فلهذا حملناه عليه.

***

(١) وهو المتقدم برقم (٣) من هذا الفصل.

(٢) تقدم تخريجها برقم (١) من هذا الفصل.

[حديثٌ آخرُ]

٤٢٢- ناه أبو القسم بإسناده: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدُ الله على الجماعة»[١].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في الفتن (٤/ ٤٦٦) بلفظ: «يد الله مع الجماعة» والحاكم في المستدرك (١/ ١١٦) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٢) ولفظه عندهما: «لا يَجمعُ الله أُمتي- أو قال هذه الأمة- على الضلالة أبداً، ويد الله على الجماعة» كلهم عن عبد الرزاق ثنا إبراهيم بن ميمون أخبرني عبد الله بن طاووس عن أبيه أنه سمع ابن عباس فذكره.
قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.
وقال الحاكم عن إبراهيم بن ميمون: عدَّله عبد الرزاق وأثنى عليه، وعبد الرزاق إمام أهل اليمن وتعديله حجة.
وزاد الذهبي: ووثقه ابن معين.
وقال الحافظ في التقريب: ثقة.
* وله شاهد من حديث ابن عمر:
أخرجه الترمذي (٤/ ٤٦٦) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٦٢٤) والحاكم (١/ ١١٥- ١١٦) وعنه البيهقي في «الأسماء» (ص٣٢٢) من طرق عن المعتمر بن سليمان عن سليمان المدني أبي سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً «إنَّ الله لا يَجمعُ أُمتي- أو قال أُمة محمدٍ ﷺ على ضلالةٍ، ويَدُ الله مع الجماعة، ومَنْ شَذَّ شذَّ إلى النار».
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان، وقد روى عنه أبو داود الطيالسي وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم.
قلت: ونقل في «العلل الكبير» (٢/ ٨١٧) عن البخاري قوله: إنه منكر الحديث.
وقال الحافظ: ضعيف.
وأشار الحاكم إلى أنه اختُلِف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أوجه ثم قال: «وقد روى هذا الحديث بأسانيد يصح بمثلها الحديث، فلابد أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد...».
وقال الحافظ في التلخيص: ويمكن الاستدلال بحديث معاوية مرفوعاً: «لا يَزالُ من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله، لا يضرهم مَنْ خَذَلَهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله» أخرجه الشيخان، ووجه الاستدلال منه: أنَّ بوجود هذه الطائفة القائمة بالحق إلى يوم القيامة، لا يحصل الاجتماع على الضلالة. =

٤٢٣- ورواه أبو بكر النجاد في سننه وأبو عبد الله ابن بطة بإسناده: عن أسامة بن شريك عن النبي ﷺ أنه قال وَوَضَعَ يده على فيه: «**يَدُ الله على الجَمَاعةِ، فإذا شَذَّ الشَّاذُّ تَخْطَّفَه الشَّيطانُ، كَما يَتخَطَّفُ الذِّئبُ الشَّاذَّ مِنَ الغَنَم**»[1].

= * ولمعتمر فيه شيخ آخر:
فقد أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٣٦٢٣) حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا معتمر بن سليمان عن مرزوق مولى آل طلحة عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً به، دون قوله: «ومن شذَّ شذ في النار».
ذكر الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٨) وقال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح، خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة.
وصحَّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: «يدُ الله فوق الجماعة، فمن شذَّ لم يُبال الله بشذوذه».
أخرجه أبو عبد الله ابن بطة في الإبانة (١/ ٢٨٩) بإسنادٍ صحيح عنه.
ويشهد للحديث ما بعده.
* فائدة: قال أبو عيسى الترمذي عقب إخراجه الحديث السابق: وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهلُ الفقه والعلم والحديث، قال: وسمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت علي بن الحسن يقول: سألت عبد الله بن المبارك: مَنْ الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلانٌ وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان؟ فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزةَ السُّكَّريُّ جماعة.
قال أبو عيسى: وأبو حمزة هو محمد بن ميمون، وكان شيخاً صالحاً، وإنما قال هذا في حياته عندنا.

(١) إسناده ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨١) مختصراً والطبراني في الكبير (١/ ٤٨٩) عن عبد الأعلى بن أبي المساور عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك مرفوعاً به.
وفي سنده ابن أبي المساور، ضعيف الحديث، وقال بعضهم متروك (التهذيب).
* وله طريق آخر:
فقد أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٤٤) عن محمد بن معلى حدثنا سليمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة به.
وسليمان بن عبد الرحمن وهو ابن ثوبان العامري، ترجمة كلٌ من البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه شيئاً، وذكره ابن حبان في الثقات كما في التهذيب.

اعلم أنَّ الكلام في هذا في فصلين: أحدهما: في «اليد» والثاني في قوله: «على الجماعة».

أما الأول: فإنه غيرُ ممتنعٍ حمل اليد ها هنا على أنها يد صفة للذات كقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وكذلك قوله: «**قَلْبُ العَبْدِ بين أَصْبُعَين مِنْ أَصَابع الرَّحْمَنِ**» على أنها صفةٌ للذات كذلك ها هنا.

فإن قيل: إنَّما لم تُحمل[1] اليد في خلق آدم على الذات، لأنَّ في ذلك إبطال فضيلة آدم وتشريفه على إبليس، لأنَّ إبليس أيضاً مخلوق بالذات.

قيل: قد أجبنا عن هذا السؤال في حديث «الساعد» بما فيه كفاية[2]، وعلى أنَّ الخبر قُصِدَ به تشريفُ الجماعةِ ومدحِها، والحثُّ على متابعتها وذمُّ مفارقتها، فإذا حُمل الخبر على الذات أبطلنا فضيلة الجماعة، لأنَّ غير الجماعة هو معها.

فإن قيل: تُحمل اليد ها هنا على الذات، كقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١] معناه: مما عملنا، وكقوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور: ٣٣]. معناه: مما ملكتم أنتم، كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. معناه: المالك لعقدة النكاح، لأنَّا رأينا من يملكه مقطع اليد.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه إنْ جازَ تَأْويل اليد ها هنا على الذات؛ جاز تأويل قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على الذات، ولأنَّ هذا يؤدي إلى جواز القول بأنَّ الله يد! لأنه قد عبَّر عن الذات باليد! وأنَّه يجوز أنْ يُدْعىٰ فيقال: يا يد اغفر لنا، وقد أجمعت الأمة على خِلافه.

---

(١) في الأصل مهملة النقط، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(٢) تقدم .

وجواب آخر

وهو أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص بالجماعة، لأنَّ ذاته مع الواحد أيضاً فعلم أنَّ تخصيص الجماعة له فائدة. وأمَّا قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١]. فإنما انتقلنا عن ظاهره لدليل، وهو حصول الإجماع على أنَّه لم تُخْلقِ الأنعام بيده، ومنه قول النبي ﷺ: «إنَّها جُزْءٌ مِنْ جُزْءٍ»[(١)] وكذلك قوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النور: ٣٣]. قد دلَّ الدليل على أنَّ المراد به ملكنا من العبيد، وكذلك قوله: ﴿بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. قام الدليل على أنَّ المراد به الملك، وليس ها هنا ما دل على ذلك فحملناه على ظاهره.

الفصل الثاني

في قوله «على الجماعة» معناه هو معهم بالنُّصرة لهم.

٤٢٤- وقد قال أحمد في قوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦]. أَدْفَعُ عنكما، وقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. في الدَّفْع عنَّا، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. يقول في النصر لهم على عدوهم، وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

في النصر لكم على عدوكم، والوجه منه[(٢)] أنَّ الخبر قُصِدَ به الترغيب في لزوم والجماعة.

---

(١) لم أجده!

(٢) قوله منه، رسمه في الأصل محتمل لما هنا، ولأن يكون «فيه» وهو أولى اهـ. من خط الناسخ.

٤٢٥- وقد روى أبو عبد الله بن بطة بإسناده: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«مَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ، ثُمَّ ماتَ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّة»**(١).

٤٢٦- وروى النُّعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ: **«الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، والفُرْقَةُ عَذَابٌ»**(٢).

٤٢٧- وروى معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الشَّيطانَ ذِئْبُ الإِنْسَانَ كَذِئْبِ الغَنَم، يَأخُذُ الشَّاذَّةَ والقَاصِيَةَ والنَّاحِيَة، وإيَّاكُم والشِّعَاب، وعَليكم بالجَمَاعة»**(٣).

---

(١) «الإبانة» لابن بطة (١/ ١٠٨) عن شبابة بن سوار حدثنا مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن زياد بن رياح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بهذا اللفظ مختصراً.
وقد أخرجه مسلم في الإمارة (٣/ ١٤٧٧) عن عبد الرحمن بن مهدي حدثنا مهدي بن ميمون به مع الزيادة الآتية.
وأخرجاه من طرق أخرى عن غيلان بن جرير عن زياد بن رياح به.
وفيها زيادة «ومن قاتل تحت رايةٍ عُمِّيَّة، يغضب لِعَصَبةٍ، أو يدعو إلى عَصَبة، أو ينصر عصبة، فَقُتل فَقِتْلَةٌ جاهلية، ومَنْ خَرَج على أُمتي يَضربُ برَّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مُؤمنها، ولا يَفي لذي عهدٍ عده، فليس مني ولستُ منه».

(٢) حديث حسن، أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨، ٣٧٥) وابنه عبد الله في زوائده (٤/ ٢٧٨) وابن أبي عاصم في السنة (٩٣) وابن بطة في الإبانة (١/ ١١٧) والقضاعي في مسنده (١٥) والبيهقي في الشعب (٤/ ٤٤١٩) من طرق عن أبي وكيع الجراح بن مليح عن أبي عبد الرحمن القاسم بن الوليد عن الشعبي عن النعمان بن بشير مرفوعاً به.
ولفظه عند أحمد «مَنْ لم يَشْكر القَليل لم يَشكرْ الكثير، ومَنْ لم يشكر الناسَ لم يَشكر الله، والتَّحدث بنعمةِ الله شُكرٌ، وتركها كفرٌ، والجَمَاعة رحْمةٌ، والفُرقة عَذَابٌ».
وإسناده حسن، القاسم بن الوليد الهمداني وثَّقه ابن معين وابن سعد والعجلي وابن حبان وقال يخطئ، وأبو وكيع صدوق يهم، وقال النسائي: لا بأس به.
وحسَّنه الألباني في السنة.

(٣) إسناده منقطع، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٢- ٢٣٣) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٣٦) عن =

٤٢٨- وروى سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلكُم الفُرْقَة»[(١)].

٤٢٩- وقد روى ابن فورك[(٢)]: عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُم بالجَمَاعةِ فإنَّ يَدَ الله مَعَ الفُسْطَاط» وقال معنى الفسطاط: المدينة، ولذلك قيل لمصر فُسطاط، فيكون معناه: إنَّ الله مع السَّواد الأعظم ومع أهل الأمصار، وأنَّ من شَذَّ منهم وفَارَقَهم في الرأي، فليس على الحق.

٤٣٠- ورأيت هذا الحديث في «غريب الحديث» لابن قتيبة[(٣)] فقال: يرويه

= سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن العلاء بن زياد عن معاذ مرفوعاً به.
وأخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣) عن عمر بن إبراهيم ثنا قتادة عن العلاء بن زياد عن رجل حدثه يثق به عن معاذ به.
والعلاء هو العدوي أبو نصر البصري، ثقة من عُبّاد أهل البصرة وقرّائهم، لكنه لم يسمع من معاذ، كما في التهذيب.
وقريبٌ من معناه: حديث ابن عمر عن عمر أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالجَمَاعة، وإياكم والفُرْقَة، فإنَّ الشيطانَ مع الواحِدِ، وهو من الإثنين أبْعَد، ومَنْ أرادَ بُحْبُحة الجنةِ فعليه بالجَمَاعة».
وهو حديث صحيح، أخرجه أحمد (١/ ١٨) والترمذي (٤/ ٤٦٥- ٤٦٦) وابن أبي عاصم في السنة (٨٨) واللفظ له والبخاري في التاريخ الكبير مُعلّقًا (١/ ١٠٢) والحاكم (١/ ١١٤- ١١٥) وغيرهم وفيه زيادات غير ما سقناه هنا.

(١) لم أجده.

(٢) «مشكل الحديث» (ص١٤٢- ١٤٣) معلقاً عن مكحول عن ابن هريرة مرفوعاً به.

(٣) (١/ ٣١٨).
وذكره في الفائق (٣/ ١١٦) والنهاية (٣/ ٤٤٥).
وإسناده ضعيف منقطع، مكحول لم يسمع من أبي هريرة كما في التهذيب وغيره، وسُويد ابن عبد العزيز الدمشقي ضعيف.

سُوَيد بن عبد العزيز عن النُّعمان بن المنذر عن عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**عَلَيْكُ بالجَمَاعَةِ فإنَّ يَدَ الله عَلى الفُسْطَاط**» وتكلَّم عليه نحو ما تكلم به ابن فورك، وزادَ عليه بما هو في معناه.

❋ ❋ ❋

[حَديثٌ آخَر في هذا المعنى]

٤٣١- ناه أبو عبد الله البغدادي قال قرئ علي أبي الحسين عبد الله بن إبراهيم ابن جعفر بن بيان الزبيبي(١) قلت: حدثكم الحسن بن عَلُوية هو العطار قال: نا إسماعيل بن عبد الرحمن أبو إبراهيم الأعرج قال: نا عمر بن حفص قال: نا ثابت البُنَاني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدُ الرَّحْمن عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَأْسِ المؤذِّن حَتَّى يَفْرغ مِنْ أَذَانِه، وإنَّه لَيُغْفر له مَدَّ صَوْتِهِ**»(٢).

٤٣٢- وفي معناه ما حَدَّثناه أبو القسم قال: نا القاضي عمر بن سنبك قال: نا محمد بن محمد بن سليمان الواسطي: نا سويد بن سعيد الحدثاني: نا معتمر(٣) بن سليمان عن جعفر بن الزبير عن القسم عن أبي أَمَامَة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا الْتَقَى صَفَّانِ قَط إلا كانَ كَفُّ الرحْمَنِ جلَّ اسْمُهُ بينهما، فإذا أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَ إِحْدى الطائفتين أَمَال كَفَّه نَحْوه وانْكَفَأ**»(٤).

---

(١) في الأصل: الزينبي، والتصويب من تاريخ بغداد (٩/ ٤٠٩).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط- كما في المجمع (١/ ٣٢٦)- والخطيب في «تاريخه» (١١/ ١٩٣).

قال الهيثمي: وفيه عمر بن حفص العبدي، وقد أجمعوا على ضعفه. اهـ وهو كما قال.

(٣) في الأصل: معمر! وهو خطأ والتصويب من التهذيب وغيره.

(٤) إسناده ضعيف جداً، فيه جعفر بن الزبير وهو الدمشقي، قال البخاري: تركوه، وقال الذهبي في الكاشف: عابدٌ ساقط الحديث.

ولم أجد من أخرجه بهذا الإسناد.

لكن قد أخرجه ابن أبي حاتم موقوفاً بسند آخر في «العلل» (١/ ٣٣٧) قال: سألت أبا زرعة عن حديث حدَّثناه عن شعيب بن يوسف النسوي- وقال كتبت عنه منذ أربعين - عن معاذ بن هشام عن أبيه عن علي بن الحكم عن أبي صفوان عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: «ما الْتَقَى صَفَّان إلَّا بينهما يدُ الله، فإذا أَمَالها على هؤلاء انْهزَموا هؤلاء، وإذا =

٤٣٣- وفي معناه ما نا أبو القسم قال: نا عبيد الله بن محمد بن أحمد المقري قال: نا أحمد بن عيسى بن جمهور: نا عمر بن شَبَّةَ: نا يحيى بن سعيد القطّان عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا أَرَادَ الله عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً للخِلَافَةِ مَسَحَ نَاصِيَتَه بِيَمِينِه»**(١).

= أمَالها على هؤلاء انهزموا هؤلاء».
ثم قال: قلت لأبي زرعة: يُسمي أبو صفوان هذا؟ قال: لا يُسمي، ثم سألت أبي عن أبي صفوان هذا، فقال: هو حميد بن قيس الأعرج المكي. اهـ
قلت: وهو ثقة قد تُكلِّم فيه، وعلي بن الحكم هو البناني ثقة، والإسناد إليهما حسن.

(١) في سنده أحمد بن عيسى بن جمهور، قال الخطيب في تاريخه (٤/ ٢٨١): في أحاديثه غرائب، ونقل عن ابن الأزرق السقطي أن جده قال له عنه إنه: ثقة، وباقي الإسناد حسن.
وقد روي بإسناد آخر، فقد أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٩٨- ١٩٩) وأبو أحمد ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٦٢) والخطيب في تاريخه (١٠/ ١٤٧) كلهم عن عبد الله ابن موسى بن شيبة ثنا مصعب بن عبد الله النوفلي عن ابن أبي ذئب به.
قال ابن عدي: هذا حديث منكر بهذا الإسناد، والبلاء فيه من مصعب بن عبد الله النوفلي ولا أعلم له شيئاً آخر.
وقال العقيلي في ترجمته: مجهولٌ بالنقل، حديثه غير محفوظ ولا يتابع عليه.
وذكره الشوكاني في الموضوعات (ص٤٨٨) وقال: ورواه الخطيب عن أنس مرفوعاً، وفي إسناده: مسرة بن عبد الله مولى المتوكل، وهو ذاهب الحديث.
قال: وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس مرفوعاً وزاد: «لا تقع عليه عينٌ إلا أحَبَّته».
قال الحاكم: رواته هاشميون معروفون بشرف الأصل!
قال ابن حجر في الأطراف: إلا أن شيخ الحاكم ضعيف، هو من الحفاظ، يعني: أبا بكر ابن أبي دارم. اهـ.
انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥٠) واللآلئ المصنوعة (١/ ١٥٤- ١٥٥).
وأخرجه الخطيب- كما في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٥٤- ١٥٥)- عن كعب بن مالك مرفوعاً: «ما اسْتَخلَفَ الله تعالى خليفةً حتى يَمسح نَاصيته بيمينه» ثم أعلّه بابن شبيب- وهو عبد الله بن شبيب الربعي- قال: ليس بشيء وضعَّفه الدارقطني، وقال في الميزان: إخباريٌ علّامة لكنه واه.

اعلم أنَّ قوله: «**يَدَ الله على رأس المؤذِّن**» القول فيه كالقول في «**يد الله على الجماعة**» لأنَّه في معناه، لأنَّه قُصِدَ به المدح والثناء، وأما قوله: «**مسح على ناصيته بيميته**» القول فيه كالقول[1]: «**لما خَلَقَ آدم مَسَحَ ظهره فاستخرج الذُّريَّة بعضُها بيمينه وبعضها بشماله**» وأنَّ ذلك على ظاهره.

وأمَّا قوله: «**كَفُّ الرحمن بينهما**» فيحتمل أنْ يكون المراد به نَصْرُهُ معهما، لأنَّ دلالة الحال تدلُّ عليه، وهو القتال، كما قال أحمد في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]. حمله على النُّصرة لدلالة الحال.

❊ ❊ ❊

(١) كذا في الأصل ولعله سقط حرف «في» وقد نبه عليه والذي قبله الناسخ.

[حديثٌ آخر]

٤٣٤- رواه ابن فُورك[١] ثم رأيته بعد ذلك في «**غريب الحديث**» لابن قتيبة فقال: حدثنيه أبو الخطاب زياد بن يحيى بن حَسَّان قال: نا أبو عتاب عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي قال: حدثني عدي بن ثابت عن البراء بن عَازِب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ فُلاناً هَجَاني وَهُوَ يَعْلَم أنِّي لَسْتُ بشَاعِرٍ، فاهْجُهُ اللهمَّ، والْعَنْه عَدَدَ مَا هَجَاني**»[٢].

وتكلم على تأويله فقال: قوله: «**اللهم اهجه**» أيْ جَازِهِ على الهجاء كما قَالَ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وليس الثاني اعتداء ولا سيئة في الحقيقة، وإنَّما سُمِّيَ باسمه لَمَّا كان جزاء له. وكذلك قوله: ﴿يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]. وقوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩].

ومنه قول الشاعر[٣]:

ألا لا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهل فَوقَ جَهْلِ الجَاهِلينَا

فمسى الجزاء على الجهل جهلاً، كذلك قوله: «**فاهجه اللهم**» أي جَازِه على هجائه بعقوبة تحلها به.

واعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ على أصلنا إطلاقُ «الهجو» عليه سبحانه، لأنَّه الهجو

---

(١) «مشكل الحديث» لابن فورك (ص١٤٥) معلقاً دون إسناد.

(٢) لم أره في المطبوع من «غريب الحديث» في مظانِّه.

وإسناده حسن، رجاله ثقات سوى أبي عتاب وهو سهل بن حماد العنقزي أبو عتاب الدلال البصري، قال أحمد: لا بأس به، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: صالح الحديث شيخ «التهذيب».

(٣) هو عمرو بن كلثوم التغلبي.

والبيت من معلقته، انظر «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص١٠٢).

هو: الذَّم، وقد ذمَّ الله تعالى أبا لهبٍ بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]. وسَمَّتْ العرب هذه السورة هَجْوَ أبي لهبٍ، وكذلك الاستهزاء والسُّخْرية لا يمتنع وُصْفُ الله تعالى بهما، لأنَّ الاسْتهزاء والسخرية هو الانتقاص والاسْتِهانةِ، وقد ينتقص الله أقواماً ويُهَوَّن بهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «**الميزانُ بيد الرحمن، يَرفعُ أقواماً ويضعُ آخرين**»(١).

* * *

---

(١) حديث صحيح، سبق تخريجه في باب: إثبات صفة الأصابع.

[حديث آخر]

٤٣٥- ناه أبو القسم بإسناده، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله جَميلٌ يُحبُّ الجَمَالَ، ويُحبُّ أنْ يَرَى نعمه على عَبْدِه، ويُبْغِض البُؤسَ، والتَبَاؤُسَ»**[(١)].

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ١٠٥٥) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١٠٦٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٦٢٠١) عن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن محمد بن أبي ليلى عن أبيه عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به.
وفيه ضعيفان: عطية العوفي ومحمد بن أبي ليلى.
وليس عند أبي يعلى: «ويبغض البؤس والتباؤس».
لكن للحديث شواهد:
* منها حديث أبي هريرة:
أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٦٢٠٢) والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص١٤٢): عن حاتم بن يونس الجرجاني ثنا إسماعيل بن سعيد الجرجاني ثنا عيسى بن خالد البَلْخي ثنا ورقاء عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عز وجل إذا أَنعم على عبدٍ نعمةً يُحبُّ أن يَرى أثر النِّعمةِ عليه، ويكره البُؤسَ والتَّباؤُس، ويُبغضُ السَّائل المُلْحِف، ويُحبُّ الحييَّ العَفيف المُتَعفِّف».
قال البيهقي: وفي هذا الإسناد ضعف!
كذا قال! ولم يشر إلى سبب ضعفه، ورجاله ثقات، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٢٠).
* ومنها حديث زهير بن أبي علقمة الضبعي:
أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٥٣٠٨) عن سفيان عن أسلم المنقري عن زهير بن أبي علقمة الضبعي قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ سيءُ الهيئةِ فقال: «أَلَكَ مالٌ؟» قال: نعم، من كلِّ أنواع المال، قال: «فَلْيُرَ عليكَ، فإنَّ الله عز وجل يُحبُّ أن يَرى أثَرَه على عَبْده حُسْناً، ولا يحبُّ البؤس والتباؤس».
قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٣٢): ورجاله ثقات.
وقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤٢٦) عن سفيان عن أسلم المنقري عن زهير ابن علقمة مرفوعاً: «إن الله يحبُّ أنْ يَرَى أثره على عبده».
قال الحافظ في الإصابة (١/ ٥٥٤): زهير بن علقمة ويقال: ابن أبي علقمة البجلي أو =

٤٣٦- وناه أبو القسم بإسناده: عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله جَميلٌ يحبُّ الجمال، وجوادٌ يحب الجود، وكريمٌ يحب الكرماء، طيبٌ يحب الطيب، ونظيف يحبُّ النظافة، فَنَظِّفوا بيوتكم، ونظِّفوا ساحَاتِكم ولا تَشَبَّهوا باليهود تجمعُ الأكْنَاسَ في دُورها»[(١)].

= النخعي... قال البغوي: لا أعرف له صُحبة إلا أنهم أدخلوه في المسند، وقال ابن السكن: لا صحبة له، وروى البخاري في التاريخ... فذكر الحديث ثم قال: قال البخاري: لا أراه إلا مرسلاً.

قلت: وقد ذكره الألباني في السلسلة في شواهد الحديث السابق، وقال: إسناده صحيح!

* وشاهد من حديث عمران بن حصين:

أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٦٢٠٠) عن أبي رجاء العطاري قال: خرج علينا عمران ابن حصين وعليه مُطْرَفٌ خَزٌ فقلنا: يا صاحب رسول الله تلبس هذا، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب إذا أنعم على عبد نعمةً، أن يرى أثر نعمته عليه».

وإسناده حسن، رجاله ثقات سوى فضيل بن فضاله فإنه صدوق.

والمُطْرف: هو رداء مربع ذو أعلام.

وأخرج مسلم في الإيمان (١/ ٩٣) من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إن الله جميل يحبُّ الجمال...».

وللحديث شواهد أخرى انظر شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ١٦١- ١٦٤) والسلسلة الصحيحة (١٣٢٠).

(١) حديث ضعيف، أخرجه الترمذي في الأدب (٥/ ٢٧٩٩) عن خالد بن إلياس- ويقال ابن إياس - عن صالح بن أبي حسان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: إنَّ الله طيِّبٌ يُحب الطِّيبَ، نَظيفٌ يحبُّ النظافة، كريمٌ يحبُّ الكَرَم، جَوادٌ يحبُّ الجود، فنظفوا أفْنِيتكم ولا تشبهوا باليهود» قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال حدثنيه عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي ﷺ مثله، إلا أنه قال: «نظِّفوا أفنيتكم».

قال الترمذي: حديث غريب، وخالد بن إلياس يُضعَّف.

وهو كما قال.

وله شواهد تشهد لمعناه، منها ما تقدم في الحديث السابق، ومنها ما أخرجه مسلم في =

اعلم أنه غير ممتنع وصْفُه تعالى بالجَمَال، وأنَّ ذلك صفةٌ راجعةٌ إلى الذات، لأنَّ الجمال في معنى الحُسْن، وقد تقدم في أول الكتاب قوله: **«رأيتُ ربِّي في أحسن صُورة»** وبيَّنَّا أنَّ ذلك صفةٌ راجعة إلى الذات كذلك ها هنا، ولأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته، ولا يُخرجها عما تستحقه، لانَّ طَريقَه الكمال والمدح، ولأنه لو لم يُوصف بالجمال جاز أنْ يُوصف بضدِّه وهو القُبْح، ولَمَّا لم يَجزْ يُوصف بضده؛ جاز أنْ يُوصف به، ألا تَرَى أنَّا وصفناه بالعلم والقدرة والكلام، لأن في نفيها إثباتُ أضدادها وذلك مستحيلٌ عليه، كذلك ها هنا.

فإن قيل: قوله: «جميل» بمعنى: مُجَمِّل مَنْ شاء مِنْ خَلْقه، لأنَّ فعيل قد يجيء على معنى: مُفعل، ومنه قولنا: حكيمٌ والمراد محكم لما فعله[1].

قيل: هذا غلطٌ، لأن الخبر وَرَد على سبب، وهو الحثُّ لهم على التَّجمُّل في صفاتهم، لا على معنى التجميل في غيرهم، فكان مقتضى الخبر: إنَّ الله جميلٌ في ذاته يجب أنْ تتجملوا في صفاتكم، فإذا حُمِل الخبر على فعل التجميل في الغير، عدل بالخبر عمَّا قُصِدَ به.

***

= الزكاة (٢/ ٧٠٣) وأحمد (٢/ ٣٢٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها النَّاسُ، إنَّ الله طَيِّبٌ ولا يَقبلُ إلا طيِّباً، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بما أَمَرَ به المُرسلين...» الحديث.

(١) وهو ما تأوله ابن فُورك، انظر «مشكل الحديث» (ص١٤٧) وكذا ما يأتي من التأويلات الباطلة.

[حديث آخر]

٤٣٧- ناه أبو القسم بإسناده: عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة وأنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله رَفيقٌ يحبُّ الرِّفق، ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العُنف»**(١).

(١) حديث صحيح علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
فأخرجه أحمد (١/ ١١٢) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٣٣٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣٣٦- ٣٣٧) عن عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان قال أبي: سمعته عن عبد الله بن وهب بن منبه عن أبي خليفة عن علي مرفوعاً به.
وأبو خليفة هو الطائي البصري، قال إبراهيم بن عمر بن كيسان: قلت لأبي: مَنْ أبو خليفة هذا؟ قال: قَرَأَ عليٍّ.
وقال الحافظ في التقريب: مقبول.
* وأما حديث أبو هريرة رضي الله عنه:
فأخرجه ابن ماجة (٢/ ٣٦٨٨) وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٨٠- ٣٨١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٠٦) عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وإسناده صحيح.
* وأما حديث أنس رضي الله عنه:
فأخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٨١- ٨٢) وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٥/ ٢٣٢- ٢٣٣) والبزار (٢/ ٤٠٣- زوائد) والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٨٠) والخطيب في التاريخ (٦/ ١٢٤) عن سعيد بن محمد الجَرْمي ثنا أبو عبيدة الحداد عبد الواحد بن واصل ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعاً به.
وإسناده حسن من أجل الجرمي فإنه صدوق.
وأخرجه الطبراني في الأوسط بسند آخر- كما في مجمع البحرين- عن الحسن بن عيسى الحربي ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن أنس فذكره.
* وللحديث طرق أخرى منها: حديث عائشة رضي الله عنها:
أخرجه أحمد (٦/ ٣٧، ٨٥، ١٩٩) والبخاري (١٠/ ٤٤٩) (١١/ ٤١- ٤٢) (١٢/ ٢٨٠) ومسلم في السلام (٤/ ١٧٠٦) عن الزهري عن عروة عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخل رَهْطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ عليكم، قالت عائشة: =

اعلم أنه غير ممتنع وَصْفه بالرفق، لأنه ليس في ذلك ما يُحيل على[1] صفاته، وذلك أنَّ الرفقَ هو الإحسان والإنعام، وهو موصوفٌ بذلك لما فيها من المدح، ولأنَّ ذلك إجماعُ الأمة، لأنهم يقولون: يا رفيقُ ارْفُقْ بنا في أحكامك، ولأنه إنْ امتنعَ وَصْفه بالرفق، جازَ وَصْفُهُ بضدِّه.

* * *

= فَفَهمتُها فقلت: وعليكم السَّامُ واللَّعنةُ، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مَهْلاً يا عائشة! إنَّ الله يُحبُّ الرِّفْقَ في الأَمْرِ كلِّه»، فقلت: يا رسول الله، أَوَ لم تسمعْ ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قُلْتُ: وعليكم».

وأخرجه مسلم في البر (٤/ ٢٠٠٣- ٢٠٠٤) عن أبي بكر بن حزم عن عَمْرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله قال: «يا عائشة إنَّ الله رفيقٌ يُحبُّ الرفقَ، ويُعطي على الرفقِ ما لا يُعطي على العُنْف، وما لا يُعطي على ما سِواه».

وحديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه:

أخرجه أحمد (٤/ ٨٧) والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٢) وأبو داود (٥/ ٤٨٠٧) والدارمي (٢/ ٣٢٣) عن حماد بن سلمة عن يونس وحميد عن الحسن عن عبد الله بن مغفل أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله رفيقٌ يُحبُّ الرفق، ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العُنْف». وإسناده صحيح.

* ومنها حديث خالد بن مَعدان مرسلاً:

أخرجه مالك في الموطأ في الاستئذان (٢/ ٩٧٩) عن أبي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن خالد بن مَعْدان يرفعه: «إنَّ الله تبارك وتعالى رَفيقٌ يحبُّ الرفق ويَرْضَى به، ويُعينُ عليه ما لا يُعين على العُنف، فإذا ركبتم هذه الدواب فأنزلوها منازلها...».

(١) كذا في الأصل بزيادة «على» ولعلها سهو من الناسخ.

[حديثٌ آخر]

٤٣٨- ناه أبو القاسم قال: نا أحمد بن عبد العزيز بن جعفر إجازة قال: نا أبو الطيب عبد الله بن محمد بن فراح قال: نا بشر بن موسى ومحمد بن مسلمة قالا: نا حرملة قال: حَدَّث سليمان بن حميد أنه سمع محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز قال: إذا فَرَغَ الله مِنْ أهلِ الجنة وأهل النار، أقْبَل يمشي في ظُلَلٍ من الغَمَام والملائكة، فيقفُ على أولِ أهلِ درجةٍ فيُسلِّم عليهم فيردون عليه السلام وهذا في القرآن: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ فيقول: «**سَلوني، فيقولون: ماذا نَسألك، فَوَعَزَّتِكَ وجَلالك وارْتِفَاعِك في مَكانِكَ، لو أنَّكَ قَسَمْتَ**[1] **علينا رِزْقَ الثَّقلين الجن والإنس لأطْعَمناهُم وأسْقَيْناهُم، ولا يَنْقُص ذلك مما عِنْدَنَا، قال: بلى سَلُوني، قالوا: نَسْئَلك رِضَاكَ، قال: رضائي أُحِلُّكُم دَار كَرامتي، فيفعل هذا بأهلِ كلِّ دَرَجةٍ حتى يَنْتَهِي إلى مَجْلِسِه، ولو أنَّ امْرَأةً مِنَ الحُور اطَّلَعَت بِسِوارِها مِنَ العَرْشِ، لأَطْفَأَ نورَ سِوارِها الشَّمْس والقمر**»[2].

اعلم أنَّ الحديث وإنْ كان موقوفاً، فإن ظاهر القرآن يشهد له وهو قوله

---

(١) في الأصل: أقسمت، وهو خطأ والتصويب من ابن جرير وغيره.

(٢) أثر مقطوع، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ١٥) من طريقين عن حرملة عن سليمان بن حميد قال: سمعت محمد بن كعب يحدث عمر بن عبد العزيز... فذكره مع اختلاف يسير وليس فيها ذكر العرش.

وهنا جعله المصنف من مسند عمر بن عبد العزيز، وعزاه في الدر المنثور (٧/ ٦٦) إلى أبي نصر السِّجْزي في الإبانة من قول محمد القرظي كما هو عند ابن جرير.

وسليمان بن حميد ذكره ابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦) وقال: روى عنه... حرملة بن عمران، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]. وروى بعض هذه الألفاظ مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

٤٣٩- حدثنا أبو القسم عن أبي الفتح قال قُرئ على أبي القسم بن بنت منيع وأنا أسمع حدثكم محمد بن حميد الرازي نا إبراهيم بن المختار قال: نا ابن جُريج أنَّ زَمعة بن صالح أخبره أنَّ سلمة بن وهرام أخبره عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ مِنَ الغَمَام طَاقَات يأتي الله تعالى فيها مَحفُوفًا بالمَلائِكَةِ، وذلك قوله تعالى:** ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]»[(١)].

وإذا كان ظاهر القُرآن والسُّنَّة يشهد له؛ وَجَبَ إمراره على ظاهره، كما وجب إمرار غيره من الصفات، إذ ليس في ذلك ما يُحيل صِفَاته، وذلك أنَّا لا نصف مَشْيَهُ ووقوفه على أهل الدرجات وانتهاءه إلى مجلسه عن انتقال وزوال، بل نُطْلق ذلك كما أطلقنا استواءه على العرش، لا عن انتقال مع قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ و«ثُمَّ» في كلام العرب للمُهْلة والتَّراخي، وكما أثْبتنا تجليه للجبل ولموسى لا عن انتقال، كذلك ها هنا.

ويشهد لهذا الخبر على أصولنا نزوله إلى سماء الدنيا، ووضعه القدم، ووطيه بَوج، وقد تقدم الكلام في ذلك[(٢)].

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن جرير (٢/ ١٩١) عن محمد بن حميد به.

وإسناده ضعيف، فيه ثلاثة من الضعفاء: زمعة بن صالح وإبراهيم بن المختار وابن حميد الرازي.

وذكره الديلمي في الفردوس (٨٠٠).

وأخرج عبد بن حميد وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم- كما في الدر (١/ ٥٨٠)- عن ابن عباس في هذه الآية قال: «يأتي الله يوم القيامة في ظُلَلٍ من السَّحاب قد قُطِّعَتْ طَاقَات».

(٢) انظر الجزء الأول (ص٢٥٥) من كتابنا هذا.

فإن قيل: محمد بن كعب وَقَع إليه كتب من يهود قريظة، فكان ينظر فيها فيروى عنها، وقيل: إنَّ الذي رواه عنه زمعة وسلمة بن وهرام وعكرمة وكلهم ضعفاء(١).

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ الحديث الذي رويناه غير موقوفٍ على محمد بن كعب، وإنما رواه عن عمر بن عبد العزيز وهو من أعيان التابعين وعلمائهم.

ولو كان موقوفاً على محمد بن كعب لم يضر أيضاً، لأنَّ محمد بن كعب من العلماء الثقات، روى عن ابن عباس وعن جابر وغيرهما من الصحابة، ولا يجوز أنْ يُظَن به أنَّه يروى في شرعنا ما هو باطلٌ منسوخ، ويجب أنْ يُحسن الظن فيه(٢).

ولأنَّا قد بينَّا فيما تقدم أنْ سائر الشرائع لا تختلف فيما يتعلق، بصفات الله تعالى.

وأمَّا قولهم: رواه زمعة وسلمة وعكرمة وهم ضعفى(٣)، فلا يصح لأنَّ الإسناد الذي رويناه من طريق محمد بن كعب ليس فيه واحد من هؤلاء، وإنما ذلك في حديث ابن عباس، وقد ذكرنا طريق إسناد محمد بن كعب مع أنَّ هؤلاء ثقات عدول، لا نعلم أحَداً أطعن عليهم ولا قدح في عدالتهم ولا امتنع من الرواية عنهم.

---

(١) أما سلمة بن وَهْرَام وعكرمة، فليسا من الضعفاء كما هو مقررٌ في كتب الرجال، وأما زمعة ابن صالح الجندي فضعيف، وقد أخرج له مسلم مقروناً.

(٢) هو عالم جليل له اطلاع على تفسير كتاب الله تعالى:
قال ابن حبان: كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً.
وقال عون بن عبد الله: ما رأيت أحدًا أعلم بتأويل القرآن منه.
وقال العجلي: مدني تابعي ثقة، رجل صالح عالم بالقرآن. (انظر التهذيب ٩/ ٤٢١).

(٣) كذا في الأصل.

فإن قيل: نحمل قوله: «يمشي» يرجع إلى أفعاله، مثل قولنا: يعدل ويحسن ويخلق ويحرك ويشكر، وقوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. معناه: مقدرها ومدبرها، أو على فوق الغمام، لا على أنه فيها كقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٢]. أي: فوقها، وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١][(١)]. أي: على جذوعها، ويحتمل أنْ يُحمل وقوفه على أهل الدرجات يعني يُكرم أهل الدرجات درجة بعد درجة، وقوله: «**حتى ينتهي إلى مجلسه**» معناه العود إلى أفعاله قبل أنْ يُحدث لهم ما أحْدث، كما يقال: جاء الخير يَغْدُوا عَدْواً، والمراد به سرعة الإقبال عليك[(٢)].

قيل: هذا غلطٌ، أما حمل المشي على أفعاله فلا يصح، لأنَّ فيه إسقاط فائدة التخصيص بذلك اليوم، لأنَّ أفعاله وأوامره جائزة قبل ذلك اليوم، ولأنَّه أضاف ذلك إلى الغمام، وذلك غير مختص به، ولأنَّه إنْ جاز حمله على ذلك؛ وجب أن يحمل قوله: «ترون ربكم» على رؤية أفعاله، وكذلك تجليه للجبل على ظهوره أفعالِهِ، ولمَّا لم يجز ذلك هناك، كذلك ها هنا.

وأمَّا تأويل قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾على تدبيرها فلا يصح، لأنَّه لم يزلْ مُدبراً لها في دار الدنيا، فيجب أنْ يكون لهذا التخصيص بذلك اليوم فائدة، وقولهم لذا نحمل «في» بمعنى «على»، فإنما يجب الامتناع من إطلاق ذلك إذا كان فيه إثباتُ الظَّرف والمكان، ونحن لا نصفه بالظَّرفية والمكان، بل نصفه بذلك على نحو ما وصفناه جميعاً بالعلو على العرش، لا على معنى الجهة، وإنْ كنَّا نعلم أنَّ العُلُو ضد السُّفلْ، وكما نُجيز رؤيته

---

(١) وردت الآية في الأصل بلا حرف الواو «لأصلبنكم» والصواب إثباتها.
(٢) انظر هذه التأويلات في «مشكل الحديث» لابن فورك (ص١٤٩- ١٥٠).

في الآخرة لا في جهة، وكما نحن في علم الله لا على معنى الظرف.

وأمّا تأويلهم «الانتهاء إلى مجلسه» على العود إلى أفعاله؛ فلا يصح، لأنَّ الأفعال لا تُسمى مجلساً في لغة العرب، وعلى أنَّه إنما يجب الامتناع من إطلاق المجلس إذا أريد به المكان والجهة، فأما إذا لم يُردْ به ذلك لم يمتنع إطلاقه، كالاستواء على العرش.

***

[حديثٌ آخر ذكره ابن فورك ولم يقع لي][١]

عن النبي ﷺ قال: «دَخَلْتُ على رَبِّي في جَنَّةِ عَدْنٍ شَابًا جَعْداً في ثَوبَين أَخْضرَين»[٢].

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٢) «مشكل الحديث» (١٥٠).

ولم أجد الحديث بهذا اللفظ، وقد سبق نحوه من حديث ابن عباس وأم الطفيل في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص١٣٣) وما بعدها.

لكن معنى دخول الرسول ﷺ على ربّه ثابت في أحاديث أُخر منها: حديث الشَّفاعة الطويل، برواية أنس مرفوعاً وفيه: «... فيأتون عيسى فيقول: لستُ لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني فأقول: أَنَا لها، فَأَسْتَأذنُ على ربي فَيُؤذَنُ لي، ويُلْهِمُني مَحامِد أحمدُه بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامِد وأَخِرُّ له سَاجداً، فَيُقَال: يا محمد إرفع رأسك، وقُلْ يُسمع لك، وسَلْ تُعطَ، واشفَع تُشَفَّع، فاقول: يا ربِّ أُمتي أُمتي! فيقال: انْطَلق فأَخْرِج منها مَنْ كان في قلبه مِثْقالُ شَعيرةٍ من إيمان، فأنْطلق فأَفعل، ثم أعودُ فأحمدُه بتلك المحامدِ ثم أخرُّ له ساجداً...».

أخرجه البخاري في التوحيد (١٣/ ٤٧٣) ومسلم في الإيمان (١/ ١٨٠- ١٨٤).

وأخرجه البخاري (٨/ ٣٩٥) ومسلم (١/ ١٨٤- ١٨٦) وأحمد (٢/ ٤٣٥) من حديث أبي هريرة بنحوه، وفيه: «... فأَنطلق فآتي تحت العرش فَأَقع ساجداً لربي ثم يَفْتَحُ عَليَّ ويُلهمني من محامدِه وحُسْنِ الثَّناء عليه شيئاً لم يَفتحه لأحدٍ قبلي...» وهو صريحٌ جداً في دخوله على ربّه جلَّ شأنه وسجوده في حضرته.

وأما «الحَدُّ» فهو أيضاً من الألفاظ التي لم يأت بها الشرع، وما أحسن ما قال الإمام أبو القاسم التيمي الأصبهاني مُصنِّف كتاب «الحُجة في بيان المحجة» إذْ سُئل: هل يجوز أن يُقال: لله حدٌّ أو لا؟ وهل جَرَى هذا الخلاف في السلف؟

فأجاب: هذه مسألةٌ أَسْتَعْفي من الجواب عنها لغُموضها، وقلَّةِ وُقوفي على غَرَضِ السائل منها، لكني أُشير إلى بعض ما بلغني، تكلَّم أهل الحقائق في تفسير «الحدّ» بعباراتٍ مختلفة، محصولها أن حدَّ كل شيء: موضع بَيْنَونَته عن غيره، فإن كان غرضَ القائل: ليس لله حدٌّ: لا يحيط علم الحقائق به، فهو مُصيب، وإنْ كان غرضه بذلك: لا يُحيط علمُهُ تعالى بنفسه فهو ضالٌ، أو كان غرضه: إن الله بذاته في كل مكانٍ فهو أيضاً ضال. =

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ حَمل الخبر على ظاهره، في جواز دخوله عليه الجنة، على وجهٍ لا يُوجب الجهة والحدّ، كما جاز وصفه بالاستواء على العرش لا على معنى الجهة، وجواز رُؤيته في الآخرة لا في جهة، ولأنَّه قد قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ [الأنعام: ٣٠]. فإذا جاز إطلاق الوقوف عليه؛ كان إطلاق الدخول عليه أولى.

وأما الصفة التي ذكرها، فقد تقدم في أول الكتاب ذِكرها في حديث ابن عباس وأمّ الطُّفيل، وبَيَنَّا أنَّه غير ممتنعٍ إطلاق ذلك عليه، لا على وجه التشبيه والأبعاض والأجزاء، بل نُطلقُ ذلك صِفَةً، كما أطلقنا صِفَةَ الوجه واليدين والعين ونحو ذلك، لا على وجه الأبعاض والأجزاء، بل نُطْلقُ ذلك صفةً، كما أطلقنا صفةَ الوجه واليدين والعين ونحو ذلك، لا على وجه الأبعاض والأجزاء.

فإن قيل: قوله: «دخلت على ربي» معناه: دخلت دار ربي وجنَّة ربِّي بتقريبه لي وإكرامه إيَّاي، كما يقال في الموسم: أَتيناكَ ربَّنا شُعْثاً غُبْراً من كلّ فجٍ عَميقٍ لتغفر لنا، ويقال: أَقْبَلَ الله على فلان بالكرامة، وأقبل فلانٌ على الله بطاعته، وكما يقال: دَخَل فلانٌ على رأي فلان، ويقال: دخل عليَّ فلانٌ في منزلي، لا أنَّه دخل على بَدَنه، وإنما المعنى دخل داره[1].

= قال الذهبي تعليقاً عليه: قلت: الصواب الكفُّ عن إطلاق ذلك، إذْ لم يأتِ فيه نصٌّ، ولو فرضنا أن المعنى صحيح، فليس لنا أنْ نَتَفَوَّه بشيءٍ لم يأذن به الله، خوفاً من أنْ يَدْخلَ القلبَ شيءٌ من البدعة، اللهم احفظ علينا إيماننا. اهـ

سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٥- ٨٦).

قلت: ما أروع هذه الكلمات الموفقات، ورحم الله امرأً قال بعلمٍ فغنم، أو سكت عما لا يعلم فَسلِم.

(١) انظر هذه التأويلات الفاسدة في «مشكل الحديث» (ص١٥٠- ١٥١).

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّه قَصَدَ بذلك الأفتخار وقُرب المنزلة، فإذا حَمَلناه على دخول الجنة بَطَلَ ذلك المعنى، لأنَّه يشركه فيه غيره من الأنبياء والأولياء، وقول الناس: أتيناك، فقد فُهِم المقصود منه، وهو أنَّهم أتوه راغبين في ثوابه.

فإن قيل: قوله «شَاباً» يحتمل أنْ يكون رأى فيها شاباً ولياً من أوليائه على هذه الصِّفة، دون أنْ يكون المذكور هو الله تعالى، ويحتمل أنْ تكون الصِّفة راجعةً إلى النبي ﷺ فكأنه قال: وأنا شابٌ جعد.

قيل: هذا غَلَطٌ، أمَّا حمله على أنَّه رأى فيها شاباً فلا يصح، لأنَّ هذا صِفَة وحال، والصِّفة والحال يرجع على ما تقدم ذكره وهو الله تعالى، فأمَّا بعض أولياء فلم يتقدم ذكره، فلا يجوز حمله عليه[1].

وقولهم: إنَّ الصفة راجعة إلى النبي ﷺ فلا يصح أيضاً، لأنَّه لم تكن هذه صفته في تلك الليلة، ولو تغيَّرت صفته فيها، لَنُقِلَ كما نقل وضع اليد بين كتفيه، وقوله: «**فيمَ يَختصمُ المَلأُ الأعلى**» وقد تكلمنا على هذا السؤال في أول الكتاب في قوله: «**رأيتُ ربي**».

فإن قيل: هذا الخبر كان رُؤْيا منام، والشيءُ يُرى في المنام على خلاف ما يكون.

قيل: هذا غلطٌ، لأنَّ النبي ﷺ إنَّما قصد بذلك بيان كرامته من ربِّه وقُرب منزلته، فإذا حُمِلَ على خلاف ما أخبر زال المقصود، ولأنَّ ما يُخبر به شَرْعٌ، وصفات الله تعالى اعتقادها شَرع، فهو معصوم فيه، وإذا كان معصوماً استوى فيه المنام وغيره، ولأنَّا قد بيَّنا أنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ، لأنَّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام.

---

(١) هذا لو صح الحديث! والحديث كما سبق لم يثبت.

[في المقام المحمود لنبينا ﷺ]
[حَدِيثٌ آخَرُ]

٤٤٠- ناه أبو القَسِم قال: نا أبو الفتح بن أبي القوارير نا محمد بن جعفر أبو الطيب الكاتب نا يزيد بن محمد البادا قال: نا أبو عثمان سعيد أخو إبراهيم القاري قال: نا إسماعيل بن أبي مسعود عن عبد الله بن إدريس عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُجلسه معه على السرير(١).

٤٤١- وناه أبو القسم قال: علي بن عُمر بن عُمر بن علي التَّمار قال: أبو بكر عمر بن أحمد بن أبي مَعْمر نا يوسف بن أحمد بن حرب بن الحكم الأشعري البصري قال: حدثني أبي أحمد بن حرب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: «**وَعَدَني رَبِّي القُعُود على العَرْش**»(٢).

٤٤٢- ونا أبو القسم علي بن عمر نا عمر بن أحمد نا يُوسف بن أحمد بن

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٢٦، ٣٢٨) إلى ابن مردويه والديلمي، كما سبق ذكره في «الجزء الأول/ ص ٢٦٦).
ومحمد بن جعفر أبو الطيب الكاتب، ذكره الخطيب في تاريخه (٢/ ١٤١) ولم يزد على قوله: ذكر أبو القاسم بن الثلاج أنه حدثه عن أبي قلابة الرقاشي.
وفي سنده من لم أجد له ترجمة.

(٢) أحمد بن حرب الأشعري- من ولد أبي موسى كما في تاريخ الخطيب- وابنه يوسف لم أجد لهما ترجمة، وعمر بن أحمد الراوي عن يوسف ترجمة الخطيب في تاريخه (١١/ ٢٤٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
ولم أجد من أخرج الحديث.

حرب نا موسى بن إسماعيل أبو[١] سلمة المِنْقَري نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال لي: «**القُعُودُ على العرش**»[٢].

٤٤٣- ونا أبو القَسِم نا علي نا عمر نا يوسف نا أزهر بن سعد السَّمان، قال: ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب سألت النبي ﷺ عمَّا أَوْعَدَه رَبُّه جلَّ اسمه فقال: «**أَوْعَدَني المَقَامَ المحْمودَ، وهُو القُعُودُ على العرش**»[٣].

٤٤٤- ونا أبوالقسم قال: نا إبراهيم بن محمد نا أبو داود نا ابن أبي صفوان[٤] الثقفي وحجاج بن أبي يعقوب قالا: نا يحيى بن أبي كثير نا سلم بن جعفر[٥] نا سعيد الجريري نا سيف السدوسي عن عبد الله بن سلام قال: «**إذا كَانَ يَومُ القيامة جِيءَ بنبيكم ﷺ فأُقْعِدَ بينَ يَدَي الله تعالى على كُرْسيه**» قال فقلت: يا أبا مسعود[٦] إذا كان على كُرْسيه أليسَ هُو مَعَهُ؟ قال: وَيْلكُم هذا أَقَرُّ حَديثٍ في الدُّنْيا لِعَيني».

قال حجاج في حديثه: «**إذا كانَ يومُ القِيامَة نزلَ الجبَّارُ جلَّ اسْمُه على عرشِهِ، وقَدَمَيه على الكرسي، ويُؤتى بنبيكُم ﷺ فيُقْعَد بَين يَدَيه على**

---

(١) في الأصل: ابن، وهو خطأ والتصويب من كتب الرجال.

(٢) انظر الحديث السابق.

(٣) فيه يوسف الأشعري وعمر بن أحمد كما سبق في الحديثين الماضيين.
ويأتي حكم الإمام ابن صاعد عليه بالوضع.

(٤) في الأصل: عدي ابن صفوان! وهو تحريف وصوابه: ابن أبي صفوان، وهو محمد بن عثمان بن أبي صفوان الثقفي، انظر التهذيب والسنة لابن أبي عاصم.

(٥) في الأصل: سالم بن جعفر! والتصويب من التهذيب ومصادر الحديث.

(٦) في الأصل: يا مسعود! والتصويب من مصادر الحديث، وهي كنية الجريري.

الكرسي» فقالوا للحسن: إذا كانَ على الكرسي هو معه؟ قال: نعم، ويْلكم هُوَ مَعه هو معه[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٧٨٦) والطبري (١٥/ ١٠٠) والخلال في السنة (٢٣٦، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢٧) وذكره الذهبي في العلو (ص١٢٥):
كلهم عن يحيى بن أبي كثير نا سلم بن جعفر عن الجريري به.
وقد سقط من سنده عند الطبري: سلم بن جعفر.
وفيه: سيف السدوسي، قال الألباني في تخريج السنة: رجاله إسناده ثقات، غير سيف السدوسي فلم أجده، وفي طبقته سيف أبو عائذ السعدي روى عنه الجريري، ترجمة البخاري وابن أبي حاتم (٤/ ٢٧٥) وهو في عداد المجهولين، فلعله هو، ومن المحتمل أن السدوسي تحرَّف على الناسخ من السعدي، والله أعلم. اهـ
ثم أشار إلى ما أخرج الحاكم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام موقوفاً ولفظه بتمامه: «إن أعظم أيام الدُّنيا يومُ الجُمعة، فيه خُلقَ آدم، وفيه تقومُ السَّاعة، وإن أكرمَ خليقةَ الله على الله: أبو القاسم ﷺ، قال: قلت: يرحمك الله، فأين الملائكة؟ قال فنظر إليَّ وضحك وقال: يا ابن أخي! هل تدري ما الملائكة، إنما الملائكة خَلْقٌ كخلقِ السَّماء والأرض والرياح والسحاب وسائر الخلق الذي لا يعصي الله شيئاً، وإن الجنة في السَّماء وإن النار في الأرض، فإذا كان يوم القيامة بَعَث الله الخليقة أُمةً أُمةً، نبياً نبياً، حتى يكون أحمد وأمته آخر الأمم مركزاً، قال: فيقوم فيتبعه أُمته بَرُّها وفاجرها ثم يُوضع جِسْر جَهنَّم، فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من شمالٍ ويمين، وينجو النبي ﷺ والصالحون معه، فَتَتلقَّاهم الملائكةُ فَتُوريهم منازلهم من الجنة على يمينك على يسارك، حتى ينتهي إلى ربه ﷻ فيلقي له كرسي عن يمين الله ﷻ ثم ينادي منادٍ: أين عيسى وأمته؟ فيقوم فيتبعه أُمته بَرُّها وفاجرها فيأخذون الجسر فيطمس الله أبصار أعدائه فَيَتَهافتُون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي ﷺ والصالحون معه فتتلقَّاهم الملائكةُ فتوريهم منازلهم في الجنة على يمينك على يسارك، حتى ينتهي إلى ربّه فَيُلقي له كرسي من الجانب الآخر، قال: ثم يَتَّبعهم الأنبياء والأُمم حتى يكون آخرهم نوح، رحم الله نوحاً».
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وليس بموقوف فإن عبد الله بن سلام على تقدمه في معرفة قديمة من جملة الصحابة، وقد أسنده بذكر رسول الله ﷺ في غير موضع والله أعلم. ووافق الذهبي، ورجاله ثقات.
قال الألباني حفظه الله تعالى: وليس في إسناده ما يمكن التعلّق به عليه، إلا أنه من رواية =

اعلم أنه غير[١] ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّه يجلسه معه على عرشه وسريره، بمعنى يُدنيه من ذاته ويقرّبه منها.

٤٤٥- وقد قال أبو بكر الخلال: ذكر عبد الله بن أحمد أنَّه سمع حديث فضيل عن ليث عن مجاهد: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. فذاكرت أبي فقال: ما وَقَعَ إليّ بعُلُوٍّ، وجعَل كأنَّه يتلهَّف، يعني إذْ لم يقع إليه بعلو[٢].

٤٤٦- وذكر أبو بكر المروذي في مختصر كتاب «الرَّدُ على من رَدَّ حديث مجاهد» سألتُ أبا عبد الله عن الأحاديث التي تردها الجَهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش، فصححَّها أبو عبد الله وقال: قد تلقَّتها الأُمة بالقبول، تمر الأخبار كما جاءت[٣].

٤٤٧- ونظر أبو عبد الله في كتاب التِّرمذي، وقد طعن على حديث مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. فقال: لم[٤]

= محمد بن غالب، وهو حافظ ثقة لكنه وهم في أحاديث كما قال الدارقطني، فلا أدري لعلَّ هذا الحديث مما وَهِم في متنه، وأنت ترى أن فيه: «فيلقي له كرسي عن يمين الله عز وجل» وحديث الكتاب بلفظ «بين يدي الله تبارك وتعالى» فأيهما الصواب؟ الأمر بحاجة إلى مزيد من التحقيق لا مجال الآن للخوض فيه. اهـ

ولعل تقديم الرواية الموقوفة الصحيحة الإسناد، على الرواية المرفوعة التي فيها مجهول، هو الصواب هنا، والله أعلم.

(١) لفظة «غير» ساقطة من الأصل، أشار إليه الناسخ.

(٢) السنة برقم (٢٣٩).

(٣) رواه في السنة (٢٨٣) عنه، وتمامه: فقلت له (أي لأحمد): إن رجلًا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت، فقال: يُجفا، وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع؟ يُسلِّم الأخبار كما جاءت.

(٤) كذا في الأصل! وسيأتي بلفظ: لم يرو هذا عن مجاهد وحده عن ابن عباس! وفيها شيء أيضاً، وبإضافة لفظه «هذا» بعد قوله «وحده» تستقيم العبارة.

هذا عن مجاهد وحده هذا عن ابن عباس، وقد خرَّجت أحاديثاً في هذا، وكتبها بخطه وقرأها.

٤٤٨- وقال ابن عمير: سمعت أحمد بن حنبل سئل عن حديث مجاهد «يقعد محمداً على العرش» فقال: قد تَلَقَّته العلماء بالقَبُول، نُسَلِّم الخبر كما جاء.

وظاهر هذا أنَّه أَخَذَ بظاهر الحديث، إذْ ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته، لأنَّا لا نقول أنه في جهةٍ محدودةٍ، بل نُطلق هذه الصفة كما جاز وصفه بأنَّه على العرش، لا في جهة محدودة، كذلك جاز أنْ يَقْرُبَ من ذاته لا في جهة محدودة، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [النجم: ٨-٩].

٤٤٩- روى أبو عبد الله بن بطة بإسناده: عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قال: كانَ بينَه وبينه مَقْدار قوسين[(١)].

ويشهد لذلك أيضاً ما تقدم من حديث الإسراء: «أنَّه وضع يده بين كتفيه».

٤٥٠- وروى أبو بكر النَّجاد في «السُّنَّة» بإسناده عن أنس قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ عَرَجَ بي[(٢)] جبريلُ حتى إذا جاءَ سَدْرَةَ المُنْتَهى، ودَنا الجبَّارُ ربُّ العِزَّة فتدلى، فكان منه قابَ قوسين أو أدنى[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) كذا في الأصل!

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٢٧- ٢٨) قال: حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن كثير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرِج بي مضى جبريل حتى جاء الجنة، قال: فدخلتُ فأعطيت الكوثر، ثم مضى حتى جاء السِّدرة المنتهى، فَدَنا ربُّك فتدلَّى، فكان قاب قوسين أو أَدْنى فأَوْحى إلى عبده ما أَوْحى».

كثير هو ابن السائب قال ابن حبان في الثقات: كثير بن السائب عن أنس وعنه محمد بن عمرو بن علقمة (التهذيب). =

٤٥١- ونا أبو القسم قال: نا أحمد قال: نا حمزة نا محمد بن يونس قال: نا أبو يعلى محمد بن الصَّلْت التوزي نا عبد الله بن سعيد بن صفوان عن يُونس بن يزيد عن الزُّهري عن أبي بكر بن عمرو بن حَزْم عن ابن عباس وأبي حبَّة البدري قالا: قال رسول الله ﷺ: «**عَرَجَ بي جبْريل فلما ظَهَر لي المستوى، أَقامني في موضع أَسْمَعُ فيه صَريفَ الأقلام، بين يَدَي الرحمن جَلَّ اسمه**»(١).

وكل ذلك يدلُّ على القُرب من الذَّات.

٤٥٢- ونظرتُ في جزءٍ عتيقٍ من كتب أبي الفضل التميمي ترجمته «**مختصر**

= وقال الحافظ في التقريب: كثير بن السائب المدني، مقبول من الرابعة، ووَهِمَ من جعله صَحَابياً، وفرّق ابن حبان في الثقات بين الراوي عن أنس والراوي عن محمود بن لبيد، والذي يظهر أنهما واحد، وهو الذي روى عنه عمارة بن خزيمة (س).

وللحديث طريق أخرى:

فقد أخرجه الخطيب (٥/ ١٣٠) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٨٢) عن أبي عبد الله أحمد بن محمد النُّزلي نا أحمد بن علي الأنصاري أنا محمد بن عبد الله صاحب الشامة نا هشيم عن حميد عن أنس مرفوعاً: «لما أُسْرِي بي إلى السَّماء قَرَّبني ربي تعالى حتى كان بيني وبينه كقابِ قوسين أو أذنى لا بل أذني، وعلمني السمات...».

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، والنزلي والأنصاري وصاحب الشامة مجاهيل.

(١) أخرجه البخاري في الصلاة (١/ ٤٥٩) وفي الأنبياء (٦/ ٣٧٤) ومسلم في الإيمان (١/ ١٤٩) وأحمد في مسنده (٥/ ١٤٤) عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن ابن حزم أن ابن عباس وأبا حَبَّة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله ﷺ: «ثم عُرِجَ بي حتى ظهرت لمستوى أَسْمعُ فيه صَرِيفَ الأقلام». دون قوله هنا: «بين يدي الرحمن جلَّ اسمه».

ونبَّه الحافظ في الفتح إلى أن رواية أبي بكر بن محمد بن حزم عن أبي حبَّة الأنصاري منقطعة، لأنه استُشهد بأُحُد قبل مولد أبي بكر بدهر، وقبل مولد أبيه محمد أيضاً.

ومعنى: ظهرت: أي: ارتفعت.

والمستوى: المصعد.

صريف الأقلام: تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله ﷻ.

الردَّ على مَنْ ردَّ حديث مجاهد وغيره في المقام المحمود» جَمْعُ أبي بكر المروذي فروى بإسناده: عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كُنتُ مُتَّخِذاً خليلًا، لاتَّخذْتُ ابن أبي قُحافةَ خَليلًا، ولكنْ خلةَ الإسلام أفضل» ثم قرأ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُجلسه على العرش[(١)].

٤٥٣- وبإسناده: عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُقْعِدَهُ على العرْش[(٢)].

---

(١) أخرجه دون قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾... إلخ.
مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة (٤/ ١٨٥٥- ١٨٥٦) وأحمد (١/ ٣٧٧، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٥٥، ٤٦٣) من طرق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً به.
وليس فيها قوله: «ولكن خُلة الإسلام أفضل».
وقد وردت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (١/ ٥٥٨) (١٢/ ١٩) وأحمد (١/ ٢٧٠).
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٤٢/ ١٠٢٥٦) عن قيس بن الربيع عن عاصم عن زرعنه مرفوعا بلفظ: «إنَّ الله عزوجل اتخذ إبراهيم خليلًا، وإن صاحبكم خليل الله، ومحمدٌ ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة» ثم قرأ: (﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾.
ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥٥) وقال: قلت: الصحيح منه: «وأن صاحبكم خليل الله» فقط في أثناء حديث، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف.
ورواه الخطيب في تاريخه (١٢/ ٣٠١) عن عصام عن زر عنه موقوفاً.
وفي سنده: عقيل بن الصلت بن عقيل أبو القاسم، لم أجد له ترجمة.
ورواه الطيالسي (ص٣٤) عن المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عنه موقوفاً.
ورواية الطيالسي عن المسعودي بعد الاختلاط.
ورواه الذهبي في العلو (ص٧٤-٧٥) عن سلمة الأحمر عن أشعث بن طليق عن عبد الله به.
وقال: هذا حديث منكر لا يفرح به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود.
وانظر العلل للدارقطني (٥/ ٦٢-٦٣).
(٢) لم أجده من رواية مجاهد عنه!

٤٥٤- وبإسناده عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال يُجلِسَه على العرش[١]، وهذه فضيلة للنبي ﷺ فهو كافر من ردَّها.

٤٥٥- ولقد قال سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي: قلت لأبي: لو رأيت رَجُلاً سَبَّ أبا بكرٍ ما كنتَ صانعاً به؟ قال: اقْتُله، قلت: فعمر؟ قال: أقتله. فهذا لأبي بكر وعمر، فكيف بمن ردَّ فضيلة النبي ﷺ[٢]؟

٤٥٦- وبإسناده عن غالب بن عبيد الله العقَيلي قال: حدثني المكيون[٣]:

= وإنما أخرجه الخلال في السنة (٢٩٥) والذهبي في العلو (٩٩) عن الضحاك عنه بلفظ: يقعده على العرش.
وفي سند الخلال: عباد بن أبي روق، قال ابن معين: قد رأيته وليس بثقة (الميزان) ومحمد بن بشر بن شريك النخعي.
وأما سند «العلو» فقال الذهبي عنه: إسناده ساقط، وعمر هذا الرازي متروك، وفيه جويبر، وقال: هذا مشهور من قول مجاهد، ويُروى مرفوعاً وهو باطل.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٨) للطبراني عن ابن عباس بلفظ: «يجلسه بينه وبين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويشفع لأمته، فذلك المقام المحمود» ولم أجده في المعجم الكبير بعد التتبع (من رواية مجاهد عنه).

(١) جاء هذا الأثر عن مجاهد من طرق:
أشهرها طريق ليث بن أبي سليم عنه: وقد أخرجها الخلال من طرق عدة: (٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١٤) وابن جرير (١٥/ ٩٨).

(٢) أخرجه الخلال (٣٠٤) قال: جاءني كتاب علي بن سهل بخطة وفيه: حدثنا هارون بن معروف وخلَّاد بن أسلم قالا: ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد... فذكر الأثر، ثم قال: وهذه فضيلة للنبي ﷺ، فمن ردَّ فضيلة النبي ﷺ فهو كافر، ولقد قال سعيد عبد الرحمن... إلخ.
وقد ذكره كله بسياق واحد متصلاً.

(٣) في الأصل: المكنون!

أنَّ الله تبارك وتعالى يغضَبُ يومَ القيامة غَضَباً لم يَغضبْ مثله، قال فيقوم نَبيُنا ﷺ فيُثني على الله بما هو أهْله قال: فيقول الله له: إدْنُه، قال: ثُمَّ يَغْضَبُ تبارك وتعالى غضباً لم يَغْضب مثله فيقوم نبينا فيثني على الله بما هُو أهْله، فيقولُ الله له: إدْنُه، فلا يزالُ يَقُولُ له إدْنه حتى يُجلسَه مَعَه على العرْش، قال رسول الله ﷺ: **«فأنْظرُ إلى جبريل قَائماً فأقول: يا رَبِّ إنَّ هذا- يعني جبْريل- جَاءَني منك برسالاتٍ فيقول الله عزَّ وجلَّ: صَدقَ»**[(١)].

٤٥٧- وذكر أبو عبد الله بن بطة في كتاب «الإبانة» قال أبو بكر أحمد بن سلمان النَّجَّاد: لو أنَّ حَالفاً حَلَفَ بالطَّلاق ثلاثاً أنَّ الله تعالى: يُقِعد مُحمداً ﷺ معه على العرش واسْتَفْتاني في يمينه لقلت له: صدقت في قولك وبَررْتَ في يَمينك، وامرأتُك على حالها، فهذا نهجناودينا واعتقادنا، وعليه نشأنا، ونحن عليه إلى أن نموت إنْ شاء الله.

فَلزِمَنَا الإنكار على من ردَّ هذه الفضيلة التي قالتها العلماء، وتلقوها بالقَبول، فمن ردَّها فهو من الفرق الهالكة[(٢)].

٤٥٨- وذكر أبو بكر الخلال في كتاب «السُّنَّة» قال: أخبرني الحسن بن صالح العَطَّار عن محمد بن علي السراج قال: رأيتُ النبي ﷺ

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه الخلال (٣٠٦) حدثنا محمد بن هشام مستملي ابن عرفة ثنا الحسن ابن عرفة عن علي بن ثابت الجزري عن غالب بن عبيد الله العقيلي قال: حدثني المكيون ذكر منهم عطاء وعمرو بن دينار: أن الله ... عز وجل الأثر.

وفي سنده: غالب العقيلي، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال الدارقطني وغيره: متروك (الميزان).

(٢) لم أجده في المجلدين المطبوعين من الكتاب، وليسا هما جميع كتاب الإبانة، فليتنبه لهذا!

وأبو بكر عن يمينه، وعُمر عن يساره، فتقدَّمتُ إلى النبي ﷺ فقُمْتُ عن يَسَار عُمر فقلت: يا رسول الله! إني أُريدُ أنْ أقولَ شيئاً، فأقْبَلَ علي فقال: قل، فقلتُ إنَّ التِّرمذي يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُقعدك معه على العرش، ونحن نقولُ يُقعدك معه على العرش، فكيف تقولُ يا رسول الله؟ فأقبل علي شِبهَ المُغْضب، وهو يشير بيده اليمنى عاقِداً بها أربعين وهو يقول: بلى والله بلى والله بلى[١] والله، يُقعدني معه، ثم انتبهت[٢].

٤٥٩- قال: وسمعت أبا بكر بن صدقة يقول حدثني أبو القسم بن الجبلي عن عبد الله بن إسماعيل صاحب النرسي قال: ثم لقيت عبد الله بن إسماعيل فحدثني قال: رأيت النبي ﷺ في النَّوم فقال لي: هذا الترمذي يُنكر[٣] فضيلتي[٤].

٤٦٠- **فإن قيل**: فقد روى أنه لما نزل قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قالوا: يا رسول الله، وما المقام المحمود؟ قال: «**هو الشَّفاعة**»[٥].

---

(١) وضعت علامات التصويب «صح» بعد لفظه: بلى، التي تكررت.
(٢) السنة برقم (٢٥٧) مع اختلاف يسير.
(٣) في الأصل: يذكر، والصواب ما أثبتناه، وقد نبه عليه الناسخ.
(٤) السنة برقم (٢٥٦) وعنده: هذا الترمذي أنا جالس له، يُنكر فضيلتي!
(٥) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٤، ٤٧٨) والترمذي (٣١٣٧) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ٩٨):
كلهم عن وكيع عن داود بن يزيد الزَّعافري- هو الأودي- عن أبيه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ سئل عنها قال: «هي الشفاعة».
قال الترمذي: حديث حسن!
وإسناده ضعيف، داود الأودي ضعيف، وأبوه قال عنه الحافظ: مقبول. =

قيل: الرواية المشهور في تفسير هذا: أنَّه الجلوس على العَرش، رواه

= وتابع وكيعاً عند ابن جرير (١٥/ ٩٨) مكيُّ بن إبراهيم.
وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٤) عن وكيع عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً به.
قال الدارقطني في العلل (٨/ ٣٢٠): وهو غلط! والصواب عن داود اهـ.
والحديث عزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٢٤) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.
* لكن يشهد للحديث: ما أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إنَّ الناس يصيرون يومَ القيامة جُثا (أي جماعات) كل أمةٍ تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود».
* وما أخرجه ابن جرير (١٥/ ٩٨) عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام فيقول: لست صاحب ذلك ثم بموسى عليه السلام فيقول كذلك، ثم بمحمدٍ فيشفع بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقه الجنة، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً».
وقد أخرجه البخاري في صحيحه في الزكاة (٣/ ٣٣٨) إلى قوله: «ثم بمحمدٍ ﷺ وأخرج باقيه تعليقاً، وأشار إليه في التفسير (٨/ ٣٩٩).
وأخرجه بتمامه ابن منده في الإيمان برقم (٨٨٤) والبزار والطبراني في الأوسط كما في الفتح (٣/ ٣٣٩).
وحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمُّوا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحنا من مكاننا، فيأتون آدم...» الحديث وفيه ذكر شفاعته ﷺ عند ربه إلى أن يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حَبَسه القرآن- أي وَجَب عليه الخلود- ثم تلا الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَه نبيكم ﷺ».
أخرجه البخاري بهذا اللفظ في: التوحيد (١٣/ ٤٢٢).
وأخرجه في مواضع أخر دون ذكر الآية، وكذا مسلم في الإيمان (١/ ١٨٠- ١٨٤).
* ومن حديث حذيفة وكعب بن مالك وغيرهما.
انظر الدر المنثور (٥/ ٣٢٥) وابن جرير (١٥/ ٩٧- ٩٨).
واختار ابن جرير (١٥/ ٩٩) أنه الصحيح من القول في تأويل الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ بعد أن ذكر أنه قول أكثر أهل العلم (١٥/ ٩٧) لكنه قال: ما فسرَّ مجاهد به الآية غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر!

ابن عمر وابن عباس وابن مسعود وعائشة، وقد تقدم أسانيد هذه الأحاديث، والمشهور في الرِّواية أَولى مما شَذَّ منها، وعلى أنَّه لا يمتنع أنْ يكون المقام المحمود: الشفاعة والقعود على العرش، لأنَّ القصد من ذلك علو المنزلة.

فإن قيل: فتفسير النبي ﷺ أولى من قول مجاهد.

قيل: لم نُعَوِّل في هذا على قول مجاهد وحده، وقد روينا ذلك مُفَسَّراً عن النبي ﷺ في حديث ابن عمر وعائشة وابن مسعود وابن عباس، وقول مجاهد في ذلك رجحان.

فإن قيل: قد قال الله: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]. فأخبر أنَّ العرش لا يصل إليه أحدٌ بالبدن، وإنما يصل إليه بالأعمال.

قيل: ذكر ابن سلام عن قتادة معناه: إذاً يعرفوا له فضله عليهم، ولابتغوا إليه ما يقربهم إليه[١]. وقال غيرُه معناه: لطلبوا إليه الوسيلة والقربة، وهذا يدلُّ على أنَّ المقصود بالآية غير ما أرادُوه، من أنَّه لا يصل غليه أحدٌ، وإنما المراد به معنى آخر وهو التَّقرب إليه بالطاعات.

فإن قيل: فقوله: «**يقعده على العرش**» من أين لكم أنَّه عرش الرحمن؟ وقد ذكر الله تعالى عرش بلقيس[٢].

---

(١) كذا والعبارة فيها شيء، وقوله ابن سلام أظنه تحريفاً!
فقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٦٤) عن سعيد بن أبي عروبة عنه بلفظ: لو كان معه آلهة إذاً لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقربهم إليه. وإسناده حسن.
وأخرجه عن معمر عنه بلفظ: لابتغوا القرب إليه، مع أنه ليس كما يقولون. وإسناده صحيح.

(٢) قال الخلال في السنة (٢٧٢) قال محمد بن إسماعيل السلمي: كل من ظن أو توهم أن =

قيل: هذا لا يصحُّ، لأنَّ في خبر ابن عمر: «**يُجلسه مَعَه على السرير**» وفي حديث ابن مسعود: يُقعده على كرسيه» فقيل له: إذا كان على كرسيه أليسَ هو مَعَه؟ فقال: «**ويلكم هذا أقرُّ حديثٍ لعيني**».

وعلى أنَّه ذكر العرش بالألف واللام، وهناك عرشٌ معهود، وهو عرش الرحمن بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. والألف واللام ينصرفان إلى المعهود، فلم يصح هذا التأويل.

فإن قيل: قوله: «يقعده» معناه يرفعه أرفع المقاعد عنده، وهو معه بالنُّصرة والمعُونة والمقاعد المقربة من الله تعالى، كما قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وكما قال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. على معنى: النُّصرة والمعونة.

قيل: هذا غلطٌ، لوجوه:

أحدها: أنَّ الخبر أفادَ رفعه على صِفَةٍ وهو القعود على العرش والكرسي.

والثاني: أنَّه قال: «يقعده معه» ولفظة «مع» في اللُّغة للمقاربة.

الثالث: أنَّه لم يزل ناصراً له ومُعيناً ورافعاً، فَوَجَبَ حمل هذه الفضيلة على فائدة مُجدَّدة تختصُّ بذلك اليوم.

الرابع: أنَّ هذا يُسقط فائدة التخصيص بالنبي ﷺ لأنَّه قد نَصَر موسى ورَفَعه وغيره من الأنبياء، فأمَّا قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

= رسول الله ﷺ لم يستوجب من الله ﷻ هذه المنزلة في حديث مجاهد فهو عندنا جهمي!... إلى قوله ناقلًا عن الجهمي قوله: ليس هذا عرش رب العالمين إنما هو مثل عرش بلقيس وعرش من العروش، شبَّه عرش الآدميين بعرش الرحمن .. ﷻ .

[التوبة: ٤٠]. وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. فإن المراد بذلك النُّصره، لأنَّ هناك دلالةُ حَالٍ، وهو طلبُ المشركين وخوفهم منهم فبيَّن أنني ناصِرٌ لكم عليهم، وهذا معدوم ها هنا.

فإنْ قيل: أليسَ قد حكى أبو محمد بن بشار عن عبد الله بن أحمد عن أبيه أنَّه كان يُعرض عليه الحديث فيقول له: هذا رواه كذا وكذا رجل ويُسميهم، فإذا عُرض عليه حَديثٌ ضعيف قال له: إضْرِبْ عليه، فعُرض عليه حديث مُجاهد فضعَّفه فقال: يا أبة أضْرِبْ عليه؟ فقال: لا، هذا حَديثٌ فيه فضيلة فأجْرِه على ما جرى ولا تَضرب عليه، وظاهر هذا أنَّه ضعَّفه.

قيل: هذه حكاية لا يُردُّ بها ما نصَّ عليه في مواضع.

٤٦١- **فإنْ قيل**: فقد ذكر أبو بكر النَّجاد فيما كَتَبَ به إليَّ أبو الحسن بن جدَّاء العكبري في جزء خرَّج فيه أحاديث: ومن الفرق الهالكة مَنْ أنكر أنَّ الله وَعَدَ يعني نبيه- أنْ يُقعده المقعد المقرَّب عنده على العرش، وهو المقام المحمود، وذكر حديث ابن عباس «**يقعده على العرش**» وحديث عبد الله بن سلام وحديث مجاهد، ثُمَّ قال أبو بكر: سألتُ أبا محمد بن صاعد عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: «**يُقْعدني على العرش**» قال: هذا حديثٌ موضوعٌ لا أصل له، وأمَّا حديث يزيد ابن هرون عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: «**يُقْعدني معه على العرش**» فحديثٌ موضوعٌ لا أصل له، وأمَّا حديثُ عاصم عن زِرٍّ عن ابن مسعود

قال: «إنَّ الله تعالى اتَّخذَ إبراهيم خليلاً، وإنَّ صاحِبَكم خليلُ الله جلَّ وعزَّ، وإنَّ محمداً سيد ولدِ آدم يومَ القيامة، ثم قرأ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فمن زاد غير هذا فقد أبطل.

٤٦٢- وقال أبو بكر النَّجاد سألت أبا بكر الباغندي فقال: كلُّ هذه الأحاديث باطلة ليست بمحفوظة، غير حديث مُجاهد، وسألت أبا إسحق بن جابر وأبا العباس ابن سُريج وأبا علي بن خيران وأبا جعفر بن الوكيل وأبا الطيب بن سلمة وكلٌّ كَتَبَ بيده: إنَّ هذه الأحاديث لا أصل لها، إلا ما رواه ابن فضيل عن ليث عن مجاهد.

٤٦٣- قال أبو بكر النَّجاد وسمعت ابن صاعد يقول: كتب السُّلطان يسألني عن مَنْ روى هذه الأحاديث، حتى يضربهم بالسياط.

٤٦٤- قال أبو بكر النجاد: وكتب إلى أبي محمد بن عبدان، وإلى أبي يعلى، وإلى أبي زكريا بن يحيى السَّاجي، وإلى أحمد بن محمد بن مكرم، وإلى سهل بن نوح البصري، وإلى أبي أحمد بن محمد المروزي، وإلى أبي العباس بن السَّرَّاج، وإلى محمد بن إسحق بن خزيمة، وكُتبهم على ألفاظٍ وجميعها واحد، أنَّ مَنْ حَدَّث بهذه الأحاديث يَستغفر الله عزَّ وجلَّ، فهي باطلةٌ لا أصل لها، إلا ما حَدَّث محمد ابن فضيل عن ليث عن مجاهد، إلا أنَّ محمد بن إسحق بن خُزيمة قال: مَنْ روى عن ابن مسعود وعن عبد الله بن عمر فقد روى عن النبي ﷺ الكَذب والأباطيل، ومن تَعَمَّد رواية الكذب عن النبي ﷺ كان داخلاً في وعيد النبي ﷺ: «من كَذَبَ علينا مُتعمداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّار» ولا يسع الإمام العادل أنْ يَدَعُ من يروي مثل هذا

الكذب عن النبي ﷺ صُراحاً؛ أنْ يُقيم ببلد الإسلام.

٤٦٥- قال أبو بكر النَّجَّاد: وكُلُّ من كتب إليَّ من المحدِّثين على هذا الشَّرح قال: والذي أقول فيمن رَوَى هذه الأحاديث: إنْ كان لا يعلم مصدرها، كان عليه أنْ يسأل أهلَ العلم فإذا عَرَّفوه ووقفوه[1] على ما ينبغي أن يقول فيها لزمه إنكارها، فمن حدَّث بها بعد إنكار العلماء، دَخل في قول النبي ﷺ: **«مَنْ كَذَب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**.

قيل: مَنْ طَعَنَ على هذه الأحاديث وأنكرها، لا يلزم قَبول قوله حتى يُبَيِّن وجه الطَّعن، وقد روينا طرقها وأسانيدها، وقد قال أحمد: لم يرو هذا عن مجاهد وحده عن ابن عباس، وخرَّجَ في ذلك أحاديثَ وقرأها على أصحابه، وهو أعْرفُ بصحة الحديث ممن تقدم ذكره ممن أنكرها، ولأنَّا قد بَيَّنا أنَّ معناها القُرْبُ من الله تعالى، والقُرآن والسُّنَّة يَشْهدانِ لذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩]. وحديث الإسراء وأنَّه **«وضع يده بين كتفيه»** وقوله: **«عَرَجَ بي فلما ظهر لي المُسْتَوى أقامنى في مَوضِعٍ أسْمَعُ فيه صَريفَ الأقْلام بينَ يَدَي الرَّحْمن»** فليس في روايتها ما يخالف الأصول.

وقد أنشدَ أبو الحسن الدَّارقطني شِعْراً يدلُّ على صحة هذه الأحاديث عنده وهو حافِظُ وَقْتِهِ فقال:

---

(١) في الأصل: ووقوفه، وها هنا هو الصواب، علقه الناسخ.

حَديثُ الشَّفَاعة في أحمدَ ... إلى أحمدَ المصطفى نُسْنِدُه
أما حديثٌ بإقْعَادِهِ ... على العَرْشِ أيضًا فَلا نَجْحَدُه
أَمِرُّوا الحَديثَ على وَجْهِهِ ... ولا تدْخِلوا فيه ما يُفْسِدُه
ولا تُنكِرُوا أنَّه قاعِدٌ ... ولا تجحدُوا أنَّه يُقْعِدُه

وقد أنشد أبو طالب بن العُشَاري هذه الأبيات عن الدَّارقطني(١).

٤٦٦- وكتب إليَّ أبو الحسن علي بن عبد الواحد رَحِمَهُ الله قال: شيخنا أبو علي ابن أبي شهاب قال: حدَّثني أبو حفص عمر بن إبراهيم قال: أنشدنا أبو القسم حبيب القزاز قال: أنشدنا ابن العلاف الضرير لنفسه في وقت ردِّ الترمذي الجلوس وقعود النبي ﷺ معه على العرش:

حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ في أَحْمدَ ... إلى أَحْمدَ المصطفى نُسْنِدُه
فأما حَديثٌ بإقْعَادِهِ ... على العَرْشِ يُروى فلا نجْحَدُه
يُقَرِّبُه الله إنْ شاء منه ... فَتبًّا وبُعْداً لمن يُبْعِدُه
وقَد قَصَدَ النَّاسُ في ذا الحديثِ ... إلى كُلِّ ما نَحن لا نَقْصِدُه
فَقَومٌ على العَرْشِ قد أَقْسَمُوا ... بأنَّ النبي غداً يَصْعَدُه
وقومٌ يَقُولون لَوْ كانَ ذَا ... لكانَ شَريكَ الذي نَعْبُدُه

(١) رواه أبو محمد الدَّشتي في إثبات الحد- كما في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٥٦)- من طريق أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش أنشدنا أبو طالب أنشدنا أبو الحسن الدارقطني به.
وابن كادش قال السمعاني: كان ابن ناصر يسيء القول فيه.
وقال ابن النجار: كان ضعيفاً في الرواية، مخلطاً كذاباً، لا يحتج به، وللأئمة فيه مقال. انظر السير (١٩/ ٥٥٩).
وبه أعل الألباني رَحِمَهُ الله الرواية.
وأما أبو طالب العشاري وهو محمد بن علي الحربي، فقال عنه الذهبي في السير (١٨/ ٤٨): كان فقيهاً عالماً زاهداً خيراً مكثراً، وقال الخطيب: ثقة.

ولكنْ نُشِيرُ بما عِندَنا وقَدْ يُسْعِدُ الله مَنْ يُرْشِدُه
أمِرُّوا الحديثَ على ما أتى ولا تُدْخِلوا فيه ما يُفْسِدُه
فلا تحلفوا أنَّه قاعِدٌ ولا تُنكِرُوا أنَّه يُقْعِدُه

٤٦٧- ورأيت في كتاب عتيق ترجمته «كتاب السُّنَّة» تأليف أبي إسحق إبراهيم ابن إسحق الشيرجي مما رواه عن المروزي أخرجه إليَّ الدسكري وذكره فيه «باب» فضيلة النبي ﷺ فقال: أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحجاج قال سألت أبا عبد الله عن حديث ابن الفضيل عن أبيه عن مجاهد، قال: كتبته عن رجل عن الفضيل.

٤٦٨- قال أبو إسحق حدثني علي بن عبد الصمد وعلي بن الحسن ومحمد بن الخضر مولى عمر بن الخطاب عن علي بن عبد الصمد قال: نا علي بن محمد الفارسي قال: نا يزيد بن هرون: قال: أنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: «**نعم، إذا كان يومُ القيامةِ نادى مُنادٍ: أين حبيب الله، فاتخطَّى صُفوفُ الملائكة حتى أصير إلى جانب العرْش ثم يَمدُّ يَدَهُ فيَأخذ بيدي فيُقْعِدني على العرْشِ**»[1].

(١) في طبقات الحنابلة (٢/ ١٦):
إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم أبو الحسن السيرجي (بالسين المهملة) الخصيب، المتخصص بصحبة أبي بكر المروذي، له تصانيف.
حدث عن عباس الدوري وعلي بن داود القنطري ويحيى بن أبي طالب.
حدث عنه أبو الحسن الدارقطني، ذكر ابن الثلاج أنه سمع منه.
وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

٤٦٩- قال وحدثني أبو بكر قال: نا محمد بن بشر بن سويد قال: نا محمد بن عقبة الشيباني[١] وأحمد بن الفرج الطائي قالا: نا عباد ابن أبي روق[٢] قال سمعت أبي يُحدِّث عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: «يُقعده على العرش»[٣].

* * *

(١) في الأصل: محمد بن عطية النسائي! والتصويب من التقريب والسنة للخلال.

(٢) منكر. وقد سبق الكلام عليه برقم من هذا الفصل.

(٣) لم أجد من خرجه. وقد سبق نقل المصنف عن جماعة من المحدثين حكمهم عليه بأنه لا أصل له.

حديث آخر

٤٧٠- رواه أبو بكر أحمد بن سلمان النَّجاد في «سننه» فقال: حدثني محمد ابن جعفر قال نا أبو بكر المروزي قال قال أبوعبدالله عن الحسن بن موسى الأشيب قال حماد عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: «**إنَّ الله قد مَلأَ العَرْشَ مع إنَّ له أَطيط**(١) **كأَطيطِ الرَّحْل**»(٢) .

اعلم أن غيرُ ممنوعٍ حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ ذاتَه تملأُ العرش، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته، لأنّنا لانُثبتُ ذلك على وجه الحدِّ والإحاطة والمساحة وشغل مكان(٣) ، بل نُطلق هذه الصِّفة كما أطلقوا الإستواء على العرش، وتأولوه على العُلُوّ ولم يُوجبْ ذلك كونه عالياً عليه بحدٍّ أو جهة أو مساحة! كذلَك قوله «**قد مَلأَ العَرْش**» على هذا الوجه، وكذلَك قالوا بجواز رُؤْيته ولم يوُجِبْ كونه في جهةٍ كذلَك ها هنا.

وقد روى ابن فُورك في هذا الحديث زيادة «**سمع له أطيط كأطيط الرَّحل الجديد**» مائلًا هكذا، وَوَضَعَ أحدهما على الأُخرى، قال: ووضع حماد ساقه على ركبته اليسرى(٤) .

وهذه الزيادة إنْ كانت ثابتة في الحديث، فغير ممتنع حملها على ظاهرها، لأنَّا لا نُثبت ذلَك على وجه الجارِحَة والأعضاء، بل نُطلق ذلَك صِفَةً، كما أَثْبتنا اليد كما قال تعالى ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

---

(١) كذا في الأصل، مع أن حكمها النصب.

(٢) مرسل ضعيف، عطاء بن السائب كان قد اختلط، وممن روى عنه بعد الاختلاط حماد وهو ابن سلمة.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) مشكل الحديث لابن فورك (ص١٥٢).

ونظير هذا الحديث قد تقدَّم **«لما فَرَغَ اللهُ من خَلْقه استوى على عَرْشه واسْتلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى»**[١] وقد حملناه على ظاهره وقد تقدم الكلام فيه.

فإن قيل: قوله **«ملأ العرش»** معناه عَظَمةً ورفعةً ونعماً.

قيل: هذا غلط، لأنَّه إنْ جاز تَأْويله على هذا، جَاز تأويل العُلو على العَرش على هذه المعاني، بمعنى عَلَا عليه عظمته ورفعته وعزَّته ونعماه.

وجَواب آخر: وهو أنَّ هذه الصِّفات التي ذكروها مُحْدَثَة، وقد قالوا: لا يَعْلُوا على العرش مُحْدث، فلا يعمُّ حمل الخبر على ذلك.

وجَواب آخر: وهو أنَّ عظمتَه ونعماه عامة في سائر المواضع، فلا معنى لتخصيص العرش بذلك.

فإن قيل: قوله هكذا أراد بِه التَّجبُّر والعَظَمة التي لا تجوز لغيره.

قيل: هذا غَلَط، «لأنَّه» موصوف بالتَّجبُّر والعَظَمة في كلِّ حالٍ، فلا فائدة في تخصيص هذه الصِّفه بذلك[٢].

* * *

(١) تقدم في (ص١٨٧) وهو حديث منكر.

(٢) انظر هذه التأويلات في مشكل ابن فورك (ص١٥٣).

حديث آخر

٤٧٢- أخرجه إليَّ أبو القاسم قال نا أبو الحسن علي بن إبراهيم ابن موسى السكوني الموصلي نا أبو مزاحم موسى بن عبدالله بن يحيى الخاقاني المقرني نا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي نا أبو المغيرة قال حدثتنا عبدة بنت خالد بن معدان عن أبيها خالد بن معدان أنه كان يَقول: «**إنَّ الرَّحْمَن سُبْحانه لَيُثْقل على حَمَلةِ العَرْشِ من أَوَّل النَّهار إذا قَامَ المشْركُونَ، حتى إذا قَامَ المُسَبِّحوُنَ خُفِّفَ عن حَمَلةِ العَرش**»(١).

٤٧٣- وذكر أبو بكر بن أبي خيثمة في «**تاريخه**» بإسناده عن ابن مسعود حديثاً طويلًا، وذكر فيه «**إنَّ مقدار كل يَوم من أيَّامِكُم عنده اثنتي عشرةَ سَاعةً، فتُعرضُ عليه أَعمالكم بالأَمس أول النَّهار اليوم فَينظر فيه ثلاث سَاعاتٍ، فَيطَّلع منها على ما يكره فَيُغضبه ذلك، فأولُ ما يَعْلَمُ بغَضَبهِ الذينَ يَحملُونَ العَرش يَجدُونه يَثْقُل عليهم، فَيسجُد الذيَن يَحملُونَ العَرْش**» وذكر الخبر(٢).

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ ثقله يحصل بذات الرحمن إذْ ليس في ذلك ما يُحيلُ صفاته، لأنَّا لا نثبت ثِقَلًا من جهة المُماسَّة والإعتماد والوَزْن، لأنَّ ذلك من صفات الأجْسَام، ويتعالى عن ذلك، وإنَّما نثبت ذلك صِفَةً لذاته لا على وجه المُماسة، كما قال الجميع: إنَّه عالي على الأشياء، لا على وجه التَّغطية لها، وإنْ كان في حُكْم الشاهد بأنَّ العالي على الشيء يوجب تغطيته.

---

(١) مرسل، خالد بن معدان شامي تابعي ثقة، لكن ابنته عبدة لم أجد من ترجمها، وقد ذكرت في الرواة عن أبيها. كما في تهذيب الكمال (٨/ ١٦٩).

(٢) لم يذكر المصنف سنده لننظر فيه. وفي متنه غرابة، والله أعلم.

وقيل: إنَّه يتجدد له صفة يثقل بها على العرش، ويزول في حال، كما تَتَجدَّدْ له صفة الإدارك عند خلق المْدرَكات، ويزول عند عدم المدركات.

فإن قيل: ذلك مَحْمولٌ على ثِقَل عَظَمتِهِ وهَيْبته في قلوبهم، وماَ يَتَجدَّد لهم في بعض الأحوال من ذكر عظمته وعزته، كما يقال: قد ثقل عليَّ كلامَك، وليس ثقل الكلام كثقل الأجسام، ويقال: الحقُّ ثَقيل مُرّ، وليس المراد به ثقل الأجسام، وقال سبحانه ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾ [المزمل: ٥].

قيل: هذا غَلَط، لأنَّ الهيبة والتَّعظيم مُصَاحب لهم في جميع أحوالهم ولا تجوز مفارقتها لهم، ولهذا قال تعالى﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٢٠] وما ذكروه من قول القائل: الحقُّ ثَقيل، وكلامُ فُلان ثَقيل، فإنَّما[١] لم يحمل على ثقل ذات، لأنَّها معاني، والمعاني لا تُوصف بالثقل والخفة، وليس كذلك ها هنا، لأنَّ الذات ليستْ معاني ولا أعراض فجاز وصفها بالثقل، وأمَّا قوله ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾ [المزمل:٥] فقد فَسَّره أَهْلُ النَّقل أن المراد به ثقل الحكم، ولأن الكلام ليس بذات.

فإن قيل: يحمل على أنه يَخلُقُ في العَرش ثِقَلًا على كَوَاهِلِهِم، وجعل لذلك أمارةً لهم في بعض الأحوال إذا قام المشركون.

قيل: هذا غلط، لأنَّهُ يُفضي إلى أَنْ يثقل عليهم بكفر المشركين، ويُخفَّف عنهم بطاعة الطائعين، وهذا لا يجوز لما فيه من المؤَاخَذَةِ بفعل الغير، وليس كذلك إذا حَملناه على ثِقَل الذَّات، لأنَّه لا يُقضى إلى ذلك، لأن ثقل ذاته عليهم تَكْليف لهم، وله أن يثقل عليهم في التكليف ويخفف.

***

(١) سقط من الأصل: «لم» ونبه عليه الناسخ.

إثبات صفة الغضب لربنا جل شأنه

٤٧٤- أخرَّجه أبو القاسم عبدالعزيز قال نا إبراهيم بن محمد بن جعفر نا محمد بن بكر البصري نا أبو داود قال نا أحمد بن حفص قال حدثني أبي قال حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول ﷺ: «**قَالَتْ بَنُوا إِسْرَائيل لموسى: هلْ يُصَلِّي رَبُّكَ؟ فتكابر**[١] **مُوسى ذَلك، فقالَ اللهُ له: ما قَالُوا لَكَ يَا مُوسى؟ فقال: قَالُوا الذي سمعتَ، قال: «فأَخبرهم أني أُصَلِّي، وأنَّ صَلَاتي تُطْفي غَضَبي**»[٢].

٤٧٥- وأخْرَجَ إلينا أبو الحسين محمد بن علي بن مخلد قال نا عمر بن أحمد بن شاهين قال نا عبدالله بن سليمان بن الأشعث قال نا زياد بن النضر الصنعاني قال نا يزيد بن أبي حكيم قال حدثني عمر بن قيس المكي عن عمرو بن دينار عن عبدالله بن الزبير أنَّ ﷺ قال: «**ليلة أُسرِيَ به قال له جبريل: إنَّ رَبك يُصَلِّي، قال: ياجبريل كيفُ يُصلي؟ قال يقول: سُبُّوح قُدُّوس، رَبُّ الملَائكةِ والرُّوحِ، سَبَقَتْ رَحْمَتي غَضَبي**»[٣].

---

(١) في الأصل: فتكابد، وفي رواية الديلمي: «فبكى» وكذا هي في رواية أنس عند ابن عساكر.

(٢) إسنادة منقطع، الحسن لم يسمع من أبي هريرة، كما قال ابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة. والحديث أورده الديلمي في مسند الفردوس (٤٥٥٣)، وإليه عزاه الهندي في كنز العمال (١٠٤٠٠) وإلى ابن عساكر، وعزاه أيضا إلى ابن عساكر (١٠٣٩٩) من رواية أنس بنحوه.

(٣) حديث منكر.
عمر بن قيس المكي أبو حعفر المعروف بسندل، قال أحمد: متروك ليس يسوى حديثه شيئاً، لم يكن حديثه بصحيح، أحاديثه بواطيل، وقال ابن معين: ضعيف الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث، وعامة أهل الحديث على ترك حديثه. التهذيب (٧/ ٤٩٠). والحديث أورده الذهبي في الميزان (٤/ ٦٤) في ترجمة محمد بن يحيى الحفار من طريق ابن جريج عن عطاء قال: لما أسري به ﷺ الحديث ثم قال: هذا منكر.

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في ثلاثة فصول.

أحدها: إطلاق الصَّلاة عليه.

الثاني: صِفَةُ صلاته.

الثالث: قوله «**سبقت رحمتي غضبي**».

أمَّا الفَصْلُ الأول: فإنَّه غير ممتنع إطلاق الصَّلاة عليه سبحانه، وأنها صفة له، وقد دَلَّ على ذلك نص القرآن فقال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الثاني: صِفَةُ الصَّلاة، فذلك ما فَسَّره في حديث عبدالله بن الزبير ثناءه ومدحه لنفسه بقوله «**سُبُّوح قُدُّوس**»، وإظْهار رحمته بقوله «**رَحْمته سَبَقَت غَضَبه**» وصلاة ملائكته إسْتِغْفَارُهم وسُؤَالُهم الفضْل، وصلاةُ المؤمنين دُعائهم ربهم إنزال البركات والرحمة على من يُصَلُّون عليه(١).

الفصل الثاني: قوله «**سبقت رحمتي غضبي**» معناه سبق الكائن من رحمتي غضبي، لأنَّ صفات ذاته لَا تَتَّصِفُ بِسَبْقِ بعضِها على بعض، وفي هذا دلالة على أنَّ الغَضَبَ من صفاته، وقد بينَّا ذلك فيما تقدم بقوله، تعالى ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤] وقوله ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ﴾ [النور: ٩] وغير ذلك(٢).

---

(١) روى البخاري في التفسير (٨/ ٥٣٢) عن أبي العالية تعليقاً بصيغة الجزم: قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن أبي حاتم. وروى البخاري أيضاً عن ابن عباس قال: «يصلون» يُبَرِّكون. قال الحافظ: وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قولة (يصلون على النبي) قال: يبركون على النبي، أي: يدعون له بالبركة. قال: فيوافق قول أبي العالية، لكنه أخص منه انتهى.
وانظر رد الإمام ابن القيم من وجوه كثيرة على من فسّر الصلاة ههنا «بالرحمة» في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (ص٩٠).

(٢) «الغضب» من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع، وهي صفة فعل تتعلق بها =

ولا يجوز أنْ يقال: إنَّ الرحمةَ والغضبَ هو الإرادة، بل كل واحد منها صِفَة ليست الأخرى، فعلى هذا لم يَزَلْ راحماً مُريداً تَنعْيمَ مَنْ عَلِمِ تنعيمه، ولم يَزَلْ غَضْبَاناً[١] مُريداً تعذيبَ مَن قد علم تعذيبه وعقوبته.

والوجه في ذلك: أنْ الإرادة تَتَناول ما ينافي الرحمة من المعاصي، وما لا ينافيها، وتتناول ما يُلائم الغَضَب من المعاصي وما ينافيه من الطاعات، فبانَ بهذا أنهما صفَتان، كالعلم والقدرة، والسمع والبصر، ولأنَّ نفي الغضب والرضا والمحبة والسخط يدل على النَّقص، كالمجنون لما انتفت هذه الأشياء في صفاته، دَلَّ على نقصه فوجب وصفه بها، كما وُصِفَ بالعلم والقُدره.

* * *

= المشيئة، وقد تقدم في كلام المصنف ذكر بعض الآيات الواردة فيها في (ص) ومن السنة: حديث الشفاعة الطويل وفيه قول كل نبي من أولي العزم: «إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيري» الحديث رواه البخاري في الأنبياء (٦/ ٣٧١) وفي التفسير (٨/ ٣٩٥) ومسلم في الإيمان (١/ ١٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي قوله: «اللهم إنى أعوذ رضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك..» الحديث رواه مسلم في الصلاة (١/ ٣٥٢) من حديث أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنها.
وغيرها من الأحاديث، التي نؤمن بها على ظاهرها، على ما يليق بالله تعالى وكماله وجلاله وجماله، لانؤولها ولا نعطلها، كما سبق ذكر ذلك مراراً في هذا الكتاب.

(١) أي: لم يزل موصوفاً بهذه الصفة وغيرها من صفات كماله، لم يحدث له شيئ لم يكن قبل من صفاته، بل مازال بصفاته قديماً قبل خلقه. انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٨٤) بتعليقنا.

حديث أخر[١]

٤٧٦- رواه أحمد قال: نا عبدالرحمن بن محمد الحاربي عن الأعمش عن مسلم عن مَسروق عن عبدالله قال: «**إذاَ تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْي سَمِعَ صَوْتَهُ أهلُ السَّماء فَيخرونَ سُجَّداً، حتى إذا فُزِّعَ عن قُلوُبِهم - قِال يسكن عن قلوبهم - نَادىَ أهلُ السَّماء أهلَ السَّماء: مَاَذا قَالَ رَبُّكم؟ قالوا: الحقَّ، قال: كذا وكذا**» ذكره عبدالله في كتاب «السُّنَّة» بهذا الإسناد[٢].

وذكره أبو بكر الخلال.

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٢) السنة لعبد الله (٢٥٣٦). وإسناده صحيح
وقد أخرجه عنه النَّجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٦، ٥) والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ١٥١) وعلقه في صحيحة (١٣/ ٤٥٢) بصيغة الجزم، وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٤٦، ١٤٧) واللالكالي (٢/ ٣٣٤-٣٣٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٠١) كلهم عن الأعمش به، وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم، انظر التحفة (٧/ ١٤٦-١٤٨).
وقد تابع الأعمش: منصور بن المعتمر، عند ابن جرير (٢٢/ ٦٢) وابن خزيمة (ص ١٤٦).
ورواه ايضا عن ابن مسعود: الشعبي والنخعي عند ابن جرير.
وقد رواه مرفوعاً: أبو داود (٤٧٣٨) وابن خزيمة (ص١٤٥) واللالكائي (٢/ ٣٣٤) بالطريق السابق عن عبدالله مرفوعا به.
وله شاهد من حديث أبي رضي الله عنه: أخرجه البخاري في التفسير (٨/ ٣٨٠ - ٥٣٧ - ٥٣٨) وفي التوحيد (١٣/ ٤٥٣) والترمذي (٣٢٧٦) وابن ماجه (١٩٤) وابن خزيمة (ص١٤٧) وابن أبي شيبة في العرش (٨٠ - بتحقيقنا) واللالكائي (٢/ ٣٣٣) والبيهقي في الأسماء (ص٢٠٠) في الدلائل (٢/ ٢٣٥) من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه وشاهد ثاني: من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: أخرجه ابن خزيمة (ص ١٤٤) والبيهقي في الأسماء (ص٣٠٢).
وفي سنده: نعيم بن حماد الخزاعي، وفيه ضعف.

٤٧٧- وروى أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم في «**الردّ على الجَهمية**» قال نا أبو زرعة نا عثمان بن أبي شيبة نا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث عن ابن عباس قال: «**إنَّ الله تبَارَكَ وتَعالى إذَا**(١) **تَكَلَّم بالوَحي، سَمعَ أهلُ السَّمواتِ له صَوْت كَصَوتِ الحَديد إذا وَقَعَ عَلى الصَّفَا، فَيَخرُّونَ سُجَّداً، فإذَا فُزِّعَ عنْ قُلُوبهِم قالوا: مَاذا قالَ ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ، وهُو العَليُّ الكبِير**»(٢) .

٤٧٨- وروى عبدالله في كتاب «**السُّنَّة**» قال: حدثني محمد بن بكار قال نا أبو معشر عن محمد بن كعب قال: قال بَنُوا إسرائيلَ لموسى بما شَبَّهْتَ صَوتَ رَبِّكَ حين كَلَّمَكَ مِنْ هَذَا الخَلْق؟ قال: شَبَّهتُ صَوته بصَوْتِ الرَّعْدِ حتَّى لا يترجع»(٣) .

اعلم أنَّ هذه الأخبار تدل على أنَّ كلام الله تعالى(٤) حَرْف وصَوْت، لا كحروف الآدميين وأصواتهم، كما أنَّ له عِلماً وقدرة لا تُشبه صفَات الآدميين.

وقد نَصَّ أحمد في رواية الجماعة على إثبات الصَّوت.

وقد امتنعتْ الأَشْعَريَّة من إثبات الصَّوت والحَرف في كلامِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وقالوا: حُرُوف القَاري وأصواته دِلَالات على القرآن!! وأمارات تظهر

---

(١) تكررت «إذا» في الأصل.

(٢) إسناده ضعيف، فيه يزيد بن أبي زياد وهو الهاشمي، ضعيف، ولكن يشهد له الأثر السابق. وقد أخرجه عبد الله في السنة (٥٣٨)

(٣) السنة (٥٤٢). وأخرجه الآجري في الشريعة (٣٢٦). وأبو معشر نجيح السندي، ضعيف. والأثر من الاسرائيليات، والحديث المرفوع السابق يغني عنه.

(٤) لفظ الجلالة ساقط من الأصل، علقه الناسخ.

للخلق، والكلامُ معنىً قائم في نفسه[١].

قالوا: ويحتمل أنْ يكون معناه أنَّه سَمَّى العبارة عن كلامِ اللهِ تعالى كلامَ الله، كما تُسمَّى الدلالة على الشيء باسمه، وكما أنَّ الشيء الواقع عن القُدرة، والكائن عن الرحمة رحمة، فيكون معنى قوله «**بما شَبَّهْتَ صَوتَ رَّبك**» معناه: بما شبهت العبارة عنه والدلالة عليه.

وهذا غلط، لوجوهٍ قد ذكرناها في الكتاب المفْرد بالكلام في القرآن[٢]، ودلَّلْنَا على إثبات الحَرف والصوت، بأشياء كثيرة من الكتاب والسّنة والإعتبار بما فيه كفاية.

فالكتاب قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] وقال في سورة النمل ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: ٨-٩] وقال

---

(١) قد اختلف الناس في القرآن وكلام الله تعالى اختلافاً كثيراً بلغ إلى تسعة أقوال، فقالت المعتزلة: إنه مخلوق خلقة الله منفصلاً عنه!!

وقال ابن كلاب ومن وافقه من الأشاعرة: إنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبّر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة! وغير ذلك من الأقوال الفاسدة.

وأما أئمة السنة والحديث من السلف فقد قالوا: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وهو يتكلم بصوت يسمعه من شاء من خلقه، وسمعه منه آدم وموسى عليهما السلام منه بلا واسطة، وكذا نبينا محمد ﷺ في المعراج، ومن شاء من ملائكته ورسله، ويكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة.

فالكلام لربنا جلَّ شأنه صفة له، قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته. انظر شرح الطحاوية (ص ٩٦) بتعليقنا.

(٢) لعله يعني كتابه: إيضاح البيان في مسألة القرآن. انظر مقدمة هذا الكتاب.

في سورة طه ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١-١٢] والنِّداء لا يكون إلا بصوت، فدلَّ على أنَّه كلمَّه بصوت.

ويدلُّ عليه ما روي عن عبدالله رضي الله عنه قال: «**إذا تَكَلَّم اللهُ بالوحي سَمِعَ صَوته أهلُ السَّماء فَيَخرُّونَ سُجَّداً، حتى إذا فُزِّع عنْ قُلُوبِهِم، قال: سكن عنْ قُلُوبِهِم**».

وهذا صَريح في إثبات الصَّوت، لأنه أضافَ الصوت إليه بقوله «**سمع صوته**» والهاء يرجع إلى المذكور.

وفي حديث ابن عباس «**إنَّ اللهَ إذا تَكَلَّمَ بالوحي سَمِعَ أَهْلُ السَّموات له صَوتاً كَصَوتِ الحديد إذا وَقَعَ على الصَّفا**».

فإنْ قيل: إثبات الصوت يرجع إلى السمَّاء.

قيل: هذا غلط، لأنَّ قوله «**سمع له صوتاً**» هاء كناية، وهاءُ الكِناية يرجع إلى المذكور، والذي تقدَّم ذِكره هو الله سبحانه بقوله «**إذا تكلَّم اللهُ**» فَوجَبَ أنْ يرجع الصوت إليه.

ويدل عليه أيضاً: قولهم لموسى عليه السلام «**بما شَبَّهت صوتَ ربك**» فَأَقرهم على ذلك، وأخبرهم بما سألوه، و قولهم: يحتمل أنْ يكون معناه: بما شبهت «**العبَارة**» عن كلام الله «**والدلالة**» عليه، ولم يرد تعبير الكلام، لا يصح، لأنَّ العبارة عندهم عَرَض مُحدث، لا يقوم بنفسه، ولم يكن هناك واسطة تقوم به، ولا يجوز أنْ يكون ذلك قائماً بذات الله تعالى، لأنَّه مُحْدَث على قولهم، فلم يبق إلا أنَّه سَمِعَ الكلام القديم، الذي هو الصَّوت والحَرْف، ولأنَّه ليس في إثبات الحرف والصَّوت لا مِنْ جنس حُرُوفنا وأَصْواتنا، ما يُفضي إلى تغيير صفات القديم، لأنَّه لا يُفضي

إلى تَجهيله ولا تَعجْيزه، ولا عَدَمه ولا ظُلْمه ولا حُدُوثه ولا إخراجه عما يَستحقُّه من صفاته، وبهذه الدِّلالة أُثْبتت جواز رُؤيته سبحانه، كذلك جازَ إثبات الصَّوت والحرف، وليس لهم أنْ يقولوا إنَّ في إثبات ذلك ما يُخرجه عن صفاته، لأنَّ الصَّوتَ عَرَض، وكلامه ليس بعرض.

والحروف لا يصحُّ اجتماعها في مَحَلٍ واحد، بل تَترتب فَتُفضي إلى تقدم بعضها على بعض، وهذا يدل على الحديث، وذلك أنَّه كان يجب أن يقول يتكلمُ بصوتٍ ليس بعرض، وحروف لا تقتضي التَّرتيب، وإنْ كان مُستحيلًا في الشاهد، كما قلنا في ذاته وصفاته ليست بجسم ولا جوهر، ولا علمه ضرورة ولا استدلال، وله وجه ويدانِ وسَمْع وبَصَر، يُخالف صفات المخلوقين، وكذلك جواز الرؤية عليه لا يفضي إلى الكون في جهة، وإنْ كان ذلك مستحيلًا في الشاهد[١] .

واعلم أنَّا وإنْ أَثْبَتْنا الحُروف والأصوات، فلا نقول: إنَّ اللهَ يتكلَّمُ كلاماً بعد كلام، لأنَّ ذلك يُوجب حَدث الكلام[٢] .

الثاني: ولا نقول إنَّ اللهَ تكلم في الأَزَلِ مَرَّةً ويتكلم إذا شاء، ولا نقول: إنه

---

(١) نفي الجهة عن الله تعالى من الألفاظ المحدثة التي تحتمل الحق والباطل. انظر ما سبق تعليقه في هذا الكتاب.

(٢) كلام المصنف هنا، يخالف ما قرره أهل السنة من كون صفة الكلام صفة ذاتية قائمة بذاته باعتبار نوع الكلام، وصفة فعلية تتعلق بها مشيئة الله تعالى باعتبار أفراد الكلام، لأن الله تعالى قد خاطب آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، ومعلوم أن الكلام الذي خاطب به آدم غير الكلام الذي خاطب به نوحاً، وما خاطب به نوحاً غير ما خاطب به إبراهيم وهكذا. وكلامه معهم غير كلامه مع خاتم النبيين محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وسيأتي في كلام المصنف نحوه، وانظر شرح الطحاوية (الموضع السابق) ومناظرة في القرآن العظيم لابن قدامة بتحقيقنا (ص ٣٨).

تكلم في الأَزَل مرة ثم يتكلم بعد ذلك، بل نقول: إنَّ اللهَ لم يزل مُتكلماً ولايزال مُتكلما، وإنه قَد أحاطَ كلامه بجميع مَعاني الأمر والنهي، والخبر والاستخبار.

٤٧٩- وقد حكى ابن فُورك عن ابن خزيمة أنَّه قال: **«كلامُهُ متواصل لا سَكْتَ فيه ولا صَمْت»**.

وأنكر عليه ذلك، وقال: لم يتضمَّن الخبر شيئاً مما تَرْجَمَ به الباب، بأنَّ كلامه متواصل لاصمت فيه ولا سكت[1].

٤٨٠- وقد قال أحمد في رواية حنبل: لم يزلْ اللهُ متكلماً.

٤٨١- وقال في رواية عبدالله فيما خَرَّجه على الجهمية: لم يزل مُتكلماً إذا شَاء.

ومعنى قول أحمد إذا شاء أنْ يُسْمِعَنَا ويُفهمنا ذلك.

٤٨٢- وقد حكى أبو بكر في السَّنة مِنَ **«المقنع»** عن بعض أصحابنا أنَّه يتكلم إذا شاء، كما نقول يخلق إذا شَاء، ولعله تَعلَّق بظاهر كلام أحمد في رواية عبدالله.

---

(١) مشكل الحديث لابن فورك (ص ١٨٤)، والتوحيد للإمام ابن خزيمة (ص ١٤٥).
ونص كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «باب من صفة تكلم الله عز وجل بالوحي» والبيان أن كلام ربنا لا يشبه كلام المخلوقين، لأن كلام الله كلام متواصل لاسكت بينه ولا صمت، لا ككلام الآدميين، الذي يكون بين كلام سَكْت وصمت لانقطاع النفس، أو التذاكر أو العي، منزهٌ الله مقدس من ذلك أجمع، تبارك وتعالى انتهى كلامه ثم ساق بسنده: حديث ابن مسعود السابق: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصة كجرّ السلسلة على الصفاة» الحديث.
فبهذا الحديث استدل رحمة الله لما قال، وإن كان فيه نظر! من جهتين الأولى: أنه يتضمن نفياً لم يرد في الكتاب أو السنة صريحاً. والثانية: أنه قد ثبت في حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سُئل رسول ﷺ عن السمن والجبن والفراء، فقال «الحلال ما أحلَّ الله، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكَتَ عنه فهو ما عفيَ عنه». ورواه الترمذي (١٧٩٦) وابن ماجة (٣٣٦٦) وغيرهما هو حديث حسن.
فورد في هذا الحديث نسبة صفة السكوت لله تعالى، والله أعلم.

٤٨٣ - وقد حكيت كلام هذا القائل في «**مَسَائل القُرآن**» وبيَّنت أنَّ هذا قول يؤدي إلى حَدَثِ القُرآن، ويثبتُ الفرق بين الكلام والخلق، فإن قيل: فقد روي إنَّ الله تعالى يتكلم في وَقْتٍ بعد وقت، نحو ما روى إنَّ الله تكلَّم بعد ما خلق ذرَّية آدم، وتكلم لما خَلَق ذرية آدم وأخذ الميثاق عليهم، وتكلم بعد أنْ بعث إبراهيم، وبعد أنْ بَعَثَ أيوب وداود.

قيل: معناه: أنه يُفهم خلقه ويُسمعهم كلامه وَقْتاً بعد وقت، أو شيئاً فشيئاً. وكذلك الجواب عَمَّا روي إنَّ الله يكلِّم عباده بعد قيام القيامة فقال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩] وقوله ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ [ق: ٣٠] وقولُ أهل الجنة له: «**ياربِّ ألم تَغْفِر لنا؟ فيقول: بَلَى**». معناه ما تقدم من الإفهام والإسماع لكلامه القديم[١].

❊ ❊ ❊

(١) هذا تأويل لصفة الكلام! فالكلام شيئ والإفهام شيئ آخر! وقد يسمع الإنسان الكلام ويظل زمناً يتفكر فيه حتى يفهمه، وربما فهم منه شيئاً، ثم بعد مدة يفهم منه، ما لم يفهم من قبل. وليس في إثبات كلام تعالى متى شاء إذا شاء، ما يخالف كماله، أو يقتضي التشبيه بالمخلوقات، بل مذهب السلف كما تقدم مراراً: إثبات الصفات له - مما ثبت في الكتاب والسنة - مع تنزيهه عن مماثلة المخلوقات كما قال عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهذا جار في الصفات كلّها.

حديثٌ آخر

٤٨٤- ناه أبو القاسم نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا أبو بكر الإصطخري إملاءً قال نا أبو إسماعيل الترمذي نا صفوان بن صالح قال نا الوليد بن مسلم قال نا الأَوزاعي قال سمعت حَسَّانَ بن عطية يقول: السَّاجد يَسْجُدُ على قَدِمِ الرَّحمن جَلَّ اسْمه(١).

اعلم أنَّا قد ذكرنا فيما تقدَّم أنَّه غير ممتنع وصْفه تعالى بالقَدَم في قوله «**يَضَعُ قَدَمَهُ في النَّار**» وقوله لداود «**خُذْ بِقَدَمي**» كما لم يَمتنع وصفه باليدين والرجلين(٢)، وغير ممتنع أيضاً إطلاقُ القول بالسجود على قدمه لا على وجه المُماسة، كما لم يمتنع إطلاق القول خلقَ آدمَ بيده لا على وجه المماسة.

فإنْ قيل: كيف لا يمتنع ذلك من قولكم، وقد قلتم إنَّه على العرش، وكَفَّرتُم مَنْ قال: إنه في الأرضِ، وهذا القول يُفضي إلى أنَّ قدمه في الأرضْ يسجد المصلي عليها!

قيل: هذا غلط، لأنَّ كونه سَاجداً على قَدِمِ الرحمن، لا يمنع وصفه بالكون على العرش، كما لم يمنع من كونه على العرش من نزوله إلى السماء الدنيا، ووضع القَدَمِ في النَّار، لأنَّ أَحمد قد نَصَّ على أنَّه ينزل، ولا يخلوا العرش منه.

---

(١) أبو الفتح بن أبي الفوارس هو الحافظ الرحّال محمد بن احمد بن محمد البغدادي ترجمته في السير (١٧/ ٢٢٣).
وصفوان بن صالح بن صفوان الثقفي مولاهم، أبو عبدالملك الدمشقي، والأثر مقطوع (التقريب).

(٢) سبق كلام المصنف وسياقه للأحاديث الواردة في إثبات صفة القدم لربنا جل شأنه، ورده على المعطّلة والموؤلة انظر أول الكتاب.

فإنْ قيل: قوله «**يسجد على قدم الرحمن**» معناه على ما قدَّم الرحمن، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] فهذه القَدَمُ الصِّدق، هي ما قدَّمه العابد من خيرٍ مَهَّدُوه لأنفسهم.

قيل: هذا غلط لوجهين:

أحدهما: أنَّه يُسقط فائدة التخصيص بالسجود، ولأنه يركع أيضاً على ما قدم، ويقف على ما قدم، فوجب أن يكون لهذا التخصيص فائدة.

الثاني: أنَّ هذا الخبر قُصِدَ به تعظيم حال السُّجود، وأنَّه يكون فيه قريباً(١) من الله سبحانه، ولهذا قال النبي ﷺ «**أَقْرَبُ ما يكونُ العَبْدِ من الله وهو ساجد**»(٢) وإذا كان هذا معناه لم يصح التَّأويل، لأنَّه يُسْقِط معنى التَّعظيم.

وأما قوله تعالى ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] ومعناه: ما قَدَّمُوه، فلا يُشبه ما ذُكِرَ في الخبر، لأنَّه أضاف القَدَمَ إليهم بقوله ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] وها هنا أضافَ القَدَمَ إليه، كما أضاف اليد إليه بقوله «**خَلَقَ آدمَ بيده**» والحديث المعروف في السُّجود، وإنما هو بذكر القَدَم على ما رويناه.

فأمَّا ما روي أَنَّه «**يسجد على رجْل الرَّحمن**» فلا يصحُّ.

٤٨٥- قال أبو بكر عبدالعزيز في جوابات مسائل فيما رأيته بخط ابن حبيب وما ذُكر «**أنَّ العَبد إذا سَجَدَ سجَدَ على رِجْل الرَّحمن**» «**ويضع رَأْسه على رِجل الله**» فهذان حديثان لا نعرفهما، والصحيح: أنَّ العبد إذا سَجَد كان أقرب إلى ربه عَزَّ وجَلَّ، وأنَّ العبد إذا سجد أقبل الله عليه بوجهه.

* * *

(١) في الأصل: قريب، وهو خطأ.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (١/ ٣٥٠) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وتمامه: فأكثروا الدُّعاء».

(إثباتُ صفة الوجه لربِّنا تعالى)
حديث آخر

٤٨٦- نا أبو القاسم بإسناده: عن أبي رضي الله عنه عن ﷺ قال: «**أنا أولُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرضُ يومَ القِيَامَةِ ولا فَخْرَ**»(١) وذكر الخبر إلى أنْ قال: «**فآخُذُ بحَلقَةِ بَابِ الجَنةِ فَيُؤذَنُ لي فَيَسْتَقبلني وَجْهُ الجبَّار جَلَّ ثناؤه، فأَخِرُّ له سَاجداً، فيقولُ إرْفَع رأسَكَ يا محمد**» الخبر(٢).

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد (٢/ ٥٤٠) وابن أبي عاصم في السنة (٧٩٢) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٦١٩ -ط الرشد) من طرق عن أبي هريرة.
ورجاله ثقات، سوى محمد بن مصعب القُرْقُساني، قال ابن أبي حاتم: ليس بالقوي، وضعفه ابن معين والنسائي وقال الحافظ: صدوق كثير الغلط. وقد اضطرب في سند هذا الحديث، كما بينه الألباني رحمه الله في تعليقه على السنة.
ولكن الحديث ثابت من وجوه أخرى.
فقد رواه مسلم في الايمان (١/ ١٨٨) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» وزاد في رواية « وأنا أول من يَقْرعُ باب الجنة».
وانظر السنة لابن أبي عاصم (٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦).

(٢) وقوله «فآخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي».
قد صح نحوه بلفظ مسلم السابق: «وأنا أولُ من يقرع باب الجنة».
وأخرج الامام أحمد (١/ ٢٨٠، ٢٩٦) والدارمي (١/ ٢٦) من طريقين عن ابن عباس في حديث الشافعي الطويل: «.. ثم آتى باب الجنة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقرع الباب..».
ورواه الترمذي (٣٣٦٩) والدارمي (١/ ٢٧) من حديث ابن جدعان عن أنس عنه مرفوعا: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها».
وهي أحاديث ثابتة بمجموعها.
أما قوله: «فيستقبلني وجه الجبار جل ثناؤه فأخر له ساجداً، فيقول: ارفع رأسك».
فلم أجد هذه اللفظة: «فيستقبلني وجه الجبار».
والحديث ثابت في الشفاعة دون هذه الزيادة، وقد ذكرناه سابقا في هذا الكتاب.

٤٨٧- وناه أبو القاسم بإسناده: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ «**النَّظَرُ إلى وَجْهِ اللهِ، وَاجِب لِكلِّ نبيٍ وصِدِّيقٍ وشَهِيد**»(١).

٤٨٨- وروى أبو عبدالله ابن بطة بإسناده: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول ﷺ: «**إنَّ أدنى أَهْل الجنَّة مَنْزِلَةً لَرَجُل يَنْظُرُ في مُلكِه ألفي سَنَة يَرَى أقصَاه كما يَرَى أدْناه، يَنْظُرُ في أزْوَاجِهِ وسرره وخَدَمِه، وإنَّ أفْضَلَهم مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظرُ في وجهِ الله تعالى في كُلِّ يوم مَرَّتين**»(٢).

اعلم أنَّه مَوصوف بالوجه، وأنَّ الوجه صفَة من صفاته القائمة بذاته، لا يُقال: هي الذات، ولا غيرها، خِلافاً للمُعْتَزلة وبعض الأشْعَرية في نفيهم ذلك، وأنَّ وجهه ذاته، ليست بصفةٍ زائدة على ذاته! والدِّلالة عليه قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (٣).

٤٨٩- وروي عن أبي بكر وغيره: «**الزِّيَادَةُ** النَّظرُ إلى وجه ربهم».

وقوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] وقال تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾

---

(١) حديث ضعيف جداً، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٢٩٣)، كما في «زهر الفردوس» وفي سنده: عمرو بن خالد الكوفي أبو يوسف أو أبو حفص، كما قال الذهبي.
قال ابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٧٨): منكر الحديث.
وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه.
انظر المغني (٢/ ٤٨٣) للذهبي.

(٢) حديث ضعيف سبق تخريجه.

(٣) صفة الوجه لربنا جل شأنه، من الصفات التي ثبتت بصريح القرآن وصحيح السنة النبوية، وهي من الصفات الخبرية، قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في الابانة (ص ٩٦): فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجهاً؟ قيل له: نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون، وقد دلّ على ذلك قوله عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] اهـ.

[البقرة: ١١٥] ويدل عليه الخبر الذي تقدم، ويعضده أيضاً: ما رَوى عَمَّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ﷺ: كانَ مِنْ دُعَائِهِ: «**اللَّهم إنِّي أَسْألُكَ الرِّضَا بَعْد القَضَا، وبُرْدَ العَيْشِ بَعْد الموتِ، ولَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ**» حدثناه أبو القاسم[١].

٤٩٠- وروي أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ ﷺ قال: «**إنَّ اللّهَ لايَنَامُ، ولايَنْبَغي لهُ، ولكم يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، حجَابُه النُورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبحاتُ وجهه ما انتَهى إليه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِه**».

٤٩١- ونا أبو القاسم بإسناده: عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه أنَّ ﷺ قال: «**لَيسَ بينَ القَوم وبَينَ أنْ ينظُروا إلى رَبِّهم، إلَّا رِدَاءُ الكبرياءِ على وَجْهِهِ في جَنَّة عَدْنِ**»[٢].

---

(١) حديث صحيح، روه النسائي (٣/ ٥٤) والحاكم (١/ ٥٢٤) من حديث حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقال بعض القوم: لقد حففت أو أوجزت الصلاة! فقال: أما على ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم - هو أبي غير أنه كني عن نفسه - فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: « اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي..» الحديث. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهو كما قالا، وعطاء بن السائب وإن كان قد اختلط، فرواية حماد بن زيد عنه قبل الاختلاط، كما في الكواكب النيرات (ص ٣٢٥) وغيره وله طريق آخرى:
فروى النسائي (٤/ ٥٥) وأحمد (٤/ ٢٦٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٤٦) من طرق عن شريك عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال: صلى بنا عمار..
وفيه: شريك وهو القاضي النخعي، سيء الحفظ، وأبو هاشم هو الرماني يحيى بن دينار، ثقة.
وثالثة: عند ابن أبي شيبة (١٠٢٦٥) حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال : كان من دعاء عمار: اللهم إني أسالك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق..
ومالك بن الحارث هو السلمي الرقي ويقال الكوفي، تابعي ثقة.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (٨/ ٦٢٤) وفي التوحيد (١٣/ ٤٢٣) ومسلم في الإيمان (١/ ١٦٣) من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه مرفوعاً.

٤٩٢- وذكر أبو بكر بن الضبعي في كتابه أَخبَاراً: منها ما روي عنه ﷺ قال: «يُجَاءُ يومَ القِيَامة بصُحُف مَخْتُومةٍ، فَتُنْصَبُ بَيْنَ يديِّ اللهِ، فَيَقولُ اللهُ لملائكته: أَلْقُوا هذا، وأَقبلوا هذا، فَتَقول الملائكة: وعزَّتكَ ما رَأَينا إلا خَيراً، قال فيقول وهو أَعْلَمُ: إنَّ هذا لكانَ لِغَيرِ وَجْهِي، ولا أَقبلُ اليومَ مِنَ العَبْدِ إلا ما كان ابتُغيَ بِهِ وَجهْي»(١).

٤٩٣- وروي عنه ﷺ أنَّه قال «مَنْ بَنَى مَسْجِداً يبتغي به وَجْهَ اللهِ، بُني اللهُ له مِثْله في الجنة»(٢).

٤٩٤- وروي ﷺ أنَّه قال: «ثَلاثٌ والذي نفس محمد بيده(٣) إنْ كنتُ لحالفاً عليهنَّ: لا يَنقُصُ مَال مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدقُوا، ولا يَعْفُوا رَجُل عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتغي بهَا وَجْهَ اللهِ، إلا رَفَعَه اللهُ يَومَ القِيَامة، ولا يَفْتح رَجُل على نفسه بابَ مَسأَلةٍ، إلا فَتَح اللهُ عَليه بَابَ الفَقْر»(٤).

---

(١) في الأصل «فيقولون» علقه الناسخ.

(٢) لم أقف عليه مسنداً!
وذكره ابن فورك في مشكلة (ص٢٠٠).

(٣) ورواه البخاري في الصلاة (١/ ٥٤٤) ومسلم في المساجد (١/ ٣٨٤) وفي الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٨٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٤) هكذا في جميع مصادر الحديث هذه الزيادة.

١- إسناده ضعيف والحديث صحيح، أخرجه أحمد (١/ ١٩٣) وأبو يعلى (٨٤٩) والبزار (٩٢٩- زوائد) عن أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال: حدثني قاص - وعند أبي يعلى قاضي - أهل فلسطين قال سمعت عبد الرحمن بن عوف يقول: إن رسول ﷺ قال: ثلاث والذي نفس محمد بيده إن كنت لحالفاً عليهن: لا ينقص مال من صدقة..» فذكره.
وفي إسناده جهالة، قاضي أهل فلسطين لم يسم، قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٠٥): رواه احمد وأبو يعلى والبزار، وفيه رجل لم يسم، وله عند البزار طريق عن أبي سلمة عن أبيه وقال البزار: إن الرواية هذه أصح، والله أعلم! كذا قال! مع أن الذي في مسند البزار تصويب الرواية الأولى!
=

٤٩٥- وروي عنه ﷺ أنه قال: «أَتَاني جِبْرِيلُ فقال لِيَ: يا مُحمد إنَّ رَبَّك سَألني: ما جَزاء مَنْ أَذْهبتُ كَرِيمتَيه في الدُّنيا؟ فقلتُ: لا أَعلمُ إلا مَا عَلَّمتني، قال: جَزَاؤُه الخُلْدُ في دَارِي، والنَّظر إلى وَجْهي»(١).

= وأما الرواية الثانية للبزار (٩٢٩) فرواها عن محمد بن العلاء الهمداني ثنا عمرو بن مجمع ثنا يونس بن خباب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه عنه ﷺ.
ولكن يشهد للحديث: ما رواه أحمد (٤/ ٢٣١) الترمذي (٢٤٤١) وابن ماجة (٤٢٢٨) من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: فأما الثلاث الذي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبدٍ صدقة،...» الحديث بطولة قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال.
كما يشهد له: ما رواه مسلم في البر (٤/ ٢٠٠١) والترمذي في البر (٢١١٥) عن أبي رضي الله عنه عن رسول ﷺ قال: ما نقصت صدقة من مال، ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

(١) حديث منكر، رواه الطبراني في الأوسط (٨٨٥٥) ط - الحرمين: حدثنا مقدام بن داود ثنا أسد بن موسى ثنا أشرس بن الربيع! أبو شيبان الهذلي ثنا أبو ظلال القَسْملي: إنه دخل على أنس بن مالك فقال له: يا أبا ظلال، متي أصيب بصرك؟ قال لا أعقله، قال: أفلا أحدثك حديثاً حدثنا به نبي الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه تعالى؟ قال «إن الله قال يا جبريل، ما ثواب عبدي إذا أخذت كريمتيه إلا النظر إلى وجهي، والجوار في داري» ولقد رأيت أصحاب النبي ﷺ يبكون حوله، يريدون أن تذهب أبصارهم. قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أشرس إلا أسد بن موسى، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٩): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: أشرس بن الربيع ولم أجد من ذكره، وأبو طلال! ضعفه أبو داود والنسائي وابن عدي ووثقه ابن حبان انتهى.
قلت: أشرس بن الربيع - في الجرح ابن ربيعة - أبو شيبان الهذلي، ذكره ابن ابي حاتم (٢/ ٣٢٢) ولم يحك فيه شيئاً، وأبو ظلال- بالظاء كما في الميزان وغيره - هو هلال بن ميمون وقال ابن معين: ضعيف، ليس بشيء، وضعفه النسائي والأزدي، والبخاري: عنده مناكير. الميزان (٤ / ٣١٦). وأما قول الهيثمي: ووثقه ابن حبان، فقد وهم فيه بينه الحافظ ابن حجر في التهذيب (١١/ ٨٥) فقال : إنما ذكر ابن حبان في الثقات هلال بن أبي هلال، يروي عن أنس، وعنه يحيى بن المتوكل، وأما أبو ظلال فقد ذكره في =

٤٩٦- وعن علي: أنَّه كان يقول في دعائه: «**بَسطَّتَ يَدَكَ فَأعْطَيتَ، فلك الحمدُ رَبَّنَا، وَجْهك أكْرَمُ الوجوه**»[(١)].

فإن قيل: المراد بهذه الآيات والأخبار: ذَاتُ الله عَزَّ وجلَّ، وأنَّ كلَّ شيءٍ هالك إلا ذاته، وكذلك قوله ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فكنىَ عن الذات بالوجه، كما يقال: هذا وجه القوم، ووجه الثوب، ووجه الطريق، ووجه الحائط، ووجه الأمر!.

قيل هذا لا يصُح لوجهين:

أحدهما: أنَّه أضافَ الوجه إلى ذاته بقوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وقوله في الخبر «**فَيَسْتَقْبلني وَجْهُ الجبَّار**» وفي الخبر «**مَنْ ينظر في وَجْه الله**» فوجب أنْ يكون المضاف والمضاف إليه صفتان، كما يقال: دار زيد، وغلام عمرو[(٢)].

= الضعفاء، فقال: شيخ مغفل، لا يجوز الاحتجاج به بحال، يروي عن أنس ما ليس من حديثه. وقد فرق البخاري في التاريخ بينه وبين أبي ظلال.
والحديث ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠١٢).

(١) لم أقف عليه مسندا!
وذكره ابن فورك في مشكله (ص٢٠١)
وصفة الوجه، من الصفات الخبرية الثابتة بصريح القرآن، وصحيح السنة المطهرة، كما مرّ ذكر بعضها، وهي أكثر من ذلك. قال الإمام أبو الحسن الأشعري في الإبانة (ص ٩٦) مسألة: فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجهاً؟
قيل له: نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون. وقد دل على ذلك قوله عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].
وقال قبله (ص٩٥): قال الله تبارك وتعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [والقصص: ٨٨] وقال عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] فأخبر أن له وجهاً لا يفنى. ولا يلحقه الهلاك انتهى.

(٢) انظر نقض الدارمي على المريسي (ص ١٥٨).

فإن قيل: لا يمتنع أنْ يرد المضاف والمضاف إليه ويكون شيئاً واحداً، كما قال تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١] وما شاكله.

قيل: كون الاسم مُرَاداً به الذات، لا يُخرج الاسم عن أنْ يكون صِفَةً له ودالّاً عليه، وكون الوجه مراداً[١] به الذات، مخرجٌ الوجه عن أنْ يكون صِفةً له، فلم يصح حمله على الذات، لما فيه من إلغاء الصفة.

وجواب آخر ثانٍ[٢] عن أصل السؤال: وهو أنَّ حَمْلَهُ على الذات يُؤَدي إلى جواز القول بأنَّ لله وجه! وأنَّه يجوز أنْ يُدعى فتقول: يا وجَهْ اغفر لنا! وقد أجمعت الأُمة على منع ذلك.

وما ذكروه من تشبيه ذلك بوجه الثَّوب والحَائِط فهو الحجة، لأنَّ وجه الثَّوب والحائط، ليس هو نفس الثَّوب والحائط، بل هو ما وَاجَهَ به وأقبل به، وكذلك وجه الأمر ما ظهر منه الرائي الصحيح، دون ما لم يظهر، وإذا كان كذلك، لم يصح التَّأويل[٣].

فإنْ قيل: فإذا لم يكن الوجه هو الذات، والذات فما الفائدة بتخصيص النظر إليه دون الذات؟

قيل: قد قيل إنَّه ذكر الوجه ها هنا، والمراد به من له الوجه، وعلى هذا يتناول قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] المراد به: الله الذي له

---

(١) سقطت الألف من «مرادا» في الأصل.

(٢) في الأصل: ثاني! بالياء!

(٣) قال الدارمي في النقض (ص ١٥٩): وأعظم من ذلك: دعواك أن وجه الله كوجه الثوب! والحائط الميت! الذي لا يوقف منها على وجه ولا ظهر، ما تركتم من الكفر بوجه الله غاية. ولو تكلم بهذا رجل بالمغرب، لوجب على أهل المشرق أن يغزوه، حتى يقتلوه غضباً وإجلالًا لوجه الله ذي الجلال والاكرام».

الوجه، وكذلك قوله ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل: ٢٠] المراد به ابتغاء ربِّه الأعلى الذي له وجه، وإنَّما وجب حمل قوله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] على الذات، لعلمنا بأنَّ العبادة والقُرْبَةَ لا تقع لصفة من صفاته، وإنَّما تقع للذات.

ويحتمل أنْ يحمل الخبر على ظاهره، وأنَّ النَّظر تارةً يكون إلى صِفَةٍ من صفات الذات، وهي الوَجْه على ظاهر الخَبر، وتارةً يكون إلى الذات، على ظاهر قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣] لأنَّ في ذلك حَمْل للكلام على حقيقته، وليس فيه ما يُحيل صفاته.

❊ ❊ ❊

حديث آخر

٤٩٧- ناه أبو القاسم بإسناده: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، كَتَبَ كِتَاباً على نَفْسِهِ، فَهو فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتي تَغْلبُ غَضَبي».

٤٩٨- وفي لفظٍ آخرٍ: عن النبي ﷺ: «لَمَّا قَضى اللهُ عَزَّ وجَلَّ الخَلْقَ، كَتَبَ في كتَابهِ، فَهُوَ عِنْدَه فَوقَ العَرْشِ إنَّ رَحْمَتي سَبقَتْ غَضَبِي».

٤٩٩- وفي حديث آخر حدثناه بإسناده: عن أبي هريره رضي الله عنه عن رسول ﷺ قال: «إنَّ اللهَ جَلَّ اسمْه لَمَّا خَلَقَ، الخَلْقَ كَتَبَ بيدِهِ على نَفْسِهِ: إنَّ رَحْمتي تَغْلِبُ غَضَبي».

٥٠٠- وفي لفظ آخر: «لما قَضى اللهُ تعَالى الخَلْقَ، كَتَبَ في كِتَاب فهو عنْدَه فَوْقَ[1] العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتَي غَلَبَتْ غَضَبي»[2].

٥٠١- وفي لفظٍ آخر: «لَمَّا فَرَغَ اللهُ من الخَلْقِ، كَتَبَ على عَرْشِهِ: رَحْمَتي سَبقَتْ غَضبي»[3].

٥٠٢- وفي لفظ آخر: «كَتَبَ كِتَاباً لنَفسِهِ قبل أنْ يَخلْقَ السَّموَاتِ والأَرضْ، مَوْضِعَه تَحتَ عَرْشهِ، فيه رَحْمتي سَبقَتْ غَضَبي»[4].

---

(١) كتب في هامش الأصل: لفظ «فوق» في الأصل كأنها مضروب عليها وتحتها بين السطرين كلمة «دون».

(٢) رواه البخاري في التوحيد (١٣/ ٣٨٤، ٤٠٤، ٤٤٠، ٥٢٢) ومسلم في التوبة (٤/ ٢١٠٧ - ٢١٠٨).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٦٦) ثنا وكيع عن سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً به.

(٤) قوله في الحديث «تحت عرشه» لم أقف عليه! وسيأتي ذكر المؤلف لها بلفظ «دون عرشه» ولعلها مروية بالمعنى كما في قوله (بعوضة فما فوقها) أي: دونها، انظر الفتح (١٣/ ٤١٣).

٥٠٣- وفي لفظٍ آخر «**لما قَضىَ اللهُ تَعالى الخَلْقَ، كَتَبَ في كِتَابهِ على نَفْسه، وَهُو مَوْضُوع عِنْده: إنَّ رَحمَتَي تَغْلِبُ غَضَبي**».

٥٠٤- وناه أبو القاسم قال نا أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفقيه الحنبلي أنا محمد بن بكر البصري نا أبو داود سليمان بن الأشعث نا محمد بن عوف الطائي نا أبو المغيرة نا صفوان بن عمرو قال حدثني أبو المخارق زهير بن سالم أنَّ كعباً قال عند عُمر: إنَّ أولَّ شيء ابتَداهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ كَتَبَ كِتَاباً، لم يَكتُبه بقَلم ولا مِدَاد، ولكنْ كَتَبَه باصبعه يتلوها الزَّبَرْجَد واليَاقُوت: أَنَا اللَّهُ لا إله إلا أَنا، سَبَقَت رَحْمَتي غضبي! [(١)].

اعلم أنَّ الكلامَ في هذا الخبر في فُصول:

أحدها: إثباتُ النَّفس واليد[(٢)]، وهو قوله «**كَتَبَ بيده على نفسه**» وهذان أصْلان قد تقدَّم الكلام فيهما، وبينَّا أنهما صِفَاتُ ذات.

الفصل الثاني: قوله «**فهو عنده فَوقَ العَرش**» و «**دُونَ العَرش**» وظاهر الخبر يقتضي القُرْبَ من الذَّات، لأنَّه أَضَافه إلى العَرْشِ الذي وَصَفَ نفسه بالإسْتَواء عليه، وهذا غير مُمتنع، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم ٨-٩] [(٣)] وكما قال: «**إنَّ اللهَ يُدْني عَبْدَه حتى يَضَعَ عليه**

(١) الخبر من الآثار الاسرائيلية، كعب هو كعب الأحبار.
وفي سنده: زهير بن سالم وهو العنسي أبو المخارق، الشامي.
ضعيف، قال الدارقطني: منكر الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات! وقال الحافظ في التقريب: صدوق فيه لين وكان يرسل!

(٢) سبق كلام المؤلف على صفة النفس، انظر الجزء الثاني وكذا صفة اليد في الجزء الأول.

(٣) انظر ما سبق والكلام على الآية.

كَنَفُهُ»، «ويَخْلُوا بعَبْده» ونحو ذلك، وقد بَيَّنَّا أنَّه غَير ممتنعِ القُرْبُ من الذات، إذْ ليس في ذلك ما يُوجب كونه في جهة. كما جَازَ وصفه بالإستواء على العرش فلم يُؤدِّ ذلك إلى الجهة، وكذلك رُؤيته جائزة ولم يُؤدِّ ذلك إلى الجهة، كذلك ها هنا.

فإنْ قيل: قوله «**فهو عنده**» على معنى أنَّه عالم به، وأنَّه لا يخفى عليه منه شيء، ولم يَسبق بكتابته لئلا يذهب علمه به، كما قال تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣] أي: في علمه، وقيل: يحتمل أنْ يراد بها الكرامة(١).

قيل: هذا غلط، لأنَّ حمله على ذلك يُسقط فائدة التخصيص بالكتاب، لأنَّه عالم بجميع الأشياء مما كتَبَه ومما لم يكتبه، ولذلك هو مكرم لغيره من الكتب.

الفصل الثالث: قوله «**لما قَضَى الخلق**» فالمراد به لما حَكَمَ بخلق ما سَبَقَ في علمه وحكمته أنه يَخْلُقُه، خَلقَ كتاباً كتب فيه ما أراد أَنْ يكون في المستقبل مِنَ الأوقات، من الحوادث التي تحدث فيها(٢).

---

(١) انظر هذه التأويلات في مشكل ابن فورك (ص ١٦٨).
وحكى الحافظ ابن حجر نحوه عن ابن بطال في الفتح (١٣/ ٣٨٥) وقال ابن التين: معني العندية في هذا الحديث: العلم بأنه موضوع على العرش !! هو تأويل أيضاً! وقال الراغب: «عند» لفظ موضوع للقرب، ويستعمل في المكان وهو الأصل اهـ. وهو كلام صائب، والله أعلم.

(٢) قال الخطابي: المراد بالكتاب أحد شيئين: إما القضاء الذي قضاه كقوله تعالى ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ أي: قضي ذلك قال: ويكون معنى «فوق العرش» أي عنده علم ذلك، لا ينساه ولا يبدله، كقوله ﴿فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾. وإما: اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر أصناف الخلق، وبيان أمورهم وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم، ويكون معنى: فهو عنده فوق العرش» أي: ذكره وعلمه. كل ذلك جائز في التخريج. الفتح (١٣/ ٤١٣).

٥٠٥- وهذا كما روي في الخبر الآخر **«إنَّ أولَ شيءٍ خلَقَ اللهُ تعالى القَلَمُ، ثمَّ خَلَقَ اللَّوح، فقال: أجْرِ بما هُو كَائن إلى يوم القيامَةِ»**[١].

الفصل الرابع: قوله **«رحمتي تَغْلب غضبي»** فقد بينَّا فيما قَبل أنَّ الرحمة والغضب من صِفَات ذاته، ليس معناهما نفس الإرادة، بل كل واحد منهما صفة ليست الأُخرى، فعلى هذا لم يَزَلْ غَضْباناً مُريداً تَعْذِيب مَنْ عَلمَ أنَّه يعذبه، بعُقوبته في النار من الكافرين، ولم يزل رَاحِماً مرُيداً تَنعِيم مَنْ علم أنَّه يُنعمه، بكراماته في الجنة من المؤمنين.

والوجه في ذلك، وأنَّ الإرادة ليست نفس الرحمة، وكذلك الغضب: أنَّ الإرادة تتناول ما يُنافي الرحمة من المعاصي وما لا يُنافيها، وتتناول أيضاً ما يُنافي الغضب من الطاعات وما لا ينافيه، فبان أنهما صفتان كالعلم والقدرة[٢].

وإذا ثبت هذا الأصل فقوله **«تغلب رحمتي غضبي»** **«وسبقت رحمتي غضبي»** أي: سَبَقَ الكائن من رحمتي لأهل الرحمة، والكائن من غضبي لأهل الغضب، وأنَّ من رَحِمَهَ فقد غَلَبَتْ رحمته عليه بوصول الصَّادر عنه إليه، وظهور ذلك عليه، وإنَّما كان مبنياً على هذا الأصل، ليصح فيها

(١) حديث صحيح، رواه أحمد (٥/ ٣١٧) والطيالسي (٥٧٧) وأبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩) وابن ابي عاصم. في السنة (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥) والآجري في الشريعة (ص ٨٣ -٨٤، ١٧٧، ١٧٨) واللالكاني في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٦١٥) من طرق عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وللحديث شاهد من حديث ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم، وانظر تفسير ابن جرير وابن كثير عند قوله ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ وانظر شرحنا للعقيدة الطحاوية (ص٢٩٩).

(٢) الرحمة العامة ملازمة لذات الله تعالى، وإن كان أفرادها تتجدد، وقد تقدم الكلام على هذا. وأما الإرادة فهي صفة أخرى مستقلة، لا يجوز أن نفسّر بها الرحمة، أو نقول: إن رحمته هي إرادة الإحسان. وأما «الغضب» فمن صفات الأفعال التي تتعلق بها المشيئة.

السَّبْقُ والغلبة، لأنَّ ما هو صفة الله على الحقيقة من الرحمة والغضب، لا يجوز وَصْفُهُ بالسَّبق والغَلَبة[١].

وعلى هذا يتناول الألفاظ في الدعاء، إذا قيل: اللهمَّ ارْحَمنا وارْض عنَّا معناه: أنَّه يرجو ما يَحْدُثُ عن رَحمته ورضاه، لا نَفْسَ الرحمة والرِّضا، لأنَّ ذلك من صفات الذات، فلا يصح فيها الطَّلب والسؤال.

ونظير ذلك أيضاً في الدُّعاء: اللهم اغفر لنا علمك فينَا، وشهادتك علينا، ونفس العلم لا يغفر وكذلك نفس الشهادة، وإنما تَتَعَلَّقُ المغفرة بالمعلوم والمشهود، وعلى ذلك يحملُ قولهم: رَضَي الله عن فلان، معناه الطَّلب لأنْ يَفْعل ما إذا فعله، كان عن رضاه ورحمته، فاختصر[٢] اللفظ في الدعاء.

***

(١) وقال النووي في المنهاج (١٧/ ٦٨): قالوا: والمراد بالسبق والغلبة هنا: كثرة الرحمة وشمولها، كما يقال: غلب على فلان الكرم والشجاعة، إذا كثرا منه.

(٢) في الأصل: فاختص، ولا يستقيم معنى العبارة.

حديث آخر في اليد

٥٠٦- ناه أبو القاسم قال: نا علي بن محمد البيع المعدل قال نا الحسين بن صفوان نا عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي قال حدثني محمد بن أبي معشر قال أنا أبو معشر عن عون بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب عن أخيه عبدالله بن عبدالله عن أبيه عبدالله بن الحارث قال رسول ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ تعالى ثلاثَةَ أشياءَ بِيَده: خَلَقَ آدَمَ** عليه السلام **بيده، وكَتَبَ التَّوراة بيده، وغَرَسَ الفِرْدَوْسَ بيده، ثُمَّ قال: وعِزَّتي لا يدخُلها مُدْمِنُ خَمْرٍ، ولا الدَّيُوث، قال: يا رسول الله، قد عَرَفْنَا مُدْمنَ الخَمر، فما الديوث؟ قال: «الذي يُقِرُّ السُّوء في أَهلِهِ**»[1].

٥٠٧- ونا أبو القاسم قال: أنا أبو الحسن علي بن عمر الحافظ قال نا أبو الحسن محمد بن نوح الجند يسابوري نا محمد بن سعدان السَّاجي نا شبان بن حسن بن فرقد قال نا أبي عن سليمان التيمي عن أبي بصرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول ﷺ: «**إنَّ الله خَلَقَ ثَلاثَةَ أَشْياءَ بيدِهِ: خَلَقَ آدمَ، وخَطَّ التَّوراةَ التي أَنْزَلها عَلى مُوسى**

---

(١) صغيف بهذا الإسناد، فيه أبو معشر نجيح السندي ضعيف، ورواه الدارقطني في الصفات انظر الكنز (٣٦/ ١٥).
ورواه البيهقي في الأسماء (ص ٣١٨) من طريق آخر عن عون بن عبدالله بن الحارث به. وقال: هذا مرسل.
قلت: وذلك أن عبدالله الحارث الهاشمي ولد على عهد النبي ﷺ، لكن روايتة عن النبي ﷺ، كما في التهذيب (٥/ ١٨٠) وقال الحافظ: له رؤية ولأبيه وجده صحبة، قال ابن عبدالبر: أجمعوا على ثقته.
وقد صح عن ابن عمر رضى الله عنهما نحوه مختصراً، وسيأتي إيراد المصنف له، والتعليق عليه.

بِيَده، وخَلَقَ الجنَّةَ فَشقَقَ أنهارَهَا، وغَرَسَ أَشْجَارَهَا، وتَدَلَّتْ ثِمَارَهَا، فَلمَّا فَرَغَ مِنْها نَظَرَ إليها فقال: حَرَام عَليك أنْ يَدخُلكِ خَمسَة: المخَنثُونَ المُتشَبِّهونَ بالنِّساء من الرِّجَال، والمخَنَّثَاتِ المتَشَبِّهات من النِّساء بالرِّجالِ، والدَّيُوثُ، والعَاقُّ والسِّكِّير حتى يصحى[1].

٥٠٨- ونا أبو القاسم قال نا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن موسى الموصلي قال نا موسى بن عبدالله بن مُزاحم قال نا أبو عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حفص عمرو بن علي قال نا أبو قتيبة قال نا الحسن بن أبي جعفر عن علي بن زيد عن يُوسف بن مهران عن أبي عباس قال: «خَلَقَ اللهُ القَلَمَ بِيَده، وآدَمَ بِيَده، والتَّورَاَة كَتَبَها بِيَده، وجَنَّاتِ عَدْنٍ بِيَده، وسائر ذلك قَالَ له: كنْ فكان»[2].

٥٠٩- ونا أبو القاسم قال نا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجي الفقيه قال أنا أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق قال نا أبو داود سليمان الأَشْعَث السَّجستاني قال حدثني محمد بن بشار بنُدار قال نا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن عبيد المُكتْبِ عن مجاهد عن عبدالله بن عمر قال: «**إنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُه خَلَقَ أَرْبَعَة أَشْيَاء**

---

(١) لم اقف عليه. وفي سنده من لم أعرفه. وفي مسند الفردوس للديلمي (٦٧٥): عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الله عز وجل لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء، وقال لسائر الأشياء: كن، فكانت، خلق الله القلم، وآدم، والفردوس بيده، وقال لها: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ولا يشم ريحك ديوث» وعزاه المعلق لجمع الجوامع (٤٥٦٦).

(٢) لم أقف على من أخرجه!

وفي سنده: علي بن زيد وهو ابن جدعان، ضعيف وشيخه: يوسف بن مهران لين الحديث، وهو البصري، غير يوسف بن ماهك، كما رجحه الحافظ ابن حجر، انظر التهذيب (١١/ ٤٢١).

بيده، ثم قَال لسَائر الخَلْقِ: كن، القَلَمَ وآدَمَ وجَنَّة عَدْنٍ والعَرْشَ»[١].

٥١٠- وذكر أبو بكر الخلَّال في كتاب «السُّنَّة»: عن عبدالله حدثني أبي قال نا يزيد بن هارون قال أخبرني الجريري عن أبي عَطَّاف قال: كَتَبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ التَّورَاةَ وهو مُسْنِد ظهره إلى الصَّخرة، في أَلْوَاحِ مِنْ دُرٍّ يُسْمَعُ صَرِيفَ القَلَم، ليسَ بَينه وبَيْنَه إلَّا الحِجَاب»[٢].

٥١١- وذكر أبو بكر المروذي هذا الحديث في كتاب «الرَّد على الجَهْمِية» فقال: قال أبو عبدالله مُنَاوَلَةً وإجَازةً لي أنْ أَرْويه عنه: عن يزيد قال نا الجريري عن أبي عطَّاف قال: كَتَبَ اللهُ تبارك وتعالى التَّورَاةَ لموسى بيده، وهو مُسْنِد ظَهره إلى الصَّخره، في الألْوَاحِ مِنْ دُرٍّ يُسْمَعُ صَرِيفَ الأَقلَامِ، ليس بَيْنَه وبَيْنَه إلا الحِجَابَ[٣].

اعلم أنه غير مُمتنعٍ حملَ هذا الخبر على ظاهره، وأنَّه كَتَبَ التَّوراة بيده، وخَلَقَ جنَّة عدنٍ والعرش بيده، التي هي صِفَةُ ذات، كما خَلَقَ آدمَ بيده التي هي صفة ذات.

وقال ابن فورك: أقول خَلَقَ آدمَ بيده التي هي صِفَة، ولا أقول خَلَقَ الجنة، وكتب التوراة بيده، لكن خلق كِتَابَةً وأضافَ ذلك إليه.

وفَرَّق بينهما: بأن القُرآن نَزَلَ بخلقِ آدمَ بيده، بقوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص:

---

(١) موقوف صحيح، وله حكم الرفع، أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٩) والدارمي في النقض (ص ٩٠) والآجري في الشريعة (ص٣٠٣) والحاكم (٢/ ٣١٩) والبيهقي في الأسماء (ص ٣١٩) وأبو الشيخ في العظمة (٢١٣) واللالكائي (٣/ ٤٢٩) عن سفيان به.

(٢) خبر منكر، إسناده مجهول، أبو العطاف، قال ابن المديني: ما أعلم أحداً روى عنه غير الجريري. (الميزان ٤/ ٥٥٣). أي فهو مجهول.

(٣) إسناده كسابقه.

٧٥) ولم يَنْزل في كتب التَّوراة، وخَلْقَ الجنة والعرش، ولأنَّ القَصْدَ بذلك فَضِيلةَ آدمَ على إبليس، وهذا المعنى مَعْدُوم في غيره[١].

وهذا غلط، لأنَّ هذا الخبر تَلَقَّتْه الأُمَة بالقَبولِ، وقد عَضَدَ القرآن بعض ما تناوله، فوجب الأخذُ بظاهره لصحته، وجَرَى هذا مجرى قوله «**تَرَوْنَ رَبَّكم يَومَ القِيامة**» وجب الاحتجاجُ به كما يجب الاحتجاج بالآية.

وقوله: إنَّ في ذلك فضيلة لآدم، فهذا المعنى موجود ها هنا، لأنَّ فيه فضيلة لموسى لأنَّه كَتَبَ ما أَنْزَلَه عليه بيده، وفَضيلة لجنَّة عَدْنٍ والعرش على غيرهما من المخلوقات، كما فَضَّلَ آدَمَ بأنَّ خَلَقه بيده على غيره من المخلوقين، ولأنَّا قد اسْتَوفينا الكلام على هذا السؤال، في الحديث الذي فيه ذِكْرُ السَّاعِدِ بما فيه كفاية[٢].

فأماً قوله في الخبر «**وهو مسند ظهره إلى الصَّخرة**» فيحتمل أنْ تكون هذه الصِّفة راجعة إليه سبحانه، لأنَّه مذكور في الخبر[٣].

ويحتمل أنْ تكونَ راجعة إلى موسى، لأنَّه مذكور أيضاً في الخبر بقوله «**كَتَبَها لموسى**» وبقوله «**يَسْمَعُ صريف القَلم**» وبقوله «**ليسَ بَيْنَه وبينه إلا الحِجَاب**» وهذا كنَاية عن موسى.

والأشبه حملها على موسى، لئلا يُثْبَتَ له سُبحانه صِفَة بأمرٍ محتمل.

٥١٢- وقد ذكر أبو بكر النَّقَّاش في كتاب «**الرِّسالة**» قال: التقى علي بن أبي طالب وكَعْب الأحبْار، فقال علي لكعب: أنتَ الذي تَزْعُمُ أنَّ الصَّخْرةَ مَقامُ الرحمن، وقال اللهُ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

(١) مشكل الحديث لابن فورك (ص ٢٠٣ - ٢٠٤).
(٢) انظر ما سبق.
(٣) لم يثبت الخبر فتثبت الصفة!

[البقرة: ٢٥٥] فقال كعب: الصَّخرة أكبر أم الشجرة؟ إنَّه قال من الشجرة ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] قال: فَسَكَتَ علي، فقال كعب: يا علي، هذا على طريق اللطف، إنَّ رَّبكَ لطيف لما يشاء(١).

وهذا الحديث في معنى الحديث الذي ذكرنا ويشهد له، وقد حَملَهَ كَعْب على ظاهره، ورجع علي إلى قوله.

٥١٣- في معنى ذلك: ما روي عن ﷺ أنه كان يقول في دُبرِ صَلاته: **«لا إلهَ إلَّا اللهَ وَحْدَهُ لا شَريكَ له، لَهُ الُملكُ وله الحَمدُ بيَدِهِ الخَيرُ، وَهُو عَلى كُلِّ شيءٍ قَدِير»**(٢) لا يمتنع حمله على ظاهره، كما حملنا خلقه لآدَمَ بيده على ظاهره.

٥١٤- وفي معناه: ما روي عن ﷺ أنَّه قال: **«تكُونُ الأَرضُ خُبْزَةً واحِدَةً، فَيَكْفأُها الجَّبارُ بيدِهِ كما يتَكفَّى أَحَدُكُم خُبْزَهُ في السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الجنَّةِ»**(٣). وقد تَأَوَّلوا ذلك على القُدْرَةِ والمُلك، وهذا يوجب تأويل خلق آدم بيده!

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه البخاري في الأذان (٢/ ٣٢٥) ومسلم في المساجد (١/ ٤١٥) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وتتمته: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجد».

(٣) رواه البخاري في الرقاق (١١/ ٣٧٢) ومسلم في صفات المنافقين (٤/ ٢١٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه.

ويتكفأها الجبار: أي يميلها في يد إلى يد حتى تجتمع وتستوى، لأنها ليست منبسطة، من كفأت الإناء إذا قلبته. نزلًا لأهل الجنة: النزل ما يقدم للضيف. والمراد أن الأرض ستكون خبزة يأكل منها أهل الجنة إذا دخلوها.

٥١٥- وفي معناه ما روي عن ﷺ أنه قال: «**يَدُ اللهِ عَلى الجَماعَةِ، فاتَّبعُوا السَّوَادَ الأَعْظَم**»(١).

٥١٦- وروى أبو القاسم بإسناده: عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال: «**يَدُ اللَّهِ مَعَ القَاضي حِينَ يَقضي، ويَدُ اللهِ مَعَ القَاسِمِ حِينَ يَقْسِم**»(٢).

وقد تأولوا ذلك على معنى النَّصْر والمعونة، وقد تقدم الكلام عليه.

٥١٧- وفي معناه ماروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**والَّذِي نَفْسي بِيَده، لَو أنَّ فَاطِمة سَرَقَتْ لَقَطَعْتُها**»(٣).

٥١٨- «**والَّذِي نَفْسي بِيَده، لَوددتُ أنّي أُقْتَلُ في سَبيلِ اللهِ**»(٤).

وفي معنى ذلك: ما روي في ذكر اليمين نحو قوله «**يَخْرجُ كُلُّ طَيبٍ في يَمينِهِ**» وقد تقدم الكلام عليه.

وقد تأَوَّلوُه على ظُهور فِعْلٍ من بعضِ خلقه من الملائكه، أُضيفَ إليه على معنى أنه عن أَمره! وهذا يوجبُ تأويل خلقه بيده على أنَّه يُد بعض خلقه من الملائكة.

---

(١) الحديث صحيح، سبق تخريجه في الجزء الثاني من هذا الكتاب (ص٤٥١ - ٤٥٢) دون زيادة «فاتبعوا السواد الأعظم» فهي ضعيفة، انظر السنة لابن أبي عاصم (٨٠) وتعليق العلامة الألباني عليه.

(٢) إسناده حسن، رواه أحمد (٥/ ٤١٤) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٣٢) عن ابن لهيعة عن عبدالله بن جعفر عن عمرو بن الأسود عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً، وإسناده حسن، وإن كان فيه ابن لهيعة، فقد رواه أحمد من طريق آخر عن عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة به، وروايته عنه صحيحة.

(٣) رواه البخاري في الأنبياء (٦ / ٥١٣) والحدود (١٢/ ٨٧) وغيره من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنهما قالت: إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول ﷺ فكلمه أسامة فقال: «يا أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه...».

(٤) رواه البخاري في الجهاد (٦/ ١٦) ومسلم في الإمارة مطولاً (٣/ ١٤٩٦) من حديث أبي رضي الله عنه

٥١٩- وفي معناه قوله: «مَاتَصَدَّقَ أَحَد بصَدَقَةٍ من طَيِّبٍ، إلا أَخَذَها الرَّحْمنُ بيمينه وإنْ كَانتْ تَمْرَةً فتربى في كَفِّ الرَّحْمنِ، حتَّى تكونَ أَعْظَم مِنَ الجبل»(١).

وقد تأوَّلوا اليمين ها هنا بمعنى النِّعمة والفَضْل! وهو أنْ يَتفَضَّل بَقَبول ذلك، ويُضَاعِفُ الثواب، والمرادُ بالكفِّ: القُدرة!

وقد تقدم الجوابُ عن ذلك، وفي معنى قوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧](٢).

٥٢٠- وفي معناه: ماروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «يَدُ اللَّهِ مَلْأى لا يَغيضها نَفَقَة، سَحَّاءَ الليلَ والنَّهار مُنْذ خَلَقَ السَّموَاتِ والأرض»(٣).

وقد تَأوَّلُوه على أنَّ المرادَ باليد: القُدرة، وقوله «لا يغيضها نفقة» أي نعمة الله وأياديه! وقَد تَقَدَّم الكلام على ذلك.

وفي معناه قوله «اليد الأُخرى فيها الميزان، يخفض ويرفع»(٤) وقد تأوَّلُوه على العَدْلِ والفَضْل، وأنَّه إذا بَسَطَ نِعَمَهُ وفَضله، لم يَنقُص مما في قُدرته شيء!

٥٢١- وفي معناه: ما روى الحسن عن النبي صلى الله علهي وسلم أنَّه قال: «ما التَقتْ فِئَتَانِ قَطُّ، إلا وكَفُّ اللهِ بَيْنَهما، فإذَا أرادَ أنْ يَهْزِمَ إحْدَى الطائفتين أَمَال كَفَّه عليها»(٥).

وقد تأوَّلوه على القُدْرة، وإظهار النصرة!.

---

(١) حديث صحيح، مضى تخريجه سابقا.

(٢) انظر ما سبق في أول الكتاب..

(٣) رواه البخاري في التفسير (٨/ ٣٥٢) وغيره ومسلم في الزكاة (٢/ ٦٩٠ - ٦٩١) من حديث أبي هريرة مرفوعاً به، وفيه «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه..».

(٤) وهو تتمة الحديث السابق.

(٥) حديث ضعيف مرفوعاً، انظر تخريجه في الجزء الثاني في هذا الكتاب، لكن عن أبي أمامة. وجاء عن ابن عمرو موقوفا نحوه، وإسناده حسن.

٥٢٢- وفي معناه: ما رَوَى كعب أنَّه قال: إنَّ السَّفينةَ تَجري على كَفِّ الرَّحْمن.

وتأولوه على أنَّها تجري بقدرته، وأنَّ الله هو المُسَيِّر لها، وهذا يُسقط فائدة تخصيص السَّفينة بذلك، لأن جَميعَ الأشياء بقدرته.

٥٢٣- وفي معناه: ما رَوَى حكيم بن هشام: أنَّ رَجُلًا قال: يا رسول الله، أَبْتَدِي بالأَعمالِ، أم قد مضى؟ قال: «**إنَّ اللهَ لما أَخرَجَ ذُرِّيَّة آدَمَ من ظهره، أَشْهدهم على نَفسِهِ، ثم أَفَاضَ بهم في كفَّيه، فقال: هَؤلاءِ للجنَّة، وهؤلاء للنَّار**»(١).

٥٢٤- وفي معنى ذلك: ما رُوي عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**فأقوم على يَمينِ الرَّحمن مَقَاماً، لا يَقُومُه أَحَد غيري**»(٢).

وقد تأوَّلوه على يمينِ عَرْش الرحمن، وقَد سَبَق الجوابُ عن ذلك في موضعه.

٥٢٥- وفي معناه ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا(٣) كَانَ يومَ القيَامة مَدَّ اللهُ الأَرْضَ مَدَّ الأَدِيم، حتَّى لا يكون لِبَشَر من النَّاس إلا مَوْضعَ قَدَمِهِ، فأكونُ أول من أُدْعى، وجبريلُ عن يمين الرحمن**»(٤).

---

(١) انظر أول الكتاب.

(٢) عزاه في الدر المنثور (٥/ ٣٢٦) الى ابن مردويه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول ﷺ سئل: ما المقام المحمود الذي ذكر لك ربك؟ قال: يحشر الله الناس يوم القيامة عراة غرلًا..».

(٣) كتب في هامش الأصل: «إذا» ساقطة من الأصل.

(٤) حديث صحيح، لكن من حديث جابر وليس من حديث أبي هريرة فيما وجدت، رواه الحاكم (٤/ ٥٧٠ - ٥٧١) عن ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن جابر رضي الله عنه: أن رسول ﷺ قال: «تمد الارض يوم القيامة مد الأديم لعظمة الرحمن، ثم لا يكون البشر من بني آدم إلا موضع قدميه، ثم ادعى أول الناس فأخر ساجداً، ثم يؤذن لي =

٥٢٦- وفي معناه: ما روي عن النبي ﷺ قال: «**يُجَاءُ بهم يومَ القِيامة فَيُوقَفُونَ على جِسْرِ جَهَنَّم، فمن كانَ مِطْوَاعاً لله، تناوله اللهُ بِيَمِينِهِ، حتَّى يُنَجِّيه**»(١).

وقد تأوَّلوه على الرحمة.

٥٢٧- وفي معناه: حديث أبي موسى «**إنَّ اللهَ يَومَ خَلَقَ آدَمَ قَبضَ قَبْضَتين، فقال: هَؤُلاءِ في الجنَّةِ ولا أُبالي، وهَؤُلاءِ أَصْحابُ النَّار ولا أُبالي**»(٢).

وقد تقدَّم الكلام على ذلك.

٥٢٨- وقد ذكر أبو إسحاق في تعاليقه على كتاب «**العلل**» للخَلَّال: فأمَّا قوله ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] هو: القوة، وقوله «**خَلَقَ آدَمَ بيده، وكَتَبَ التَّوراةَ بيده، وغَرَسَ الفردوس بيده**» دلالة أنَّ

= فأقوم فأقول: يارب، أخبرني هذا - لجبريل - وهو عن يمين الرحمن، والله مارآه جبريل قبلها قط - إنك أرسلته إليَّ، قال: وجبريل ساكت، لا يتكلم، حتى يقول الله عز وجل: صدق، ثم يؤذن لي في الشفاعة، فأقول يا رب عبادك في أطراف الأرض، فذلك المقام المحمود». قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال: وقد أرسله يونس بن يزيد ومعمر بن راشد عن الزهري. ثم رواه عنهما عن ابن شهاب عن علي بن الحسين عن رجل من أهل العلم ولم يسمه أن ﷺ قال.. فذكره.

وقد رواه مرسلاً أيضاً أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٤٥) والحارث بن أبي أسامة (١١٣١).

وقال أبو نعيم: صحيح، تفرد بهذه الألفاظ علي بن الحسين، لم يروه عنه إلا الزهري، ولا عنه إلا إبراهيم بن سعد، وعلي بن الحسين هو أفضل وأتقى من أن يروه عن رجل لا يعتمده فينسبه الى العلم ويطلق القول به.

والحديث يشهد له قوله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [الانشقاق: ٣-٤].

ومعنى مدت: أي بُسطت وسويت بذهاب جبالها. وأحاديث الشفاعة أيضا بنحوه.

وقد روى الحاكم (٤/ ٥٧٥) من حديث ابن عمرو مرفوعاً «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش..».

وأعله الحاكم والذهبي: بأبي المغيرة القواس، مجهول.

(١) لم أجده!

(٢) تقدم سابقا، وهو حديث صحيح.

السَّماء بقوة(١).

وقال في موضعٍ آخر: لما قال في آدم: بيدي، علمتُ أنَّه بخلافِ ما أرادَ في السماء(٢).

❋ ❋ ❋

(١) كذا في الأصل! وفي العبارة نقص، والله أعلم.
(٢) تقدم الكلام على إثبات صفة اليد لربنا سبحانه انظر (ص ١٣٧) وما بعدها.

إثباتُ صفة الوجه لربِّنا سبحانه

٥٢٩- ناه أبو القاسم قال نا الحسين بن محمد بن قطينا نا حمزة بن محمد بن العباس نا عباس الدوري نا عبيدالله بن موسى نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوصِ عن عبدالله قال: «**النِّساءُ عَوْرة، فاحْبِسُوهُنَّ في البيوت، فإنَّ المرأة إذا خَرَجَتْ الطريق، قال لها أَهْلُها: أين تذهبين؟ قالت: أَعُوْد مريضاً أو أَتَّبعُ جِنَازَةً، فلا يَزَالُ الشَّيطان حتى تُخْرِجَ ذِراعَيها، وما التَمَسَتْ امرأة وَجْهَ اللهِ تَعالى، مثْلَ أنْ تَقَرَّ في بَيْتِهَا وتَعْبُدَ اللهَ**»[1].

اعلم أنَّ قوله «**ما التَمسَت امرأة وَجْهَ الله**» المراد به: ما التمست امرأة الله الذي له الوجه، فحذفت المضاف لأنَّ الوجهَ صِفَة، والطَّاعات إنمَّا تكونُ لمن له الصِّفات، ولا تكون للصِّفات[2].

---

(١) أثر موقوف صحيح، وأخرجه بنحوه، ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٤٢٠) عن أبي الأحوص به.
حمزة بن محمد بن العباس أبو أحمد الدهقان، قال الخطيب في تاريخة (٨/ ١٨٣): وكان ثقة.
الحسين بن محمد بن أحمد أبوعبدالله الدهقان المعروف بابن قطينا، قال الخطيب: وسألت عنه البرقاني فقال: ثقة، وكذلك قال لنا الأزهري كان شيخاً ثقة.

(٢) صفة الوجه لله تعالى، من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، وهي من الصفات الخبرية، وإثباتها لله تعالى على ما يليق بصفاته، من غير تمثيل ولا تأويل، كبقية الصفات الإلهية قال الإمام أبو الحسن الأشعري: فمن سألنا فقال: أتقولون إن الله سبحانه وجهاً؟
قيل له: نقول ذلك، خلافاً لما قاله المبتدعون، وقد دلَّ على ذلك قوله عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (الرحمن ٢٧) الإبانة (ص ٩٦/ ٩٧)
ويرد علي أهل التعطيل، والذين أوَّلوا الوجه بالثواب والذات بالآتي:
١- إن هذا خلاف ظاهر النصوص من القرآن والسنة.
٢ - إن هذا تفسير لا دليل عليه ولا قرينة.
٣ - إن هذا خلاف طريقة السلف في نصوص الصفات.

وعلى هذا قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وقوله ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] والمراد به الله الذي له الوجه، فحذف المضاف[١].

فإن قيل: ذكر الوجه ها هنا والمرادُ به التَّوَجُّهِ نحو الشيء، والقَصْد إليه.

قيل: هذا غلط، لأنَّه قد ثَبَتَ بما ذكرنا فيما قبل إثبات الوَجْه، وأنَّه صفة لذاته فلا معنى لتأويله، لأنَّه يُفضي إلى إسْقَاط الصِّفة، ويكون تقدير الكلام ما ذكرنا من أنَّ هناك محذوف مُقدَّر.

* * *

(١) قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: أينما تولوا وجوهكم من الجهات بأمر الله تعالى، سواء أمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس. ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فيه إثبات الوجه لله تعالى، على اللائق به تعالى، ولا تشبهه الوجوه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٠٣ -١٠٤) بتهذيبنا وتفسير السعدي.
أما قوله تعالى ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: وما أعطيتم من زكاة وصدقة تطهركم من البخل وتطهر أموالكم، تريدون بذلك وجه الله تعالى، لا الرياء ولا السمعة، فإن الله تعالى سيضاعف لكم الأجر، ويربي لكم الصدقات، حتى تكون شيئاً كثيراً، والآية أيضاً فيها إثبات صفة الوجه لله سبحانه، كما لا يخفى.

حديث آخر

٥٣٠- ناه أبو القاسم بإسناده: عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن ﷺ قال: **«جِنَانُ الفِردَوس ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، حِلْيَتُهما وآنيتُهُما وَمَا فيهما، وثِنْتَانِ من فِضَّة، آنيتهُمَا وحلْيَتهما وَمَا فيهِمَا، وليسَ بينَ القَوْمِ وبين أنْ يَنظُرُوا إلى رَبِّهم، إلا رِداءُ الكِبرِيَاء على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ»**[1].

اعلم أنَّ الكلام في هذا الخبر في فصول:

أحدها: إثباتُ الوَجْهِ بقوله **«إلا رِداء الكبرياءِ على وجهه»** وقد تقدَّم الكلامِ في ذلك، وَبَيَّنَّا أنَّ الوجه صفة ذات.

الفصل الثاني: قوله **«جَنَّة عَدْنٍ»** وظاهر هذا يَقْتَضي أنَّ المنْظُور إليه (هو اللهُ)[2] سبحانه في جنَّة عدن، لأنَّه قال **«رداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عدن»** وهذا غيرُ ممتنعٍ لأنَّه لا يُفضي إلى الجهة، كما لم يُفضِّ وصفه بالعُلو على العَرش إلى الجهة، وإنْ كنَّا نعلم أنَّ العُلُو ضد السُفل، وكذلك لم يُفضِّ جواز النَّظر إلى الجهة، وإنْ كُنَّا لا نَعْقِل مَنْظُوراً[3] إلا في جهة[4].

فإنْ قيل: قوله **«في جَنَّة عَدْنٍ»** يَرجع إلى النَّاظر أنَّه في جنة عدن، لا إلى المنظور!.

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد (٤-٤١٦) ومسلم في الإيمان (١/ ١٦٣) من حديث أبي بكر ابن عبدالله بن قيس بنحوه.

(٢) ليست في الأصل ويقتضيها السياق.

(٣) في الأصل: منظور بدون ألف، علقه الناسخ.

(٤) تقدم الكلام على لفظ «الجهه» وأنه من الألفاظ المحدثة التي تحتمل الحق والباطل، انظر التعليق في أول هذا الكتاب.

قيل: هذا غلط، لأنه لا يُفيد شيئاً، لأنَّا قد علمنا أنَّ الأنبياءَ والأولياء يدخلوا الجَّنة بغير هذا الخبر، ولم نَسْتَفِدْ وجود ذاتهِ في الجنة إلا بهذا الخبر، فكانَ حَمْلهُ على ذلك لا على وجه الجهة أَوْلى، لما في ذلك من الفائدة.

الفصل الثَّالث: قوله «**رداءه الكبرياء على وجهه**» فيه بيان أنَّ من صفته ونعته «**الكبرياء والعظمة**» وقد تقدَّم الكلام في قوله «**الكبْرَياءُ رَدِائي والعَظَمَةُ إزارِي**»[1] وأنَّ ذلك صِفة من صفاته المختصة به، وتقديره: أنَّ مَنْ نازعني في ذلك بأنْ تكبَّر أو تَعَظَّم على النَّاس، أَدْخَلْتهُ النَّار.

وفيه بيان أنَّ له أنْ يَمنَعَهم النَّظر إليه، لأن المتَّصِف بالكبْرِيَاءِ والعَظَمة، له أنْ يَتَفْضَّل وأنْ لا يتفضل.

❋ ❋ ❋

(١) انظر (ص ٤٨١).

حديث آخر

٥٣١- ناه أبو القاسم بإسناده: عن الشَّعْبي عن المغيرة بن شُعْبة أنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ مُوسىَ بن عمران عليه السَّلام قال: يارَبِّ من أَدْنى أَهْلَ الجنَّة مَنْزلَةً؟ قال: هو رَجُل يَأْتي بعدمَا يَدْخلُ أَهل الجنَّةِ الجَّنةَ، فيقال له: ادْخُل، فيقولُ: ياربِّ كيفَ أَدْخُل، وقد نَزَلَ النَّاس مَنَازِلَهم؟ فيقال له: ألا تَرْضى أنْ يكونَ لَكَ مثلَ ما لِملَكٍ من مُلُوك الدُّنيا؟ فيقول: نعم، فيقال: لَكَ مثلَ ذلكَ ومثلَه مَعَه، حتى عَدَّ خَمسَ مراتٍ، فيقول: رضيتُ أيْ ربِّ، فيقال: لَكَ ذلك وعَشْرة أمْثَالِهِ، فيقول: رَضيتُ أيْ ربِّ. فيقال: لَكَ ماتَشْتَهي نَفْسُك، وتَلَذُّ عَيْنُكَ، قال: فما أَعلَاهُم ياربِ؟ قال: سأُخبركَ وذلك أَرَدت غَرَستُ كَرَامتهم بيدي، ونَفَخْتُ فيها من رُوحي، وخَتَمتُ عَليها، فَلَمْ تَرَ عَين، (ولم تسمع أُذُنٌ)، ولم يَخْطُرْ على قَلْب أحد»(١).

اعلم أنه يحتمل أنْ يكون الخَتْمُ بيده، لأَنَّه عطفٌ على ما تقدَّم وهو أنَّه غَرَسَ كَرَامتهم بيده، وذلك غير ممتنع، لأنَّا لا نَصِفُهُ بالآلات والجارحة والمعالجة بالمباشَرة، بل نُطلق ذلك كما أطلقنا خَلقه لآدم بيده، والخلق فعل، فَأَجَزْنا إطلاقه لا على وجه(٢) الجارحة والمباشرة، كذلك ها هنا(٣).

فعلى هذا يجوز إطلاقُ «الخَتْم» عليه كما جاز إطلاق الخلق عليه،

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم في الإيمان (١/ ١٧٦) من حديث الشعبي به، بنحوه. والزيادة المثبتة في صحيح مسلم. وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ليست في مسلم.

(٢) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة وتصحيحاً.

(٣) قوله: لأنا لا نصفه بالآلات والجارحة والمعالجة بالمباشرة، نفي لا دليل عليه من كتاب أو سنة أو قول سلفي! فلا داعي له، وسبق التنبيه عليه مراراً.

ويحتمل أنْ لا يكون مُضَافاً إلى اليد كسائر أَفعَاله المطلقة، لأنَّه لم يُصَرِّحْ بإضافته إلى اليد [١].

فعلى هذا قد قيل المراد بقوله «ختمت» أي: حَكَمْتُ لهم به حُكْمَ العَطَاء والهبة لهم والتَفَضُّل عليهم بها، نحو قول القائل: ختمت عليك أنك تَفْعل أو لا تفعل، أي: حكمتُ عليك، وأوْجَبْتُ عليك وخصصتك.

وقيل معناه: جعلت ذلك خاتمة أفْضَالي عليهم قُرْباً ومنزلةً، لا غاية ولا نهاية، اختصاصاً لهم بهذا التشريف.

وفي هذا ضَعْف، لأنَّ الختَم يَقْتَضي المنع عن الشيء، ومنه قولهم: ختمت الكيس، والمراد به المنع منه.

فيكون معنى الختم المنع لغير أهلِ الجَنَّة من ذلك.

* * *

(١) الصحيح أن الختم من أفعال الله تبارك وتعالى، ومعناه الطبع، أي: لا يغير ما كتبه الله تعالى لهم من الخير والكرامة والهداية، ولم يصرح في الحديث أنها بيده، فهو محتمل، والله أعلم.

حديث آخر

٥٣٢- ناه أبو القاسم قال: نا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد الحافظ بجر جرايا قال نا الحسن بن عبيدالله العبدي قال نا عفان بن مسلم الصفَّار نا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَه بالليل ليَتُوبَ مُسيُء النَّهار، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ ليَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيل، حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنْ مَغْربها**»(١).

اعلمْ أنَّه غيرُ ممتنع إضَافة «**البَسْط**» إليه كما لا يمتنع إضَافَةُ الخَلْقِ بيده إليه، ولا فرق بينهما.

وقد ورد القُرآنُ بذلك فقال تعالى إنْكاراً على اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

فإن قيل: اليد ها هنا عَبارة عَن الملكِ والنِّعمةِ والقُدرة، وهذا مُستعمل في كلام النَّاس: فيقولون: الأُمور كلُّها بيدِ الله، كما يقولون: أمور الخَلْقِ تجري بقدرة الله؟!

قيل له: فيجب أنْ تتأوَّلَ قوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] على القُدرة والـمُلك فيكون معناه: خلقت بقدرتي! وقد اتفقنا وهذا القائل على أن المراد باليد هناك: يد صفة، كذلك هاهنا(٢).

* * *

(١) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٩٥، ٤٠٤) ومسلم في التوبة (٤/ ٢١١٣) من حديث شعبة به.

(٢) قد سبق كلام المؤلف على إثبات صفة اليد لربنا جل جلاله، فراجعه هناك.

حديث آخر

٥٣٣- ناه أبو القاسم قال: نا أبو حفص عمر بن محمد بن علي الزيات وعلي بن عمر الحربي قال نا أبو عبدالله أحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي قال نا شُجَاع بن مخلد الفلّاس في كتاب «**التفسير**» نا أبو عاصم عن سفيان عن عمار الدهني عن مُسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئِل رَسول الله ﷺ عن قول الله عَزَّ وجلَّ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: «**كُرسيَّه مَوْضِعُ قَدَمَيه، والعَرْش لا يَقْدِرُ قَدْرَهُ أَحَد**»[١].

٥٣٤- ونا أبو القاسم قال نا أبو الفتح القوَّاس قال نا أحمد بن سلمان بن الحسن قال نا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال نا عبدالرحمن بن مهدي قال نا سفيان الثَّوري عن أبي إسحق عن عبدالله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**إذَا جَلَسَ اللهُ على الكُرسي، سُمِعَ له أَطِيط كأَطِيطِ الرَّحْل الجديد**»[٢].

---

(١) صحيح موقوفاً، ورفعه وهم.
أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ٣٠١) والدارمي في الرد على المريسي (ص ٧١/ ٧٤) وابن خزيمة في التوحيد (ص١٠٧ - ١٠٨) والدارقطني في الصفات (٣٦،٣٧) والحاكم (٢/ ٢٨٢) وقال صحيح على شرط الشيخين، كلهم عن سفيان عن عمّار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً عليه.
ورواه شجاع بن مخلد في تفسيره - كما في تاريخ الخطيب (٩/ ٢٥١) وابن كثير في تفسيره (١/ ٣٠٩) عن أبي عاصم به.
قال الحافظ في التقريب: شجاع بن مخلد صدوق، وهم في حديث رفعه وهو موقوف، فذكره بسببه العقيلي في الضعفاء اهـ.
وانظر تعليقنا على «كتاب العرش» لابن أبي شيبة (٦١).

(٢) ضعيف منكر، انظر الكلام عليه بعده.

٥٣٥- وذكر الدارقطني في «**أَخْبَار الصِّفات**» بإسناده: عن عمر: أنَّ امرأةً جَاءتْ إلى النبي ﷺ فقالت: إدْعُ اللهَ أنْ يدخلني الجَنَّة، فَعَظَّمَ الرَّبَّ عَزَّ وجَلَّ، وقال: «إنَّ كُرسيَّه وسَعَ السَّمواتِ والأرض، وإنَّ له أطيطاً كأطِيطِ الرَّحل الجديد إذا ركب من ثُقله»(١).

٥٣٦- وذكر أبو بكر النَّجاد بإسناده: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أَتَتْ النبي ﷺ امرأة فقالت: ادْعُ اللهَ أنْ يُدخِلَني الجَنة، فَعَظَّمَ الرَّبَّ قال: «**إنَّ كُرسيَّه فَوْقَ السَّمواتِ والأرضِ، وإنَّه يَقْعُدُ عليه فما يَفْضُلُ منه مِقْدارُ أَربَع أَصَابع، ثم قال بأصابعه يجمعها وإنَّ له أطيطاً**(٢) **كأطيطِ الرَّحل الجَديدِ إذَا ركب**» رواه أبو بكر النَّجاد في كتاب «**السُّنَّة**» عن الحضرمي قال: نا عبدالله بن الحكم وعثمان قالا نا يحيى عن إسرائيل عن عبدالله بن خليفة عن عمر قال: «**أَتَتْ** ﷺ امرأة» وذكر الخبر(٣).

---

(١) في الأصل: إن له أطيط! وهو خطأ. وما أثبتناه موافق لابن جرير.

(٢) ضعيف منكر، رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٧٤) والبزار (٣٩) زوائد وابن جرير (٣/٨) وأبو يعلى كما في تفسير ابن كثير (١/ ٣١٠) والذهبي في العلو (٩٨) وغيرهم.
وقال الحافظ ابن كثير: عبدالله بن خليفة وليس بذاك المشهور، وفي سماعة من عمر نظر، ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً، ومنهم من يرويه عن عمر مرسلًا، ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة، ومنهم من يحذفها انتهى.
قلت: ابن خليفة هذا، قال عنه الذهبي في الميزان (٢/ ٤١٤) : تابعي مخضرم له عن عمر، وعنه أبو اسحاق، ذكره ابن حبان في الثقات، وأورد له ابن ماجة في تفسيره في ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، لا يكاد يعرف انتهى.
وقد أبان ايضاً نكارته واضطرابه شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٣٤ - ٤٣٩) وقال الألباني في الضعيفة (٨٦٦) : منكر.
فالعجب من قول الهيثمي في المجمع (١/ ٨٣/ ٨٤): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح!!
وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ١٩١) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ والطبراني وابن مردويه والضياء المقدسي في المختاره.

(٣) اسناده كسابقه وقد رواهما ابن جرير (٣/ ٨).

٥٣٧- ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في كتاب «العَرْش» بإسناده: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ: «**ما يُفضلُ مِنَ العَرش إلا أرْبَع أصَابع، وانَّ له أطيطاً**[1] **كأَطِيطِ الرَّحل الجدَيدِ**»[2].

٥٣٨- وروى أيضاً بإسناده: عن عبدالله بن خليفة قال قال رسول ﷺ «**الكُرْسي الذي يَجْلسِ عليه مايفضُلُ منه إلّا أَرْبَع أَصَابع، وإنَّ له لأزيز كأزِيزِ الرَّحْلِ الجديد**»[3].

اعلم أنّ الألفاظَ قد اختلفت في الكرسي.

فروي في حديث ابن عباس عن ﷺ **أنَّه موضعُ القَدَمين**.

وروي في حديث عمر موقوفاً عليه **أنَّه يجلس عليه**!.

وهذا الاختلاف وفاق في المعنى، لأنَّه يجوز أنْ يكون مَوْضِعاً للقدمين وللجلوس، وإذا تَقَرَّرَ هذا فغير ممتنعِ حمل كل لفظ على ظاهره[4].

فقوله في حديث ابن عباس: «**الكُرسي موضع القَدَمين**» على ظاهره في قَدَمِ الصِّفة الذي تقدم ذكره في أولِ الكتاب «**يَضَعُ قَدَمَهُ في النَّار**» وفي

---

(١) الأطيط صوت الخشب إذا وضع عليه الثقل، وأط الرحل والنسع يئط وأطيطاً: صوَّت، وكذلك كل شيء أشبه صوت الرحل الجديد.
قال الذهبي في العلو (ص ٣٩): الأطيط الواقع بذات العرش، من جنس الأطيط الحاصل في الرحل، فذاك صفة للرحل والعرش، ومعاذ الله أنه نعدَّه صفة لله عز وجل».

(٢) ولم أجده في كتاب العرش! والمعروف أن كتاب العرش إنما هو لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي أبي جعفر، وليس لأبي بكر عبدالله بن محمد أخيه صاحب المصنف! وقد طبع بتحقيقنا سنة ١٩٨٦م.
قال ابن القيم في النونية (١/ ٤٥٨) بشرح أحمد بن عيسى:

واقرأ كتاب العرش للعبسي ... وهو محمد المولود من عثمان

(٣) لم أجده ! واسناده مرسل ضعيف.

(٤) قد مرَّ معنا أن الحديث لا يصح، فزال الإشكال بحمد الله تعالى.

حديث داود «خُذْ بقدمي» لا على وجه المُمَاسَّة والجهة والأبعاضِ، كما جازت رُؤْيته لا في جهة، وكما جاز الإسْتواء عليه على العرش لا في جهته.

فإنْ قيل: المرادُ بالقَدَمِ ها هنا قَدَمُ بعض خَلْقِهِ، من الملائكةِ: أو غيره، لأنّه لم يَقُلْ هو موضع قدمي الله عَزَّ وجَلَّ.

قيل هذا غلط، لوجوه:

أَحَدُها: أنَّ قوله «**كُرسيه**» المراد بهذه الإضافة الله تعالى، وقوله «**موضع قدميه**» كناية، والكناية ترجع إلى من تقدم ذكره.

الثَّاني: أنَّه قد روي مُفسراً عن ابن عباس فيما حدثنا أبو القاسم بإسناده: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «**الكُرْسي مَوْضِعُ قَدَمِ الرَّحْمنِ جَلَّ وعَزَّ، والعَرْش لا يَقْدِرُ أَحَد قَدْرَه**».

فإنْ قيل: يحتمل أنْ يكون المراد بالكرسي العَلْم، فيكون معناه: وَسِعَ عَلْمه السَّموات والأرض[1] .

---

(١) قد رواه ابن جرير (٣/ ٧) والبيهقي في الاسماء (ص ٣٩٢) معلقاً عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (وسع كرسيه) قال: كرسيه علمه. قال البيهقي: وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره، تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش.

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٣١٢)، وقيل: كرسيه علمه وينسب إلى ابن عباس، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة كما تقدم (أي كرسيه: موضع قدميه) ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم، كما قيل في العرش، وإنما هو كما قال غيرُ واحد من السلف: بين يدي العرش كالمرقاة إليه إنتهى.

وقال ابن منده عن جعفر بن أبي المغيرة: ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير وقال بعد أن ذكر هذا الأثر: لم يتابع عليه. (ميزان الاعتدال للذهبي : ١/ ٤١٧)

والأثر عزاه السيوطي في الدر (٣/ ١٨٩): إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

تنبيه: لا يظن ظان احتياج الرب الى الكرسي أو العرش، أو إلى شيء من مخلوقاته ﴿فَإِنَّ =

قيل: هذا غلط، لأنَّ أهلَ التفسير، ومنهم مقاتل بن سليمان، قال: كُلُّ قائمةٍ من قَوائِم الكرسي طولها مثل طُول السَّمواتِ والأرض، والكُرْسي تحت العَرشِ في الصِّغرِ كحلْقَةٍ في أرضٍ فَلَاةٍ.

وهذا يمنع تأويله على العِلم، لأنَّ العِلم لا يتَّصف بالقَوائم، وبكونه تحت العَرش، ولأنَّه أضافَ القدمين إليه، والعلم لا يختص بالكُرسي ولا بالقدمين.

وأمَّا قوله في حديث عمر «**إذَا جَلَسَ على الكُرسي**» فغيرُ ممتنعٍ حمله على ظاهره، وأنَّ ذاته جالسة على الكرسي(١) لا على وجه الجهة والحدِّ، ولا على وجه الجثَّة والأَبْعَاض، كما وَصَفَ نفسه تعالى بالإستواء على العرش، وأنَّ ذلك محمول على ظاهره في استواء الذَّات، لا على وجه الجهة والأبعاض، كذلك في الكرسي، وقد تأولوا الجلوس والإستواء على الكرسي، على نَحو تَأويلهم الإستواء على العرش، ويأتي الكلام فيه.

وتأوَّله بعضهم على ﷺ وأنَّه هو جالس على كرسيه في الجنَّة بين يدي الله تعالى.

وهذا غلط، لأنَّ في الخبر تصريح باسم الله تعالى، ولا يمتنع أيضاً أنْ يحصل للكرسي أَطِيط بجلوس ذاته عليه، لا على وجه الاعتماد والمماسَّةِ وثُقْل الجُثَّة، كما قلنا في حديث خالد بن معدان «**إنَّ الرحْمنَ ليثْقِل على**

= ﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (آل عمران :٩٧) ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر ١٥).
ولذا قال الإمام الطحاوي بعد ذكره للعرش والكرسي: «وهو مستغن» عن العرش وما دونه محيط بكل شيء، وفوقه، وقد أعجز عن الاحاطة خلقة» انتهى فالعرش والكرسي ومن دونهما، فقراء لله رب العالمين، فتأمل!

(١) لم يأت في الكتاب أو السنة أو في كلام السلف، وصف الله تعالى بالجلوس! وان كان باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، لكن قد يفهم من هذا اللفظ معنى لا يليق بالله تعالى، من الحاجة والافتقار. فالإعراض عنه هو الواجب.

حَملَة العَرْش من أولِ النَّهار» وأنَّ الثقل يحصل بذات الرحمن، لا على وجه الاعتماد وثقل الجثة، كذلك ها هنا.

فإن قيل: محتمل أنْ يَخلقَ الله أطِيطاً في الكرسي، يكون ذلك علامة للملائكة.

قيل: هذا غلط، لأنَّه يقتضي أنَّ الأطيطَ يحصل بالجلوس، لأنَّه أضَافه إليه تعظيماً لشأن الجلسة.

فإنْ قيل: معناه أَطِيط الملائكة بالتَّسبيحِ حول العرش، فَأُضيفَ الأطيط إلى العرش، والمرادُ به حملته، كما يقال: اجتمعت اليَمامة، والمراد به أهلها.

قيل: هذا مجاز لأنَّه أضافَ الأطيط إلي العَرش، وأمَّا قوله **«وأنَّه يقعد عليه فما يَفضُل من مقدار أَرْبع أَصَابع، ثم قال بأصابعه يجمعها»** **«فما»** هاهنا بمعنى **«الذي»** كقوله ﴿عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ [النحل: ٩٦] معناه: الذي عندكم، وإذا كانت بمعنى الذي، فالفضْلة مِنَ الكرسي، وإنَّ الله أَخلاهَا من وصفه بالجلوس عليها، لأنَّه قد صَرَّحَ بذلك في رواية ابن أبي شيبة فقال: **«ما يَفْضُل من العَرش إلا أربع أصَابع»** فأمَّا ما حَدُّ الفَضلة بالأصَابع، فلا يُعْقَل معنى الأصابع لأنَّها غير منصوصٍ عليها[(١)].

---

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا معنى غريب! ليس له قط شاهد في شيء من الروايات، بل هو يقضي أن يكون العرش أعظم من الرب وأكبر!! وهذا باطل مخالف للكتاب والسنة وللعقل.

ويقضي أيضاً: أنه إنما عرف عظمة الرب بتعظيم العرش المخلوق، وقد جعل العرش أعظم منه، فما عظم الرب إلا بالمقايسة بمخلوق هو أعظم من الرب وهذا معنى فاسد مخالف لما علم من الكتاب والسنة والعقل.

فإن طريقة القرآن في ذلك أن يبين عظمة الرب، فإنه أعظم من كل ما يعلم عظمته، فيذكر عظمة المخلوقات، ويبين أن الرب أعظم منها» انتهى.

وقد قيل: يحتمل أنْ يكون راجعاً إلى أصابع الذات، وقد بينَّا فيما تقدم أنَّه موصوف بالأَصَابع، والذي يُقَوي رُجُوعَه إلى ذلك أنَّه جمع أصابعه، كما قال: «يضع السَّموات على إصبع، وأشار بأصابعه» وكان ذلك محمولاً على الذات، كذلك ها هنا.

والقول الصحيح في ذلك: أننا نحمل الخَبَرَ على ظاهره، ولا يُعقل معنى الأصابع، لأنَّه غير منصوصٍ عليه.

* * *

حَدِيث آخَر فِي الكُرْسِي

٥٣٩- ناه أبو القاسم قال: نا علي بن عمر الدارقطني قال نا علي بن محمد بن أحمد الواعظ قال حدثني أبو غداثة محمد بن أحمد بن عياض ابن أبي ظبية المفرض من حفظه نا مكي بن عبدالله الرُّعيني نا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر قال: لمَّا قَدِمَ جَعْفرُ بن أبي طَالب من أَرضِ الحبشة تَلَقَّاه ﷺ فلما نَظَرَ جعفر إلى رسول الله ﷺ خَجِلَ إعْظَاماً منه لرسول الله، فَقَبَّلَ رسولُ الله بين عينيه، وقال له: «**ياحبيبي، أَنْتَ أَشْبه النَّاس بخلقي وخلقي، وخُلِقْتَ مِنَ الطِّينةِ التي خُلِقْتُ منها، فحدِّثني ياحبيبي عن بعض عَجَائِبِ أَرْضِ الحَبَشَةِ، قال: نعم، بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله، بَيْنا أَنَا سَائِرٍ في بَعضُ طرُقَاتِها، إذا بعجُوزِ على رَأْسِها مِكْتل وأقْبَلَ شَاب يركض على فَرَسٍ له، فَزَحمها فألْقَاهَا لوجهها، وألقى المِكْتَلَ على رَأسِهَا، فاسْتَوَتْ قائمة وأَتبَعَتْه البَصَرَ، وهي تقول له: الوَيْلُ لكَ غداً، إذَا جَلَسَ المَلِكُ على كُرْسيِّه، فاقْتَصَّ المَظْلومُ مِنَ الظَّالِمِ، قال جابر: فَنَظَرتُ إلى** رسول ﷺ وإنَّ دُمُوعَه على لحيَتهِ مثل الجُمان، ثم قال: رسول ﷺ: «**لا قَدَّسَ الله أُمَةً، لا تأْخذ للمَظْلومِ حَقَّه مِنَ الظَّالم**»[1].

(١) إسناده ضعيف.
مكي بن عبدالله الرعيني عن سفيان بن عينية، له مناكير.
قال العقيلي: حديثه غير محفوظ، ثم ساق حديثه هذا... انظر الميزان (٤/ ١٧٩).
لكن قد صح بألفاظ مقاربة:
فقد أخرجه ابن ماجة (٤٠١٠) وأبو يعلى (٢٠٠٣) وابن حبان (٥٠٥٩، ٥٠٥٨) والخطيب في تاريخه (٧/ ٣٦٩) والذهبي في العلو (١٧٩) من طرق عن عبدالله بن خثيم عن أبي الزبير به.
قال الذهبي: إسناده صالح. وله شاهد في حديث بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. =

وهذا الحديث يؤكد الذي رَويناه عن عُمر في إثباتِ الجلوس على الكرسي، وقد بَيَّنَّا أنَّ ذلك جائز غير مستحيل.

٥٤٠- وفي معناه أيضاً: ما نا أبو القاسم قال نا أبو الحسن عليُّ بن عمر بن أحمد الدارقطني قال نا يحيى بن محمد بن صَاعد قال نا إبراهيم بن سعد الجوهري وزهير بن محمد قَالَا نا عبدالرحمن بن المبارك عن الصَّعِقِ بن حَزْن[١] عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل عن عبدالله قال: قال رجل: يا رسول الله، ما المقام المحمود؟ قال: «**يَوم يَنْزِلُ اللهُ على كُرْسِيِّه يَأطُّ كما يَأط الرحْلُ الجديد من تضايقه، وهو كَسَعَةِ ما بين السَّماءِ والأرْضِ**»[٢].

وهذا أيضاً يؤكد ما تقدم، الذي روى فيه من عظم الكرسي، وأنه كَسَعَة ما بين السَّماء والأَرض فلا يُنكر في مقدور اللهِ، بل هو أَعظم من ذلك أضعافاً مُضَاعفة[٣].

= أخرجه البزار (١٥٩٦) والبيهقي في السنن (٦/ ٩٥) (١٠/ ٩٤) وفي الأسماء (ص ٤٠٤).
قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٠٨) رواه البزار والطبراني في الأوسط، فيه: عطاء بن السائب وهو ثقة، لكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات.
وشاهد ثان: عن ابن عباس رضى الله عنهما عند الطبراني في الكبير (١١٢٣٠).
وثالث: عن أبي سفيان بن الحارث ﷺ رواه الحاكم (٣/ ٢٥٧، ٢٥٦) والبيهقي (١٠/ ٩٣) وشواهد أخر تركناها اختصاراً.
وانظر التعليق على ابن حبان للأرناؤوط، ومختصر العلو للألباني (٥٩)، وصحيح الجامع (٤٤٧٣، ٤٤٧٤).

(١) في الأصل: ابن جرير، والصواب ما أثبتناه.

(٢) ضعيف، عثمان بن عمير، أبو اليقظان الثقفي الكوفي البجلي، ضعفه غير واحد، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي ليس بالقوي. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف، وقال أحمد: ضعيف الحديث. انظر ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠ - ٥١).

(٣) كُتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

إثبات استواء الله تعالى على عرشه

٥٤١- ذكره أبو عبدالله بن بطة فقال: نا أبو بكر محمد بن بكر قال نا أبو داود السجستاني قال نا محمد بن الصباح البزار قال نا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العَبَّاس بن عبدالمطلب قال: كنْتُ في البَطْحَاء في عِصَابَةٍ فيهم رسول الله، فَمرتْ بهم سَحَابة فنظر إليها رسول ﷺ فقال: «**مَا تُسَمُّونَ هذه؟**» فالو: السَّحَاب، قال: «**والمزْن**» قالوا: والمزن، قال: «**والعنان**» قال: هل تدرون مَا بُعْد ما بين السَّماء والأرض؟ قالوا: لا ندري، قال: «**فإنَّ بُعْدَ مابيَنهما إمَّا واحدة وإما قال ثِنْتيَن أو ثَلاث وسَبْعينَ سنة، ثم السَّماء فَوْقَها كذلك، حتى عَدَّ سَبْعَ سَمَواتٍ، ثم فوق السَّماء السَّابعة بَحْر بين أَسْفَلِهِ وأَعْلاه مْثلَ ما بينَ السَّماء والأرض، ثمَّ فوقَ ذلك ثَمانية أَوْعَالٍ بين أَظْلافهم ورُكَبِهِم مثل مابين سماء إلى سماء، ثُمَّ على ظُهورِهِم العَرْش بين أسْفله وأَعْلاه مِثْلَ ما بين سَمَاء إلى سَمَاء، ثُمَّ اللهُ تعالى فوق ذلك، لا يخفى عليه شيء في الأَرْضِ ولا في السَّماء**»[1].

(١) حديث ضعيف، أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦-٢٠٧) وأبو داود (٤٧٢٣) وابن ماجة (١٩٣) والدارمي في الرد على المريسي (ص٩٠-٩١) وفي الرد على الجهمية (ص ٧٢) وابن أبي شيبة في العرش (٩.١٠) بتحقيقنا والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٨٤) والآجري في الشريعة (ص ٢٩٢) والبيهقي في الأسماء (ص ٥٠٤) واللالكائي (٦٥١) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٥) وغيرهم عن الوليد بن أبي ثور به.
وفيه: عبدالله بن عميرة، فيه جهالة، قال الذهبي في الميزان (٣/ ٤٦٩): وقال البخاري: لا يعرف، له سماع من الأحنف. انظر التهذيب (٥/ ٣٤٤) والوليد بن أبي ثور، هو ابن عبدالله الهمداني، ضعفه أحمد وصالح جزرة، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

٥٤٢- وروى أبو عبدالله بن بطة قال: نا ابن سلمان قال نا أبو إسماعيل محمد ابن إسماعيل التِّرمذي قال نا نعيم بن حمّاد قال نا أبو صفوان الأموي عن يُونس بن يزيد عن الزُّهري عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحْبَار قال: قال الله تعالى في التَّوراة: «**أَنَا اللهُ فَوقَ عبَادِي، وعَرْشي فَوْقَ جَميعِ خَلْقي، أَنَا على عَرْشِي، عليه أدَبِّر عَبادِي، لا يَخْفَى عَليَّ شيء مِنْ عِبَادي**»[١].

٥٤٣- وأنا أبو محمد الحسن بن محمد قال: أنا أبو الحسين محمد بن المظفر إجَازَةً قال نا أبو بكر محمد بن أحمد بن خالد القَاضي قال نا سعيد بن محمد قال نا مسَلْمُ بن قتيبة قال نا شعبة عن أبي إسحاق عن عبدالله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ﷺ في قوله عَزَّ وجَلَّ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] قال: «**حَتَّى يُسمع أَطِيط كأَطِيطِ الرَّحْل**»[٢].

اعلم أنَّ القرآن والأخبار قد جاءا بالإستواء على العَرْشِ، والواجب في ذلك إطلاقُ هذه الصفة من غير تفسيرٍ و لا تأويل، وأنَّه استواءُ الذَّات على العرش، لا على وجه الاتصال والمماسَّة[٣].

---

(١) الأثر من الإسرائيليات وهو موافق لما بأيدينا من نصوص القرآن والسنة، وأقوال سلف الأمة، في إثبات الفوقية لله تعالى، والاستواء على العرش، فلله الحمد.

(٢) سبق الكلام عليه قريباً.

(٣) ورد ذكر العرش في القرآن إحدى وعشرين مرة. وذكر الله تعالى استواءه عليه في سبع آيات منها: (ثم استوى على العرش) ومجدَّ نفسه وسبحها وأنه الملك ذو العرش العظيم الكريم في آيات كثيرة، وقال تعالى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء ٢٢). وقال ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ (المؤمنون: ١١٦). والعرش أعلى المخلوقات وأعظمها. واستواء الله تعالى عليه صفة فعلية خبرية، وقد دلت عليه الآيات

وقد أثبت الإستواء السلف.

٥٤٤- فروى أبو بكر الخَلَّال عن: عبدالوهاب الوَّراق أنَّه قال: استوى، قال: قعد!

٥٤٥- وعن يزيد بن هارون قال: مَنْ زَعَمَ أنَّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] على خِلَاف ما يَقَرُّ في قُلُوب العَامَّة، فهو جهمي[١].

٥٤٦- وذكر ابن قُتيبة في «مُخْتَلف الحديث» ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] استقر، كما قال ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون:٢٨] أي: استقررت[٢]، ولا يجوز حَمْلُه على المُمَاسَّة، لأنَّها من صفات المحدث، ولا يَجوز حمله على معنى: الإسْتِيلاء، لأنَّ الإستيلاءَ عند العَرَبِ لا يكون إلَا بعد المُغَالبةِ.

= السبع في كتاب الله، وأن الله تعالى استوى على العرش بعد أن خلق السموات والأرض، استواء يليق به. وفسره السلف رضوان الله عليهم: بالعلو عليه، والصعود والاستقرار.

(١) أخرجه أبو داود في مسائلة (٢٦٨ - ٢٦٩) وعبد الله في السنة (٥٤) وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٣) وسنده حسن، وذكره الذهبي في العلو (ص ١٦٧).
وعلق عليه بكلام نفيس نسوقه بتمامه، إذا قال: «يقر: مخفف، والعامة: مراده جمهور الأمة وأهل العلم، والذي وقر في قلوبهم من الآية: هو ما دلَّ عليه الخطاب، مع يقينهم بأن المستوي ليس كمثله شيء، هذا الذي وقر في فطرهم السليمة، وأذهانهم الصحيحة، ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه، ولو تأول أحد منهم الاستواء، لتوفرَّت الهمم على نقله، ولو نقل لاشتهر. فإن كان في بعض جهلة الأغبياء، يفهم من الاستواء، ما «يوجب نقصاً، أو قياساً للشاهد على الغائب، وللمخلوق على الخلق، فهذا نادر، فمن نطق بذلك زُجر وُعلِّم» اهـ. وانظر «النهج الأسمى» (١/ ٣٢٢) لكاتبه، ففيه نقول مهمة عن السادات الأئمة.

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٣٩٤) المكتب الإسلامي.
قالوا: حديث في التشبيه يكذبه القرآن والإجماع! «نزول الله سبحانه»
قال: وكيف يسوغ لأحد أن يقول: إنه بكل مكان على الحلول، مع قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٥٤٧- قال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أَخْبَر، فقيل له: استوى استولى! فقال: العربُ لا تقول: اسْتَوْلَى على الشَّيء، حتى يكونَ له فيه مُضَاد، فأَيُّهما غَلَبَ قيل استولى، واللهُ تعالى لا مُضَادَ له، وهو على عرشه كما أَخبر، والإستيلاء بعد المُمَانَعَة(١).

ولا يجوز حمله على معنى المِلك، لأنَّه كان يَجبُ أنْ يقال: إنَّه استوى فوق البيت، لأنَّه ملك البيت، واستوى على الدَّابة لأنَّه مَلَكَها، ولايَجوز حمله على الإعتلاءِ بالقُدْرة، والمَنْزِلة والرِّفعة والغلبة، لأنَ في حديث عمر الذي تقدم عن ﷺ **«كُرسيْه فوق السَّمواتِ والأرض وأنَّه يقعد عليه»** وعن عمر نفسه **«إذا جَلَسَ الله على الكُرسي سمع له أَطِيط»** والجُلوس والقُعود(٢) لا يعبر به عن الإعتلاء بالقُدْرة.

وعلى أنَّه لم يزلْ مُعْتلياً على الأشياء، فلما أضافَ الاستواء إلى العرش وجب أنْ يكون لهذا التخصيص فائدة، ولا يجوز حمله على معنى: تَمَّ له ما في السَّموات والأرض، لأنَّ ذلك يُؤدي إلى أنَّ الأشياء لا تَتم لله، ولا تحصل مقدورةً له، إلا بعد وجودها، وهذا كفر! (٣).

---

(١) أثر صحيح، رواه البيهقي في الأسماء (ص ٤١٥) تعليقاً واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٣٩٩) والخطيب في تاريخه (٥/ ٢٨٣ - ٢٨٤) والذهبي في العرش (٧) وفي العلو (٤٥٣، ٤٥٤) وفي الأربعين (٧) وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص ٢٦٥) بألفاظ متقاربة. قال الألباني في مختصر العلو (٢٤١): وهذا إسناد صحيح. وعزاه الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٠٦) إلى كتاب الفاروق للهروي.

(٢) وقد سبق أنه لم يثبت وصف الله تعالى بذلك، وأن السلامة التعبير عن الله سبحانه بالألفاظ التي جرت في القرآن والسنة.

(٣) وقد أبطل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ دعوى معنى (استوى): استولى، أو أنه مجاز عن الملك والسلطان، من اثنين وأربعين وجهاً، عقلي ونقلي في كتابه: اجتماع الجيوش (ص ٣٩).

ولا يجوز أنْ يكون المراد بالعَرْشِ الملك، لأنَّه قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] وهذا يوجب أنَّ الملائكة خارجين عن الملك، فلم يبق إلا أنْ تُحمل الصِّفة على إطلاقها[١].

وقد روى أبو بكر الخَلَّال باسناده: عن أُم سَلَمة في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] قالت: «كَيْفٌ غير مَعْقول، والإستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر»[٢].

---

(١) وكل هذا الوجوه متكلفة مضطربة، خارجة عن ظاهر اللفظ، بعيدة عن المعنى المعروف من لغة العرب، وقد نهينا عن ذلك كله، نهينا عن التكلف ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [ص: ٨٦]. وعن القول على الله بغير علم ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

(٢) اسناده ضعيف، أخرجه ابن مندة في التوحيد (٨٨٧) وابن بطة في الإبانة (١٢٠) وأبو عثمان الصابوني في عقيدته (٢٣) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٦٣) وعنه ابن قدامة في إثبات العلو (٨٢) والذهبي في العلو (١٦٥) وغيرهم عن محمد بن أشرس نا أبو عمير الحنفي عن مرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضى الله عنهما.
وفي سنده: محمد بن أشرس أبو كنانة السلمي النيسابوري.
قال الذهبي: متهم في الحديث، وتركه أبو عبدالله بن الأخرم الحافظ وغيره. الميزان (٣/ ٤٨٥)
وقال في العلو: ليس بثقة.
وأبو عمير الحنفي، قال الذهبي: لا أعرفه.
وهذا القول ثابت عن مالك، كما قال الذهبي في العلو: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح انتهى.
وهو عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤) واللالكائي (٦٦٤) والبيهقي في الأسماء (ص ٤٠٨) وفي الاعتقاد له (ص ٥٦) وأبو عثمان الصابوني (٢٥) وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٥١) والذهبي في العلو (٣٤٤، ٢٣٤٤) من طريقين عنه.
قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٧) بعد أن عزاه للبيهقي من طريق ابن وهب بسند جيد،
فائدة: قال الإمام الذهبي في العلو: هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة: أن كيفية الاستواء، لا نعقلها بل نجهلها، وأنه استواء معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نُعَمِّق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم =

فاذا أَثبَتَ أنهَّ على العَرش، والعرش في جهةٍ، وهو على عرشه، وقد منعنا في كتابنا هذا في غير موضع إطلاقُ الجهة عليه، والصَّواب جواز القول بذلك، لأنَّ أحمد قد أثبَتَ هذه الصِّفة التي هي الاستواء على العرش، وأَثبتَ أنَّه في السَّماء، وكُلُّ منْ أَثْبَتَ هذا أَثْبَتَ الجهة، وهم أصحاب ابن كرَّام وابن مندة الأصبهاني المحِّدث[١].

والدِّلالة عليه: أنَّ العَرْشَ في جهةٍ بلا خلاف، وقد ثبت بنَصِّ القُرآنِ أنَّه مستوٍ[٢] عليه، فاقتضى أنَّه في جهة.

ولأنَّ كل عاقل من مُسلم أو كافر، إذا دَعَا فإنَّما يرفعُ يَدَيه ووجهه إلى نحو السَّماء، وفي هذا كفاية.

ولأنَّ من نَفَى الجهة من المعتَزلة والأشعرية يقول: ليس هو في جهة، ولا خَارجاً منها، وقائلُ هذا بمثَابَةِ مَنْ قال بإثباتِ موجود مع وجود غيره، ولا يكون وجود أحدهما قبل وجود الآخر ولا بعده!

ولأنَّ العَوَامَ لا يُفرِّقون بين قول القائل: طلبته فلم أجده في موضعٍ ما، وبين قوله: طلبته فإذا هو معدوم.

وقد احتج ابن مَنْدَة على إثبات الجهة، بأنَّه لمَّا نَطَقَ القُرآن بأنَ الله تعالى على العَرش، وأنَّه في السَّماء، وجاءت السُّنَّة بمثل ذلك، وبأنَّ الجنَّة مسكنه،

= ذلك نفياً ولا إثباتاً بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل، لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله لا مثيل له، لا في صفاته ولا في استوائه، ولا في نزوله سبحانه وتعالى انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(١) انظر الكلام على لفظ الجهة فيما سبق من هذا الكتاب.

(٢) في الأصل: مستوي! و الصواب حذف الياء للتنوين.

وأنَّه في ذلك، وهذه الأشياء أمْكِنَة في أَنفُسها، فَدَلَّ على أنَّه في مكان[١].

فإذا أثْبَتَ أنَّه على العَرش، وأنَّه في جهةٍ، فهل الإستواء من صِفَات الذَّات؟ قياس قول أصحابنا أنَّه من صفات الذَّات، وأنَّه موَصوف بها في القِدَم وإنْ لم يكن هناك عَرْشاً موجوداً والتَحَقُّق وجود ذلك منه في[٢].

الثاني: لأنهم قد قالوا: خالق ورازق موصوف به فيما لم يَزل، ولا مخلوق ولا مرزوق، لتحقّق الفعل من جهته.

وقد تقول العرب: سَيْف قَطُوع، وخبز مُشبع، ومَاء رَوِيّ، وإنْ لم يُوجد منه القَطْع لتحقق الفعل منه.

واستدل بعض أَصحابنا لأنَّه موصوف في الأزل بالربوبية ولا مربوب، وبالإلهيَّة ولا مَألُوه، وعلى قِيَاس هذا النُّزُول إلى السماء، والمجيء في ظُلَلٍ من الغَمام، وَوَضع القَدَمِ في النَّار[٣].

---

(١) وكذا لفظ «المكان» من الألفاظ التى تحتمل الحق والباطل، وينبغي النظر إلى المقصود، فمن اعتقد أن المكان هو ما يفتقر إليه المتمكن، سواء كان محيطاً به أو كان تحته، فمعلوم أن الله سبحانه ليس في مكان بهذا الاعتبار.
ومن اعتقد أن العرش هو المكان، وأن الله فوقه مع غناه عنه، فلا ريب أنه في مكان بهذا الاعتبار، قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد كلام نحوه: «فما يجب نفيه بلا ريب افتقار الله تعالى إلى ما سواه، فإنه سبحانه غنى عما سواه، وكل شيء فقير إليه، فلا يجوز أن يوصف بصفة تتضمن افتقاره الى ما سواه وأما إثبات النسب والإضافات بينه وبين خلقه، فهذا متفق عليه بين الأنبياء والمرسلين، وسلف الأمة وأئمتها، وبين هؤلاء الفلاسفة كما ذكر ذلك عنهم، ولكن آخرون من الفلاسفة ينازعون في ذلك»! درء معارض العقل والنقل (٦/ ٢٤٩) وانظر أيضاً (٦/ ٣١٤ - ٣١٦).

(٢) كذا في الأصل ولعله سقطت كلمة: القِدم أو الأزل.

(٣) قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً».
=

فإن قيل: فقد قال أحمد في رواية حنبل: هو على العَرش كيف شاء، وكما شاء، وصفات الذَّات لا تدخل تحت المشيئة.

قيل: المشيئةُ راجعة إلى خَلْقِ العرش، لا إلى الإستواء عليه، وإذا أثبت استواءه وأنَّه في جَهةٍ، وأنَّ ذلك من صِفات الذات، فهل يجوز إطلاق الحدِّ عليه[1]؟

= أي: أن الله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعْتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفةٌ نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده.

لكن صفات الفعل الاختيارية كالخلق، والتصوير، والإحياء، والإماتة، والقبض، والبسط، والطي، والإستواء والإتيان والنزول، والغضب والرضا، والكلام، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، فان هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبلة مثله، ولن يغضب بعده مثله» انظر «العقيدة الطحاوية» بشرحنا (ص٨٧ - ٧٩).

(١) الحدّ في اللغة: المنع، والحاجز بين الشيئين، والنهاية التي ينتهى إليها تمام المعنى. (الكليات للكفوي ص٣٩١).

وفي التعريفات للجرجاني (ص٨٣) : الحد : قول دال على ماهية الشيء.

وعند أهل الله: الفصل بينك وبين مولاك انتهى.

كما سيأتي توضيحه في كلام الامام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، ولم يثبت به حديث صحيح فيما نعلم، إنما عبرَّ به بعض العلماء من السلف، لبيان أن الله تعالى ليس حالّاً في خلقه، ولا شيء من خلقه حالّ فيه، كما زعمت الجهمية الحلولية والاتحادية من ملاحدة الصوفية، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾! (الأنفال : ١٧).

وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠).

ولهم في ذلك أشعار كفرية.

منها قولهم:

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ... ما بينكم وبيننا من بين!!

وغيره، انظر «إبطال وحده الوجود» الشيخ الاسلام ابن تيمية بتحقيقنا، طبع إحياء التراث الإسلامي (١٤١٣) هـ

٥٤٩- قد أَطْلَقَ أحمد القول بذلك في رواية المروذي، وقد ذُكر له قول ابن المبارك: نَعْرِفُ اللهَ على العَرْش بحدّ، فقال أحمد: بلغني ذلك، وأعجبه.

٥٥٠- وقال الأثرم: قلت لأحمد: يحكى عن ابن المبارك: نعرف ربنا في السَّماء السَّابعة، على عرشه بحدّ، فقال أحمد: هكذا هو عندنا(١).

٥٥١- ورأيت بخط أبي إسحاق أنا أبو بكر أحمد بن نصر الرفا قال: سمعت أبا بكر بن أبي داود سمعت أبي يقول: جَاء رجل إلى أحمد بن حنبل، فقال له: للَّه تبارك وتعالى حَدٌّ؟ قال: نعم لا يَعْلمه إلا هُو، قال تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] يقول: مُحْدِقِيَن.

فقد أطلقَ أحمد القول بإثباتِ الحدّ لله تعالى.

٥٥٢- وقد نفاه في رواية حنبل فقال: نحنُ نُؤمن بأنَّ اللهَ على العرش، كيفَ شَاء وكما شَاء، بلا حَدٍّ ولا صِفَةٍ يَبْلُغُها وَاصِف أو يحدهُ أَحَد.

فقد نفى الحَدَّ عنه على الصِّفة المذكورة، وهو الحد الذي يعلمه خلقه.

والموضع الذي أطلقه محمول على معنيين:

أحدهما: على معنى أنَّه تعالى في جهة مخصوصة، وليس هو تعالى ذاهِب في الجهات الستة، بل هو خَارج العالم مُمَيَّز عن خَلْقِه، مُنْفَصِل عنهم غير دَاخل في كل الجهات!.

---

(١) أثر صحيح، رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٨) وعبدالله في السنة (٢٢) والدرامي في الرد على الجهمية (ص٢٣) وأبو عثمان الصابوني في عقيدته (٢٨) وابن بطة في الإبانة (١١٢) وابن مندة في التوحيد (٨٩٩) والبيهقي في الأسماء (٢/ ٣٣٦) وابن قدامة في إثبات العلو (٩٩) من طرق عن علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك به.
قال ابن تيمية بعد أن عزاه في الحموية (ص٢٦٩): بأسانيد صحاح. وقال ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص ١٣٤) : بأصح إسناد.

وهذا معنى قول أحمد: له حدٌ لا يعلمه إلا هو.

والثاني: أنَّه على صِفة يَبينُ بها عن غيره ويتميز، ولهذا سُمِّي البَّواب حداداً، لأنَّه يمنع غيره عن الدخول، فهو تعالى فَرْد واحد ممتنع عن الإشتراك له في أَخصّ صفاته.

وقد منعنا من إطلاق القول بالحدِّ في غير موضعٍ من كتابنا، ويجب أنْ يجوز على الوجه الذي ذكرنا.

ويجب أنْ يحمل اختلاف كلام أحمد في إثبات الحدِّ، على اختلاف حالين: فالموضع الذي قال إنَّه (على)(١) العرش بحدٍّ، معناه: أنَّ ما حاذى العَرش منْ ذَاته هو حدّ له، وجِهَة له.

والموضع الذي قال: هو على العرش بغير حَدٍّ، معناه: ما عَدَا الجهة المُحَاذِية للعَرش، وهي الفوق والخلف والأمام واليمنة واليسرة، وكان الفرق بين جهة التحت المحاذية للعرش، وبين غيرها مما ذكرنا: أنَّ جهة التحت تُحاذي العرش بما قد ثَبتَ من الدليل، والعرش محدود، فجاز أنْ يُوصف ما حَاذَاه من الذَّات أنَّه حد وجهة.

وليس كذلك فيما عَدَاه، لأنَّه لا يُحاذي ما هو مَحدود، بل هو ما دلَّ في اليمنةِ واليسرةِ والفَوقِ والأَمامِ والخلفِ إلى غير غاية، فلهذا لم يُوصف واحد من ذلك بالحدِّ والجهة.

وجهة العرش تحاذي ما قابله من جهة الذَّات، ولم يُحاذِ جميع الذات، لأنه لا نهاية لها.

فإنْ قيل: هل العرش والكرسي إسْمان لشيءٍ واحد، أم لشيئين؟

---

(١) ليست في الأصل، ويقتضيها السياق.

قيل: بل اسمان لشيئين، يدل على ذلك أنَّ الله سبحانه قال ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ البقرة: ٢٥٥] فذكر اسمين، فوجب حملهما على معنين.

٥٥٣- ويدلُّ عليه: ما حدثناه أبو القاسم بإسناده: عن عبدالله بن سلّام قال: «**إذا كانَ يَومُ القِيَامَة، نَزَلَ الجبَّارُ جلَّ اسْمه على عَرْشِهِ وقَدَمَيهُ على الكُرسي، وجِيءَ بنَبيكم فَأَقْعد بينَ يديه على الكُرسي**»[١] وهذا الخبر يقتضي أن الكرسي غير العرش.

فإن: قيل: فإذا كانَ العرش غير الكرسي، فقد روي في الأخبار التي تقدمت «**يجلس على كرسيه**» وروي أنَّه مستوي[٢] على عرشه، فكيف يمكن الجمع بين هذه الأخبار؟

قيل: يمكن الجمع بينهما، وهو أنْ نُطلق الصِّفةَ عليها فتقول: مستوي على عرشه، وجالس على كرسيه، كما قُلنا هو على عرشه، وهو ينزل إلى السَّماء، ويجيء في ظُلَلٍ من الغمام، فإذا جاز الجمع بينهما هناك، كذلك هاهنا.

* * *

(١) الحديث ضعيف.
وسبق تخريجه والكلام عليه فيما سبق
(٢) كذا في الأصل.

فَصْل

إذَا ثَبتَ إطلاق القول بأنَّه على العرش، فهل يجوز أنْ يطلق عليه سبحانه بالجلوس أو القيام؟

فما وجدت عن أحمد في هذا شيئاً، وقد اختلفَ الأثر في ذلك، فقد روينا في حديث عمر: «**إذا جَلَسَ رَبُّنا على كُرسيه سمع له أطيط**» فأَطْلَقَ الجلوس عليه(١).

٥٥٤- وروي ما دلَّ على القعود، فحدثناه أبو الحسن علي بن عمر السُّكَّري بإسناده: عن ثعلبة بن الحكم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّ وجَلَّ إذا قَعَدَ على كُرْسيِّه للقضاء: عبَادِي لم أَجْعَلْ عِلْمي فيكُم، إلَّا وأَنَا أُريدُ أنْ أغْفر لَكُم، عَلى مَا كانَ مِنْكُم وَلا أبالي**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه قريباً، ولا يثبت!

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٨٤ - برقم ١٣٨١) قال حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا العلاء بن مسلم ثنا إبراهيم الطالقاني ثنا ابن المبارك عن سفيان بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال: قال رسول ﷺ: «يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم، إلا وأنا أريد أن أغفر لكم، على ما كان فيكم ولا أبالي».

قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٢٦) : ورجاله موثقون!

كذا قال! وتعقبه محقق الطبراني الشيخ حمدي السلفي بقوله : قلت والعلاء بن مسلمة متروك، اتهم بالوضع انتهى.

قلت: وقال الحافظ في التهذيب (٨/ ١٩٢) قال الأزدي: كان رجل سوء، لا يبالي ماروى، ولا على ما أقدم، لا يحل لمن عرفه أن يروي عنه.

وقال ابن حبان: يروي المقلوبات والموضوعات على الثقات، لا يحل الاحتجاج به.

وقال ابن طاهر المقدسي: كان يضع الحديث.

وانظر ميزان الإعتدال (٣/ ١٠٥) للذهبي..

٥٥٥- وروى ما دَلَّ على القِيام، فحدثناه السُّكَّري في جُملة «**حديث غُنجار**» بإسناده: عن جابر قال: بلغني حديث في القِصَاص، وكانَ صاحب الحديث بمصر، فاشتريتُ بَعيراً وشَدَدت عليه رَحْلًا، ثم سرتُ شَهراً حتى وردت مِصْرَ، فسألت عن عن صاحب الحديث، فَدُلِلْت عليه، فإذا هو بَاب لاطِيء، فَقَرعتُ البابَ فخرج إليَّ مَملوك له أسْود، فقلت: هاهنا أبو فلان؟ فسكَت عَنِّي، فدخل فقال لمولاه: بالبابِ أَعْرابي يطلبك، فقل: اذهبْ فقال له: من أنت؟ فقلت: أَنَا جَابر ابن عبدالله صاحب رسول الله ﷺ قال فخرج إليَّ فَرحَّبَ بي وأخذ بيدي، ثم قال لي من أين، من أهل العراق؟ قلت: نعم، بلغني حديث في القصاص، ولا أعلمُ أَحَداً ممنْ بَقي أَحفَظُ له منك، فقال: أجلْ سمعت رسول ﷺ يقول: «**ان الله يَبْعثُكم يَومَ القيامة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وهو عَزَّ وجلَّ قَائم عَلى عَرشِهِ يُنَادِي بصَوتٍ له رَفيع، غير فظ يُسمِع البَعيد كما يُسْمِعُ القَريب، يقول: أَنَا الدَّيَّانُ، لا ظُلْمَ عندي، وعَزَّتي لا يُجاوزُني اليوم ظُلم ظَالم ولو بلَطْمةٍ بكفَيّكَ، ولو ضَرْبَةَ يد على يد، ولأقْتَصنَّ للجَمَّاءِ من القَرنَاء، ولأَسئَلنَّ الحَجَر لم نكب الحَجَر، ولأسْئلنَّ العُودَ لم خَدَشَ العُود صاحبه، في ذلك أُنْزِلَ علي يعني في كتابي** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] ثم قال رسول الله: إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ على أمتي بَعْدي، عَمل قَومِ لُوطٍ، أَلَا فَلْتَترقَّبْ أُمتي العَذَاب إذا اكتفا[1] الرِّجَالُ بالرِّجَال،

---

(١) في الأصل: أكافا.

والنِّسَاءُ بالنِّساء[1].

ففي هذا الخبر فوائد:

منها: وصفه تعالى بالقيام على العَرش.

ومنها اثباتِ القِصَاصِ فيمن ليس بمكلَّفٍ، كالبهَائم والحَجَر والعُود.

ومنها: الوعيد في اللواط والسِّحَاق.

❋ ❋ ❋

(١) الحديث رواه بنحوه مختصراً ومطولاً: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٥) وأحمد (٣/ ٤٩٥) والبخاري تعليقاً (١٣/ ٤٥٣) وفي الأدب (٩٧٠) وفي خلق أفعال العباد (ص ١٤٩-١٥٠) والطبراني في الكبير - كما في المجمع (١/ ١٣٣) - والحاكم (٢/ ٤٣٧-٤٣٨) (٤/ ٥٧٤-٥٧٥) وغيرهم

انظر النهج (٣/ ٦٧).

وروى الجملة الأخيرة: «إن أخوف ما أخاف على أمتي، عمل قوم لوط» دون قوله «إذا اكتفا الرجال..».

ابن ماجة (٢٥٦٣) وحسنة الألباني كما في السنة والمشكاة (٣٥٧٧).

ربنا تقدّس اسمه في السماء

في جواز إطلاق القول بأنه سبحانه في السَّماء، كما وصف نفسه، كما قلنا في الإستواء على العرش.

وقد قال أحمد فيما خَرَّجه في «الرَّد على الجهمية»(١): وقد أخبرنا أنَّه في السَّماء فقال ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك: ١٦-١٧] وقال عزَّ وجلَّ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] وقال ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠] وقال ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وقال ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فأخبر أنَّه في السَّماء، فقد نص أحمد على جواز إطلاق القول بذلك، واحتج بهذه الآيات، وهذا غير ممتنع إطلاقه أنَّه في السماء كالعرش.

٥٥٦- ويدل عليه أيضاً: ما رواه أبو القاسم هبة الله بن منصور الطَّبري في كتاب «أُصُول السُّنَّة» بإسناده: عن أبي الدَّرداء قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**مَنْ اشْتَكَى مِنكُم شيئاً، أو اشْتكَى أَخ له، فليقل: رَبُّنا اللهُ الذِي في السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمكَ، أَمْركَ في السَّمَاء والأَرْضِ كما رَحْمتكَ في السَّمَاء، اغْفرْ لنا حَوْبَنَا وخطَايَانَا، ربُّ الطَّيِّبينَ أَنْزَل رَحْمةً مِنْ رَحمَتِك، وشِفَاءً من شفائك على الوَجَع، فَيبرَأ**»(٢).

---

(١) الرد على الجهمية (ص ٤٨ - ٤٩) ط السلفية.

(٢) ضعيف جداً، رواه أبو داود (٣٨٩٢) ومن طريقه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٤٨) والدارمي في الرد على الجهمية (٧٠)

=

٥٥٧- وروى أيضاً بإسناده: عن معاوية بن الحكم السُّلَمي قال: قلت: يا رسول الله! كانت لي جَارية تَرْعَى غُنَيماتٍ لي مِنْ قَبلِ أُحُدٍ والجوَّانيَّة، وأنَّي أَطْلَعْتُها يوماً إطلاعة، فَوَجَدتُ ذِئباً قد ذَهَبَ منها بشَاةٍ، وأَنَا من بَني آدمَ آسَفُ كما يَأسفُونَ، فَصَكَكْتها صَكَّةً فعظَّم ذلك علَّي ﷺ، فقلت: أَلا أُعْتِقها؟ فقال: «ادْعُها لي» فقال لها: «أَين الله؟» قالت: اللهُ في السَّماء قال: «فَمَنْ أَنَا» قالت: أَنْتَ رسول الله، قال: «أعتقها فإنَّها مُؤْمنة»[1].

وروى بإسناده: عن عبيدة عن أبيه قال قال رسول ﷺ: «ارْحَمْ مَنْ في الأَرضِ، يَرْحَمْكَ مَنْ في السَّمَاء»[2] وقال أمية أبن أبي الصَّلت:

مَجِّدُوا اللهَ وهُو للمَجْدِ أَهْل ... رَبُّنَا في السَّماء أَمْسَى كَبِيراً
بالبنَاءِ الأَعْلى الذي سَبَقَ النَّاسَ ... وَسَوَّى فوقَ السَّماء سَريراً

وقال ابن فورك قوله تعالى ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] معناه: فوق السَّماء من طريق الرُّتْبة والمنزلة والعظمة والقدرة![3].

= والأصبهاني في الحجة (٥٩) والحاكم (١/ ٣٤٤) وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٢٧) والذهبي في العلو (٣٩) وغيرهم وفيه: زيادة بن محمد، ضعيف جداً، قال البخاري وغيره: منكر الحديث. وقال الذهبي في الميزان (٢/ ٩٨) وقد انفرد بحديث الرقية «ربنا الله الذي في السماء ..».

(١) رواه مسلم في المساجد (١/ ٣٨١ - ٣٨٢) وأحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨) وأبو داود (٩٣) والنسائي (٣/ ١٤) وغيرهم. والجوّانية: موضع قرب أحد شمال المدينة.
والحديث واضح الدلالة في جواز السؤال عن الله تعالى: أين هو؟ وأنه في السماء. خلافاً للمتكلمين من الجهمية وغيرهم في زعمهم عدم جواز ذلك!!

(٢) حديث صحيح، رواه الطبراني في الكبير (١٠٢٧٧) والأوسط (٢٥٦-مجمع البحرين) وفي الصغير (١/ ١٠١) وأبو يعلى (٢/ ٢٣٤) من حديث أبي عبيدة عن أبيه، وهو مرسل، لكن للحديث شواهد كثيرة يصح بها.

(٣) مشكل الحديث له (ص ٥٨ - ٥٩).

وأجابَ عن قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وليس على معنى صعودٍ من سُفْلٍ إلى عُلو، لاستحالة ذلك على الكلام! لأنَّه عَرَض لا يَبقى! وكذلك العمل الصالح، وإنما معنى صُعُود الكلام الطَّيب: قَبُوله، ووقوعه عنده موقع الجزاء والثَّواب، وقوله ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ لا على معنى رفع من مكانٍ إلى مكان، لكن على معنى أنَّه يقبل العمل الصَّالح!

وقوله في قِصة عيسى ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] معناه رفعه إلى الموضع الذي لايُعْبد فيه إلا الله، ولا يُذكر فيه غيره، لا على أنَّه ارتفع إليه كما يرتفع الجسم من سفل إلى علو!!

وهذا غَلَط، لأنَّه لا يمتنع صُعُودُ الكلام الطَّيب والعمل الصالح مَكْتُوباً، لأنَّ الرَّقيبَ والعَتيدَ يَكتبان القول والفعل ويَرفَعَانِهما، وهذا كما قلنا إنَّ أعمالَ العباد تُوزَنُ، وأنَّ الوَزْنَ يقع على الصحائفِ التي فيها الأعمال، وعلى أنَّه لو كان الأمَر على ما قالوه، وأَنَّ ثَوابَ الأمْوالِ والأفعالِ يصعد، فالاحتجاج نافي، لأنَّ فيه دِلالة على الصُّعود إلى الله تعالى.

وقوله في قصة عيسى أنَّه رفعه إلى مَوضعٍ لا يُعصى فيه، فلا يَمتنع حَملُ الآية على ظاهرها، وأنَّه رَفَعَه إليه على وجه التَّقريبِ له من ذَاته إكراماً له، كما قَرَّبَ نبينا ﷺ حتى كان قَابَ قَوسين أو أدنى، وكان ذلك تقريباً من ذاته.

❊ ❊ ❊

وصف الله تعالى بالصَّبر

٥٥٨- رواه أبو بكر أحمد بن إسحاق الصَّبغي: عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لا أَحدَ أَصْبَر على أَذَىً يَسْمَعُهُ مِنَ الله، يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له ولَد، وهو يَرْزُقُهم وَيَدْفَعُ عنهم ويُعَافيهم**»![1].

اعلم أنَّه غير ممتنعٍ وصفه بالصَّبر، على ظاهر الخبر، كما جازَ وصفه بالرَّحْمة والرَّأْفة.

وقال بعضهم: الصبر بمعنى الحِلْم، ومعنى وصفه بالحِلم: تَأخير عقوبته عن المستحقين لها.

وهذا غلط لوجوه:

أحدها: أنَّه إثْباتُ إضْمَارين، فهو جارٍ مجرى ترك حَقيقتين.

والثاني: أنَّهم لايُثْبتُونَ لله حِلْماً، فلا معنى لتأويل الخبر عليه.

الثالث: أنَّ حمله على تأخيرِ عقوبته يفضي إلى أنْ يقع الخبر بخلاف مخبره، لأنَّه قد يُعَجِّلُ العُقُوبة وقد يؤخرْها.

* * *

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٩٩) وفي التوحيد (٧٣٧٨) ومسلم في صفات المنافقين (٤/٢١٦).

إثباتُ صِفَةُ الغضب لربّنا جلّ شأنه

«حَدِيثٌ آخَرٌ في الغضبِ»(١)

٥٥٩- أخرجه أبو بكر بإسناده: عن مَعْقِل بن يَسَار قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتُرْعيَ رعيةً فَغَشَّهَا، لَقي رَبَّه عَزَّ وجَلَّ وهُوَ عليه غَضْبَان»(٢).

٥٦٠- وروى أيضاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لم يَدْعُ اللهَ تعالى، غَضبَ اللهُ عليه»(٣).

٥٦١- وروى أبو بكر الصِّبْغي: عن أبي هريره رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قالَ يَومَ أُحُد: «اشْتَد غَضَبُ اللهِ على قَوْمٍ هَشَمُوا البَيْضَةَ على رَأسِ نبيِّهم، وهُو يَدْعُوهم إلى الله»(٤).

---

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٢) رواه البخاري في الأحكام (١٣/ ٧١٥٠، ٧١٥١) ومسلم في الإيمان (١/ ١٢٥، ١٢٦) وفي الإمارة (٣/ ١٤٦٠) من طرق عن معقل بن يسار رضي الله عنه، لكن بلفظ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحة، لم يجد رائحة الجنة» وفي رواية: «إلا حرّم الله عليه الجنة».

(٣) حديث حسن، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٥٨) والترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجة (٣٨٢٧) وأحمد (٢/ ٤٤٢، ٤٧٧) والطبراني في الدعاء (٢/ ٢٣) من طرق عن أبي المليح عن أبي صالح عن أبي رضي الله عنه مرفوعاً به.
وأبو صالح هو الخوزي، لينه بعضهم، وقال أبوزرعة: لابأس به.
وقال ابن كثير: وهذا إسناد لابأس به.
وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٦٥٤)

(٤) حديث صحيح، أخرجه بهذا اللفظ البزار (١٧٩٣) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٧) واسناده حسن، وهو كما قال.
وأخرجه البخاري في المغازي (٧/ ٣٧٢) ومسلم في الجهاد والسير (٣/ ١٤١٧) بنحوه من حديث عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة به، ولفظه عندهما: «اشتد غضبُ الله على قوم فعلوا بنبيه» - يشير إلى رباعيته - وقال «اشتد غضب الله على رجل يقتله رسولُ ﷺ في سبيل الله».

٥٦٢- وروى سالم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ على امرأَةٍ أَلْحَقَتْ وَلَداً بقَومٍ ليسَ منهُم، يَشْرُكهُم في أَمْوَالِهِم، ويَطَّلِعُ على عَوْرَاتِهِم**»(١).

٥٦٣- وروى جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى مَن كَذَبَ عَليَّ مُتَعَمِّداً**»(٢).

٥٦٤- وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَدْنوا الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الكَرْبِ والغَمِّ مَا لا يُطيقُون**» وذكر الحديث، وقال فيه «**فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيقولون: اشْفَعْ لنا إلى رَبِّك، فيقول: إنَّ ربِّي قد غَضِبَ اليَومَ غَضَباً لم يَغضَبْ مِثْلَه قَبْله، ولا يَغْضَب بَعده مِثْله**»(٣).

اعلم أنه غير ممتنع وَصْفُه بالغضب.

وقد وَرَدَ بذلك الكتاب، قال تعالى ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ (الفتح: ٦) وقال ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] وقال ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وذلك أننا لا نُثبت غَضَباً هو بفوار الطَّبْعِ، ولا ضِيقُ الصَّدْرِ،

---

(١) ضعيف، رواه الطبراني في الأوسط (٤٦٩٤) والبزار (١٣٨٦) من طريق إبراهيم بن يزيد عن أيوب بن موسى عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً به.
قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن أيوب بن موسى إلا إبراهيم بن يزيد.. وقال الهيثمي: وفيه إبراهيم بن يزيد، وهو ضعيف.
قلت: وهو الخوزي ضعيف جداً.
والحديث ذكره الألباني رحمه الله في الضعيفة (٢٧٨٠).

(٢) لم أجده الآن!

(٣) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٣٥ - ٤٣٦) والبخاري في التفسير (٨/ ٣٩٥ - ٣٩٦) ومسلم في الإيمان (١/ ١٨٤ - ١٨٦).
وانظر شرحه في شرح الطحاوية (ص ٢٤١) وما بعدها بشرحنا.

بل نُطلق هذه الصِّفة كما أطْلَقْناَ وصْفَه بالإرادة، كذلك ها هنا[١].

فإنْ قيل: معنى الغَضب هو إرادته العُقُوبة لأهلها! [٢].

قيل: هذا غلط لما بَيَّنَّا، وهو أنَّ إرادته قد تَتَضمَّن ما يَقْتَضي الغَضب، وما يَقتضي الرِّضَا، فلا يصح حمله على ذلك.

فأمَّا قوله «**اشتد غضبه**» فلا يمتنع وصفه بذلك على وجه لا يفضي إلى التَّزايد، لأنَّ صفات الذَّات لا تُوصف بالتَّزايد كما قال ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] وقد وصف نفسه بالقوة الشديدة، وإنْ كانت القُوة من صِفَات الذات، وكذلك قوله ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢] فوصفه بالشِّدة.

وقد تأولوا ذلك على أنَّ التَّزايد يرجع إلى الأفعال الصَّادرة عن الإرادة.

وهذا غلط، لما بينَّا أنَّها من صِفات ذَاته.

وكذلك يجوز وصفه بالسُّخْطِ، قال تعالى ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠] وقد تأولوا السُّخْط على نحو تأويلهم الغضب.

❊ ❊ ❊

(١) غضب الله تبارك وتعالى من صفات فعله، التي تتعلق بها مشيئته، وهي ثابتة كما قال المصنف بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

(٢) نعم هذا تأويل فاسد!

وتفسير للصفة بلازمها، فإن إنزال العقوبة من لوازم غضبه، وليس هو غضبه.

«حديث آخر يتعلّق بالغضب»

٥٦٥- أناه أبو محمد الحسن بن محمد قال نا محمد بن عبدالرحمن النصيبي قال نا محمد بن عبدالله الماسرجسي بالموْصِل قال نا محمد بن المسيب قال نا عمار بن محمد قال نا سعيد بن منصور قال نا ابن المبارك عن سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله عَزَّ وجَلَّ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] قال: أَغْضَبُوه حتى عضَّ أنامله[١].

والذي يدل على أنَّ الغَضَبَ والرِّضَا غير الإرادة، أنَّ الغَضَب معنى يتعلق بالموجود وكذلك الرضا، فأمَّا الإرادة فأنَّها تتعلق بما لم يكن ليكون.

ولأنه لو كان الغضب بمعنى الإرادة، لكان الله يُبْغض أَفعاله! لأنَّ المعاصي خلقه من صفات الفعل، ولأنَّنا نُفَرِّقُ بين كوننا مُبغضين الشيء، وبين كوننا مريدين.

* * *

(١) لم أجده! والأثر فيه نكارة. أما الآية ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف: ٥٥). فتدل على أن الله تعالى يَغضَب ويُغضَب، فذكر عن فرعون وقومه أنهم أغضبوا الله تعالى فغضب عليهم، ومثلها قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ (محمد: ٢٨) وقوله ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة ٨٠). ففرق سبحانه بين سخطه وإسخاط العباد إياه. وانظر نقض الدارمي (٢/ ٨٦٥ - ٨٦٦).

إثباتُ صِفَةِ البُغضِ والرِّضَا لربِّنا جل شأنه

«حَدِيث آخَر في البُغْضِ»

٥٦٦- أخرجه أبو القاسم بإسناده: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَة يُبْغِضُهم اللهُ: عَائِل مُسْتَكْبر، وغَني بَخيل، وذَكَرَ الثَّالث»(١).

وروى أبو بكر الصبغي: عن أبي الدَّرداء أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يُبغضُ الفَاحِشَ البذيء»(٢).

اعلم أنَّه غيرُ ممتنع وَصْفه بالبُغْضِ، كما جاز وصفه بالإرَادة والغَضَب على أصْلنا.

وقد تأوَّلُوا البُغْض على الكراهة! ومعناه: كراهة الفَضْلِ عليه، والإحسان اليه والرحمة(٣).

---

(١) سنده حسن، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٤٤١) قال: حدثنا عبد الله بن زيدان بن يزيد البجلي نا محمد بن عمر الهياجي أنا يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي نا عبيدة بن الأسود عن القاسم بن الوليد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول ﷺ: «ثلاثة يبغضهم الله: ملك كذاب، وعائل مستكبر، وغني بخيل».

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن الوليد إلا عبيده بن الأسود، تفرد به يحيى ابن عبد الرحمن اهـ

وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٤٨) وقال: فيه يحيى بن عبد الوحمن الأرحبي، وبقية رجاله ثقات.

ويشهد له حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (١/ ١٠٢ - ١٠٣) انظر الجزء الثاني (ص٣٥٦).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.

وإنما أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣١١) من حديث عائشة رضى الله عنها بلفظ: «إن الله لا يحب الفاحشَ المتفحِّش».

والحديث أصله في الصحيحين، رواه البخاري في الأدب (١٠/ ٤٥٢) ومسلم في البر والصلة (٤/ ٢٠٠٢) بلفظ مقارب.

(٣) يجب إثبات هذه الصفة دون تأويل ولا تعطيل، ولا تكييف أو تمثيل، بل هو بغضٌ حقيقي يليق بالله تعالى شأنه.

وهذا غَلَط لأنَّ الكراهة قد تحصل فيما لا يقتضي البغض، ولأنَّهم لا يُثبتون لله تعالى كراهة، فلا معنى لحمل الخبر على ما لا يقولون به.

فأمَّا وَصْفُه تعالى بالرِّضا، فقد وَرَدَ به الكتابُ، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد تأوَّلُوا الرِّضَا على معنى إرادته التَّنعيم والتفضيل!! لمن علم أنَّه أَهل لذلك!

وهذا غلط، لما بيَّنَّا أنَّ إرادَته قد تَتَضَمَّنُ ما يقتضي السُّخْط والغَضَب، فلا يجوز حَمل الرِّضَا عليها.

* * *

حديث آخر في الإعراض

٥٦٨- أخرجه أبو القاسم بإسناده: عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «والَّذي نَفْسِي بيَده إنَّ العَبْدَ لَيَدْعُوا (الله) [(١)] وهُوَ عَليه غَضْبَان فَيُعْرِض عنه، ثُمَّ يَدْعُوا فَيُعْرِضُ عنه، ثمَّ يَدْعوا فَيُعْرِضُ، فيقول لملَائكتِهِ: أَبَى عَبْدي أنْ يَدْعُو غيري، فقد اسْتَحْيَتُ مِنه يَدعوني فَأُعْرِضُ عنه، أُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ اسْتَجَبْتُ له»[(٢)].

٥٦٩- وروى أبو بكر الصِّبغي: عن ابن[(٣)] وائل بن حجر: اخْتَصَمَ رَجُل من حَضْرموت ورجل من كِنْدَة إلى رسول الله، فذكر الحديث، وقال: قال رسول الله ﷺ: «أمَا إنَّه إنْ حَلَف على مَالٍ لَيأْكُلَه ظُلْماً، لقي اللهَ وهو عنه معرض»[(٤)].

٥٧٠- وروى عطاء عن أبي أيوب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «هجْرَةُ المؤمِنِ ثلاث، فإنْ تَكلَّما وإلا أَعْرَضَ اللهُ عَنْهما حتَّى يَتكلَّما»[(٥)].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في الدعاء (٢١) عن الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المذكور عن جابر به.

وسنده ضعيف، فيه الفضل بن عيسى الرقاشي، ضعفه أحمد وابن معين، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: منكر الحديث.

(٣) في الأصل: عن أبي وائل! وهو خطأ والصواب أنه: ابن وائل وهو علقمة كما في صحيح مسلم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/ ١٢٣ - ١٢٤) من حديث علقمة بن وائل عن أبيه.

وأخرجه البخاري في الإيمان (١١/ ٥٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه، لكن فيه: «لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان».

(٥) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٧٠٠٣).

والحديث في الصحيحين عنه بلفظ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». =

اعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ وصفه بالإعْرَاضِ، كما لم يَمتنعْ وَصفه بالغَضَبِ والكَرَاهة[(١)].

وكذلك يصح وصفه بالإقْبَالِ على العَبْدِ، على نحو ما جاء به الخبر، رواه أبو ذَرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**لا يَزَالُ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ مُقْبِلًا على العَبْدِ مَالَم يَلْتَفِتْ، فإذَا الْتَفَتَ انصَرفَ عنه**»[(٢)].

لأنَّه ليس في ذلك ما يُحيل صِفاته، لأنَّا لا نُثبت إقْبالًا على وجه الانتقال، ولا إعْراضاً بمعنى الإنصراف.

كما حملنا تَجَلِّيه للجبل على ظاهره، ولم يُوجب ذلك حمله على الانتقال وكما جازَ وصفه بالرِّضَا والرحمة، كذلك ها هنا.

ولأنَّا لا نَصِفُ إعْرَاضَه وإقْبَاله على حسب الإعراض عن الأجسام والإقبال عليها، من جهة المحاذاة، وبوجه المقابلة، لاستحالة كونه جِسْماً أو جوهراً، بل نَصِفُه بذلك كما جاءَ به الشرْع، وكما جاز وصفه بالإرادة والكراهة.

وقد تأولوا وصفه بالإعراض عن العَبد على أنَّه يرجع إلى تركه توفيقه

= رواه البخاري في الأدب (١٠/ ٤٩٢) وفي الإستئذان (١١/ ٢١) ومسلم في البر والصلة والأداب (٤/ ١٩٨٤) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(١) وقد ثبت وصفه بـ «الإعراض» في غير ما حديث، فيجب إثبات هذه الصفة دون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف. وقد ثبت أيضاً في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أن رسول ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه. إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول ﷺ، فأما أحدهما فرأي فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الأخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الاخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

رواه البخاري في العلم (١ /١٥٦) وفي الصلاة (١ / ٥٦٢) ومسلم في السلام (٤/ ١٧١٣).

(٢) ضعيف بهذا اللفظ، وقد تقدم تخريجه في الجزء الأول.

للخير، ومعونته على العمل، أو عن إثابَتِهِ وإكَرامه!

وتأَوَّلوا قول «أقبل الله» معناه: بالمعونة للعبد على الخير وتيسيره له، وإذا وُصِفَ العَبد بالإقبال على الله، فالمرادُ اشتغاله بالطَّاعة والعباده، وإذَا وُصِفَ بالإعراضِ عنه، فالمرادُ به ترك ذلك[(١)]!

وهذا غلط، لأنَّ عدمَ التوفيق للخير والثواب لا يختصُّ بالهِجْرة وباليمين الكاذبة، لأنَّ غيرَ الحَالِفِ وغير الهجرة من أنواع المعاصي يقتضي ذلك.

وكذلك ثوابه وتوفيقه للخير لا يختص بالمصلي، فوجب أنْ يكون لهذا التخصيص فائدة.

وقد تقدَّم الكلام على معنى هذا الحديث في العبد إذَا قَام يصلي فالتَفَتَ، بما فيه كفاية[(٢)].

* * *

(١) انظر هذه التأويلات في مشكل الحديث لابن فورك (ص١٠٨-١٠٩)، وفتح الباري (١/ ١٥٧).

(٢) انظر ما سبق.

حَديث آخر في المُبَالاة

٥٧١- أخرجه أبو القاسم بإسناده: عن مرداس الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ الأَوَّل فالأوَّل، حتَّى تَبْقَى حُثَالة كحُثَالةِ الشَّعِيرِ، لايُبَالي اللهُ بهم**»(١).

٥٧٢- وروى أبو بكر الصِّبْغي: عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن ﷺ قال: «**مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمّاً وَاحِداً، كَفَاهُ اللهُ هُمُومَ دُنْيَاهُ وآخِرته، ومَنْ تَشَعَّبَتْ عَليه الهُمُومُ، لم يُبَالِ اللهُ في أيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنيا هَلَكَ**»(٢).

٥٧٣- وروى حماد عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**

(١) صحيح، رواه البخاري في المغازي (٧ / ٤٤٤) وفي الرقاق (١١/ ٢٥١) ولفظه في الموضع الثاني « يذهب الصالحون الأول ...»

(٢) حديث حسن لغيره، رواه الحاكم (٢/ ٤٤٣) و (٤/ ٣٢٩)
عن سعيد بن سليمان ثنا أبو عقيل يحيى بن المتوكل ثنا عمر بن محمد القمري عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما به.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
فتعقبه الذهبي بقوله: يحيى ضعفوه.
قلت: وهو ضعيف عند الجمهور
لكن للحديث شواهد : فمنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه : رواه ابن ماجة (٢٥٧ - ٤١٠٦) وفيه نهشل بن سعيد، متروك.
وشاهد ثان : من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه : رواه ابن ماجة (٤١٠٥) بلفظ : « من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره» قال البوصيري: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وهو كما قال.
وشاهد ثالث: من حديث أنس رضي الله عنه : رواه الترمذي (٢٤٦٥) وفيه : يزيد بن أبان الرقاشي الزاهد، وهو ضعيف، والراوى عنه: الربيع بن صبيح وهو سيء الحفظ.
فالحديث حسن بهذه الشواهد.
وانظر صحيح الترغيب (٣١٦٨ - ٣١٧١) للألباني رحمه الله.

جَميعاً ولا يُبالي»[١].

٥٧٤- وروى خالد بن عبدالله عن بيان عن قيس عن مِرْدَاس الأسْلَمي قال: قال رسول الله ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأوَّل فالأوَّل، ويَبْقَى حُثَالة كحثالة التَّمْرِ، لا يُبَالي بهم»[٢].

٥٧٥- وروى شهر بن حوشب عن مَعْدِي كرب عن أَبي ذر: عن النبي ﷺ «يرويه عن رَبِّه: يا ابن آدم، إنْ تُذنب حَتَّى تُبلُغَ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ (ثم)[٣] تَسْتغفِرُني، غَفَرْتُ لكَ ولا أُبالي»[٤].

وروي أنَّ النبي ﷺ قال في القَبْضَتين اللَّتين أَخَذْهما مِنْ صُلْبِ آدم: «للنَّار

(١) ضعيف، رواه الإمام أحمد (٦/ ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠) والترمذي (٣٢٣٧) وعبد بن حميد (١٥٧٥-المنتخب) والحاكم (٢/ ٢٤٩) من حديث ثابت عن شهر بن حوشب وعزاه السيوطي في الدر (١٠/ ٦٧٦) لابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب. قلت: وشهر ضعيف الحديث. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦٣٧).
والقراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف، انظر مختصر الشواهد لابن خالوية (ص١٣٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (١١/ ٢٥١) من حديث مرداس الأسلمي بنحوه.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) حسن بشواهده، رواه أحمد (٥ / ١٧٢) والدارمي (٢ / ٣٢٢) من حديث غيلان عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب به. ورواه أحمد (٥/ ١٥٤) عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر عن ابن غنم أن أبا ذر حدثه به.
والطريق الأولى أقوى، لأن غيلان أوثق من ابن بهرام. وللحديث شاهد: من حديث أنس رضي الله عنه: رواه الترمذي (٣٥٤٠) عن كثير بن فائد حدثنا سعيد بن عبيد سمعت بكر بن عبدالله المزني حدثنا أنس ابن مالك سمعت رسول ﷺ فذكره بنحوه مع زيادة.
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: وفيه كثير بين فائد البصري ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ ابن حجر: مقبول.
والحديث ذكره العلامة الألباني في الصحيحة (١٢٧).

ولا أُبالي»[١].

اعلم أنَّ إطلاقَ هذه الأخبار يقتضي نفي كون المبالاة صِفَةً له، لأنَّ جميعها نَفْي وليس فيها إثبات.

وإن: قيل إنَّ دليل الخطاب يقتضي إثباتَ المبالاة صِفَةً له في أفعال الطاعات، وأنَّه يُبَالي بها، لم يمتنع، كما جازَ وصفه بالمحَبَّةَ والرِّضا، وكذلك قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُرْ رَبِّي﴾ [الفرقان: ٧٧] [٢] غير ممتنع حمله على ظاهره، لأنه ليس في ذلك ما يُحيل صفاته.

وقد تأَوَّلوا على أَنَّ معناه: أَنَّه لا ينتقص عباده بشيءٍ منْ فَضلِهِ وعَدْله لأجْل أفعالهم، وكذلك لا يزداد في ذلك لأجل الفعل، بل يفعل العدل من تعذيبهم ابتداءً من غير جُرْم، والفضل غير عمل[٣].

وهذا غلط، لأنَّ الزِّيادةَ والنُّقصان إنَّما تُستعمل فيما طريقه الجزاء، ومن أصلنا وأَصْلِهِم أنَّ ما يُنْعِمُ به على عَبده على وجه التفضل، لا على وجه الجزاء.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال الإمام ابن كثير رحمة الله: ثم قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُرْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أي: لا يبالي ولا يكترث بكم، إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، ويسبحوه بكرة وأصيلًا. حسن التحرير (٣ / ٢٩٩).

(٣) انظر «مشكل الحديث» لابن فورك (ص ٢٣٩).

حَديث آخر في المُبَاهَاةِ

٢٧٧- أخرجه أبو القاسم بإسناده: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ تَعالى يُبَاهي المَلَائكة بأهْلِ عَرفَات، يقول: انْظُرُوا إلى عِبَادِي شُعْثاً غُبْراً**»(١).

٢٧٨- كذا وروى أيضاً بإسناده: عن مطرف بن عبدالله بن الشخير أنَّ نَوْفاً البِكالي وعبدالله بن عمرو اجتمعا فقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أَنَا أُخْبِرُكَ عن رسول الله ﷺ: صلينا مَعَه صَلاةَ المغْرِبِ ذاتَ لَيلةٍ، فرَجَعَ مَنْ رَجَع، وعقب من عقب، فجاءَ رسول الله ﷺ من قبل أن يَثُورَ النَّاسُ لِصَلاةِ العشاء وقد حَفزَهُ النَّفَسُ، وهو رَافع إصبعه إلى السماء، وهو يقول: «**ابْشِرُوا يا مَعَاشِرَ المسْلمينَ، هذا رَبُّكم فَتَح بَاباً من أبوابِ السَّماء يُبَاهي بِكُم المَلَائِكَة، فيقولُ: انظروا إلى عِبَادِي قد أَدُّوا فَرِيضَةً، وهُم يَنتَظِرُونَ أُخْرَى**»(٢).

٢٧٩- وروى أيضاً بإسناده: عن أبي سعيد: أنَّ معاوية خَرَجَ على حَلقةٍ في المسْجِدِ فقال: ما أجْلَسَكُم؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذكُرُ اللهَ عزَّ وجلَّ، قال: آلله ما أَجْلَسَكُم إلا ذلك؟ قالوا: الله ما أَجْلَسَنا إلا ذَاك، قال: أَمَا إنِّي لم أَسْتَحلَفَكُم تُهْمَةً لكم، وما كان أَحَد بمنزلتي مِنْ رَسُول الله أَقَل عنه

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٥) وابن خزيمة (٢٨٣٩) وابن حبان (٣٨٥٢) والحاكم (١/ ٤٦٥) والبيهقي (٥/ ٥٨) من طريق عن يونس بن أبي إسحاق عن مجاهد عن أبي رضي الله عنه به. وللحديث شاهد من حديث ابن عمرو وجابر رضى الله عنهما.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ١٨٦) وابن ماجة (٨١) عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه. وله طريقان آخران عند أحمد (٢/ ١٩٧) و (٢/ ٢٠٨) عن ابن عمر به: انظر الصحيحة (٦٦١).

حديثاً مِنّي، وإنَّ رسول الله خَرجَ على حلقة من أصْحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: جَلَسْنَا نذْكُر اللهَ ونَحمْده على ما هَدَانَا للإسلام، ومَنَّ علينا بك، قال: «**آلله ما أجْلَسَكُم إلا ذلك؟**» قالو: الله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «**أما إنِّي لم أَسْتَحلِفَكُم تُهمَةً لكم، وإنَّه أَتاني جبريل فَأخبرني أنَّ اللهَ يُبَاهي الملائكةَ بكم**»[(١)].

اعلم أنَّه غَيرُ ممتنعٍ حَمْلُ الخبر على ظاهره، في وصفه تعالى بالمباهاة، كما جازَ وصفه بالرحمة والمغفرة.

وقد قيل: إنَّ المُبَاهاة، أنَّ الله يُظْهِرُ مِنْ فضله لملائكته ما يَحْقِرونَ طَاعتهم في طاعتهم، وعباداتهم في عباداتهم، لأنَّ المباهاة هي مُفَاعلة من البَهَاء، والبهاء هو العَظَمةُ، فكأنَّه أرادَ: أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُظهر من عظمة هؤلاء المطيعين ويَهْدِيهم فيها، مايَزيد على بهاء الملائكة، والغَرَضُ بالخبر تعريف الخلق من الآدميين مواقع الفضل في طاعتهم وعبادتهم[(٢)].

وهذا التفسير لا يمنع إطلاق صِفَةُ المُبَاهاة عليه سبحانه، لكنْ يكون معناها في حَقِّه، ما ذكره من إظهارِ فضله لأهل عَرَفات، ما يحَقرون الملائكة، طاعتَهم في جنبه.

وفي هذا الخبر دلالة على أنَّ أَفَاضل الآدميين، أَفْضَلُ من الملائكة، لأنَّه لا يباهي إلا بالأفضل.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٧٥) عن مرحوم بن عبد العزيز عن أبي نعامة السعدي عن أبي عثمان عن أبي سعيد مرفوعاً به.

(٢) انظر هذا التأويل في مشكل الحديث لابن فورك (ص ٢٤٠).

حديث آخر

٢٨٠- أخرجه أبو بكر بإسناده: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ رَأَى نُخامَةً في قبْلةِ المسجد، فأَقْبَلَ على النَّاس فقال: «**ما بَالُ أَحَدُكم يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّه فيَتَنَخَّعَ أمَامَه، أيُحبُّ أَحَدُكم أنْ يُستَقْبَلَ فيُتَنَخَّعَ في وَجهه، اذا تَنَخَّعَ أحَدُكم فَلْيَتَنَخَّعَ عن يَسَارِه تَحتَ قَدَمِهِ، فإنْ لم يَجدْ فَلْيَقل هكذا في ثوبه**»(١).

٢٨١- وروى أبو بكر الصِّبْغي: عن أحمد عن حميد الطويل عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ رَأى نُخَامَةً في قبْلَةِ المسْجِدِ، فَشَقَّ عليه حَتَّى عَرَفْنَا ذلك في وجهه، فحَكَّهُ، وقال: «**إنَّ أحَدَكَمَ إذَا قَامَ إلى الصَّلاةِ، فإنَّه يُنَاجي رَبَّه**»(٢).

٢٨٢- وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فلمَّا سَلَّمَ فإذا رَجُل في آخرِ الصُّفوفِ قال: «**يافُلان، ألا تَتَّقي اللهَ! ألا تَنْظُرْ كيف تُصَلِّيَ؟ فإنَّ أَحَدَكُم إذا قَامَ يُصَلِّي يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّه، فَلْيَنْظُرْ كيف يُنَاجِيه**»(٣).

٢٨٣- وروي عن صفوان بن محرز قال: بَينما أنَا أَسِيرُ مع عبدالله بن عُمر وآخذ بيده، إذْ عَرَضَ له رجل فقال: كَيفَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في النَّجْوى يَومَ القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ في

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١ / ٣٨٩) من حديث أبي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٢/ ١٤، ١٥) ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم في الصلاة (١/ ٣١٩) بنحوه من حديث أبي رضي الله عنه، وهو عند الإمام أحمد وغيره بألفاظ متقاربة.

النَّجوى يقول: «يُدْني المؤْمِنَ فيقول: أَتعْرِف ذَنْب كَذَا؟ أَتعْرفُ ذَنْبَ كَذا؟»(١).

اعلم أنَّه غيرُ ممتنعٍ حمل الخبرِ على ظَاهِره، في إثبات وَصْفِهِ تَعَالى بالمنَاجَاة، كما جاز إطلاق وَصفه بالكلام.

وقد قيل: إنَّ المناجَاةَ هي مُخَاطبة المخاطب على الوجه الذي يَخْتَصُّ به الإنسان في سَمَاعِ الخطاب، فاذا وُصفَ اللهُ به، فالمراد به إسْمَاعُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مَنْ أرادَ مِنْ خَلْقهِ، من غير أنْ يَتَشَاركوا في استماع ما يستمعون(٢).

وهكذا معنى النَّجوى يومَ القيامة. لأنَّه يُسْمِعُ من يشاء مِنْ خَلْقِهِ خطابه على التخصيص بالخطَاب، من غير أنْ يشركه في سماع ذلك غيره.

٢٨٤- وهو نحو ماروي: عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«مَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ إلا وسَيَخْلُوا اللهُ به يَومَ القِيَامَة، ليس بَيْنه وبَيْنَه تُرْجُمان»**(٣).

والمراد به هو أَخْفَى الخِطاب من غير أنْ يسمع من غيره.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٥): المناجي المخاطب للإنسان والمحدِّث له، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة، فهو مناج والنجي: فعيل منه.
ومنه الحديث: «لا يتناجى اثنان دون الثالث»: أي لا يتساران منفردين عنه، لأن ذلك يسوؤه انتهى
قلت: هذا دال على قرب العبد المؤمن من ربه يوم القيامة.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (١١/ ٤٠٠) ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٣ - ٧٠٤) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

حديث آخر

٢٨٥- أخرجه أبو القاسم وأبو بكر الصِّبغي: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«يَجْتَمِعُ النَّاس فَيَأْتُونَ آدمَ، فَيَقُولُونَ: يا آدمَ، أَنْتَ الذِي خَلَقَكَ اللهُ بيدِه، ونَفَخَ فيكَ مِنْ رُوحِهِ»**[(١)].

٢٨٦- وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: **«لَقي آدمُ مُوسى فَقَال موسى: أَنْتَ الذي خَلَقَكَ اللهُ بيدِهِ: وأَسْكَنَكَ جَنَّتَهَ، وأَسْجَدَ لَكَ مَلَائكتَه، وَنَفَخَ فيكَ مِنْ رُوحِه، لم فعلتَ مافعلت»** وذكر الخبر[(٢)].

اعلم أنَّ مَا وَصَفَ الله تعالى به نفسه، من نفخ الرُّوح في آدم في كتابه بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وَوَصفه به أنبياؤه صلى الله عليهم، فالمرادُ به الخَلْق، وأَضَافَ ذلك إليه وخَصَّه به على طريق التشريف، كما قيل: بَيتُ اللهِ وناقة الله، خُصَّ بذلك مِنْ جُملة المُسَمَّيات لفضله على ما سواه، وعلى هذا أضاف عيسى عليه السلام فقال **«روح الله»**[(٣)].

وأفعاله تعالى غير واقعة على طريق المباشرة والتَّوَلُّد، بل كلها ابتداءُ اختراع من قِبَلِ اللهِ، لا يقتضي حُدُوث شيء منها، لاسْتِحَالَة أنْ يكون جسماً أو جَوهراً فيتغير بما يُحْدُثُ فيه، أو يُجاوره مجاورة الأجسام.

وقد نَصَّ أحمد - رحمة الله عليه - على معنى هذا فيما خَرَّجه في **«الرَّدُّ على الزَّنَادِقَةِ والجَهْمِيَّة»** فقال: وأمَّا قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] يقول: من أَمْره كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

---

(١) رواه البخاري في التوحيد (١٣/ ٤٧٧-٤٧٩) ومسلم في الإيمان (١/ ١٨٠-١٨١) وغيرهما.

(٢) رواه البخاري في القدر (١١/ ٥٠٥) ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٢-٢٠٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الرد على الزنادقة (ص٢٥٢ ط غراس).

مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: من أمره.

قال وتفسير «**روح الله**» إنَّما معناها: أَنَّها رُوحٌ خَلَقَها الله، كما يقال: عبدُالله، وسماء الله، وأرض الله.

فقد صَرَّح أحمد بمعنى ما ذكرناه، وقد تقدَّم الكلام في ذلك على قوله «**لما خلق آدم عطس**».

❊ ❊ ❊

حديث آخر ذكره البخاري

٢٨٧- بإسناده: عن أبي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قال: مَنْ عَادَى لي وَليّاً فقد آذَنْتُه بالحَرْبِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدي يَتَقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حَتى أُحِبَّه، فإذَا أَحبَبْتَه كنتُ سَمعه الذي يَسْمعُ به، وبصَرَهُ الذِي يُبْصرُ به ويَدَه التي يَبْطشُ بها، ورجْلَه التي يَمْشي بها، وَمَا تَرَدَّدتُّ عن شيءٍ أنا فاعِلُه، تَرَدُّدِي عَنْ نفْسِ المؤْمِنِ، يكرهُ الموتَ وأنا أَكْرَهُ إساءته»[١].

٢٨٩- وناه أبو القاسم بإسناده: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى قال: «مَنْ أَهَانَ لي وَليّاً فقدْ بَارَزَني بالمُحَاربَة، وَمَا تَرَدَّدتُّ عن شَيءٍ أَنَا فاعِلُه ما تَرَدَّدتُّ في قَبْضِ نَفسِ المؤْمِنِ، الذي يَكْرَهُ الموتَ وأَكْره مساءته، ولا بُدَّ له مِنه، وما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بمثل أَداء ما افْتَرَضْتُ عليه، ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَنَفَّلُ لي حتَّى أُحبَّه، ومَنْ أَحْبَبْتُه كُنْتُ[٢] له سمعاً وبصراً ولسَاناً ويداً» وذكر الخبر[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (١١ / ٣٤٠ - ٣٤١).
وللحديث شاهد من حديث عائشة رضى الله عنهما: أخرجه أحمد(٦ / ٢٥٦) وغيره بلفظ : « من أذلَّ لي ولياً فقد استحل محاربتي ..»
واخرجه الطبراني (٥٥٢، ٤٩٥٣) كما في مجمع البحرين.
قال الهيثمي في المجمع (٢ / ٢٤٧): وفيه عبدالواحد بن قيس، وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدى الروايتين وضعفه غيره، وبقية رجاله رحل الصحيح.
(٢) في الأصل: كتبت! وهو خطأ.
(٣) سنده ضعيف، رواه الطبراني في الأوسط - كما في مجمع البحرين (٤٩٥٢) فقال : حدثنا أحمد يعني ابن علي الأبار ثنا عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي ثنا صدقة بن عبدالله أبو معاوية أخبرني عبد الكريم الجزري عن أنس به.
وهذا إسناد ضعيف، صدقة ضعيف، وأبو حفص الدمشقي ضعفه غير واحد، وقال النسائي: ليس بثقة.

أَمَّا قوله «**كنت سمعه وبصره ويده ورجله**» معناه: كنت له في العَوْنِ والنُّصْرة، كبصره ويده ورجله التي هي عون له على البَطش، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] بالنُّصرة والعَون.

والذي يدل عليه ما تقدَّمَ في أوَّلِ الخبر من قوله «**من عَادىَ لي ولياً فقد آذنته بالحرب**» فاقْتَضىَ ذلك أنَّ من أَطَاعه بكثرةِ النَّوافل، كنتُ له عَوناً وناصراً(١).

وأَمَّا قوله «**ما تَرَددت عَنْ شيءٍ ترددي عنْ نَفْسِ المؤمنِ**» لا يمتنع حمله على ظاهره، وأنَّه صِفَة له، لا على معنى التَّردُدِ الذي هو الفِكْرِ والتَّأمل، بل نُطلق القول فيه كما أطلقنا القولَ في الغضب، لا على معنى نُفُور الطَّبع، والرِّضَا لا على معنى مَيْلِ الطَّبع، بل أطلقنا صفته بذلك، كذلك هاهنا(٢).

---

(١) ومن المعاني الصحيحة في قوله «كنت سمعة الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به..» أن كُليَّته مشغولة بي، فلا يصغي بسمعه إلا ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به.
وقال ابن هبيرة: هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف والتقدير: كنت حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلا ما يحلّ استماعه، وحافظ بصره كذلك إلخ، وبنحوه قال الخطابي، انظر الفتح (١١ / ٣٤٤).
وأما الاتحادية الملاحدة فزعموا أنه على حقيقته!! وأن الحق سبحانه عين العبد!! واحتجوا بمجي جبريلِ في صورة دحية، قالوا: فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر!! قالوا: فالله أقْدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه!! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً!

(٢) وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معني «تردد الله» في الحديث، فقال: «هذا حديث شريف، قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء، وقد ردّ هذا الكلام طائفة وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد! إنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب. وربما قال بعضهم: إن الله يعامل معاملة المتردد.
والتحقيق: أن كلام رسول ﷺ حق، وليس أحدٌ أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بياناً منه، فإذا كان كذلك، كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوئهم أدباً، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام =

«حديث آخر»

٢٩٠- قرأه عليّ أبو بكر محمد بن عبيدالله بن عبيد... المعروف ... رَحِمَهُ اللَّهُ قال قرئ على أبي عبدالله الحسين بن أحمد البغدادي الزاهد وأنا أسمع قيل له: قرأت على أبي الحسين محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن حمدان قال نا أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن النَّجَّاد قال نا إبراهيم بن عبدالله قال نا محمد بن بشير قال نا ابن المبارك قال نا أبو عبيدة عن الحسن قال: قال علي ابن أبي طالب: يارسول الله! مَنْ أول من يُحاسَبُ يَومَ القِيَامَةِ؟ قال: «**أبو بكر الصِّدِّيق**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم عُمَر**» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «**أَنْتَ يا علي**» قلت: يارسول الله، أينَ عثمانَ بن عَفَّان؟

= رسول ﷺ عن الظنون الباطلة، والاعتقادات الفاسدة.

ولكن المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبه الأمور، ولا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ثم هذا باطل، فان الواحد منّا يتردد لعدم العلم بالعواقب، وتاره لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه.

قال: وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس، هو من هذا الباب، وفي الصحيح: «حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره» وقال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ الآية.

قال: «الله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه، فالرب مريد لموته لما سبق من قضائه، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مرادا للحق من وجه، مكروها له من وجه وهذا حقيقة التردد، وهو: أن يكون الشيئ الواحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه، وإن كان لا بد من ترجح أحد الجانبين... إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (١٨/ ١٢٩ - ١٣١).

قال «إنِّي سَألت عَثمانَ حَاجَةً سِرًّا فَقضاها سِراً، فَسَألتُ اللَه أنْ لا يحاسبَ عُثمان، ثم يُنادي مُنَادي: أينَ السَّابقونَ الأولون. أينَ أبو بكر الصديق؟ فَيتَجَلَّى الله تعالى لأبي بكرٍ خاصَّة، وللنَّاس عَامَّة، ثم يَقول: قَد غَفَرتُ لك يا أبا بكر، فيقول: ولمحبيني، فيقول: إنَّهم قد اختَرعُوا ذُنوباً، فيقول: هبهم لي، فيقول: قد أَمَرتُ بهم إلى النَّار يروعون بها رَوْعةً. أكَفرُ بها عنهم سَيئاتِهم، ثم آمُرُ الملائكة أنْ يدفعوهم إليك فيأخذونهم، ولم يدخل في آنافهم حَرُّ النَّار، ولا نَالَ أجسادهم ولا وُجُوهَهَم من حَرِّها، فَيأَخُذُونهم وقد بَيَّضَ الله وُجُوههم فيُسلِّمونهم إلى أبي بكر، ثم يخلص لي الشَّفَاعة، فأدخل على ربِّي عزَّ وجلَّ فاسْجدُ له فيقول: ارفع رأسْكَ محمد، قُل يُسمع، واشْفَع تُشَفَّع، فأقول: أُمتي أمتي، فيحدُّ لي حَدًّاً فأخرجهم» وذكر الحديث بطوله «فأقول: يا رب شفعني فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: يامحمد هذا إليّ خاصة، فيأخذ الجبَّار ماءَ بيده فَيَنْضَحه، فيقع كل نقطةٍ على من قال: لا إله إلا الله، فَيَلْتقِطهم الملائكة كلهم من النَّار فَتُخرجَهم من النَّار، ويَبْقَى المخلَّدونَ» وذكر باقيه[1].

---

(١) لم أجد من أخرجه! وإسناده ضعيف مرسل، وفيه نكارة. الحسن لم يسمع من علي رضي الله عنه. قاله الترمذي وغيره كما في التهذيب (٢/ ٢٦٨).

وأبو الحسين محمد بن عبيد الله بن حمدان، ذكره الخطيب في التاريخ (٢/ ٣٣٦) وقال: سمعت حمزة بن محمد الدقاق فذكره ذكراً جميلًا وأثنى عليه ثناءً حسناً.

والحسين بن أحمد أبوعبدالله البغدادي، ذكره الخطيب أيضاً (٨/ ١٥).

وقال: وكان صدوقاً ديناً عابداً زاهدً ورعاً.

اعلم أنَّ هذا الخبر قد دلَّ على فوائد:

منها فضيلة لأبي بكر، وأنَّه أول من يُحاسب، وأنَّه يَشْفعُ، وهذه طبقة الأنبياء.

وفيه دلالة على أنَّ أهل الذُّنُوبِ لا يخلدون، خلاف المعتزلة، والكلام في ذلك مُستوفى في «كِتاب المعتمد»(١).

وفيه دلالة على إثبات اليد، وقد ذكرناها في غير موضع من هذا الكتاب.

وفيه إثباتُ أخذ الماء بيده ونضحه عليهم، وهذا غير ممتنع حمله على ظاهره، لأنَّ أخذ الماء بيده كخلق آدم بيده، وكمسح ظهره بيده، واستخراج الذُّرية من ظهره، وكعجن طينته، وكل ذلك أخبار قد تقدم ذكرها، وبَينَّا الأخذ بظاهرها، على وجهٍ لا يُفضي إلى مُلاقَاة المُحْدَثِ للقديم.

كذلك في هذا الحديث، إذْ الطَّريقة في جميع ذلك طريقة واحدة، ونَضْحه للماء عليهم يجري مجرى كلامه لهم، ووضع كنفه عليهم.

٢٩١- وقد ذكر ابن قتيبة في كتاب «غَريب الحَديث» ما يعضد هذا الحديث بإسناده: عن لقيط بن عامر خرج وَافِداً على النبي ﷺ، وذكر الحديث بطوله إلى أنْ قال: يارسول الله! فما يفعل رَبُّنَا إذا لَقِيناهُ؟ قال: «تُعْرَضُونَ عليه، بَادِياً له صَفَحَاتِكُم لا يَخْفَى عليه مِنكُم خافية، فيأخُذُ رَبُّكَ بيده غُرْفَةً من الماءِ فَيَنْضَحُ عَليكم، فأمَّا المُسْلم فَيَدَعُ وَجْهَه مثلَ الرَّيطَةِ البَيْضَاء، وأما الكَافِر فَتَخْطُمُه بمثلِ الحُمم الأسْود» وذكر الخبر بطوله(٢).

---

(١) وهو كتاب للمصنف في أصول الدين، انظر المقدمة لكتابنا هذا (ص١٧).

(٢) غريب الحديث (١/ ٥٣٠ - ٥٣١) طبعة وزارة الأوقاف العراقية، تحقيق د. عبدالله الجبوري. والحديث إسناده ضعيف، رواه ابن قتيبة وعبدالله بن أحمد (٤/ ١٣-١٤) عن عبدالرحمن ابن عياش السمعي الأنصاري عن دلهم بن الأسود عن عاصم بن لقيط: أن لقيط بن عامر =

إثباتُ الحَثَيات لله تعالى بيديه

٢٩٢- رواه الحسن الدارقطني في «أَخْبَارِ الصِّفَاتِ» بإسناده: عن أبي أُمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَعَدَني رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجنَّة مِنْ أُمتي سَبْعين أَلْفاً بغيرِ حِسَابٍ ولا عَذَاب، مع كُلِّ ألفٍ سَبْعينَ أَلْفاً، وثَلَاث حَثَيَاتٍ مَنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

اعلم أنَّه غير ممتنع حمل هذا الصِّفة على ظاهرها، كما حملنا «**القَبْضَ**» بقوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وعجن طينة آدم، وغير ذلك.

٢٩٣- وفي معناه ذكر ابن منيع في كتاب «**المعجم**» بإسناده: عن أبي سعيد الأنماري(٢): أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وَعَدَني رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ من أمتي سبعين ألفاً بغير حِسَابٍ، ويشفع كُلُّ أَلْفٍ بسبعين أَلف، ثُمَّ يَحْثي لي ثَلاثَ حَثَيَاتٍ بكَفِّه**»(٣).

= خرج وافداً إلى رسول ﷺ. وفيه: عبدالرحمن بن عياش ودلهم بن الأسود مجهولان. لكن للحديث طرق أخرى لا يقل بها عن مرتبة الحسن، انظر الجزء الأول من كتابنا هذا والصحيحة للألباني (٢٨١٠).

(١) حديث صحيح، كتاب الصفات للدارقطني برقم (٥٢،٥١،٥٠) تحقيق الشيخ عبدالله الغنيمان وقد رواه أحمد (٥/ ٢٦٨) وابن أبي عاصم في السنة (٥٨٩) عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة. وقد رواه أحمد أيضاً (٥/ ٢٥٠) وابن أبي عاصم (٥٨٨) عن صفوان ابن عمرو عن سليم بن عامر الخبائري وأبي اليمان الهوزني عن أبي أمامة الباهلي مرفوعا: «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب....».
ورواه الترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجة (٤٢٨٦) عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد الألهاني قال سمعت أبا أمامة به. وإسناده صحيح.
الحديث ذكره الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحة (٢١٧٩).

(٢) في الأصل: الأنصاري! والتصويب من المصادر.

(٣) حديث صحيح، رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٥١) وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٤٩٠٥) قال حدثنا أحمد بن خليد ثنا أبوتوبة ثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أن أبا =

«فَصْل فيه جُملُ الصِّفات التي تفرَّقتْ في الكِتاب»

من ذلك إثبات «الصُّورة» بقوله عليه السَّلام «خَلَقَ آدمَ على صورته»(١) وقوله «رأيتُ ربي في أحسن صورة»(٢).

«ونَفْسي» بقوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. وقوله ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الانعام: ١٢] وقوله ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١] وقول ﷺ «مَنْ ذَكَرَني في نَفْسِه ذَكَرْتُه في نَفسي»(٣).

و «وَجْهٌ» بقوله تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] وقول النبي ﷺ في دعائه «أَعوذُ بِوَجهِ اللهِ الكريم»(٤).

وقوله «لما فُتِحتِ الجَنَّة نَظَرْتُ إلى وَجْهِ ربي». وقوله «أَسألُكَ لَذَّةَ النَّظر إلى وَجْهِكَ» وقوله «حِجابه النُّور لو كشفها عن وجهه»(٥).

= سلام حدثني عبدالله بن عمار أن قيساً الكندي حدثه أن أبا سعيد الأنماري- ويقال: أبا سعد- حدثه أن رسول ﷺ فذكره. ذكره الهيتمي في المجمع (١٠/ ٤٠٩) وقال: ورجاله ثقات. وأورده الحافظ في الإصابة وقال: سنده صحيح.

وله طريق آخر عند الطبراني في الكبير، وانظر التعليق عليه (٢٢/ ٢٥١)، ويشهد للحديث ماقبله.

(١) سبق تخريجه.

وسيأتي المصنف بالأحاديث التي ذكرها فيما مضى من كتابه، وسنشير إليها إشارة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) حديث حسن، رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٦) عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له: بلغني أنك حدثت عن عبدالله بن عمرو: عن ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهة الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» فإذا قال ذلك: قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم.

(٥) تقدمت هذه الأحاديث، ص٢٨٠ وما بعدها.

و «العَينان» بقوله تعالى ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] وقوله ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] وقول النبي ﷺ «**اذا سَجَدَ العَبْدُ فإنه بين عيني الرحمن**».

و «السَّمْع» بقوله تعالى ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقوله ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١] وقوله ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

وقول النبي ﷺ «**إنَّ اللهَ سَمِيع**» وَوَضَعَ إصْبعه على أُذُنه، إشَارة إلى إثبات السَّمع له[١].

و «**الفي**» لحديث: وكيع عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب أنَّه قال: «**إذَا سَمِع النَّاس القرآن مِنْ في الرحمن، فكأنهم ما سمعوه**»[٢].

و «**الضَّحِك**» بقول ﷺ «**يَتَجَلَّى ضَاحِكاً**» و«**النَّواجذ**» لأنه مذكور في الخبر[٣]

و «**الفَرَح**» وبقوله «**اللهُ أفرحُ بتَوبَةِ عبده**»[٤].

و «**العجب**» بقوله «**عَجِبَ رَبُّكم من قُنُوطِ عبادِهِ**».

و «**الحَيَاء**» بقوله «**يستحي أن يُعذِّب**»[٥].

و«**الجَمَال**» بقوله «**جَميل يُحبُّ الجَمال**»[٦].

---

(١) تقدم الحديث سابقا في هذا الكتاب.

(٢) أثر مقطوع واسناده ضعيف. موسى بن عبيدة ضعيف. ولاتثبت هذه الصفة لله تعالى لعدم صحة الخبر فيها.

(٣) تقدم الحديث. أما «النواجذ» فلم يثبت به حديث صحيح.

(٤) تقدم.

(٥) تقدم.

(٦) تقدم.

و«اليدان» بقوله تعالى ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٥] وقوله ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وقول النبي ﷺ «خَلَقَ آدمَ بيده» «وكتب التَّوارة بيده، وغَرسَ شجرة طوبى بيده» وقوله «يَدُ اللهِ على الجَمَاعة» و «يَدُ اللهِ فوق يد المعطي» وقوله «تَقعُ الصَّدَقة في كَفِّ الرحَمن»(١).

و «القَبْض والبَسْط» بقول النبي ﷺ «قَبَضَ قَبْضَةً في يمينه، فقال للجنَّة ولا أُبالي، وقال للتي في كَفِّه الأُخرى: في النَّار ولا أُبالي»(٢).

«واليمين» بقوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] و «الشِّمال» بقول النبي ﷺ «إنَّ اللهَ يَطْوي السَّمواتِ بمينه، والأَرْضَ بشماله» وقوله «كلْتَا يَديه يمَين» وقوله «لمَّا خَلَقَ آدمَ» وقوله «المقْسِطُونَ يَومَ القيامة عَنْ يمينِ الرَّحْمن»(٣).

و «الذراع» بقوله في جلد الكافر «بذراع الجبار» وقول ابن عمرو «خلق الملائكة من نور الذراعين»(٤).

و «السَّاعِدِ» بقوله «سَاعد اللهُ أَشَدُ مِنْ سَاعِدِك».

و «الكَفُّ» بقوله «وضع كفه بين كتفي»(٥).

وقوله «ما السَّموات والأرض في كَفِّ الرحمنِ إلا كالخردلة».

---

(١) تقدمت هذه الأحاديث، انظر الجزء الأول.

(٢) تقدم.

(٣) تقدمت في أول الكتاب.

(٤) تقدم في.

(٥) تقدم.

وانظر فيما سبق حديث «ما التقى صفان قط..».

«والأنامل» بقوله «فَوَجدتُ بَرْدَ أَنامله».

و«الأصَابع» بقوله «قَلْبُ العَبد بين إصْبعين» وقوله «يَضَعُ السَّمواتِ على إصْبعٍ»[(١)].

و «الخنصر» بقوله «لما تجلَّى للجَبَلِ أَظْهرَ طرف الخُنْصر».

و «الصَّدر» بقوله «خَلَقَ الملائكة من نُور الذراعين والصَّدر»[(٢)].

و «الاستلقاء» بقوله «لما خلق الخلق استلقى»[(٣)].

و «الرجل والقدم» بقوله «يَضَعُ قدمه في النار» وروي «يَضَعُ رجله» وقوله «لما قضَى خلقه استلقى ووضع إحدى رجليه على الأُخرى» وقوله لداود: «خُذْ بقدمي» وقوله «الكرسي مَوضع القَدَمين»[(٤)].

و «الساق» بقوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] وقول النبي ﷺ «يكشف عن سَاقه»[(٥)].

و «الحِقْو» بقوله «تأخُذُ الرحم بحقو الرحمن» [(٦)].

و «النُّزُول» بقوله «يَنْزلُ ربُّنا إلى السَّماء الدنيا»[(٧)].

و «المشي» بقوله «إذا فَرَغَ من أهلِ الجنَّة والنَّار أقبل يمشي في ظَللٍ من الغمام»[(٨)].

---

(١) تقدم .

(٢) تقدم في أول الكتاب وهو مرسل ضعيف.

(٣) تقدم سابقا وسيكرر ذكره المصنف.

(٤) تقدم سابقا .

(٥) تقدم الحديث .

(٦) تقدم الحديث سابقا.

(٧) تقدم سابقا.

(٨) تقدم سابقا وهو أثر مقطوع.

و «**الحجاب**» بقوله «**حجابه النُور**»(١).

و «**النَّظر**» بقوله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] وغير ذلك من الأخبار في إثبات النَّظر.

و «**الوطي**» بقوله «**آخر وطئةٍ وطئها بوجّ**»(٢).

و «**القراءة**» بقوله «**قَرأ طَه ويس**»(٣).

وبما روى في حديث أم الطُّفيل وابن عباس من الصفات التي رآه عليها في ليلة الإسراء.

و «**الاستواء على العرش**» بقوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٤) [يونس: ٣].

و «**التَّجلِّي**» بقوله «**يَتَجَلّى لَهُم ضَاحِكاً**».

و «**الفرح والإستبشار**» بقوله «**الله أفرحُ بتوبةِ العَبد**» وقوله «**لاسْتَبْشَارُ اللهِ بتَوبةِ أَحَدِكم أَفْضَل منْ استبشاركم**»(٥).

و «**الاسْتحيَاء**» بقوله «**إنَّ رَبّكم حَييّ كريم**»(٦).

و «**الصَّبر**» بقوله «**لا أَحَدَ أَصْبرُ على أذىً يسمعه من الله**»(٧).

---

(١) تقدم سابقا.

(٢) تقدم سابقا وهو حديث ضعيف.

(٣) تقدم سابقا وهو حديث ضعيف جداً.

(٤) انظر (ص١١٥) وما بعدها.

(٥) تقدمت سابقا.

(٦) تقدم الحديث .

(٧) رواه البخاري في الأدب (١٠/ ٥٥١) وفي التوحيد (١٣/ ٣٦٠). ومسلم في صفات المنافقين (٤/ ٢١٦٠) في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

و «الغَضَب والبُغْض» بقوله «اشتدَّ غَضَبُ اللهِ على قَومٍ هَشَموا البَيْضَةَ على رأس نبيهم»(١).

و «الإعراض» بقوله «لَقِيَ اللهَ وهُو عَنه مُعْرِض»(٢).

و «المبالاة» بقوله «مَنْ تَشَعَّبتْ عليه الهُمُوم، لم يُبَال اللهِ في أيِّ أَودية الدنيا(٣) هلك»(٤).

و «المباهاة» بقوله «يُبَاهي بأهل عرفات».

و «المنَاجَاة» بقوله «إنَّ أحَدَكم إذا قَام يُصلي يُناجي ربَّه»(٥).

* * *

(١) حديث حسن، رواه البزار (١٧٩٣- زوائد) عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً به، وتمامه «وهو يدعوهم إلى الله». ذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٧) وقال: رواه البزار وإسناده حسن. وهو كما قال، من أجل محمد بن عمرو. والحديث أصله في البخاري في الجهاد (٦/ ٩٧.٩٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) تقدم في هذا الجزء.

(٣) سقطت كلمة «الدنيا» من الأصل.

(٤) تقدم قريبا.

(٥) تقدم (ص ٣٩٥).

فصل

فلما انتهيتُ إلى هذا الموضع من كتابنا، رأيتُ أنْ أذكر من الأسماء والصِّفات التي ذكرها الله تعالى في كتابه، ووصفه بها نبيه.

٢٩٣- وقد ذَكَرَها أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال في كتاب «**السُّنَّة**» بإسناده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لله تَسْعَة وتُسْعُونَ اسْمَاً، مائة اسم إلا وَاحَداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة**»[1].

قال داود بن عمر[2]: سألنا سفيان بن عيينه أنْ يُملي علينا التِّسعة وتسعين، التي لله عَزَّ وجَلَّ في القُرآن، فَوَعَدنا أنْ يُخرجها لنا، فلما أبْطَأ علينا أتينا أبا زيد فأملى علينا هذه الأسماء، فأتينا سفيان فَعَرَضْناها عليه، فنظر فيها أربع مرات، قال: نعم، هي هذه، فقلنا له: اقرأها علينا، فقرأها سفيان: في «**فاتحة الكتاب**» خمسة أسماء: يا الله، يارِبُّ، يا رَحمَن، يارَحيم، يامَلك.

وفي «**البقرة**» ستة وعشرون اسماً: يا مُحِيط، يا قَدِير، ياعَلِيم، يا حَكيم، يا تَوَّاب، يا بَصِير، يا وَاسع، يا بَديع، يا سَمِيع، يا كَافي، يا رؤُف، يا شَاكر، يا إله، يا وَاحِد، يا غَفُور، يا حَليم، يا قَابض، يا بَاسِط، يا لا إله إلا هو!! يا حَيّ، يا قَيُّوم، يا علي، يا عَظِيم، يا وَلي، يا غَنِي، يا حَمِيد.

وفي «آل عمران» أربعة أسْماء: يا قَائم، يا واهب، يا سَرِيع، يا خَبِير.

---

(١) رواه البخاري في الشروط (٥/ ٣٥٤) وفي الدعوات (١١/ ٢١٤) وفي التوحيد (١٣/ ٣٧٧) ومسلم في الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢١٧) وقال: روينا في فوائد تمام من طريق أبي الطاهر ابن السرح عن حبان بن نافع عن سفيان بن عيينة به، لكن ذكره دون حرف النداء في أولها «يا» وفيه اختلاف أيضاً.

وهو في الفوائد المطبوع برقم (٦٠٩) بتحقيق الأخ الشيخ حمدي السلفي كما ساقه المؤلف.

وفي «**النِّساء**» ستة أَسْماء: يا رَقيب، يا حَسِيب، يا شَهِيد، يا عَفُو، يا مُقِيت، يا وَكيل.

وفي «**الأَنْعَام**» خمسة أسَّماء: يا فاطر، يا ظاهر، يا قَادر، يا لَطِيف، يا خبير.

وفي «**الأعراف**» اسمان: يا مُحْي، يا مُمِيت.

وفي «**الأنفال**» اسمان: يا نِعْم المَوْلىَ، ويا نِعْم النَّصِير.

وفي «**هود**» سَبْعة أسماء: يا حَفيظ، يا قَرِيب، يا مَجِيد، يا قَويّ، يا مجيب، يا وَدُود، يا فعَّال.

وفي «**الرَّعْد**» اسْمان: يا كبير، يا متعال.

وفي «**إبراهيم**» يا منَّان.

وفي «**الحجر**» يا خلاق.

وفي «**الحَج**» اسم: يا بَاعِث.

وفي «**مَرْيم**» اسمان: يا صَادِق، يا وَارِث.

وفي «**المؤمنين**»: يا كريم.

وفي «**النُّور**» ثلاثة أسماء: يا حَق، يا مُبين، يا نُور.

وفي «**الفُرْقان**» يا هادي.

وفي «**سَبَأ**» يا فتاح.

وفي «**المُؤْمِن**» أربعة أسماء: يا غَافِر، يا قَابِل، يا شَدِيد، ياذا الطَّول.

وفي «**الذَّارِيَات**» ثلاثة أسماء: يا رَزَّاق، يا ذا القوة، يا مَتين.

وفي «**الطُّوُر**» يا بَار.

وفي «**اقْتَربَت**»: يا مقتدر.

وفي «**الرحمن**» ثلاثة أسماء: يا باقي، يا ذَا الجَلَال، يا ذَا الإكْرَام.

وفي «الحديد» أربعة أسماء: يا أول، يا آخر، يا ظَاهِر، يا بَاطِن.
وفي «الحَشْر» يا مُتكَبِّر، يا خَالِق، يا بَارِئ، يا مُصَوِّر.
وفي «البُروُج» يا مُبْدِئ، يا مُعِيد.
وفي «قل هُوَ اللهُ أَحَد»: يا صمد[١].

ثُمَّ ذكَرَ أبو بكر الخلَّال: ما جَمَعه عبدالله بن أحمد في الأسماء. فنظرتُ فيه فكان فيه زيادة لم تكن فيما رواه سفيان، وهو: يا أول، يا آخر[٢]، يا مجيب، يا قاهر، يا فاصل، يا فالق، يا رفيع، يا ماجد، ياجواد، يا مدبر، يا أحكم الحاكمين.

٢٩٥- وقد ذكر أبو بكر النَّقَّاش في كتاب «**تفسير الأَسْمَاء والصِّفَات**»: عن جعفر بن محمد رضوان الله عليه: إنَّ للهِ ثَلثُمائة وسِتِّينَ اسماً.

وروي عن غيره: مائة وأربع عشرة اسماً.

فإنْ صَحَّ ذلك عنهم، فإنَّما وَجَدوا في القرآن أسماءً متكررة فعدُّوها على تكريرها، والمعول في ذلك على ما ورد به الخبر الصحيح عن النبي عليه السلام[٣].

---

(١) وفي بعض ما تقدم من الأسماء نظر! لأنه إنما ورد في الكتاب الكريم صفة وليس إسماً فتنبه!
وقد وفقنا الله الكريم بفضله لكتابة بحث موسع في الأسماء الحسنى باسم «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» وطبع بمكتبة الإمام الذهبي - الكويت.
وقد ذكرنا فيه ماثبت من الأسماء الحسنى في الكتاب والسنة الصحيحة، فراجعه إن شئت.

(٢) كذا! مع أن الأول والآخر، ذكرا في الرواية عن سفيان.

(٣) ليس المراد من قوله ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسماً» حصر الأسماء الحسنى في هذا العدد، لكن المراد أن من أحصى لله تعالى هذا العدد، دخل به الجنة. وعلى هذا عامة أهل العلم، بل نقل النووي رحمه الله اتفاق العلماء عليه. والذي يدل على صحة ذلك، حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن ﷺ: «... أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...» رواه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) وغيره.
=

فأمَّا وَصْفه تعالى «يا الله» فهو اسم من أسمائه، وهو اسم عَلَم لم يجب لأَمرِ اقتضاه الفعل، كالخَالِقِ والرَّازِق[(١)]، ولا هو مُشْتَق من صِفَةٍ كالعالم والقادر، وهو اسم موضع غير مُشتَقٍ ولا مُشْتَرَك، لم يَتَسَمَّ به أَحَد، وهو كأسماء الأَعْلَام في الآدميين كزيد وعمر[(٢)].

وهو أشْرفُ الأسماء وأعظمها، لأنَّ سائر الأسماء[(٣)] تابعة له، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال النبي ﷺ «لله تسعة وتسعون اسماً» وقوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] قيل في التفسير: لم يَتَسمَّ به أحد[(٤)].

وافتتح بهذا الاسم الأذَان والإقامة والصَّلَوات والاسْتعاذة والتَّكبيرات والشهادات، وكلُّ الطَّاعَات.

ولأنَّ الإشارة إليه في الإقرار بالتوحيد، لقوله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ

= وقوله ﷺ: «... لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» رواه مسلم (٤٨٦). وغير ذلك من الأدلة، انظر مقدمة كتابنا «النهج الأسمى» (١/ ٤٩ - ٥٢).

(١) أي هو من أسماء الذات، لا من أسماء الأفعال.

(٢) الصحيح أن اسم «الله» تعالى مشتق من «الإله» وهو المعبود، وهو ما اختاره الإمام ابن القيم وغيره من اللغوين.
وهو اسم الله الأعظم على الصحيح، ولم ينتحلة أحد، ولم يطلق على غير الله سبحانه وتعالى.
انظر كتابنا السابق (١/ ٦٣- ٧٢) سيأتي تقرير المصنف لذلك.

(٣) «قوله: الأشياء رسمه في الأصل محتمل لما هنا، ولأن يكون الأسماء وهو أولى» علقه الناسخ، والصواب هو الأسماء لا غير.

(٤) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: (هل تعلم له سميا) هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهاً.
وقال عكرمة عنه: ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى، كما في تفسير ابن كثير (التهذيب ٣/ ١١٠).

ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣] وقوله ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ(١) أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧] ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩] (٢).

٢٩٧- وحكى أبو بكر النَّقَّاش: عن وكيع بن الجراح: رأيتُ رجلًا في المنام له جَنَاحان، فقلت من أنت؟ قال: مَلَك، قلت: ما اسم الله الاعظم؟ قال: الله، قلت: وما بَيَان ذلك؟ قال: قوله لموسى ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤] ولو كان له اسم أعظم منه، قاله تبارك وتعالى.

٢٩٨- ورأيتُ في جُزء عَتيقٍ حديثاً مُسْنَداً: عن الحسن عن جابر بن زيد قال: اسمُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ الأعظم، هو «الله» أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

٢٩٩- وقد قال أحمد في رواية عبدالله فيما خَرَّجَه في **«الرَّدُّ على الجهمية»**: الله هو الله، ليس باسم إنَّما الأسماء كلّ شيءٍ سوى الله، لأنَّ الله

---

(١) سقط من الأصل: من.

(٢) في الأصل (سيقولون الله) في الآيتين وهي قراءة أبي عمرو، وقرأهما الباقون «لله» انظر الكشف عن وجود القراءات لمكي بن أبي طالب (٢/ ١٣٠).

يقول ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] [(١)].

وظاهر هذا أنَّ أحمد منع أنْ تكون هذه الصفة اسماً، وليس هذا على ظاهره، ومعناه ليس باسم يرجع إلى الصفات، كالعَالم والقادر والحي، وإنما هو اسم يرجع إلى مُجَرَّد الذَّات، لا إلى معنى، فهو كقولنا: موجود وذات ونفس وقديم، لأنَّه قد روي عنه في موضع آخر أنه اسم [(٢)].

٣٠٠- فقال في رواية الميمون: من قال أسماء اللهِ مُحْدَثَة فهو كافر، ثم قال: اللهُ من أسمائه، فمن قال: إنَّها مُحْدَثه، فقد زَعَمَ أنَّ الله مخلوق.

فقد صرَّح بأنَّه اسم.

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «رَبٌّ» فقيل معناه: سَيِّد، وقيل معناه: أنَّه المَالِكُ، ولذلك يُقال: ربُّ العَبْدِ وربُّ الربع، بمعنى أنَّه مالك لهما [(٣)].

وهو تعالى لم يَزَلْ رَبّاً مالكاً، وإنَّما لم نقل في غير الله سبحانه بأنَّه رَبّ على الإطلاق، لأنَّ عُرْفَ الشَّرعِ واللغَةِ غَلَبَ في الاستعمال أنَّه المالك لجميع الأعيان والأَجناس، دون مالك بَعضها، فلا يُقال: زيد ربّ، حتى يُقَيِّد فيقول: رب العَبْدِ والثَّوب [(٤)].

وأما وصفه تعالى «بالرَّحْمن الرحيم» فقيل: هي النِّعْمة والإحسان، وقيل هي: إرادةُ الإنْعام بالنفع! ألا تَرَى أنَّك تَقول: رحمت زيداً، إذا أردت نفعه

---

(١) الرد على الجهمية (٣١٦) ط- غراس. وتمام كلامه: ولا يجوز أن يكون اسم لإسم. وهذا من الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة، ويقولون: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق! وانظر كتابنا النهج (١/ ٢٤ - ٣٢).

(٢) وهذا بناء على اختيار المصنف أن «الله» اسم غير مشتق بل اسم علم!

(٣) ويأتي بمعنى المصلح للشيء. انظر كتابنا النهج (١/ ٤٠٦).

(٤) انظر المصدر السابق.

والدفع عنه، وإنْ لم تتمكن من ذلك، وقد يفعل الإنعام كارهاً ولا يُسَمَّى رحيماً، فعلم أنَّ ذلك إرادة الإنعام، وحمله على النعمة والإحسان أولى، لأنه هو أظهر في اللغة.

ومن قولهم في المطر: رحمة، وكذلك كل نعمة[١].

وأما وصفه تعالى بأنَّه مَلِك ومالك وسُلْطان، معناه: أنَه ذو مُلْكٍ وسلطان وقُدرة يُقَدِّر بها على الأشياء، وعلى هذا وصفه نفسه سبحانه بأنه مَلِك ومَالكُ يومِ الدِّين، وإنْ كان ذلك اليوم مَعْدوماً في الأزل، وإنَّما المراد به قادر عليه وعلى إقامته[٢].

ويجب على هذا الأصل أنَّه لا يملك المالك منّا، ويوصف بأنَّه يملك الشيء إلا في حال حُدُوثه، لأنَّها حال قدرته عليه، ويجب على هذا أنْ يقال: إنَّ القديم قادر على العَالَم والأجسام الباقية، وإنْ اسْتَحال حُدُوثها، على معنى أنَّه قَادِر على تَحريكها وتسكينها، وجمعها وتفريقها، وتغيير هيئاتها وصفاتها، لا على معنى صحة إحداثه لها في حال بقائها.

ويجب على هذا أنْ يكون معنى قولنا: إنَّ الإنسان يملك الدار والعبد والأَمَة مجازاً، ومعناه أنَّه يملك التَّصرف في ذلك، والاستمتاع والإنتفاع

---

(١) هذا التأويل غريب وعجيب من المصنف! وعلى خلاف عادته!
لأنه قول المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأشباههم، ممن انحرف في صفات الله تعالى وحرّف معانيها! والحق: أن «الرحمة» من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة وهي صفة كمال لائقة بذاته كسائر صفاته العليا.
انظر تفصيل الرد على ذلك في كتابنا النهج (١/ ٨٠) وما بعدها.

(٢) أما اسمه «الملك» و«المالك» فقد ثبتا في الكتاب والسنة النبوية. والملك بالضم هو السلطان والقدرة على التصرف به، أما «السلطان» فليس من الأسماء الثابتة، إنما هو معنى الملك كما ذكرنا. انظر كتابنا (١/ ٩٥).

به، دون ذات الجسم الذي لا يقدر عليه(١).

وإنَّما مَنَعَ من وَصْفِ البهائم بأنها مالكة، وإنْ كانت قادرة على التصرف، لأجل السَّمع، وإلا فاللغة لا تمنع من ذلك، لأنَّ معناه في اللغة: القَادر على الشيء، ولا يمتنع أن يُقصَرَ على قادرٍ دون قادر، كما قَصَرُوا: أبْلَق وأَدْهَم على بعض من له الصفة المُستفادة بهذا القول دون بعض.

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «مُحِيط ومُحْصي» بمعنى أنَّه عالم، فيقال: لم يَزَلْ مُحيطاً مُحْصِياً، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الانفال: ٤٧] وقوله ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ [النبأ: ٢٩] وقوله ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم: ٩٤] وقد تكون الإحاطة بمعنى الإحتواء على الشيء مِنْ جِهَاتِهِ، وذلك ممتنع في صفاته(٢).

وأما وصفه تعالى بأنه «قَدير» فمعناه المبالغة في القدرة، وكذلك قولنا «مُقْتَدِر» وأصل هذا أنَّه: قادر، ومعناه: أنَّه قادر على الفِعل، ومُتَمكِّن من

---

(١) الملك الحقيقي لله وحده، لا يشركه فيه أحد، وكل من ملك شيئاً فإنما هو بتمليك الله تعالى له، قال ﷺ: «لا مالك إلا الله» وفي رواية: «لا ملك إلا الله» رواه مسلم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
والمالك هو من يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بممالكيه.
وإنما أضاف الملك ليوم الدين، لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام ملكه وعدله، وتنقطع أملاك الخلائق فيه، ويخضعون فيه لربهم ويذعنون.

(٢) أما أسمه تعالى «المحيط» فثابت في القرآن الكريم، كما ساق المصنف بعض الآيات التي ورد فيها الاسم.
ومعناه: المحيط بكل شيء من خلقه، علماً وقدرة ورحمة وقهراً، وأما «المحصي» فلم يثبت في القرآن ولا السنة الصحيحة بصيغه الإسم، وإنما ورد فعلًا، ومعلوم أن القاعدة عند أهل السنة: ألا يشتق لله تعالى الأسماء من الصفات.

إيقاعِهِ، وأنَّه لم يزلْ قادراً بقدرةٍ قديمة، صفة قائمة به، يَقْدرُ بها على المَقْدُورَات، ويخترع المخترعات، وهي شَاملة كل مقدور(١).

وكذلك وصفه بأنه: قَاهِر ومُقْتَدر وجَبَّار ومُتَجبّر وعَزِيز وكَريم، لأنَّ العَزيز مَأْخُوذ من العلوِ، ومنه قولهم: خَيَل عَزيز، وفَرَس عزيز، إذا كان عالياً ممتنعاً(٢).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «**عليم وعالم**» فمعناه أنَّه ذو علم، فكل عالم فهو ذُو عِلمٍ، وكل ذي علمٍ فهو عَالِم، وقد يُوصف تعالى بأنَّه عَارِف ومتبين! وخبير(٣).

وقد وصف نفسه بذلك في كثير من الآيات، لأنَّ ذلك يعود إلى معنى واحد، وهو عالم، وقد يوصف بأنَّه دَرَى وداري، لأنَّه بمعنى عالم، وقد قال الشاعر:

اللَّهُمَّ لا أَدْري وأَنْتَ الدَّارِي

وأمَّا وَصفُه تعالى بأنَّه «**حكيم**» فقد قيل فيه المراد به: عَالِم، ومن قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: ٢٥] وقولهم: فلان قد أحكم الفِقْه والصَّنعة، إذا عَلِم ذلك، وقيل معناه: محكم الفعل، وإحكَامِه له هو: إيقاعه له بحسب قصده وإرادته من غير تفاوت، ومنه قولهم: أحكَمَ مُراده وما قَصَدَ له، وأحكم فلان بِنَاءه، إذا فعله مُحْكَماً مُتْقَناً، وهذا أَشبه بظاهر اللغة(٤).

---

(١) وقد ورد اسم القدير في القرآن خمساً وأربعين مرة، وأما «القادر» فقد ورد اثنتي عشرة مرة. ومعنى هذه الأسماء يرجع إلى كمال القدرة، التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء.

(٢) راجع معاني هذه الأسماء في كتابنا مفصلًا إلا «المتجبر» فلم يثبت!

(٣) العليم والعالم سبحانه وتعالى الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والعالم العلوي والسفلي والماضي والحاضر والمستقبل، لا يخفى عليه شيء. انظر النهج (١/ ٢١٣ - ٢٢٣). أما العارف والمتبين، ففي ثبوتهما نظر!

(٤) «الحكيم» سبحانه الذي يضع الأشياء في مواضعها بحكمته، ويكون في القول والفعل. ولاتكون الحكمة إلا عن علم وخبرة. انظر النهج (١/ ٢١٤ - ٢٥٨).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «تَوَّاب» فهو مأخوذ من كَثْرةِ التَّوبة، التي هي الصَّفح عن الذُّنُوب والرحمة، ومن قوله تعالى ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨] (١).

وأمَّا وَصْفه تعالى بأنه «بَصِير» معناه: أنَّه رائي مُدْرِك للمدْرَكات، وسائر الموجودات، بإدراكٍ يزيد على الصِّفة التي هي «العلم» وأنَّ له بَصراً لو كانت المدركات موجودة، لكان مُدْرِكاً مُبْصِراً لها به(٢).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «وَاسِع» فمعناه موسع على خلقه في العطاء والإحسان، وسعة الرحمة(٣).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «بَدِيع» فالمراد به: الخَلْق، ومعناه: ابْتَدَعَ الخَلْقَ، كما قالوا: سميع، ومعناه مُسْمِع، ومنه قوله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] معناه: خالقها ومبتديها، والإبْداع معناه: إخراج الشيء من العَدَم إلى الوُجُود بلا مثال(٤).

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «سميع» فقيل معناه: العِلْمُ بالمُدْرَكِ، وطريق إلى العلم بالمدرك.

وكذلك «البَصِير» لا يَغيب عنه شيء(٥).

---

(١) انظر النهج (٢/ ١٨١).

(٢) «البصير» سبحانه الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر.
والبصير أيضاً: ذو البصيرة والخبرة. انظر النهج (١/ ٢٣٥).

(٣) ومن معاني «الواسع»: والواسع الصفات، بحيث لا يحصي أحد الثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. وهو أيضاً: واسع الملك والسلطان. انظر النهج (١/ ٤٠١).

(٤) انظر النهج (٢/ ٢٧٩).

(٥) تفسير السمع بالعلم، تأويل غير مقبول عند أهل السنة، بل هو قول المعتزلة! ولعل ذلك سبب تصدير المؤلف له بقوله: فقيل، والصواب أن «السميع» من السمع، فهو سبحانه =

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «**كافي**» فمعناه: يكفي عباده، بمعنى يُغِيثُهم إذَا اسْتَغَاثُوا به[١].

وكذلك «**النصِّير**» ينصر عباده، ومنه قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] [٢].

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «**رؤوف**» فهو راجع إلى معنى رحيم، وهو مأخوذ من الرَّأفة والرحمة.

قال جرير:

نَرىَ لِلمُسْلِمينَ عَلَيكَ حَقّاً ... كَفِعلِ الوَالِدِ الرَّؤوف الرحيم[٣]

وفي معناه: الحَنَان، معناه الرحمة[٤] قال تعالى ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣] أيْ: رحمة[٥].

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «**شَاكر وشَكُوْر**»، فقيل معناه: يُجازي عباده على شكرهم له، فيسمى جزاءه للشُّكر شكراً، لأنَّ جَزاء الشيء قد يسمى بإسمه، كما قال ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وقيل: لما جَازَى على القليل من الطَّاعة، بكثير من الثَّواب، سُمِّيَ شَكُوراً، ومنه قولهم: دَابَّة شكُور، إذَا كانت تُظْهر مِنَ السِّمَنِ فوق ما تُعطى من العَلَف[٦].

= الذي يسمع السر والنجوى من أقوال عباده، وأصواتهم وحركاتهم، ويأتي السميع بمعنى: المجيب لعباده إذا توجهوا له بالدعاء. انظر النهج (١/ ٢٢٥ - ٢٣٣).

(١) «الكافي» سبحانه الذي يكفي عبادة رزقاً وقوتاً وحفظاً ونصراً. انظر النهج (٢/ ٣٦١ - ٣٦٤).

(٢) انظر النهج (٢/ ٢٣٢).

(٣) الرأفة أشد الرحمة. وانظر بعض الفروق بينها وبين الرحمة، النهج (٢/ ٢١٥).

(٤) لعله: ذو الرحمة، علقه الناسخ.

(٥) اسم «الحنان» من الحنان والرحمة. انظر النهج (٣/ ٧٥) وما بعدها.

(٦) الشكور سبحانه هو الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف لعباده العمل. =

وأمَّا وَصْفه بأنَّه «وَاحِد» فمعناه: الذي لا شريكَ له، القهار ويقهر كل جَبَّارٍ، والأَحَد والواحد بمعنى واحد، وقيل: معناه شيء، وكل شيءٍ واحد، وكل واحدٍ شيء، فاذا قيل للجملة إنَّها واحدة، فإنه يُقَّدر فيها حكم الواحد الذي لا ينقسم(١).

وقيل: المراد به نفي النَّظير، كقولهم فلان واحد زمانه.

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «غَفُور» فمعناه: أنَّه لم يَفعل بالعُصَاةِ من عباده ما يَسْتَحقُون باجْرَامِهِم. وكذلك وَصْفُه بأنَّه «غَافِر وغَفَّار ومُخيط ومُكَفِّر للعِقَاب وحَلَيم» معناه ما ذكرنا.

وقيل أصل الغَفْر: السِّتر، ولهذا سُمِّيَ جُنَّةُ الرأسِ مِغْفَراً، لأنَّها تَغفر الرأسَ، أي تَستره(٢).

ولا يجوز وصفه بالكفِّ عن العِقاب، لأنَّ ذلك إنَّما يُستعمل فيمن يكفُّ نَفْسه عما تدعوه إليه وتشتهيه، وذلك مُحَال في صفته، ولكن يُوصفُ بالتَّرك(٣).

وقيل: معنى «غفور» أنَّه يَستر الذُّنوب على عبَاده ولا يكشفها.

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «حَلِيم» أنَّه لم يَفعل المستحق من العِقاب، أوْ مَا يليق ذلك عنده من الأفعال التي قد أَجْرَى العَادَة بأنْ يفعل عندها الالآم. ولا خلاف أنه حليم عن الكُفَّار والعُصاه في الدنيا، وإنْ لم يَفْعل فيهم ما

= انظر النهج (١/ ٢٨٩ - ٢٩٤).

(١) قال الزجاج: الواحد: وضع الكلمة في اللغة إنما هو للشيء الذي ليس باثنين ولا أكثر منهما. وقال: الأحد، قال أهل العربية: أصله وحد. انظر النهج (٢/ ٨٣- ٨٤).

(٢) وغفر الله له ذنوبه: أي سترها كما سيأتي، وقد سمى الله تعالى نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية. انظر النهج (١/ ١٧٥) وما بعدها.

(٣) هذا اللازم فيه نظر! وقد ورد في الحديث: «إني حرمت الظلم على نفسي» والتحريم هو المنع.

يُضَاد عِقابه لهم، وانتقامه منهم، وليس يمتنع وصفه بأنَّه حليم عمن يُعاقبه في الآخرة، على معنى أنَّه أخَّرَ ما كان له تقديمه من العقاب، كما يقال ذلك فيه لو تركه جملة(١).

وقد قيل: لا يجوز وصفه بأنَّه «صَبُور» كما جاز وصفه بأنَّه حليم، لأنَّ صَبور هو الذي يَصبر لما يَلْحَقه ويناله من المكارهِ والمَضَار المؤلمة، فيصبر لها ولا يجزع عند نزولها، وقد جاء في الحديث ما يدل على جواز وصفه بذلك فقال: «**لا أَحَدَ أَصْبَرُ على أذىً يَسمعه من الله**»(٢).

وأمَّا وصفه بأنه «**قابض**» قيل معناه: المُضَيِّق على من يشاء أنْ يُضيق عليه في رِزْقٍ وغيره، والمانع له، ومنه قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] (٣) ويحتمل أنْ يكون معناه: قابضُ الأَرْواح، ومنه قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٦].

وأما وصفه بأنَّه «**بَاسِط**» معناه: الموسع عطاياه، والبسط هو التوسيع(٤)، ومنه قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٦] (٥).

---

(١) الحليم سبحانه الذي يحلم عن عقوبة العاصين، ويمهلهم كي يتوبوا، وينعم عليهم مع كثرة ذنوبهم. انظر النهج (١/ ٢٧٣ - ٢٧٦).

(٢) لم يثبت الحديث الوارد باسمه «الصبور». لكن وصف الله تعالى بالصبر ثابت بالحديث الذي ذكره المصنف، وهو في البخاري وغيره.

(٣) ورد اسمه «القابض الباسط» في الحديث الصحيح: «إن الله هو الخالق القابض الباسط، الرازق المسعر...» رواه أحمد (٣/ ١٥٦، ٢٨٦) وأبو داود (٣٤٥١) والترمذي (١٣١٤) وابن ماجة (٢٢٠٠) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه.
انظر النهج (٣/ ١٢١) وما بعدها.

(٤) في الأصل: التوسع، علقه الناسخ.

(٥) انظر ما سبق.

وأما وصفه تعالى بأنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هو» فمعناه: نفي الإلهية لغيره، وقد قيل في الإله: أنَّه الغالبُ الذي ليس بمغلوبٍ، والقَاهر الذي ليس بمقهور، النافذ الإرادة في جميع مُرَاداتِهِ، حتى لا يُريد شيئاً إلا كان، ولا يكون إلا بإرادته الذي لا ضِدّ له يغالبه، وهو الذي عَنَاه بقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] أي مُتَغَالِبين ومختلفين(١).

وقيل: إنَّه مأخوذ من التَّوحيد والتَّفرد في الأَزَل بصفاته التي بَانَ بها، وكونه في القِدَم بصفاته لا مُشَارَكَ له فيها، مِنْ قولهم: فلان قد تألَّه، إذا كان مُنفرداً بالعبادة، ومنقطعاً بها عن الخلق(٢).

وقيل: هو مأخُوذ من الإحتجاب، ومنه قول الشَّاعِر:

لاهَتْ فما عُرِفَتْ يَوماً بخارجة ... يا لَيتَها خَرَجَتْ حتَّى رأيناها

وقيل: معنى «إله» مأخوذ من وَله العِبَادُ إليه في الحَوَائج والنَّوازل إليه، منه قول ﷺ: «لا تُولَّهُ وَالدِة عَلَى وَلَدِها»(٣) أي: لا يُفرق بينهما فتخرج الوالدة

---

(١) هذا كله من دلائل الإله الحق، الذي لا يمانع ولا يغالب، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾.
اما معنى «الإله» فهو ما سيسوقه المصنف الآن.

(٢) نظر النهج (١/ ٧١ - ٧٢).

(٣) حديث ضعيف، رواه البيهقي (٨/ ٥) عن ابن شعيب أخبرني ابن لهيعة الحضرمي عن عمر ابن عبدالله مولى غفرة أنه أخبره عن زيد بن إسحاق بن جارية الأنصاري أنه أخبره أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين خاصم إلى أبي بكر رضي الله عنه في ابنه فقضى به أبو بكر رضي الله عنه لأمه، ثم قال سمعت رسول ﷺ يقول.... فذكره.
وهذا إسناد ضعيف، عمر بن عبدالله مولى غفرة، قال أحمد: ليس به بأس لكن أكثر حديثه مراسيل. وضعفه ابن معين والنسائي. وقال الحافظ في التقريب: ضعيف وكان كثير الإرسال.
وفيه أيضاً: ابن لهيعة مختلط، والراوي عنه غير العبادلة وأشباههم. =

لفِرَاق ولدها.

وإذا كان مَأخوذاً من هذا، كان موصوفاً بأنَّه إله بعد أَنْ لم يُوصف بذلك ومُستَحقاً له عند وَلَهِ العِبادِ إليه(١).

وأَمَّا وَصْفُه تعالى بأنه «حَيّ» معناه: أنَّ له حياة، و هو الذي: يَصح أنْ يَعْلَم ويَقْدِر.

ولا يجوز تفسيره بأنَّه ليس بميتٍ، لأنَّه قد يَشْترك الحيَّ في نفي الموتِ عنه ما ليس بحي، ،وهي الجَمَادَات ليست بأموات، كما أنَّ الحي ليس بميت.

وقد وَصَفَ الله تعالى نفسه بالحياة فقال ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥] وقيل معناه: الدائم الذي لا يفنى(٢).

وأَمَّا وصفه بأنه «قَيُوم وقَيَّام» فيحتمل أنْ يكونَ معناه: دائم الوُجُود والبقاء، ويحتمل أنْ يكون معنى قيوم وقيام بمصَالح خَلْقِهِ وما يحتاجون إليه، كما يُقال: فلان قائم بهذا الأمر، أيْ مُدَبِّر له، ولا يجوز أنْ يُوصَفَ بالقيام الذي هو الانتصاب وضد القُعُود، والتحرك في جهةٍ مخصوصة(٣).

وأما وَصفُه تعالى بأنه «عَليّ ومُتَعال» قيل معناه: الرفيع فوق كلِّ شيء، ولا

= وللحديث طريق آخر عن أنس رضي الله عنه: أخرجها الديلمي.
وفيها: مبشر بن عبيد، قال الحافظ: متروك، ورماه أحمد بالوضع، كما في الضعيفة للألباني (٤٧٩٧).

(١) هذا القول ليس بصحيح!!
فإن الله تعالى موصوف بصفاته منذ الأزل، كما قال أهل السنة والجماعة قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً..» وقد سبق التنبيه عليه. وانظر الطحاوية (ص٧٨- ٨٩) بشرحنا، ومقالات الإسلاميين (ص١٨٦-١٨٧).

(٢) انظر النهج الأسمى (٢/ ٦٧-٧١).

(٣) انظر النهج (٢/ ٧٣ - ٨٢). وأما قوله: ولا يجوز وصفه بالقيام الذي هو الانتصاب... إلخ فينبغي الإعراض عنه، لأنه نفي لم ترد به النصوص الشرعية.

يعلوه شيء، لا على وَجْه المساحة والمكان، لأنَّ ذلك يُفضي إلى تحديد، والمحدُود يقتضي حَادًّا هو حدّه.

وقيل: معناه مُتَعال عن الأدْناس والعَيوب والدناءة.

وقيل: استحقاقه لصفات الكمال، من العلم الشَّامل، والقُدرة الكاملة، والإرادة النافذة، والمشئية الجارية، لا يعجزه شيء(١).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «عَظِيم ومُتَعَظِّم» فمعناه كل شيءٍ دُونه، وقد يُستعمل ذلك فيمن تَعظَّم شأنه بالقَدْرِ والمنزلة، كما يقال: عظيم المنزلة، لشرفه وعلوه، ونفاذ أَمره، وهذه صفاته سبحانه، وقد يكون معناه: عَظيم عن الأَدْناس والتناقص(٢).

وأما وصفه تعالى «بأنَّه «وَلِيّ» فقيل معناه: النَّاصر، فهو ولي المؤْمِنينَ بمعنى ناصرهم بفعل أَنواع اللطفِ والتَّوفيق.

وقيل معناه: القيام بأمور الخلق، المدبر لها، فعلى هذا هو ولي جميع الخلق، مُؤمنهم وكافرهم(٣).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «غَني» فقيل معناه: انتفاء الحاجة عنه التي هي ضد الغنى، وقيل معناه: القادر على كل شيء مقدور، النافذ لإرادته في كلِّ مُراد، والأول أولى، لأنه قد يقدر على تنفيذ مُراده من هو محتاج إليه،

---

(١) العلي الأعلى سبحانه، هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر للمخلوقات. قال ابن القيم في النونية (٢/ ٢١٤):

وهو العلي فكل أنواع العلو له فثابتة له بلا نكران

وأما قوله: «لا على وجه المساحة والمكان...» فقد أعرض عنه السلف، لأنه لم تأت به النصوص، فالواجب الإعراض عنه.

(٢) انظر النهج (١/ ٢٨١ - ٢٨٧).

(٣) و «الولي» سبحانه أيضاً: هو المحب، والقريب. انظر النهج (٢/ ٤٣ - ٤٧).

غير مُسْتغنٍ عنه[١].

وأما وصفه تعالى بأنَّه «حميد» قيل معناه: المحمود، كما يُقال: قتيل بمعنى مَقتول، وحمْدُ الله هو الثَّناء عليه بصفَاتِهِ الحُسْنَى، والثناء عليه بنعمه[٢].

وفي معناه «مَجِيد» والمجْدُ الجَلَالة والعَظَمة والشَّرف، وقيل معناه: حمده وثناؤه على نفسه بصفاته العُلَى، وعلى أوليائِهِ من المؤمنين[٣].

وأما وصفه تعالى بأنَّه «وَاهِب وَوَهَّاب» معناه: يَهَبُ حقّه، ويترك على عباده ما وَجَبَ له، وينعم عليهم، وهو الغالب في الاستعمال.

ويحتمل أن يكون بمعنى الحاكم للعبد بملك الشيء وجعله له، فيكون مخبراً بذلك[٤].

وأما وصفه تعالى بأنه «سريع» فيحتمل أن يكون معناه: أنَّه لا تَعْسر عليه الأشياء، ولا يحتاج فيها إلى تَكلف، ومنه قوله تعالى ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢][٥].

وأما وصفه تعالى بأنَّه «خبير» فقيل: إنَّه بمعنى عليم، وهو الأظهر في الاستعمال من قولهم: الله أَخْبَرُ بعباده، أي: أعلم بهم، وفلان خبير بأمري، وقولهم: سألت خبيراً، يعنون: سألت عليماً، وذلك يعود إلى عالم.

---

(١) انظر النهج (٢/٢٢٨-٢٣١). والقول الثاني قال بنحوه الزجاج.

(٢) الحميد سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرعه وقدره. انظر النهج (٢/٥٦-٥٨).

(٣) أصل المجد: الكثرة والسعة. «والمجيد» سبحانه: الواسع المد والثناء، على جميع أسمائه وصفاته وأقواله وأفعاله. انظر النهج (/ ٤٣١ - ٤٣٣).

(٤) «الوهاب» سبحانه الكثير المواهب، المنعم على خلقه بأنواع النعم والهبات. انظر النهج (١/١٨٧ - ١٨٩).

(٥) قال البغوي في تفسيره (١/٢٣٣): ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني: إذا حاسب فحسابه سريع، لا يحتاج إلى عقد يدٍ، ولا وعي صدر، ولا إلى روية ولا فكر.

وقيل المرادُ به: مخبر فيكون بمعنى خَابر، كما يقولون: فقيل بمعنى فاعل فيفيد الخبر منه(١).

وأمَّا وصفه تعالى بأنه «رقيب» فقيل معناه: هو الحافظ، و «الحَفيظ» مثله، وقيل في الحفيظ: المُحَاسِب.

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأَنَّه «حَسيب» فقيل فيه: أنَّه محاسب لخلقه، وحسابه لهم على وجهين:

أحدهما: أَنْ يكون بالكلام وتعريفهم قدر أعمالهم.

والثاني: أنْ تكون المحاسبة لهم نفس الجزاء على قدر أعمالهم، بضَرب من أفعال وأقوال الملائكة، وقد قال تعالى ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] يعني جَزَاء(٢).

وقد يكون «محاسباً» بمعنى مُحْصِي وعاد، وذلك رجع إلى كونه عالماً، وهذا قوله تعالى ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم: ٩٤].

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «شَهيد» معناه: يشهد كل شيءٍ، لا يَغيب عنه، ونشهد أنَّه الواحد، وأنَّ محمداً رسوله، كما قال تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] ولأنَ معناه عالم، وإنْ كانَ في أصل الوَضْع لإفَادة الرُؤْية للشيء، وقد قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨] وقال ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] معناه: يَعْلم كذبهم، فكأنَّه يَسْتُر دونهم(٣).

---

(١) انظر النهج الأسمى (١/٢٦٨ - ٢٦٩).

(٢) في «الحسيب» معنيان: أنه الكافي، من قولك: حسبي الله. والثاني: أنه المحاسب والمحصي. انظر النهج (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧).

(٣) انظر النهج (١/ ٤٤٠ - ٤٤٢).

وأما وَصْفُه تعالى بأنَّه «عفوّ» قيل معناه: السَّتْرُ والدَرْسُ، قال لبيد:

عفتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها ... بمنى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجَامُها

معناه: دَرَسَتْ[١].

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «مُقيت» في قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] فقيل معناه: القادر على كل شيء، قال الشاعر:

وَذِي ضَغَنٍ كَفَفْتُ النفس عنه ... وكُنتُ على مَسَاءته مُقيتاً

أي: قادراً، وقيل معناه: الشَّاهد بمعنى رائي وعالم، وقيل: معناه القائم بأقواتِ الخلق، والمُنشئ لها[٢].

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «وكيل» معناه: الحافظ القائم بالأمر، ومن قوله تعالى ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] معناه: الكافي، وقيل معناه: موكول إليه، لأنَّ فعيل بمعنى مفعول[٣].

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «فاطر» فهو الخالق المبتدئ، لقوله ﴿فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١] ومنه قولهم: أَنَا فَاطِرُ هذه البئر، أي: ابتدأ حَفْرها.

وقال ابن عباس: كنتُ لا أدري ما فاطر، حتى أتاني أَعْرَابيَّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما، أَنَا فَطَرْتُها، أَنَا ابتدائتها.

وقال الأصمعي عن أبي عمرو: الفاطر هو المبتدئ بالشيء[٤].

---

(١) «العفو» سبحانه عن ذنوب عباده، الذي يترك عقوبتهم، ويصفح عنهم. انظر النهج (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) انظر هذه الأقوال: في النهج (١/ ٣٥٦ - ٣٦٠).

(٣) في «الوكيل» سبحانه ثلاثة معان:

١- الكفيل. ٢- الكافي. ٣- الحفيظ.

انظر النهج. (٢/ ٢٥ - ٢٧).

(٤) انظر النهج (٢/ ٣١٨ - ٣١٩).

وأمَّا وصفه بأنَّه «قَادِر» معناه: أنَّ له قُدْرَةً، كما قلنا في وصفه بأنه «حي» معناه: أنَّ له حياة، ولا يجوز أنْ يقال إن معناه: أنَّه على حال يصح منه الفعل، لأنَّه لم يزل قادراً، ولا يجوز أنْ يقال: لم يزل فيصح كونه قادراً، لأنَّ ذلك يُخرج الفعل عن كونه فِعْلًا ومَقْدُوراً (١).

وفي معنى ذلك وصفه تعالى بأنه «قدير» لأنَّه من أَلْفاظِ المبالغة، مثل قولنا: حكيم وقدير وعليم.

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «لطيف» فمعناه: ملطف بعباده بفعل التوفيق، وقد يُراد باللطيف: أنَّه العالم الخبير بسرائر خلقه، والخفي من ضَمَائِرِهِم (٢).

وكذلك يقال في الدعاء: يالطيف ياخبير، يصف علمه بما دَقَّ وخفي ولا يجوز أنْ يقال إن معناه: صَغُر ودق، فإنه يتعالى عن ذلك.

وأَمَّا وَصفه تعالى بأنه «يحيي ويميت» معناه: المتفَرِّد بهذه الصِّفة، وفي ذلك مدحة، لأنَّه لا يقدر على فعل ذلك في الذَّوات سواه (٣).

وأَمَّا وصفه تعالى بأنه «نِعْم المولَى ونِعْم النَّصِير» فهو خارج مخرج المدح وأنَّه أكرمُ مولى، وأعزُّ ناصر (٤).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «حفيظ وحافظ» فقيل معناه: عليم وعالم، وهو المراد بقوله تعالى ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] وقيل بمعنى مانع

---

(١) «القادر» تعالى الذي لا يعجزه شيئ ولا يفوته، الذي له القدرة الشاملة، وهي صفة ذاتية لا تنفك عنه بحال. انظر النهج (٢/ ١١٢ - ١١٣).

(٢) انظر النهج (١/ ٢٦٠ - ٢٦٢).

(٣) جاءت هاتان الصفتان في عدة آيات كقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وقوله ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦] وغيرها من الآيات.

(٤) اسمه «المولى» يعني: الناصر والمعين. وكذلك «النصير» فعيل بمعنى فاعل، كقدير بمعنى قادر. انظر النهج (٢/ ٤٦ - ٤٧) وكذا (٢/ ٣٢٤ - ٣٢٥).

الآفات، ومنه قولهم: فلان يحفظ داره، أيْ: يمنع عنها، ومنه قولهم: يا حافظ السَّموات والأرضين، أي: مانع من عدمها وتغيرها، ومنه قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] (١).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه: «قَرِيب» فمعناه: غير مُمتنع على مَنْ سَأله ودَعَاه وتَـقَـرَّبَ إليـه، ومـن قـولـه تـعـالـى ﴿قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] ويحتمل أن يكون معناه: يسمع السر والجهر، فيرجع إلى معنى العلم.

وأمَّا وَصْفُه بأنه «مَجِيد» فمعناه: الرَّفيع الكريم، يقال: مجد فهوَ ماجِد، والمجد هو الجَلَالة والعَظَمَة والشَّرف(٢).

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «قويّ» فمعناه: القُدرة على الفعل والتمكن منه، وقد يُوصف الجبل والنخلة والأرض والخشبة بالقوة، ومعناه: صلابة ذلك، وقد قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] (٣).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «مجيب» معناه: المجيب لما سُئِلَ ورغب إليه، وفي هذا مِدْحة له، وأنَّه مُتَعطِّف مُتكرِّم على خَلقْه، ومنه قوله تعالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] (٤).

---

(١) انظر النهج (١/ ٢٤٠ - ٢٤٢).
(٢) «المجيد» سبحانه الممجد المحمود في صفاته وذاته. انظر النهج (١/ ٤٣٢ - ٤٣٣).
(٣) قال ابن جرير: «إن الله قوي لا يغلبه غالب». انظر النهج (٢/ ٣٦ - ٣٨).
(٤) وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).
قال السعدي: أي قريب ممن دعاه دعاء مسألة أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤاله وقبول عبادته وإثابته عليها، أجل الثواب. و«المجيب» لم نذكره في النهج، ولعلنا نضيفه بطبعة قادمة إن شاء الله تعالى.

وأما وصفه تعالى بأنَّه «**وَدُود**» فقيل: يحتمل أنْ يكون بمعنى مُحِبُّ للمؤْمنين، ومحبته لهم إرادته لمصالحهم وإكرامهم[١]، وقيل معناه: مَحْبُوب مودود عندهم، وترجع محبتهم له إلى إنعامه وكرمه إلى أفعاله؛ لأنَّه إنَّما يَصير مَودُوداً بمودَّةٍ يفعلها في خلقه.

وأمَّا وصفه تعالى بأنه «**فَعَّال**» فمعناه وجود الأفعال الكثيرة من جهته من غير تَكَلُّفٍ ولا مشقة، ومثله «وهَّاب».

وأَمَّا وَصفه تعالى بأَنَّه «**كَبير ومُتكبِّر**» فالمراد به مُتعالٍ عن شبه الخَلْق، ولحُوق النَّقائص والآفات بذاته[٢].

وكذلك وصفه بأنَّه: عَظيم وجَليل ورَفِيع ومُتَعال ومَاجِد ومَجِيد.

وأمَّا وصفه بأنه «**مَنَّان ومَان**» فمعناه: كثرة إنعامه وإحسانه وسعة جوده[٣] وعطائه، وذلك من ألفاظ المبالغة[٤]، وهذه الصِّفة في حقنا معناه: كثرة الذِكر والاعْتداد بعطائه، ومنه قوله تعالى ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] والمراد به: كثرة ذِكْرِها، والاعتداد بها.

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «**خَلَّاق وخَالِق**» فمعناه: الاخْتِرَاع والابْداع والإيجاد للأشياء بعد أنْ لم تكن، وهو المراد بقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]

---

(١) بل يجب إثبات صفة المحبة لله تعالى كما أثبتها لنفسه، دون تأويل أو تبديل.
والمعنى الثاني الذي ذكره المصنف هو قول أهل التأويل من الأشاعرة، وأشباههم فيجب الإعراض عنه. وقد ذكرنا معنى الأسم الحق، والرد على من خالف فيه، في كتابنا النهج (١/ ٤٢٠ - ٤٢٢) فراجعه إن شئت.

(٢) انظر النهج (١/ ١٥٢ - ١٥٣).

(٣) في الأصل: وسعة وجوده، علقه الناسخ.

(٤) أما اسم «المنان» فقد ورد في الحديث الصحيح. وأما «المان» فلم يثبت في الأسماء فيما نعلم. انظر النهج (٣/ ٨١ - ٨٥).

وظاهر هذا الكلام من أحمد، أن أثبت له هذه الصِّفة.

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «هَادي» معناه: فاعل في غيره ما يَصِيرُ به مهتدياً وكذلك وصفه بأنَّه مُضِل ومُوَفِق ونَاصِر وخَاذِل، معناه فاعل في غيره ما يَضل به، ويُوَفَّقُ به ويَنتَصِرُ به ويَنخَذِلُ به[١].

وأمَّا وصفه بأنَّه «فَتَّاح» معناه يفتح على الخلق أرزاقهم، ويُفَرِّجُ عنهم مضائقهم وشدائدهم، قال تعالى ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢] وقيل: فَتَّاح بمعنى حَاكم فَاصِل بين الخصوم يوم القيامة[٢].

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «قابل» معناه: مُتَعَطِّف على خلقه بقبول التَّوبة والتَّجاوز عنهم، ويتكرم عليهم وفي ذلك مِدْحة له[٣].

وأما وصفه تعالى بأنَّه «شديد» معناه: قادر لأنَّهم فيقولون: رجل شَديد، إذا كان قَوياً، وقد تستعمل الشِّدة بمعنى: الصَّلابة، فيقولون: حَجَر شَديد، وخَشَب شديد، يَعنون الصَّلابة، وذلك مستحيل وصفه به سبحانه[٤].

---

(١) «الهادي» سبحانه الذي يهدي عباده ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم ومنفعة، في دينهم ودنياهم، ويعلمهم ما لا يعلمون. انظر النهج (٢/ ٢٧٠ - ٢٧١).

(٢) للفتاح في أسماء الله معان عدة:
١- أنه الحاكم الذي يقضي بين عباده بالحق.
٢- أنه الذي يفتح لهم أبواب الرحمة والرزق وغيرهما.
٣- أنه الناصر لعباده، للمؤمن على الكافر، وللمظلوم على الظالم. انظر النهج (١/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ (غافر: ٣). وقد ذكره بعض العلماء في أسماء الله تعالى، وفي إطلاقه نظر لوروده مضافاً، والله أعلم.

(٤) ورد وصفه تعالى بذلك في آيات كقوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (البقرة: ٢٢١). وقوله ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ (الرعد: ١٣) وغيرهما. وقد ذكره بعض العلماء في الأسماء: كابن العربي والقرطبي وابن القيم وابن حجر وغيرهم.

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «**ذُو الطَّوْل**» معناه: الفَضْل، ومنه قولهم: لفلان على فلان طَوْل، أيْ تَفَضُّل، وأما وصفه بأنَّه «**رَزَّاق**» معناه: المعطي للرِّزق، والرزق حقيقة الغَذَاء والتَّربية، وقد قال تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] (١).

وأمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «**ذُو القُوَّة**» وبأنَّه «**القَوِي**» معناه: القَّادر، وتكون قوته بمعنى قُدرته، وقيل معناه: يُقَوِّي عباده، أي: يُؤتيهم قواهم.

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «**مَتِين**» فقيل المراد به: تأكيد الوصف بالقوة، والعرب تقول للشيء القوي: إنَّه مَتين، ويقولون: هذا الشيء أمْتَن من هذا يعني أنَّه أَصْلَبُ منه(٢).

وأما وصفه بأنَّه «**بَار والبَرُّ**» معناه: الرحمة والرِّزق لعباده، ومن قوله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] (٣).

وأمَّا وصفه تعالى بأنه «**مُقْتَدر وقَادِر وقَدِير**» معناه: لا يُعجزه شيء، وقيل: هو المتمكِّن من الفعل(٤).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «**باقي**» معناه الدائم، ولهذا يقال نعيمٌ باقي، وعذابٌ

---

(١) الرزاق سبحانه الذي يرزق جميع عباده. ورزقه لعباده نوعان: عام لجميع الخلق، وهو رزق الأبدان. وخاص: وهو رزق القلوب بالعلم والإيمان، للمؤمنين. انظر النهج (١/ ١٩٣ - ١٩٥)

(٢) انظر النهج (٢/ ٣٦ - ٣٩).

(٣) أما «البر» فمن أسمائه تعالى، كما في قوله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٨). وهو المحسن لعباده بأنواع الإحسان، المصلح لأحوالهم.
أما «البار» فلم يرد في النصوص الصحيحة، وإنما ورد في طريق الوليد بن مسلم وغيره الضعيفة، انظر معتقد أهل السنة في أسماء الله (ص٢٧٦).

(٤) ومعنى هذه الأسماء: أنه الذي لا يعجزه شيء كما قال المصنف، الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. انظر النهج (٢/ ١١٢ - ١١٦).

باقي، معناه: دائم، وكذلك يقال: مَرَضٌ دائم، ونعمةٌ باقية على الأعقاب، إذا كانت دائمة(١) .

وأمَّا وصفه بأنَّه «ذُو الجَلَال(٢) والإكْرَام» معناه: أنَّه أهلٌ أنْ يُجَلَّ ويكرم ويُعظَّم، كما قال ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] معناه: أهلٌ أنْ يُتَّقَى ويَغْفر(٣) .

وأَمَّا وَصْفُه تعالى بأنَّه «حَقٌّ» فيحتمل أنْ يكونَ بمعنى مُحِقٌّ ومُحَقّقٌ. فيكون بمعنى صَادِقٌ ومُخْبرٌ بالحق، فيرجع ذلك إلى أخباره وكلامه(٤) ويحتمل أنْ يكون بمعنى أنَّه ثابت موجود غير معدوم، ومنه قول ﷺ «السِّحْر حَقٌّ، والعَيْنُ حَقٌّ»(٥) يُراد بذك أنَّه ثابت كائن، وإنْ كان باطلًا.

وقيل معناه: النِّهاية في الصفة، وأنَّه نهاية في الآمال والثَّناء، ومنه قوله ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] وقوله ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٤].

وأما وصفه بأنه «ظَاهِر» معناه: الظَّاهِر على الأمور، والغَالب عليها، والقاهر لها، مأخوذٌ من قولهم: ظَهَرَ فلانٌ على فلان، إذا قهره بالحجة.

وقيل: معناه مُظْهِرٌ للدِّلالاتِ على وجوده، وإقامة البراهين على ما

---

(١) «الباقي» لم يرد بصورة الاسم، إنما أخذ الاشتقاق من قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧). ومع ذلك فقد ذكره جمع في الأسماء كالخطابي والحليمي والبيهقي وابن العربي والقرطبي وغيرهم.

(٢) في الأصل: ذا الجلال، علقه الناسخ.

(٣) هو قول الزجاج والخطابي والحليمي وغيرهم، ومن معانيه أيضاً: انه يجل ويكرم أهل ولايته ويرفع درجاتهم. انظر النهج (٢/ ٢٢٢- ٢٢٤).

(٤) انظر هذه الأقوال في النهج (٢/٨-١١).

(٥) حديث «العين حق» رواه البخاري (١٠/ ٢٠٣) ومسلم (٤/ ١٧١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يستحق من صفاته[١].

وأمَّا وصفه بأنَّه «**باطن**» معناه العالم بما بَطَنَ وخَفِي، وقيل: المُحْتَجب عن خلقه بما مَنَعهم مِن رؤيته.

وأمَّا وصفه بأنَّه «**قُدُّوسٌ**» فمعناه النَّزاهة والطَّهارة، ومنه قيل: الأرض[٢] المُقَدَّسة، المراد به المُطَهَّرة بالتَّنزيل، ومنه: حَظيرة القُدس، قيل هي: الجنَّة، لأنَّها مَوضع الطَّهارة من الأدْنَاس التي تكون في الدُّنيا من الغائط والبول وأَشْباه ذلك[٣].

قال رُؤْبة بن العجاج:

دَعَوْتُ رَبَّ العِزَّةِ القُدُّوسَا ... دُعَا مَنْ لا يَقْرَعُ النَّاقُوسَا

وأمَّا وصفه «**بالسَّلام**» فالسَّلام اسم من أسمائه.

قال أحمد في رواية أبي داود وقد سأله: يَمُرُّ بالقوم وهم يَتَقَاذَفُون، أُسَلِّم عليهم؟ فقال: هؤلاء قومٌ سُفَهاء، والسَّلام اسم من أسماء الله جلَّ وعزَّ، وقال له: أسَلِّم على المُخَنَّث؟ فقال: لا أَدْري، السَّلام اسم من أسماء الله.

فقد نصَّ على أنَّه من أسمائه.

وقيل: معناه راجع إلى السَّلامة مما يَلْحَق الخَلْقَ من العَيبِ والنَّقص والفَنَاء والموت، وقيل معناه: هو الذي يُسلِّم عليه أَولياؤه بأنْ يُنَجِّيهم من عَذَابه، ويوصلهم إلى ثوابه[٤].

---

(١) أبرز معاني «الظاهر»: أنه العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه، كما فسره بذلك رسول ﷺ انظر النهج (٢/١٤٢ - ١٤٣).

(٢) في الأصل: للأرض المقدسه، وهو خطأ.

(٣) انظر النهج (١/١١٠ - ١١١).

(٤) انظر هذه الأقوال كلها في كتابنا: النهج (١/١١٦ - ١١٧).

وأمَّا وَصْفُه «**بالمؤمن**» فمعناه: مُصَدِّقٌ ما وعده ومُحَقِّقُه، أو قَابل إيمانه، لأنَّ الإيمانَ في اللغة: هو التَّصديق، وقد يكون المؤمن من الأمان، أي لا يأمن إلا ما أمنه.

وقيل: معناه مُصَدِّقٌ لنفسه ورسوله بقوله ووصفه لنفسه بأنَّه صادق، وذلك يرجع إلى كلامه[١].

وأمَّا وصفه تعالى بأنه «**المهيمن**» فمعناه: شاهدٌ على الخلق، لأنَّ المهيمن هو الشاهد على الشيء، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي شاهد عليه.

فإن أرِيدَ بشهادته رؤيته لأفعالهم، ففيه بُعْد، لأن المشاهدة لا توصف بأنَّها شهادة، وإنْ أُرِيدَ بالشَّهادة الإخبار عَمَّا كانَ وَوَقَعَ من الأفعال والأمورِ المشهود بها، كان بمعنى الخبرة.

وقيل معناه: أميناً عليهم، وقيل: معناه رَقيباً حَافِظاً[٢].

وأمَّا وَصْفُه تعالى «**بالعَزِيز**» فقيل: معناه قادر وممتنع، وقد يكون بمعنى أن غالب في صفاته، وقد يكون بمعنى أنه يَعزُّ عن شَبَه الَخلْق، ويعز عن كون ما يكرهه في سلطانه، ويعز عن النَّقائص والآفات، وإذا قيل: جَبَل عزيز، فإنَّما يُراد به العالي الممتنع بعلوه[٣].

وأَمَّا وصفه تعالى «**بالجَبَّار**» فقيل معناه: مُتجبر ومتكبر وعظيم، وقيل: يحتمل الإجبار للمخلوق على ما أرادَ منه، وإلجاءه إليه وإكراهه عليه،

(١) انظر النهج (١/ ١٢٤ - ١٢٥).
(٢) قد ذكرت جميع الأقوال في معناه في النهج (١/ ١٣٠ - ١٣٢).
(٣) النهج (١/ ١٣٦ - ١٣٨).

وهذا بعيد، لأنَّ الجبار غير الإجْبَار(١).

وقد أنكر أحمد القول بأنَّ الله أَجْبَرَ العِبَاد على الطاعات.

وقيل: الجبار مَأخوذ من الجبر، والجبر هو الإصلاح لأمر نفسه أو أمر غيره، وهذه صِفَتُه سبحانه.

وأما وَصْفُه سبحانه بأنَّه «مُتَكَبِّر» معناه عن النَّقائصِ التي تعود لخلقه، وعن التَّشبه والمقايسة بهم، وقيل معناه: ملك(٢).

وأَمَّا وصفه تعالى بأنَّه «بَارِئ» فمعناه: الخالق، يُقال بَرَأَ الله الخلق يبرئهم، والبَرِيَّة الخلق(٣) ومثل البارئ «الذارئ» وهو الخالق يقال: ذَرَأَ اللهُ الخلق، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أي: خلقنا والذُّرِّية منه بأنَّها خَلْق لله وقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ٧٩] وأما وصفه تعالى بأنه مُصَوِّرٌ، فمعناه خَالِقٌ، ومنه قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] (٤)، والمراد به أحسن المصورين تصويراً أو تقديراً، وليس المراد به أحسن المحدثين إحداثاً وإيجاداً، لأنَّ الحدوث والوجود في كلِّ حادثٍ موجود على صفةٍ واحدةٍ غير مختلفة، «وأحسن» حرف مُبالغة، وإنَّما يدخل ذلك فيما اختلفت صفته، وتَفَاضَلت وتزايدت، وذلك محله في صفة الحدوث والوجود(٥).

---

(١) انظر معاني الجبار في النهج (١/ ١٤٥).

(٢) انظر النهج (١/ ١٥٢ - ١٥٣).

(٣) النهج (١/ ١٦٦).

(٤) «المصور» الذي عدل خلقه إلى الأشكال التي تناسبهم، والهيئات التي تتوافق ومصالحهم. وقيل: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة. النهج (١/ ١٦٧ - ١٦٩).

(٥) قال الحافظ ابن كثير (٣/ ٢١٣) قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ يعني: حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة، من حال، الى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى =

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «مُبْدِئ» فمعناه: الخلق، وتقديره مُبْدئ خلق الأشياء ومخترعها. وأما وصفه تعالى بأنَّه «مُعِيدٌ» فمعناه: مُعيد الأَشْيَاء بعد عَدَمِها، ومنه قوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥] (١).

وأمَّا وَصْفه تعالى بأنَّه «صَمَدٌ» فالمراد به السَّيِّد، ومنه قولهم: أَنْتَ السَّيد الصمد.

ويقال: إنه صمد، بمعنى أنَّه مَصْمُود إليه في النَّوازل والحوائج، فيكون صَمَداً في اللجأ إليه، بمعنى مصمود إليه.

وقيل: معنى «الصمد» أنه ليس بذي جوف يطعم (٢).

وأمَّا وصفه تعالى بأنه «أَوَّلٌ» معناه لم يكن قبله شيءٌ من خَلقه، وأنَّه كان قبل كل شيء من خلقه.

و «الآخِر» معناه: لا يبقى غيره، وأنَّه لا نهاية له ولا غاية، وأنَّه بعد كل شيء (٣).

وللجهمية سُؤَالٌ على هذا، وأنَّه لما كان معناه بعد كل شيء، دَلَّ على فناء النَّار والجنَّة، لأنَّه لا يكون معه شيء موجود!

= ماصارت إليه، من الإنسان السوي الكامل الخلق، قال ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.
وقال السعدي: فخلقه كله حسن، والإنسان أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق كما قال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ولهذا كان خواصه، أفضل المخلوقات وأكملها.

(١) هي من الصفات وليست من الأسماء.

(٢) انظر النهج (٢/ ٩٥-٩٩) وقد استقصينا جميع ما قيل في معاني «الصمد».

(٣) وقد فسر ﷺ هذا الإسم والأسماء الثلاثة التي تليه بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شي، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» رواه مسلم في الذكر (٤/ ٢٠٨٤). وانظر النهج (٢/ ١٣٣) وما بعدها.

وهذا لا يصح، لأنَّ معنى وصفه بالآخر: أنَّه الباقي الدائم الوجود(١).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «مُجِيبٌ» معناه دعوة الداعي إذا دعاه(٢).

وأما وصفه تعالى بأنَّه «قَاهِرٌ» فمعناه الغالب لجميع الأشياء عن مُرادها، وقد يكون بمعنى قَادر وقدير، وفي معناه غَالب وغلاب، يرجع الى معنى قاهر وقادر(٣).

وأَمَّا وصفه تعالى بأنَّه «فَاصِل» فمعناه: يحكم ويَقضي بين عباده ما كانوا فيه يختلفون، لأنه عالم بسرِّهم وجهرهم(٤).

وأمَّا وصفه تعالى بانَّه «فالِقٌ» قيل معناه: خالق، وقيل معناه: خالقُ الفَلَق، وهو دَرَكَة في جهنَّم، قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١] وقال تعالى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الانعام: ٩٦]، وقال ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الانعام: ٩٥] (٥).

---

(١) ومذهب أهل السنة والجماعة دوام الجنة والنار بنص القرآن الكريم المصرح ببقائهما أبداً في عدة آيات، وكذا في السنة المطهرة. وبقاؤهما إنما هو بابقاء الله لهما. وانظر شرحنا على الطحاوية (ص٥٢٩) وما بعدهما.

(٢) ورد هذا الاسم «المجيب» في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [الآية: ٦١] من سورة هود. كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(٣) انظر النهج (١/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٤) ورد في الكتاب العزيز في قوله سبحانه ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وهو من الأسماء المضافة، وقد ذكره الأصبهاني وابن العربي والشرباصي في الأسماء الحسنى.

(٥) هما من الأسماء المضافة.

أما الأول فقد ذكره بعض العلماء في الأسماء كالقرطبي وابن الوزير والشرباصي.

وأما «فالق الحب والنوى» فقد ذكره الحليمي والبيهقي والقرطبي والشرباصي وغيرهم.

وأَما وصفه تعالى بأنَّه «**رفيع**» معناه: الرفيع فوق كلَّ شيءٍ، وقيل معناه: الرفيع عن الأدْناس والعيوب(١).

وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه «**مَاجِدٌ ومَجيدٌ**» معناه: أهل الثَّناء والشَّرف والمجد، اسم يقع على صفة شيءٍ بها(٢).

وأمَّا وصفه تعالى بأنه «**جواد**» معناه مأخوذٌ من كَثْرة الجُود، الذي هو العطاء والإفضال والإحسان، وقيل معناه: القادر على فعل الجود وبذل الإنعام، لا يَصْعبُ عليه العطاء، ولهذا يقال: فلان جواد، وإنْ لم يكن ذا مالٍ، إذا كان سَمْحاً لا يتعاظمة العطاء إذا قدر عليه(٣).

وأما وصفه تعالى بأنه «**مُدَبِّرٌ**» معناه: مدبر لأفعاله، ومعنى تدبيرها: إحكامها وتقديرها، ولا يجوز أن تكون هي الإرادة، لأنَّه يُفضي إلى أنْ يكون مُريداً في القدم فعلًا قبل وجوده(٤).

---

(١) استدلوا له بقوله تعالى ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥].
ذكره ابن العربي وغيره.

(٢) أما «الماجد» فقد ورد في حديث الإمام أحمد (٥/ ١٥٤، ١٧٧)، والترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجة (٤٣١١) وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.
وأما «المجيد» فقد ورد في آيتين من القرآن قوله ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]. وقوله ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٥].

(٣) ذكر هذا الاسم الحليمي والبيهقي وابن العربي والقرطبي وابن القيم والسعدي وابن عثيمين وغيرهم. ودليله: الحديث السابق، وفيه ضعف كما سبق. وحديث: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يجب الجود» رواه الترمذي (٢٧٩٩). وفيه: خالد ابن إياس، متروك الحديث. وله طريق آخر: عند أبي نعيم في الحلية (٥/ ٢٩) عن ابن عباس مرفوعاً: «إن الله عز وجل جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويبغض سفسافها» وفيه أبوعصمة نوح بن أبي مريم كذاب.

(٤) «المدبر» أخذه بعض العلماء من قوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥] وغيرها. وقد ذكره في الأسماء: الخطابي والحليمي والبيهقي وابن العربي، والراجح عدم ثبوته.

وأمَّا وصفه تعالى بأنه «**أَحْكَمُ الحَاكِمين**» فمعناه: الذي إذا حكَم نَفَذَ حكمة، وإذا قضى لزم قضاؤه ووجبت حجته، وقيل: الحكم بمعنى الخبر فيرجع إلى الكلام، وكلامه صِفَة ذات قديمة. وقيل الحكم هو: المنع، ومعناه مانع الخصوم عن الظلم، ومنه حَكَمَةَ اللجام، وهي ما أحاط بالحنكين، وهي المانعة له، وأحكم مبالغة في الصفة، لأنه عالم بمواقع الأفعال[1].

وفي معناه وصفه بأنَّه «**قاض**» ويقضي بالحق، وقَضَى، وقد قال تعالى ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] أي: أعلمناهم وأخبرناهم، وقد يكون بمعنى الأمر، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أَمَرَ، وكذلك قوله ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] أي: يحكم ويأمر بالحق[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) أخذه العلماء من قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]. وهو من الأسماء المضافة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين، وليس من هذه التسعة والتسعين» مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥). وانظر كتابنا: النهج (١/ ٢٤١) وما بعدها.

(٢) «القاضي» استدلوا له بما ذكر المصنف من الآيات، وكلها وردت فعلًا، ولا يصح إطلاق الاسم منها وذكره في الأسماء: الحليمي والبيهقي وابن العربي والقرطبي وغيرهم. انظر «معتقد أهل السنة» (ص٢٩٨) للتميمي.

فَصْلٌ

٣٠٠- قال أحمد رحمة الله عليه، في رواية أبي بكر المروذي: نحن نصف الله تعالى كما وصف نفسه، وبما وَصَفَه رسوله، ولا نتعدي القرآن والحديث، كما قال.

وظاهر كلام أحمد، ألا يُسمى الله سبحانه ويُوصف الا بما سَمَّى به نفسه، أو سماه رسوله، أو اتفق المسلمون عليه، لأنّنا قد وجدنا أنَّ السَّمع قد ورد بإطلاقِ أسماء وصفات، يُحيل العقل معانيها في اللغة، نحو تسميته «نور» بقوله ﴿اللَّهُ نُورُ﴾ [النور: ٣٥]، ووصفه نفسه بأنَّه: مُؤْذَى، بقوله ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وبأنه مُحَارَبٌ، بقوله ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣]، وقول ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة ٢٧٩]، وسَاخِر، بقوله ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وماكر ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤][1].

ووكيل﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ومُسْتَهزِئ، بقوله ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، وكَاتِباً، بقوله ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الانبياء: ١٠٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وباني، بقوله ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذرايات: ٤٧] ولطيف، بقوله ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ورحيم، بقوله ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢]، وحكيم وعزيز، بقوله ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وسخي، ومنعت الأمة من تسميته بأشياء لا يُحيلها العقل نحو تسميته: فقيهاً وعاملًا وفَاضلا وعَتيقاً وفطناً وفهماً

(١) نبه العلماء إلى أنه لا يجوز أن يشتق له أسماء من الأفعال التي وردت في القرآن والسنة مقيدة كقوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ كما غلط فيه بعض المتأخرين، لأن هذه الأفعال وردت في النصوص مقيدة فلا يصح اشتقاق أسماء منها على وجه الإطلاق. انظر النهج (١/ ٤٦ - ٤٧).

ومتحققاً وذكياً وموقراً ومتيقّناً وطبيباً[١].

فأمّا القسم الأول: فإنّه تستحيل معانية عليه، وانْ كان الشَّرعُ وَرَدَ بإطلاقه، لأنَّ «النُّور» أمّا أنْ يكون جسماً مُضيئاً أو شُعَاعاً وضيئاً لبعض الأجْسام، وذلك يستحيل عليه، فكان معناه عند بعضهم: مُنوِّرُ السَّموات والأرض، ومُنوِّر قلوب عباده الذين في السَّمَواتَ والأرض، على ما تقدم بيانه[٢].

وكذلك قوله ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] كلُّ ذلك ليس من أسمائه، وإنما ورد على طرق الجزاء على مكرهم، واستهزائهم بالمؤمنين.

وكذلك قوله ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] وقوله ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] لأنَّه يمتنع إطلاق وصفه بأنَّه: باني وكاتب، وإنْ كان ذلك مطلقاً في القرآن، ولهذا لم يصفه ﷺ بذلك في الأسماء التي وصفه بها.

وكذلك يستحيل وصفه بالوكيل واللطيف والحكيم والعزيز والرحيم! وإنْ كَانَت هذه من جملة أسمائه التي ذكرها ﷺ، لأنَّ الوكيل هو الُمستَنَابُ المتصرِّفُ بتصريف الغَير، والله يتعالى عن ذلك، واللطيف في أصل الوَضع يفيد التَّصغير والتحقير، والحكيم مَأْخُوذٌ من حَكمة اللجام، لكونها مانعة من سير البهيمة إلا على قصد الرَّاكب، والعزيز هو الصَّلب، ومن قولهم أَرْضٌ عَزَاْز وعَزيزة يعنون صَلبة، والسَّخاوة هي الرَّخَاوة، ومن قولهم أرضٌ سَخية، يعنون رخوة، والرحيم مأخوذٌ من «الرَّحمة» وهي الرِّقَّة والهوادة،

---

(١) قد ذكر أهل العلم أن باب الأسماء والصفات لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، وإن تقارب في اللغة. انظر النهج (١/ ٤٣ - ٤٦).

(٢) انظر التعليق المتقدم في (ص ١٣٦-١٣٧).

وذلك ممتنعٌ عليه سبحانه، لكن الشَّرع قد وَرَدَ بإطلاق ذلك عليه[١].

وأمَّا القسم الثاني: من امتناع وصفه به وإنْ ثَبَتَتْ[٢] مَعَانيه نحو فقيه وعَاقِل وفَطِن وذَكي وفَهِم ومُتحقق، لأنَّ جَميع ذلك معناه: أنَّه عالم لا يَنسى، وفَاضل معناه: أنَّه ذُو فضل في علمه وقُدرته وتدبيره وحكمته، وكذلك «مُوَقَّر» معناه معنى فاضل، وكذلك «عَتيق» معناه: القِدَم وهو موصوف بالقدم، وكذلك «طبيب» معناه عالم ولهذا يقال: فلان طبيب بهذا الأمر، أيْ عالم[٣].

وإنَّما أمتنع من تسميته بذلك لمنع الشَّرع ولمعانٍ[٤] أُخَر، هو أنَّ الفِقْه هو علم العالم بما لم يكن عالماً به من قبل، ولذلك يُقال: فَقِه الشيء، إذا علم عِلمْه بعد أنْ لم يكن عالماً به.

والعقل يُفيد العلم المانع للنَّفس من مُوَاقَعة ما تدعوا إليه من فعل القبيح، والله سبحانه ليس بذي طَبْعٍ، ولا داعٍ إلى فعل يمنعه العلم بقبحه عن فعله.

والفِطْنَة تنبيه على علم ما لم يكن مَعلوماً، وسُرْعَة أَخْذِ العِلم لما لم يكن الأَخْذ[٥] عالماً به، وذلك مستحيل في صفته.

---

(١) أي: من المعلوم أن الله تعالى يثبت له من الصفة أعلاها وأكملها وأليقها به سبحانه وتعالى، وينفى عنه ما لا يليق بكماله وجماله.

(٢) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

(٣) روى الإمام أبوداود في الترجل (٤٢٠٧) عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة في هذا الخبر قال: فقال له أبي: أرني هذا الذي بظهرك، فإني رجل طبيب، قال: «الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها».
قال الحليمي: فأما صفة تسمية الله تعالى به فهو إن ذكر في حال الاستشفاء، مثل أن تقول: اللهم أنت المصح الممرض والمداوي الطبيب ونحو ذلك، فأما أن تقول: يا طبيب كما تقول: يارحيم أو يا كريم، فإن ذلك مفارقة لأدب الدعاء، والله أعلم» (المنهاج ١/ ٢٠٩). وقد ذكره في الأسماء أيضاً: البيهقي وابن العربي والقرطبي وغيرهم.

(٤) في الأصل: ولمعاني، وهو خطأ، نبه عليه الناسخ.

(٥) في الأصل: لما لم يكن الآخذ لم عالماً، ولم زائدة لا معنى لها.

وكذلك «**الذكاء**» هو سُرعة الأخذ والاستدراك، وجودة الطبع في أَخْذِ العلم ما لم يكن مَعلوماً مِنْ قبل، وذلك ممتنع عليه.

وكذلك «**الفَهم**» هو: حُصول العِلم بما لم يكن معلوماً.

وكذلك التحقق لأنَّه: حُصول العلم بعد الجهل والشَّك والظَّن والارتياب، وذلك مُحال عليه.

وكذلك لا يوصف بأنَّه «**متيقن**» لأنَّ التَّيقن واليقين: هو العِلم الحاصل بعد الجهل وزوال الشَّك.

ويجوز وصفه «**بالحَافِظ**» لورود الشَّرع بقوله ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ [يوسف: ٦٤] ولأنَّ معناه: الحراسة والدفاع عن المحفوظ.

فأمَّا وصفه بأنَّه «**حَفِظَ**» فقد قيل: إنَّه لا يجوز، لأنه إنما تجري هذه التَّسمية عليه إذا احتاج مع حصوله إلى دِرَاسةِ المعلوم[١].

ولا يجوز وصفه بأنَّه «**فاضل**» لعدم الشَّرع في ذلك، ولأنَّ الفضل يفيد منع النفس من موافقة ما تدعو إليه من القبيح.

وكذلك «**المُوَقَّر**» فلهذا امتنع من وصفه بذلك، كما امتنع من وصفه بالعقل.

وكذلك «**عتيق**» لامتناع ورُود الشرع، به ولأنَّه قد قيل إنَّه قد يستعمل فيما تقدم وجوده مع تأثير الزَّمَانِ في صفته وجِدَته، بدلالة قولهم: تَمْرٌ عَتيق، وبناء عتيق إذَا أَثَّر فيه الزَّمان، وذلك ممتنع في البارئ سبحانه[٢].

وكذلك لا يجوز وصفه بأنَّه «**عادي**» لعدم ورود الشرع، ولأنهم يُضيفون

---

(١) ليس هذا القول بصحيح! فقد ورد في الحديث صيغة الفعل في قوله ﷺ «احفظ الله يحفظك» رواه أحمد والترمذي، وانظر النهج (١/ ٣٤٦).

(٢) لم تثبت هذه الأسماء، ولم أر من ذكرها.

ذلك إلى: زمن عاد، وذلك يُوجب حُدُوثه.

وكذلك لا يوصف بأنه «طَيِّبٌ» لامتناع وُرُود الشَّرع، ولأنَّ ذلك إنَّما يُستعمل فيما يُذَاق ويُشَمُّ(١).

ويجوز وصفه بأنَّه موجود، لقوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: ٣٩] وكذلك يوصف بأنه «شيء» لقوله تعالى ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ﴾ [الأنعام: ١٩] ولأن هذه «تسمية» مجمع عليها، لأنه قد ثَبَتَ أنَّه مَعلومٌ لنَفْسه ولخلقه(٢).

وكذلك يجوز وصفه بأنَّه نَفْسٌ وذَاتٌ وعَيْنٌ، إذَا عُني به أنَّه شيء، ولم يرد به تفسير الجارحة(٣).

ويجوز وصفه بأنَّه «كائن» إذَا أُريد به الوجود دُون الحُدُوث.

وقد أَطْلَقَ أَحمد القول بذلك فقال في رواية حَنْبل: كان اللهُ قبل أنْ يكون شَيءٌ، واتَّبع في ذلك قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]

---

(١) بل قد ورد في السنة الصحيحة تسمية الله تعالى بهذا الاسم، فيما رواه مسلم في صحيحه في الزكاة (٢/ ٧٠٣) عن أبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً...» وهو بمعني القدوس والسلام انظر النهج (٣/ ٢٧) وما بعدها.

(٢) وقد بوب البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه (١٣ / ٤٠٢) باب: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ قال: سمى الله تعالى نفسه شيئاً، وسمى ﷺ القرآن شيئاً وهو صفه من صفات الله، وقال ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

(٣) أما صفة «النفس» فقد رودت في آيات وأحاديث قال البخاري في التوحيد (١٣ / ٣٨٣): باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، وقوله جلّ ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾. وروي بسنده: عن أبي هريرة مرفوعاً: «لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش - إنَّ رحمتى تغلب غضبي»

وأما صفة «الذات» فقال البخاري أيضاً (١٣ / ٣٨١): باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل، وقال خبيب «وذلك في ذات الإلة» فذكر الذات باسمه تعالى، ثم روى حديثه بسنده.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ويجوز وصفه بأنه: قديم وباق، وإنْ لم يَرد فيه سمع، لحصول الإجماع على ذلك[١].

ويجوز وصفه بأنه «مستطيع» لأنَّ معنى الاستطاعة معنى القُدْرة، وكذلك يصفون كل قادر بأنَّه مستطيع، وقد قالَ سبحانه مُخْبراً عن أُمة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّهم قالوا ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، معناه: هل يَقْدر رَبك، ولم يكن لِسَانُ القوم عربياً[٢].

ولا يجوز وصفه بأنَّه «مُطِيقٌ» لأنَّ معنى الطَّاقه بَذْلُ الوسع والجهد، وكذلك يقول القائل: هذا قدر طاقتة، وذلك لا يجوز إلا على مُتَناهي المقدور[٣].

ويجوز وصفه بأنَّه «سَيِّدٌ» لأنَّه يراد به العَظيم المنزلة، وقد وصف نفسه بالصَّمد، ومعناه ذلك وقد ذكرنا فيما تقدم.

ويجوز وصفه بأنَّه عارف، ومتبين، وواثق بالمعلوم ودَرَي وداري! لأنَّ جميع ذلك يرجع إلى معنى القول بأنه عالم، ولم يمنع منه سَمْعٌ ولا غيره، وقد قال الشَّاعر:

اللَّهمَّ لَا أَدْري وأَنْتَ الدَّاري[٤].

ويجوز وصفه بأنَّه «رائي» فيما لم يزل، ومعناه: مُدرك المرئيات، وقيل معناه: عالم فيما لم يزل.

---

(١) انظر الكلام على «القديم» في الجزء الأول (ص).

(٢) روى ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾.
قال: هل يطيعك ربك، ونحوه عن السدي عند ابن جرير. انظر الدر المنثور (٥ / ٥٩٣).

(٣) ولم يرد ما يدل على وصف الله تعالى بذلك، من الكتاب أو السنة.

(٤) قد ورد في الحديث: «تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة» رواه أحمد والترمذي وغيرهما، انظر تخريجه في النهج (١/ ٣٤٦).

ويجوز وصفه بأنَّه «**مُطَّلعٌ**» على خلقه وعباده بمعنى أنَّه عالم، ومنه قولهم: المطلع على السَّرائر العالم بها.

ويجوز وصفه بأنَّه «**وَاجِدٌ**» على معنى أنَّه عالم، ومنه قوله ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: ٣٩] أي: علمه، وقال الشاعر:

وَجَدتُ اللهَ قَدْ سَمَّى نِزَاراً ... وأسكنهم بمكَّة قاطِنينا

أي: علمت ذلك.

ويجوز وصفه بأنَّه «**جَمِيلٌ**» و «**مجمل**» على معنى مجمل في الصُّنْع الى خلقه، ومبتدئ لهم بالإحسان، وتَوَاصل الإنْعام، وقد يكون على الرفعة، وكمال الصِّفات، والنَّزاهة عن النقائص، وقد قال ﷺ: «**رَأَيْتُ ربِّي في أحسن صُورة**» وقد تقدم الكلام في ذلك في أول الكتاب.

ويجوز وصفه بأنَّه «**دَيَّانٌ**»(١) وهو على وجهين: أحدهما: أنْ يُراد به دَيَّنَ عباده بما شَرعَه لهم ودعاهم إليه، وفرضه عليهم.

والثاني: أنْ يُراد به المُجازي لعباده على أفعالهم، كما يُقال: كما تَدِينُ تُدَان، وكما تفعل يفعل بك، يُريد به الجزاء، ومنه قوله ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٣]، يعني: يوم الحساب.

ويجوز وصفه بأنَّه «**مُقِّدر**» وهو على وجهين:

أحدهما: بمعنى مخبر ومعلم، ومنه قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧]، أي أخبرنا بذلك وحكمنا به.

---

(١) ورد هذا الاسم «الديان» في حديث عبدالله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهماً، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان..» رواه أحمد (٣/ ٤٩٥) وابن أبي عاصم في السنة (٥١٤) والحاكم (٤/ ٥٧٤) وصححه ووافقه الذهبي والألباني. وقد أخرجه البخاري تعليقاً في التوحيد (١٣/ ٤٥٣).

الثاني: معناه التَّقْدير للشيء وجعله على مقدار، ومنه قول تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وقوله ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] (١).

ولا يجوز وَصْفُه بأنّه مقدر للشيء بمعنى الظن والشك، كقوله القَائل: قدَّرت زَيداً عبدي، أي ظننت وحسبت، يتعالى عن ذلك.

ويوصف سبحانه بأنَّه «موجود» فيجوز أنْ يعني به أنه موجود لنفسه، ويجوز أنْ يعني به وجود غير به، وهو علم غيره به(٢) ورؤيته له.

ويجوز وصفه بأنه «نَاظِرٌ» على معنى رائي مُدْرك للمرئيات، وعلى معنى ناظر لخلقه بمعني مُنْعِم مُتَفَضِّل عليهم، وراحم لهم، ومتعطف عليهم(٣).

ولا يجوز حمله على أنّه بمعنى: مروي ومُفكر، لأنَّ ذلك لا يجوز عليه.

ويجوز وصفه بأنَّه «شَفِيق»(٤) على معنى الرأفة والرحمة، ولا يجوز حمله على الخَوف والحزن من نزول ضرر.

وكذلك وصفه تعالى بأنَّه «رَفِيقٌ» إذَا عُنِي به الرحمة للعباد، والتَّعطف عليهم(٥)، وكذلك عطوف وعاطف.

---

(١) انظر النهج (٢/ ١١٢ - ١١٥)

(٢) كذا في الأصل!

(٣) الفعل (نظر) له عدة استعمالات في اللغة، حسب تعديه بنفسه أو بحرف الجر، فإن عدي بنفسه، كان بمعنى التوقف والانتظار، كقوله تعالى ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] أي انتظرونا.
وإنْ عُدي بحرف (في) فمعناه النظر والاعتبار، كقوله تعالى ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
وإن عدي بحرف (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

(٤) وصفه تعالى بأنه «شفيق» لا أعلم له دليلًا من الكتاب أو السنة الصحيحة.

(٥) ثبت أن من أسمائه تعالى «الرفيق» كما في صحيح مسلم، انظر النهج (٣/ ٨).

وأنْ عُنِيَ التَّثبت في الأمور والتعجب والاحتمال في إصْلاحها، والسَّلامة من عَوَاقبها، لم يجز.

ويجوز وصفه بأنَّه «سَخِي» على معنى التَّفضل والإحسان، والكرم والعطاء والجود(١).

ولا يجوز أن يُقصد به اللين والرخاوة وما يعني به أَرْض سخية، وقرطاس سَخَاوِي.

ويجوز وصفه بأنَّه: آمِرٌ ونَاهٍ، ومُبيح وحَاظِر، ومُحَلِّل ومُحَرِّم، وفَارِض ومُلْزِم ومُوجب ونَادِب ومُرْشِد، وقَاض وحَاكم، إذا عُني بالقضاء والحكم: الأمر والإيجاب، نحو قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي أمر وألزم، وكذلك قول ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ [المائدة: ٤٥](٢).

وكذلك يُوصف بأنَّه: وَاعِدٌ ومُتَواعِدٌ، ومُخَوفٌ ومُحَذِّرٌ، وذامٌّ ومَادِح، ومُخَاطِبٌ ومُتَكَلِّمٌ، وقَائِل، إلى أمثال ذلك، العائد جميعها إلى أنَّه مُتكلِّم، لأنَّ الإيجابَ والفرض، والندب والأمر والنهي، راجع الى كونه مُتكلماً.

ويجوز وصفه تعالى بأنَّه مُعْدِمٌ وأنَّه يعَدم، ويفيد نفي فعل من أفعاله، وهو عدم الثواب والعقاب بمعنى أنَّه لم يفعل ذلك ولم يوجده، ويوصف بأنَّه معدمٌ لما أَوجده بعد إيجاده، ومعناه: أنه لم يَخلق له البَقاء بعدمٍ عند قطع بقائه، الذي كان يصح خلقه له.

(١) لم يثبت وصفه تعالى بالسخي، إنما الذي يثبت وصفه بالكريم. انظر النهج (١/ ٣٧٥ - ٣٧٧)

(٢) هذه أخبار يجوز الإخبار بها عن الله تعالى، وباب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، كما سبق، وانظر النهج (١ / ٤٢ - ٤٣).

ويجوز وصفه بأنه لم يزل معدماً، على معنى لم يزل موجداً لفنائه، والحَشْر والنشر، كما أنَّه اليوم غير موجد لذلك، فأما أنْ يُوصف بأنَّه لم يزل مُعْدِماً للشيء بعد وجوده فلا يجوز، لأنَّه يقتضي أنْ يكون المعدوم موجوداً قبل عَدَمِه، وهذا لا يجوز(١).

ويجوز وصفه بأنَّه «**فاعل**» وحقيقة ذلك أنَّه مخترع لذاتِ ما فعله بقدرته، وجاعل له نَفْساً وذَاتاً بعد أنْ لم يكن كذلك، لأنَّه قد ثبت وجود حدوث ذوات الحوادث وتعلّقها بمحدثٍ أحدثها، فيجب أنْ يوصف الله تعالى بأنَّه فاعل على وجه الاستحقاق(٢).

ولا يجوز وصفه بالمباشرة والتَّوَلُّد، لأنَّ المباشرة في الحقيقة تَلَاقي الأجسام ومُمَاستها(٣) ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ولا نصفه بالتَّولد، لأن معنى التولد أنَّه فعلٌ واقع عن سببٍ أوجبه وولَّده، وهذا القسم لا أصل له عندنا في أفعال الله(٤) ولا في أكساب الخلق، لما تذكره من الأدلة على إبطالِ القول بالتَّولد،

(١) هذه من المسائل الدقيقة، وهي متعلقة بمسألة الحوادث التي لا أول لها. وانظر شيئاً من الكلام عليها في: درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٣٤) وما بعدها.

(٢) جاء وصف الله تعالى بالفعال في قوله سبحانه ﴿فَعَّالٌ . يُرِيدُ﴾ (البروج: ١٦). وذكره الحليمي والبيهقي والقرطبي والسعدي وغيرهم في الأسماء

(٣) في الأصل: مماستها، وهو خطأ.

(٤) التولّد لا يكون إلا من أصلين، كما قال تعالى ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].
فبين سبحانه بطلان كون الولد له من غير صاحبة، وليس في الموجودات ما يكون وحده مولداً الشيئ، بل خلق الله تعالى من كل شيء زوجين، وهو سبحانه الواحد الأحد الذي لا زوج له. انظر درء تعارض العقل (٧ / ٣٦٩ - ٣٧٤) وقد سبق الكلام على المماسة والمباشرة في الجزء الأول (ص ٢٠٦ - ٢٠٨).

فكانت الأفعال مقسمة قسمين:

أحدهما: هو الكسب الموجود بذات القادر عليه، وهو الموصوف بأنَّه مباشر، وهو جميع أكساب الخلق.

والثاني: لا يُوصف بذلك وهو الموجود لا في ذات فاعله، وهو جميع أفعال الله تعالى، لا ثالث لهذين القسمين.

ويجوز أنْ يُوصف تعالى بأنَّه «تَارِكٌ» في الحقيقة، كما يوصف بأنه فاعل، ومعنى ذلك أنَّه فاعل لِضِّد فعل آخر يقدر على فعله بدلًا منه، وليس معنى ترك التارك للعقل كفّ نفسه ومنعها مما تدعو إلى فعله، ولا هو مقصور على أفعال القُلُوب، فجاز وصفه سبحانه بذلك[1].

ويجوز وصفه بأنَّه «مُوجِدٌ» لأنَّ ذلك يفيد وجود ذَاتِ الفعل بقدرته، ويوصف بأنَّه معدم على معنى أنَّه لم يفعل ما قيل إنه أعدمه[2].

ويجوز وصفه بأنَّه «مكون» لأنَّ لما كان فعله تعالى كائناً، بمعنى موجوداً عن عدم، جاز وصفه بذلك.

ويجوز وصفه بأنَّه «مُثْبت للفعل» ومعنى إثباته له هو إيجاده.

ويجوز وصفه بأنَّه «جاعل» بمعنى فاعل، لأنَّ معنى مجعول: مفعول، ومنه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] وقد يكون الجعل بمعنى الحكم والتسمية،

---

(١) وقد ورد ذلك في آيات من كتاب الله تعالى كقوله ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ (فاطر: ٤٥). وقال ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ (الكهف: ٩٩). وقال ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ (الذاريات: ٣٧) وغيرها.

(٢) «الموجد» ليس من أسماء الله تعالى، ويجوز استعماله على وجه الإخبار عن الله سبحانه، كما تقدم بيانه وكذا ما بعده.

ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

ويجوز وصفه بأنَّه «**عَامِل وصَانِع**» لأنَّه قد عمل فعله وصنعه[١]، ولا يجوز وصفه بأنه مكتسب، لأنَّ معنى الكَسْبِ هو القَادر على ما وُجِدَ بذاته، بقدرةٍ مُحدثة، والله يتعالى عن وُجود الحْوَادِث بذاته[٢]، وعن كونه قادراً بقدرة محدثه، ولأنَّ وصف الكسب يُفيد ما تمسُّ الحَاجة إليه، ويُجتلبُ به النَّفع ويدفع به الضرر، ولذلك يقال: عَبدٌ كَسُوب، ورجَلٌ كسُوب، إذا كان ينتفع بتصرفة.

ويجوز وصفه بأنه «**مُصيبٌ**» على معنى أنَّ أفعاله كلها غير متفاوتة عليه، بل واقعةٌ بحسب قصده وإرادته، ويجوز وصفه بذلك على معنى أنَّه عالمٌ بها وبكيفية حدوثها وحقائقها وأوصافها، وإنْ لم يقع شيءٌ منها مع الجهل به، ويجوز وصفه بذلك على معنى أنَّ جميع أفعاله مُحْكَمة مُتْقَنة من حيث خَلقها كذلك، وقصدها على ما هي عليه، وجوز وصفه بذلك على معنى أنَّه مُحِقٌّ في فعلها، غير مُتَعَدٍّ في شيء منها، ولا متجاوز به حَدّاً ورَسْماً[٣].

---

(١) وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته» وتلا بعضهم عند ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. رواه البخاري في خلق أفعال العباد» (١١٧) والبيهقي في الأسماء (ص ٢٦٠) عنه والخطيب في تاريخه (٢/ ٣١) عن حذيفة رضي الله عنه به. قال البخاري بعده: فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة.

(٢) قوله «والله يتعالى عن وجود الحوادث بذاته» هذا النفي لا دليل عليه في كتاب ولا سنة. وقصد به المعطلة، تعطيل صفات الفعل لربنا سبحانه، كالكلام والرضا والغضب والاستواء والسمع والبصر واستجابة الدعاء وغيرها، وهذا باطلٌ مخالف لما ثبت من صفات الكمال لله تعالى شأنه في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، انظر: درء تعارض العقل النقل (٢ / ١١٥) وما بعدها.

(٣) وردت آيات في هذا الفعل، كقوله تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢]. وقوله ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وقال ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٥٦] وغيرهما من الآيات.

ولا يجوز أن يُقال أنَّه مصيب في أفعاله، على معنى أنَّه مُوافِقٌ بها أَمْرُ آمرٍ له بفعلها، لأنَّه يَتَعَالى عن ذلك.

وقد يُوصف العبد بأنَّه مصيب، على معنى أنَّه مُطيع ومُتَّبع بالفعل طاعة من تجب طاعته، ومنقادٌ لأمره.

ويجوز وصف أفعاله بأنَّها صوابٌ، على معنى أنَّها حق، وهذا سَبيل جميع أفعاله.

ويجوز وصفه بأنه «مُثِيبٌ» ومعناه: يَجعل المثاب معظماً على ما كان منه من الطاعة، التي جَعَلها الله سبحانه علامةً على إثابة المطيع(١).

وكذلك وصفه بأنَّه: مُنْعِمٌ ومعاقب ومجاز، بقصد الإهانة والإيلام للعاصي على ما كان من معصيته.

* * *

---

(١) قد ورد في القرآن أنه تعالى يثيب، كقوله تعالى ﴿فَأَثَابَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة: ٨٥]. وقوله سبحانه ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وقوله ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤٨].

فصل

٣٠١- نقلت من خط أبي إسحاق مرة تعاليقه على كتاب «العِلَل» لأبي بكر الخلال بإسنادة: عن أبي بكر بن أبي داود سمعت أبي يقول: جاء رجلٌ الى أحمد بن حنبل فقال له: لله تعالى حَدٌّ؟ قال: لا يَعلمه إلا هو، قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٤][1].

وظاهر هذا جواز إطلاق الحد عليه، لا على وجه الإحاطة لكن على وجه يعلمه، كما جاز إطلاق ذات على وجه يعلمها، وكذلك جاز إطلاق شيء، وإنْ كُنّا نعلم أنَّ الشيء في الشّاهد ما كان مَحْدُوداً.

* * *

(١) لفظ «الحد» لم يرد في القرآن ولا في السنة، وقد سبق التنبيه عليه.

فَصْل

وجميع الأسماء والصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه، أو وصفه بها رسوله، قَدِيمةٌ مَوْصُوفٌ بها فيما لم يَزَل، ولم يَزَلْ بصفاته خَالقاً رازقاً مُوجداً مُعْدِماً محُيياً مُميتاً مُعَافياً[١].

٣٠٢- وقد قال أحمد في رواية حنبل: لم يَزَل متكلماً عَالماً غفوراً.

فقد نص على أنَّه لم يَزل غفوراً، والغُفْران من صفات الفعل في خلقه، وقد أثبتها ولا مغفور له، فدلَّ من مذهبه على قِدَم هذه الصِّفات.

٣٠٣- وقد ذكر أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن شاقلا هذه المسألة مُفْردةً نقلتها من خط أبي بكر الكِشِّي من أصحابنا فقال: قد زَعَمَ أحد ممن يَدَّعي أنَّه من المثبتة: أنَّ أسماءه ما كان منها من صفات الذات لم يزل بها، وما كان من صفات الفعل فهي الكائنة بعد أنْ لم تكن[٢]، قال: وهذا قول مُبْتَدع لم يَسبق إليه إمامٌ متبع، قال: وقد قال أحمد في رواية إبراهيم بن الحارث العُبادي وأبي بكر أحمد بن هاني: من زَعَمَ أنَّ أسماء الله مخلوقة فقد كفر، ولم يزل الله متكلماً[٣].

٣٠٤- وقال في رواية أبي داود: من قال إنَّ أسماءَ الله مَخْلُوقَةٌ فقد كَفَرَ. وكذلك نقل إسحاق بن إبرهيم[٤].

فقد أخذ أبو إسحاق بظاهر كلام أحمد، وأنَّ الأسماء قديمة ولم يفرق أحمد.

---

(١) قد سبق ذكر ذلك، انظر (ص١٢).

(٢) كتبت في الأصل بالتاء والياء، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(٣) انظر ما سبق.

(٤) انظر مقدمة الكتاب (ص ٥٤). وانظر طبقات الحنابلة (٢/١٩٩) لواقح الأنوار البهية (١/١١٩).

وهو قول الكَرَّامِيةِّ، إلا أنَّ الكَرَّامية تقول: جميع ذلك يرجع إلى قدرته على الفعل، وإرادته له وعلمه بكونه.

خلافاً للمُعْتَزلة في قولهم: جميع الأسماء محدثة، وجميع الصفات، وأنَّها غير المسمَّى وغير الموصوف.

وخلافاً للأشْعَرِيَّة في قولهم: الأسماء والصفات على ضربين: فما كان من صفاتِ الذَّات، كالعلم والقدرة والكلام والإرادة، فهو قديم.

وما كان من صفات الفعل، كالخلق والرزق والإحْسَان والرحمة ونحو ذلك، فهي محدثة، وأنَّه مَوصوفٌ بها عند وجود الفعل، ووَصْفُه لنفسه بها في القِدَم مجازٌ لا حقيقة، وربما امتنع بعضهم من إطلاق هذه التَّسمية في القدم قبل وجود الخلق والرزق منه، وقال: لا يجوز وصفه بذلك لا حقيقةً ولا مجازاً(١) .

---

(١) أما الجهمية فإنهم ينفون الأسماء والصفات، فلا يسمون الله تعالى بشيء؟! وروي عن الجهم أنه قال: لا يُسمى باسم يُسمى به الخلق، إلا بالخالق القادر؟! انظر النبوات لشيخ الاسلام (ص ١٩٨) ومجموع الفتاوى (١٢ / ٢٣١١).
أما المعتزلة فقد استعظموا ذلك لما فيه من تكذيب القرآن، فأقروا بالأسماء ونفوا الصفات؟! فصاروا هم كذلك متناقضين، فان إثبات حي عليم حكيم سميع بصير، بلا حياة ولا علم ولا قدرة ولا حكمة ولا سمع ولابصر، متناقض ومكابرة للعقل، كإثبات مصل بلا صلاة، وصائم بلا صيام، وقائم بلا قيام!!
وقد قال أبو الحسن الأشعري في الإبانه (ص ١٠٧ - ١٠٨) إنما منعهم من إنكار الأسماء خوف السيف، فأتوا بمعناه! أما الأشاعره والماتريدية والكلابية: فقد أثبتوا الأسماء الحسنى، لكن أثبتوا معاني بعضها، وحرفوا معاني البعض الآخر، وهو مبني على قولهم في صفات الله تعالى.
فالكلابية وقدماء الأشاعرة ينفون الصفات الاختيارية، وبالتالي لا يثبتون معاني الأسماء التي اشتقت من الصفات الاختيارية.
=

فأما المعتزلة فالكلام في غير هذا الموضع.

وأمَّا الأشعرية فالدلالة عليهم قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] فوصف نفسه بهذه الأشياء فيما لم يزل، امتدح بها بقوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ولا يجوز أن يُسمى ويمتدح بما هو معدومٌ في حقة، لأنَّه يُفضي إلى أنْ يقع الخبر بخلاف مخبره.

فإن قيل: معنى قوله خالق، أي سيخلق وسيرزق.

قيل: فيجب أنَّ تقول مثل هذا في قوله ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] معناه سيعلم إذا خلقهم، وكذلك قوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] معناه سيقدر؟ ولماَ لم يَجزْ هناك، كذلك ها هنا.

وأيضاً: فإن هذه الأسماء والصفات وصف بها نفسه فيما لم يزل، فيجب أن تكون قديمة له، كالعِلْم والقُدرة والإرادة والكلام، ونحو ذلك.

فإنْ قيل: تلك الصفات مُتَعَلِّقة بالذات، فهي موجودة بوجود الذات، فلهذا كانت قديمة، وهذه متعلقة بالأفعال والأفعال محدثة.

قيل: هذا لا يصح لوجهين.

= وأما المتأخرون من الأشاعرة والماتريدية، فإنهم لا يثبتون الإ سبع صفات؟ هي: العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والإرادة والكلام. وأما بقية الأسماء التي لا تتفق مع ما أثبتوه من الصفات، فإنهم لا يثبتون ما دلت عليه من المعاني، بل يحرفون معانيها كتحريفهم لمبانيها كتحريفهم لمعنى «الرحمة» في اسمه تعالى «الرحمن» إلى ارادة الثواب أو الإنعام، وغيره.

انظر مقالات الإسلاميين (ص ١٦٩) والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٥ - ٣٩) والماتريدية (ص ٢١٧) لأحمد الحربي.

أحدهما: أنَّه لا يمتنع أنْ تكون هذه الصِّفَات مُشْتَقَّة من أفعالٍ لم توجد، ويكون موصوفاً بها قبل وجود الفعل لتحقق الفعل منه، كقولهم: سيف قطوع، وإنْ لم يوجد القطع منه، لتحقق القطع منه، وكذلك قولهم: خُبز مُشبِع، ومَاء مُرْوي، كلُّ ذلك يوصف به وإن لم يوجد الفعل لتحقق الفعل، وكذلك قولهم: رَجَلٌ مُسَافر، ورجل حَاج، وإن لم يوجد ذلك منه.

ولا يصح قولهم: إنَّ ذلك مجاز، لأنَّ الأصل في كلامهم الحقيقة، فمدّعي المجاز يحتاج إلى دليل[1] والذي يُبَيِّنُ أن هذا الكلام حقيقة أن المجاز يصح نفيد عن المسميَّ، كما يصح نفى تسمية الأب عن الجَدِّ، والحقيقة لا يصح نفيها كما لا يصح الأُبُوة عن الأب الأدنى، وقد ثَبَتَ أنَّ لا يصح النفي عن السيف القاطع، وعن الماء المروي، وعن الخبز المشبع، قبل وجود الفعل منه، فدلَّ على أنَّه حقيقة[2].

والثاني: أنَّ تعلق هذه الصِّفات بمفعول لا يمنع وصفه بها في القِدم، كما وصفناه بالمحبة لمن علم أنَّ يوافي بالإيمان وبعضه لمن علم أنَّ يُوافي بالكفرِ

(١) الفرق الكلامية تقسم الألفاظ ذات المعاني إلى حقيقة ومجاز، ويقصدون بالحقيقة: اللفظ المستعمل فيما وضع له، وبالمجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له. وقد اعتمدوا على قولهم بالمجاز في تأويل النصوص عن ظواهرها ومعانيها الواضحة المعروفة من كلام العرب! ولا شك أن القول بالمجاز لم يعرفه السلف، ولم يتكلموا فيه، إنما هو اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص، وكان منشؤه من جهه المعتزلة والجهمية، ومَن سلك طريقهم من المتكلمين، وتوصلوا به لنفي المعاني الحقّة. انظر الإيمان لشيخ الاسلام (ص ٧٣) ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٥) وللشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة منع جواز المجاز.

(٢) أي: مما يدل على فساد القول بالمجاز، قول القائلين به: إن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر، فتقول لمن قال: رأيت أسداً في الوغى، ليس بأسد وإنما هو رجل شجاع: فليزم على القول بأن في القرآن مجازاً، أن في القرآن ما يجوز نفيه ؟!!

في القدم قبل وجود المحبوب والمبغوض، وكذلك هو موصوف بأنهَّ داعي إلى الحق، وهادِ إليه وإنَّ لم يكن مَدعواً، وكذلك وصفه بأنَّه مؤمن بمعنى مُصَدِّقٌ لنفسه ورسله، وإن كانت الرسل معدومة وقت وصفه بذلك، وكذلك وصفه بالأمر والنهي والخبر فيما لم يزل، وإنَّ لم يكن هناك مأمُوراً ولا مَنهياً ولا مُخبراً، كذلك لا يمتنع وصفه بالخلق والرزق والإحسان، قبل وجود هذه الأفعال.

فإن قيل: تلك الصفات التي هي العلم والقدرة عدمها يوجب النقص في حَقِّه سبحانه، لأنَّا لو قلنا إنَّ علمه مُحدث، أفضى إلى الجهل قبل ذلك، وكذلك لوقلنا: إن له قدرة محدثة أفضى إلى العجز، وليس كذلك في نفي وصفه بالخلق والرزق عنه في القِدَم، لأنه لا يفضي إلى النقص في حَقِّه، كالمحبةِ والبغض عدمها لا يفضى إلى النقص في حقه.

قيل: لا يمتنع إثبات هذه الصفات قديمة، وإن كان نفيها لا يُفضي إلى النقص في حَقِّه، كالمحبةِ والبُغض، عدمها لا يُفضي إلى النقص، ومع هذا هو موصوفٌ بها في القدم، وكذلك الأمر والنهي وغير ذلك مما ذكرنا، وعلم أنهَّ إن لم يُفْضي إلى النقص، فإنّه يفضى إلى أن يقع الخبر بخلاف مخبره.

٣٠٥- واحتج المخالف بما رواه هَنَّاد في كتاب الزُّهد بإسناده: عن سلمان قال رسول الله ﷺ: إنَّ اللَه خَلَقَ يَومَ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ مائة رَحْمة، كُلُّ رَحْمةٍ طِباقِ السَّماءِ والأَرضِ، فجعل في الأَرْضِ منها رَحْمةً فِبهَا تَعْطُفُ الَوالدةَ على ولَدِها والوَحْشُ والطَّير، وأَخَّر تِسْعَاً وتسعينَ إلى يَومِ القيامة، فإذا كان يَومُ القيامةِ أكْمَلَهَا بهذه الرَّحْمةِ

مائة، فَقَصَّها على المتقين»(١).

قالوا: فقد نصَّ على أنَّ الرَّحمة مخلوقة، وإن كانت من صفاته!

والجواب: إنَّ الخَلْقَ واقع على أسباب الرحمة، لأنَّ الرحمة التي هي صفة الله تعالى، هي التَّعَطُّف والتكرم والمغفرة، وأسبابها هو فعل الطاعات والقُرب التي توجد من جهة العبد، فأسبابها متسعة، وذلك مخلوق(٢).

وقوله: «**فإذا كان يوم القيامة، كمَّلها بهذه الرحمة**» معناه: أنَّه يكمل لهم ثواب تلك الأسباب كلها، بفعل السَّببِ الواحد، الذي أنزله تَكَرُّمَاً منه وتفضلًا به.

ونظير هذا الإيمان الذي هو صفته (سبحانه) كالإيمان بوحدانيته وبصفاته، هو قَدِيمٌ، والهداية التي تحصل للعبد فيتوصل بها إلى ذلك الإيمان، هي غير الإيمان وهي محدثة، لأنَّ الهداية في انشراح الصدر بالإيمان، وذلك غير الإيمان(٣).

---

(١) الزهد لهناد (١٣١٩) والحديث أخرجه مسلم في البر والصلة (٤/ ٢١٠٩). ورواه البخاري (٦٤٦٩) ومسلم (٤/ ٢١٠٨) عن أبي ﷺ. أما الجملة الأخيرة «فقصها الله على المتقين» فقد تفرد بها هناد، ولعل معناها: فقصها الله على المتقين بشارةً لهم، وانظر التعليق على الزهد.

(٢) رحمة الله تعالى التي هي صفته، غير ما خلق للناس من رحمة ونعمة وفضل، مما هو مقتضى رحمته سبحانه بخلقه، كالمطر وأنواع الأرزاق والأنعام والأزواج والأولاد، وإنزال الكتب وإرسال الرسل ... الخ وانظر كتابنا النهج (١/ ٨٥) وما بعدها.

(٣) «المؤمن» من أسماء الله تعالى، وهو المصدق لنفسه. والموحد لها، كما قال ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران ١٨). وأيضاً هو المصدق لرسله بإظهار الآيات على أيديهم، وهذا غير التصديق واليقين والسكينة، والتي تكون بأمر الله تعالى في قلوب المؤمنين المصدقين. وفي المسألة تفصيل مهم.
انظره في مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام (٧/ ٦٥٥ - ٦٦٤)

٣٠٦- واحتجَّ بما روى جابر: قال رسول الله ﷺ «من قال حين يسمع النِّداء: **اللهمَّ ربَّ هذه الدعوة التَّامة، والصَّلاة القَائمة، آتِ مُحمداً الوَسيلةَ والفضِيلةَ، وابْعثه المَقَام المَحْمودَ الذي وعَدْتَه، إلا حَلَّتْ له الشَّفاعة يَومَ القيامة**»(١).

فقد وَصَفَ أَلفاظَ الأذان بأنَّ لها رب، وما له رب فهو مخلوق.

والجواب: أنَّ تقديره ربَّ ثواب هذه الدعوة، فحذف المضاف، وهذا جائزٌ في كلامهم قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤] وتقديره: صاحب قول الحقِّ، وكذلك قوله ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٥٥] وتقديره: مِثل شرب الهيم، وثواب هذه الكلمات مخلوق، لأنَّ ثوابها تفَضُّله وإنْعامه بالجنَّةِ ونعيمها(٢).

وقد قيل: إنَّه لا يجوز أنَّ يكون ذلك راجعاً إلى بعض الكلمات، وهو الدعاء إلى الصلاة، وليس يمتنع أنْ يرجع الكلام إلى بعض المذكور، كما قال تعالى ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٤] والمراد به بعضها.

وقيل: يجوز أن يكون راجعاً إلى أفعال الصَّلاة، لأنَّه قد تقدم ذكرها، ولا يمتنع مثل ذلك، كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص: ٣٢-٣٣] وكان المراد بعض المذكور، وهو الخيل دون الشمس(٣).

---

(١) ورواه البخاري في الأذان (٦١٦) وفي التفسير (٤٧١٩) ورواه مسلم من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما في الصلاة (١/ ٢٨٨) من وجه آخر.

(٢) قوله «رب هذه الدعوة التامة» أي: صاحبها. وقيل المقيم لها، والزائد في أهلها والعمل بها، والإجابة لها (نهاية) والمراد بالدعوة: دعوة التوحيد، لأن الشرك نقص، أو تامة لا يدخلها تغيير ولا تبديل، بل هي باقية إلى يوم النشور.

وقال ابن التين: وصُفت بالتامة لأن فيها أتم القول، وهو: لا إله الا الله. انظر الفتح (٢ / ٩٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بالصلاة: الدعاء، وبالقائمة الدائمة، من =

واحتجَّ بأن الخلق مشتقٌ من فعل وصادر عنه، كما أنَّ قولهم عالم ويعلم ويصدر عن العلم، وما كان مشتقاً من شيء لا يصح إشتقاقه مع عدم ما اشتق منه.

والجواب عنه ما تقدم من الوجهين: أحدهما: قولهم سَيْفٌ قطوع، وخبزٌ مشبع وإنْ لم يوجد الفعل. والثاني: وصفه بالأمر والنَّهي، والمحبة والبغض مع عَدَمِ معانيها.

واحتجَّ بأنَّه لو كان قولنا خالق ورازق تجري مجرى قولنا: عالم، لم يصح أن يقال يقدر على أن يخلق ويرزق، كما لا يصح أنْ يقال يقدر أنْ يعلم وأنْ يسمع ويبصر، ولمَاَ جاز ذلك عليه بقوله: ﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ﴾ [يس: ٨٣] دلَّ على أنَّ ذلك من صفات الفعل.

والجواب: أنَّ قولنا يقدر أنْ يخلق، معناه أنَّ الخلق الذي هو المخلوق داخل تحت القدرة، فأمَّا وَصْفُهُ بالخلق فلا يدخل تحت القدرة[(١)].

كالمعلوم داخل تحت القُدرة، والعلم الذي هو صفته لا يدخل تحت القدرة. ولا يصح تأويل الكراميَّة على معنى أنَّه يعلم أنَّه سيخلق، ويريد أن يخلق وهو قادر عليه.

لأنَّه لو جاز ذلك، لجاز لأحد أنْ يقول لمن هو قاعد: إنَّه قائم على الحقيقة، إذا علم أنَّه سيقوم أو يريد أنْ يقوم، وإنْ لم يحصل منه القيام.

= قام على الشيء إذا داوم عليه، وعلى هذا فقوله: «الصلاة القائمة» بيان للدعوة التامة. ويحتمل أن يكون المراد بالصلاة: المعهودة، والمدعو إليها حينئذ وهو أظهر. (المصدر السابق).

(١) قدرة الله تبارك وتعالى يدخل فيها أفعال نفسه وأفعال العباد، فأما قدرته في أفعال نفسه فهو كقوله ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ﴾ وقوله ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ وقوله ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ ونظائره كثيرة، وأما قدرته على الأعيان والمخلوقات فكقوله ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وقوله ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ وقوله ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ وغيرها. انظر مجموع الفتاوى (٨ / ١٠) وما بعدها.

ولأنَّ الإشتقاق من القدرة، قَدَرَ يَقْدِرُ فهو قَادِرٌ، وكما لا يجوز أنْ يقال: قدر فهو خالق، كذلك لا يجوز أنْ يقال: خلق فهو قادر.

فصل

ويجوز وصفه بأنَّه قديم الإحسان(١).

٣٠٧- وقد ذكر ابن إسحاق هذا ونصَّ عليه في أثناء الكلام في هذه المسألة، خلافاً للأشعرية في قولهم لا يجوز وصفه بذلك.

دليلنا أنَّ هذا مبني على ما تقدم، وأنَّ الإحسان صِفَةٌ قديمة، فما دَلَّلْنَا به هناك فهو دلالة ها هنا.

ويدل عليه أيضاً قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء:١٠١] فوصف إحسانه إليهم بالسبق في القِدم، فدل على قدمه.

٣٠٨- وروى أبو حفص بن شاهين في مسألة عملها في جواز القول: يا قَدِيَم الإِحْسَان، فقال نا محمد بن سليمان الحراني قال نا الحسين بن محمد بن

(١) لم يرد قوله: «قديم الإحسان» في حديث مرفوع صحيح، وإنما ورد في أدعية جماعة من أهل العلم، كابن القيم في حادى الأرواح (١ / ٢٦٤) إذ قال: فإنه سبحانه وتعالى دائم المعروف، لا ينقطع معروفه أبداً، وهو قديم الإحسان. ويقول الامام النووي في الأذكار (١/ ٥٣٦) باب الدعاء والتضرع: «ويقول يا قديم الاحسان، يا من إحسانه فوق كل إحسان، يا ملك الدنيا والآخرة ..»

وقد ورد في السنة وصف بعض صفات الله تعالى بالقدم، ففي الحديث عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم». فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم» رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٦) عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له: بلغني أنك حدثت عن عبدالله بن عمرو.. فذكره واسناده حسن. وقوله «وسلطانه» أي: غلبته وقدرته وقهره العباد على ما أراد.وقوله « القديم» أي: الأزلي الأبدي، وعلى هذا فيصح وصفه تعالى بذلك.

بحر بمصر قال: سمعت أبا الفَيض ذا النون المصري يقول: أوحى الله عَزّ وجلّ إلى يعقوب: يا يعقوب تَمَلّقني، قال: يا ربِّ كيف أتَمَلّقك؟ قال: قل يا قديَم الإحْسَان، يا دائم المعروف، يا كثير الخير، قال فأوحى الله إليه: لو أمت ابنك لأحييته لك.

وهذا نص في جواز وصفه بذلك، ولأن هذا مُستفيضٌ على أَلْسِنة المُسلمين في دعائهم عصراً بعد عصر، ولا يجوز أنْ يُجمعوا على مُنكر.

فإنْ قيل: معنى قولهم: يا قديم العلم بالمعلومات، أو يكون معناه تقادم إحسانه على إحسان خلقه، وإنْ كان حادثاً في نفسه.

قيل: أمَّا قولك أنَّ معناه: يا قديم العلم، فلا يصح لأن الإحسان اسم للإنعَام والتَّفضل، فلا يُحمل على العلم، ولأنَّ الاشتقاق من الإحسان: أَحْسَنَ يُحْسِنُ فهو مُحْسِنٌ، فكما لا يجوز أنْ يُقال: علم فهو محسن لذلك لا يجوز أن يقال: أحسن فهو عالم، وأمَّا حمله على تقدم إحسانه على إحسان خلقه، فلا يصح لأنَّه يُسقط فائدة التخصيص، لأنَّ بعض خلقه قد يتقدم إحسانه على إحسان غيره من الخلق.

فإن قيل: لا خلاف أنَّ إحسانه الذي هو إنعامه وتفضله محدث مخلوق، فكيف يجوز وصفه بالقِدم؟

ولئن جاز وصفه بذلك جاز وصفه: يا قديم الخلق، يا قديم الرزق.

قيل: المحدث المخلوق هو المُنْعَم به والمُتَفَضَّل به، فأمَّا الإحسان والإنعام فهما غيره، كما أنَّ المعْلُوم غير العلم، والمخبر غير الخبر، والمأمُور غير الأمر، والمَنْظُور غير النَّظر، والمراد غير الإرادة.

فإنمَّا لم يجز لأنَّ الخلق هو المخلوق، والمخلوق محدث والرِّزق هو

نفس العطاء، والعطاء مخلوق، فأمَّا الإعطاء فهو صِفَةُ المُعطي فهو قديم، فعلى هذا يجوز أنْ يُقال: يا قديم الإعطاء، فإذا كان كذلك، فالإحسان صفة المحسن، والمحسن به غير الإحسان، فهو محدث.

فَصْلٌ

والصفات المتعلقة بالفِعل نحو الاستواء على العرش، والنُّزول إلى السماء، والمجيء في ظُلَلٍ من الغمام، ووضع القدم في النَّار، ووضع السَّمَوات على إصْبع، والغَضَب والرِّضَا، والضَّحِك، والخَلْق والرِّزق، إلى أمثال ذلك، لا يمتنع أنْ نقول إنها صفات ذاتٍ، تَتَجَدَّد له بتجدّد أسبابها، كالإدراك وهو النظر إلى المحدثات، وهو صفة ذات، تَتَجَدَّد له بتجدّد المُدْرَكات المرئيات[١].

ولا يجوز لبعض المعتزلة أنْ يَقول: إنَّ الإدراك معناه معنى العلم، لوجهين: أحدهما: أنَّ هذا القائل يقول بأنَّ الله مَعلومٌ وليس بمدرك ولا مرئي، فامتنع أنْ يكون معنى الإدارك معنى العلم[٢].

---

(١) أفعال الله تعالى نوعان: لازم، ومتعدٍّ. فالأفعال اللازمة هي التي تقوم بالفاعل، والأفعال المتعدية هي التي تتعدى إلى مفعول.
وقد ذكر الله تعالى النوعين في قوله سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فخلق السموات والأرض فعل متعد، واستواؤه على عرشه فعل لازم.
انظر شرح الطحاوية عند قول الطحاوي: «ذلك بأنه على كل شيئ قدير» (ص ٩٠ - ٩٦) بشرحنا، ومجموع الفتاوى (١٨ / ٧) (٨ / ١٨ - ٢٧) لشيخ الاسلام.

(٢) نعم لا يجوز تفسير الرؤية والبصر لله تعالى بالعلم؟! بل هو تحريف للصفة الثابتة بالأدلة الكثيرة، من القرآن والسنة النبوية وقد سبق كلام المصنف عليها مع التعليق في الجزء الثاني (ص ٣٣٧ - ٣٣٩). وانظر الكلام على معنى قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وفي تفسير ابن كثير (٢ / ١٣٩ -١٤١).
وقال: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه، لأنه خلقها كما قال ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

والثاني: أنَّا ندرك الكبير صغيراً في حال البعد، مثل الجمل نراه صغيراً في حال البُعْد، ونعلمه كبيراً، فامتنع أنْ يكون معنى الإدارك معنى العلم.

وكذلك الإرادة هي صِفَةُ ذاتٍ تَتَجَدَّدُ بتَجَدُّد المراد، ولا يجوز لبعض المعتزلة أنْ يقول: إنَّ الإرادة معناها معنى العلم[1]، لأنَّ الإنسان قد يعلم ما لا يُريده، ويُريد ما لا يعلمه، وإذا ثَبَتَ هذا فتقول: هو مَوصوف بالإدراك فيما لم يَزَلْ، ولا نقول هو مُدْرِكٌ فيما لم يَزَل، لأنه لو كان مُدْرِكاً فيما لم يزل اقتضى وجود مدرك فيما لم يزل، ولا يجوز ذلك لأنَّه يُفضي إلى قِدَم الأشياء.

وكذلك هو موصوف بالإرادة فيما لم يزل، ولا نقول هو مريد فيما لم يزل، لأنه يفضي إلى قدم المراد[2].

ومثله نقول هو موصوف بالخلق والرزق فيما لم يزل، ولا نقول هو خالق ورازق فيما لم يزل، لأنه يفضي إلى قِدَم الأشياء وكذلك هو موصوف بالاستواء

---

(١) في الأصل: معنى العلم لانسان قد يعلم، ولعل الصواب ما أثبتناه، وقد نبَّه إليه الناسخ.

(٢) إرادة الله تعالى صفة من صفاته الذاتية، وليس هي علمه! وهو سبحانه لم يزل مريداً بارادات متعاقبة متنوعة، فنوع الإرادة قديم، وإرادته الأشياء وهي تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية مرادفة للمشيئة. وإرادة دينية شرعية. فمن الدليل على الأولى: قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وقوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (الأنعام: ١٢٥) وهي لا تستلزم محبته، ومن الدليل على الثانية: قوله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ الآية، وقوله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ الآية، ونحوها وهي متضمنه لمحبة الله تعالى ورضاه. وليس بين الإرادتين تلازم، فقد يريد سبحانه شيئاً لا يحبه، وقد يحب شيئاً لا يريده للتفصيل: انظر شرح الطحاوية (ص ١١١ - ١١٦) وشرح العقيدة الواسطية ومجموع الفتاوى (٣/ ٨٧، ١٣٢) و(١٦/ ٣٠٣) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

على العرش، والنزول فيما لم يزل، ولا تقول هو مستوى[(١)] فيما لم يزل، وهو جائي فيما لم يزل، لأنَّه يفضي إلى قِدَم العَرش، وقِدَم السماء[(٢)].

وكذلك لا نقول هو ضاحك فيما لم يزل، وغضبان فيما لم يزل، لأنَّ في الخبر «**ضَحِكَ رَبُّك منْ شَابٍّ ليستْ له صَبْوة**» وغضب الله من كفر الكافرين، وهو يَقْتضي وُجودَ ذلك عند وجود سببه.

فَصْلٌ

واعلموا رحمكم الله: أنّي لما فَرَغتُ من كتابي هذا، وقَرأه علي بعض رؤساء «**خُراسَان**» في دار السُّلطان، عَظُمَ ذلك على المخالفين، وأكْثَروا التَّحريف والكَذِب والزُّور والبهتان فيما حكوه عني، وأَضافوه إلى كتابي، طلباً للشَّنَاعات وتَنْفير السُّلطان والعوام.

وقالوا: قد ذكر فيه باب الذَّكَر والخصيتين والفَقْحَةَ! واللحية والرأْس والمسْرَبة والشَّعر، والنَّعل الصرارة، والركوب على الحمار، والمشي في الأسواق، وأنَّه خلق نفسه من عَرَقَ الخيل، وغير ذلك مما لا أحفظه فأحكيه من الكذب والزُّور والبُهتَان، ومما على قائله وحاكيه يريد التَّشْنيع به، لعنةُ الله ولعنة اللَّاعنين، والملائكة والنَّاس أجمعين، لا يَقْبل اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلًا، والله تعالى عند لسان كل قائل، وحسيب كل ظالم[(٣)].

---

(١) كذا في الأصل، وصوابه: مستو.

(٢) سبق مراراً الكلام على صفات الأفعال لله تعالى، وأنه تعالى يفعل ما يشاء متى شاء، كيف شاء وأن أنواعها قديمة، وآحادها حادثة متجددة عن وجود أسبابها.

(٣) هذه أنواع من الكذب والافتراء على المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، رماه بها أهل البدع والأهواء، من المعطلة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأشباههم، يريدون بها صدَّ الناس وصرفهم عن المنهج السلفي والسني في إثبات أسماء الله تعالى وصفاته العلى، وتشويه الحق وأهله، سنةٌ للباطل قديمة!!

وقد أمر الله نبيه ﷺ أنْ يَستعيذَ به من شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَد، أنا أعوذُ بالله من ذلك، وليس للحاسد إلا ما حسد، وقد مَنَع الله عزَّ وجلَّ عن قبول قول المدَّعي، حتى يأتي على قوله ببرهان(١).

وقال ﷺ «**لو يُعطَى النَّاسُ بدَعْوَاهُم، لادَّعي أُنَاسٌ دِمَاءَ ناسٍ وأَمْوالهم**»(٢).

فاعلم رحمك الله أنَّ الدَّعوى بلا بَيِّنةٍ، لا تُوجب صدقَ مُدَّعيها، وحذَّر الله عَزَّ وجَلَّ من قبول قولِ الفاسق، وأمر بالتَّثبت في خبره، فقال تعالى ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ونهى جل وعز عن التجسس والغيبة، فقال ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] وخبَّر جَلَّ ثَنَاؤه أنَّ بعض الظَّنِّ إثم(٣)، وأعلم تعالى أنَّ الظن لا يُغني من الحَقِّ شيئاً(٤).

وقال ﷺ: «**إيَّاكم والظَّنَّ فإنَّه يكذب**»(٥).

٣٠٩- وقال «**مَا ظَنَنْتُم فلا تُحقِّقوا**»(٦).

---

(١) كما قال سبحانه ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]. وقال ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الانعام: ١٤٨).

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٥٥٢) ومسلم في الأقضية (٣/ ١٣٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في قوله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

(٤) في قوله تعالى ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (النجم: ٢٨).

(٥) الحديث بلفظ «إياكم والظن، فإن الظن أكذبُ الحديث..» رواه البخاري (٩ / ١٩٨ - ١٩٩) (١٠/ ٤٨١) (١٣ / ٤) ومسلم في البر والصلة والأداب (٤ / ١٩٨٥) من حديث أبي رضي الله عنه ولعل المصنف ذكره بالمعني، ونبه عليه الناسخ.

(٦) الحديث ضعفه السيوطي في الجامع - كما في فيض القدير (٧٤٧) وعزاه لابن ماجة ! ولفظة «إذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا، وإذا وزنتم فأرجحوا». وعزاه المناوي للديلمي وإنما أخرج ابن ماجة (٢٢٢٢) =

٣١٠- وقال ﷺ: «لا يَؤْمِنُ أَحَدُكُم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»(١).

٣١١- وقال «لا تَحَاسَدُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا ولا تقاطعوا ولا تَجَسَّسُوا ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَنَافسُوا، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضاً، وكُونُوا عباد اللهِ إخْوَانا كما أَمَرَكُم اللهُ، ولا يَحلُّ المسْلِم أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فوق ثلاث»(٢).

٣١٢- وقال ﷺ «الدِّين النَّصيحة»(٣).

٣١٣- «من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو ليصمت»(٤).

٣١٤- وقال: «إِذَا حَسَدْتُم فلا تَبْغُوا»(٥).

٣١٥- وقال ﷺ «والذي نَفْسي بيده لا تَدْخُلُوا الجنَّة حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»(٦).

٣١٦- وقال: «مَنْ سَتَرَ على مُسْلِم في الدُّنيا، سَتر اللهُ عليه في الآخرة»(٧).

٣١٧- وقال: «دِمَائُكم وأَمْوَالُكم وأَعْرَاضُكم عَليكم حَرَامٌ»(٨).

= «واذا وزنتم فأرجحوا» وحكم الألباني رحمه الله عليه بالضعف في الجامع، وعزاه في الحلال والحرام (ص ٣٠٦) للطبراني!

(١) رواه البخاري في الإيمان (١٣) ومسلم في الإيمان (١ / ٦٧) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) هو الحديث المتقدم آنفاً برقم (٥) وأوله: «إياكم الظن ...».

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١ / ٧٤).

(٤) أخرجه البخاري الرقاق (٦٤٧٥) ومسلم في اللقطة (٣ / ١٣٥٢ - ١٣٥٣) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه .

(٥) تقدم الحديث .

(٦) أخرجه مسلم في الإيمان (١/ ٧٤) من حديث أبي رضي الله عنه .

(٧) رواه البخاري في المظالم (٥ / ٩٧) ومسلم في البر والصلة (٤ / ١٩٩٦) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وأوله: «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه ....».

(٨) رواه البخاري في العلم (١ / ١٩٩) وغيره، ومسلم في القسامه (٣ / ١٣٠٥ - ١٣٠٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه الطويل.

٣١٨- وقال: «لا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالث إلا بإذْنِهِ، فإنَّ ذلك يُحْزِنُهُ»(١).

٣١٩- وقال ﷺ: «الحياءُ مِنَ الإيمان»(٢).

٣٢٠- وقال: «والظلم ظُلُماتٌ يوم القيامة»(٣).

٣٢١- وقال «إيَّاكُم والحَسَد، فإن الحَسَدَ يأكُلُ الحَسَنَاتِ كماَ تأكُلُ النَّار الحَطَبَ»(٤).

٣٢٢- وقال ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَه مَظْلَمَةٌ لأخِيه مِنْ عِرْضِهِ ومَالِهِ، فليَسْتَحِلَّه اليومَ قبل أنْ يَأخُذَه به حين لا دينارَ ولا دِرْهم، فإنْ كانَ له عملٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدر مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لم يَكنْ أُخِذَ من سَيِّئَاتِ صَاحِبه فَجُعِلَت عليه»(٥).

والله تعالى يقول ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] (٦) والله تعالى ينصر الحقَّ وقائله، قد ذمَّ الباطل ومُدَّعيه، وخَبَّر أنَّ الحق يزهقه، قال الله جلَّ ثناؤه ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ

(١) رواه البخاري في الاستئذان (١١/ ٨١، ٨٣) ومسلم في السلام (٤ / ١٧١٧ - ١٧١٨) من حديث ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهما وأوله: «إذا كان ثلاثة - أو - إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى...».

(٢) رواه البخاري في الإيمان (١ / ٥١) ومسلم في الإيمان (١/ ٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في المظالم (٥ / ١٠٠) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(٤) الحديث ضعيف: رواه أبو داود (٣/ ٤٩٠) عن سليمان بن بلال عن إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة مرفوعاً به. وفي سنده مجهول، وهو جد إبراهيم ذكر البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٧٢) إبراهيم هذا، وذكر له هذا الحديث، وقال: لا يصح وقال الحافظ في التقريب: إبراهيم بن أبي أسيد عن جده، لا يعرف.
والحديث ضعفة الألباني الجامع (٢١٩٦) وفي الضعيفة (١٩٠٢).

(٥) رواه البخاري في الرقاق (١١/ ٣٩٥) وأحمد (٢/ ٥٠٦) من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً به، واللفظ لأحمد.

(٦) كذا في الأصل الآية وصوابها: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾.

زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [الأنبياء: ١٨] وقال جلَّ ثناؤه ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢].

٣٢٣- وروى سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَمَى مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يغتابه، بَعَثَ الله عَزَّ وجلَّ مَلَكاً يَحِمْي لَحْمَه يَومَ القِيامَة منْ نَارِ جَهَنَّم، ومن رَمَى مُسْلِماً بشَيءٍ يُريد شَيْنَه به، حَبَسهُ اللهُ عَزَّ وجلَّ على جِسْرِ جَهَنَّم حتى يَخْرُجَ مما قال**»(١).

وفي هذه الموعظة تذكرةٌ لمن اعتبر، وبصيرة لمن تذكَّر، والله حسبي ونعم الوكيل.

ثم لم يكفهم ما أضافوه إلينا من الكذب والبهتان، حتى رمونا بالتَّجْسِيم والتَّشْبيه والكفر، لأجل ما رويناه من الصِّفات التي جاءَ بها القُرآن والأخبار(٢)، والله تعالى يقول ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١] فكيف يجوز أنْ نُكَفَّرَ ونحن نحتج بكتابِ الله وسنة رسول الله؟ ولكن نعتصم بالله كما أَمَرَنا اللهُ تعالى، لنهتدي إلى الصِّراط المستقيم.

ومع هذا فلم يُخْلِ الله جَلَّ ثَنَاؤُه كل عَالِمٍ في عصره من جاهل يبغي عليه

---

(١) حديث ضعيف، رواه أحمد (٣/ ٤٤١) و أبو داود (٤٨٨٣) عن يحيى بن أيوب عن عبدالله ابن سليمان عن إسماعيل بن يحيى المعامري عن سهل به. قال الذهبي: إسماعيل بن يحيي، فيه جهالة. وذكر هذا الحديث في غرائبه. وقال الحافظ عن إسماعيل: مجهول. والحديث ضعفه الألباني في الجامع (٥٥٧٤).

(٢) وهذه علامة أهل البدع، في كل عصر ومصر، الطعن على أهل السنة والجماعة، ورميهم بأنواع التهم والأوصاف المنفرة! وكما قيل: علامة أهل البدع، الوقيعة في أهل الأثر! وانظر مقدمة الكتاب.

ويَحسده، ليبلوا بذلك شكرَه وصبرَه، ويعظمَ بذلك ثوابه وأجره، وقد قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١] وقال تعالى ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦] وقال تعالى ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠] وقال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

٣٢٤- وقال النبي ﷺ **«لو أنَّ مُؤمِناً على قَصَبَة في البحر، لَقَيَّض اللهُ له مُنَافِقاً يُؤذيه»**(١).

وقال الشاعر:

وإذَا أتَتكَ مَذَمَّتي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهيَ الشَّهادةُ لي بأنِّي فَاضِل

٣٢٥- وقال رجلٌ لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه: يا أبا عبد الله، قالوا إن عندك كتابُ زَنْدَقَة! فقال: لا يحرز المؤمن إلا قبره.

واعلموا رحمكم الله أنَّ اعتقادي في هذه الأخبار ما قدمته في أثناء كتابي مِنْ حملها على ظاهرها، من غير تشبيهٍ ولا تجسيم، فيما لا يُحيل صفاته، لا يخرجها عما تستحقه، فمن روى عنّا خِلافَ ذلك، أو أَضافَ إلينا سواه، أو نحلنا في ذلك قولًا غيره، فهو كاذبٌ مُفتري، مُتَخَرِّصٌ مُعْتدي، يبوء بسخط الله، وعليه غَضبُ اللهِ ولَعنته في الدَّارين، وحقٌ على الله عَزَّ وجلَّ أنْ يُورده المورد الذي وَعَدَ رسول الله حرباه، وأنْ يحله المحال الذي أخبَر نبي

(١) لم أجده الآن !

الله ﷺ أنَّ الله عز وجل محلَّه محل أمثاله على ما أخبَر عليه السلام[(١)].

٣٢٦- فروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى في «البيان عن صَريح السُّنَّةِ» بإسناده: عن أبي الدرداء أنَّ ﷺ قال: **«مَنْ ذَكَر امرءاً بما لَيس فيه ليعيبه، حَبَسَهُ اللَّه عَزَّ وجَل به في جَهَنَّم، حتى يأتي بنفاد ما قال فيه»**[(٢)].

٣٢٧- وباسناده: عن أنس قال رسول الله ﷺ: **«لما عُرِجَ بي مَرَرْتُ بقوم لَهُم أَظْفَار من نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ صُدُرَهُم، فقلت: مَنْ هَؤُلاء يا جبريل؟ قال: «هَؤُلاء الذين يأكلُونَ لحومَ الناس، ويَقَعُونَ في أعْراضِهِم»**[(٣)].

إلى أمثال ذلك، واعلموا رحمكم الله أن لنا أُسْوَةٌ بالأنبياءِ صلوات الله عليهم، وذلك أنَّ اللهَ تعالى اصطفا من خلقه رسلًا، إبتعثهم بالدعاء إلى دينه[(٤)] وأمرهم بالقيام به، والصَّبر على ما نَابَهم فيه من جَهلة خَلْقِهِ، وامتحنهم من المحنِ بصنُوفٍ، وابتلاهم من البلاءِ بِصُرُوفٍ، تكريماً لهم غير تذليل، وتشريفاً غير تخسير.

ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فكان أرفعهم عنده جلَّ ذكْره دَرَجَةً، أشدهم محنة، فقال تعالى في محكم كتابه لنبيه محمد ﷺ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

---

(١) كذا في الأصل!

(٢) صريح السنة وأخرجه الطبراني في الأوسط - كما في مجمع البحرين - (٤٩٦٠) عن المقدام ثنا أسد ثنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن عمرو بن عبدالله الأودي عن أبي الدرداء به. وإسناده ضعيف، من أجل عمرو بن عبدالله الأودي، لم أجد له ترجمة. والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٩٤) وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه مقدام بن داود، وهو ضعيف.

(٣) حديث صحيح، رواه أحمد (٣/ ٢٢٤) وأبو داود (٤٨٧٨) عن بقية وأبي المغيرة قالا: حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبر عن أنس مرفوعاً به. وإسناده صحيح.

(٤) في الأصل هنا كلمة ممحوة، وفي الهامش خط حادث لعله: دينه اهـ من تعليق الناسخ.

أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال له ولأتباعه رضوان الله عليهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤١].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ٩-١٢].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣].

فلم يُخل جلَّ ثناؤه أحداً من مُكرَّمي رُسله، ومُقرَّبي أوليائه، من محنته، في عاجله دون آجله، ليستوجب بصبره عليها من ربِّه تعالى مِنَّة الكرامة، وما أعدَّ له من المنزلة لديه ما كَتَبَه له.

فنسأل اللهَ الكَريم أنْ يَجعلنا مَمنْ يَقْفُوا أَثَرَ نبيه، ويتبع آثاره، ولا يخالف أقواله.

تَمَّ الكتابُ والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليماً[(١)].

(١) وبهذا التعليق، تم الكتاب بعون الملك الوهاب، فلله تعالى الحمد أولًا وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه أجمعين.
وكتب/ د. محمد الحمود النجدي
الكويت - في السابع من ذي القعدة عام ١٤٣٠ هـ

سماع بآخر الكتاب

وهذا ما وُجِدَ على الأصل الذي نُسِخَ منه هذه النسخة المباركة سمع عليَّ إبطال التأويل إلخ شمس الدِّين أبو الثناء محمود بن سليمان بن سلامة المسودى بالعرباني، والولد الأجل شرف الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن سعيد بن حمزة التميمي وذلك بحق إجازة شيخنا أبي العالي بإجازته من البطايحي عن القاضي أبي الحسين، كذلك عن والده مؤلف الكتاب كذلك، وذلك في مجالس آخرها في شهر ذي الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة وكتب بختم منصور بن أبي الفتح الحراني حامداً لله ومُصَلِّياً على سيدنا محمد وآله وصحبه[1]. ١٣٣٧-١٣ج٢

تم الكتاب بقلم الحقير الأقل الرَّاجي عفو الله صالح بن دخيل الله بن جار الله من آل سابق بن شماس من آل زايد من قبائل الدواسر غفر الله له ولوالديه ووالديهم ومشايخه وإخوانه من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات آمين.

حرر وتم في آخر يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الثاني سنة سبع وثلاثين بعد الثلثمائة وألف هجرية

وكتب هذا البيت من الشعر في هذه الصفحة الأخيرة:

إنْ تَجدْ عَيباً فَسُدَّ الخَللَا جَلَّ منْ لا عَيبَ فيه وَعَلَا

* * *

(١) كتب بمحاذاته: بلغ مقابلة.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

تم الصف والإخراج

بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع - الكويت

هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٢٤٨٣٨٤٩٥ بدالة المطبوعات ٢٤٨١٠٠١٠ - ٠٠٩٦٥

تم الصف والإخراج

بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٢٤٨٣٨٤٩٥ الكويت

بدالة المطبوعات ٢٤٨١٠٠١٠- ٠٠٩٦٥